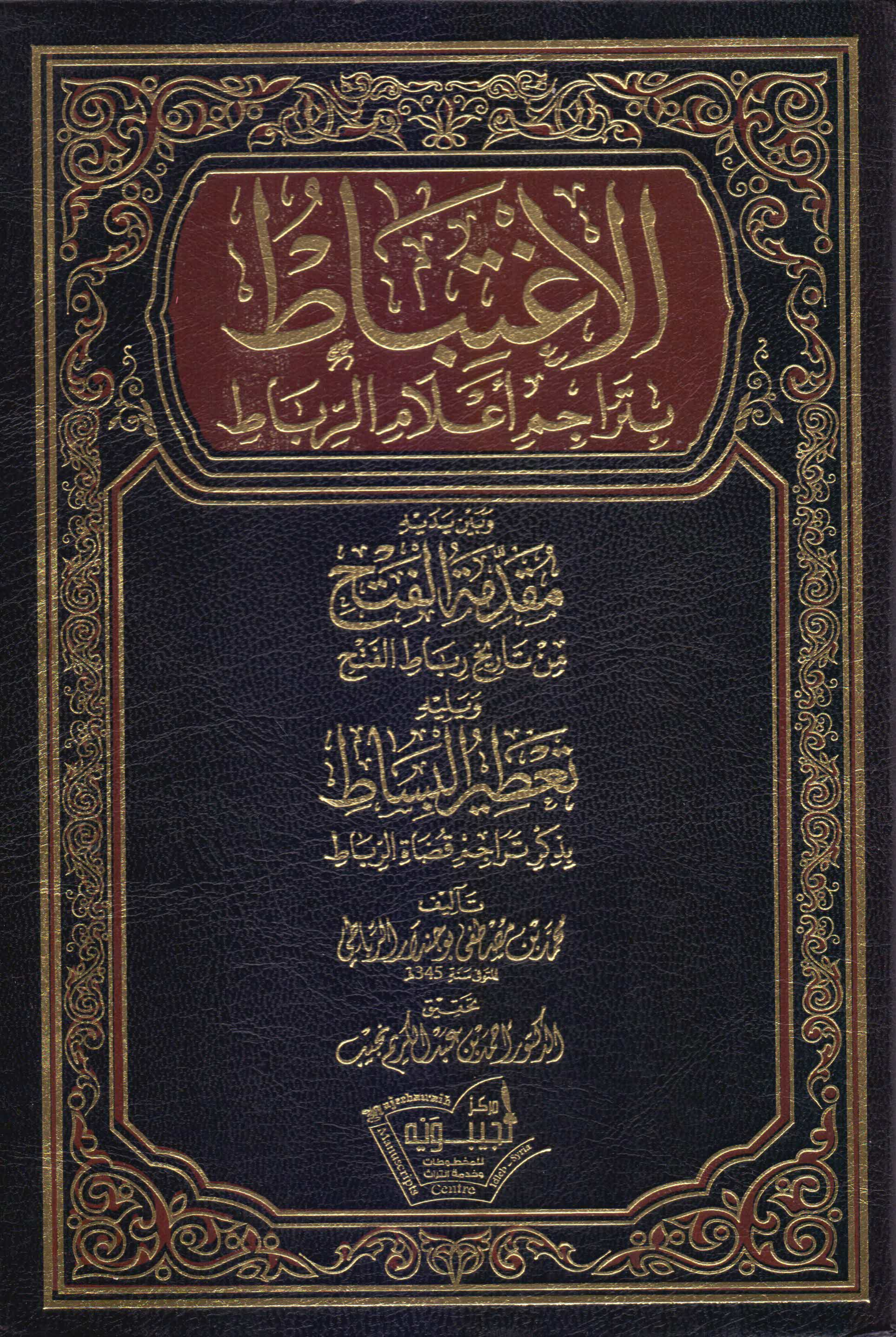
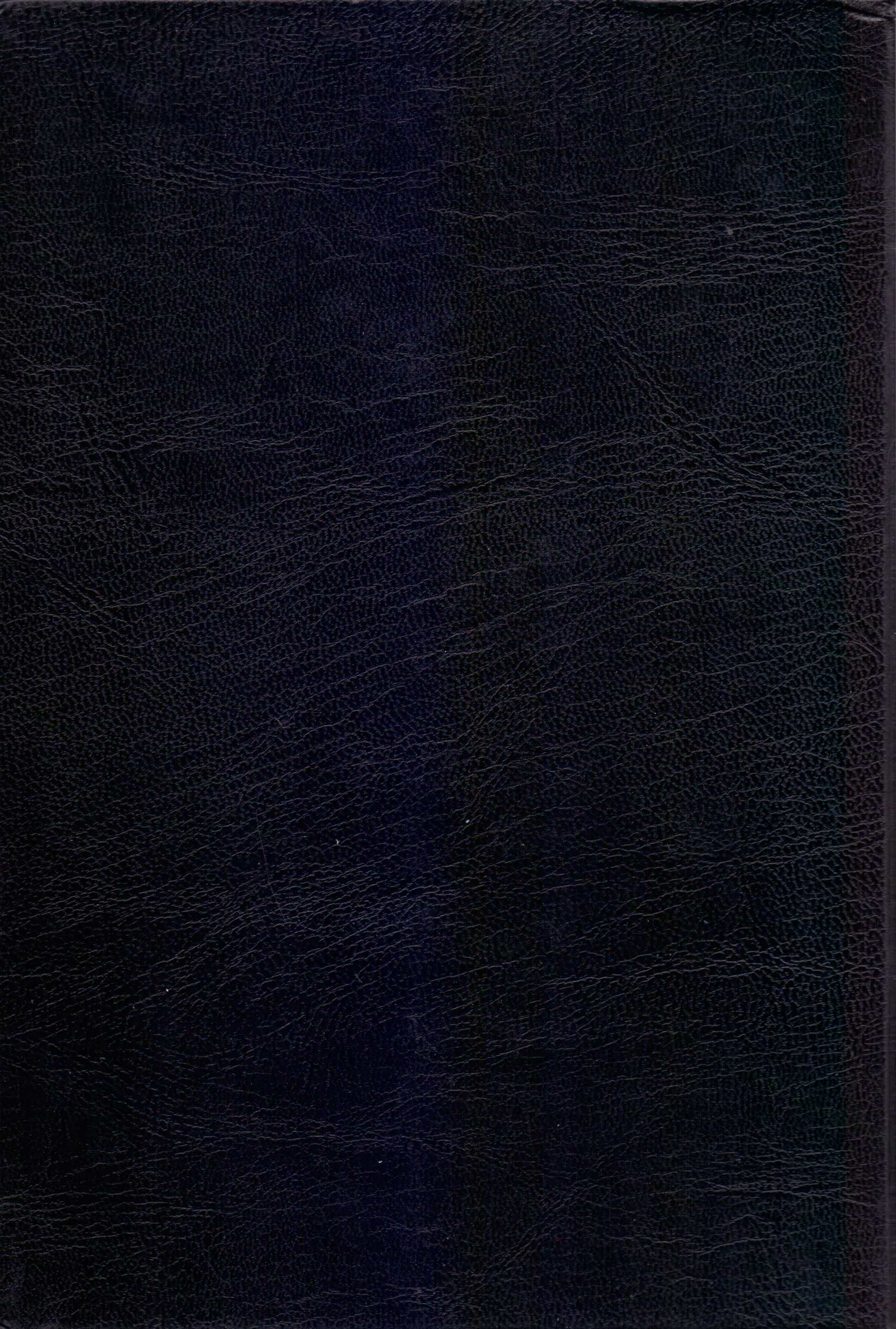

الاغتباط
بتراجم أعلام الرباط
وبين يديه
مقدمة الفتح
من تاريخ رباط الفتح
ويليه
تعطير البساط
بذكر تراجم قضاة الرباط
تأليف
محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي
المتوفى سنة 1345هـ
تحقيق
الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب
مركز نجيبويه
للمخطوطات وخدمة التراث
Manuscripts Centre
Idleb - Syria





مقدمة الفتح
الاغتباط
تعطير البساط

تطلب منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث من:

APT 22 - ETG 2 - IMM 6 - GH 11
Madinati - Sidi El Bernoussi
Casablanca - Royaume du Maroc
Tel: (+212) 667893030 - 678899909

وفي سوس عن طريق د. حسن تقي الدين
Tel: (+212) 670122779

وحدة (505) - برج (أ)
16 ش ولي العهد - حدائق القبة - القاهرة
جمهورية مصر العربية
Tel: (+20) 224875690 - 1115550071

دار النشر الدولي - الرياض
المملكة العربية السعودية
Tel: (+966) 504264958 - 14642545

شركة الكتب الإسلامية. لصاحبها محمد محمود ولد جدو ولد مولود -
نواكشوط - الجمهورية الإسلامية الموريتانية
Tel: (+222) 46437178 - 37272726

مكتبة وتسجيلات ابن القيم الإسلامية
أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة
Tel: (+971) 26412233 - 506715770
Fax: (+971) 26417667

مكتبة الإمام مالك - ليبيا
مصراته - وسط البلد
Tel: (+219) 13027959
طرابلس - طريق المطار بالقرب من كوبري الحديد
Tel: (+218) 913898929

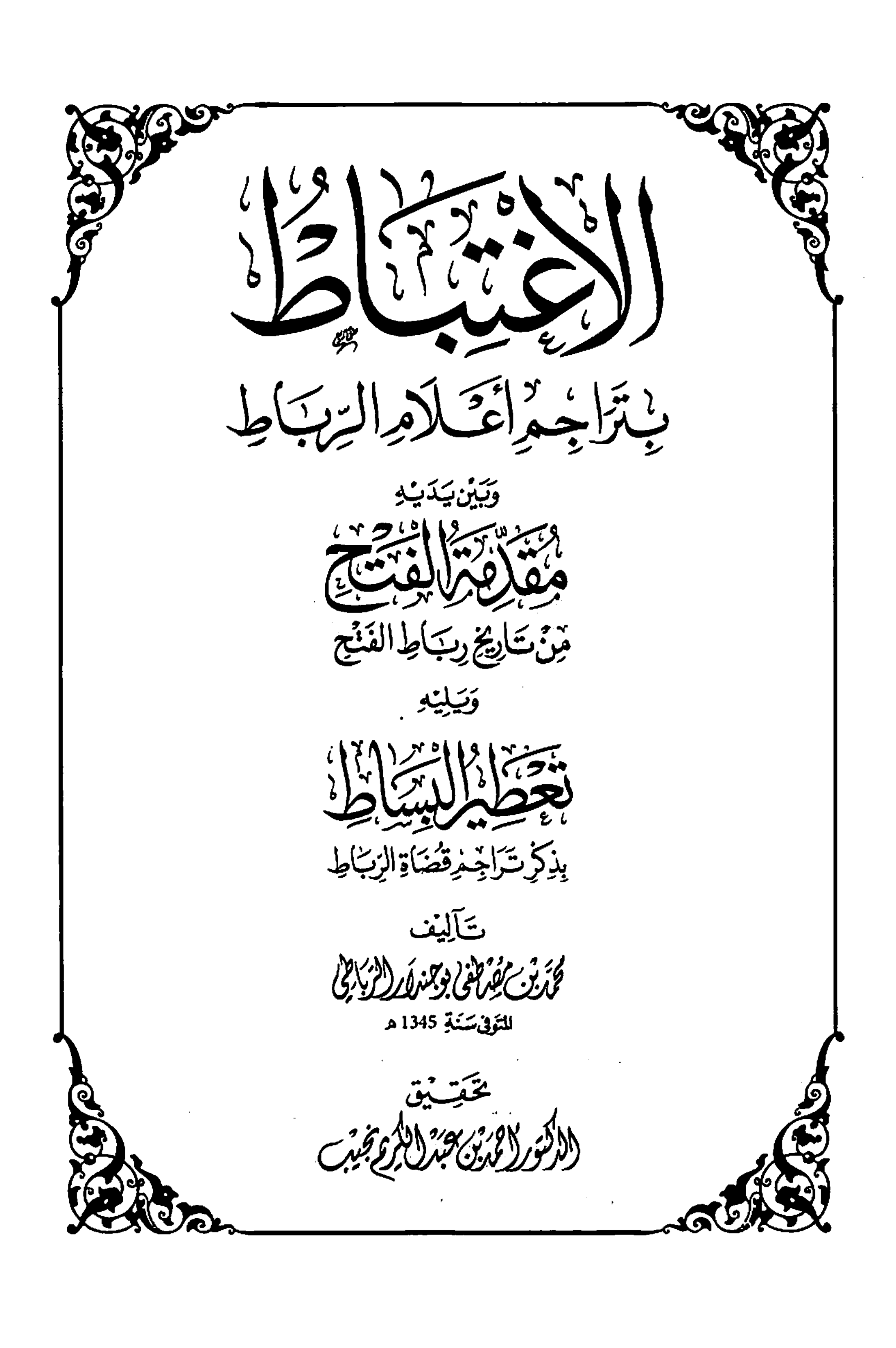
دار السلام
نهج الملحمة - حي الفردوس (13)
(2042) منطقة حي التحرير - تونس
Tel: (+216) 31591059 - 22297380

dr.a.najeeb@gmail.com

مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث
Najeebawaih Manuscripts Centre Idleb - Syria

الطبعة الثانية
1435هـ/2014م

دار المذهب للطباعة والنشر والتوزيع



الاغتباط

بتراجم أعلام الرباط

وبين يديه

مقدمة الفتح

من تاريخ رباط الفتح

ويليه

تعطير البساط

بذكر تراجم قضاة الرباط

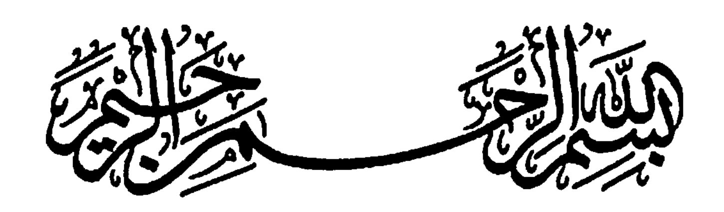
تأليف

محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي

المتوفى سنة 1345 هـ

تحقيق

الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب



رقم الإيداع القانوني في المكتبة الوطنية للمملكة المغربية:

(2013 MO 00157)

ردمك: (5-01-607-9954-978)

المقدمة

الحمد لله كما ينبغي لجلاله، والصلاة والسلام على نبيّنا مُحمّدٍ وصحبِهِ وآلِه، وبعد؛

فنُتحِف قرّاءنا الكرام اليومَ بكتابٍ عزَّ نظيرُه، وقلَّ مثيلُه، سبَقَ فيه المؤلِّفُ الأقران، وفاق في تصنيفه ما جاء به الأترابُ والخِلان، حتى أخرجه شامةً في جبين الدواوين العظام، الجامعةِ لأخبار" الرباط " ومن انتسب إليها من الوُجَهاء والأعلام.

ذلكم هو كتاب "الاغتباط بتراجم أعلام الرباط"، الذي صنَّفَهُ خديمُ العلم والأدب، ونَشَر فيه أخبار مَن ذَهَب، العلامةُ محمد بن مصطفى بوجندار ، بلّغه الله مناه في دار القرار، ورَزَقَهُ الحُسنى وزيادةً فنِعْمَ عُقبى الدار.

وقد شرع بوجندار بالتقديم للاغتباط بمقدمة تأريخية يعرِّفُ فيها بمدينة الرباط، ماضيها وحاضرِها وما تعاقب عليها من دُولٍ وحضارات، وما وقع فيها من حوادث ومهمات، حتى تشعب به البحث، وتفرقت به السبل، فاسترسل في الكلام قبل الشروع في تراجم الأعلام، وبلغ ما سطَّرَه سفراً كاملاً، نشره في حياته، وعلى نفقته رحمه الله وقال في وصف تلك المقدمة: رأيت أنها لطولها وطَوْلها خرجت عن معنى المقدمة إلى معنى يجعلها بذاتها مستقلة، وعلى غيرها متقدمة، الأمر الذي دعاني إلى إفرادها بالتخريج بهذا الجزء، الذي تأرّج مسك ختامه بطيب الأريج، وقد ترجمته بعدما أتممته: "مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح".اهـ.

ثم عاجلته المنية فخلّف كتاب "الاغتباط" في ما خلّف من الآثار، مخطوطاً غير مطبوع، يطلُبه النَّهِمُ ولا يستغني عنه القَنُوع، وظلَّ المحبُّون يرقبون الوفاء بوعد مؤلفه المقطوع، الذي قال عنه في "مقدمة الفتح": "وسأوافيكم إن شاء الله ببقية الأجزاء"، ولم يظهر شيءٌ من تلك البقيَّة إلى أن قيَّضَ الله له الدكتور عبدالكريم كريم، فتصدى للأمر بهمَّةٍ عليَّة، ونشره كما وجده مصوراً عن المخطوط، وقدّم له تقديماً علمياً أجاد فيه وأفاد، وأثنى على المؤلف وبجُهْدِهِ أشاد، فكان بالكتاب حفِيّاً، ولِحَقِّ مؤلِّفِه وفياً.

ونظراً لأهمية الكتاب وتفرُّده وتميُّزِه، رأينا أن نعمل على تحقيقه ونشره من جديد، تحفزُنا على ذلك أمور من بينها:

أوَّلاً: أن نشر الكتاب – فيما مضى – مصوَّراً عن المخطوط لا يفي بحقِّه، ولا يليق بمكانته، بل لا يعدو أن يكون زيادةً في عدد نُسَخِه المخطوطة، شأنه في ذلك شأن الطبعات الحجرية، التي أرهَصَت لعصر الطباعة العصريَّة، فضلاً عن كون المخطوط الذي نُشِرت

صورتُه على ما نُشِرَت عليه لم يسلم من الخطأ والنقص المؤثِّرَين في قيمة النسخة المعتمدة.

ثانياً: أن لمقدمة الفتح - إضافةً إلى المطبوع - نسختان مخطوطتان حصلنا عليهما بتوفيق الله، وفيهما من الزيادات والتصحيحات في صلب الكتاب وهوامشه، ما يزيد من قيمته وفوائده، ويدعو إلى إعادة النظر في ضبطه وتصحيحه، ومقابلته وتنقيحه، وهو ما سعينا إليه في هذه الطبعة.

ثالثاً: أن الكتاب خرج فيما مضى على غير مراد مؤلِّفه رحمه الله، ومن أبجديات التحقيق، إخراج النص على ما هو به حقيق، حسب ما أراد مؤلِّفُه ورَسَم، وسطَّر بينَ دفَّتَيْه ورَقم، وقد أشار المؤلف رحمه الله مُمَهِّداً إلى أن كتابَه موسوعةٌ ذاتُ ثلاثة أجزاء، أوَّلُها "مقدِّمة الفتح" وثانيها وثالثُها تراجم الأعلام، حيث نصَّ في وصَف المقدمة على أنَّها ثالث ثلاثة أجزاء؛ هي أجزاء الكتاب الموسوم بالاغتباط، فسعينا إلى تحقيق أمنيَّته، ورددنا الكتاب إلى سالف بُنيَتِه، بعد تسعة عقود ونصف من وفاة مؤلفه.

وقد تمثَّل عملنا في تحقيق الكتاب في الأمور التالية:

أولاً: لم نزد في إخراج "مقدمة الفتح" على مقابلة المطبوع بالنسختين المخطوطتين اللتين وجدناهما للكتاب في الخزانتَين العامة والحسنية بالرباط، وحرصنا على ضبط المتن، وإثبات الزيادات المفيدة، والإشارة إلى فوارق النسخ بعد حصرها ضمن معكوفات، وتخريج الآيات القرآنية المجيدة، وتصحيح ما يستوجب التصْحيح في طبعة الكتاب السابقة.

ثانياً: فعلنا في جُزأيْ "الاغتباط" كفِعلنا في "المقدمة" من المقابلة والضبط والتصحيح، وزدنا على ذلك ترقيم التراجم، وإثبات سنة وفاة المُتَرجَم - إنْ كانَت معلومة - عقب اسمه في صُلب الكتاب، وذِكر المصادر التي ترجمت لكلِّ عَلَم، وترجمة الأعلام المذكورين عرَضاً في ثنايا التراجم الأصلية، والتعريف بغرائب الألفاظ والكتب والمواطن والقبائل والبلدان، وكل ما اقتضى المقام التعريف به مما له شان، وتوثيق نقول أبي جندار قدر الإمكان من المطبوعات والمخطوطات، وتعقبُّه في مواطن لإزالة بعض الإشكالات، إلى جانب تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وما تيسَّر من الأخبار والآثار والأشعار، وما سَيَلمَسُه القارئُ النبيهُ في الكتاب من جهد نسأل الله تعالى أن نكون قد وُفِّقنا فيه لنيل المُراد.

ثالثاً: جرَّدنا الكتابَين من التقاريظ والمراسلات التي أُلحِقَت بكلٍ منهما فيما مضى، لأننا نرى الكتابَ متحدثاً عن نفسه، مسفراً عما في جوفِه، وفي ذلك كفاية وغنى عمَّا سطَّرَه غيرُ مؤلِّفِه.

رابعاً: جمعنا بين أجزاء الكتاب الثلاثة بين دفَّتَي هذه الطبعة، وفصلنا بينهم لنُشعِر القارئ بأن بعضهم يكمِّل بعضاً، ولا ينفكُّ عنه بحال، وأن من أراد تمام الفائدة فلا يغنيه

جزءُ الكتاب عما سواه.

خامساً: ذيَّلنا الكتابَ بفهارس تقريبيَّة علميَّة، للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأعلام المترجَم لهم في صُلبِ الكتاب، ثم فهرس المحتويات.

سادساً: ثمة مواطن يحسُن تعقُّب المؤلِّف فيها، ونظراً لتكرارها في الكتاب رأينا أن نكف عن التعقُّب في الحواشي، ونوجز ما يقال فيها ههنا، ومن ذلك أن المؤلف رحمه الله متصوِّفٌ متبرِّكٌ بالأولياء والصالِحين، وقد ألمح إلى ذلك في قوله: ذكرت كثيراً ممن اشتهروا بالولاية والصلاح ولم يشتهروا بالعلم تبعاً لكثير من المؤرخين، وتبركاً بخدمة عباد الله الصالحين".اهـ.

وقد غلا رحمه الله في الثناء على بعض المترجَمين فنسبهم إلى القداسة، ووصفهم بالمقدَّسين، بل زاد غلواً في سلطان زمانه رحمه الله فوصفه في رسالة الإهداء الموجهة إلى حاجبه بأنَّه "صاحب العرش العظيم"، وهذه صفة لا ينبغي أن تكون إلا لله ربِّ العالمين، لذلك جرى التنبيه إلى ذلك في هذه المقدمة، ليكون مغنياً عن الإتيان بمِثْلِه في كل موضعٍ بعَينه، مع التأكيد على أن مذهبي - بصفتي محقق الكتاب - يخالف ما ذهب إليه المؤلف من التبرك والغلو، ولا أقِرُّه فيما وقع منه في ذلك، ولكن الأمانة العلمية تقتضي أن يخرُج كتابُه كما أراد، لا كما أريد، فهو كتابُ تاريخ وتراجم، يستفاد منه في بابه على الوجه الأكمل، وليس من كتب العقائد والأصول ليُرَد على مؤلِّفه أو يُستدرَك عليه.

وإننا إذ نقدم هذا الكتاب هديَّة من هدايا مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث في حب المغرب الأقصى وتاريخه وتراثه ورجاله، لنسأل الله تعالى الأجر والمثوبة لمؤلفه ومحققه وناشره، ومن ساهم في إخراجه أو تعليق حواشيه، أو تقريبه لأهل العلم وطالبيه، يتقدمهم الأخ الكريم، والخل الحميم، ذو الرأي السديد، والنقد البنَّاء المفيد، **خالد بن محمد السعيد**، مسئول الشئون العلمية، ومدير وحدة التاريخ والتراجم والسيرة النبوية، في مركز نجيبوَيْه، أجرى الله الخير على يديه، وأجزل أجرَه ومثوبته يوم العرض عليه.

والحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات.

وكتب

أبو الهيثم الشهبائي

الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب

رباط الفتح، في العشرين من المحرم سنة 1430 للهجرة

الموافق للسابع عشر من كانون الثاني (يناير) سنة 2009 للميلاد.

ترجمة بوجندار[1]

اسمه:

هو محمد بن الحاج مصطفى بوجندار، وبوجندار لقب لعائلة[2] وكما تكلم عن أصل تلك العائلة وهي عائلة من أصول عربية سكنت الساقية الحمراء [3].

مولده:

ولد بزنقة القورية في دار اشتراها جده لأمه الحاج محمد بن محمد بوجندار من أحد أجداد صديقه الشاعر محمد الجزولي[4].

نشأته:

تلقى تعليمه الأول بالمسيد، حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم رسم الخط ثم بالزاويا المنتشرة بالرباط ثم في الجامع الأعظم حيث تلقى الدروس الفقهية والحديثية وغيرها من العلوم.

وظائفه ومهامه:

كلف في مكتب المقيم العام بالصياغة العربية لكل ما يصدر عن الإقامة العامة بالرباط، وعين عام 1333 هـ أستاذاً في المدرسة العليا للغة والأدب العربيين واللهجات البربرية، ثم أسند إليه القيام بالمنصبين معاً سنة 1336هـ.

ومن جهوده إنشاؤه نادياً أدبياً أو كما يقول الدكتور عبد الكريم كريم (مجلساً علمياً) ولم يكن له مثيل في سائر مدن المغرب، اكتسب شهرته الواسعة بفضل النخبة السامية من العلماء والأدباء والكتاب والشعراء الذين كانوا يرتادونه لتدارس الجديد من الأدب الغض قصيدة

---

(1) ممن ترجم لبوجندار: ابن سودة في إتحاف المطالع: 2/ 443، والقباج في الأدب العربي في المغرب الأقصى: 1/ 65، والزركلي في الأعلام: 7/ 102، والمرعشلي في: جواهر الدرر: 2/ 1116، والدكتور عبد الكريم كريم في المقدمة التحقيقية للاغتباط في الطبعة السابقة: 1 إلى 8.

(2) انظر النص المحقق، ص:124.

(3) هي أرض مشهورة، وهي آخر شنقيط من جهة وادي نون، كانت خالية لا أنيس بها لشدة الخوف ولحقولتها دائما حتى عمرها الشيخ ماء العينين وبنى فيها الدور وغرس النخل، فسهلت المواصلة بين شنقيط وغيرها من المواضع المغربية أعني التابعة للمخزن، وهي في الأصل للركيبات، قبيلة أصلهم من الزوايا، إلا أنهم يحملون السلاح في أكثر أوقاتهم. انظر: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، لأبي العباس أحمد بن الأمين الشنقيطي، ص: 438.

(4) النص المحقق، ص: 127.

أو بحثاً حديثاً أو مناظرةً [1].

شيوخه:

من شيوخ محمد بوجندار وأساتذته حسب وفياتهم وعلى ما ذكره في الاغتباط:

* علي بن أحمد دينية (المتوفى سنة 1325هـ)[2]:

هو أحد المتقلبين في خدمة المراسي، تداول مع الخدمة خطة الكتابة أولاً مع عامل الرباط السيد عبد السلام السويسي ثم خطة الشهادة والإفتاء ثم خطة القضاء بالرباط، وكان رحمه الله من العلماء الفقهاء، ومن الخطباء المتحلين بحلية الوقار والأبهة العلمية والجلالة والفخار، وبيته من البيوتات الرباطية الشهيرة بالعلم والعرفان وولده صاحب مجالس الانبساط. قال بوجندار: وهو آخر من سمعناه بالرباط يدرس الفقه والنحو وباقي العلوم بمطولاتها.

* أحمد بن عاشر الحداد (المتوفى سنة 1326هـ)[3]:

أبو العباس أحمد بن محمد الشريف العلمي الحداد، قال عنه بوجندار: "اجتمعت به كثيراً في صغري وسمعت منه وحدثني بوقائع ودعا لي بما نرجو من الله وصوله إليَّ، وتلقيت منه مقالات عرفانية وحكم ربانية تدل أي دلالة على شفوف قدره وإشراق بدره، وناهيك بصلواته وأحزابه وتوسلاته النثرية والشعرية على الطريقة الزجلية وهي التي يذكرها أهل الطريقة الحراقية التي كان هو المشيد لمعالمها بهذه الحضرة الرباطية"[4].

* أحمد بن قاسم جسوس (توفي سنة 1331هـ) [5]:

أبو العباس جسوس، فقيه، أديب، محدث، من أعلام الطريقة التجانية، أخذ العلم عن مجموعة من الشيوخ الأفاضل، في مقدمتهم العربي بن السائح، وأبي إسحاق التادلي، له تعليق على موطأ مالك، ومصنفات منها "الإغراء بمسائل الاستبراء"، و"زهر الخمائل من دوحة

(1) مقدمة الطبعة السابقة، لتراجم الاغتباط، بقلم الدكتور عبد الكريم كريم.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، ترجمة رقم (242)، ومجالس الانبساط، لولده دنية، ص: 273 وما بعدها، وتعطير البساط، ص: 42، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 374، والأعلام، للزركلي: 4/ 261.

(3) انظر ترجمته في: الاغتباط، ترجمة رقم (33)، والإعلام، للسملالي: 2/ 457، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 287، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 377.

(4) انظر النص المحقق، ص:253.

(5) انظر ترجمته في: الاغتباط ترجمة رقم (35)، والإعلام، للسملالي: 2/ 465، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 405، والأعلام، للزركلي: 1/ 199، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 13/ 365.

الشمائل"، و"جلاء الغين عن قرة العين"، قال عنه بوجندار في الاغتباط: "شيخنا العلامة فخر الرباط وشاعره... حضرت عليه في جمع من طلبة الرباط ونقادهم"[1].

* **محمد بن عمر بن أحمد دينية (المتوفى سنة 1331هـ)[2]:**

وهو من تلامذة أبي إسحاق التادلي شيخ الرباط في وقته، قال عنه بوجندار: شيخنا العلامة المشارك درس عليه جل المتعاطين من أقراننا النبغاء. وقد قرأت عليه الكثير[3].

وقد ذكر أنه قرأ عليه الكثير من عبارة المختصر أي المختصر الخليلي في الفقه المالكي

وجل الفن الأول من تلخيص القزويني (أي تلخيص مفتاح علوم البلاغة للسكاكي)، ونظم الشيخ الطيب في البيان، ومنظومة القادري في المنطق بشرحه عليها بالإشارة والعبارة، وأوائل المرشد المعين، وحضرت في تدريسه للشمائل، والهمزية، والألفية، واللامية، والكل كان يقرأه قراءة تحقيق وتحرير.

* **عبد القادر لباريس (المتوفى سنة 1332هـ)[4] :**

هو عبد القادر بن عبد الله بن إبراهيم لباريس وهو ممن ترجم له بوجندار في الاغتباط وقال في رأس ترجمته (صاحبنا)[5]، وهو ممن اشتهر بالأدب، أخذ عن الشيخ العربي بن السائح الطريقة التيجانية. ترجم له دنية أيضاً

* **أحمد بن القاضي محمد بن إبراهيم (المتوفى سنة 1334هـ)[6]:**

قال عنه بوجندار: أحد مشايخي الذين قرأت عليهم في بدايتي وكنت أنا القارئ بين يديه[7].

---

(1) انظر النص المحقق، ص: 257.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، ترجمة رقم (106)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 306، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 403، والأعلام، للزركلي: 6/ 318.

(3) انظر النص المحقق، ص:405.

(4) انظر ترجمته في الاغتباط ترجمة رقم (211).

(5) انظر النص المحقق، ص: 560.

(6) انظر ترجمته في: الاغتباط، ترجمة رقم (35)، وجواهر الكمال، للكانوني، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، بالرباط الطبعة الأولى 2004م، ص: 67، وأعلام الفكر المعاصر، لعبد الله الجراري: 2/ 48، والأعلام، للزركلي: 1/ 249.

(7) انظر النص المحقق، ص: 267.

وقد وصف هذا الشيخ بالنباهة والذكاء في تحصيل الفقه وهو أحد تلامذة أبي حامد البطاوري، وقد ترجم لهذا الشيخ في جواهر الكمال، للكانوني[1]، وذكر عنه مثلبة لا نظنها خفيت على بوجندار[2].

* الجيلاني بن إبراهيم (المتوفى سنة 1336 هـ)[3]:

هو الجيلالي – وتكتب الجيلاني أيضاً – بن أحمد بن إبراهيم مفتي الرباط، قال بوجندار:"حضرت عليه في الجامع الكبير"[4] وقال في حقه: كان رحمه الله ركناً عظيماً من أركان العلم بالرباط ومن أعظم فحوله، وقاموساً محيطاً بقواعد المذهب وأصوله، ومصباحاً مرشداً في أحكام الفقه وأبوابه وفصوله ".اهـ[5]، وقد أخذ الجيلاني عن أبي إسحاق التادلي، والتهامي البناني، وغيرهما، ومن أجل من أخذ عنه زين العابدين بناني، وفتح الله البناني،، وقال عنه بوجندار: وكان في درسه سريع الإملاء، لا يتحمل البحث ولا الإلقاء. إذا جرى في مجال الكلام وانسحب كان كأنما ينحدر من صبب لما كان عليه من الحفظ والاقتدار وغزارة المادة واتساع العارضة والاستحضار اهـ[6].

* فتح الله بن أبي بكر بن محمد بن عبد السلام بناني المتوفى سنة 1353 هـ[7] :

علامة مشارك صوفي خطيب مدرس له تلاميذ وأتباع، كانت ولادته عام أحد وثمانين ومائتين وألف.

أخذ العلم عن أخيه زين العابدين بناني المتوفى سنة 1310هـ، وعن الشيخ إبراهيم التادلي، وشاركه بوجندار في الأخذ عن الشيخ الجيلاني المذكور آنفاً، وغيرهم من الأشياخ الذين حوتهم فهرسته التي سماها "المجد الشامخ فيمن اجتمعت بهم من المشايخ" وهي أحد

---

(1) تراجم الرجال، للكانوني، ص: 67.

(2) ونعني بذلك ما قاله الكانوني من شغف ابن إبراهيم بالرياسة وإعلانه قبوله الرشوة.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 317، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 419، والأعلام، للزركلي: 2/ 149.

(4) انظر النص المحقق، ص:459.

(5) انظر النص المحقق، ص:458.

(6) انظر النص المحقق، ص:460.

(7) انظر ترجمته في: الفتح الرباني في التعريف بالشيخ فتح الله البناني، لتلميذه سباطة، مخطوط الخزانة الحسنية ضمن مجموع تحت رقم (13959)، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 468، وسل النصال، له أيضاً، ص: 72.

مصادر بوجندار في الاغتباط ويشير إليه بقوله "صهرنا العارف بالله تعالى الشيخ سيدي فتح الله البناني في طبقاته"(1)، وله تآليف أخرى منها "إتحاف أهل العناية الربانية في اتحاد طرق أهل الله وإن تعددت مظاهرها الحقانية" ؛ و"تحفة الأصفياء في بيان معنى القول بعصمة الأنبياء" وتآليف أخرى جلها مطبوع طبعات قديمة ومنها ما أعيد طبعه.

* أبو حامد البطاوري (المتوفى سنة 1355هـ)(2) :

هو من أجلّ شيوخ بوجندار وأعظمهم فيه تأثيراً هو والكتاني محمد عبد الحي، ويربو فضل البطاوري بما بينهما من القرابة والرحم المتصلة تزيد الوشائج قرباً، وقد أفرده بوجندار بتصنيف في مناقبه أشرنا إليه عند ذكر مؤلفاته وقال عنه في تعطير البساط: "هو شيخنا شيخ الجماعة العلامة الجامع المانع المشارك في العلوم عقليها ونقليها الحافظ الحجة الأديب الشاعر الناثر المؤلف الخطيب القاضي الشريف"(3).

والبطاوري شرشالي نسبة إلى شرشال من بلاد إفريقية نشأ بالرباط في كنف جدته بنت القاضي بسير، قرأ على مشايخ الرباط كأبي إسحاق التادلي وهو عمدته وسنده والقاضي ابن إبراهيم، والقاضي أبي العباس ملين، وغيرهم ممن ذكر في الاغتباط الجزء الخاص بالتراجم.

تولى عديد من المناصب وقام بعدد من الرحلات إلى إسبانيا أيام عقد مؤتمر الوفاق بمدريد ثم توجه إلى باريس وانجلترا وبعد قفوله تجول في هذه البلاد المغربية وأخذ عن بعض شيوخ مراكش، وفاس، ومكناس، ثم رد بجماح عزمه إلى الأصقاع الحجازية لأداء فريضة الحج وهناك اتصل بأهل العلم والفضل من هاتيك الأقطار فأخذ واستجاز واستفاد خصوصاً بمصر، والإسكندرية، والحرمين الشريفين وذلك سنة 1304 هـ وتصدر لبث العلم ونشره وتدريسه والتأليف توفي سنة 1355 هـ ولذا فهو ممن لم يذكرهم بوجندار في الاغتباط لكنه أحد مصادره ففهرسة البطاوري نقل عنها في عديد من المواضع، وقد ينقل عنه سماعاً أيضا.

* القاضي أبو زيد عبد الرحمن بريطل المتوفى سنة 1363 هـ :

هو أبو زيد عبد الرحمن بن ناصر بريطل علامة مشارك، تولى القضاء في مدينة أزمور،

---

(1) انظر النص المحقق، ص: 208، و421، و456.

(2) انظر ترجمته في: تعطير البساط، لبوجندار، بتحقيقنا، ص: 328، وسل النصال، لابن سودة، ص: 80، والأعلام، للزركلي: 7/ 110.

(3) انظر تعطير البساط، ص:329.

والعرائش والجديدة وقبيلة المذاكرة وأولاد حريز وغير ذلك، له نوازل في مجلدين. توفي بالرباط ودفن بالزاوية الوزانية هناك، ذكره بوجندار في معرض ترجمته لزين العابدين بناني(1) وعلى أن المترجم كان من جلة تلاميذه وقد ترجم ابن سودة لبريطل في إتحاف المطالع(2).

* أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الرندي المعروف بالرُّندة، المتوفى سنة 1365 هـ(3):

ترجمه بوجندار في كتابه تعطير البساط وحلاَّه فقال: "هو شيخنا الفقيه المفتي النوازلي العلامة المقتدر المشارك الدراك المتضلع الشهم المحجاج المتواضع القاضي الحالي"(4).

وقد شارك بوجندار شيخه في الأخذ عن الجيلاني السابق والبطاوري أبي حامد.

وقد كان المترجم أحد قضاة الرباط المشهورين تولى قضاءها مدة، ثم رأس مجلس الاستئناف الشرعي، ثم وزارة العدلية وصرف عنها، وتوفي بالرباط، ودفن بشالة.

* الأديب السيد التهامي الغربي المتوفى سنة 1378هـ(5)

هو التهامي بن المعطي الغربي كما ترجم له ابن سودة ويبدو أنه من أقران بوجندار ممن اشتهر بالأدب وقد ذكره دنية وحلاه بقوله العلامة الأديب؛ ولم أقف على ذكر له في غير هذين الموضعين.

* أبو السعود الكتاني المتوفى سنة 1382هـ(6):

هو محمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الكتاني الإدريسي الحسني، من علماء الحديث ورجاله، له شهرة واسعة، سليل الأسرة الكتانية المعروفة في ربوع المغرب، ولد رحمه الله بفاس في سنة 1303هـ، وفي سنة 1314 هـ دخل لجامعة القرويين، فأخذ عن معظم علمائها كالعلامة محمد بن قاسم القادري، وأحمد بن الخياط، ومحمد بن المدني كنون، وغيرهم من فطاحل العلم بفاس، وفي سنة 1325 هـ اندرج في الطبقة الأولى من طبقات علماء القرويين، وفي سنة 1333هـ تصدر لمشيخة الطريقة الكتانية، وكانت وفاته رحمه الله بباريس سنة 1382هـ، له ما

(1) انظر النص المحقق، ص: 469.

(2) إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 497.

(3) انظر ترجمته في: سل النصال، لابن سودة، ص: 118، والأعلام، للزركلي: 6/ 207.

(4) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 331.

(5) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 289، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 568.

(6) انظر ترجمته في: مقدمة فهرس الفهارس والأثبات، بتحقيق إحسان عباس، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 437، والأعلام، لزركلي: 6/ 187.

يزيد على خمسمائة تأليف، وله مكتبة حوت العديد من النفائس ذكرها بوجندار غير مرة، ومن أشهر مؤلفاته "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشايخ والمسلسلات"، و"البيان المعرب عن معاني بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب"، و"الرحمة المسلسلة في شأن حديث البسملة"، وغير ذلك من التصانيف، وقد أثر في بوجندار تأثيراً عظيماً يظهر من ثنايا نقوله عنه أو ما ارتضاه من رأي.

* أحمد بن مأمون البلغيثي المتوفى سنة 1348هـ[1] :

أبو العباس أحمد بن المامون البلغيثي العلوي الفاسي دخل القرويين سنة 1285هـ - فقرأ علي الإمام أبي عبد الله محمد بن گنون، والفقيه محمد بن قاسم القادري، وأبي العباس سيدي أحمد بن الخياط، وأبي عبد الله سيدي محمد بن التهامي الوزارني وغيرهم، ولي قضاء "الصويرة" و"الدار البيضاء" و"مكناسة الزيتون" ورحل إلى المشرق ثلاث مرات.

من كتبه "تنسم عبير الأزهار بتبسم ثغور الأشعار"، و"الابتهاج بنور السراج" في شرح سراج طلاب العلوم، و"حسن النظرة في أحكام الهجرة" و"مجلى الحقائق فيما يتعلق بالصلاة على خير الخلائق"، وقد ذكر عرضاً في الاغتباط محلى بقول بوجندار (وشيخنا أبي العباس البلغيثي)[2].

* الزعيمي المتوفى سنة 1329 هـ[3]:

هو أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد (بفتح الميمين) الزعيمي الرباطي، قاض فقيه شاعر مشارك، أخذ عن شيوخ وقته كالقاضي أبي عبد الله السيد محمد بن إبراهيم وأبي حفص عمر عاشور وغيرهما وتصدى للعدالة والتوثيق ثم للخطابة بجامع مولاي سليمان ، وكان ذا خط جيد وصوت مليح وأخلاق حسان، رحل للمشرق للحج والزيارة وذلك في عام 1304 هـ واتخذ كاتبا بالحضرة السلطانية مدة ثم رشح عدلاً للخدمة بمرسى طنجة ثم ولى قضاء الدار البيضاء وبها توفي، وقد ترجم له بوجندار في الاغتباط ودنية في

---

(1) انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 437، وجواهر الكمال، للكانوني، ص: 54، والأعلام، للزركلي: 1/ 201.

(2) انظر النص المحقق، ص: 249.

(3) انظر ترجمته في: الاغتباط، ترجمة رقم (32)، والإعلام، للسملالي: 2/ 463، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 293.

مجالس الانبساط والسملالي في الإعلام.

تنبيه:

وقع خطأ في الدراسة المطولة التي ترجم بها الدكتور عبد الكريم كريم لبوجندار وقدم بها لطبعة الاغتباط السابقة، إذ عد من شيوخه الفقيه الرغاي المتوفى بعد 1280 هـ وإنما هو شيخ البطاوري [1].

ومن أقران بوجندار الذين نقل عنهم في مؤلفاته وعاصرهم:

* الجزولي (المتوفى سنة 1393 هـ)[2] :

هو محمد بن محمد الجزولي، أديب، شاعر فحل، من أهل الرباط، كانت ولادته عام ستة وثلاثمائة وألف، تولى بعض المناصب الإدارية في أول الحماية، ثم ترك الوظيفة واشتغل بالتجارة واكتسب أموالا كثيرة، وله ديوان مطبوع، وعرف بصداقته الحميمة لبوجندار وقدم لكتابه "مقدمة الفتح" المنشور بعد موته بكلمة طويلة وقد قال عنه الدكتور عبد الكريم كريم (أحد أعلام ذلك الجيل الذين أناروا طريق الحركة الوطنية ومهدوا الطريق لمن بعدهم).

* محمد بن علي الدكالي (المتوفى سنة 1364 هـ)[3] :

هو محمد بن محمد بن الحاج محمد بن علي و(الدكالي) بفتح الدال أو ضمها، وتشديد الكاف نسبة إلى دكالة، بلدة، مؤرخ، له علم بالأدب، مولده ووفاته في سلا، تولّى أعمالاً كتابية وقضائية، وكان من مراجع المستشرقين، من كتبه "أدواح البستان في أخبار العدوتين ومن درج بهما من الأعيان" عند ورثته في 80 كراسة[4]، و"الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز و"إتحاف أشرف الملا بأخبار الرباط وسلا" وهي أرجوزة في ثلاثة آلاف بيت، قدمها للمولى عبد الحفيظ وغير ذلك من الرسائل والأبحاث.

وقد تعرض بوجندار لنقد بعض آراء الدكالي فيما يختص باسم سلا والرباط واختصاص

---

(1) انظر: الاغتباط، بتقديم الدكتور عبد الكريم كريم ط1987، ص1.

(2) انظر ترجمته في: ذكريات من ربيع الحياة، للمترجم نفسه، وذيل الاغتباط، تاريخ الأدب العربي في المغرب الأقصى، لمحمد بن العباس القباج: 1/ 87، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 619، والأعلام، للزركلي:6/ 180.

(3) انظر ترجمته في: الأعلام، للزركلي: 6/ 305، والمقدمة التحقيقية للإتحاف الوجيز بقلم مصطفى بوشعراء.

(4) انظر: دليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 31.

كل منهما لمقتضاه وناقش ذلك في مقدمة الفتح[1] ونقل عنه في الاغتباط[2]، في أكثر من ترجمة وقد حلاه الكتاني بقوله: "شيخ المؤرخين بالعدوتين وزعيمهم الكاتب البحاثة الأثري المعتني الفقيه"[3].

* دنية[4] :

أبو عبد الله محمد بن علي دنية الرباطي، الأندلسي الأصل، المتوفى سنة 1358هـ، من أصهار بوجندار كما ذكر في ثنايا كتابه الاغتباط، جمعت بينهما الصداقة والاهتمام بالتراجم، والأخذ عن محمد دنية المترجم آنفاً بين شيوخ بوجندار، ومن تصانيفه "عنوان الإسعاد والنجح الكفيل بذكر تراجم سادات رباط الفتح" وهو المعروف بمجالس الانبساط أحد مصادر بوجندار التي ذكرها في الاغتباط[5] و"النفحة العنبرية في الألغاز الفرضية" و"واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد"، و"النسمات الندية" في سيرة جده أحمد دنية المتوفى سنة 1280هـ.

* ابن زيدان [6] :

أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن زيدان الحسني، السجلماسي، المتوفى سنة 1365هـ هو ابن زيدان المؤرخ، كان السلطان محمد بن يوسف يخاطبه بابن عمنا، نقيب عائلتنا ومؤرخ دولتنا، جمعت بينه وبين بوجندار الصداقة وتبادل القصائد، وقد ذكر بعضها في تاريخه المشهور، بل ورد ذكره أكثر من مرة في رد على بعض ما أثاره[7]، وحلاه بقوله "المؤرخ المعاصر صديقنا الناقد" و"صاحبنا النحرير"[8] وذكره لبعض مساجلاته

---

(1) انظر: مقدمة الفتح، ص:64، و65.

(2) انظر الاغتباط، ترجمة رقم (152) وترجمة رقم (230) وترجمة رقم (258).

(3) انظر: فهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 1179.

(4) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 484، والأعلام، للزركلي: 6/ 304.

(5) انظر النص المحقق، ص:510.

(6) انظر ترجمته في: سل النصال، لابن سودة (تلميذه)، ص:124، والأعلام، للزركلي: 3/ 335، والأدب العربي في المغرب الأقصى، للقباج: 1/ 81.

(7) انظر: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 42.

(8) انظر: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 30.

الشعرية في وصف بعض القصور المكناسية[1].

※ السملالي[2] :

العباس بن محمد بن محمد بن إبراهيم المراكشي الدار، السملالي، السوسي الأصل، المعروف بابن إبراهيم، قاضي نوازلي مؤرخ، قال تلميذه ابن سودة: يستحضر النوازل الفقهية كأصابع يده، كما يستحضر الوقائع التاريخية وخصوصاً رجال مراكش ومن دخل إليها من قديم الأزمان كأنه عاش معهم وعاشرهم[3].

له عدة تأليف أعظمها تاريخه الشهير في أهل مراكش الذي سماه "الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام"[4]، نقل عنه بوجندار وأثنى عليه وحلاه بقوله "حبيبنا العلامة المؤرخ"[5].

مؤلفات بوجندار:

※ تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط:

ترجم فيه لواحد وثلاثين قاضياً ممن تولى القضاء بالرباط، وقد ألفه استجابة لسؤال من طرف الحكومة البلدية، والمراقبة المدنية عن تاريخ القضاء في الرباط. طبع عام 1336 هـ/ 1918 م. وقد أعدنا طباعته ونشره في العدد الأول (الصادر في شهر رمضان المعظم سنة 1429هـ) من مجلة قطر الندى الفصلية العلمية المحكمة بتحقيقنا.

※ أزهار الخمائل المسكية بأخبار الشمائل المكية:

ألفه في فضائل شيخه أبي حامد البطاوري ولم أقف عليه، وقد ذكره ابن سودة في إتحاف المطالع[6]، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى[7]، ونقل بوجندار عن "الأزهار" في كتابه مقدمة الفتح[8].

※ الكلمات الذهبية في أخبار الرحلة المغربية لفخامة المسيو ميلدان رئيس الجمهورية الفرنسوية:

تكلم فيها عن رحلة رئيس الجمهورية الفرنسوية إلى المغرب سنة 1340 هـ الموافق سنة

---

(1) انظر: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 126، و127.

(2) انظر ترجمته في: سل النصال، لابن سودة، ص:173، والأعلام، للزركلي: 3/ 265.

(3) انظر: سل النصال، لابن سودة، ص: 173.

(4) طبع كتاب الإعلام كاملاً في المطبعة الملكية بالرباط في عشرة أجزاء بعناية عبد الوهاب بن منصور، عام 1974.

(5) انظر النص المحقق ص: 363.

(6) إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 457.

(7) دليل مؤرخ المغرب، لابن سودة: 1/ 193.

(8) انظر: النص المحقق، ص:8.

1922 م وقد طبعت بالمطبعة الرسمية بالرباط آخر السنة المذكورة.

*** مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح:**

وهو مقدمة لكتابه الاغتباط، تكلم فيها عن أهمية التاريخ ثم تحدث عن تاريخ المغرب عامة في لمحة سريعة ثم تكلم عن الرباط وآثاره، ومساجده وعائلاته، وبعض الأحداث الهامة في تاريخه، وقد طبعت على نفقة المؤلف بمطبعة الجريدة الرسمية وصدرت بعد وفاة المصنف، بتقديم من صديقه الجزولي، وقد أنهى كتابتها في غضون العام 1343هـ وهي أول أجزاء الموسوعة الرباطية (الاغتباط) التي نحن بصدد التقديم لها.

*** مبتدأ خبري:**

وهي فهرسة لشيوخه وترجمة لنفسه لم أقف عليها وقد ذكرها ربيع الجزولي في تقدمته لمقدمة الفتح[1].

*** شالة وآثارها:**

كتاب في تاريخ زاوية شالة بالرباط ووصف لآثارها القديمة والحديثة كان مجموعة من المقالات المنشورة له بالجريدة الرسمية جمعها في كتاب صغير الحجم جم الفائدة طبع بمطبعة الجريدة الرسمية 1340هـ.

*** القسطاس في تلخيص وتذييل القرطاس:**

ذكره في مقدمة الفتح ولا أعرف قرطاساً غير "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع وقد اشتهر وطبع قديماً على الحجر وعرف بالقرطاس[2] فلعل بوجندار إياه اختصر.

*** ديوان شعر في مجلد[3].**

*** ذكر ختم البخاري:**

مقامة كتبها في ختم الشيخ أبي شعيب الدكالي الصديقي لصحيح البخاري سنة 1338هـ وقد طبع بالرباط في ملزمة.

---

(1) انظر مقدمة الجزولي للطبعة السابقة من مقدمة الفتح.

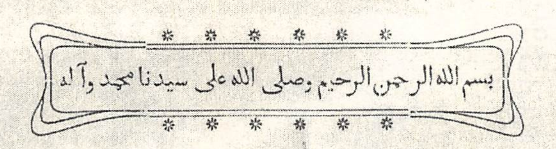
(2) وأعاد طبعه الدكتور عبد الوهاب بنمنصور محققاً ونشرته المطبعة الملكية بالرباط 1973م.

(3) لم أقف عليه.

صور المخطوطات

الصفحة الأولى من نسخة "مقدمة الفتح" المرموز لها بالحرف (ع) والتي يحفظ أصلها في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1044) وتقع في (85) لوحة من القطع المتوسط، وعدد مسطراتها (20) سطراً في الصفحة، بمتوسط (12) كلمة في السطر، وهي مكتوبة بخطٍ مغربي مجوهرٍ واضحٍ وجميلٍ أسودِ المداد، ولا تحمل اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.

الصفحة الأولى من نسخة "مقدمة الفتح" المرموز لها بالحرف (ح) والتي يُحفَظ أصلُها في الخزانة الحسنية بالقصر الملكي في الرباط تحت رقم (1513) وتقع في (88) لوحة من القطع المتوسط، محاطة بأُطرٍ حمراء، وعدد مسطرتها (22) سطراً في الصفحة، بمتوسط (12) كلمة في السطر، وهي مكتوبة بخط مغربي نسخي واضح أكثرُه أسود المداد،، وقد وُضعَت عناوين محتوياتها في أُطُرٍ مستطيلة، وكُتِبَت أرقامها بالمداد الأحمر،ولا تحمل اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.



سبحانك اللهم اذ كرك ذكرا، وباسمك افتتح مشروعي هذا حامدا شاكرا على ان جعلت التاريخ لنا عبرة وذكرى، مهديا صلات الصلوات الموصولة بعوائد التحيات، لمن قصصت عليه احسن القصص في محكم الايات، صل اللهم عليه وعلى ءاله الحي منهم والميت، سلام عليكم اهل البيت، وبعد فاليكم يا ابناء وطني الاعزاء، اتقدم بهذا الجزء المولف، بل الروض المفوف، ثالث ثلاثة اجزاء، ضمنتها تاريخ بلدتي عاصمة الرباط، (حيث القصبة والساباط) وهي اجزاء كتابي الموسوم بالاغتباط، فقد توجت هامته بتيجان فصول ووصول جعلتها مقدمته، ثم زايت انها لطولها وطولها خرجت عن معنى المقدمة،

— 7 —

الصفحة الأولى لطبعة "مقدمة الفتح"

التي نشرتها الجريدة الرسمية بالرباط سنة 1345هـ

الصفحة الأولى من نسخة "الاغتباط" المرموز لها بالحرف (ح) والتي يُحفَظُ أصلُها في الخزانة الحسنية تحت رقم (12491) وهي نسخة ناقصة تنتهي بنهاية النصف الأول من الكتاب، وتقع في (53) لوحة من القطع المتوسط، وعدد مسطراتها (23) سطراً في الصفحة، بمتوسط (12) كلمة في السطر، وهي مكتوبة بخط مغربي نسخي جميل أسود المداد عدا رؤوس التراجم فمدادُها أحمر، ولا تحمل اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها.

1

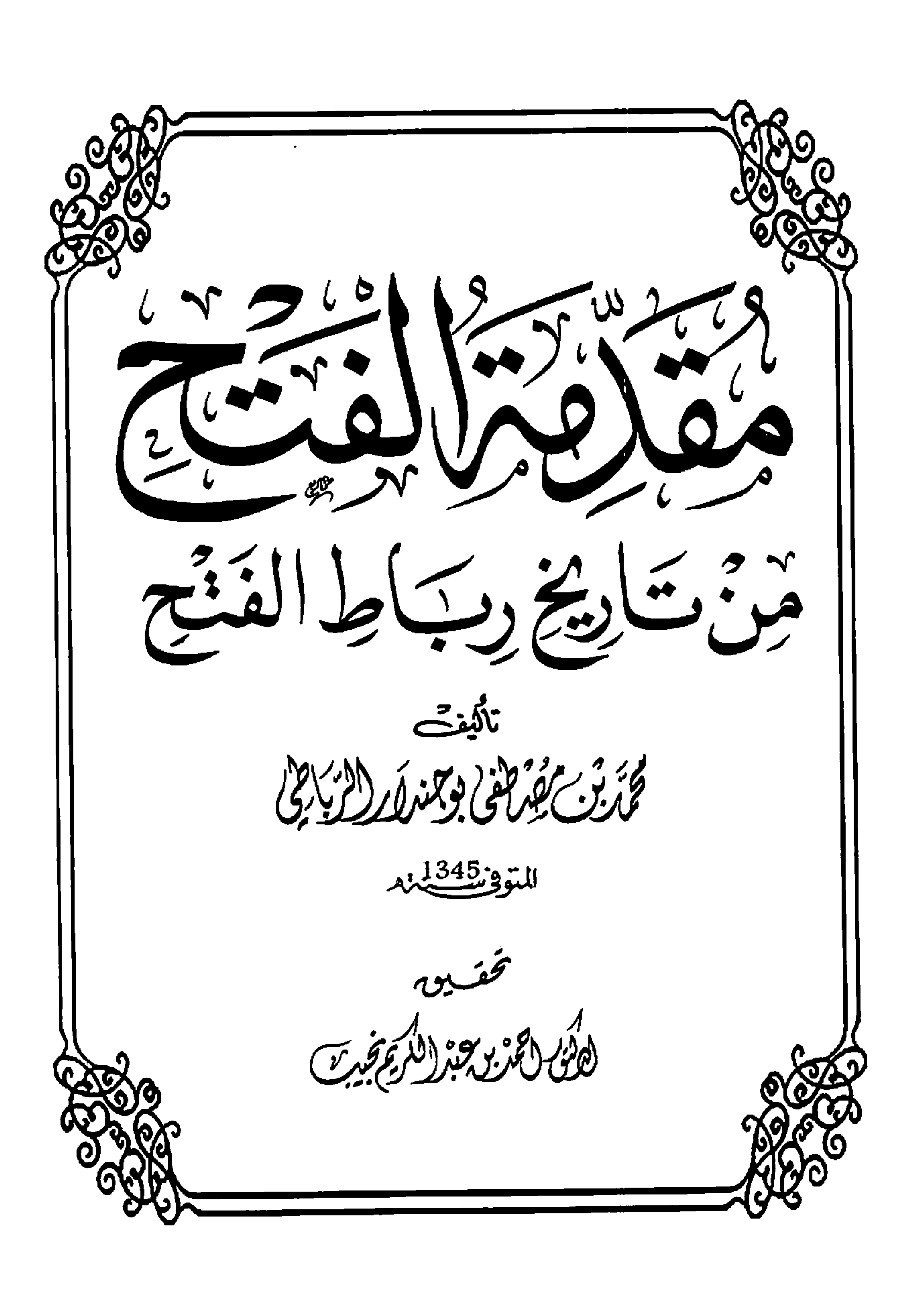
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتاب الاغتباط بتراجم
أعلام الرباط لمؤلفه أبي
عبد الله محمد بوجندار
الرباطي الدار رحمه
الله آمين.
بالأمين

قال مؤلفه سامحه مولاه الحمد لله في كل مشروع وفاتحة
يبتدأ به قبل الشروع. وفاتحة مشروعي هذا حمد من جعل
في سير الغابرين عبرة للحاضرين وفي آثار الأولين موعظة
وذكرى للمؤمنين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العالمين
وسند العالمين وعلى آله وأصحابه الهادين المهتدين
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين والرضى عن ساداتنا
العلماء الأعلام من أئمة الدين سلام عليهم لا نبتغي الجاهلين
وبعد فهذا بعون الله ما عنيت بجمعه في كتاب التاريخي
الذي سميته الاغتباط بتراجم أعلام الرباط
بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها
هذه البلاد التي أنجبت من الأئمة الأعلام والرجال العظام
ما ترك المتأخرين يرجعون بالملامة على المتقدمين في إهمالهم
وإغفالهم ذكر أحوالهم وما كانوا عليه من الآداب في أقوالهم
وأفعالهم مع أن معرفة تراجم العلماء العاملين والوقوف

على

الصفحة الأولى من نسخة "الاغتباط" المعتمدة أصلاً، والتي يُحفَظُ أصلُها في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1287د) وتقعُ في (236) لوحة من القطع المتوسط، وعدد مسطراتها (20) سطراً في الصفحة، بمتوسط (10) كلمة في السطر، وهي مكتوبة بخط مغربي مجوهر واضح وجميل أسود المداد، نُشِرَت مصورة سنة 1987م، بعناية الدكتور عبد الكريم كريم.



مقدمة الفتح

من تاريخ رباط الفتح

تأليف

محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي

المتوفى سنة 1345هـ

تحقيق

الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب

قِــفْ لِلــسَّلامِ عَلَــى أَبِــي جِنْــدَارِ مُهْــدِي الْكِتَــابِ ورَاقِــمِ الأَسْــطَارِ
يَمْــضِي ويَتْــرُكُ رَقْمَــهُ أَثَــراً وهَــلْ يَمْــضِي الَّــذِي هُــوَ تَــارِكُ الآثَــارِ
يَــا نَــاظِراً آثَــارَهُ اسْــتَغْفِرْ لَــهُ وإِلَيْــكَ هَــذَا الرَّسْــمَ كَالتِّــذْكَارِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، سبحانك اللهم أذكرك ذكراً، وباسمك أفتتح مشروعي هذا حامداً شاكراً على أن جعلت التاريخ لنا عبرة وذكرى، مهدياً صلاة الصلوات الموصولة بعوائد التحيات لمن قصصت عليه أحسن القصص في محكم الآيات، صلِّ اللهم عليه وعلى آله الحي منهم والميت، سلام عليكم أهل البيت، وبعدُ، فإليكم يا أبناء وطني الأعزاء أتقدم بهذا الجزء المؤلف، بل الروض المفوف، ثالث ثلاثة أجزاء ضمنتها تاريخ بلدتي عاصمة الرباط، (حيث القصبة والساباط) وهي أجزاء كتابي الموسوم بالاغتباط، فقد توَّجت هامته بتيجان فصول ووصول جعلتها مقدمته، ثم رأيت أنها لطولها وطَوْلها خرجت عن معنى المقدمة إلى معنى يجعلها مستقلة بذاتها وعلى غيرها متقدمة، الأمر الذي دعاني إلى إفرادها بالتخريج بهذا الجزء الذي تأرَّج مسك ختامه بطيب الأريج، وقد ترجمته بعدما أتممته: " مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ". فإليكموه يا أبناء جلدتي الأعزاء وسأوافيكم إن شاء الله ببقية الأجزاء، شاكراً (سلفاً) فضل من ينظر فيه بعين الإغضاء، ويتقبله مني بيد القبول والرضاء، وليعلم أنه جهد مريض، وقد قيل: حال المريض دون النثر والقريض، وكفى ما اعتذر الله به عني، وليس على المريض، ولست -حاشا الله- أزكِّي نفسي بادعاء الكمال في قلمي، مع معرفتي بأن النقص من شيمي هيهات هيهات، نفاق الترهات، لكني من باب التعريف والتشويق أقول في تعريف كتابي هذا وحده أنه نسيج وحده، والتحدث بالنعم مشروع، وهذا بعون الله أوان الشروع. [آخر3/ ب]

المقدمة

تشتمل هذه المقدمة على عدة فصول ووصول

الفصل الأول في مبادئ التاريخ (1)

أهمية التاريخ بين العلوم خطيرة شهيرة حتى عند العموم، فلا جدال إن قلنا إن للتاريخ من مزيد الأثرة والخصوصية ما هو جدير بالذكر، وإن كان ذكره من باب الحديث بمعلوم:

أَعِدْ ذِكْرَ نُعْمَانَ لَنَا إِنَّ ذِكْرَهُ ... هُوَ الْمِسْكُ مَا كَرَّرْتَهُ يَتَضَوَّعُ

كان التاريخ ولم يزل السبب الوحيد في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، والضامن الكفيل بتهذيب النفوس الفاعل بها فعل حميَّا الكئوس، فهو -ولا ريب- مرآة الأزمنة الماضية والحالية التي ينكشف بها ما خفي من أحوال القرون العامرة والخالية، به يعتبر المعتبرون، ويتعظُّ المتعظون وتستنير العقول وتثبت القلوب كما نطقت به آية: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، وآية ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: 111].

[وقال السخاوي(2) في «التبر المسبوك في ذيل السلوك»(3): "علم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي يعرف به المتهم والوضَّاع والثقة، وتحفظ به الأنساب المترتب عليها صلة الرحم والمتسبب عنها الميراث والكفاءة حسبما قُرر في محله، وكذا تعلم منه آجال الجنود واختلاف النقود والأوقاف التي ينشأ عنها الاستحقاق ما هو معهود، وينتفع به في الاطلاع

---

(1) في المطبوعة و(ع) نص مغاير؛ لما انفردت به النسخة (ح)، وقد استكملنا من المطبوعة و(ع) ما تم به النص وحذف بعض الفقرات المكررة حفاظاً على سياق المقدمة والعناوين التي بوب بها (الفصول والوصول) وهي الأضبط، خاصة أن المقدمة اشتملت على نقول بوجندارية من أعماله السابقة وأن تكون في الصورة المثلى كما أراد مصنفها رحمه الله.

(2) هو: أبو الخير، وأبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوي، الشافعي، شمس الدين، فقيه، مقرئ، محدث، مؤرخ، مشارك في الفرائض والحساب والتفسير وأصول الفقه، أصله من سخا من قرى مصر، ولد بالقاهرة وتوفي بالمدينة المنورة سنة 902 هـ له تصانيف كثيرة منها: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، و"المقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة"، و"البستان في مسألة الاختتان"، و"الأصل الأصيل في تحريم النظر في التوراة والإنجيل"، و"القناعة فيما تحسن إليه الحاجة من أشراط الساعة". انظر ترجمته في: الضوء اللامع، للسخاوي: 8/ 2، والكواكب السائرة، للغزي: 1/ 53.

(3) هو كتاب: "التبر المسبوك في ذيل السلوك" وهو ذيل على كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي. انظر: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لإدورد فنديك، ص:377، وإيضاح المكنون، للبغدادي: 3/ 221، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 432.

على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم في حربهم وسلمهم، وما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم بعد أن أبادهم الحدثان، ويعتبر بها فيه من المواعظ واللطائف المفيدة لترويح النفوس الطامعة مع ما يلتحق به من المسائل العلمية والمباحث النظرية والأشعار التي هي جل مواد العلوم الأدبية كاللغة والمعاني والعربية، ولهذا صرح غير واحد من أهل الإبانات بأنه من فروض الكفايات.

وقال العلامة اليوسي رَحِمَهُ اللَّهُ في «قانونه»: "كل ما يُحتاج إليه من التاريخ في شيء من أمور الشرع كتاريخ سكة معلومة أو مكيال معلوم أو مسجد عتيق أو التقاء فلان من الرواة بفلان، أو مكان التقائه أو كون فلان من المتقدمين أو المتأخرين أو من الصحابة أو غير ذلك - فهو داخل في العلوم الشرعية". اهـ][1].

وبما أن كتابنا هذا هو تاريخي قبل كل شيء، فاعلم أن التاريخ [4/ أ] هو ما أشار إليه شيخ شيوخنا أبو إسحاق التادلي[2] الرباطي بقوله - كما وجد بخطه -:

تَـارِيخُهُمْ عِلْـمُ الْمُلُـوكِ والـدُّوَلْ ... ومَـنْ تَـوَلَّى بِـالتَّوَالِي وانْعَـزَلْ
وَكُتْبُـهُ كَثِيـرَةٌ كَالْكَامِـلِ ... وكَـابْنِ خَلْـدُونَ الْـوَفْرِ الـشَّامِلِ

وهو معنى قولهم في تعريفه أنه معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وأنسابهم، ووفياتهم إلى غير ذلك، وموضوعه أحوال الأشخاص من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء، وغيرهم، والغرض منه الوقوف على الأحوال، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها، وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمان ليحترز عن أمثال ما نقل من المدار، ويستجلب نظائرها من المنابع[3].

وبالجملة فللتاريخ من الأهمية بين العلوم الشرعية والأدبية والعربية ما يقضي بأن يجعل

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) انظر ترجمته في الاغتباط ترجمة رقم (114).

(3) في (ح) زيادة عرف بها بعلم الأنساب - وهو أحد فروع علم التاريخ - من كشف الظنون: "وقولهم في تعريف التاريخ وأنسابهم: علم الأنساب علم يتعرف منه أنساب الناس، وقواعده الكلية والجزئية، والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في نسب شخص، وهو علم عظيم النفع جليل القدر أشار الكتاب العظيم في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: 13] إلى تفهمه. وحث الرسول الكريم في قوله: «تعلموا أنسابكم تصلوا أرحامكم» إلى تعلمه. والعرب قد اعتنت في ضبط نسبها إلى أن كَثُرَ أهل الإسلام، واختلطت أنسابهم بالأعجام، فتعذر ضبطه بالآباء فانتسب كل مجهول النسب إلى بلده أو حرفته، أو نوع ذلك، حتى غلب هذا النوع، وقد صنفوا فيه كتب كثيرة أفاده في كشف الظنون. انظر كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 178.

في مقدمتها اعتباراً وفي صدرها إكباراً.

ولذلك عُنيت به العرب قبل الإسلام وبعده، وخُص عند العجم بمزايا بين العلوم وحده، ولكنه بمعناه الخاص إنما كان موجوداً عند العرب على حالة تناسبهم، فإن تلك القصائد المعلقة وغيرها مما كان ينشد في سوق عكاظ هو تاريخ أيام العرب ومفاخرهم قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام وأوجد النظام في أحوال العرب كلها بلغ التاريخ عندهم شأوه الأعلى، فكان أول كتاب ظهر وفيه طرف من التاريخ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد شُحن من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بما أفحم به أكابر أهل الكتاب، ولا كان لهم في ظن ولا حساب، ولكنه إنما أتى على سرد الحوادث لا بقصد بيانها، بل بقصد استخراج العبرة منها؛ ولذلك تراه يسرد الحادثة الواحدة بألفاظ مختلفة كما فعل في قصة موسى عليه السلام حين تجلى عليه ربه، فقد وردت بألفاظ مختلفة وصور شتى على قدر ما فيها من وجوه العبر وضروب النظر.

وكان ﷺ كثيراً ما يحدث أصحابه بأخبار الأمم السابقة، ويحكي من ذلك لهم ما يشرح به صدورهم ويقوي إيمانهم.

وكتاب بدء الخلق من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى كفيل بهذا الشأن وفيه ما يغني عن إقامة الدليل والبرهان.

فلما انتقل ﷺ إلى جوار ربه أخذ المسلمون يتكلمون في السيرة النبوية، وما كان عليه ﷺ من الأخلاق المرضِيةِ فَبُدِئَ أولاً بتدوينها ويقال: إن أول من دونها عروة بن الزبير المتوفى سنة 93 هـ[1]، ثم نبغ بعده وهب بن منبه المتوفى سنة 116هـ وقيل 114 هـ[2]، فألف

---

(1) هو: أبو عبد الله، عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب القرشي، الإمام، عالم المدينة، أحد الفقهاء السبعة، حدث عن أبيه وعن أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وعن خالته أم المؤمنين عائشة، ولازمها وتفقه بها، وعن سعيد بن زيد، وعلي بن أبي طالب، وسهل بن أبي حثمة، وسفيان بن عبد الله الثقفي، وجابر. انظر ترجمته في: الطبقات، لابن سعد: 5/ 178، والزهد، لأحمد، ص: 371، والتاريخ، للبخاري: 7/ 31، وجمهرة نسب قريش، للزبير بن بكار، ص: 262، والمعارف، لابن قتيبة، ص: 222.

(2) هو: أبو عبد الله، وهب بن منبه بن ذي كبار الأبناوي، اليماني، الإمام، العلامة، القصصي أخذ عن ابن عباس، وابن عمر، وأبي سعيد الخدري وغيرهم، حدث عنه ولداه، وعمرو بن دينار وخلق سواهم، وروايته للمسند قليلة، وإنما غزارة علمه من صحائف أهل الكتاب. انظر ترجمته في: الطبقات، لابن سعد: 5/ 543، والزهد، لأحمد، ص: 371، والتاريخ، للبخاري: 8/ 164، والحلية، لأبي نعيم: 4/ 23، وطبقات الفقهاء للشيرازي، ص: 74.

تأليفاً في أخبار ملوك حمير وأشعارهم ذكر ابن خلكان أنه رآه[1]، ثم تلاهما محمد بن إسحاق المتوفى سنة 151هـ[2]، فوضع أيام الخليفة المنصور مؤلفاً في السيرة النبوية، ثم توالت بعد ذلك المؤلفات في الفتوحات والسير، ولما تغلغل المسلمون إلى بلاد آسيا وإفريقيا مالت نفوسهم لاستطلاع أخبارها بحكم الضرورة فنشأت التواريخ العامة فكان أولها تاريخ اليعقوبي في منتصف القرن الثالث[3]، ثم تلاه ابن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـ[4]، ثم وضعت بعد ذلك التواريخ الخاصة كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها، وابن الرفيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان، فانقسم التاريخ إلى قسمين عام وخاص، فالعام ما اشتمل على تاريخ العالم بأسره والخاص ما كان موضوعه أمة بذاتها، وقد يطلق العام والخاص على التواريخ باعتبارات أخر فيقال للتاريخ عام إذا كان موضوعه أمة برمتها وخاص إذا كان موضوعه فرداً منها، وقد يكون عاماً وخاصاً بالنسبة، فيقال: التاريخ العام للفرق الإسلامية؛ إذا كان المقصود دراستها جملة،

---

(1) قال ابن خلكان: "ورأيت له تصنيفاً ترجمه بذكر الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم، في مجلد واحد، وهو من الكتب المفيدة". انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: 6/ 35.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المطلبي، المديني، صاحب المغازي والسير، كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب القرشي، وقد كان ثبتاً في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته فيها، قال الزهري: من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق، وروي عن الشافعي ﷺ أنه قال: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق. انظر ترجمته في: الطبقات، لابن سعد: 7/ 321، والطبقات، لابن سلام، ص: 8 و11 و206 والمعارف، لابن قتيبة، ص:491، والفهرست، لابن النديم، ص: 92، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي: 1/ 214، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 4/ 276.

(3) يعتبر تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، الكاتب، المعروف باليعقوبي المتوفى سنة 292هـ - أول عمل ضخم يتناول في موضوعه تاريخ الإسلام، ولم يحفل به القدماء فلم يذكر عندهم إلا قليلا، وله نسخة خطية وحيدة فرغ من كتابتها سنة 1096هـ، وقد طبع لأول مرة في ليدن سنة 1860م بعناية المستشرق هوتسما، وينقسم الكتاب إلى قسمين تناول في الأول تاريخ العالم منذ بدء الخليقة، والثاني خاص بالتاريخ الإسلامي حتى سنة 259 هـ ويشتمل على نقول مختلفة من الأناجيل وكتب الطب والفلك وغيرها. انظر: معجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1901، واليعقوبي عصره سيرة حياته منهجه التاريخي، للدكتور حسين عاصي، وعلم التاريخ عند المسلمين، لروزنثال، ص: 183.

(4) هو: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام، عالم عصره، صاحب التصانيف البديعة، كالتفسير والتاريخ، وتهذيب الآثار، توفي سنة 310 هـ. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، لابن خلكان: 4/ 191، وسير أعلام النبلاء: 14/ 267، والوافي بالوفيات، للصفدي: 2/ 212.

وإنما هو عام بالنسبة لتاريخ فرقة واحدة أو فرق مخصوصة منها وحينئذٍ فكتابنا هذا عام وخاص باعتبارين وخلاف العبارات باختلاف الاعتبارات.

وقد سمى في كشف الظنون من النوعين معاً ألفاً وثلاثمائة وهي بعض البعض من تواريخ أهل الإسلام[1]، ومما هو جدير بالتنبيه والتنويه ما جاء في كنز العلومَ واللغة[2] من أن المسلمين أول الأمم تأليفاً للتراجم وعنهم أخذ الأوروبيون هذا النوع من التصنيف فاعرفه، والله أعلم) اهـ. من كتابنا "أزهار الخمائل"[3].

وصل في فضل التاريخ

لا يكاد يخفى على عاقل لبيب ما للتاريخ من مزيد الخصوصية بين العلوم على العموم، وأنه السبب الوحيد في التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل، والضامن الكفيل بتهذيب النفوس، الفاعل بها فعل حميًّا الكئوس، فهو ولا ريب مرآة الأزمنة الماضية والحالية التي ينكشف بها ما خفي من أحوال القرون [4/ ب] العامرة والخالية، به يعتبر المعتبرون ويتعظ المتعظون وتستنير العقول، وتثبت القلوب كما نطقت به آية: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]، وآية ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [يوسف: 111].

وقال الإمام علي لابنه الحسن رضي الله عنهما: "يا بني إني وإن لم أكن عُمِّرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليَّ من أمورهم قد عُمِّرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيله، وتوخيت لك جميله، وصرفت عنك

---

(1) يريد أن صاحب كشف الظنون قد ذكر أكثر من 1300 مصنف في التاريخ، قال: وأما الكتب المصنفة في التاريخ فقد استقصيناها إلى ألف وثلاثمائة فنذكر هاهنا على الترتيب المعهود.. ". انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 271.

(2) كنز العلوم واللغة - هو دائرة معارف تحتوي على فصيح اللغة العربية وخلاصات العلوم النقلية والعقلية ومختصر تراجم بعض المشاهير، وغير ذلك، كتبها محمد فريد وجدي، المتوفى سنة 1954 م، وفي آخرها ملحق ذكر فيه ما فاته من الألفاظ. انظر: معجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1458.

(3) هو كتاب: أزهار الخمائل المسكية بأخبار الشمائل المكية، للمصنف ألفه في فضائل شيخه أبي حامد البطاوري.

مجهوله". اهـ[1].

وفي الكامل: إن من تفكر في التاريخ ورأى تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها إلى أعيانها، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم، فلم تبقِ على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غني ولا فقير، زهد فيها وأعرض عنها وأقبل على التزود للآخرة منها، ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص، وسلم أهلها من هذه النقائص، ولعل قائلاً يقول: ما نرى ناظراً في التاريخ زهد في الدنيا، وأقبل على الآخرة، ورغب في درجاتها العليا، فيا ليت شعري كم رأى هذا القائل قارئاً للقرآن العزيز وهو سيد المواعظ وأفصح الكلام يطلب به اليسير من هذا الحطام، فإن القلوب مولعة بحب العاجل.اهـ[2].

قال الحافظ أبو شامة[3] نقلاً عن أبي مصعب الزبيري[4]: ما رأيت أحداً أعلم بأيام الناس من الشافعي، ويروى عنه أنه أقام على تعلم أيام الناس والأدب عشرين سنة، وقال: ما أردت بذلك إلا الاستعانة على الفقه. اهـ[5].

---

(1) هي جزء من وصية قالها لابنه. انظر: كنز العمال، المتقي الهندي: 16/ 169.

(2) ذكر ابن الأثير في معرض كلامه عن الفوائد الأخروية لعلم التاريخ قال: فمنها أن العاقل اللبيب إذا تفكّر فيها، ورأى تقلُّب الدنيا بأهلها، وتتابع...إلخ. انظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير: 1/ 10.

(3) هو: أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، الدمشقي، المعروف بأبي شامة، لقب بذلك لشامة كبيرة في وجهه، مؤرخ، محدث، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، وبها توفي سنة 665 هـ من مصنفاته "الروضتين في أخبار الدولتين" و"مختصر تاريخ ابن عساكر" في خمس مجلدات، وكتابان في تاريخ دمشق أحدهما في خمسة عشر جزءاً والثاني في خمسة أجزاء، وغير ذلك من المصنفات، وكلها قد وقفه للخزانة العادلية بدمشق، وقد أصابها حريق التهم أكثرها. انظر ترجمته في: البداية والنهاية، لابن كثير: 13/ 250، وغاية النهاية، للجزري: 1/ 365، وطبقات الشافعية، للسبكي: 5/ 61، وفوات الوفيات، لابن شاكر: 1/ 252، وبغية الوعاة، للسيوطي، ص: 297.

(4) كذا في النسخ (أبي مصعب) ولعله سبق قلم وإنما هو: أبو عبد الله، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير القرشي، علامة بالأنساب، غزير المعرفة بالتاريخ، كان أوجه قريش مروءة وعلماً وشرفاً، سكن بغداد، وبها توفي سنة 236 هـ له كتاب "نسب قريش" و"النسب الكبير". انظر ترجمته في: الطبقات، لابن سعد: 7/ 344، ونسب قريش "المقدمة"، والتاريخ الكبير، للبخاري: 7/ 354، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: 8/ 309، والفهرست، لابن النديم، ص: 123، وتاريخ بغداد، للخطيب: 13/ 112.

(5) انظر: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، لأبي شامة، ص:3، ومناقب الإمام الشافعي، للبيهقي، ص: 488.

نقله البدر القرافي[1] في "التوشيح"[2] عن السيوطي في أول كتابه "أعيان الأعيان"[3].

قال في "الاستقصا"[4] بعد الإشارة إليه: "ومعنى كلام الشافعي هذا أن علم التاريخ لما كان مُطْلِعاً على أحوال الأمم والأجيال، ومفصحاً عن عوائد الملوك والأقيال، [5/ أ] ومبيناً من أعراف الناس وأزيائهم ونحلهم وأديانهم ما فيه عبرة لمن اعتبر، وحكمة بالغة لمن تدبر وافتكر، كان معيناً على الفقه ولا بد، وذلك أن جل الأحكام الشرعية مبني على العرف، وما كان مبنياً على العرف لا بد أن يطرد باطراده وينعكس بانعكاسه، ولهذا ترى فتاوى الفقهاء تختلف باختلاف الأعصار والأقطار، بل والأشخاص والأحوال، وهذا السبب بعينه هو السر في اختلاف شرائع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتباينها حتى جاء موسى بشرع وعيسى بآخر، ومحمد بسوى ذلك صلى الله على جميعهم وسلم". اهـ[5].

وبالجملة ففي التاريخ من الفوائد الدنيوية والمنافع الأخروية ما يقضي عليه بأن يجعل في مقدمة العلوم اعتباراً، وفي صدرها إكباراً، ولله در ابن الخطيب إذ يقول[6]:

---

(1) هو: أبو الأشراف، محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يونس القرافي، المصري، القاضي، بدر الدين، المتوفى سنة 1008هـ قال التنبكتي: أحد شيوخ العصر، كان مشارًا إليه بالعلم والصلاح موسعًا عليه في دنياه، أخذ عن الشيخين التاجوري، والأجهوري، والزين الجيزي، تولى قضاء المالكية بمصر وكان، على ما قيل، أمثل قضاته، شرح مختصر الشيخ خليل بشرح عظيم في أسفار سماه "عطاء الله الجليل الجامع لما عليه من شرح جيل" وله حاشية على القاموس سماه "القول المأنوس"اهـ باختصار، وله تعليق على أوائل ابن الحاجب، وشرح على الموطأ، وذيل على الديباج لابن فرحون فيه ثلاثمائة ترجمة وهو المسمى "توشيح الديباج وحلية الابتهاج" وغير ذلك. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 298، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 288، وخلاصة الأثر، للمحبي: 4/ 258، والفكر السامي، للحجوي: 4/ 106، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 1502، والأعلام، للزركلي: 8/ 12.

(2) توشيح الديباج، للقرافي، ص: 17.

(3) نظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي، ص:2.

(4) هو كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس أحمد بن خالد، الناصري، المتوفى سنة 1315هـ تناول فيه تاريخ المغرب من لدن الفتح الإسلامي حتى دولة السلطان عبد العزيز، ترجمت منه بعض أجزاء للفرنسية، وقد طبع في حياته بمصر سنة 1312هـ في أربعة أجزاء بالمطبعة البهية المصرية، ثم أعيد طبعه بتحقيق نجليه جعفر ومحمد بدار الكتاب بالدار البيضاء 1954م في تسعة أجزاء، انظر: مقدمة الكتاب بتحقيق ولديه المذكورين: 1/ 5 وما بعدها، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 130، والأعلام للزركلي: 1/ 120.

(5) انظر: الاستقصا، للناصري: 1/ 60.

(6) هي منظومة "رقم الحلل في نظم الدول" لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الغرناطي، لسان الدين، الوزير المعروف بابن الخطيب أديب، ناثر، شاعر، مؤرخ، مشارك في الطب وغيره، وفي الدرر الكامنة: كان سلفه قديماً

وَ بَعْــــدُ فَالتَّـــــارِيخُ والأَخْبَـــــارُ فِيهَـــا لِـــنَفْسِ الْعَاقِـــلِ اعْتِبَـــارُ
وَ فِيـــهِ لِلْمُسْتَبْـــصِرِ اسْتِبْـــصَارُ كَيْـفَ أَتَـى الْقَـوْمُ وكَيْـفَ صَـارُوا
يُجْرِي عَلَـى الْحَاضِـرِ حُكْمَ الْغَائِـبِ ويُثْبِـــتُ الْحَـــقَّ بِـــسَهْمٍ صَـــائِبِ
وَ يَنْظُـــرُ الـــدُّنْيَا بِعَـــيْنِ النُّبْـــلِ ويَتْـــرُكُ الْجَهْـــلَ لِأَهْـــلِ الْجَهْـــلِ

وقال الآخر(1):

إِذَا عَـرَفَ الإِنْـسَانُ أَخْبَـارَ مَـنْ مَـضَى تَوَهَّمْتَـهُ قَـدْ عَـاشَ مِـنْ أَوَّلِ الـدَّهْرِ
وَ تَحْـسَبُهُ قَـدْ عَـاشَ آخِـرَ دَهْـرِهِ إِلَـى الْحَـشْرِ إِنْ أَبْقَـوا الْجَمِيـلَ مِـنَ
فَكُنْ عَالِماً أَخْبَارَ مَنْ عَاشَ وانْقَضَى وكُـنْ ذَا نَـوَالٍ واغْتَـنِمْ آخِـرَ الْعُمْـرِ

هـ. من كتابنا «القسطاس في تلخيص وتذييل القرطاس»(2).

وصل ثانٍ في تاريخ علم التاريخ

التاريخ بمعناه الخاص كان موجوداً عند العرب على حالة تناسبهم، فإن تلك القصائد المعلقة وغيرها مما كان ينشد في سوق عكاظ هو تاريخ أيام [5/ ب] العرب ومفاخرهم قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام وأوجد النظام في أحوال العرب كلها بلغ التاريخ عندهم شأوه الأعلى، فكان أول كتاب ظهر وفيه طرف من التاريخ القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد شُحن من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية بما أفحم به أكابر أهل الكتاب، ولا كان لهم في ظن ولا حساب، ولكنه إنما أتى على سرد الحوادث لا بقصد بيانها، بل بقصد استخراج العبرة منها؛ ولذلك تراه يسرد الحادثة الواحدة بألفاظ مختلفة كما فعل في قصة موسى عليه السلام حين تجلى عليه ربه، فقد وردت بألفاظ مختلفة وصور شتى على قدر ما فيها من وجوه العبر، وضروب النظر، وكان ﷺ كثيراً ما يحدث أصحابه بأخبار =

يعرفون ببني وزير، ثم صاروا يعرفون ببني الخطيب نسبة إلى سعيد جده الأعلى، توفي سنة 776 هـ. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة، لابن حجر: 5/ 213، ونفح الطيب، للمقَّري: 5/ 9، والبدر الطالع، للشوكاني: 2/ 191، وهدية العارفين، للبغدادي: 6/ 167.

(1) هو: أبو بكر، أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني، ناصح الدين، القاضي، الشاعر، ولي القضاء بتستر وعسكر مكرم، توفي بتستر سنة 544 هـ. انظر ترجمته في: المنتظم، لابن الجوزي: 10/ 139، ومعجم البلدان، لياقوت: 1/ 144، والكامل، لابن الأثير: 11/ 147، ووفيات الأعيان: 1/ 151.

(2) لم أقف على هذا الاختصار المشار إليه ولم أجد من ذكره.

الأمم السالفة، ويحكي من ذلك لهم ما يشرح به صدورهم ويقوي إيمانهم، وكتاب بدء الخلق من صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى كفيل بهذا الشأن، وفيه ما يغني عن إقامة الدليل والبرهان، فلما انتقل ﷺ إلى جوار ربه أخذ المسلمون يتكلمون في السيرة النبوية، وما كان عليه ﷺ من الأخلاق المَرْضِيَةِ فَبُدِئَ أولاً بتدوينها ويقال: إن أول من دونها عروة بن الزبير المتوفى سنة 93 ثلاث وتسعين[1]، ثم نبغ بعده وهب بن منبه سنة 116 وقيل 114[2]، فألف تأليفاً في أخبار ملوك حمير وأشعارهم ذكر ابن خلكان أنه رآه[3]، ثم تلاهما محمد بن إسحاق المتوفى سنة 151[4]، فوضع أيام الخليفة المنصور مؤلفاً في السيرة النبوية[5]، ثم توالت بعد ذلك المؤلفات في الفتوحات والسير، ولما تغلغل المسلمون إلى بلاد آسيا وإفريقيا مالت نفوسهم لاستطلاع أخبارها بحكم الضرورة فنشأت التواريخ العامة، فكان أولها تاريخ اليعقوبي في منتصف القرن الثالث[6]، ثم

---

(1) هو: أبو عبد الله، عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي، المدني، ثقة فقيه مشهور ة، روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة بنت أبي بكر، مات سنة أربع وتسعين على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عثمان. انظر ترجمته في: التاريخ الكبير للبخاري 7/ 31، والبداية والنهاية لابن كثير 9/ 101 تهذيب التهذيب لابن حجر 7/ 163.

(2) هو: وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، الإمام العلامة الأخباري القصصي، اليماني، الذماري، الصنعاني، أبو عبد الله الأبناوي. انظر ترجمته في: تقريب التهذيب لابن حجر 1/ 585، والتاريخ الكبير، للبخاري: 8/ 164، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 4/ 544، ووفيات الأعيان لابن خلكان: 6/ 35.

(3) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: 6/ 35.

(4) هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل: ابن كوثان العلامة الحافظ الأخباري، أبو بكر، وقيل أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم المدني صاحب السيرة النبوية، مات ببغداد سنة إحدى وخمسين ومائة. انظر ترجمته في: الثقات لابن حبان 7/ 380، وسير أعلام النبلاء للذهبي 7/ 33، وتقريب التهذيب، لابن حجر: 1/ 467.

(5) سيرة ابن إسحاق: أصل ما كتب حول السيرة النبوية الشريفة. وقد وصلتنا عن طريق تهذيب ابن هشام لها برواية البكائي: (زياد بن عبد الله المتوفى سنة 183هـ). وكان ابن إسحق (ت 151هـ) قد جمعها بأمر الخليفة المنصور ليقرأها ولده المهدي، فذكر فيها أخبار الخليقة منذ آدم عليه السلام حتى وفاة النبي ﷺ، وسماها (كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي). طبعت الأجزاء المتبقية منها لأول مرة بتحقيق وتعليق محمد حميد الله. ثم بتحقيق الدكتور سهيل زكار، والأجزاء المتبقية تبدأ برحلة أبي طالب إلى الشام واصطحابه للرسول، وهو بداية الجزء الثاني، وتنتهي المخطوطة بالجزء الخامس، الذي يبدأ بوفاة خديجة رضي الله عنها ويبلغ عدد صفحات الأجزاء الأربعة (167) صفحة. ويقع كل جزء في حدود (40) صفحة. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1012 أبجد العلوم 2/ 331.

(6) يعتبر تاريخ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، الكاتب، المعروف باليعقوبي المتوفى سنة 292هـ - أول عمل ضخم يتناول في موضوعه تاريخ الإسلام، ولم يحفل به القدماء فلم يذكر عندهم إلا قليلا، وله نسخة خطية وحيدة فرغ من كتابتها سنة (1096هـ). وقد طبع لأول مرة في ليدن سنة 1860م بعناية المستشرق هوتسما. وينقسم الكتاب إلى قسمين، تناول في الأول تاريخ العالم منذ بدء الخليقة، والثاني خاص بالتاريخ الإسلامي حتى سنة 259 هـ ويشتمل على

تلاه ابن جرير الطبري المتوفى سنة 310[1]، ثم وضعت [6/ أ] بعدَ ذلك التواريخ الخاصة كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها[2]، وابن الرقيق[3] مؤرخ إفريقية[4] والدول التي كانت بالقيروان[5]، فانقسم التاريخ إلى قسمين عام وخاص، فالعام ما اشتمل على تاريخ العالم بأسره والخاص ما كان موضوعه أمة بذاتها، وقد يطلق العام والخاص على التواريخ باعتبارات أخر فيقال للتاريخ عام إذا كان موضوعه أمة برمتها وخاص إذا كان موضوعه فرداً منها، وقد يكون عامّاً وخاصّاً بالنسبة، فيقال: التاريخ العام للفرق الإسلامية؛ إذا كان المقصود دراستها جملة، وإنما هو عام بالنسبة لتاريخ فرقة واحدة أو فرق مخصوصة منها، وحينئذٍ فكتابنا هذا عام وخاص باعتبارين. انتهى من كتابنا القسطاس.

نقول مختلفة من الأناجيل وكتب الطب والفلك وغيرها. انظر: معجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1901، واليعقوبي عصره سيرة حياته منهجه التاريخي، للدكتور حسين عاصي، وعلم التاريخ عند المسلمين، لروزنثال، ص: 183.

(1) هو: أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام عالم عصره، صاحب التصانيف البديعة، كالتفسير والتاريخ، وتهذيب الآثار، توفي سنة 310 هـ. انظر ترجمة في: وفيات الأعيان، لابن خلكان: 4/ 191، وسير أعلام النبلاء: 14/ 267، والوافي بالوفيات، للصفدي: 2/ 212.

(2) هو: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، الجياني، الأندلسي، أثير الدين، أديب، نحوي، لغوي، مفسر، محدث، مقرئ، مؤرخ، توفي بمصر سنة 745هـ. انظر ترجمته في: الأعلام، للزركلي: 7/ 152، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 12/ 130.

(3) هو: أبو إسحاق، إبراهيم بن القاسم القيرواني، المعروف بالرقيق أو ابن الرقيق، مؤرخ أديب، كان يلي كتابة الحضرة في الدولةِ الصنهاجية، واستمر فيها زهاء نصف قرن، ورحل إلى مصر سنة 388هـ يحمل هدية من باديس بن زيري إلى الحاكم، وعاد إلى وطنه فتوفي فيه على الأرجح.
نقل عنه ابن خلدون وعده مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان ومن أتى بعده ليس إلا مقلد، ونعته ياقوت في معجم الادباء بالكاتب وأورد أسماء كتبه، ومنها "تاريخ إفريقية والمغرب" في تونس، و"كتاب النساء" و"نظم السلوك في مسامرة الملوك". انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات، للصفدي: 6/ 61، ومقدمة ابن خلدون: 1/ 14، وايضاح المكنون، للبغدادي: 2/ 659.

(4) إفريقية: بكسر الهمزة، وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس والجزيرتان في شماليها فصقلية منحرفة إلى الشرق والأندلس منحرفة عنها إلى جهة المغرب، وسميت إفريقية بإفريقيش بن أبرهة بن الرائش، وقال أبو المنذر هشام بن محمد: هو إفرِيقيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو الذي اختطها. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي: 1/ 228.

(5) القيروان: معرب وهو بالفارسية كاروان، وقد تكلمت به العرب قديماً قال امرؤ القيس: «وغارة ذات قيروان كأن أسرابها الرعال»، والقيروان مدينة عظيمة بإفريقية مصرت في في أيام معاوية بن أبي سفيان على يد عقبة بن نافع في سنة 55 للهجرة. انظر معجم البلدان لياقوت الحموي 4/ 420.

وصل ثالث في فوائد تراجم العلماء

جاء في كتاب "اليواقيت الثمينة"[1] ما نصه: قال العلامة الشيخ عبد القادر التميمي[2] في "الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية"[3]: اعلم أن في تراجم العلماء فوائد نفيسة ومهمات جليلة منها معرفة مناقبهم وأحوالهم فيُتأدّب بآدابهم ويُقتبس من محاسن آثارهم، ومنها معرفة مراتبهم وأعصارهم فيُنزلون منازلهم، ولا يقصر بالعالي في الجلالة عن درجته، ولا يرفع غيره عن مرتبته، وقد قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]. وثبت في صحيح مسلم: «لِيَلِيني منكم أولو الأحلام والنهى»[4]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنزل الناس منازلهم[5]. قال الحاكم أبو عبدالله: هو حديث صحيح[6].

(1) هو كتاب: "اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة"، وهو مؤلف في تراجم متأخري المالكية، لأبي عبد الله، محمد بن البشير بن ظافر، المدني، الأزهري المتوفى بعد سنة 1329هـ مات مؤلفه قبل أن يتمه، وأثنى عليه مخلوف في شجرته واعتمد عليه في بعض تراجمه، وطبع الجزء الأول منه في حياته بالقاهرة سنة 1324 هـ. انظر: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 413، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1255.

(2) هو عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفا القرشي، الحنفي، محي الدين سمع من خلائق ولازم الاشتغال فبرع في الفقه ودرس وأفاد وصنف وشرح الهداية سماه "العناية" وشرح معاني الآثار للطحاوي، وعمل الوفيات من سنة مولده إلى سنة ستين، وصنف "الجواهر المضية في طبقات الحنفية" وغير ذلك وتوفي سنة 775 هـ. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة، لابن حجر: 3/ 191، وطبقات المفسرين، للأدنروي، ص:340، وشذرات الذهب، لابن العماد: 3/ 238.

(3) هو كتاب "الجواهر المضية في تراجم السادة الحنفية"، لابن أبي الوفا القرشي، المتوفى سنة 775هـ جمع فيه طبقات الحنفية بإعانة شيوخه فصار كتاباً كبيراً جامعاً لكثير من التراجم والفوائد الفقهية. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 616، والرسالة المستطرفة، للكتاني، ص:186.

(4) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها، 1/ 323 برقم (432)، وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الصلاة، باب: لِيَلِيني منكم أولو الأحلام والنهى، حديث 228، 1/ 440، والنسائي في سننه الكبرى كتاب الإمامة، باب: من يلي الإمام ثم الذي يليه، حديث 881، 1/ 286.

(5) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه 1/ 6، والبيهقي في شعب الإيمان حديث 10999، 7/ 462، وابن أبي عاصم في الزهد حديث 90، 1/ 50. وقال أبو عبد الله الحاكم في كتابه "معرفة علوم الحديث": فقد صحت الرواية عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أمرنا رسول الله... الحديث. 1/ 48، وضعفه الألباني في تعليقاته على أحاديث رياض الصالحين حديث 360، 1/ 184.

(6) انظر: معرفة علوم الحديث، للحاكم، ص: 49، ونص عبارة الحاكم:" صحت الرواية عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أمرنا... " الحديث.

ومنها أنهم أئمتنا وأسلافنا كالوالدين لنا وأجدى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار قرارنا، وأنصح [6/ ب] لنا فيما هو أعود علينا فيقبُح علينا أن نجهلهم وأن نهمل معرفتهم، ومنها أن يكون الترجيح بقول أعلمهم وأورعهم إذا تعارضت أقوالهم. ومنها بيان مصنفاتهم وحالها من الجلالة(1).

وقال السخاوي في "التبر المسبوك في ذيل السلوك": "علم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي يعرف به المتهم والوضّاع والثقة، وتُحفظ به الأنساب المترتب عليها صلة الرحم والمتسبب عنها الميراث، والكفاءة حيثما قُرر في محله، وكذا تُعلم منه آجال الجنود واختلاف النقود والأوقاف التي ينشأ عنها الاستحقاق ما هو معهود، وينتفع به في الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم في حربهم وسلمهم، وما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم بعد أن أبادهم الحدثان، ويعتبر بما فيه من المواعظ واللطائف المفيدة لترويح النفوس الطامعة، مع ما يلتحق به من المسائل العلمية والمباحث النظرية والأشعار التي هي جل مواد العلوم الأدبية كاللغة والمعاني والعربية، ولهذا صرح غير واحد من أهل الإبانات بأنه من فروض الكفايات".

وقال في " سلوة الأنفاس " ما نصه: وفي "صدر المدارك" لعياض(2) نقلاً عن أبي حنيفة الإمام رحمه الله قال: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم "(3).

---

(1) انظر: الجواهر المضية، لابن أبي الوفا القرشي: 1/ 10و11.

(2) هو كتاب: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، أول كتاب استوعب تراجم أعلام مذهب مالك وقصة انتشار مذهبه في البلدان، قد بناه على خمسة أسفار، ومات من غير أن يبيضه، وهو من الكتب التي اتفقت المصادر على أنه لم يسمعه في حياته لأحد من الناس، وبقي في مسودته إلى أن تداولته أيدي النساخ، فأخرجوه من المسودة باجتهادهم، وكان ذلك سبب ما لحق نسخه من الاختلاف. لما هو معروف من رداءة خط القاضي، تقع مطبوعته المحققة في ثمانية مجلدات، صدر الجزء الأول منه سنة 1965 بتحقيق ابن تاويت الطنجي، معتمداً ست نسخ للكتاب، وصدرت الأجزاء (2، 3، 4) ما بين 1966 و1970 بتحقيق عبد القادر الصحراوي، والجزء (5) بتحقيق د. محمد بن شريفة و(6، 7، 8) بتحقيق سعيد أحمد أعراب ما بين 1981 و1983م، وقد اختصره ابن حمادو السبتي وهو من تلامذة القاضي عياض، ولدينا من المختصر نسخة أصلية خطية، قد كنا شرعنا في تحقيقها، يسر الله طباعتها. انظر: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، والتعريف بالقاضي عياض، لمحمد بن عياض، بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة.

(3) انظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد ربه: 1/ 127. ترتيب المدارك، لعياض: 1/ 23.

ونقله أيضاً المواق[1] في أول "سنن المهتدين"[2]، والمقري[3] في أول كتابه «أزهار الرياض»[4].

وقال الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله: "وإذا تعذرت رؤيتهم ومصاحبتهم فلا شيء أنفع للقلوب والنفس من سماع أحوالهم، ومطالعة أخبارهم وما كانوا عليه من الجهد الجهيد في العبادة"[5].

وقال الشيخ ميارة في "الدر الثمين والمورد المعين"[6] ما نصه: "ويقتصر المؤرخ على الأوصاف الظاهرة الصادقة؛ كإتقان العلوم والفهم الثاقب، والإدراك والذكاء [7/أ] والحفظ، وقوة العقل، والنباهة والإصابة، وعدم الخطأ والفصاحة والنجابة، والتدريس والفراسة، واستحضار الجواب، والنقل الصائب، والإنصاف وعدم الميل للهوى، وإفادة

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري، الغرناطي، المتوفى سنة 897هـ فقيه غرناطة وإمامها في وقته، من مصنفاته "التاج والإكليل في شرح مختصر خليل" و"سنن المهتدين في مقامات الدين". انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي، 2/ 248، وشجرة النور، لمخلوف، ص:262، والضوء اللامع: 10/ 98.

(2) هو كتاب: سنن المهتدين في مقامات الدين، للمواق المترجم آنفا طبع في فاس سنة 1314 هـ انظر: معجم المطبوعات، لسركيس:2/ 1815.

(3) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري، التلمساني، المتوفى سنة 1041هـ مؤرخ أديب حافظ، ولد ونشأ في تلمسان، وانتقل إلى فاس، فكان خطيبها والقاضي بها، ثم انتقل إلى القاهرة وبها توفي ودفن في مقبرة المجاورين، وقيل: توفي بالشام مسموماً، والمقري نسبة إلى مقَّرة (بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة) من قرى تلمسان. انظر ترجمته في: خلاصة الأثر، للمحبي: 1/ 302، واليواقيت الثمينة، للأزهري: 1/ 29، وسلافة العصر، لابن معصوم، ص: 589، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 13.

(4) هو كتاب: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض يقع في خمسة مجلدات، محورها أخبار القاضي عياض، ويحتوي على ألوان من المعارف التاريخية والأدبية واللغوية، جمعه وهو في فاس سنة 1013هـ تلبية لرغبة أهالي تلمسان في التعريف بالقاضي عياض، عالم المغرب الأقصى وقاضيه الأشهر، طبع الجزء الأول منه لأول مرة في تونس سنة 1322هـ ثم طبعت الأجزاء الثلاثة الأولى بعد ذلك في القاهرة، ثم أعيدت طباعته كاملاً سنة 1978م بتعاون مشترك بين المملكة المغربية، ودولة الإمارات. انظر: مقدمة أزهار الرياض، بطعته المذكورة آخراً.

(5) انظر: الإحياء، للغزالي: كتاب المراقبة والمحاسبة: 4/ 408.

(6) هو كتاب: "الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" شرح فيه أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد، الفاسي، الفقيه المالكي، الشهير بميارة، المتوفى سنة 1072هـ كتاب أبي محمد عبد الواحد بن عاشر الفاسي، المتوفى سنة 1040هـ ومن مصنفاته أيضاً: "الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام" لابن عاصم، وغيرها، ولدينا من جميع مؤلفاته نسخ خطية والحمد لله. انظر ترجمته في: شجرة النور الزكية، لمخلوف، ص: 309، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 178، وهداية العارفين، للبغدادي: 1/ 603، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة: ص 111، 128، 407.

الطالب، والحرص على ذلك. ويعتبر هذا كله وما أشبهه مما يوصف به إما بالممارسة أو بالنقل الصحيح، وقد علمت أنهم نصوا على أن التزكية بعدما يسافر معه "[1].

ونقل الشيخ الإمام الكمال الدميري[2] - والعهدة عليه - أن الإمام أبا يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة رحمه الله كان يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، فمضى يوماً يسمع المغازي وأخلَّ بمجلس أبي حنيفة أياماً، فلما أتاه قال: يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت؟ فقال أبو يوسف: إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك على رءوس الناس: أيُّما كان أول وقعة بدر أو أحد؟ فإنك لا تدري ذلك؟ وهي أهون مسائل التاريخ. فأمسك عنه[3]. انتهى من كتاب «اليواقيت».

وصل رابع

قال العلامة اليوسي رحمه الله في «قانونه»[4]: "كل ما يُحتاج إليه من التاريخ في شيء من أمور الشرع كتاريخ سكة معلومة أو مكيال معلوم أو مسجد عتيق أو التقاء فلان من الرواة بفلان، أو مكان التقائه أو كون فلان من المتقدمين أو المتأخرين أو من الصحابة أو غير ذلك - فهو داخل في العلوم الشرعية". اهـ.

قلت: والعلوم الشرعية قد جعلوها اثني عشر نظمها الشيخ أبو بكر بن يوسف

---

(1) انظر: الدر الثمين، لميارة، ص: 340.

(2) هو: أبو البقاء، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، القاهري، كمال الدين الشافعي، مفسر، محدث، فقيه، أصولي، درس في الأزهر وبمكة، أخذ عن بهاء الدين السبكي، وجمال الدين الإسناوي، وكمال الدين النويري، وغيرهم، وتوفي بالقاهرة في سنة 808 هـ، من تصانيفه: حياة الحيوان الكبرى، والنجم الوهاج في شرح المنهاج. انظر ترجمته في: الضوء اللامع، للسخاوي: 10/ 59، 62، وحسن المحاضرة، للسيوطي: 1/ 249، شذرات الذهب، لابن العماد: 7/ 79، والبدر الطالع، للشوكاني: 2/ 272، وهدية العارفين، للبغدادي: 2/ 178.

(3) ذكر القصة المعافى بن زكريا في كتابه الجليس الصالح والأنيس الناصح المجلس الثالث والخمسين ونقلها عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان: 6/ 382.

(4) هو: أبو علي، الحسن بن مسعود، اليوسي ـ نسبة إلى قبيلة أيت يوسي، أي اليوسفي نسبة للجد الأعلى المسمى يوسف ـ عالم مشارك متضلع، مجاهد مصلح، اعتبره كثير من مترجميه مجدد المئة الحادية عشرة، لما له من آراء ومواقف في الصدع بالحق، والجرأة في إبداء النصح، له من التصانيف: "المحاضرات"، و"منح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب"، و"قانون أحكام العلم" وهو المشار إليه بالنص المعروف بقانون اليوسي وقد طبع على الحجر بفاس عام 1301هـ و"زهر الأكم في الأمثال والحكم، توفي رحمه الله سنة 1102هـ. انظر ترجمته في: فهرسته نسخة خطية بحوزتنا، وأخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1234 ك)، ونشر المثاني، للقادري: 3/ 25، والتقاط الدرر، للقادري أيضاً، ص: 258، والإعلام، للسملالي: 3/ 154.

السجتاني المراكشي[1] فقال:

تَفَقَّـهْ بِتَفْسِيرِ الْحَدِيثِ مُؤَرِّخاً بِوَقْتِ بَيَانٍ...... أَصْلَ الْمَحَجَّةِ
وَ لاَ تُغْفِلَنْ نَحْواً بِضَنِّ لُغَاتِهِ تَصوب مسر من علوم الشريعة
تَنَلْ بِهِ مَرْقًى مِنْ مَرَاقِي أَفَاضِلٍ وتَحْظَ بِنَيْلِ الْمَجْدِ أَبْلَغَ مُنْيَةِ

[7/ ب] قال: وقولي أصل المحجة يتناول الأصلين أصول الفقه وأصول الدين. اهـ.

وأراد ما تعلق بالدين مقصداً أو وسيلة، وقد أغفل السيرة وهي من هذا القبيل إن لم يدرجها في التاريخ أو في الحديث وأغفل الحساب، وهو محتاج إليه، والخطب سهل. فإن قلت: المشهور أن التاريخ من علوم الأدب الاثني عشر كما أشار إليها الشيخ الأمير:

لُغَاتُ الْمَعَانِي نَحْوٌ صَرْفٌ اشْتِقَاقُهُمْ بَيَانُ قَوَافٍ قُلْ عَرُوضاً قَرْضُهُمْ
وَ إِنْشَا تَارِيخٌ وخَطٌّ وأَسْقَطُوا بَدِيعاً ووَضْعاً فُزْتَ بِالْعِلْمِ بَعْدَهُمْ

وأشار إليها أيضاً تلميذه الشيخ العطار بقوله:

نَحْوٌ وصَرْفٌ عَرُوضٌ بَعْدَهُ لُغَةٌ ثُمَّ اشْتِقَاقٌ وقَرْضُ الشِّعْرِ إِنْشَاهُ
كَذَا الْمَعَانِي بَيَانُ الْخَطُّ قَافِيَةٌ تَارِيخُ هَذَا الْعِلْمِ الْعُرْبُ أَحْصَاهُ

قلت: إن البعض من هذه العلوم متداخل ألا ترى أن البيان والنحو واللغة كما عُدت من علوم الشرع عدت من علوم الأدب أيضاً، كما ترى على أن المذكور في علوم الأدب إنما هو نوع خاص من التاريخ وهو المحاضرات كما يرشد قول بعضهم:

صَرْفٌ بَيَانٌ مَعَانِي النَّحْوُ قَافِيَةٌ شِعْرٌ عَرُوضُ اشْتِقَاقُ الْخَطُّ إِنْشَاءُ
مُحَاضَرَاتٌ وثَانِي عَشْرِهَا لُغَةٌ تِلْكَ الْعُلُومُ لَهَا الآدَابُ أَسْمَاءُ

والمحاضرات نقل نادرة أو شعر يوافق الحال الراهنة وإنما كانت من التاريخ؛ لأنها ثمرته.

---

(1) هو: أبو بكر بن يوسف السكتاني، ويعرف في مراكش بالمغارتي، كان من أكابر العلماء، رحل إلى المشرق ثلاث مرات، وجاور بمصر والحجاز سنين متعددة، وسافر إلى القدس، وحج أكثر من عشر حجات، أخذ بالمغرب عن أحمد بابا التنبكتي، وأبي القاسم بن محمد الدرعي، وأخذ بمصر عن إبراهيم اللَّقَّاني، وكان مقيماً بداره من جُمْلَةِ أولاده، ثم عاد للمغرب فتصدر للتدريس ونشر العلم، فانتفع به كثير، وكان عارفاً بفن القراءات وله فيها أجوبة نظماً ونثراً. انظر ترجمته في: صفوة من انتشر، للإفراني، ص:207، ونشر المثاني، للقادري: 2/ 266، وفهرسة أبي سالم العياشي (اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر) ص: 115، والإعلام للسملالي: 1/ 215.

فائدتان:

الأولى: قال الصلاح الصفدي في أول تاريخه[1]: يبدأ في التراجم باللقب، ثم بالكنية، ثم بالاسم، ثم بالنسبة إلى البلد، ثم إلى الأصل، ثم إلى المذهب في الفروع، ثم إلى المذهب في الاعتقاد، ثم إلى العلم والصناعة والخلافة والسلطنة والوزارة والقضاء والإمرة، والمشيخة كلها تقدم على الجميع[2].

قال القرافي[3] بعد نقله بواسطة العلامة [8/ أ] السيوطي ما نصه: "والبداءة باللقب، ثم بالكنية، ثم الاسم على خلاف ما عليه أئمة العربية، وعلى خلاف ما رأيته في الكتب التي اعتمدت على النقل منها في هذا الكتاب، ولا خلاف في فضل أصحابها". اهـ.

وقوله: "على خلاف ما عليه أئمة العربية"؛ أي: من وجوب تقديم الاسم على اللقب

---

(1) هو: أبو الصفاء، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الشافعي، صلاح الدين، مؤرخ أديب، ولد في صفد بالشام، وباشر الكتابة الديوانية في مصر ودمشق وحلب، وتولى وكالة بيت المال بدمشق وبها توفي سنة 764هـ من آثاره: الوافي بالوفيات، وهو المشار إليه بتاريخ الصفدي من أجل تآليفه، ومن أوفى الكتب المؤلفة في تراجم الرجال، تفرقت مخطوطاته في خزائن الكتب في العالم، حتى نهضت جمعية المستشرقين الألمانية لجمع صورة عن الكتاب من خزائن الكتب في العالم، فظفرت بكل أجزائه، وقامت على تحقيقه بإشراف ريتر، ثم خلفه أولرش هارمان الذي صرف من حياته عشرين عاماً في إدراة لجان التحقيق والطباعة حتى فرغ من طباعة الجزء الأخير عام 1997م. وقد ساهم في مراجعة بعض أجزاء الكتاب طائفة من نخبة الأدباء العرب، من أمثال خير الدين الزركلي وصلاح الدين المنجد، وشكري فيصل، وقد ترجم الصفدي في هذا الكتاب كما قال في مقدمته: (لكل من أثر فتحاً يسّره، أو خيراً قرّره، أو جوداً أرسله، أو رأياً أعمله، أو حسنةً أسداها، أو سيئة أبداها، أو بدعةً سنها وزخرفها، أو مقالة حررها وعرَّفها، أو كتاباً وضعه، أو تأليفاً جمعه، أو شعراً نظمه، أو نثراً أحكمه". وصدّر الكتاب بمقدمة في علم التاريخ وما يحتاج إليه المؤرخ من العلوم والفنون والأداب، وطرق المؤرخين المختلفة في ترتيب التواريخ، وبيان ما ألف في تاريخ الأعلام والأمصار، وله من المؤلفات غيره "نكت الهميان في نكت العميان" وغيره من المصنفات. انظر: مجلة العرب: عدد 35 لسنة 1994، ومقدمة الوافي بالطبعة المذكورة، طبقات الشافعية، للسبكي: 6/ 94، والدرر الكامنة، لابن حجر: 2/ 87، والبداية والنهاية، لابن كثير: 14/ 303، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي: 11/ 19، وشذرات الذهب، لابن العماد: 6/ 200.

(2) قال الصفدي: إذا قد عرفت العلم والكنية واللقب فسردها يكون على الترتيب تقدم اللقب على الكنية والكنية على العلم ثم النسبة إلى البلد ثم إلى الأصل ثم إلى المذهب في الفروع ثم إلى المذهب في الاعتقاد ثم إلى العلم أو الصناعة أو الخلافة أو السلطنة أو الوزراءة أو القضاء أو الأمرة أو المشيخة أو الحج أو الحرفة كلها مقدم على الجميع. انظر: الوافي في الوفيات، للصفدي: 1/ 47.

(3) هو: محمد بن يحيى بن عمر بن يونس، بدر الدين القرافي، اللغوي الفقيه المؤرخ، المولود سنة 939هـ والمتوفى سنة 1008 هـ، ولي قضاء المالكية في مصر، من مصنفاته "القول المأنوس بتحرير ما في القاموس" و"أحكام التحقيق بأحكام التعليق"، و"بهجة النفوس بين الصحاح والقاموس"، و"تحرير الفريد في تحقيق التوكيد والتأكيد"، و"توشيح الديباج وحلية الابتهاج". انظر ترجمته في: خلاصة الأثر، للمحبي: 4/ 258، شجرة النور، لمخلوف، ص: 288، والفكر السامي، للحجوي: 4/ 106، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 1502، والأعلام، للزركلي: 8/ 12.

إذا كانا مصطحبين. قلت: وهذا لا يخفى على أصاغر الطلبة فضلاً على مثل العلامة الصفدي الذي لا خلاف في فضله، والذي يظهر لي أن كلامه محمول على ما إذا كان اللقب مشهوراً أو مشعراً بمدح، وكان المقام مقامه فإن أئمة العربية على تقديمه في هذين الموضعين كما لا يخفى على من له إلمام بفن العربية.

الثانية: ذهب صاحب "الإحاطة"[1] إلى أن الإنسان إذا دخل بلدة ولو ساعة من نهار فإنه ينسب إليها.

وقال الشيخ زكرياء[2]: ولا حد للإقامة المسوِّغة للنسبة بزمن وإن حده بعضهم بأربع سنين. قال محشِّيه سيدي علي العدوي[3] عن بعض حواشي النخبة[4]: إن مجرد الدخول ولو على سبيل التجارة أو الزيارة مسوغ لذلك. اهـ

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد اللوشي، الغرناطي، الأندلسي، لسان الدين، ابن الخطيب، الوزير، الشاعر، المؤرخ، المتوفى سنة 776هـ، ولد سنة 713 هـ بلوشة بالأندلس، وكان سلفه قديما يعرفون ببنى وزير ثم صاروا يعرفون ببني الخطيب نسبة إلى سعيد جده الأعلى وكان قد ولى الخطابة بها، ثم صار حفيده المترجم من أعيانها وولي الوزارة بها ورحل عنها في خطوب وأحداث، توفي مسجونا مخنوقا، ومن تصانيفه "الإحاطة في أخبار غرناطة"، و"نفاضة الجراب في علالة الاغتراب"، و"رقم الحلل في نظم الدول" وغير ذلك من التصانيف وجلها مطبوع. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة، لابن حجر 3/ 469، ونفح الطيب، للمقري: 4/ 240، وشذرات الذهب، لابن العماد: 6/ 244، والبدر الطالع، للشوكاني:2/ 191.

(2) هو: أبو يحيى، زكريا بن محمد بن زكريا السنيكي - نسبة لسنيكة بالشرقية- المصري، الأنصاري، شيخ الإسلام، زين الدين، قاضي القضاة، نشأ فقيراً معدماً، ثم لما ظهر فضله تتابعت إليه الهدايا والعطايا، بحيث كان له قبل دخوله في منصب القضاء كل يوم نحو ثلاثة آلاف درهم، فجمع نفائس الكتب وأفاد القارئين عليه علماً ومالاً وولاه السلطان قايتباي المتوفى سنة 901 هـ قضاء القضاة، فلم يقبله إلا بعد مراجعة وإلحاح ولما ولي رأى من السلطان عدولاً عن الحق في بعض أعماله، فكتب إليه يزجره عن الظلم، فعزله السلطان، فعاد إلى اشتغاله بالعلم وكف بصره سنة 906 هـ ث وظل مشتغلاً بالعلم إلى أن توفي سنة 926 هـ، له تصانيف كثيره، منها "فتح الرحمن" في التفسير، و"تحفة الباري على صحيح البخاري" و"فتح الجليل" وهو تعليق على تفسير البيضاوي، وشرح إيساغوجي في المنطق، وشرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث، وشرح شذور الذهب في النحو، و"تحفة نجباء العصر" في التجويد، وغير ذلك.

انظر ترجمته في: الكواكب السائرة، للغزي: 1/ 196، والخطط التوفيقية، لعلي مبارك: 12/ 62، والنور السافر، للعيدروس، ص: 120، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 483.

(3) هو: علي بن أحمد بن مكرم الله، العدوي، الأزهري، الشهير بالصعيدي، فقيه، محدث، أصولي، متكلم، ولد ببني عدي بأسيوط، وتوفي في القاهرة سنة 1189هـ وقول المصنف (محشيه) يريد بذلك حاشية الصعيدي على شرح مقدمة شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فى البسملة والحمدلة وسماها "البدور المجملة بحواشى شرح البسملة" وتوجد نسخة منه بالمكتبة الأزهرية تحت رقم 254 (صعايدة) 40046 وله حاشية أخرى على"فتح الباقي بشرح ألفية العراقي". انظر ترجمته في: عجائب الآثار، للجبرتي: 1/ 414، وسلك الدرر، للمرادي: 3/ 206، والخطط التوفيقية، لعلي مبارك: 9/ 94، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 115 والرسالة المستطرفة، له أيضاً، ص:216.

(4) هو كتاب: نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر في مصطلح الحديث.

نقله في «السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني»[1]. انتهى من كتابنا «أزهار الخمائل».

أقول: وهذا وإن نقلته هنا فليس مذهبي في هذا الكتاب، بل لا أعتبر اعتباراً إلا من كان رباطيّاً داراً أو قراراً أو نجاراً أو إقباراً فهذه عندي شروط الارتباط بأهل الرباط، وأحد هؤلاء هو الجدير بأن يطلق عليه اسم الرباطي ويشمله اغتباطي[2].

❋ ❋ ❋

(1) السيف الرباني في عنق المعترض على الغوث الجيلاني - لابن عزوز محمد مكي التونسي طبع بتونس 1310 هـ انظر: إيضاح المكنون، للبغدادي: 2/ 35، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1708.

(2) نهاية المغايرة المثبتة من: (الفصل الأول في مبادئ التاريخ).

الفصل الثاني
في تلخيص معرب عن تاريخ المغرب

قد يطلق المغرب على ما يشمل المغارب[1] الثلاثة - الأدنى - والأوسط - والأقصى؛ أي الممالك[2] الثلاث: تونس - والجزائر - ومراكش[3]، ولكن [8/ ب] عند الإطلاق كما هنا إنما ينصرف إلى مغربنا الأقصى الذي يعرف عند الجغرافيين بمراكش، كان أولاً في حكم ملوك البربر الأقدمين، ثم صار تابعاً للدولة الرومانية أيام عزها، ثم استولى عليه الفانداليون[4] من أسبانيا، ثم رجع للروم في عهد أحد قياصرتهم، ومن يدهم أخذه العرب وفتحوه في القرن الأول الهجري، ومن هذا الحين صار مملكة إسلامية للعائلات الملوكية من الإدريسيين مدة 183 سنة، وآل أبي العافية وبَني زناتة نحو 100 سنة، والمرابطين مدة 80، والموحدين مدة 152، والمرينيين نحو 300[5]، والسعديين مدة 148، والعلويين الحاليين من عام 1075 إلى اليوم، بل وحتى الغد وإلى ما شاء الله من بعد.

تاريخ مدنه وقراه

وأما تاريخ ما يوجد في المغرب من المدن والقرى فقد ذكر أبو القاسم الزياني في "الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برّاً وبحراً"[6] ما ننقله هنا على علاته، وهذا نص كلماته

---

(1) في (ح): (المغاربة).

(2) ومن المعروف أن تونس والجزائر من الدول التي تخلت عن النظام الملكي وصار الحكم فيهما جمهورياً.

(3) مراكش وهي المدينة الحمراء تقع في الجنوب بالمغرب، أسسها يوسف بن تاشفين أعظم ملوك المرابطين عام 454 هـ عاصمة الجنوب، تقع جنوب جبال الأطلس الكبير بالقرب من وادي "تنسفت"، وتمتاز بالنخيل الباسق ومن ورائه الجبال تكسوها الثلوج وقد أطلق القدماء على المغرب الأقصى اسم مراكش كما هو في اللغة اللاتينية moroco. انظر: جغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 67 - 70.

(4) الفانداليون أو الواندال أو Vandales واندليس قبائل جرمانية احتلوا شمال إفريقيا وكونوا دولة وندالية عاشت ما بين 429 و544م. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:374، ومجلة التاريخ العربي، مقال بعنوان الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل، له أيضاً.

(5) في (ح): (200).

(6) هو: أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني، مؤرخ، رحالة، أديب، كاتب، مشارك في الحساب والعروض والتنجيم، من وزراء الدولة المغربية، ولد بفاس، ورحل إلى القسطنطينية سفيرا عن السلطان محمد بن عبد الله، وتوفي بفاس في سنة 1249 هـ من تصانيفه: تحفة الحادي المطرب في رفع شرفاء المغرب، جوهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في الملوك العلويين =

قال: "وأول بناء بناه البربر لما دخلوا المغرب مدينة سلا[1]، قيل: إن الإسكندر لما دخل المغرب بناها وبنى مدينة شالة[2] مقابلة لها. وقيل: إن الذي بناهما أفريقش الحميري بعد دخول الصعب ذي القرنين بمدة كثيرة، وهو الذي دخل المغرب بالبربر ونزل محل سلا على واديها، فصهل فرسه ومن يوم دخل إفريقية لم يصهل إلى أن نزل محل سلا فقال: سلا الفرس. وأمر أن يبنى في محل نزله حصن فبني، وعمره البربر وسماه سلا، ولما قطع وادي سلا ونزل محل شالة أمر أن يبنى به حصن آخر مقابل لسلا لما شال؛ يعني لما ارتحل، فسمى المحل شال فصحف لكثرة الدوران، ولما استقر قبائل البربر بالمغرب ونزل زناتةُ[3] تامسنا[4] وتادلة[5] ونزل صنهاجة[6] =

وأشياخ مولانا سليمان، الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب في مجلد ضخم وهو المشار إليه بالنص بالترجمانة الكبرى، وغير ذلك من التصانيف. انظر ترجمته في: اليواقيت الثمينة، للأزهري: 1/ 104، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 230، دليل المؤرخ، لابن سودة 1/ 101 و169.

(1) سلا: مدينة تقع على مصب نهر أبي رقراق بجانب الرباط وتتصل المديتنان بقنطرة بالقرب من موضع يعرف باسم سيدي مخلوف، تعتبر عماراتها نموذجاً للفن المغربي الرائع في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، ولسلا شهرة صناعية تجارية في الجلد والأواني النحاسية والحديدية ونسج الزرابيِّ والطرز، وصناعة الحصر. انظر: شالة وآثارها، لبوجندار ط الرباط 1340هـ وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 107.

(2) شالة مدينة اتخذها بنو مرين مركزاً أقاموا فيه مسجداً ومدرسة ومقبرة لملوكهم، وكشف عن آثار قديمة بها. انظر: شالة وآثارها، لبوجندار، ومعلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 282.

(3) زناتة قبيلة عظيمة من قبائل البربر، أو جيل منهم قديم العهد معروف الأثر، وهم أشبه البربر بالعرب في الأخلاق والعادات واصطناع وسائل العيش، كما أن لغتهم تختلف عن لغة البربر ولم تزل ألسنتهم تتعرب منذ امتزجت بقبائل بني هلال ومواطنهم بتلول المغرب وصحرائه ما بين غدامس والبحر المحيط، وجلهم بالمغرب الأوسط حتى أنه نسب إليهم فسمي وطن زناتة، ومنهم قبائل قوية بالمغرب الأقصى، ولاسيما في شرقه وشماله وقد اختلف في نسبهم؛ فقيل أنهم من ولد مادغيس الأبتر، ومن ولد قيس عيلان، ومن العمالقة، وأكثر نسابة زناتة على أنهم من عرب حمير من التبابعة، ومن أشهر القبائل الزناتية: بنو مرين، ملوك المغرب، وبنو عبد الوادي ملوك تلمسان، ومغراوة، وبنو يفرن، وتجين، وزواغة، ومغيلة، ومطغرة، ومديونة، وملزوزة، ومطماطة، وورهاصة، ولواتة، ومرنيسة، وبطوية، وكزناية، وجراوة، وبنو مستارة، وسدراتة، وبنو واسين. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 216.

(4) تامسنا: بسيط يقع بين نهري أم الربيع وأبي رقراق وأطلقت بعد ذلك على إقليم الدار البيضاء، وكانت مركزاً للبرغواطيين. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 132، ووصف إفريقيا: 1/ 153.

(5) تادلا بسيط في قشتالة، وقد تسمى دلا أيضاً. انظر معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 124.

(6) صنهاجة: جذم كبير من البربر البرانس، من ولد صنهاج بن برنس، وأصل الكلمة صناك بالصاد المشم زاياً، والكاف القريب من الجيم (زناك) فلما عربه العرب زادوا الهاء بين النون والألف فصار صنهاج ثم ألحقوا بآخره هاء الجمع فصار صنهاجة (زناكة) وأطلقوا الكلمة على جميع القبائل المتناسلة منه، وهي قبائل لا تكاد تحصر لكثرتها، ولا يكاد يخلو منها مكان ببلاد المغرب، منها صنهاجة الشرق أهل المغربين الأدنى والأوسط، وصنهاجة الشمال، وصنهاجة القبلة أي الجنوب. انظر: قبائل المغرب، لعبد الوهاب بنمنصور: 1/ 328.

دكالة[1] وبنى أمراء زناتة مدينة (أنَفَا)[2] بتامسنا ومدينة (داي) بتادلة[3]، وبنى أمراء صنهاجة [9/ أ] مدينة (طيط)[4] بدكالة، ومدينة (أزمور)[5] بها أيضاً، ومدينة (آسفي)[6] بها أيضاً، ثم أسس قبائل المصامدة[7] مدينة (شوشاوة)[8] ومدينة (أغمات وريكة)[9]

(1) دكالة: منطقة سهلية واسعة ما بين نهر أم الربيع شمالاً ووادي تانسيفت جنوباً. وأطلقت التسمية على كل من المنطقة وسكانها، فقد أطلق ابن خلدون اسم دكالة على قبائل مصمودة السهل مرة، وعلى الإقليم مرة أخرى. انظر: العبر، لابن خلدون: 6/ 426، ومعلمة المغرب: 12/ 4052.

(2) مدينة أنفا هي مدينة قديمة هي أصل مدينة الدار البيضاء. انظر: الاستقصا، للناصري: 3/ 98.

(3) قال الإدريسي: مدينة داي في أسافل جبل خارج من جبل درن وهي مدينة بها معدن النحاس الخالص الذي لا يعدله غيره من النحاس بمشارق الأرض ومغاربها... ومدينة داي صغيرة لكنها كثيرة العامر والقوافل عليها صادرة وواردة ويزرع بأرضها القطن ولكنه بمدينة تادلة يزرع أكثر...وبهاتين البلدتين أرزاق ومعايش وخصب ونعم شتى وأهلها أخلاط من البربر، وفي شرقي تادلة وداى من البرابر بنو وليهم وبنو ويزكون ومنداسة ويسكن بهذا الجبل النازل إلى داي قوم من صنهاجة يقال لهم املو. انظر: نزهة المشتاق، للإدريسي: 1/ 241، ومعلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 194.

(4) تيط أو طيط أو عين الفطر مدينة قرب دكالة بناها سيدي محمد بن عبد الله عام 1182هـ وإليها ينتسب آل أمغار. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 159.

(5) أزمور: مدينة ساحلية على الأطلسي بالمغرب، موقعها على الجانب الأيسر لمصب وادي أم الربيع، وهي مدينة صغيرة مشيدة بجانب رأس صخري عال، كانت عاصمة إقليم دكالة القديمة. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 24.

(6) آسفي: ميناء ومدينة تقع جنوب الدار البيضاء وهي دوائر تضم عمالة عبدة واليوسفية والصويرة، احتلها البرتغال بين عامي 910 هـ و913 هـ، واستبسل أهلها في الدفاع عنها إلى أن اضطر البرتغال للجلاء عنها بعد نحو ثلاث وعشرين سنة. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 28، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 97.

(7) مصمودة: شعب كبير من البربر البرانس أبناء مصمود بن برنس أبي شعوب البرانس، كانت مواطنهم الأصلية تبتدى في شمال المغرب من حدود الريف إلى المحيط الأطلسي، وتمتد مساحلة له إلى سوس الأقصى، ولم يبق معروفاً باسم مصمودية بالمغرب والجزائر، أما بطون مصمودة الأخرى فارتفعت إلى مصاف القبائل، ولكل واحدة منها اسم خاص، منها قبائل غمارة وبرغواطة وتينمل وحاحة ودكالة ورجراجة وكلاوة وكدميوة وكنفيسة وصادة وهرغة ووريكة، وهم أقحاح البربر الذين لم يختلطوا بغيرهم ولم يخرجوا من جبالهم إلا بعد مجيء الإسلام إما لنشره بين من يجاورهم من الأمم والشعوب وإما لتوطيد حكم الإمارات والممالك بالمغرب وما حوله... الخ. انظر: قبائل المغرب، لعبد الوهاب بنمنصور: 1/ 321.

(8) شيشاوة وهي منطقة جبلية تجاور مدينة مراكش. انظر: معلمة المدن والقبائل لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 291.

(9) أغمات وريكة: غَمَاتْ بغين فوقها سكون وضم، وهو فعل أمر معناه: خضِّبوا أو اصبغوا في لغة البربر. وهي مدينة شرقي مراكش ويقال لها: أغمات وريكة لتميزها عن أغمات هيلانة، ومساجدها أقدم مساجد جنوب المغرب، ومنه انطلق الدعاة والمجاهدون، وقد كانت لها صلات بالقيروان والأندلس. انظر: الإعلام، للسملالي: 1/ 100 وما بعدها.

ومدينة (أغمات إيلان) أسسها نفيس المسمى به الوادي، وأسس ملوك قبائل حاحة[1] قلعة (الصويرة)[2] وقلعة (أكدير)، وأسس أمراء قبائل شتوكة[3] وجزولة[4] مدينة (ردانة)[5] ومدينة (ماسة)[6] ومدينة (وادكي) مرقى السودان، وأسس وزقيتة[7] وقدميوة[8] قلعة (أمصمير) وقلعة (تينمل) وهي التي كان بها المهدي بن تومرت[9]،

(1) حاحة: قبيلة مغربية أو مجموعة قبلية تشتمل على قبائل وادا وكرض، وادا ويسرن، ونكنافة، وزلطانة، وادا وزمزم، وأيت عيسى، وأيت عامر وغيرها، تقع على ساحل المحيط بإقليمي آسفي وأكادير. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 179.

(2) الصويرة: ميناء ومدينة كانت في الأصل جزيرة ثم اتصلت بالشاطئ، ويفصل المدينة عن الداخل حاجز من الكثبان الرملية، وقد أنشأها السلطان العلوي محمد بن عبد الله لتكون ميناء بالقرب من عاصمته مرّاكش، وهي تضم تضم جماعات تمنار وأيت ظلطن، وأقرمود، وأيداد، وكرض، والمرامر والتوابت وتاكاط وأيت داود، وإيمكراد، والكريات، وتكنافة وغيرها. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 297، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 56.

(3) هشتوكة أو شتوكة وتنطق "أشتوكن"، وهي قبائل استوطنت جزءاً من أزغار جنوب أكادير وجزءاً من جبال الأطلس الصغير، تجاورها قبائل كسيمة شمالاً، وأيت صواب شرقاً، وماسة غرباً، والمعدر جنوباً.

(4) جزولة أو أكزولة وأصلها (ايكوزُولَنْ) قبائل وجماعات بسوس. انظر: خلال جزولة، للسوسي، ومعلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:49.

(5) مدينة على ساحل الأطلسي بإقليم السوس.

(6) ماسة تطلق على واد ممتد تنتشر القرى حواليه، وهو إحدى جماعات دائرة تيزنيت (عمالة أكادير)، ولعلها ماسيتة وهي مدينة على بعد مرحلة من فاس. انظر: خلال جزولة، للسوسي: 2/ 228 وما بعدها، ومعلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 159.

(7) وزگيتة: قبيلة كبيرة من جذم مصمودة من البربر البرانس تسكن جبال الأطلس الكبير جنوبي مراكش، وأصل الكلمة بالشلحة (أيت واوزگيت) وتنقسم إلى قسمين: قسم صغير يسمى وزكيتة يسكن على وادي نفيس، وقسم كبير يسكن أراضي كبيرة ممتدة من مسفيوة ووريكة القريبة من مراكش إلى وادي درعة ووادي دادس بمشارف الصحراء. انظر: حاشية رقم (3)، ص: 43، على كتاب (المقتبس من كتاب الأنساب، للبيذق) بتحقيق عبد الوهاب بنمنصور.

(8) كدميوة: قبيلة مصمودية كبيرة تسكن جنوب مراكش تنقسم إلى كدميوة الجبل وكدميوة الفحص، من قراها الشهيرة: أزمميز وأزكور.

(9) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي، الملقب بالمهدي، فقيه، أديب، أصولي، زاهد، ولد ونشأ في قبيلته هَرْغة من المصامدة، ورحل إلى المشرق طالباً للعلم، فانتهى إلى العراق، ثم حج وأقام بمكة زمناً، ثم خرج منها إلى مصر، ثم عاد للمغرب، ونزل بالمهدية، ثم انتقل إلى بجاية، ثم إلى إحدى قراها ملالة، فلقي بها عبد المؤمن بن علي، فاتفق معه على الدعوة إليه، ثم قوي أمر ابن تومرت، وعاجلته الوفاة في آخر سنة 524 هـ في جبل تينملل قبل أن يفتح مراكش، وكانت الفتوحات بعد ذلك على يد صاحبه عبد المؤمن، من آثاره عقيدة سماها "المرشدة"، و"كنز العلوم"، و"أعز ما يطلب". انظر ترجمته في: أخبار المهدي بن تومرت، للبيذق، الكامل، لابن الأثير: 10/ 569، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 5/ 45، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 19/ 539، والتاريخ، لابن خلدون: 6/ 464، =

وأسس فزواطة[1] وتزناتة وقبائلهم قصور (ذرعة)[2]، وأسس بنو مدرار[3] من مكناسة (سجلماسة)[4] قبل الإسلام، ولما أسلموا كانوا على مذهب الإباضية[5]، وأسس أمراء فطواكة[6] مدينة (دمنات)[7] قبل الإسلام، وأسس أمير صنهاجة بجبل فازاز مدينة (القارة)[8] وهي الخربة فوق قلعة أدْخسان[9] قبل الإسلام، وأسس أمير زناتة قلعة (أزروا) قبل الإسلام، وأسس أمير مكناسة مدينة (مكناسة) قبل الإسلام، وكانت قرى لمكناسة إحدى قبائل زناتة من البربر ومدَّنها ملوك الموحدين من بني عبد المؤمن وبنوا قلعتها، والذي جدد قلعتها العظمى وأدار عليها الأسوار العظيمة السلطان مولاي إسماعيل، وأما مدينة =

والاستقصا، للناصري: 2/ 78.

(1) أحد دوار إقليم درعة، انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 194.

(2) (ذرعة) أو (درعة) بتاء مربوطة في آخرها ونقل عن بعضهم أنها بالمعجمة وهي أحد أقاليم المغرب الشهيرة ودوائره ثمانية مزكيتة وأيت سدرات، وأيت زري، وتينزولين، وترناتة، وفزواتة، وكتاوة، والمحاميد، لها نشاط فكري وثقافي واضح في تاريخ المغرب. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:196.

(3) أحد قبائل البتر البربرية وينتمون لمكناسة ويعرفون بملوك سجلماسة.

(4) سُجُلْماسة أو سِجِلِماسة وكان يطلق عليها كنز البركة، مدينة أسسها الخوارج الصفرية من بني مدرار عام 140هـ، كانت قاعدة بلاد المغرب، وأول بلد درس بها العلم فيه، ويذكر عنها المؤرخون الأعاجيب منها ما ذكره القلقشندي أن بها شجراً إذا جعل الرجل منه إكليلاً على رأسه لم ينم ولا يناله ضرر السهر، وذكر ابن حوقل أنه رأى صكاً فيه ذكر حقٍّ على رجل من أهل سجلماسة لرجل آخر من أهلها بأربعين ألف دينار؛ ثم قال "وما سمعت بالمشرق لهذه الحكاية نظيراً ولقد أخبرت بها بخراسان والعراق فاستطرفت". كأنه بهذا يدل على مبلغ غنى أهلها ورغدهم بالنسبة للمشرق.

وقال ابن بطوطة "ليس في الدنيا أفضل منها لما أعطيت من البركة في الثمار والزرع".

وقال ابن الخطيب: هي أم البلدان، المجاورة لحدود السودان، فتقصدها بالتبر القوافل، وتهدي إلى محرابها النوافل". انظر: صبح الأعشى، للقلقشندي: 5/ 163، وتحفة النظار في غرائب الأمصار، لابن بطوطة: 2/ 723.

(5) الإباضية إحدى فرق الخوارج أصحاب عبد الله بن إباض المري يرون أن المسلمين كلهم يحكم لهم بحكم المنافقين، ولا يحرمون مناكحتهم ولا موارثتهم وهي أقل فرق الخوارج تشدداً وأقرب إلى السنة.

(6) فطواكة أحد بطون هكسورة، قال ابن خلدون: "وأما فطواكة وهم أوسع بطونهم وأعظمهم رياسة فيهم وأقربهم اختصاصاً لصاحب الملك واستعمالاً في خدمته وكان بنو خطاب منذ انقراض أمر الموحدين قد جنحوا إلى بنى عبد الحق وأعطوهم المقادة واختصوا شيوخهم في بنى خطاب بالولاية عليهم". انظر: تاريخ ابن خلدون: 6/ 204.

(7) مدينة تقع بضفاف الأطلس الكبير شرقي مراكش، خرج منها فقهاء ومحدثين منهم علي بن سليمان الدمناتي البوجمعاوي صاحب "مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود". انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 199.

(8) مدينة قرب أدخسان بجبل فازاز. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 231.

(9) قلعة أدخسان: قلعة تسمى باسم جبل في الأطلس الأوسط قرب خنيفرة فيه بناها يوسف بن تاشفين وخربت، ثم جدد بناءها المولى إسماعيل عام 1099هـ. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:19.

(مغيلة)[1] أسسها أمير مغيلة قبل إسلامهم وهو مغيل عام 98، ثم مدينة (وليلى) أسسها أمير أوربة قبل إسلامهم عام 96، وأما بعد ظهور الإسلام فأول مدينة بنيت بالمغرب مدينة (النكور)[2] أسسها إدريس بن صالح الحميري[3] عام ثمانية، وجهه حسان بن النعمان الغساني[4] أمير عبد الملك بن مروان بإفريقية لفتح المغرب فنزل الريف، وعليه أسلم قبائل ألواتة[5]، وأقام بتلك البلاد وورثها أولاده من بعده إلى أن [9/ ب] انتقلوا أعوام فتنة الأندلس، ثم مدينة (بادس)[6] أسسها أمير ألواتة الذي كان مع إدريس بن صالح واسمه بادس عام تسع ثم مدينة (مليلية) أسسها أمير بني يفرن الذي كان مع إدريس بن صالح واسمه أمليل عام اثنين

---

(1) مغيلة: مدينة بين مكناس وفاس. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 351.

(2) مدينة صغيرة في بني تمسمان من شمال المغرب، أسسها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الذي ملك بها 37 سنة، وكان جده قد دخل من المشرق زمن الوليد بن عبد الملك وردت هذه المادة عند البكري في المسالك، ص: 90 وسماها نكور؛ وقال الإدريسي في النزهة، ص: 171، ومن مدينة باديس إلى مرسى بوزكور 20 ميلاً، وكانت مدينة فيما سلف لكنها خربت ولم يبق لها رسم وتسمى في كتب التاريخ نكور. انظر: الروض المعطار، للحميري، ص: 134، والبيان المغرب، للمراكشي: 1/ 176.

(3) كذا في الأصل على أن مؤسس المدينة هو كما مر سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري، أمير مغربي، يماني الأصل، كان جده صالح، أحد أعيان القادمين إلى المغرب من اليمن في الفتح الأول في شمالي المغرب، وأسلم على يده بربر تلك الجهات (من صنهاجة وغمارة) وبعد وفاته انتهى الامر إلى حفيده سعيد (صاحب الترجمة) سنة 167 وانتعشت مدينة نكور (المندرسة الآن) في أيامه، وقصدتها مرافق البحر من مرسى المرية Almeria واستمر ملك سعيد 67 سنة، وتوفي بها.

(4) حسان بن النعمان بن عدي الازدي الغساني، من أولاد ملوك غسان، قائد، من رجال السياسة والحرب، من المشهورين في الفتوحات الاسلامية، كان يلقب بالشيخ الأمين ولي إفريقية في زمن معاوية بن أبي سفيان، ثم كان عاملا على مصر في أيام عبد الملك بن مروان، واظطربت إفريقية بعد مقتل زهير البلوي سنة 76 هـ، فأمره عبد الملك بالتوجه إليها، فزحف بأربعين ألف قاتل فكانت له وقائع كثيرة مع الروم في قرطاجنة، ومع الملكة دهينا (الكاهنة البربرية) في قابس وجبل أوراس، ظهرت فيها بطولته. ودانت له إفريقية كلها، وهو أول من دخلها من أمراء الشام في زمن بني أمية. وبعد أن عم الاسلام إفريقية، أقام بالقيروان، فجدد بناء مسجدها سنة 84 هـ، ودون الدواوين وولى الولاة، ثم رحل قاصداً عبد الملك ابن مروان، واعتزل الأعمال في أول عهد الوليد بن عبد الملك، وتوجه إلى أرض الروم غازياً، فتوفي بها. انظر ترجمته في: الدرر السنية، لأبي عبد الله السنوسي، ص: 24، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي: 1/ 200 والاستقصا، للسلاوي: 1/ 42، والبيان المغرب، لابن عذاري: 1/ 34، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 4/ 140.

(5) لواتة: هم بنو البتر وهو زعم ابن خلدون خلافاً لابن حزم الذي يزعم أنهم أقباط. وتنتشر لواتة خاصة في الجزائر وربما في شاوية المغرب وأصلها من برقة وحدود مصر وما زالت بقاياها الآن بواحات مصر وقرى الصعيد وهي موجودة أيضا بفاس وتادلة. ولواتة أيضاً مدينة قرب فاس. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 255

(6) بادس: جزيرة كان بها مدينة قديمة تحمل نفس الاسم ولا تزال أنقاضها قائمة. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 274.

وتسعين، ثم مدينة (فاس)[1] أسسها إدريس بن إدريس عام واحد[2] وتسعين ومائة، ثم مدينة (العرائش)[3] أسست في الإسلام أسسها نصارى البردقيز[4] عام ثلاثة وعشرين ومائتين بسبب مرساها، ثم مدينة (أشميس) بمقابلة العرائش بناها بردقيز في الإسلام عام ثلاثين ومائتين ثم مدينة (أصيلا) الكبرى أسسها بنو إدريس عام خمسين ومائتين، وأما الموجودة الآن فقد بناها البردقيز وفتحها مولاي إسماعيل العلوي، ثم مدينة (تهدرت)[5] أسسها بنو إدريس أيام دولتهم عام ستين ومائتين، ثم مدينة (البصرة)[6] أسسها بنو إدريس أيام ملكهم سنة خمسين ومائتين، ثم مدينة (حجر النسر)[7] بقرب سبتة أسسها بنو إدريس أيام ملكهم سنة ثمانية عشر ومائتين، ثم مدينة (قصري كتامة)[8] أسسه أمير كتامة عبد الكريم في أول الإسلام عام اثنين ومائة، ثم (قصر مصمودة) وهو قصر المجاز بين سبتة

---

(1) مدينة فاس أسسها المولى إدريس الثاني سنة 192 هـ، فهي أقدم العواصم الملكية بالمغرب تقع في أقصى غرب سهل السايس الغني، وهي تضم حيين يفصلهما بوخراب (الوادي الحار) - مصرف المدينة - وهما عَدْوة القرويين على الضفة اليسرى، وعَدْوة الأندلس على الضفة اليمنى، أما فاس الجديدة على مقربة منها فقد أسسها المرينيون على أرض منبسطة وعلى مستوى أكثر ارتفاعاً من مستوى فاس القديمة. انظر: فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، لعبد العزيز بنعبد الله، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 63.

(2) في الأصول: (إحدى).

(3) تأسست العرائش عام 657هـ على يد يوسف بن علي وقد دخل النصارى حصن العرائش عام 668هـ وقتلوا الرجال وسبوا النساء وأحرقوا المدينة.

(4) هم جنس البرتغال ويقال البرطقيز أيضاً. انظر: الاستقصا، للناصري: 4/ 93.

(5) مدينة تهدرت أو تاهدرت أو تاهدارت: قرية في بلد إيلان، منها منصور بن عبد الرحيم السايوري الحسكوري المتوفى سنة 597هـ، وقد ذكر ابن أبي زرع في القرطاس (ص: 52) أن القسام بن المولى إدريس سار إلى ساحل البحر مما يلي مدينة أصيلا بعد أن هزمه أخوه عمر فبنى هنالك مسجداً على ضفة النهر بموضع يعرف بتاهدارت فأقام يتعبد فيه وزهد في الدنيا إلى أن مات رحمه الله. انظر معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 138.

(6) البصرة: مدينة مغربية كانت من ولايات الدولة الإدريسية إلى أن خربها أبو الفتوح الصنهاجي. انظر: البيان المغرب، لابن عذاري: 1/ 235.

(7) حجر النسر: قلعة حصينة من بناء الأدارسة، تقع شرق مدينة العرائش، بناها إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس سنة 317 هـ لتكون ملجأ منيعا للشرفاء الأدارسة بفاس والبصرة وغيرهما من بطش موسى بن أبي العافية المكناسي في التضييق، ثم خربت وانقطع الحديث عنها ابتداء من عام 386 هـ. انظر القرطاس، لابن أبي زرع، ص:52، بتحقيق عبد الوهاب بنمنصور.

(8) القصور مدن أو قرى تمتد في الصحراء على طول مجاري وينابيع الماء، ومدينة القصر الكبير أي قصر كتامة أسسها عبد الكريم الكتامي على ضفاف نهر اللكوس جنوب شرق العرائش. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 241 و242، ومقالة "القصير الكبير أول حاضرة في المغرب"، له أيضا، بمجلة المنهال، العدد: 43: 1.1974).

وطنجة أسسه أمير مصمودة أيام ولاية طريق بن زياد الليثي بطنجة، ومنه كان جوازه لجبل طارق عام تسعين، ثم مدينة (المهدية) أسسها أمير بني يفرن عام ست وعشرين وثلاثمائة، ثم مدينة (مراكشة) أسسها يوسف بن تاشفين اللمتوني عام أربع وخمسين وأربعمائة، ثم مدينة (الرباط) أسسها يعقوب المنصور الموحدي عام أحد وتسعين وخمسمائة، ثم مدينة (تازة)[1] كانت رباطاً فمدَّنها عبد المؤمن بن علي[2] عام تسع وعشرين وخمسمائة، ثم مدينة تطوان[3] أسسها بنو مرين عام [10/ أ] ثلاثين وسبعمائة، ثم مدينة (شفشاون)[4] أسسها علي بن راشد الشريف العلمي في الدولة الزيدانية عام عشرين وتسعمائة، ثم مدينة (وازان) أسس زاويتها عبد الله الشريف العلمي في دولة الزيدانيين عام اثني عشر وألف، ثم مدينة (الصويرة)[5] أسسها أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي[6] عام ثمانية وسبعين ومائة وألف، وأما مدينة (فضالة)[7] فقد أسسها سيدي محمد بن عبد

(1) تازة: مدينة تقع بين جبال الريف شمالاً وجبال الأطلس المتوسط تبعد عن مدينة فاس بـ 120 كم وعن العاصمة الرباط بـ 318 كم، وهي دائرة تضم جماعات باب مرزوقة، وبني لنت، وبوقلال، وأولاد أزباير، ووادي أمليل، وبني أفراض. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 126، ومدينة تازة ومكانتها في الدولة المرينية، بحث للأستاذ سعيد أعراب، نشرته جريدة الميثاق في عددها العاشر، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 86.

(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 203، ص: 553.

(3) تطوان: تقع في أقصى شمال المغرب وتنقسم إلى قسمين المدينة القديمة وهي موضع مدينة تمودا الرومانية، وتقع في الناحية الشرقية، أما المدينة الحديثة فتمتد إلى الغرب والجنوب الغربي ابتداء من ساحة الفدان المعروفة الآن باسم " ساحة الحسن الثاني "، وأمر بإنشائها أبو ثابت عامر بن عبد الله بن أبي يعقوب المريني. انظر: جغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 74.

(4) شفشاون الزرقاء: مدينة اختطها المجاهد أبو جمعة الحسن بن محمد العلمي المتوفى سنة 876 هـ شهيداً بدسيسة الإفرنج، وقام مقامه ابن عمه الأمير علي بن موسى بن راشد فبنى قصبة شفشاون، وأوطنها عشيرته. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 288.

(5) ميناء ومدينة مغربية، تقع على شبه جزيرة كانت في الأصل جزيرة ثم اتصلت بالشاطئ، ويفصل المدينة عن الداخل حاجز من الكثبان الرملية، وقد أنشأها السلطان محمد بن عبد الله خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الذي أراد أن تكون له ميناء بالقرب من عاصمته مرَّاكش، واختارها لتكون الميناء الرئيسي للبلاد. انظر: جغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 59، ومحمد بن عبد الله العلوي وبناء مدينة الصويرة مقال للدكتور عبد الكريم كريّم بمجلة التاريخ العربي، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 78، ومعلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 297.

(6) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 61، ص: 305.

(7) فضالة: جزيرة يقال إنها جزيرة الصويرة أو صخرة بوسدرة بين السوس وإيفني، وقد لاحظت فرنسا صلاحية جزيرة فضالة ففكرت في احتلالها لأن القراصنة كانوا يجدون فيها ملجأ يأوون إليه انتظاراً للمد الذي يسمح لهم بالدخول إلى سلا، وهو أيضا بالنسبة إليهم مرصد مهم يراقبون منه ما يجرى في عرض البحر. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 227.

الله العلوي عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وأما قلعة دبدو[1] وتاوريرت[2] فمن إنشاء بني مرين في السبعمائة، وأما (وَجدة)[3] فقد أحدثها بنو يفرن أمراء تلمسان[4] أيام ملكهم به قبل الإسلام هذا خبر مغربنا. اهـ.

عواصمه

- فاس[5]- عاصمة الشمال وقاعدة جميع ملوك المغرب يبلغ سكانها نحو المائة

(1) إحدى جماعات دائرة تارودانت (إقليم وجدة). انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:195.

(2) قلعة تاوريرت قام المولى إسماعيل عام 1091هـ بتجديدها وقد بناها السلطان يوسف بن يعقوب المريني وأنزل بها مائة فارس وتقع تاوريت شرقي ملوية وكان أبو زيان محمد بن عثمان بن أبي تاشفين أميرها قبل 761هـ، وهي التي كانت الحد الفاصل بين مملكة بني مرين كل نصف منها لجهة وذلك عام 694هـ وكان لكل أمير فيها عامل في النصف التابع له. انظر معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 139.

(3) وجدة بناها زيري بن عطية المغراوي عام 384 هـ. انظر: الأنيس المطرب، لابن أبي زرع، ص:102، وجذوة الاقتباس، لابن القاضي: 1/ 200.

(4) تلمسان: بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة كانت في الأصل مدينتين متجاورتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت واسم القديمة أگادير فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر والمدينة الإسلامية تقع في السفح الشمالي لجبل تلمسان وتنبسط أمامها سهول خصبة جيدة التربة وزعم بعض المؤرخين أنها إحدى المدن السبع القديمة، وأنها مدينة الجدار المشار إليه في القرآن في قصة موسى والخضر في سورة الكهف، كانت في الأصل قرية بربرية تدعى أكدير؛ ثم أحتلها الرومان وانشاوا بها معسكرا سموه (بومارية)؛ ولما جاء الإسلام فتحها أبو المهاجر دينار المخزومي سنة 55 هـ وهزم حولها الأمير البربري كسيلة البرنسي؛ ثم دخلها عقبة في ولايته الثانية للمغرب، ومر بها الإمام إدريس الأول في طريقة إلى المغرب الأقصى، ومن ذلك التاريخ علا صيتها وتبحر عمرانها وأزدهرت الثقافة والعلم فيها؛ وأصبحت أهميتها الدينية والثقافة والسياسية بالنسبة إلى المغرب الأوسط مثل أهمية فاس ومراكش بالنسبة إلى المغرب الأقصا؛ والقيروان وتونس بالنسبة إلى المغرب الأدنا؛ ولما انفرط عقد اتحاد قصدها بنو عبد الوادي الزناتيون وانشأوا بها دولة وجعلوها عاصمة ملكم وظلوا طوال ثلاثة قرون يتجاذبون حبل ملكها مع بني عمهم مرين ملوك المغرب الأقصى الذين انشأوا فيها المباني الرفيعة؛ إلى أن استولى عليها الأتراك العثمانيون عام 952 فظلت تحت حكمهم إلى أن انتزعها منهم الفرنسيون في فاتح سنة 1836 الميلادية وبعد ذلك عمها ما عم سائر مدن القطر الجزائري وقراه من الاحتلال الفرنسي إلى أن تحرر منه ونال حريته سنة 1962. انظر: معجم البلدان، لياقوت: 2/ 44.

(5) تقع مدينة فاس في النهاية الغربية لسهل السايس الغني في موضع يعرف باسم أخضر على وادي فاس، وهي تضم حيين يفصلهما بوخراب (الوادي الحار) - مصرف المدينة - وهما عدوة القرويين على الضفة اليسرى، وعدوة الأندلس على الضفة اليمنى، وقد أسسها الأدارسة في القرن الثامن على جانبي الوادي، فاس الجديدة على مقربة منها أسسها المرينيون في القرن الثالث عشر على أرض منبسطة وعلى مستوى أكثر ارتفاعاً من مستوى فاس القديمة. انظر: جغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 67.

والعشرين ألف نسمة - ومراكش[1] - عاصمة الجنوب وقاعدة ملك المرابطين سكانها نحو المائة ألف نسمة - ومكناس[2] - عاصمة الفتح الإسلامي الأول وقاعدة ملك الدولة الإسماعيلية يبلغ سكانها نحو الثلاثين ألف نسمة، أما العاصمة الإدارية المخزنية اليوم فهي عاصمة الرباط عاصمة الجهاد الإسلامي والفتح الأندلسي يبلغ سكانها نحو الأربعين ألف نسمة، ولله قول الشاعر المطبوع في مدحها والمقابلة بينها وبين غيرها من العواصم [قال][3]:

إِذَا افْتَخَـرَتْ مِكْنَـاسُ بِالْمَـاءِ والْهَـوَا ... وفَـاسُ بِوَادِيهَـا وبِـالْعِلْمِ والْمَجْـدِ

وَمَـرَّاكُشُ بِالْجِـدِّ والْجُـودِ والْجَـدَى ... فَإِنَّ رِبَاطَ الْفَتْحِ وَاسِطَةُ الْعِقْدِ[10/ب]

❋ ❋ ❋

---

(1) أكبر حواضر المغرب، وعاصمة الجنوب، تبعد حوالي ستين كيلو متر عن السفوح الشمالية لجبال الأطلس الكبير بالقرب من وادي تنسفت، وتتجه ناحية الجبل، ولها ممرات مختلفة تخترق السلسلة الجبلية، وتمتاز بالنخيل الباسق ومن ورائه الجبال وتكسوها الثلوج، وهي قطب جذب للأقاليم الصحراوية، وتعتبر سوقهم الكبير، أسست في عهد المرابطين وكانت عاصمتهم، كما كانت عاصمة للموحِّدين من بعدهم. انظر: جغرافية المدن المغربية، لحسان عوض ص: 71.

(2) مكناس: مدينة ترتفع عن سطح البحر 522 متراً، بينها وبين فاس حوالي ستين كيلو متر، وقد سميت باسم قبيلة مكناسة البربرية، وارتفاعها، يحيط بها نطاق مثلث مركب من أسوار وحصون يبلغ طولها 40 كم، من آثارها العتيقة باب المنصور، والاسطبلات القديمة، وبركة البساتين التي تبلغ مساحتها 4 هكتارات مربعة، ومدرسة أبي عنان المريني، التي ظفرت مكناس بعنايته في عصره، وهي اليوم خامس مدن المغرب من حيث عدد السكان، وكانت قاعدة حربية أثناء الاحتلال، ثم المدينة الجديدة إلى الشرق. انظر: الروض المتون في أخبار مكناسة الزيتون، لابن غازي، بتحقيق عبد الوهاب بنمنصور، الطبعة الثالثة نشر المطبعة الملكية بالرباط 1999م، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 71.

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

الفصل الثالث

في تاريخ شالة بالرباط

يرجع تاريخ شالة القديم إلى عهد البربر الأقدمين سكان هذا القطر الأصليين، فقد تعاقب الملك فيهم أحياناً وأزماناً، وأوليتهم في المغرب منذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها إلا الله تعالى كما قال ابن خلدون، فتكون شالة القديمة من بناء ملوك البربر إذ ذاك، [لا من بناء الأجانب الذين عمروها مثل الفينيقيان والرومان على ما يراه بعض مؤرخي الإفرنج مستدلاً على ذلك بوضع شالة الجغرفي البعيد موقعه من الساحل البحري، الأمر الذي يدل على الاحتراس من هجوم أجنبي والاحتراز من طوارق البحر، وإلا فإن عادة الفينيقيان والرومان في بناء المدن البحرية أن يجعلوها على الساحل كطنجة وسبتة وغيرهما، وقد يتنزل على هذا كلام أبلين المؤرخ الروماني صاحب كتاب "تاريخ الطبيعة"، وترجمة عبارته: مدينة شالة هي الواقعة على ضفة الوادي المنسوب إليها قرية من الصحراء كانت نواحيها عامرة بأفيلا، وكثيراً ما كانت تتضرر بذلك، وأهلها أقوام من البربر متوحشون يقال لهم آيت هلالة](1) هـ [بل صرح الزياني في "الترجمانة" أنها من بناء الإسكندر ذي القرنين أو إفريقش الحميري في قولين حكاهما بصيغة قيل](2)، [وقد](3) سبقت عبارته، وهو مبني على القول بأن إفريقش الحميري دخل المغرب، وأنه أول من أدخل البربر إليه(4)، [11/أ] وقيل: إن تاريخ شالة القديم إنما يرجع لعهد الفينيقيان [القرطاجنيين](5) الذين أثبت التاريخ [وجودهم بها في عهد حنون القائد القرطاجنِّي الشهير والرحالة ستايس الذي دخلها بأمر من إكسيريس عندما وصل في رحلته إلى

---

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) في (ح) سياق مخالف وهو: (وفي الترجمانة الكبرى لأبي القاسم الزياني نسبة بنائها للإسكندر المعروف بذي القرنين، وقيل بانيها هو إفريقش الحميري بعد دخول ذي القرنين بمدة كثيرة. قال الزياني: وهو الذي دخل المغرب بالبربر، ونزل محل سلا على واديها فصهل فرسه، ومن يوم دخل إفريقية لم يصهل إلى أن نزل محل سلا، فقال: سلا الفرس. وأمر أن يبنى له حصنان؛ حصن في تلك الضفة وحصن في هذه).

(3) في (ح): (حسبما).

(4) ساقهم من بلاد كنعان وفيهم قال:

بربـــرت كنعـــان لمـــا ســـقتها ... لـــبلاد الخـــصب والعـــيش العجيـــب

وهو الذي سماهم بربراً، انظر جذوة الاقتباس لابن القاضي. وكذا هو في هامش (ع).

(5) في المطبوعة: (القرطاجيين).

مصب سالكس وادي أبي رقراق سنة 470 قبل المسيح، وفي عهد هيرودوت واصف حالتها سنة 450 قبل المسيح أيضاً، والرحالة هورمون البحري الشهير زائرها في حوالي هذا التاريخ نفسه؛ أعني قبل الاسلام بنحو اثني عشر قرناً تقريباً، ويدل لهذا ما قدمناه في اسم شالة من أنه اسم فينيقاني يدل بحسب وضعه على هيئة موقع المدينة، وأيضاً ما قيل من أن الفينيقيان كانت لهم بسواحل إفريقيا عدة مدن من جملتها شالة وعدد تلك المدن من ترشيش التي هي تونس إلى وادي نون من السوس الأقصى ثلاثمائة مدينة ذكرها حنون القرطاجنِّي صاحب أسطولهم في...(1) الذي عثر عليه حديثاً مكتوباً بالقلم اليوناني. انظر تاريخ إبراهيم صادر.

وسواء قلنا إن شالة بربرية أو فينيقية، فمما لا شك فيه عند بعض المؤرخين](2) أنها كانت [في عهد الفينيقيان](3) من أهم مراكزهم المغربية، بل كانت عاصمتهم الاستعمارية كما صرح به جوزيف كانال في قوله: "على مسافة اثنين كيلوميتر من منارة حسان يوجد خراب هضبة شالة التي كانت غاصمة القرطاجنيين بعمالة طنجة". اهـ.

وكما كانت عاصمتهم الاستعمارية الإدارية فقد كانت أيضاً عاصمتهم التجارية، توافيها سفنهم بأنواع المتاجر وضروب المتاع، وتصدر عنها ما شاكل ذلك من الجلد والعاج وريش النعام والأصباغ العنبرية وسواها حتى الفيلة التي كان الفينيقيون يستعملونها في حروبهم كما أشار له أبلين في تاريخه [الذي نقلنا عنه آنفاً وقد ذكر في كتابه كيفية اصطياد أهل شالة للفيل [11/ب] فأخبر أنهم يحتالون عليه إلى أن ينحاز إلى جهة، ثم يحفرون حوله حفراً حتى إذا سقط في حفرة وقعوا عليه وقبضوه](4)، ولا تزال سكك الفينيقيين(5) الذهبية والفضية والرصاصية مما كان يتعامل به في تلك الأعصار - يعثر عليها الباحثون الأثريون وعلى بعضها صور وأشجار وحيتان من معبوداتهم القديمة وغيرها، ثم لما دالت الدولة للرومان بالمغرب كانت شالة من أهم مستعمراتهم التي استعمروها مثل وليلى وطنجة، حتى صارت شالة تنسب إليهم، وجعلها كثير من المؤرخين مثل ليون الإفريقي(6) من آثارهم بالمغرب؛ نظراً لما

---

(1) كلمة غير مقروءة.

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(3) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(4) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح)..

(5) في ح (الفينيقيان).

(6) هو: أبو علي، الحسن بن محمد الوزان، الغرناطي أصلاً، الفاسي داراً، المسمى جان ليون والمعروف بليون الافريقي، جغرافي، رحالة، مؤرخ، ولد في غرناطة، وهاجر طفلا مع أبيه وبعض أقاربه إلى فاس، فتعلم بجامع (القرويين) وانتدب =

أحدثوه فيها من البناءات المتعددة والآثار المتنوعة[1]، [وكانت في هذا العهد الروماني هي آخر نقطة حربية اتخذها الرومان لوضع المؤن العسكرية والمواد الاحتياطية، وبلغت شهرتها في النجدة والبأس أن الجنود المنسوبة إليها في ذلك التاريخ كانت تتوغل في البحار، وكم من مرة بلغت إلى البحر الأسود والأدرياتيك غازية ومحاربة مع الدولة الرومانية في الخليج البيزنطي، كما كانت أيضاً][2] هي المرسى الوحيد للمراكب الشراعية الرومانية تمد رومة عاصمة الرومان بسائر محصولاتها الفلاحية وغيرها، وتستجلب منها أنواع المتاع وضروب المصنوعات الرومانية على اختلافها، مما يعثر عليه الباحثون اليوم تحت سجوف التراب بشالة وضواحيها، ومما عثروا عليه عدة مسكوكات وقطع من الخزف الروماني وأحجار كريمة وخواتم ذهبية وأدوات منزلية وجدت مدفونة في بعض مقابرهم، كما وجدوا على بعض القبور عدة أحجار ضخمة منقوشة وعليها كتابات رومانية حفظ التراب وجودها بالموضع المعروف بكرمة سعيد بن صالح ما بين شالة والرباط، كما عثرو بشالة أيضاً على آثار بربرية قديمة منها جملة أوانٍ من الفخار والخزف البربري، وأحجار عليها صور بعض الأصنام، وعلى بعضها صور مستديرة [12/أ] على شكل قرص الشمس إلى غير هذا من الآثار التي نقل بعضها إلى مكتبة المدرسة العليا (المعهد للتعليم العالي) وحفظت في خزائن متحفها الأثري البربري [واستمرت مدينة شالة مدة مديدة تقرب من خمسمائة عام إلى أن خرج من جزيرة الأندلس قوم الواندال الكوطيون، واستولوا على شطوط إفريقية وخربوا مدن الرومان ومستعمراتهم، فكانت شالة من جملة المستعمرات التي خربوها كما أشار له ليون الإفريقي في مسالكه][3].

أبوه لبعض السفارات والوساطات السياسية، فتيسرت له الرحلة إلى أكثر بلدان إفريقية الشمالية والشرق الأوسط، وحج سنة 921 هـ، ودخل الأستانة ومصر، وحضر حروبا بين البرتغال والشريف محمد السعدي (القائم بأمر الله) وأسره قرصان إيطالي سنة 923 هـ أو 926 هـ ثم أهداه إلى البابا ليون العاشر ملك رومية، ومعه كتبه وأوراق رحلته، وكانت للبابا عناية بعلوم العرب، فأكرمه وأدخله في خاصته وسماه جان ليون، وأشيع أنه تنصر، وما من دليل يؤكد ذلك وكان يحسن الاسبانية والعبرية والإيطالية، وفي سنة 932 هـ في رومية، أنهى ترجمة كتابه وصف إفرقية إلى الايطالية.

انظر ترجمته في: حياة الوزان الفاسي وآثاره، للمهدي الحجوي، والأعلام، للزركلي: 2/ 218.

(1) انظر: وصف إفريقيا، للحسن الوزان، ص: 213.

(2) كذا في (ح)، وفي (ع) في هذا الموضع: "واستمرت كذلك مدة مديدة تقرب من خمسمائة عام إلى أن خرج من جزيرة الأندلس قوم الواندال الكوطيون، واستولوا على شطوط إفريقية وخربوا مدن الرومان ومستعمراتهم، فكانت شالة من جملة ما خربوه كما صرح بذلك ليون الإفريقي في مسالكه وقد كانت في ذلك العهد الروماني".

(3) ما بين المعكوفتين في موضع سابق على هذا في النسخة (ع) وقد أثبتنا تلك الإحالة في موضعها. انظر: وصف إفريقية،

[إلا أنهم اعتاص عليهم هدم الآثار الجاثية فحفظ الدهر وجودها ماثلة شاخصة للعيان إلى أن جاء دور العرب وعاينها أهل المسالك منهم وخلدوا ذكرها من جملة الآثار التي أخنى عليها الدهر الخؤون ولعبت بها أيدي الأيام حتى بعد مجيء الإسلام على ما نذكره أمام][1]، [كما ألمت بذلك في بعض مقالاتي المتعلقة بالمدرسة المذكورة ولتقف على كتابي المطبوع أخيراً تحت عنوان (شالة وآثارها) فقد تنزلت فيه إلى ذكر تلك الآثار ووصفها تاريخياً وجغرافياً وطبيعياً وشعرياً بما نكتفي هنا بالإحالة عليه عن الإشارة إليه، اللهم إلا هذه الكلمة لخصتها مع تصرف من جواب لبعضهم وقفت عليه بعد ذلك وإليك ما هنالك: توجد الآن آثار هياكل أصنام بزاوية شالة وضواحيها وقع عليها الباحثون تحت أطباق التراب يرجع أصلها للفينيقيين والقرطاجنيين أهل شالة ومعمريها قبل دخول المسيحية إليها، ومن قبيل هذه الآثار الدار المعثور عليها بشالة في دولة المولى إسماعيل سنة 1699م بواسطة عبد الله بن عائشة الرئيس الرباطي الشهير أحد سفرائه ورؤسائه بالرباط ويعرف في كتب الإفرنج بأميرال سلا وله ماجريات وحوادث وهو الذي ينسب إليه فندق ابن عائشة القيسارية المعروف بالرباط ودار ابن عائشة المتصلة بالزاوية المختارية ومقبرة ابن عائشة التي بها مدفنه بمقبرة العلو.اهـ. فإنها لا شك هيكل روماني للرومانيين الذين سبق زمانهم زمان المسيح عليه السلام ولا يوجد ذكر لهذا الاكتشاف في كتب التاريخ المغربي فيما علمناه، وإنما علم من كتاب كتبه ابن عائشة المذكور في ذلك وزعم أنه أثر للملك شهاب الذي كان يملك هذه البلاد في الجاهلية الأولى من عهد سيدنا إبراهيم قبل النصرانية بأربعة آلاف سنة إلخ[2] وفيه أن تملك الملك شهاب لهذه البلاد لا يعرف إلا من جملة الخرافات الباطلة التي ينقلها المخرفون في حق شالة من أوراق مجهولة يعزونها للسيوطي افتياتا، وهي التي حذر اليوسي منها في كتاب المحاضرات، ومما عثر عليه أخيراً قبر روماني قرب دار القائد سعيد بن صالح فألفي فيه لوح لطيف من رخام أبيض مكتوب عليه بالقلم الروماني القديم ما تعريبه هذا (لإلاه الآلهة حرم) أوريليوس الذي عاش أعواماً... وشهوراً... وأياماً... -زوجته- لزوجها المستحق عملت هذا المدفن الذي يضم [12/ب] عظامه من سلا كولونيا. هـ.

للحسن الوزان، ص: 213.

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) يريد أن تملك شهاب لهذه البلاد هو معدود في نظر التاريخ الصادق من قبيل الخرافات الباطلة... إلخ. فلا يرد أنه ليس في تلك الأوراق المقروءة للسيوطي ذكر للملك شهاب هذا، والله تعالى أعلم. هـ مؤلف".

وسبك الكلام المذكور هكذا: إن أوريليوس الشلاوي الروماني المستحق الاعتبار من زوجته والاحترام قد أقامت عليه زوجته هذا الضريح الذي يضم أعظمه وجعلته حرماً لإله الآلهة أو إله الأجداد الرومانيين الذين كان الشعب يعبدهم كآلهة هـ. ومحل الأعداد الرومانية لم يفهم ولذلك جعلت النقط مكانها، وإله الآلهة عندهم هو جوبيتر الذي هو المشترى(1) عندنا، كما عثر على حجر عظيم قرب سور شالة مكتوب عليه بخط روماني قديم أنه أحد الأحجار الأربعة التي كانت منصوبة على أربعة أركان هيكل جوبيتر للغربان بشالة قبل التاريخ المسيحي بنحو 200 عام، وعثر لعهدنا على بيت مزلج بالفسيفساء الرومانية من دار كانت بشالة ولا زال البيت سالماً إلى غير هذا من الآثار والأبنية القديمة التي يقع العثور عليها بشالة وضواحيها وجلّها مهدوم مردوم لم يبقَ منه إلا براحات مزلجة بالفسيفساء وأسس أسوار وحيطان هياكل، أما الدور التامة فلا وجود لها إلا أن تكون لا زالت تحت الأرض سترها التراب والردم الذي غطى وجه الأرض من عهد بعيد. انتهى باختصار واقتصار.

وبالوقوف على كتابنا في تاريخ شالة تشرف على بقية الآثار وهي آثارها في تاريخ الإسلام على ما سنذكره أمام](2).

« تاريخها في الإسلام »

[رغماً عما أصاب تلك المدينة من عين الكمال وأحاط بها ما أحاط من عوامل الخراب والاضمحلال لم تخلُ قط من العمارة التي كانت تتجدد فيها حيناً بعد حين، بل دامت آهلة عامرة بالسكان إلى أن تداولتها جميع دول الإسلام المغربية دولة فدولة على [ما](3) سيمر بك من أقوال المؤرخين قولة فقولة](4) كانت مدينة شالة قبل إشراق النور الإسلامي بين أرجائها كسائر المدن المغربية كلها ظلمات - كفر ومجوسية - وكان الغالب على أهلها وسائر القبائل المجاورة لها هو دين النصرانية لكون العمال والأمراء عليهم في ذلك العهد كانوا من أعظم المتمسكين بآداب الديانة المسيحية اللاهوتية، وأول من افتتحها بالإسلام ومد عليها رواق السلام، هو سيدنا عقبة بن نافع الفهري(5) لما قدم على هذه البلاد في المرة الثانية أيام

---

(1) أحد النجوم السبعة السيارة.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من ح وانظر: شالة وآثارها، ص: 20 وما بعدها.

(3) زيادة ليستقيم المعنى.

(4) ما بين المعكوفتين زيادة من ح.

(5) هو: عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي، القرشي، من كبار القادة في صدر الإسلام، ابن خالة عمرو بن العاص، وهو =

خلافة يزيد [13/أ] بن معاوية سنة اثنتين وستين من الهجرة، وعلى يده أسلم أهلها المرة الأولى، ودانوا بدين الإسلام إلا أنهم ما لبثوا أن ارتدوا وعادوا إلى دين النصرانية عقب رجوع عقبة. ولما قدم موسى بن نصير[1] موجهاً من قبل الخليفة عبدالملك بن مروان في سنة تسعين هجرية فتحها ثانياً وألزمهم الدخول في دين الإسلام فامتثلوا ثم ارتدوا وبقوا على هذا الحال بين إسلام تارة وارتداد أخرى، إلى أن قيض الله لهم البضعة النبوية الطاهرة الفاتح الأكبر مولانا إدريس بن عبد الله الكامل، فقدم على المغرب في خبر طويل شهير وبويع له بالخلافة بمدينة وليلى قاعدة جبل زرهون[2]، وكان ذلك رابع رمضان سنة 172هـ.

ولم يتمالك أن قام لفتح شالة وما جاورها من بلاد تامسنا وتادلا كما جاء تفصيل ذلك في " روض القرطاس " وغيره[3]، فكانت شالة لها بذلك مزية السبق على غيرها من مدن المغرب بعد وليلى، إذ كانت ثانية مدنه في اعتناق الإسلام والتدين به على الدوام، وكان دخول مولاي إدريس لها عنوة في أواخر القرن الثاني بعد أن حارب فيها دولة برغواطة[4] أهل شالة إذ ذاك، وبعد إدريس تداولها بنوه من بعده فلم تزل تابعة لهم =

باني مدينة القيروان، ولد في حياة النبي ﷺ ولا صحبة له، وشهد فتح مصر، وكان، فوجهه عمرو إلى افريقية سنة 42 هـ والياً، فافتتح كثيراً من تخوم السودان وكورها في طريقه، وعلا ذكره، فولاه معاوية إفريقية سنة 50 هـ وأوغل في بلاد إفريقية حتى أتى وادي القيروان، فأعجبه، فبنى فيه مسجداً لا يزال إلى اليوم يعرف بجامع عقبة، وأمر من معه فبنوا فيه مساكنهم، ثم تقدم إلى المغرب الأقصى، فبلغ المحيط، وعاد وقد تقدمته العساكر إلى القيروان، وبقي في عدد قليل فأطبق عليه الفرنج، فقتلوه ومن معه. انظر ترجمته في: التاريخ الكبير، للبخاري: 6/ 435، تاريخ الطبري: 5/ 240، وجمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص: 163، وأسد الغابة، لابن الأثير: 4/ 59، ومعالم الإيمان، للقيرواني: 1/ 164، والبداية والنهاية، لابن كثير: 8/ 217، والعقد الثمين، لابن عبد ربه: 6/ 111، والإصابة، لابن حجر: 2/ 492.

(1) هو: أبو عبد الرحمن، موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي، ولاءً، فاتح الأندلس، أصله من وادى القرى بالحجاز، كان أبوه على حرس معاوية، ونشأ موسى في دمشق، وولي غزو البحر لمعاوية، فغزا قبرص وبنى بها حصوناً، وكان على خراج البصرة في عهد الحجاج، وغزا إفريقية في ولاية عبد العزيز بن مروان، ولما آلت الخلافة إلى الوليد بن عبد الملك، ولاه إفريقية الشمالية وما وراءها من المغرب سنة 88 هـ فأقام بالقيروان، ووجه ابنيه عبد الله ومروان فأخضعا له من بأطراف البلاد من البربر، واستعمل مولاه طارق بن زياد على طنجة، وفتح معه الأندلس، وتولى سليمان بن الوليد فعزله ونكبه فعاد للحجاز ثم توفي رحمه الله سنة 97 هـ. انظر ترجمته في: تاريخ علماء الاندلس، لابن الفرضي: 2/ 18، وجذوة المقتبس، للحميدي، ص: 317.

(2) مدينة أسست حول ضريح المولى إدريس الأكبر فاتح المغرب. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 213.

(3) انظر: الأنيس المطرب، لابن أبي زرع، ص: 21.

(4) اسم قبيلة أو مجموعة قبائل من البربر كانت تسكن سهول تامسنا الممتدة من نهر سلا أبي رقراق إلى نهر أم الربيع، ظهر فيهم رجل من أصل يهودي اسمه صالح بن طريف ادعى النبوة وأوصى ولده إلياس بإظهارها فلم يفعل وأظهرها بعده =

وتحت حكمهم مدة ولايتهم إلى أن انتزع الملك من يدهم موسى بن أبي العافية المكناسي الزناتي سنة 317 هـ.

وفي أواخر القرن الرابع كانت شالة عاصمة ملك الإفرانيين فاستفحل عمرانها أيام ولايتهم ولا سيما أوائل القرن الخامس بعد العشرين لما تولى على بني يفرن تميم بن زيري الإفراني(1) المعروف بأمير شالة القائم على حمامة بن المعز المغراوي(2) والغاصب له ملك فاس مدة خمس أو سبع سنين كما في الاستقصاء وغيره.

وفي عهد المرابطين تجددت الحروب بينهم وبين البرغواطيين الكفار فكانت تسمح لهم مساجلة المحاربة بالهجوم على شالة، إلى أن تمكنوا من تخريبها مراراً، وكان المرابطون [13/ ب] يجددون بناءها حيث كانت لديهم حصناً حصيناً ومركزاً من أهم مراكزهم المنيعة، لكن العمارة بها لم تعد كما كانت من قبل ولو بعد انكسار البرغواطيين وفشلهم النهائي في حدود الخمسين من القرن الخامس على يد أبي بكر اللمتوني(3) الذي أثخن فيهم قتلاً وسبياً حتى استأصلهم، وبرءوا من المجوسية أو الإباحية التي شرعها لهم زعيمهم المتنبئ الكذاب صالح بن طريف البرغواطي منذ سنة خمس وعشرين ومائة، وفي أثناء هذا التاريخ زارها الشريف الإدريسي ووصفها في كتابه الجغرفي بأنها خراب(4)، وبها

= ابنه يونس بن إلياس بن صالح، فاتبعته قبائل برغواطة فيما بثه بينهم من عقائد وسن لهم من أحكام تخالف شريعة الإسلام، وقد واجهت برغواطة مقاومة عنيفة من طرف القبائل التي حافظت على عقيدتها الإسلامية. انظر: الأنيس المطرب، لابن أبي زرع، ص: 164، ومعلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 94.

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 131، ص: 452.

(2) انظر ترجمته في: الأنيس المطرب، لابن أبي زرع، ص: 109.

(3) انظر ترجمته في: الأنيس المطرب، لابن أبي زرع، ص: 128.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي، الحسني، من أدارسة المغرب الأقصى، مؤرخ من أكابر العلماء بالجغرافيا، ولد في سبتة ونشأ وتعلم بقرطبة، ورحل رحلة طويلة انتهى بها إلى صقلية، فنزل على صاحبها روجار الثاني ووضع له كتابا سماه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" أكمله سنة 548 هـ وهو من أهم الكتب في علم الجغرافيا ضمن فيه جل العلوم الجغرافية للسابقين قبله كالمسعودي وابن حوقل وابن خاقان واليعقوبي، وقد ترجم إلى الفرنسية واللاتينية والإنجليزية والألمانية، وله أيضا "الجامع لصفات أشتات النبات" و"روض الأنس ونزهة النفس" ويعرف بالممالك والمسالك، بقي منه مختصر في مكتبة حكيم أوغلو علي باشا في الآستانة. انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات، للصفدي: 1/ 163، والنبوغ المغربي، لعبد الله جنون: 1/ 88، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 63، والأعلام، للزركلي: 7/ 24.

بقايا بنيان قائم وهياكل سامية، ويتصل بخرابها عمارات متصلة، وزروع ومواشٍ لأهل سلا الحديثة. هـ. وبنحو هذا وصفها أيضاً من زارها قبله من أهل "المسالك" كالبكري[1] وابن حوقل البغدادي[2]، وكذلك من زارها بعد كصاحب "الاستبصار" وغيره.

ولما جاء دور الموحدين وبنوا الرباط اشتد ضعف عمارة شالة بانتقال أهلها إليه لخرابها وعمارته وقدمها وجدَّته، وانتقلت إليه سائر حرفها وصنائعها تبعاً لانتقال أهلها، فكان في ذلك القضاء على شالة وعمارتها لولا أن يعقوب المنصور وفق للمحافظة على ما بقي من رمق العمران بها، بل زعم بعض مؤرخي الإفرنج أنه بنى بها مسجداً لطيفاً ثاني المسجدين فيها وحصناً عظيماً جعله مقرّاً لجيوشه ومستشفى كبيراً لذوي العاهات والأمراض، وعندما جاء بنو مرين وشاهدوا ما آل إليه أمر شالة من الاضمحلال والخراب والاختلال سعوا في تجديد كثير من بناءاتها وأداروا أسوارها التي لا تزال قائمة ماثلة للعيان حتى الآن، ثم اتخذوها مدفناً لأعيانهم وصيروها حرماً مقدساً ومأوى محترماً يأوي إليه الفضلاء والعظماء، وبنوا فيها قباباً رفيعة صاعدة في الجو جعلوها على أضرحة ملوكهم وزخرفوها بأنواع النقش والزخاريف [14/أ] والتمويه، وعلى الجدران رسموا كتابات تشتمل على آيات قرآنية وأمداح ومراثٍ لمن دفن بتلك الأضرحة، ووقفوا عليها بعض الأوقاف الحبسية، وعلى إطعام الطعام لمن يأوي إليها من الفقراء والغرباء، وقد كان من جملة تلك الأوقاف التي حبست على إطعام الطعام الحمام الجديد المعروف بحمام العلو بالرباط، كما وجد ذلك أثراً لأبي عنان في مضمون التحبيس المنقوش على الرخامة التي اكتشفت في هذه الأيام ملصقة بجدار القوس الوسط من صحن الجامع الأعظم الرباطي حين إصلاحه الأخير، وهذا نص ما وجد: الحمد

(1) هو: أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز البكري، الأندلسي، صاحب كتاب: المسالك والممالك، المتوفى سنة 487 هـ. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1664.

(2) هو: أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي، الموصلي، رحالة، من علماء البلدان كان تاجرا، رحل من بغداد سنة 331 هـ ودخل المغرب وصقلية، وجاب بلاد الاندلس وغيرها، ويقال: كان عينا للفاطميين توفي بعد سنة 367 هـ. انظر ترجمته في: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، لزكي محمد حسن، ص: 39، والأعلام، للزركلي: 6/ 111، وهدية العارفين، للبغدادي: 2/ 43.

لله حق حمده، مما حبسه مولانا الخليفة الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو عنان ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق تقبل الله عمله وبلغه في نصر الإسلام أمله الحمام الجديد برباط الفتح حرسه الله على ضريح مولانا المرحوم والدهم رضوان الله عليه، وإطعام المساكين بشالة عمرها الله تعالى، وذلك في عام خمسة وخمسين وسبعمائة، عرف الله خيره. اهـ.

واستمر حال شالة على ما وصفنا إلى زمان انقراض الدولة المرينية وقتما ثار أحمد اللحياني الورتاجني المريني[1] على عبد الحق آخر ملوك بني مرين، وملك مكناسة نحو عشرين سنة، وتعدى أمره إلى العدوتين فعمد إلى شالة ونهب خزائن كتبها وحمل ما فيها من المصاحف المحلاة والتحف المحبسة على أضرحتها، وهدم وخرب وفرق ذلك الجمع الذي كان بها من الطلبة والسدنة والقومة الذين كانوا مجتمعين لتلاوة القرآن من تلك المصاحف الكريمة قياماً بوظيف الحبس.

ومن أجل ذلك [14/ب] هجرت زاوية شالة وجفاها ساكنها، وذهبت محاسنها وأقفرت أماكنها، وصارت بعد ذلك في حكم القصبة مسكونة بأخلاط من الناس هم إلى البداوة أقرب منهم إلى الحضارة، يسكنون في بقايا أطلال بالية وديار خالية وجدران مائلة وآثار ماثلة.

دِيَـارٌ عَلَيْهَـا مِـنْ بَـشَاشَةِ أَهْلِهَـا بَقَايَـا تَـسُرُّ الـنَّفْسَ أُنْـساً ومَنْظَـراً
تَـسُرُّكَ طَـوْراً ثُـمَّ تُـشْجِيكَ تَـارَةً فَتَرْتَـاحُ تَأْنِيـساً وتَـشْجَى تَـذَكُّراً

وفي كتاب "نزهة الناظر" لسيدي أحمد بن عبد القادر[2]، و"الفهرسة" لأبي الحسن

---

(1) انظر الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 86.

(2) هو: أبو العباس، أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسى بن محمد بن مبارك التستاوتي، أديب صوفي، من مؤلفاته: نظم ممتع الاسماع وشرحه، نظم رجال التشوف وشرحه، نظم رجال القشيرية وشرحه، وكتاب النزهة ضمنه رسائله في جزئين، وديوان شعر في ثلاثة أجزاء ضخام، توفي في سنة 1127 هـ. انظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 329.

العكاري الحفيد الرباطي[1]، و"المسالك" لليون الإفريقي الغرناطي[2] ما يفيد أن شالة كانت عامرة أوائل القرن الثاني عشر بعد الألف، بل في "تاريخ" الضعيف الرباطي التصريح بأن بعض العمارة بها استمر إلى صدر القرن الثالث عشر أيام المولى يزيد بن محمد بن عبد الله عندما شق عليه عصا الطاعة العرب - أعراب الصباح - الذين كانوا نازلين بأحواز الرباط فوجه إليهم عامله أبا يعزى القسطالي مع قبيلة بني حسن، وعبيد البخاري[3] والودايا والبرابر فاستأصلهم، ثم مكن العبيد من شالة وأمرهم بالدخول إليها فوجدوها مملوءة بالإبل والبقر والغنم والقطائف والزرابي والنحاس والعبيد والخدم والزرع، فغنموا ذلك كله وهدموا البقية الباقية من ديارها، وأخذوا أموال الساكنين بها، وفعلوا من الشناعات بالأضرحة هناك ما يخجل القلم من ذكره[4].

وبهذا كان اندثار شالة وخرابها النهائي فلم يبق من معالمها ومراسمها إلا ما صار مرعى للمواشي والدواب ووكراً للصدى والبوم والغراب، وكان ذلك يوم الجمعة 18 ربيع عام

---

(1) فهرسة العكاري هي كتاب: البدور الضاوية في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، لأبي الحسن، علي بن محمد بن علي، العكاري (الحفيد) المتوفى سنة 1158 هـ في مناقب جده المتوفى سنة 1118 هـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (88د) تحت اسم: " مناقب العكاري ".

(2) لعله كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزاني وقد تقدم الكلام عنه.

(3) عبيد البخاري:هم جيش مؤلف من الأرقاء وغيرهم من السود الأحرار (الحرطانيين) بلغ عددهم في مبدأ الأمر عشرة آلاف جمعهم المولى إسماعيل بن الشريف وبنى قصبة أدخسان وأنزل بها بعضا منهم وأنزل البعض بزواية الدلائين وزوج العزب منهم، وظفر بمراده بعصبيتهم واستغنى بهم عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض حمد الله تعالى وأثنى عليه وجمع أعيانهم وأحضر نسخة من صحيح البخاري، وقال لهم: أنا وانتم عبيد لسنة رسول الله وشرعه المجموع في هذا الكتاب فكل ما أمر به نفعله وكل ا نهى عنه نتركه وعليه نقاتل فعاهدوه على ذلك وأمر بالاحتفاظ بتلك النسخة وأمرهم أن يحملوها حال ركوبهم ويقدموها أمام حروبهم كتابوت بني إسرائيل وما زال الأمر على ذلك إلى هذا العهد فلهذا قيل لهم عبيد البخاري. انظر: الاستقصا، للناصري: 7/ 59 وما بعدها.

(4) قال الضعيف: قد مكن بوعزة ولد القسطالي العبيد بشالة وأمرهم بالدخول فيها وقال لهم: "هي صابونكم" فحملوا منها مالاً كبيراً وجدوها مملوءة بالإبل والبقر والغنم والقطف والزرابي والنحاس والعبيد والخدم والزرع وغير ذلك وحفروا على قبر سيدي يحيى بن منصور نفع الله به ودخلوا فيه على بنات شالة الأبكار بالجامع وبالسادات وفعلوا فيها ما فعلوا، ونهبوا أهل شالة ولم يتركوا لهم شيئا وكل هذا كل في يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول من عام خمس ومائتين وألف 1205 هـ. انظر، تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 402.

1205 ولله عاقبة الأمور.

[قُلْتُ يَوْماً لِدَارِ قَوْمٍ تَفَانَوْا   أَيْنَ سُكَّانُكِ الْكِرَامُ عَلَيْنَا

/15/ا]فَأَجَابَتْ هُنَا أَقَامُوا قَلِيلاً   ثُمَّ سَارُوا ولَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَا[1]] [2]

(1) نسب البيتين لأبي الحزم ابن جهور الوزير الأندلسي، وصحح نسبتها ابن الأبار لجهور بن محمد التجيبي الأندلسي. انظر: مطمح الأنفس، لأبي الفتح الإشبيلي، ص: 18، ونفح الطيب، للمقري: ص: 1/ 525.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ع)، وفي (ح) في هذا الموضع سياق مر من قبل يبدأ بـ " بما نكتفي هنا بالإحالة عليه عن الإشارة إليه، اللهم إلا هذه الكلمة لخصتها مع تصرف من جواب لبعضهم وقفت عليه بعد ذلك وإليك ما هنالك: توجد الآن آثار هياكل أصنام بزاوية شالة وضواحيها.... إلى قوله "وجه الأرض من عهد بعيد. اهـ".

الفصل الرابع
في تاريخ قصبة الرباط[1]

يرى بعض مؤرخي الإفرنج ممن علقوا على "تاريخ" ليون الإفريقي أن القصبة في عهدها الأول كانت حصناً حصيناً بناه الرومان لغرض الدفاع عن مدينة شالة العتيقة[2]، وهذا إن صح دليل على تاريخ القصبة في القديم وربما يؤيده ما جاء في "جغرافية" تيسو صحيفة 233 من [15/ ب] أن ما وجد من قديم الآثار بموضع الرباط يدل على أن بنايات شالة كانت تمتد إلى قصبة لوداية وفم الوادي.

أما مؤرخو الإسلام فغاية ما جاء عنهم في تاريخ القصبة لعهدها الأول أنها كانت قبل بنائها من جملة بقعة الرباط عبارة عن رباط يرابط فيه المسلمون بقصد الجهاد والغزو ضد البرغواطيين، قال ابن حوقل: وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون.

(القصبة في عهد اللمتونيين)

ثبت أن القصبة في عهد دولة المرابطين اللمتونيين؛ أي في عهدها الثاني قبل أن تصير في شكلها الحاضر كانت قصبة صغيرة يسكنها رهط من صنهاجة، وهل هي من بناء تاشفين بن علي آخر ملوك المرابطين؟ أو جده يوسف بن تاشفين خلاف بين ما جاء في "مجلة البعثة العلمية الفرنسوية" وبين ما جاء في كتاب "الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية" المنسوب لابن الخطيب (على ما في تلك النسبة)[3]!

---

(1) في هامش المطبوعة و(ع): كل ما تضمنه هذا الفصل هو مجموع سلسلة مقالات كنت نشرتها تباعاً على صفحات السعادة. ثم رأيت إدماجها هنا خشية الضياع، ولما فيها من الفائدة العائدة. هـ. مؤلفه.

(2) لعل المقصود هو شيفار صاحب التعليق على ليون الإفريقي انظر شالة وآثارها للمؤلف، ص: 11.

(3) هو كتاب: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، لأبي العلاء بن السماك العاملي، المالقي، وقد طبع بتحقيق سهيل زكار، ونشرته دار الرشاد الحديثة سنة 1979م. قال الزركلي في الأعلام 8/ 3025: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، للسان الدين ابن الخطيب، طبع في تونس 1911 م، وأعيد طبعه في رباط الفتح 1936 م مصدراً بجملة: " مجهول المؤلف" وبين الطبعتين اختلاف يسير. قلت: لم تصح نسبة "الحلل الموشية" هذه، للسان الدين ابن الخطيب.

وقال دنية في مجالس الانبساط، ص: 38: الحلل الموشية المذكورة نسبت لابن الخطيب السلماني وذلك غير صحيح ويدل لذلك قطعا ما وقع في آخره أنه ألف عام ثلاثة وثمانين وسبعمائة ، ومعلوم ان ابن الخطيب توفي قبل ذلك عام ستة وسبعين وسبعمائة فيكون التاريخ المذكور متأخرًا عن وفاته بنحو سبعة أعوام ومما يؤيد ما قلناه أن نفس كلامه مباين لنفس كلام ابن الخطيب كل التباين وأن من ذكر تأليف ابن الخطيب وعددها كالمقري في النفح لم يذكره أصلاً وأيضاً ما =

(القصبة في عهد الموحدين)

هذا هو العهد الذي ظهرت به القصبة في شكلها الحاضر، وأدركت فيه ما أدركت من العز والمجد الغابر بما أحرزته في ذلك الأوان من المزايا التي تتفاضل بها البلدان.

كعز المنعة والشنعة[1]، وحصن الصنعة والبقعة، ونضارة المساكن، وحضارة الساكن، إلى غير ذلك مما صارت به القصبة أجدر بقول ابن الخطيب في وصفَ مثلها: "بأنها اقتعدت فم الوادي كرسياً، ورفعها [16/ أ] الله مكاناً علياً، وقربت أبراجها وصوعدت أدراجها، وحصنت أبوابها، وعزز جنابها، ودار ببلدها السور والجسور، والخندق المحفور... إلخ "[2].

على أن بناءها لم يكن له شكل مستقيم فليست مثلثة ولا مربعة، وإنما بنيت على الصخور البحرية بحسب الهندسة الطبيعية التي يقتضيها الموقع الجغرافي للمصب، وكان عبد المؤمن أول ملوك الموحدين[3] هو أول من اتخذها داراً، وجعلها لتخت ملكه قراراً، فاختط بقعتها، وأدار أسوارها، وفتح أبوابها، وأسس مدرستها، وشيد منارها، وبنى مسجدها الجامع وأجرى إليها الماء في [مادة][4] ممدودة إلى صهاريجها من نحو عشرين ميلاً كما في الاستبصار، وكان ذلك بعد رجوعه من فتح فاس سنة 540 هـ.

وأول ما بناه فيها قصره الفخيم، ثم ساباطه العظيم المشار إليه في مقامة البلدان جعله ديواناً يجتمع فيه الوزراء الأعلام، وإيواناً يأوي إليه حملة السيوف والأقلام، ثم ندب خاصته للبناء حول قصره الفاره، فتسابقوا لإقامة المنازل وتشييد المنازه، وهي التي تسمى بقصور السادة في كلام بعض المؤرخين، وكان منها ما بني في الموضع المعروف باسم القصور في الرباط حيث الإقامة العامة بقي هذا الاسم عالقاً من عهد الدولة الموحدية حسبما يوجد في الرسوم الأصلية، ولم يزل عبد المؤمن صارفاً وجه العناية نحو بناء القصبة على الشكل الذي

= فيه من كبير السقطات التي ينزه ابن الخطيب عنها، ولم يعهد صدورها منه في كتبه المعلومة له والسبب الحامل لنسبتها له هو لترويج بين الناس ويقبل عليها وقد أولع كثير بهذا والله أعلم.

(1) كذا في الأصول الثلاثة وتدور معاني الشنعة على القبح والفظاعة!! انظر: لسان العرب لابن منظور:8/ 168، والصحاح، للجوهري: 3/ 1238 (شنع).

(2) لم أقف على عبارة المصنف في مقامة البلدان لابن الخطيب.

(3) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 203، والأنيس المطرب، لابن أبي زرع الفاسي، ص: 235، وجذوة الاقتباس، للقاضي المكناسي: 2/ 446، والإعلام، للسملالي: 8/ 391.

(4) في (ح): قنوات.

وصفنا إلى أن تمت وصارت في حكم المدينة فسماها المهدية كان ينزلها كلما قدم إلى سلا أو أراد إبرام أمر أو تجهيز جيش، كما أشار لهذا في معجم البلدان لياقوت(1) وتقويم البلدان لأبي الفداء(2) وعبارة الأول: (وفي غربي هذا النهر -يعني نهر أبي رقراق- اختط عبد المؤمن مدينة وسماها المهدية كان ينزلها إذا أراد إبرام أمر أو تجهيز جيش)(3).

وعبارة الثاني: [16/ ب] (بنى عبد المؤمن أمام سلا من الشط الجنوبي على النهر والبحر المحيط قصراً عظيماً واختط خاصته حوله المنازل فصار مدينة سماها بالمهدية) اهـ.

والسبب في تسميتها بالمهدية على ما يظهر ما أرشد إليه صاحب كتاب المعجب(4) من أن المهدي بن تومرت هو الذي أمر الموحدين بالبناء على ساحل البحر المحيط حيث القصبة والرباط وأشار لهم بأنه بذلك يفتح الله عليهم، ويجمع كلمتهم... إلخ، فلما أحدثوا القصبة سموها المهدية تذكاراً لاسم المهدي بن تومرت المشير عليهم بهذا البناء، ولما أتموا بعد ذلك بناء الرباط سموه رباط الفتح تحقيقاً لما أشار إليه المهدي المذكور من أنه سيفتح الله عليهم فيه وتذكاراً أيضاً للفتح الأندلسي الذي بني الرباط من غنائمه، وبعد كتبي لهذا وقفت على نص

(1) انظر: معجم البلدان، لياقوت: 3/ 231.

(2) هو: أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر، الملك المؤيد، عماد الدين، صاحب حماة، عالم، أديب، شاعر، مشارك في أنواع من العلوم كالتفسير، والأصلين، والنحو، والفقه، والهيئة، والمنطق، والطب، له من المصنفات المختصر في اخبار البشر، تقويم البلدان، تكلم فيه على مدن المغرب والأندلس، طبع بباريس سنة 1840 م موافق سنة 1256هـ (انظر معجم المطبوعات) صحيفة 334، وقد تكلم على قيمة هذا الكتاب صاحب (كشف الظنون) جزء أول صحيفة 245، وذكر صاحب (الأعلام) جزء أول صحيفة 116 أنه جعل بلادات المغرب في الأقاليم الثالث وبلاد الأندلس في الإقليم الرابع نظم الحاوي الصغير للقزويني في فروع الفقه الشافعي، منظومة الكافية لابن الحاجب في النحو، وغير ذلك، انظر ترجمته في: الدرر الكامنة، لابن حجر: 1/ 371 - 373، طبقات الشافعية، للسبكي: 6/ 84، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي: 9/ 292، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 334، وقد تكلم على قيمة هذا الكتاب، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 42.

(3) انظر: معجم البلدان، لياقوت: 3/ 231.

(4) هو كتاب: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، من نوادر تواريخ الأندلس والمغرب، يقع في مجلد، من الحجم المتوسط لعبد الواحد المراكشي المتوفى سنة 647 هـ ألفه سنة 621هـ تلبية لطلب الوزير الصاحب أبي الفتح الزهري، وهو من مجاهيل الوزراء، وفرغ منه في نفس السنة عرف فيه بدولة الموحدين، وقدم لموضوع كتابه بمقدمة لخص فيها تاريخ الأندلس والمغرب حتى سنة 515 هـ وهي سنة قيام دولة الموحدين، وتراجم لطائفة من شعراء الأندلس والمغرب، وعقد فيه فصلاً ترجم فيه لنفسه أثناء كلامه عن مراكش مسقط رأسه سنة 581هـ. طبع الكتاب مرات كثيرة، أهمها طبعة الاستقامة بتحقيق محمد سعيد العريان سنة 1963م. انظر: مقدمة التحقيق للكتاب المذكور، ص:12، كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 306.

صريح في هذا المعنى جاء في كتاب المشترك وضعاً المفترق صقعاً لياقوت الحموي ولفظه: (والمهدية أيضاً مدينة قرب سلا في أقصى المغرب اختطها عبد المؤمن بن علي ونسبها إلى المهدي بن تومرت صاحبه القائم بالأمر هناك)(1).

(ملاحظة)

هنا توهم البعض من مؤرخي الإفرنج أن تسمية القصبة بالمهدية وقع فيه التباس بمهدية معمورة؛ لأنها هي التي تسمى بذلك، وهو وهْم (بالسكون) لا يخلو من وهَم (بالفتح)(2) نشأ من عدم العلم بما قلناه ونقلناه ومن عدم العلم أيضاً بأن مهدية معمورة(3) لم تكن تعرف بهذا الاسم، وإنما كانت تسمى في القديم بحلق الوادي وبمعمورة فقط إلى أن هدى الله من فيها باتباع الراية الإسلامية سنة اثنتين وتسعين وألف على يد فاتحها السلطان المقدس مولاي إسماعيل، فسماها بالمهدية لذلك وقيل [17/ أ] أنه لما حاصرها وضيق على جيش الأسبان الذي كان بها منذ سبعين سنة خرج إليه راهبها أو قائد جيشها في ثلاثمائة وستة أنفس مستسلماً وبيده مفاتيح المدينة جاء بها هدية للسلطان برهاناً على استسلامه فأمنه السلطان، وقبل هديته، ثم دخل المدينة وسماها بالمهدية لذلك ولا منافاة بين العلتين فإن النكات لا تتزاحم(4) أما قصبة الرباط فتسميتها بذلك قديمة من لدن تأسيسها كما علمت آنفاً، ثم تنوسي اسمها القديم وبقيت تعرف باسم القصبة مضافة تارة إلى سلا قبل بناء الرباط، وتارة إلى الرباط بعد بنائه إلى أن سكن بها جيش الأودابة(5)، فصارت تنسب إليهم وتعرف بقصبة الأوداية كما يأتي.

---

(1) قال ياقوت: سلا مدينة متو سطة في الصغر والكبر موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذاها البحر والنهر فالبحر شماليها والنهر غربيها... وفي غربي هذا النهر اختط عبد المؤمن مدينة وسماها المهدية كان ينزلها إذا أراد إبرام أمر وتجهيز جيش. انظر: معجم البلدان، لياقوت: 3/ 231.

(2) يريد أنه خطأ لا يخلو من اتهام لصاحبه. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 12/ 643، مادة (وهم).

(3) المعمورة أو المهدية، اختطها المهدي الشيعي وزعم الفرنج أن بانيها هو يعقوب المنصور الموحدي، وقد حاصرها أسطول برتغالي عام 921هـ في مائتي مركب فوجه السلطان محمد بن محمد البرتغالى أخاه الناصر فهزم البرتغاليين الذين كروا على الجيش المغربي واحتلوا المدينة وحصنوها ومكثوا بها خمس سنوات ثم استعادها المغرب. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 349.

(4) انظر: الاستقصاء، للسلاوي: 3/ 63.

(5)الأوداية أو الوادية: إحدى جماعات حوز مراكش. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 62.

(الغرض من تأسيس القصبة)

الغرض من تأسيس القصبة يظهر للقارئ جلياً من معرفة السبب الحامل للموحدين على اتخاذ القصبة داراً لملكهم ومرسى لفلكهم والسبب في ذلك هو صلاحية أرضها للرباط، وحشد الجنود نظراً لأهمية موقعها الجغرافي؛ وهو كونها على الشاطئ قريبة من بوغاز جبل طارق وفي نقطة الوسط بين فاس ومراكش، وعلى مقطع الطرق لبلاد المغرب الجنوبية والشمالية التي يقطعها وادي أبي رقراق زيادة عن كونها في أرض غنية خصبة زكية التربة تساعد على تموين الجنود وتجهيز الجيوش، إلى غير ذلك مما جعلها المركز الحربي الذي تؤمه الجيوش وتربط به العساكر للذهاب منه إلى بلاد الأندلس المحتلة برسم الجهاد والفتح ومحاربة الأسبان.

ومما يدل على الغرض المقصود للموحدين من تأسيس القصبة ما هو مكتوب على بابي الساباط من الآيات القرآنية المؤذنة بالجهاد والفتح كآية [17/ ب] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: 1-4] كذا على باب القصبة القبلي مكتوب بالخط الكوفي وكتب على بابها الشرقي ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: 11-13].

(القصبة في عهد بني مرين)

لما دالت الدولة لبني مرين بقيت القصبة هي القصبة معدودة في نظر ملوكها خير عدة للطوارئ والطوارق، ولا سيما في عهد المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق[1] فقد كانت في أيامه أعظم نقطة حربية تغادرها الجنود وترجع إليها منصورة البنود، واستمرت مدة عشر سنين من سنة أربع وسبعين وستمائة إلى سنة أربع وثمانين تمد قصر المجاز والجزيرة الخضراء بعددها وعُددها إلى أن أتم المنصور مهمته من بلاد الأندلس بقهر العدو وتدمير قراره واكتساح ماله وتخريب معاقله وانتساف قواه.

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 265، ص: 616.

(القصبة في عهد السعديين)(1)

لما جاءت هذه الدولة لم يكن بيت القصيد عندها من عدوة الرباط سوى حلق الوادي(2)، وجعله من أهم مراسيها للمصادر والموارد، وبذلك فقدت القصبة أهميتها التي كانت لها أيام الدولتين الموحدية والمرينية ولكنها ما لبثت بفضل موقعها أن استرجعت أهميتها بعد أفول شمس الدولة الذهبية دولة أبي العباس المنصور السعدي المعروف بالذهبي(3)، وذلك عندما قدمت جاليات الأندلس على ولده زيدان فاتخذ منهم جيشاً جراراً [18/أ] جعل فرقة منه بالرباط لتحسينه وتحصينه وأخرى بالقصبة لحراستها وحماية العدوتين من القائم عليه عبد الله بن الشيخ السعدي، ثم رتب في القصبة عاملاً من قبله يعرف بالزعروري(4)، وبسبب هذا العامل وقع ما وقع من النفرة بين أهل الأندلس والسلطان زيدان إلى أن كان من أمرهم ما كان، وإليك البيان.

جاء في التاريخ أن السلطان زيدان بعث مرة للقائد الزعروري أن يجهز إلى درعة أربعمائة

---

(1) الدولة السعدية: إحدى الدول التي قامت في حاضرة مراكش، وكان الملك قبلها للوطاسيين، من سنة 876هـ حتى 961 هـ فلمّا ضعفوا خاف أهل السوس الاقصى أن يتغلب عليهم من لا يطاق دفعه، فانطلقوا إلى قبيلة فيهم حسنية النسب قدم جدها من المشرق سنة 664 هـ، واشتهر من رجالها أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف، وكان سديد الرأي عالي الهمة فبايعه أهل السوس سنة 915 هـ ولقبوه (القائم بأمر الله) وعرفت دولته بدولة (الاشراف السعديين) إشارة إلى شرف نسبهم وتفاؤلا بسعد الناس في أيامهم أو لانتسابهم لبني سعد القبيلة العربية التي كان فيها رضاع النبي وهو ما يرميهم به شانئوهم. وامتدت سلطتهم إلى سنة 1069 هـ فكانت مدتهم 154 سنة. انظر: الاستقصا، للسلاوي: الجزء الخامس.

(2) حلق الوادي أي وادي سبو أو المعمورة أو المهدية تقدم الكلام عليها آنفاً ص: 45.

(3) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن علي السعدي، من آل زيدان، المنصور بالله، من سلاطين الدولة السعدية، ولد بفاس واستخلفه أخوه عبد الملك عليها، وولاه قيادة جيوشه، ثم انتهت إليه الإمرة بعد وفاة المعتصم سنة 986 هـ فساس الرعية بحكمة وحسن إدارة، وكان شجاعا عاقلاً، داهية في سياسة الملك، محباً للغزو والفتح، وانتقل من فاس إلى مراكش سنة 989 هـ، ووجه جيشاً إلى الصحراء فاستولى على كثير من ربوعها، وهو أول من أحدث معاصر السكر في مراكش وحاحة وشوشاوة، وأنشأ بفاس المعقلين الكبيرين المعروفين عند العامة بالبستيون، وبنى حصنين وثيقين بثغر العرائش، وإليه تنسب الثياب المنصورية في المغرب، وكان محبا للعلم، كتب إلى بعض علماء مصر يستجيزهم فأجازوه، توفي بالمدينة البيضاء خارج فاس الجديدة مطعوناً بالوباء سنة 1012 هـ فدفن فيها ثم نقل إلى مراكش. انظر ترجمته في: المنتقى المقصور على مآثر خلافة المنصور، لابن القاضي المكناسي، والاستقصا، للسلاوي: 5/ 42، ونزهة الحادي، للإفراني، ص: 78، وخلاصة الأثر، للمحبي: 1/ 222، والإعلام، للسملالي: 2/ 46.

(4) أحد قواد المولى زيدان السعدي وعماله من قبيلة زعير احدى القبائل العربية بالمغرب. انظر: الاستقصا، للناصري: 6/ 51، ومعلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 21.

من الأندلسيين أهل القصبة فجهزهم إليها، وطالت غيبتهم بها إلى أن فرَّ أكثرهم ونفرت قلوبهم عن الزعروري وسلطانه فكان زيدان يبعث إليهم بتجديد البعث إلى درعة فيأبون الانقياد إليه في ذلك وكرهوه وأزمعوا على خلع طاعته، ثم وشوا إليه بقائده الزعروري، فبعث زيدان بالقبض عليه فقبض عليه ونهب أهل الأندلس داره، وكتبوا إلى السلطان بذلك مظهرين طاعته مكيدة ونفاقاً، فبعث إليهم مولاه وقائده المملوك عجيباً، فمكث بين أظهرهم مدة فلم يعبئوا به وصاروا يهزءون به، ثم عدوا عليه فقتلوه، وتولوا الحكم على أنفسهم باتخاذ عامل من بين أشياخهم جعلوه تحت إشراف مجلس نيابي لمدة معينة ثم يجددونه بطريق الانتخاب، كما كانت عادتهم بالأندلس حين استولى عليهم العدو وبقوا منعزلين عنه أياماً قبل هجرتهم للمغرب.

ثم استفحل أمرهم لما تلاشت سلطة السلطان زيدان وأعياه أمر المغرب فأعرض عنه وصرف عنايته إلى ضبط ما خلف وادي أم الربيع إلى مراكش وأعمالها، إلى أن توفي وتوارث بنوه من بعده سلطنته على ذلك النحو، وبقي عبد الله بن الشيخ السعدي يقطع الأيام بفاس إلى أن توفي وقام بأمر فاس من بعده ثوارها وسيابها وبقي المجاهد أبو عبد الله العياشي(1) قائماً بأمر سلا وأعمالها ما عدا الرباط والقصبة اللتين كانتا تحت حكم [18/ ب] الأندلسيين الذين تم لهم بفضل استعدادهم ومعارفهم القبض على زمام استقلالهم مدة مديدة تناهز الثلاثين سنة، رغماً عما كان للعياشي من التشوف للاستيلاء عليهم إلى أن توفي العياشي وبقيت سلا بيد رؤسائها كالرباط والقصبة(2).

وهذا هو التاريخ الذي كان الحكم في العدوتين معاً جمهورياً بحيث لم يكن جنوحهما

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد العياشي، من بني مالك ابن زغبة الهلاليين، مجاهد، كانت له رياسة ودولة، توجه إلى (آزمور) سنة 1013 هـ، مجاهداً الإفرنج (البرتغال) وأظهر بطولة وعلماً بالمكائد الحربية، واشتهر، فولاه السلطان زيدان بن أحمد السعدي ثغر الفحص، وبلاد آزمور؛ فكانت له وقائع كثيرة مع البرتغاليين، وعزل بوشاية سنة 1023 هـ فخرج إلى (سلا) وضعف أمر السلطان زيدان، وانتشرت الفوضى في بلاد كانت منها (سلا) فكتب أشياخ القبائل وأعيانها من عرب وبربر، ورؤساء بعض الامصار وقضاتها ظهيراً للعياشي، بأنهم يلتزمون طاعته ويرضون قيامه للجهاد ويقاتلون من يخرج عن أمره، وخالفه بعض أنصار الفتن، فأخضعهم، وهاجم حصوناً وثغوراً للإفرنج، فصحبه الظفر، وثارت فتنة بفاس بين فريقين من أهلها، فقصدها وأصلح بينهما.

انظر ترجمته في: الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد، لعبد القاهر بن محمد بن أحمد بن الحسن املاق، مخطوط الخزانة العامة في الرباط تحت رقم 91/ د، والاستقصا، للسلاوي: 6/ 73 وما بعدها.

(2) انظر: الاستقصا، للسلاوي: 6/ 35، وما بعدها.

للمخزن سوى صورة فقط، وصار الأوروبيون أنفسهم لا يعتبرون من مملكة المغرب سوى مقاطعة سلا وكم لهم مع رؤساء العدوتين من معاملات تجارية ومعاهدات سياسية ما زال التاريخ يحفظها وقفت على بعضها بإمضاء أربعة من رؤساء سلا والرباط؛ وهم عامر بن محمد وأبو الطيب بن عبد الرحمن عبدون والحاج يوسف السنسياض والأمين سعيد أجنوي، وذلك بتاريخ ثامن رجب عام ثلاثة وخمسين وألف، كما وقفت على معاهدة أخرى بتاريخ 1060 هـ، وعليها إمضاء المذكورين ما عدا إمضاء عامر بن محمد، ثم زيادة إمضاء عبد الله القصري، ومحمد بن عمرو والحاج محمد فنيش والحاج إبراهيم معنينو، وإبراهيم الدك وأبو عزة بن محمد بن طلحة والحاج محمد الزبدي، وكان عثوري على هاتين المعاهدتين بإيقاف من جناب العالم المستعرب المستشرق الأثري المسيو دو كاستري.

ثم رأيت له في تاريخه الموضوع في أصول التاريخ المغربي جملة رسائل أخرى من هذا القبيل منها ما هو مأخوذ بالفوتوغراف، ومنها ما هو مشار إليه فقط، وقد تنزل في تاريخه المذكور إلى شرح الحالة التي كان عليها أهل سلا وأهل الأندلس في عهد استقلالهم وجمهوريتهم، فصرح بأن أسطولهم في ذلك الوقت كان يسطو على أساطيل البحار، وقرصانهم كان الحكم العدل في تلك الأعصار، وأن القوة البحرية التي أنشأها الأندلسيون كانت أشد تأثيراً على أوربا من القوة البحرية [19/ أ] الجزائرية التي كانت للأتراك بالجزائر -قال- لأن المراكب الشراعية الأندلسية كانت أكثر عدداً وأوفر مدداً، وكان بحارتها وعساكرها أشد جرأةً وأزيد خبرة بالمراوغة البحرية وبفنون الملاحة والرماية، ثم عرج المؤرخ في كتابه المذكور على ذكر الوقائع البحرية التي كان يقوم بها الأندلسيون الغزاة المعروفون عند الإفرنج باسم لصوص البحر أو لصوص سلا، فذكر أن هؤلاء اللصوص هم من أهل الأندلس ساكني القصبة؛ وذلك أنهم لما استقلوا بأنفسهم وأنشئوا أسطولهم صرفوا عزمهم إلى التضييق على أهل أوربا وشن الغارات عليهم، أما الأوربيون فقد حسبوا لذلك ألف حساب وكثيراً ما حاولوا سد البواغيز في وجوه أولئك الغزاة، فلم ينجحوا واضطروا لإيفاد الرسل من قبلهم لتقرير أسباب الهدنة والصلح وافتداء الأسارى منهم بالأموال والمدافع وغيرهما، مما زاد في طينتهم بلة حتى صاروا أصحاب ثروة طائلة وقوة هائلة، وكان لهم بالقرب من جامع حسان معمل خاص لصنع المراكب القرصانية والآلات الحربية، وكانت هولندا الدولة البحرية في ذلك الوقت تساعدهم كثيراً بما يحتاجونه من آلات وأدوات وعملة وصناع، ولم يكن استعدادهم أول الأمر إلا من أجل شن الغارة على أسبانيا عدوتهم، وكم

حملوا عليها من حملات شعواء أقلقت راحتها وأقامت نياحتها، ولكنهم ما وقفوا عندها بل جاوزوها إلى كثير من بلاد أوربا فغنموا من المراكب والسفن البحرية ما تجاوز المئين ومن الأسارى والسبايا ما قدر بالآلاف، ومن النقود الذهبية ما عد بالملايين، بل صرح المسيو دوكاستري بأنه من عام 1618 إلى عام 1626 مسيحي أسروا من الفرنج ستة آلاف نسمة وأخذوا من الأموال خمسة عشر مليون ليبرة، ومن عام 1629 إلى [19/ ب] عام 1639 أخذوا نحو السبعة والعشرين مليونا دوكا، وغنموا في مدة عامين فقط أربعين مركباً كانت بسواحل أوربا تصطاد الحوت إلى غير هذا مما ألم بذكره في شرح لصوصيتهم ووقائعهم الخارجية، ثم تنزل بعد ذلك لذكر الوقائع الداخلية التي كانت تقع تارة بين أهل القصبة وأهل الرباط وتارة بينهم وبين العياشي أمير سلا، وذلك ما أتينا على ذكره في فصل حوادث الرباط الآتي بحول الله، ومنه تعلم أن القصبة كانت أحياناً مستقلة بنفسها تماماً حتى عن الرباط وأياماً محالفة للرباط ضد العياشي، وآونة محالفة لسلا ضد الرباطيين، وأوقاتاً كانت من جهة المخزن تابعة للأشراف السعديين أو السادة الدلائيين وسيأتي.

(القصبة في عهد الدلائيين)

رأيت أن أقتصر في هذا الفصل على ما جاء في رحلة مويط الفرنساوي الأسير بسلا عام 1670، فقد ذكر في الفصل الثاني عند كلامه على مدينة الرباط ما وقفت على ترجمته وإليك ذلك.

قال صاحب الرحلة: "وقد كانت هذه المدينة (يعني الرباط) جمهورية مستقلة سنين عديدة، وذلك منذ طرد ملك الأسبان لجالية الأندلس من غرناطة بسبب ما أثاروه من الفتن عليه، ولما وصلوا إلى سلا عقب تلك الفتن وكانوا يريدون أن يعيشوا أحراراً مستقلين ورأوا أنفسهم أكثر عدداً وأشد قوة من سكان سلا الأصليين أرغموهم على عدم الاعتراف بأي سلطان كان، وخلع طاعة الملوك الوقتيين كابن أبي بكر الدلائي[1] الذي كان دخل إلى بلادهم ووعدوه ببيعته فحاصروا ابنه عبد الله أمير القصبة، ومع أن عمره [20/ أ] إذ ذاك لم يتجاوز 15 عاماً فقد قام بالدفاع أحسن قيام مظهراً للشجاعة والشهامة بضع سنوات، وكان

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر الدلائي، الصنهاجي، عالم وإمام شهير له عدد من المصنفات. انظر ترجمته في: مرآة المحاسن، لمحمد العربي، ص: 225، ونشر المثاني، للقادري: 1/ 339، وصفوة من انتشر، للإفراني، ص: 67، والإعلام، للسملالي: 5/ 263، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 29، الزاوية الدلائية، لمحمد حجي، ص: 79.

يعينه على ذلك ملك البرتغال والدوك مديناكلي سينيور دبورسانط مري قرب قادس، ويمدانه بالميرة والسلاح ويبعثان إليه بالسفن المشحونة بالذخائر الحربية والأقوات؛ لأن أباه ابن أبي بكر كان قد وجه سفراءه إلى أصبانيا والبرتغال مستنجداً بهما، وحيث كان مدخل الوادي ممنوعاً على أهل سلا بسبب إشراف القصبة المحاصرة عليه، وكان أهل البادية يعادونهم حصلت الشدة في المعيشة وقلت الأقوات لديهم، فجلب إليهم عدد من التجار المسيحيين سفناً مشحونة بالقمح وأنزلوها على الساحل الكائن ما بين المعمورة وسلا، فربحوا بذلك أموالاً طائلة؛ لأن الأندلسيين المهاجرين كانوا يشترون القوت منهم بما جلبوه من الحلي والجواهر التي جاءوا بها من الأندلس فاستولوا على ثروتهم بسبب ذلك ولما اشتد الحصار على الأمير عبد الله طلب المخابرة مع رئيس سفينة إنجليزية وردت إلى أمام القصبة ووعده بتسليمها له بشرط أن يدفع ملك إنجلترا لأبيه ألف قنطار من البارود مع ألف مكحلة، فقبل الرئيس الإنجليزي المذكور ونزل إلى القصبة مع مائتين من بحارته، وعزم على تركهم هناك محتلين لها ويبقى معهم حتى يوجه إلى إنجلترا سفيراً يتذاكر مع حكومته فيما راج بينه وبين الأمير عبد الله، فأقام بالقصبة من الأربعة إلى الخمسة أيام، ولكنه لم يجد ما يقتات به هو ومن معه فيها مدة انتظاره لرد الجواب من حكومته، فقال حينئذٍ للأمير عبد الله أنه سيتوجه بنفسه ويتذاكر مع ملك إنجلترا فيما طلب منه، ولما ركب البحر ورجع إلى سفينته بمن معه ضيق الأندلسيون على الأمير وأخذوا بمخنقه وألزموه الخروج من القصبة والتخلي عنها، وإن لم يرحل عنها أوقدوا لغماً كانوا قد [20/ ب] حفروه له تحت القصبة وهدموها عليه، وكان الذي صنع اللغم المذكور أسير طلياني بعدما لين الصخور بصب الخل عليها، وأتقن ذلك غاية الإتقان؛ لأن أهل الأندلس وعدوه بإطلاق سراحه إن نجح في عمله، فلما بلغ الأمير عبد الله ذلك وجه رجلين من خاصته ليشاهدا اللغم المذكور ويخبراه بكيفيته، فرجعا إليه وأعلماه بأنه إن لم يبادر بالتسليم سقطت القصبة عليه، وهلك هو ومن معه، فتخابر حينئذٍ مع الأندلسيين وتصالح معهم وقبلوا مطالبه التي منها تسليم الطلياني صانع اللغم إليه فقتله شر قتلة، ولما خرج من القصبة عقد الأندلسيون مؤتمراً للمذاكرة في مصالحهم وكان أهل الحل والعقد منهم حينئذٍ من نقلت إلينا أسماؤهم وهم الحاج عبد الله فنيش، أحمد سنتياك، وهما الرئيسان، ومرينو وسكور ضوس، والزهرا، وابن طوجا، والزبدي، والتونسي، والقرطبي، وبلانسيانو، وبلانكو، ومنينش، وجمع وافر لم نذكر أسماءهم، والكل من أعيان ووجوه العدوتين. فاقتضى نظرهم جميعاً أن يحفروا خندقاً حول

القصبة تحصيناً لها وقدروا لذلك نفقة وتذاكروا في كيفية إجراء الأشغال وعجلوا بتنفيذ ذلك، فكان يعمل في ذلك الخندق كل يوم ما يزيد على 500 رجل واستمر العمل فيه مدة أشهر، ولكن صعب الأمر من الجهة القريبة من البحر؛ لأنهم أجبروا على نحت الصخور وصرف الوقت في معالجة هذا العمل الشاق وقصرت بهم النفقة فأمسكوا عن العمل، وقد وقفت على أثر هذا الخندق ورأيته غير تام، وبقيت الحكومة الجمهورية على ما ذكرنا إلى أول خلافة مولاي الرشيد.

(القصبة في عهد الدولة الشريفة)[1]

[21/أ] قد علمت ما كان لقصبة الرباط الأثرية من المجد التاريخي في عهد صولتها عهد الجمهوريين من الأندلسيين والغزاة المعروفين عند الإفرنج باسم اللصوص البحريين، ولم تزل القصبة مستقلة ضد السعديين والعياشيين والدلائيين إلى أن أشرقت عليها شمس دولتنا الشريفة وجاء السلطان المظفر المولى رشيد بن المولى الشريف العلوي فشملها برشده وأدخلها تحت حكمه سنة 1079 هـ بعد ما وحَّد كلمتها مع الرباط وسلا، وأعاد الأمن والسكينة إلى نصابها بين المدن الثلاث حتى صرن في حكم المدينة الواحدة تحت ظل راية دولته وقيادة عامله السيد عبد القادر مرينو الأندلسي[2] بالرباط والقائد الحاج محمد فنيش بسلا، وفي بعض قدماته إلى الرباط أمر بتوسيع نطاق القصبة والزيادة في سورها الذي لم يكن يبلغ امتداده من القبلة سوى مائة وثمانين ميتراً، ثم جعل في حده برجين ما زالا قائمين إلى الآن على ما جاء في كتاب "أصول التاريخ المغربي" للمسيو دوكاستري، وهذا السور هو المحيط الآن بالمحل المعروف اليوم بالمدرسة جوار القصبة وما عداه من البناء كله من آثار السلطان المقدس مولاي إسماعيل حسبما تنطق بذلك الكتابة الموجودة بصفحة قناطر حلقة الدار التي ابتناها هناك مع المسجد والحمام محلاً لإقامة خليفته بالعدوتين ونص الكتابة (الفتح المبين والنصر المكين لمولانا إسماعيل أمير المؤمنين، وإنما أطلق عليها اسم المدرسة استصحاباً لأصل المحل الذي كان مدرسة قديمة لتعليم فن الفلاحة[3]، ولذا جاء [في][4] منشور إدارة

---

(1) أي دولة الشرفاء السجلماسيين العلويين. انظر: الاستقصا، للناصري: الجزء السابع وما بعده.

(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 209، ص: 558.

(3) كذا في الأصول ولعلها الملاحه.

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

الآثار أن الظاهر من آثار هذه المدرسة أنها أقدم من أبنية يعقوب المنصور باني الرباط، وهي عبارة عن مدرسة لعلم الملاحة دخلت عليها بعض الطوارئ فأحدثت فيها تشويهاً وتحريفاً في نسق صناعتها حتى صار [21/ ب] يصعب على المتأمل الخبير أن يعرف بكل تدقيق الزمن الذي بنيت فيه. اهـ.

وقد اهتمت الإدارة المذكورة بهذه المدرسة فضمتها مع القصبة إلى جملة المآثر التاريخية القديمة بالرباط بعدما مدت فيها يد الإصلاح في القاعة المشرفة على العرصة والجدار النافذ الذي كان متداعياً، مع تنظيف السقوف وتبديل بعض الأخشاب وفتح بعض النوافذ هناك، وترميم المسجد وجعل البناء المجاور له ردهة لعرض بعض الآثار الجميلة، وكان سكان القصبة اتخذوا حمامها محلاً للسكنى فأخرجوا منه إلى منازل أخرى بالقصبة وأعيد الحمام إلى ما كان عليه بعد إصلاحه وفرشه بالرخام، وهو اليوم من ألطف حمامات الرباط شكلاً وأجمعها لشروط النظافة والاستحمام، وكانت الدار وما حولها مشوهة بأزبال الخيل وكثرة المطابخ والأروية، ووجد داخلها مقطوعاً بعوارض من خشب العمل الذي يشير إلى ما كان يوجد بها من بيوتات السكنى، فاهتمت الإدارة بنزع تلك الحواجز والعوارض إلى أن ظهرت المدرسة في جمالها التاريخي وشكلها القديم في العهد الرشيدي والإسماعيلي، ولما اتخذها مولاي إسماعيل محلاً لإقامة خليفته عمَّر القصبة برهط عبيد فُلاَّنَة[1] أنزلهم أدالة بها، وزاد في القصبة زيادات أخرى استفدناها من ترجمة رحلة مويط الفرنساوي الأسير بسلا لهذا العهد[2]، وقد وصف القصبة بما شاهده وصفاً كاشفاً رأيت من الفائدة نقله هنا برمته، وهذا نص المراد من ترجمته، قال: ويوجد بالرباط قصبتان جديدة وقديمة، أما القصبة القديمة فهي التي تقدم ذكرها فيما سردناه من الحوادث، وهي مبنية على مصب نهر أكرو بدون فاصل وأسوارها شاهقة جداً من الجهة الموالية للوادي، ومبنية فوق الصخور البحرية وقد [22/ أ] بنيت دار القائد في ذروة القصبة وهي مكشوفة لرمي المدافع، وليس لبناء هذه القصبة شكل مستقيم فليست مربعة ولا مثلثة، بل بنيت على حسب المكان الطبيعي الموجود هنالك، وقد بنيت الأسوار الموالية للنهر بالصخور المنحوتة المربعة، وزاد فيها المولى إسماعيل من الجهة المذكورة

---

(1) فلانة بوزن رُمّانة قبيل من السودان وإليها ينسب صالح العمري المعروف بالفلاني، عالم بالحديث مجتهد، من فقهاء المالكية المجاورين بالمدينة، ووفاته بها سنة 1214 هـ. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 228 والأعلام، للزركلي: 3/ 195.

(2) انظر: الاستقصا، للسلاوي: 7/ 194.

أبراجاً مربعة الشكل، تمتد تلك الأسوار إلى جهة القنانيط، ويوجد في هذه القصبة أمام الباب العظيم الذي عليه دفف بالية حصن مرتفع فيه مدافع موجهة نحو المدينة، وتحت الجهة الموالية للبحر يوجد بستيون مبني على الصخور مسامت للمصب، وفيه خمسة مدافع بقصد حماية السفن المرسية بالوادي وتسهيل دخول القراصين الملتجئة إلى النهر المذكور إثر مطاردتها مع السفن المسيحية، وحيطانه من جهة البحر ليست مرتفعة ويمكن تسلقها بسهولة، وداخله معمور بالتراب والزبل، ويوجد في هذه الجهة أيضاً ما يقرب من عشرين مدفعاً من العيار المتوسط بقصد الدفاع عن القصبة من البحر، وفي هذه الجهة يوجد السرداب ذو الدرج المؤدي إلى البحر ويسلك منه إلى البستيون الذي وصفناه إلى البحر، ويطلع منه إلى وسط القصبة، وليس فيها ماء للشراب عدا ما يجمع من ماء المطر في المطافئ، وفيها مطفية كبيرة بالقصبة يجمع فيها ماء المطر المنصب على أسطحة الدور، وبها آبار قليلة وماؤها غير عذب وتُورد منه البهائم، وأما القصبة الجديدة فهي التي توجد في جنوب غرب المصب أسسها المولى الرشيد وهي مربعة الشكل، وعليها أبراج حصينة وأسوارها ذات شرفات جميلة ويسلك منها إلى الأخرى بحائط مرتفع عليه برجان مبنيان على أقواس، ويسلك من تحت إحداهما إلى البحر، وكان فيها وقت كوني بسلا اثنا عشر مدفعاً من النحاس مختلفة العيار. اهـ المراد. [22/ ب] ولم يذكر الدار وما حولها من الآثار الإسماعيلية التي أشرنا إليها آنفاً فلعلها أُحدثت بعده كما لم يذكر من كان يسكن القصبة القديمة لعهده، وقد قلنا إنها كانت في ذلك العهد معمورة بالعبيد نزلوا أدالة بها وبقيت في يدهم إلى أن بعث السلطان المولى عبد الله ولده الأكبر المولى أحمد للرباط نائباً عنه بها فجاءها ونزل بالقصبة وانضاف إليه عبيدها، واستمر خليفة بها إلى أن سمع أهل العدوتين ما عامل به الرحامنة سيدي محمد بن عبد الله خليفة مراكش، فجرى هؤلاء على سننهم واتفقوا على طرد المولى أحمد بن عبد الله عن بلادهم، فتقدموا إليه بالحرب وحاصروه بالقصبة ومعه عبيد فُلاَّنة، وقطعوا عنهم الميرة والماء إلى أن مسهم الجهد وعضهم الحصار فطلبوا الأمان أن يخرجوا بأنفسهم، فأمنوهم وخرج المولى أحمد فارّاً بنفسه، ولما خرج عمد أهل الرباط إلى عبيد القصبة فأنزلوهم منها، وفرقوهم بالمدينة حتى لا تبقى لهم شوكة ولا عصبية، وكانت هذه الحادثة من أعظم الأسباب التي أوغرت قلب السلطان سيدي محمد بن عبد الله على أهل الرباط، حتى هم بعد سلطنته سنة 1187 هـ بنفيهم من بلادهم إلى ثغر الصويرة، فاستفتى في ذلك علماء فاس فلم يسوغوا له ذلك حسبما في أواخر الجزء التاسع من

المعيار الجديد صفحة 355 لشيخنا مفتي الديار المغربية قدس الله روحه[1].

ولما جاء السلطان سيدي محمد بن عبد الله إثر مبايعته إلى الرباط نظر إليه نظر اهتمام واغتباط، وشاءت همته أن يتخذه لملكه داراً ولنفسه قراراً، فأشار ببناء داره الكبرى بأكدال الذي انتهجه طرقاً، وفصله أزقة ودوراً وحوانيت ومساجد لمن أنزلهم هناك من العبيد والحرس بقصد حراسة داره كما جاء تفصيل ذلك في "تاريخ الضعيف الرباطي"، ثم أجرى يد الإصلاح في المدينة وفي كثير [23/ أ] من مساجدها وأبراجها وصقائلها، ولا سيما قصبتها التي هي موضوع كلامنا، فقد أصلح ما تهدم منها وبنى فيها بستيوناً يقابل سلا وآخر يقابل البحر يسمى برج خنزيرة[2]، وجعل في الساباط بيت المال أحكم بناءه وجلد بابه بالحديد، كما جدد باب القصبة وتناول كل فاسدة وبالية بالإصلاح والتجديد، ثم عمرها بالعبيد الذين كانوا معه بالمنشية وبهم عادت القصبة لأدالتهم من جديد، وكان قد فرق على الثغور باقي عائلتهم توهيناً لعصبيتهم، ودفعاً لغائلتهم.

وكان المولى يزيد أيام خلافته كثيراً ما ينزل بينهم في القصبة كلّما قدم للرباط في جملة الثغور التي كان والده يوجهه إليها؛ ليقف على الملازمين لصقائلها وأبراجها ويعلمهم بنفسه ما يحتاجون إلى تعلمه حيث كان خبيراً بفن الرماية ولوعاً بصناعة الرمي بالمهراس، وفي بعض قدماته هم ببناء دار له في القصبة فأخذ في تأسيسها وتخطيطها، ولكنه كما قال ابن الخطيب في مثله: (هَمَّ وما أتم)، وما زالت رسوم داره ظاهرة إلى الآن معروفة بدار مولاي اليزيد، ولما خرج جيش الودايا على السلطان مولاي عبد الرحمن، وظفر بهم في خبر طويل قطعهم في الأرض أمماً فنقل منهم أهل السوس إلى الرباط وأنزل حلتهم بالمنصورية على شاطئ وادي النفيفخ وقوادهم ووجوههم بالقصبة الرباطية التي صارت من هذا الحين تنسب إليهم وتعرف بقصبة الودايا كما هو اسمها اليوم، وكان القائد عليهم أبا العلاء إدريس بن حمان الجراري الشهير جد آل الجراريين الموجودين بالرباط، وبعد وفاته تولى قيادة القصبة مكانه ولده القائد الجيلاني، وبعده انتقلت من بيت الجراريين بولاية القائد حمان بن عبد الله المطاعي الأودي، ولم يدم طويلاً في ولاية القصبة بل [23/ ب] استعجلته المنية قبل إدراك الأمنية وبوفاته عادت قيادة القصبة لبيت

(1) هي النوازل الكبرى أو "المعيار الجديد" لأبي عبد الله، محمد المهدي الوزاني، الفاسي، المتوفى سنة 1342 هـ طبع في عشرة أجزاء بفاس سنة 1318 هـ.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيد، للضعيف: 1/ 328.

الجراريين فأسندها السلطان مولاي عبد الرحمن إلى محل ولده القائد محمد بن إدريس الجراري والد صديقنا باشا آسفي الحالي، وحبينا الكاتب الأول بوزارة الأحباس ودام القائد محمد بن إدريس في ولايته على القصبة نحو أربعة أعوام متوالية، ثم بعثه السلطان لمراكش للالتحاق بخليفته سيدي محمد بن عبد الرحمن(1) وولي على القصبة القائد محمد بن الشرقي الأودي، ثم تولى قيادتها من بعده القائد الحاج الطيب بن الجيلاني الأمطاعي المعروف بولد الخيمة، ثم ولي عليها من بعده القائد الجيلاني بن الشرقي نجل القائد محمد بن الشرقي المذكور، ثم تولاها القائد محمد بن الحاج الأودي وبعده رجعت قيادة القصبة ثالثاً إلى بيت الجراريين فتولاها القائد الحاج علال بن القائد إدريس المتقدم، وبعد وفاته تولاها أخوه القائد المهدي بن إدريس دام في ولايته ثماني سنين، ثم خلي عنها واستخدم بدار المخزن أيام خلافة مولاي عبد العزيز(2) وولي مكانه القائد قاسم بن بوعزة الزيراري الأودي، وبقي بها إلى أن قبض عليه آخر سلطنة مولاي عبد العزيز، وجاء في محله القائد إدريس بن العربي الصويني الجراري، وفي العهد الحفيظي أطلق سراح القائد قاسم وشرك هو والقائد إدريس في الولاية على القصبة وقبيلة الأودايا، وداما كذلك إلى أن توفي القائد قاسم فاستقل القائد إدريس وحده بولايته وهو قائد الودايا الموجودين بحوز الرباط خاصة، وأما القصبة فقد أضيفت بعد نشر الحماية إلى عمالة الرباط فصار العامل عليها وعلى فرقة الأودايا الموجودين بها هو عامل الرباط وهو اليوم سيادة الباشا المحترم الفقيه السيد عبد الرحمن بركاش أيده الله [24/ أ] على أن القصبة في العهد الحاضر لم تبقَ كما كانت عليه سابقاً خاصة بسكنى الودايا، بل صار يسكنها كثير من الرباطيين والفرنساويين، وأحدثت فيها عدة ديار من الطرز الحديث مع بعض المكاتب إدارية، ولا سيما بعدما مدت لها إدارة الآثار يد الإصلاح في داخلها وخارجها، وكذلك في أحد بابيها الذي كان مغلقاً من عهد قديم ففتحته وأعادت إليه بهجته ورونقه وأقامت لافتتاحه احتفالاً شائقاً حضره سعادة

---

(1) هو: محمد بن عبد الرحمن بن هشام، الحسني، من ملوك الدولة السجلماسية العلوية بالمغرب الاقصى، بويع في أوائل سنة 1276 هـ. انظر ترجمته في: الاستقصا، للسلاوي: 4/ 211، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 3/ 366.

(2) هو: أبو فارس، عبد العزيز بن الحسن بن محمد الحسني، العلوي، سلطان مراكش وابن سلطانها بويع بعد وفاة أبيه سنة 1311 هـ فأنشأ داراً للآثار بفاس، وهو أول من أدخل نور الكهرباء إليها، نزل عن الملك سنة 1326 هـ. انظر ترجمته في: الدرر الفاخرة، لابن زيدان، ص: 111، والاستقصا، للناصري:4/ 278.

المقيم العام وحاشيته وألقيت بهذه المناسبة خطب عربية وفرنساوية، وكان ذلك في يوم الجمعة غرة عام 1915 موافق 9 صفر عام 1333، وفي هذا الافتتاح أنشأ حبيبنا الشاعر الأستاذ السيد محمد معمري قطعة شعرية لتنقش بواجهة الباب المذكور رأيت أن أختم بها هذا الفصل بيد أن في تاريخها وقفة من جهة أن كلمة (سلام) بحساب الجمل عندنا[1] تعد بثلاثمائة وواحد وسبعين لا بمائة وواحد وثلاثين كما في الرقم، والخطب سهل فإن الشعر ريحانة لا تفرك وإنما تشم قال حفظه الله على لسان الباب:

أَيَا وَاقِفاً بِالرَّحْبِ عُجْ بِي مُسَلِّمَا ... أُشَاطِرْكَ آيَاتِ التَّعَجُّبِ أَسْهُمَا

فَقَدْ كُنْتُ فِي عَصْرٍ مَضَى مَوْئِلَ ... أُرَدِّدُ أَنْفَاسَ الْكَآبَةِ مُسْقِمَا

وَ صِرْتُ بِحَمْدِ اللهِ بَابَ سَعَادَةٍ ... أَرَى كُلَّ يَوْمٍ لِلسُّرُورِ مَعَالِمَا

بِفَضْلِ أَمِيرٍ شَيَّدَ الْحَقُّ مَجْدَهُ ... وأَسْكَنَهُ فِي الْعِزِّ بَيْتاً مُدَعَّمَا

أَمِيرِ النُّهَى شَمْسِ الْمَغَارِبِ يُوسُفٍ ... وشِبْلِ الْعُلا بَدْرِ الدُّجَى حَمَى الْحِمَى

وَ كَانَ لَهُ عَوْناً بِجَبْرٍ مَكَاسِرِي ... مُقِيمُ فَرَنْسَا بِالرِّبَاطِ مُخَيِّمَا

لِيُوطِي هُمَامٌ قَدْ عَلَا بِمَحَامِدٍ ... وقَارَنَ مَثْوَاهُ مِنَ الْفَخْرِ أَنْجُمَا

فَعَدِّدْ لَهُ فَضْلَ الْجَمِيعِ مُؤَرِّخاً ... سَلامٌ لِمَنْ يُعْلِي مَنَارِي تَكَرُّمَا[2]

[24/ ب]

❋ ❋ ❋

---

(1) في هامش المطبوعة و(ع): (300، 31، 40- 371، 300، 31، وهذا اصطلاح المغاربة، أما في اصطلاح جماعة منهم الإمام الغزالي فالسين بستين 60، 31، 40- 131.

(2) في (ع): كتب بالأرقام تحت الكلمات هكذا: (سلام 131، لمن 120 يعلي 120، مناري 301، تكرماً 661-1333.

الفصل الخامس
في تاريخ مدينة الرباط

كان الرباط قبل بنائه مربطاً لجيش ملوك الإسلام المترددين على فنائه، ولا سيما جيوش المرابطين الذين كانوا يجاهدون ضد البرغواطيين، قال ابن حوقل في مسالكه عند ذكر وادي سلا: "وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلا القديمة؛ يعني شالة قد خربت والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها يعني رباط الفتح، ثم قال: وربما اجتمع في هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون". هـ.

وكانت العمارة لا تعرف إلا في شالة وسلا، ولما جاءت دولة الموحدين كان أول ما أحدثوه في هذه البقعة الرباطية قصبة الرباط الأثرية، ثم مدينة الرباط أسسها يوسف وشيدها يعقوب، قال في كتاب المعجب: "وقد بنى المصامدة على ساحل البحر مما يلي مراكش مدينة عظيمة سموها رباط الفتح كان الذي اختطها أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وأتمها ابنه يعقوب، وقيل: إنما بنوها بأمر ابن تومرت إياهم بذلك؛ وذلك أنه قال لهم: تبنون مدينة عظيمة على ساحل هذا البحر - يعني البحر الأعظم - ثم يضطرب أمركم وتنتقض عليكم البلاد، حتى ما يبقى بأيديكم إلا هذه المدينة، ثم يفتح الله عليكم ويجمع كلمتكم ويعود أمركم كما كان... إلخ كلامه، وقال أيضاً في ترجمة المنصور الموحدي لأول بيعته ما نصه: ولما استوثق أمره على ما تقدم عبر البحر بعساكره، وسار حتى نزل مدينة سلا، وبها تمت بيعته واستجاب [25/أ] له من كان تلكأ عليه من أعمامه من ولد عبد المؤمن بعدما ملأ أيديهم أموالاً وأقطعهم الإقطاعات الواسعة، ثم شرع في بنيان المدينة العظمى التي على ساحل البحر والنهر من العدوة التي تلي مراكش، وكان أبو يعقوب رحمه الله هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ في بنيانها فعاقه الموت المحتوم عن إتمامها، فشرع أبو يوسف - كما ذكرنا - في بنيانها، إلى أن قال: فتمت في حياة أبي يوسف وكملت أسوارها وأبوابها وعُمِّر كثير منها وهي مدينة كبيرة جدّاً تجيء في طولها نحو الفرسخ، وهي قليلة العرض، ثم خرج بعد أن رتب أشغال هذه المدينة وجعلَ عليها من أمناء المصامدة من ينظر في أمر نفقاتها وما يصلحها، فلم يزل العمل فيها [طول][1] مدة ولايته إلى سنة خمسمائة وأربع وتسعين. وقال صاحب

---

(1) ما بين المعكوفتين في (ع) و(ح): (طول) وفوقها (15).

القرطاس[1] خلال التعريف بالمنصور ما نصه: "وكان لما جاز إلى الأندلس لغزوة الأراك المذكور أمر ببناء قصبة مراكش وببناء الجامع المكرم الذي بإزاء القصبة [وصومعته][2]، وببناء منار جامع الكتبيين[3]، وببناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا، وببناء جامع حسان ومناره.هـ[4].

وقال أيضا: وفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بني رباط الفتح وتم سوره وركبت أبوابه..." إلخ[5].

وقال ابن الأثير: "بنى يعقوب المنصور مدينة محاذية لسلا من أحسن البلاد وأنزهها"[6].

وقال ابن خلكان: "إنها مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الإسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم، وإتقان البناء وتحصينه وتحسينه، وبناها على البحر المحيط الذي هناك وعلى نهر سلا مقابلة لها من البر القبلي"[7].

قال ابن الخطيب في مقامة البلدان: "وقابلها الرباط الذي ظهر به من المنصور الاغتباط حيث القصبة والساباط، ووقع منه بنظيره الاعتباط فاتسع الخرق وعظم الاشتطاط، [25/ ب] وطلل حسان المثل في الاشتهار". اهـ[8].

وقال صاحب "كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار"[9] ما نصه:

"وأمر الخليفة أبو يعقوب ﷺ ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الإمام

---

(1) تقدم التعريف بالكتاب.

(2) في (ح): (وهو معتد).

(3) أي بإتمام بنائها وتشييدها وإلا فالذي اختطها وأمر ببنائها أولاً هو والده أبو يعقوب.

(4) انظر: الأنيس المطرب، لابن أبي زرع، ص: 229.

(5) المصد السابق، ص: 269.

(6) انظر: الكامل، لابن الأثير: 10/ 258.

(7) انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: 7/ 9.

(8) انظر: ذكر المعاهد والديار، لابن الخطيب، ص: 74.

(9) هو كتاب: الاستبصار في عجائب الأمصار، لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري، نشر بتحقيق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، في المغرب وهناك الاستبصار في عجائب الأمصار والأرضين والجبال والأنهار والبحور ومناقس الأنهار بسطوة الواحد القهار، لأبي الفضل الطاهر بن محمد بن عبد السلام بن الحاج الأودي، الفاسي داراً، المتوفى سنة 1362 هـ. انظر: دليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 34، والأعلام، للزركلي: 2/ 7، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1558.

أمير المؤمنين، وفي هذه المدينة المحدثة قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات، ومنافع أعدت لورود المحلات عليها إذ وضعها على المجاز والمعبرة إلى حضرة مراكش - كلأها الله - وعلى هذا المعبر قنطرة(1) مركبة على ثلاث وعشرين معدية مُدت عليها أوصال الخشب، وصلبت عليها الألواح والفرش الوثيق الذي لا يؤثر فيه الحافر تجوز عليها العساكر والمسافرون، وحولها يتصيد أنواع السمك والشابل، ويمد البحر فترتفع القنطرة فتغطي الجسر فتعوم عليه المراكب وترسى دونها الأجفان الكبار، وقل ما تسلم عند دخولها وخروجها لصعوبة المدخل". اهـ باختصار.

والحاصل أن بناء الرباط هو من الأعاجيب التي أجراها الله تعالى على يد هذا السلطان الأعظم، الدالة على اتساع دائرة فكرته؛ إذ قلَّما توجد مدينة على تلك الصفة إلا وواضعها رجل عظيم حاضري حكيم، وقد أودع من بدائع الصنائع لديه ما لا مزيد عليه.

قال ابن خلكان: "ولما وصل المنصور إلى مراكش -يعني بعد قدومه من الأندلس- سنة أربع وتسعين وخمسمائة انتقل إلى مدينة سلا، وكان قد بنى مدينة الرباط فطاف بها وتنزه فيها، ثم رجع إلى مراكش". اهـ بتصرف(2).

قال في "الإتحاف"(3): "وكان إنفاق المنصور على هذه المدينة من بيت المال ومن أخماس غنائم الروم، ولما شاهدها فارغة ندم على بنائها وعلى إتلاف تلك الأموال في الماء والطين، وظن أنها لا تعمر، وبقي ذلك في خاطره حتى حضرته الوفاة، فصرح بذلك لكن بعده انتقل إليها [26/ أ] غالب أهل شالة وعمروا بعضها، ولم تتسع عمارتها البالغة الغاية إلا عند استيطان أهل الأندلس بها عند خروجهم من الجزيرة بنفي العدو سنة سبع عشرة وألف [1017](4)، فتفرقوا في بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وخرج منهم بسلا طوائف عبروا الرباط فحصنوه وبنوا به القصور والدور والحمامات، وبهم تمت عمارته وقصده الناس من القبائل والمدن القريبة، وهو اليوم من أعظم أمصار المغرب وأحسنها بناء وأفسحها فناء،

(1) لا أثر لها الآن (مؤلف).

(2) انظر، وفيات الأعيان، لابن خلكان: 3/ 239.

(3) هو كتاب: الإتحاف الوجيز في أخبار العدوتين المُهدَى للمولى عبد العزيز لمحمد بن محمد بن أحمد بن علي، الدكالي السلاوي أديب مؤرخ التحق بعدد من الوظائف الإدارية، توفي سنة 1364هـ بسلا. انظر: مقدمة الإتحاف الوجيز، بتحقيق مصطفى بوشعراء من منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 27.

(4) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

وأكثرها سكاناً وأرفعها مكاناً، وأبدعها جمالاً وأعدلها كمالاً، وأعمرها أسواقاً وأكثرها [نفاقاً][1]، وأوسعها تجارة وأكملها عمارة، جمع بين أسباب الدين والدنيا والعلم والفتيا والوعظ والخطابة والتأليف والكتابة، وذلك كما قال الشاعر:

بِهَا مَا شِئْتَ مِنْ دِينٍ ودُنْيَا وإِخْوَانٌ تَنَاهَوْا فِي الكَمَالِ

(السبب في تسمية الرباط رباطاً)

قلنا إن الرباط كان قبل بنائه عبارة عن بقعة فسيحة ينزل بها جيوش الإسلام ذهاباً وإياباً، فلكونها كانت رباط الملوك سميت بذلك، وبقي هذا الاسم يطلق عليها حتى بعد بنائها مدينة، وقيل فيه رباط الفتح تذكاراً للفتح الأندلسي الذي كان بناؤه من غنائمه، ولأنه إنما بني لغرض الجهاد والفتح، [وبه فتح على الموحدين][2]، فهو رباط الفتوحات والفاتحين ومعترك الجهاد والمجاهدين ومعبر العساكر والجنود ومركز تجهيز الجيوش ونشر البنود، وقد كان أسطوله في تلك الأعصار يسطو على أساطيل البحار وقرصانه الحكم العدل قبل أن يسبق السيف العذل، كما كان سيفه قبل تجريد النصل صاحب كلمة [26/ب] الفصل، وهكذا كان الحال والوصف حتى المائة الثانية بعد الألف، وقد سبق ذكر ما هو مكتوب على بابي الساباط من قصبة الرباط تلك الآيات القرآنية المؤذنة بالجهاد والفتح، والدالة على أنه إنما بني لأجل هذا الغرض، والقيام بذلك الحق المفترض قيل: وهناك دليل أثري آخر، وهو ما يشاهده الناظر إلى منار حسان من الجهة الجوفية الموالية للبحر، فإنه يشاهد صورة سيفين عظيمين قائمين منقوشين على باب الصومعة على شكل سيوف الجبابرة الأقدمين مشيرين بذلك إلى البحر. هـ. ولهذا يقال: إن كل من أقام به ناوياً الجهاد والفتح يموت شهيداً وهو يكفي دليلاً على فضله وشهيداً، قال شيخ شيوخنا أبو إسحاق التادلي في موشحه:

جَادَكَ الْغَيْثُ أَيَا مَنْ رَبَطَا بِرِبَاطِ الْفَتْحِ بَذْراً هَبَطَا
وَ بِهِ رَاسِي بِغَرْبٍ سَقَطَا وَلِحَرْفِ الْعِلْمِ فَضْلاً نَقَطَا
كُلُّ مَنْ قَدْ حَلَّ فِيهِ مُسْلِماً وَنَوَى غَزْواً بِهِ مَاتَ شَهِيدْ

---

(1) (نفاقاً) حكى اللحياني نَفِدت نِفاقُ القوم ونفَقَاتهم بالكسر إذا نفدت، وفنيت والنِّفاقُ بالكسر جمع النَّفقة من الدراهم. لسان العرب (10/ 357).

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

حَبَّــذَا شَـــالَةُ بِـــهِ مُــسْتَلَماً[1] وربَــاطُ الْخَيْــلِ لِــي فِيــهِ شَــهِيدْ

قلت وهنا [دعوى لا تكاد تقوم عليها بينة][2] كان بودنا أن لو تقاعس عن [إثباتها][3] قلم [صاحب كتاب الإتحاف الوجيز][4] حيث قال: "ثم إنه لا يخفى على كل لبيب أن لكل شيء من مقتضى اسمه نسبة تشعر بشرفه وضده، وقد جرب القدماء والمتأخرون من الانشراح ووجدان السلو بهذه المدينة – يعني: سلا - ما كاد عليه الاتفاق، كما أنه يوجد بالرباط ضد ما يوجد بسلا وأنشد:

أَرَى الْقَلْبَ يَسْلُو فِي سَلا عَنْ هُمُومِهِ ويَعْرُوهُ ضَرْبٌ فِي الرِّبَاطِ مِنَ الْقَنَطْ
لِأَنَّ سَـــلا مِـــنَ الـــسُّلُوِّ اشْـــتِقَاقُهَا كَذَاكَ الرِّبَاطُ اشْتُقَّ أَيْضاً مِنَ الرَّبَطْ[5]

[27/أ] [فانظر إلى هذا التحامل على الرباط بساط الأنس والانبساط مع أن المشاهدة تفند دعواه والواقع يقف أمام مدعاه][6].

[فانظره مع قول][7] بعض الأدباء التونسيين والحق ما شهدت به الأكفاء من الأجنبيين قال:

فَــاقَ الرِّبَــاطُ قُــرَى الأَيَالَــةَ كُلَّهَــا وكَفَــاهُ فَخْــراً اسْــمُهُ الْمَقْــصُودُ
فَرَنَــتْ إِلَيْــهِ سَــلا بِنَظْــرَةِ غَــائِرٍ مِــنْ بَعْــدِ رَقْــرَقَ والْحَسُودُ حَقُــودُ
فَــأَتَى خَطِيــبٌ يَــدَّعِي بِكَمَالِهَــا كَــذِباً وزُوراً والْقُــضَاةُ شُــهُودُ

[إذا راعيت ما أسلفناه في الغرض الذي بني لأجله الرباط حكمت ولا ريب بأنه لا أتم من مطابقة اسم الرباط لمسماه، ولا أوفق من موافقة لفظه لمعناه، وإن ما تخليه في سلا من وجدان السلو الانشراح غير تام إذ لنا أن ندعي أنها سميت بذلك لسلو عنها لا بها كما زعم لا سيما وهو الواقع الشهد في أهلها أنفسهم فأحرى سواهم حتى أنك لاتكاد تجدهم إلا

(1) في (ح): (مستعلياً).
(2) في (ح): (عجرفة).
(3) في (ح): (التمشدق بها).
(4) في (ح): (الإتحاف كتاب الوجيز).
(5) انظر: الإتحاف الوجيز، للكالي، ص: 15.
(6) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).
(7) في (ح): (وقد رد عليه).

سالين عن سلاهم، وفي أرض الرباط رابطين وبمحبته مغتبطين ومرتبطين][1]، [وبهذا كنت فيما مضى رددت على صاحب البيتين المتقدمين فقلت][2]:

حَقِيــقٌ سَــلا مِــنَ الـسُّلُوِّ اشْـتِقَاقُهَا ... وأَنَّ رِبَـاطَ الْفَـتْحِ يُشْتَقُّ[3] مِـنْ رَبْـطْ
وَ لَكِــنْ عَلَــى رَبْــطِ الْقُلُــوبِ بِـوُدِّهِ ... ورَبْـطِ الْغُـزَاةِ الْفَـاتِحِينَ ذَوِي الـرُّبُطْ
[لِـذَاكَ نَـرَاهُمْ قَـدْ سَلَوا عَـن سَـلاهُمْ ... كَمَا ارْتَبَطُوا مِنْ حُبِّهِ بِعُرَى الشُّرَطْ]
وَهَـذَا رِبَـاطُ الْخَيْـلِ فِـي الـذِّكْرِ شَـاهِدٌ ... لِمَا فِيهِ مِنْ فَضْلٍ عَلَى مُدَّعِي الْقَنَطْ

ولله قول شيخنا وحبيبنا أديب فاس السيد أحمد بن المأمون البلغيثي في مدح الرباط:

مَـــا رِبَـــاطُ الْفَـــتْحِ إِلاَّ ... لارْتِبَـــاطِ الـــنَّفْسِ يَـــدْعُو
إِنْ سَـــلا أَهْـــلُ سَـــلا فِيـــ ... ـــهِ فَقُـــلْ لِـــي لَـــيْسَ بِـــدْعُ

وأنشدني حبيبنا الشريف الأديب مولاي مبارك العلوي وأنا [27/ ب] بمراكش الحمراء قوله:

وَ مَـــا سُـــمِّيَ الرِّبَـــاطُ إِلاَّ لِرَبْطِـــهِ ... قُلُوبَ ذَوِي الآدَابِ بَعْضاً عَلَى بَعْضِ

وهذا كله إنما هو مجارات لما جرى به قلم صاحب الإتحاف الوجيز، وإلا فسلا جارتنا لها ما لنا وعليها ما علينا، والحر من يرعى حق الجار ولو جار، ولا ينبغي أن يُتمسك بكلام الشعراء في هذا المجال فإنما هو خيال، والواجب أن نشق عصى الشقاق ونرضع أفاويق[5] الوفاق حتى نكون كأسنان المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء، بل يجب أن نكون في وحدتنا على حد قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[6]، وفي اجتماعنا على حد قوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه ﷺ[7]، وبهذا تعلم أن ما جاء في

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) في (ع) والمطبوعة: (وكنت قلت).

(3) في (ح): (اشتق).

(4) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(5) في (ح): (أباريق).

(6) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث 2586، 4/ 1999، وأحمد في مسنده، في مسند الكوفيين، حديث النعمان بن بشير، حديث 18398، 4/ 270.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث 467، 1/ 182، أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث 2585، 4/ 1999.

كتاب الإتحاف ليس بإنصاف، وإنما الإنصاف قول بعض الفضلاء من الشعراء:

عُـجْ بِالرِّكَـابِ إِلَـى الرِّبَـاطِ فَإِنَّـهُ ... مَـأْوَى الـسُّرُورِ ومَنْـزِلُ الأَفْـرَاحِ
أَمَّـا سَـلا فَالْقَلْـبُ عَنْهَـا مَـا سَـلا ... وكِلاهُمَـا حَـسَنٌ بِغَيْـرِ مِـزَاحِ

بعض ما قيل في مدح الرباط

مناسبة لما ذكرناه في مدح الرباط نعطر هذا البساط بذكر بعض ما قيل فيه من الأناشيد ذات الأسماط والأنماط فنقول: أنشدني صاحبنا العلامة الأديب القاضي السيد أحمد الزموري[1] وقد حل بالرباط قوله فيه مستجيزاً:

رِبَـاطَ الْفَـتْحِ إِنَّـكَ ذُو جَمَـالٍ ... تُطِـلُّ عَلَـى سَـلا ذَاتِ النَّـضَارَةْ
[28/أ] وَشَـكْلُ سَـلا بِجَنْبِكَ مُـسْتَدِيرٌ ... ولاَ تَقْلَـقْ فَـإِنَّ بِـكَ الإِدَارَةْ

فأجزته أولاً مذيّلاً بقولي:

وَإِنْ صَـالَتْ بِـصَوْلَتِهَا قَـدِيماً ... فَـإِنَّ بِـكَ الإِمَـارَةَ والْـوِزَارَةْ
وَإِنْ طَالَـتْ بِـأَطْلالٍ حِـسَانٍ ... فَمِـنْ حَـسَّانَ تَكْفِيـكَ الْمَنَـارَةْ

وأجزته ثانياً مشطراً بقولي:

رِبَـاطَ الْفَـتْحِ إِنَّـكَ ذُو جَمَـالٍ ... (عَرِيـقٌ فِـي التَّمَـدُّنِ والْحَـضَارَةْ)
(مَبَانِيـكَ الَّتِـي طَالَـتْ وصَـالَتْ) ... تُطِـلُّ عَلَـى سَـلا ذَاتِ النَّـضَارَةْ
وَ شَـكْلُ سَـلا بِجَنْبِـكَ مُـسْتَدِيرٌ ... (حَكَـى مِـنْ مِعْـصَمِ الْحَسْنَا سِـوَارَهْ)
(فَقُـلْ يَـا حُـسْنَ شَـكْلٍ مُـسْتَدِيرٍ) ... ولاَ تَقْلَـقْ فَـإِنَّ بِـكَ الإِدَارَةْ

ومما خاطبني به صاحبي الأديب المتضلع السيد محمد الشنجيطي لما ورد علينا بالرباط للتوظف بإدارة السعادة قوله مذكراً ومتشكراً:

رُوَيْـدَكَ إِنَّنِـي جِـدُّ اشْـتِيَاقٍ ... إِلَـى ثَغْـرِ التَّـآزُرِ والْوِفَـاقِ
رِبَـاطُ الْفَـتْحِ مَطْمَـحُ كُـلِّ نَـدْبٍ[2] ... يَـرُومُ مِـنَ الْعُـلا صَـعْبَ الْمَرَاقِـي
أُيَمِّمُهَـا وقَلْبِـي مُـسْتَهَامٌ ... بِمَغْنَاهَـا ودَمْعِـي فِـي انْطِـلاقِ

---

(1) في (ع): (الزهوري)، وهو: أحمد الزموري، قاضي درب السلطان من الدار البيضاء تولى القضاء قبل الدار البيضاء بقرية ابن أحمد، علامة مشارك، شاعر، توفي سنة 1373 هـ. انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 540.

(2) (النَّدْب) الفرس الماضي، لسان العرب، مادة (ندب) (1/ 753).

أخِلائِـي الْمُقِيمِـيـنَ اغْـذُرُونِي ... عَلَـى هَـذَا التَّقَـاطُعِ والْفِـرَاقِ
لَهَـا دَيْـنٌ عَلَيْنَـا بَـلْ وِثَـاقٌ ... وحَـتْمٌ أَنْ يُـوَفَّى بِالْوِثَـاقِ
مُحَمَّـدُ هَـلْ تَفَكَّـرْتَ التَّـآخِي ... وأَيَّـامَ التَّعَـارُفِ والتَّلاقِـي
وَ سَـاعَاتٍ قَـضَيْنَاهَا جَمِيعـاً ... بِأَبْحَـاثٍ وأَسْـئِلَةٍ رِقَـاقِ

فأجبته بقولي:

أَلا إِنِّـي عَلَـى الْمِيثَـاقِ بَـاقِ ... وإِنْ حَكَمَ الزَّمَنُ (الزَّمَانُ) بِمَا أُلاقِي
أَحِـنُّ إِلَـيْكُمْ شَـوْقاً وذِكْـرَى ... لأَيَّـامِ التَّـدَانِي والتَّلاقِـي
[28/ب] لأَيَّـامٍ وَدِدْتُ لَهَـا فَـدَاءً ... بِأَيَّـامِي الـسَّوَالِفِ والْبَـوَاقِي
قَـضَيْنَاهَا كَمَـا حَكَـمَ التَّـآخِي ... عَلَيْنَـا فِـي اضْـطِبَاحٍ واغْتِبَـاقِ[1]
وَ كَـمْ بِتْنَـا وغُـصْنُ الأُنْـسِ دَانٍ ... وجُـنْحُ اللَّيْـلِ مَـسْدُولُ الـرِّوَاقِ
أَبَـا عَبْـدِ الإِلاهِ بَقِيـتَ فَـرْداً ... جَـوَاداً لا يُجَـارَى فِـي الـسِّبَاقِ
تَعَـالَ نُجَـدِّدَنْ عَهْـدَ التَّـدَانِي ... ونَرْضَـعُ صَـفْوَ أَلْبَـانِ الْوِفَـاقِ
وَ قُـلْ أَهْـلاً بِمَـنْ صَـافَى ووَافَـى ... رِبَـاطَ الْفَـتْحِ عَـنْ جِـدِّ اشْـتِيَاقِ

ومما أنشدنيه فيه صديقي الشاعر المطبوع الكاتب الشهير السيد الحاج عبد الله القباج قوله:

عَـرِّجْ عَلَـى ثَغْـرِ الرِّبَـاطِ الأَنْفَـسِ ... وأَنِـخْ مَطِيَّـكَ بِالْمَقَـامِ الأَقْـدَسِ
حَيْـثُ الْغِيَـاضُ تَـدَفَّقَتْ أَنْهَارُهَـا ... وتَعَانَقَـتْ أَشْـجَارُهَا بِـالأَرْؤُسِ
حَيْـثُ الرِّيَـاضُ تَفَتَّقَـتْ أَزْهَارُهَـا ... وغَـدَا الْقُرُنْفُـلُ حَاسِـداً لِلنَّـرْجِسِ
حَيْـثُ الْمَنَـازِلُ قَـدْ عَلَـتْ وتَزَيَّنَـتْ ... حَيْـثُ الـشَّوَارِعُ نُزْهَـةٌ لِلأَنْفُـسِ
حَيْـثُ النُّجُـومُ مِـنَ الـسَّمَاءِ تَنَزَّلَـتْ ... وغَـدَتْ مَـصَابِيحاً تُـضِيءُ بِـأَكْؤُسِ
حَيْـثُ النَّفَـائِسُ والطَّنَـافِسُ والأَوَا ... نِـسُ والْمُـؤَانِسُ كَـالْجَوَارِي الْكُنَّـسِ
حَيْـثُ الإِمَـارَةُ والْـوِزَارَةُ والإِدَا ... رَةُ والإِرَادَةُ كَـالأَغَرِّ الأَمْلَـسِ
حَيْـثُ الزَّوَاخِـرُ والْمَـوَاخِرُ والْبَـوَا ... خِـرُ والـذَّخَائِرُ كَالأَشَـمِّ الأَطْلَـسِ

---

(1) في (ح): (اعتباق) بالعين المهملة.

حَيْـثُ الزِّرَاعَـةُ والـصِّنَاعَةُ والبِـضَا ... عَـةُ والقَنَاعَـةُ باليَـسِيرِ الأَبْخَـسِ
حَيْـثُ الْمَوَاكِـبُ والْمَرَاكِـبُ والنَّجَـا ... ئِـبُ والْجَنَائِـبُ لِلـشَّرِيفِ الأَشْـيَسِ
حَيْـثُ الْجَلالَـةُ والعَدَالَـةُ والـسِّيَا ... دَةُ والـسَّعَادَةُ رَحْمَـةٌ لِلآيِـسِ

وقد تقدم قوله أيضاً:

إِذَا افْتَخَـرَتْ مِكْنَـاسُ بِالْمَـاءِ والْهَـوَا ... وفَـاسُ بِوَادِيهَـا وبِـالْعِلْمِ والْمَجْـدِ
وَ مَـرَّاكُشُ بِالْجِـدِّ والْجُـودِ والْجَـدَى ... فَـإِنَّ رِبَـاطَ الْفَـتْحِ وَاسِـطَةُ العِقْـدِ

[29/ أ] وأنشدني حبيبي العلامة الأديب القاضي الفاضل السيد أحمد سكيرج[1] أيام مقامه بالرباط:

للهِ أَيَّـامُ أُنْـسٍ بِالرِّبَـاطِ مَـضَتْ ... بِهَـا سَلَوْتُ عَـنِ الأَحْبَابِ والْـوَطَنِ
قَدْ جَادَ لِي الدَّهْرُ فِيهَا بِالْمُنَى فَغَدَتْ ... تُعَـدُّ عِنْـدِي مِـنْ نَفَـائِسِ الـزَّمَنِ

وأنشدني لنفسه صاحبي الأستاذ الفيلسوف السيد محمد الشافعي النفطي لما ورد علينا من نفطة بقصد زيادة الولي الصالح سيدي العربي بن السائح[2]:

رِبَـاطُ الْفَـتْحِ لَـيْسَ لَـهُ نَظِيـرُ ... جَمِيـلٌ شَـكْلُهُ فَـرْدٌ نَـضِيرُ
وَ كُـلُّ فَتًـى أَتَـاهُ يَـرَى رِيَاضـاً ... ويَلْقَـى بِـهِ بُـدُوراً تَـسْتَنِيرُ
يُنَـوِّرُ قَلْبَـهُ مِنْهَـا عُلُـومٌ ... بِحُـبِّ جَمَالِهَـا عَبْـداً يَـصِيرُ
رِيَاضُـهُ كَـالنَّعِيمِ تَـرُوقُ حُـسْناً ... بُـدُورُهُ فِـي الْعُلُـوِّ لَهَـا مَـسِيرُ
تَفِـيضُ صُـدُورُهُمْ مِـنْ كُـلِّ عِلْـمٍ ... فَمَـنْ رَامَ الْعُلُـومَ لَهُـمْ يَـسِيرُ
إِيَـاسٌ فِـي الـذَّكَاءِ (بَلَـى) عَلِـيٌّ ... وفِـي نَظْـمِ الْمَـدِيحِ هُـمْ جَرِيـرُ
نَـوَافِلُهُمْ إِذَا مَـا رُمْـتَ عِلْمـاً (عَمَـلاً) ... فَـإِنَّ الـصُّبْحَ هُـوَ بِهَـا خَبِيـرُ
لِهُـمْ جُـودٌ لَقَـدْ وَسِـعَ الْبَرَايَـا ... فَمَـا يَحْيَـى ومَـا مَعْـنٌ نَظِيـرُ
إِذَا حَـلَّ الْغَرِيـبُ لَهُـمْ رُبُوعـاً ... يَجِـدْهُمْ خَيْـرَ أَهْـلٍ يَـسْتَجِيرُ

(1) هو: أبو العباس، أحمد بن العياشي سكيرج، الأنصاري، القاضي العلامة المؤرخ المتوفى سنة 1363 هـ وله من المصنفات "رفع النقاب بعد كشف الحجاب عن من تلاقي مع الشيخ التيجاني من الأصحاب"، و"رياض العلوان في تراجم من اجتمعت بهم من الأعيان". انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 498، وسل النصال، له أيضاً، ص:102، ومعجم المؤلفين، لكحالة:13/ 365.

(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 225، ص: 571.

إِذَا مَـــا رَامَ فُــــرقَتَهُمْ بِجِـــسْمٍ يَــرُوحُ وقَلْبُـــهُ فَـــيهِمْ أَسِـــيرُ
لَهُـمْ فِـي الْمَجْـدِ والْفَـضْلِ الْمُعَلَّـى مَقَـــامٌ دُونَـــهُ الْبَـــدْرُ الْمُنِيـــرُ
سَـقَى الْغَيْـثُ الرِّيَـاضَ وسَـاكِنِيهَا ومَوْلانَـــا الْكَـــرِيمُ لَهُـــمْ نَـــصِيرُ
عَلَـيهِمْ مَـا سَـمَوْا أَسْـمَى سَـلامٍ عَبِيـــرُ خِتَامِـــهِ مِـــسْكٌ عَبِيـــرُ

ولما حل في الرباط علامة فاس الشيخ أبو عبد الله السيد محمد كنون أنشأ في مدح شيخه سيدي العربي بن السائح [29/ ب] قصيدة يقول في مطلعها:

بُـشْرَى لِطَـالِعِ وَصْـلِنَا يَـا وَاسِـي بِحُلُولِنَـــا بِمَعَاهِـــدٍ ومَرَاسِـــي
سَـمَحَ الزَّمَـانُ لَنَـا بِجَمْـعِ سَـلامَةٍ بِأَحِبَّـــةٍ فِـــي أَبْهَـــجِ الأَغْـــرَاسِ
جَمْعــاً أَضَــاءَ بِكُــلِّ حَبْــرٍ سَـيِّدٍ يُـسْلِي عِـنِ الأَوْطَـانِ سَـلْوَةَ فَـاسِ
جَمْعــاً تَنَــاهَى لا مَثِيــلَ لِفَــرْدِهِ مُتَنَزِّهــاً عَـــنْ سَـــاحَةِ الأَدْنَـــاسِ
جَمْعـاً يَـضُوعُ النَّـدُّ[1] مِـنْ أَنْفَاسِـهِ بِرِبَـــاطِ فَـــتْحٍ مَجْمَـــعِ الأَكْيَـــاسِ

وقال الإمام العارف بالله الأديب أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي يتشوق إلى ثغرنا المصون أيام مقامه بمكناسة الزيتون:

خَلِيلِـي إِنْ جِئْـتَ الرِّبَـاطَ وعَايَنْـتَ الدِّ يَـــارَ وأَبْـــصَرْتَ الْقِبَـــابَ فَأَعْلاهَـــا
لَعَلَّـــكَ تَلْقَـــى بِـــالْعُلُوِّ أُمَيْمَـــةً وتَـسْأَلُ عَنَّـا والْجَـوَى حَـشْواً حَـشَاهَا
بِرَبِّـكَ نَبِّئْهَـا بِـأَنِّي عَلَـى الْهَـوَى مُقِـيمٌ وفِـي قَلْبِـي وطَرْفِـي مَثْوَاهَـا
وَ مَـا زَادَنَـا بَعْـدَ الْمَـزَارِ سِـوَى الأَسَـى وسَـكْبَ دُمُـوعٍ دَائِمـاً عِنْـدَ ذِكْرَاهَـا
أَلاَ كَيْـفَ أَنْـسَى مَـنْ إِذَا مَـا تَبَرَّجَـتْ تَنَاسَـيْتُ ضَـوْءَ الـشَّمْسِ سَاعَةَ مَرْآهَـا

وقال بعض الأدباء:

إِنَّ شَـــــــالَةَ مُقَـــــــامٌ [لَــــنْ يَنَالَــــهُ] [2] انْحِطَـــــاطُ
عَرَصَـــــــاتُهَا جِنَـــــــانٌ وبِمَزْجِهَـــــــا اغْتِبَـــــــاطُ
وَلأَهْلِهَـــــــا سُـــــــلُوٌّ بِعَرِيـــــــشِهَا يُنَـــــــاطُ
بَـــــــيْنَ طَيْـــــــرٍ ومَثَـــــــانٍ وبِحُـــــــسْنِهَا انْبِـــــــسَاطُ

---

(1) (النَّد) - بفتح النون -: ضَرْب من الطيب يُدَخَّن به. لسان العرب، مادة (ندد) (3/ 413).
(2) في (ح): (لديناله).

وَعَلَـــى الإِنْــــصَافِ قُلْنَــــا ... مَــــسْرَحُ الأُنْــــسِ الرِّبَــــاطُ

وأنشد في "الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى[1] القريض" ديوان أديب فاس السيد محمد بن زاكور[2] قوله يخاطب جماعة من أهل [30/ أ] الرباط بالغوا في أنسه وإكرامه:

أَأَهْـلَ سَـلا أَهْـلَ السُّلُوِّ عَـنِ الْبُخْـلِ ... سَـلِمْتُمْ ودُمْـتُمْ فِـي مُسَالَمَةِ الْمَحْـلِ

خُـصُوصاً بِهَـا أَهْـلَ الرِّبَـاطِ فَـإِنَّهُمْ ... أُنَـاسٌ يُنَـسِّي أُنْـسُهُمْ عَطْفَـةَ الأَهْـلِ

يُـــدَاوُونَ أَدْوَاءَ النَّـــوَى بِنَـــوَالِهِمْ ... ويَـسْقُونَ مَـا فِـيهِمْ بِآنِيَـةِ الْفَـضْلِ

وأنشد شيخ شيوخنا أبو إسحاق التادلي في شرحه للخزرجية[3] هذا الموشح وقد تقدم بعضه:

جَـادَكَ الْغَيْـثُ [أَيَـا مَـنْ رَبَطَـا] [4] ... فِــي رِبَــاطِ الْفَــتْحِ بَــذْراً هَبَطَــا

وَ بِــهِ رَاسِــي بِغَــزْبٍ سَــقَطَا ... ولِخَــزْفِ الْعِلْــمِ فَــضْلاً نَقَطَــا

كُــلُّ مَــنْ قَــدْ حَــلَّ فِيــهِ مُسْلِماً ... ونَــوَى غَــزْواً بِــهِ مَــاتَ شَــهِيدْ

لَيْلَــةٌ فِيــهِ حَــدِيثٌ (مَعْلِمــاً) ... بمزاياهـــا عـــنِ النَّـــارِ بَعِيـــدْ

حَبَّــذَا شَــلُّ بِــهِ مُــسْتَلَماً ... ورِبَــاطُ الْخَيْــلِ لِــي بِــهِ شَــهِيدْ

وَ حَبِيــبُ الْقَلْــبِ جَــارٌ بِــسَلا ... كُلَّمَــا وَاصَــلَنِي قَلْبِــي سَــلا

أَوْ أَفَــاضَ الــدَّمْعَ بَحْــراً مُرْسَــلا ... بِحَــدِيثِ الــصَّدِّ جَــاءَ مُسَلْــسَلا

مَجْمَــعُ الْبَحْــرَيْنِ إِنْ شِــئْتَ ادْعُهــا ... شَــاهِدٌ يَتْلُــوهُ مِنْــهُ فِــي النَّظَــرْ

نُزْهَــةُ الــدُّنْيَا بِــهِ قَــدْ نِلْتُهَــا ... مِــنْ عُلُــومٍ وذَهَــابٍ لِكَــدَرْ

---

(1) في (ح): (منتهى).

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن زاكور الفاسي، فقيه فاضل، وأديب لغوي له ديوان شعر سماه "الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض" توجد منه نسخة مخطوطة في خزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف، بوزان تحت رقم (439)، توفي سنة 1120 هـ. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 321.

(3) هو كتاب: العصيرة الشافية البنفسجية على القصيدة الوافية الخزرجية (وهو شرح على منظومة الرامزة الشافية في علم العروض والقافية المعروفة اختصاراً باسم الخزرجية في العروض، وهي من نظم أبي محمد، عبد الله بن محمد الخزرجي، المالكي، الأندلسي، الإسكندري، المتوفى سنة 626 هـ) توجد منه نسخة مخطوطة، برقم (1435 د) في الخزانة العامة بالرباط.

(4) في (ح): (يا من قد ربطا).

(وصف مناظر الرباط)

لما ذكرنا ما قيل في مدح الرباط شعراً ناسب أن نذكر ما جاء في وصف مناظره نثراً، ومن أحسن ما جاء في هذا الباب قول صاحب كتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار": إن هذه المدينة قد شرفها الأمر العزيز وكرمها بما أحدثه فيها من المباني الرفيعة والمنازه البديعة، وما هي - وقت مرور المحلات عليها - إلا من عجائب منتزهات [30/ ب] الدنيا لا سيما في الأعوام الخصيبة والفصول المعتدلة، وناهيك من ساحل طوله نحو الميلين مملوء بالبشر والزوارق في الوادي بركابها، والمنارة مطلة وعلقات الثمار وجذر الكرمات، وقبب الجلوس للسادت - أيدهم الله - ظاهرة، وقبلة الجامع وأكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهرة من المدينة وما هي في أوقاتها إلا أحسن من ديار مصر، وما يحكى عن دجلة والفرات، فإنا لله عن الفناء والمهات، ولله در القائل:

النَّـــاسُ مِثْـــلُ حُبَـــابٍ والـــدَّهْرُ بِرْكَـــةُ مَـــاءِ
فَعَـــالَمٌ فِـــي طُفُـــوٍّ وعَـــالَمٌ فِـــي انْطِفَـــاءِ

وقد تقدم قول ابن الخطيب: "وقابلها الرباط الذي ظهر به من المنصور الاغتباط حيث القصبة والساباط"[1]. إلى أن قال في وصف شالة بأنها: "مرعى الذمم، ونتيجة الهمم، ومشمخ الأنوف ذوات الشمم، وعنوان الرمم، حيث الحسنات المكتتبة، والأوقاف المرتبة، والقباب كالأزهار زاهرة بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار"[2]. ووصف ضريحها بالضريح المقدس الذي تعددت على المسلمين حقوقه، وسطع نوره، وتلألأ شروقه، وبلغ مجده السماء لما بسقت فروعه، ورسخت عروقه، وعظم فخره، فما فوق البسيطة فخر يروقه، حيث الجلال قد رسخت هضابه، والملك قد كسيت بأستار الكعبة الشريفة قبابه، والقرآن العزيز ترتب أحزابه، والعمل الصالح يرتفع إلى الله ثوابه... إلخ. وأنشد:

عَـرِّجْ عَلَـى الْـوَادِي الْمُقَدَّسِ والْحِمَـى وَاقْـصِدْ ضَـرِيحاً لا تَخِيـبُ جِـوَارُهُ
ومُقَـــامَ بِـــرٍّ عُظِّمَـــتْ حُرُمَاتُـــهُ واخْتَـــالَ فِـــي خُلَـــعِ الرِّضَـــا زُوَّارُهُ
تُقْـــضَى مَنَاسِـــكُهُ ويُمْـــسَحُ رُكْنُـــهُ أَبَـــداً وتُقْـــذَفُ لِلـــدُّمُوعِ جِمَـــارُهُ
كَـمْ فِيـهِ مِـنْ لَيـثٍ هِزَبْـرٍ مَـا سَـطَى إِلاَّ ومِـــنْ بِـــيضِ الظُّبَـــا أَظْفَـــارُهُ

(1) انظر: ذكر المعاهد، لابن الخطيب، ص: 74.

(2) المصدر السابق بنفس رقم الصفحة.

[31/أ] وَمُنَاخِ فَضْلٍ أَقْصَدَتْه يَدُ الرَّدَى وهِـــلالِ تِــــمٍّ خَانَـــهُ أَبْـــدَارُهُ
فَكَأَنَّمَــــا أَحْــــدَاثُهُمْ لَمَّــــا بَــــدَتْ آيَــاتُ وَعْــظٍ رُتِّبَــتْ أَسْــطَارُهُ
رَوْضٌ تَــــأَرَّجَ عَرْفُــــهُ وتَرَنَّمَـــــتْ أَطْيَــارُهُ وتَهَـــدَّلَتْ أَشْـــجَارُهُ
خَـضِرُ الْجَنَـابِ سَـقَى مَعَاهِـدَهُ الْحَيَـا وعَــلا عَلَــى كَنْـزِ الْجَـلالِ جِـدَارُهُ

ومما وصفت به شالة الرباط ما جاء في صحيفة 54 من كتابي في تاريخها ونص ذلك: "أما حالتها الحاضرة لهذا العهد فيختلف وصفها باختلاف ملحظ واصفها، فإذا نظرها بعين المعتبر وجدها في حالة تستوقف النظر، وتحدث بآيات العبر، تلوح عليها شارات الجلال، وعلائم النقصان بعد الكمال، بل سيما العدم بعد الوجود والغيب بعد الشهود، يتجلى ذلك للرائي بين حقولها ومزارعها، وقبورها وصوامعها، وبين آثارها وأطلالها وهضابها وجبالها، ثم في رسوم بالية وبيوت خالية، وأسوار مائلة، وأشجار مائلة، وعيون سائلة، تنوح حولها الأطيار في الوكنات والأوكار، وتنعق فيها الغربان كأنها تنعي ما أصابها من طوارق الحدثان وطوارئ الملوان.

رُسُــومٌ غَـدَتْ تَـسْتَوْقِفُ اللَّحْـظَ كُلَّمَـا وَقَفْـــتُ بِهَـــا أَوْ زُرْتُهَـــا مُتَــــذَكِّرَا
فَكَـمْ عِبْـرَةٍ سَـالَتْ مِـنَ الْعَـيْنِ عَبْـرةً عَلَيْهَـــا وكَـــمْ ذَابَ الْفُـــؤَادُ تَــذَكُّرَا

وإذا نظرها بعين الناظر المتسلي وجدها نزهة للعيون، بل جنة من جنان الدنيا تجري من تحتها الأنهار والعيون ما شئت من ينابيع دافقة، وأفنان باسقة، وأغراس متناسقة، وأغصان متعانقة، وأطيار متعاشقة، وبساتين شائقة، ومتنزهات رائقة، إلى طيب هواء وعذوبة ماء، وصفاء أديم، ورقة نسيم، وإلى منظر بديع، في إبان الربيع؛ حيث تتجمل تلك الهضاب والربى بأجمل حلة يرصعها الندى ويعطرها الصبا، فيشرف الناظر منها [31/ ب] على تلك الأجنة والبساتين، وما خطته أقلام القدرة من الطرز الرفيع فوق زرابي النباتات والرياحين، ويتعدى ذلك إلى منظر الولجتين، وموقع العدوتين، يشقهما الوادي ويحدهما المحيط كأنهما جميلتان أو أختان شقيقتان تجردتا من كل محيط ومخيط، ثم[1] وقفتا أمام أمهما شالة في موقف تقف عنده الأعين، وتترطب بذكره الألسن، ويسلو به الناظر، وينشرح منه الخاطر، ويشدو فيه اللسان قول الشاعر (مؤلفه):

للهِ شَـــــلَّةُ مَـــــا أَبْهَـــى مَنَاظِرَهَـــا تَـــرُوقُ آثَارُهَـــا الْغَـــرَّاءُ نَاظِرَهَـــا

(1) في (ح): (كم).

يَـدُ الرَّبِيـعِ أَجَـادَتْ صُـنْعَهَا فَغَـدَتْ كَجَنَّـةِ الْخُلْـدِ تُنْسِـي الْهَـمَّ زَائِرَهَـا[1]

وكنت كتبت في سلسلة مقالاتي المتعلقة بالمدرسة العليا الرباطية (معهد التعليم العالي المغربي) ما نص الغرض في وصف منظرها ومركزها:

وقد جاء تخطيطها الهندسي تقريباً أشبه شيء بشكل مثلث الزوايا والأضلاع، تحل بوسطه تلك القبة البديعة الشكل كما تحل الشامة بوجنة الحسناء، وتتصل بها من هنا وهناك بنايات صغرى وكبرى وقاعات خصوصية وردهة لاجتماع المدرسين، ومكتبة علمية للمطالعة، ومستودع للذخائر والآثار المغربية البربرية، ثم يكتنف بالكل روض أريض يحيط بالمدرسة من جهاتها الثلاث كما تحيط الهالة حول القمر.

أما مركزها الجغرافي فقد ساعده الحظ بربوة ذات قرار ومعين فوق بسيط منبسط من أكدال الخارجي ذاك المنظر الطبيعي المطل على المحيط الأطلانطيكي يفصل بينهما سلسلة حدائق وبساتين مونقة، وغابات أشجار وأفنان مورقة، ولا تسل عن حسن هذا المنظر البديع إبان فصل الربيع ناهيك أن الناظر منه يشرف على [32/ أ] كثير من المناظر الطبيعية والمنازل والمنازه الرباطية، ويخيل له أن السماء في صفائها كأنها أخت البحر تأخذ من لونه ويأخذ من لونها، ثم يأخذ نظره ذات الشمال فيرى الربيع قد أبدع وشي زخارف تلك البطحاء الواسعة الأرجاء، ثم يأخذ ذات اليمين فتتراءى له المدينة لابسة حلتها البيضاء آخذة حظها من الزينة كأنها عروس حسناء.

هذا المركز الذي ظهرت فيه المدرسة مظهراً راقياً وجاء كما تريد هي مطابقاً لمبدئها وغايتها من سائر الحيثيات خصوصاً من حيث السعة والترتيب وحسن الشكل والتقسيم والتنسيق إلى ما أبدعته فيه يد الصنعة والإتقان والتأنيق، واخترعته أنامل الإبداع والزخرفة والتنميق، مما يستوقف الناظر كلما جال نظره بين هاتيك القباب الشاهقة البنيان الموطدة الأركان المزرية بصرح بلقيس رفعة وضخامة، وقصر البديع شكلاً وفخامة، فسلام على هاتيك القباب الشامخة سلام، ولتَدُم بكل إقبال تصافحها يد الأيام.

ووصفت بعض الدور الرباطية في بعض مقالاتي الصحافية بأنها جاءت جامعة المحاسن، كاملة الأحاسن، بها ما شئت من رخام مجزع ومرمر ملون ورسم مموه، وما شئت

(1) انظر: شالة وآثارها، ص: 54 حتى نهاية الكتاب.

من ضروب الصنعة المغربية، وصنوف الزخرفة الأندلسية على الطريقة الهندسية، مما يدهش وينعش، تراها وقد تجسمت فيها روح التهذيب[1]، وتجانست بين جدرانها أجناس النقش الغريب من نوع الجبص الخالص وصنف الزليج الفاسي العجيب، وفرشت بالرخام الأبيض الأغر المختار من حر المرمر يتخلله قطع الزليج المنقوش الملون حتى كأنها برد موشى من عمل صنعاء اليمن، أو روضة خمائل منثورة الأزهار مهصورة الفنن.

ومما زاد في بهائها أن جميع صنائعها ومصانعها، وكل ما فيها من هندسة وزخرفة وتقسيم وتخطيط [32/ب] ورقم ونقش جارٍ على النمط الإسلامي والطرز المغربي في البناء، لا مدخل للصنعة الأجنبية ولا الصبغة الأوربية في شيء من أعمالها؛ بحيث جاءت بصورتها وشكلها أشبه بمرآة صافية تتجلى فيها صور الصنائع المغربية الجميلة، وتسفر عما للمغاربة من حسن الذوق ودقة الإحساس ورقة الشعور، بل وعن مزيد قدرة، وشدة مهارة وتمام معرفة في الصنائع والفنون، وهذا ما دعا الفرنسيين إلى الإعجاب بشكلها كل الإعجاب، والتهافت على رؤيتها تهافت الظمآن على ماء الشراب، وهكذا قل في وصف جميع طبقاتها الثلاث وفي كل ضلع من أضلاعها الأربع وفي كل قبة من قبابها الثماني إلى بقية ردهاتها ومقاعدها ومستودعاتها الخصوصية بين الأركان، وأما منتزهها فهو وحده صرح بديع يزري بصرح البديع، يشرف من جهة على المدينة ودورها فالإقامة العامة وإدارتها فمدينة شالة وآثارها، ومن جهة على وادي أبي رقراق بسفنه وزوارقه مع المرسى بقواربه ومراكبه، فمدينة سلا بولجتها وأجنتها إلى ما وراءها من المناظر الطبيعية، ومن جهة على الشارع الفسيح شارع العلو فالمدرسة والقصبة والساباط، فالمحيط الأطلانطيكي ببواخره ومواخره، ومن جهة على باب تامسنا بالمستشفيات فالمعرض فالمدرسة العليا فالقصور السلطانية، وما بين ذلك كله من الأجنة والبساتين الرباطية، وفي هذا الصرح قلت من أبيات شعرية:

صَرْحٌ عَلَى الْعِزِّ قَدْ قَامَتْ قَوَائِمُهُ ... فِي وَجْهِ نَاظِرِهِ يَفْتَرُّ بَاسِمُهُ
إنْ جِئْتَهُ زَائِراً يُحْيِيكَ مَنْظَرُهُ ... كَالرَّوْضِ لَمَّا تُحَيِّينَا مَبَاسِمُهُ
حَلَّ الْبَهَاءُ فَالْحُسْنُ شَامِلُهُ ... والْيُمْنُ طَالِعُهُ (وَ) الأَمْنُ خَادِمُهُ
وَ الْمَجْدُ سَاكِنُهُ والسَّعْدُ حَارِسُهُ ... والْحَمْدُ فَاتِحُهُ والشُّكْرُ خَاتِمُهُ

(1) كذا في المطبوعة، وفي (ع): (التذهيب)، وفي (ح): (التذهب).

[33/ أ] وكتب بعض الأدباء الفرنسويين في وصف المنارة البحرية والساحل بالرباط ما نص ترجمته قال: هناك على شواطئ الأطلانتيك يرف علم الشريف سلطان المغرب، والطيور ترف حوله بالفضاء، وقربه نور منارة تنبعث أشعته فوق الأمواج، والأطلانتيك يتموج مدّاً وجزراً وأمواجه تصطدم وتتهجم على الشاطئ كجيش يحاصر العدو فيهز المراكب ويخلخل الصخور وينبسط على شاطئ سلا المدينة النيرة على شاطئ الوادي، والسطوح والجدران البيضاء تتهاوج بمجدها كالعروس التي تتهادى في ضوء القمر بين الأنوار ونسمات الهواء البلبل، والبحارة في المرسى يقذّفون المراكب ويدفعونها إلى سطح البحر، وسواعدهم شديدة كالخشب الذي يسيرهم فوق اليم، وأصواتهم تتصاعد بالغناء والطرب ممتزجة بين هدير الأمواج وعاصفة البحر.

(وصف آثار الرباط)

متى قلنا إن المآثر التاريخية والآثار القديمة هي زينة البلاد[1] المتمدنة وحلية المدن المتقدمة نجد مدينة الرباط في الصف الأول بين المدن المغربية؛ نظراً لما اشتملت عليه من المعالم والمآثر التاريخية التي كانت بالأمس و[لن تزال][2] كعبة قصيد الشاعر والواصف، وصارت صورة صفحة ريشة الرسام وعبرة الناظر المعتبر تلك الآثار التي يكون بها للرباط حق الفخر إذا افتخرت كل فتاة بأبيها وكل أمة بماضيها، وما من أمة إلا ويعجبها الفخر، أو فتاة إلا وهي بأبيها العزيز عليها معجبة.

أجل إن مدينة الرباط بما يراه الناظر فيها من معاهد شالة ومعالم القصبة وآثار الساباط والمدرسة وأطلال جامع حسَّان ومناره، والأسوار القديمة وأبوابها - لجديرة[3] بأن تعد في مقدمة المدن المغربية [33/ ب] المثرية من آثار الصناعة العربية، الناطقة بما كان لدول الإسلام من الترقي والتقدم قبل ظهور المدنية[4] الحادثة الأوربية.

وحسبك دليلاً على ما قلناه (إذا كان النهار يحتاج إلى دليل) ما يأتي:

أولاً: تهافت السياح من الأجانب على رؤية تلك الآثار وزيارة معاهدها التي طالما نحن

(1) في (ح): (البلد).

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(3) في (ح): (الجديرة).

(4) في (ح): (المدينة).

رأيناها فأهملناها، ثانياً: اعتناء أرباب التصوير بتصويرها ونشرها في بطاقات البريد (الكارت بوسطال)، الأمر الذي ترك لها في سائر الأقطار والأمصار ذكراً يؤثر وينشر، وأثراً يذكر فيشكر.

ثالثاً: انكباب الرسامين بريشتهم القلمية ذات الألوان والأصباغ على رسم مناظرها الجميلة، وتنميقها بصنوف الزخارف والتحسينات؛ كما ينمق الشاعر قصيده وقريضه بضروب البديع والمحسنات.

رابعاً: حرص الحكومة الحامية بواسطة إدارة الآثار على الاحتفاظ ببقاياها وتلافي المتداعي منها بتدعيمه وتقويمه؛ رعياً لكون الاحتفاظ بالآثار التاريخية من الضروريات في أقنوم نشوء الأمم؛ لأن فيها من آيات العبر ما يحمل على الاهتداء بمن مضى، والاقتداء بمن غبر.

وكيف لا وآثار الأسلاف هي للأخلاف بمثابة مرآة صقيلة يرى فيها اللاحق صورة براعة السابق، فيدرك منها مقدار ما بلغه من التقدم والحضارة في الصناعة والعمارة، وما كان له من قوة الفكر واليراع في سبيل الابتداع والاختراع.

إِنَّ آثَارَنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا ... فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الآثَارِ

وجاء في مقالتي المنشورة في جريدة السعادة تحت عنوان "المباني الإسلامية" ما نص المراد: أما مدينة الرباط فحسبك أنها واسطة [عقد][1] الجميع، في حسنها البديع، على أن الآثار الموحدية كجامع حسان ومناره [34/أ] والقصبة والساباط والمدرسة والدار الإسماعيلية التي داخلها مع البقية الباقية من الآثار المرينية بزاوية شالة إلى القلع والأبراج العلوية، إلى الضريح العبدلاوي، إلى الدار الملوكية والقصر اليوسفي الفخيم، كل ذلك مما لا يعزب عن ذهن القارئ الكريم.

وأما أفراد الرباطيين فنظراً لجدة حضارتهم، وحدوث أسباب ترفهم ورفاهيتهم لم يجنحوا للتأنق في البنيان، إلا في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وقتما استفحلت الحضارة والمدنية، ونبعت من أيديهم منابع الثروة المخزنية؛ فلذلك كانت الديار الكبار عندنا قليلة بالنسبة إلى مراكش وفاس، لكن بالرغم عن قلة الأبنية الضخمة بالرباط فإنه بفضل حسن تقسيمه، وإجادة تخطيطه على الطرز الأندلسي يتراءى كالعروس الحسناء في زي رفيع وشكل بديع يخيل للناظر أنه عريق في التأنيق والتنسيق، وحسبك دليلاً أن واضعه أسسه على

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

هيئة الإسكندرية، وهذا ما يحملنا على أن نقول إن مدينة الرباط هي إسكندرية المغرب إن لم نقل أنها اليوم باريزه، بفضل ما دخل عليها من التحسينات العديدة، والإصلاحات الجديدة، مع ما أحدث فيها من المراكز الإدارية العظمى والأبنية الفارهة والقصور المشيدة (كما سبق وصفه في هذه الجريدة). هـ.

وجاء فيها بقلم أحد الكتبة من وصف ساباط القصبة [ما نصه][1]: هذا الساباط من الآثار القديمة والأبنية العظيمة التي تناقلت أخبارها تواريخ الإسلام وحفظت هياكلها بطون الأيام، وله بابان عظيمان أحدهما مشرف على منظر بديع ومشهد رفيع تنشرح له الخواطر وتبتهج له النواظر؛ حيث ترى منه سائر أجنة شالة ورباها، وبساتينها والأبنية الرباطية ودورها ومتنزهاتها، والآخر نافذ إلى القصبة المذكورة وهو أشبه شيء بباب الرواح أحد أبواب الرباط الغربية إذ بانيهما [34/ ب] واحد.

ولا أطيل بوصف هذا الساباط وعظامة بنيانه وضخامة أركانه، وما أودعته يد الزخرفة على جدرانه من النقوش الآخذة بالألباب والنفوس، وحسبي أن أقول إنه شاهد صادق ولسان ناطق بما كان لأربابه من العز السابق والمجد الفائق.

وجاء فيها أيضاً من مقالة في وصف جامع حسان ما لفظه: جامع حسان من المآثر الحسان، العظيمة الشان التي وصل صدى صيتها لكل مكان وتقررت شهرتها في الأذهان، وهي أعظم شاهد وأصدق برهان ينبئ بما كان لأربابها في سائر الأزمان من مزيد التقدم في الحضارة والعمران، والمهارة التامة في أحكام الصنائع والإتقان.

جامع حسان هو ذلك البناء[2] القديم والمشيد العظيم المالئ ببقايا عمده وأنقاض دعائمه فراغاً كبيراً من الفضاء المناطح بقبة منارته العالية الشماء الزائدة الارتفاع والسناء عنان السماء، جامع حسان من البناءات القديمة والمؤسسات العظيمة، والآثار الفخيمة التي كان اعتنى بها الملوك العظام وأمراء الإسلام الفخام في غابر الأيام، في جملة ما قاموا بتأسيسه من المعابد الدينية والمعاهد العلمية، والآثار التاريخية في هذه البلاد المغربية والأصقاع العربية.

مسجد حسان من الآثار التي طالما قاومت بشدة بنيانها وقوة أركانها كرور الأعصار ومرور الأدوار لتبقى محل إعجاب واعتبار وعنوان مجد وفخار، وتخلد لمؤسسها أحسن تذكار

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).
(2) في (ح): (البنيان).

فيما كانوا عليه من ارتقاء المدارك والأفكار، وقوة الاقتدار والابتكار التي تندهش منها الأبصار، وتَحار في عجائب آثارها الأنظار.

كان مسجد حسان من أعظم مساجد هذه البلاد المغربية وأكبرها وأبهجها وأفخرها وأمتنها [35/ أ] بنياناً، وأكثرها إتقاناً، وأفسحها مكاناً، وأجلها شأناً، وهو وإن تلاشت صورته اليوم من العيان فلا زالت جملة أوصافها راسخة في الأذهان مسجلة تفاصيلها بمداد الإعجاب على صفحات التاريخ وبطون الأيام[1].

ولم يزل هذا المسجد العظيم والمعبد الفخيم راسخ الأركان ثابت الجدران قائم الدعائم منصوب القوائم سالماً من عوامل الخراب وآفات العطب، إلى أواخر أيام السعديين، فهناك أخنى عليه الدهر ونسجت عليه بمناكب الإهمال، وانتشرت فوق محاسنه ذوائب الاضمحلال، وبددت أيدي الاندثار ما كان فيه من عجائب الآثار، وصار بعد ذلك أطلالاً بالية وأنقاضاً متلاشية ودعائم متداعية، اللهم إلا منارته المحكمة البنيان المتينة الأركان فإنها لم يؤثر فيها توالي الأيام وتعاقب الأعوام، بل لا زالت لابسة لحلل الجدة والبهاء سالمة من وقع عوامل الوهن والبلاء، مزدانة بما أودعته يد الزخرفة على جدرانها من النقوش الرفيعة والأوضاع البديعة والتخاريم الرقيقة والزخارف الدقيقة، ومن العجيب أن أحجار حيطانها العظيمة الهائلة المتواصلة خصوصاً من داخل لا زالت في غاية ما يكون من الجدة والسلامة، حتى إنه ليتخيل للناظر أنها قريبة البناء حديثة التأسيس، ومما يستحق أن يذكر أيضاً أن في أحد جدرانها على يمين الصاعد نافذتين عظيمتين مقوستين بهندسة غريبة وإتقان، وأمامهما بيت مربع في جوف قطب المركز الذي تدور عليه جدران الصومعة، فإذا سامتتها الشمس ارتسم الضياء النافذ منهما في داخل البيت المذكور في كيفية عجيبة على شكل خطين منحرفين مشتبكي الوسط متفرقي الأطراف، ولم يُدرَ إلى الآن ما الفائدة المقصودة منها فعسى أن تزاح عنها بالمستقبل ستور الخفاء تتجلى [35/ ب] لعالم الوضوح والمعرفة، وقد وشح كشح هذه الصومعة من خارج بأقواس نقشية عظيمة دائرة بوسطها إدارة النطاق بالخاصرة، وعلى أحد جوانبها في داخل تلك الأقواس منقوش على سطح حجارات الصومعة تمثال سيفين عظيمين مرفوعي الرأس لجهة السماء كأنهما يشيران لعلو همة أربابهما وشموخ أنوفهم، وطموح أبصارهم إلى ما فوق السماء.

---

(1) في (ح): سطر بياض في هذا الموضع.

(مساجد الرباط)

يوجد بالرباط نحو الخمسين مسجداً أقدمها المسجد العتيق؛ وهو مسجد القصبة المتقدم الذكر [في فصل تاريخها على أنه من آثار عبد المؤمن الموحدي كان بناه وخطط فناه إلى أن أفناه كر الجديدين، فتجدد بالإصلاح مرتين كما صرح بذلك الفنيون القائمون اليوم بإصلاحه للمرة الثالثة بفضل عناية الأحباس](1)، ثم مسجد جامع حسان الذي سبق وصفه بناه يعقوب المنصور الموحدي وأضيف إلى حسان تذكاراً لاسم بانيه، ومناره من الآثار المضروب بها المثل في الشفوف والاعتبار؛ ولذلك قال ابن الخطيب: وطلل حسان المثل في الاشتهار... إلخ(2).

يشتمل هذا الجامع على أربعمائة سارية محيط العمود منها أربعة عشر شبراً، وطوله أزيد من عشرين شبراً، ومساحته ألفان وستمائة وتسعة وخمسون ميتراً مربعاً، وهي طولاً خمسمائة ذراع موافق مائة وستة وثمانين ميتراً، وعرضاً أربعمائة ذراع موافق مائة وثلاثة وأربعين ميتراً، ومنارته طولها نيف وستون ميتراً، ومحيطها من جهاتها الأربع مائتان وأربعون شبراً، ومحرابه ثلاثة أمتار ونيف طولاً ومثلها عرضها، وأبوابه اثنا عشر باباً ستة منها في الجهة التي بين الشمال والشرق، والستة الأخرى في الجهة التي بين الجنوب والغرب، وجله مبني بالصخور مثل البناء الروماني الباقي بسفح جبل زرهون من آثار مدينة وليلى، وكل من زار هذا المعهد المقدس يقضي العجب ويرى أن الدهر الخئون قد لعب بهيكله العظيم، فتركه أطلالاً متراكمة سوى مناره الذي ما زال شاخصاً ماثلاً للعيان يراه القادم من مسافات بعيدة، شاهداً بما [36/أ] كان للمنصور بانيه من العظمة والهمة الشماء التي ما طاولتها سماء، وقد جاء في ضخامته وفخامته يشبه [مسجد](3) مدينة بلخ(4)، كما صرح بذلك المؤرخ الطنجي أبو عبد الله بن بطوطة(5) في

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) انظر: ذكر المعاهد والديار، لابن الخطيب، ص: 74.

(3) ما بين المعكوفتين سقط من المطبوعة.

(4) من أمهات بلاد خراسان. ولجامعها شهرة عظيمة. انظر: معجم البلدان، لياقوت: 1/ 479.

(5) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي، الطنجي، المعروف بابن بطوطة، رحالة، مؤرخ، ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى، وخرج منها سنة 725 هـ فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس اليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين والجاوة وبلاد التتر وأواسط إفريقيا، واتصل بكثير من الملوك والأمراء، فمدحهم شعراً - واستعان بهباتهم على أسفاره التي امتدت لقرابة سبعة وعشرين سنة، وعاد إلى المغرب؛ فانقطع إلى السلطان أبي عنان المريني، وأملى أخبار رحلته على (محمد ابن جزي) الكلبي بمدينة فاس سنة =

رحلته[1]، كما جاء مناره في صنعه ووضعه أشبه شيء بمنار الإسكندرية، كما لصاحب "المعجب في أخبار المغرب"[2]، قال: "إن أبا يوسف يعقوب المنصور لما فرغ من بناء مدينة الرباط التي كان اختطها وشرع في بنيانها أبوه يوسف بنى فيها مسجداً عظيماً كبير المساحة واسع الفناء جدّاً لا أعلم في مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له مئذنة في نهاية العلو على هيئة منار الإسكندرية يُصعد فيها بغير درج، وتصعد الدواب بجميع ما يحتاج إليه إلى أعلاها، ولم يتم هذا المسجد إلى اليوم؛ لأن العمل ارتفع عنه بموت أبي يوسف ولم يعمل فيه بعد محمد ولا يوسف[3].

ونقل ابن عبد المنعم الحميري في كتاب "الروض المعطار"[4] أن هذا المسجد كان يعمل في بنائه ونقل حجاراته سبعمائة أسير من أُسارى الإفرنج، قال: وهو من أعظم مساجد الإسلام وأحسنها شكلاً وأفسحها مجالاً وأنزهها منظراً.

وقال ابن أبي زرع في "القرطاس" أثناء الكلام على المنصور: "أنه لما جاز إلى الأندلس في بعض غزواته أمر ببناء قصبة مراكش والجامع المكرم الذي بإزائها وصومعته ومنار جامع الكتبيين، وببناء مدينة رباط الفتح وجامع حسان ومناره"[5].

وقال أيضاً: وفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بُني رباط الفتح وتم سوره وركبت أبوابه، وفيها بني جامع حسان ومناره. اهـ. ولم يزل مدة مديدة وهو سالم قائم القوائم إلى أيام السعيد الموحدي، ففي "الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية"[6] عند ذكر حوادث سنة =

= 756هـ وسماها "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار" ترجمت إلى عدد من اللغات توفي في مراكش سنة 779 هـ. انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 5/ 5، والأعلام، للزركلي: 6/ 235

(1) انظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لأبي عبد الله الطنجي: 1/ 423.

(2) انظر: الاستقصا، للسلاوي: 7/ 194.

(3) انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، للمراكشي، ص:266.

(4) هو كتاب: الروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري، المتوفى سنة 727هـ اشترط في كتابه أن لا يذكر من الأقطار إلا ما اتصلت به قصة أو حكمة أو خبر طريف ولقد نحا فيه نحو النقلة، قال محمد بن عبد السلام الدرعي الناصري: "ولم يكن معه تحقيق في أخبار الأقطار، وإنما ينقل من غيره "ونستدل للناصري بأنه لم يستطع أن يميز بين (سلا) الرباط و(سلى) السودان، مع أنه من سبتة. طبعت الفصول المتعلقة بالأندلس من الكتاب، قديماً بعناية بروفنسال، مع ترجمة إلى الفرنسية، وطبع بتحقيق د. إحسان عباس سنة 1975م. انظر: مقدمة الروض المعطار بقلم محققها الدكتور إحسان عباس، والأعلام، للزركلي: 7/ 53، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 920.

(5) انظر: الأنيس المطرب، لابن أبي زرع، ص: 229.

(6) هو: كتاب الذخيرة السنية في ذكر الدولة المرينية ينسب لابن أبي زرع المتوفى في الربع الأول من القرن الثامن صاحب =

641 هـ: أن السعيد الموحدي نقض جامع حسان وصنع بخشبه الأجفان فكانت مباركة، فأحرقت بوادي أزمور. اهـ.

وكان من أسباب خرابه اشتماله [36/ ب] على خشب الأرز الجيد المتين، فمدت إليه الأغمار أيدي الأطماع بالاختلاس والنهب مع عدم تعاهده بالعمارة، ولا طروقه للصلاة إلى ما طرأ عليه من الحوادث.

[قال صاحبنا المؤرخ السيد محمد بن علي السلاوي: "والحالة التي يشاهد عليها اليوم جامع حسان يستدل بها على حوادث كثيرة طرأت على هذا الجامع حتى][1] صار بمجموعها خراباً وقاعاً صفصفاً منها الحريق الهائل المشاهد مصحوباً مع سقوط الأعمدة تارة بإزائها وتارة فوقها وتارة تحتها، حتى إنه ليشاهد أثر الحريق من تحتها ومن فوقها وبإزائها، وقد أثر الحريق في بعض أحجار تلك الأعمدة الرخامية تأثيراً عظيماً صيرها هشة رخوة، وطبخ ما سواها من المواد الحجرية حتى فتتها تفتيتاً، وصير الخشب العظيم الغِلَظ فحماً ورماداً، ولولا حفظ بقية تحت الردم ما شوهد له أثر، ومنها الزلزال العظيم الذي سقطت به عمد الجامع وسواريه [وطرف من صومعته كما يأتي عن إدارة الآثار، ويدل لبعضه ما جاء][2] مقيداً بكناشة الفقيه المؤرخ السيد أحمد عاشور الرباطي[3] قال: وفي يوم الثلاثاء 13 محرم الحرام عام 1169هـ وقعت زلزلة سقط بها البعض من مكناسة الزيتون ومات أناس كثيرون، ودام اهتزاز الأرض أياماً والناس في رعب عظيم، وفي يوم السبت 26 من الشهر المذكور عامه 1169هـ وقعت زلزلة عظيمة انشقت بها الديار ومات البعض من الناس، وفاض البحر على أطراف البلد حتى كاد يدخل مدينة الرباط في الساعة الرابعة باعتبار السوائع الشمسية، وذلك ضحى اليوم المذكور، وطاح طرف من صومعة حسان، وكان الأمر عظيماً في هذا =

الأنيس المطرب المعروف بالقرطاس، وقد طبعت الذخيرة بمدينة الجزائر في سفر وسط بمطبعة جول كربونا سنة 1339هـ باعتناء الشيخ محمد بن أبي شنب الأستاذ بالمدرسة الثعالبية بمدينة الجزائر غير منسوبة لأحد. وطبعت بدار المنصور للطباعة. انظر: الإعلام، للسملالي: 1/ 67، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 151، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1627.

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح)، وفيها في هذا الموضع: (كلها أو جلها فإنها متراكمة من الغرب إلى الشرق على خط مستقيم بكثرة ومن الشرق إلى الغرب بقلة، وهذا شيء يعطيه ميزان الاهتزاز ورجة السقوط والرجوع بعنف، ونص ما وقفت عليه من ذلك).

(3) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 26، ص: 242.

[37/أ] اليوم جدّاً، وحصل لطف الله لعباده. اهـ. [ونقل مثله صاحب "نشر المثاني"[1]، ونقله عنه صاحب تاريخ "الاستقصاء"[2]][3].

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي[4] في تاريخه: "إن أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي انتزع لأهل العدوتين سلا والرباط سفينة عظيمة كانوا يجلبون بها الميرة لأنفسهم من خارج، صنعوها أيام الفترة يعني في دولة والده مولانا عبد الله بن إسماعيل، قال المؤرخ: كانوا صنعوها من خشب جامع حسان وتعرف بسفينة الكراكجية، وكان ذلك بتاريخ 1165 خمسة وستين ومائة وألف". اهـ[5].

ومما قالته إدارة الآثار في كلامها على هذا الجامع الذي اهتمت بإصلاحه ما نصه[6]: لم يشر التاريخ إلى الأسباب التي كانت نتيجتها انهدام هذا الجامع العظيم فاهتم المسيو ديالافوس مع قرينته بالحفر على الآثار فتوفق إلى إيجاد الباب والعتبة والعدد اليسير من الأعمدة، وأقامها في أماكنها كما يراها الناظر الآن، واستدل من الأخشاب المحروقة التي وجدت بين الأنقاض على أن الجامع المذكور احترق وانهدم، ولعل زلزلة شديدة كانت السبب في انهيال جوانبه، وعقبها حريقة بالجامع، أما المنار فلم يتم بناؤه وظل سطحه مكشوفاً لتقلبات الجو فأصابته الحرارة والبرودة وتسربت مياه الأمطار بين جدرانه، فأصلحت إدارة الآثار السقف والمجاري بدون أن تمس هيئته القديمة بأدنى تبديل، وأصابت الصاعقة العقدة الجنوبية من المنار فخلخلت بعض أحجار زاويتها، فاهتمت الإدارة بتمكين هذه الزاوية بالحديد حتى لا تتداعى، وباشرت الحفر على آثار أخرى بالجامع، ولنقف عند هذا الحد الجامع في الكلام على هذا الجامع، وإن أردت زيادة التفصيل حول ما قامت به إدارة الآثار من الإصلاح والإيثار، فانظر مقالة المهندس فورناز المنشورة في مجلة [37/ب] فرنسا والمغرب عدد 9 بتاريخ 15 شتنبر عام 1917م.

---

(1) انظر: نشر المثاني، للقادري: 4/ 113.

(2) انظر: الاستقصا، للسلاوي: 8/ 84.

(3) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(4) انظر ترجمته في الاغتباط: ترجمة رقم (71).

(5) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيد، للضعيف: 1/ 280.

(6) قصور، بل في تواريخ الإسلام ما يشير إلى تلك الأسباب كما نقلناه صريحاً عن صاحب الذخيرة السنية والمؤرخ عاشور والمؤرخ الضعيف الرباطيين، والله أعلم. هـ. مؤلفه.

وأما الجامع الكبير بالرباط فقد جاء في كتاب "الإتحاف الوجيز" أنه من أبنية يعقوب المنصور الموحدي باني الرباط[1]، ولا نعرف لهذا أصلاً، بل لا تظهر عليه صنعة الآثار الموحدية ولا صبغة البناءات القديمة المعروفة للموحدين، ولو كان من بنائهم لصرح به المؤرخون كما صرحوا ببنائهم لجامع القصبة ولجامع حسان كما تقدم، والظاهر ما صرح به [البعض][2] من أنه أثر من آثار بني مرين، ويشهد له أمران: الأول: وجود المارستان العزيزي المريني بإزائه، الثاني ما اكتشف بعد الإصلاح الحادث به أثراً لأبي عنان المريني من الرخامة الملصقة بجدار القوس الوسط من صحنه، بل وقع التصريح في عدد 9 المؤرخ بـ 15 شتنبر عام 1917 من المجلة السابقة بأن عبد الحق المريني هو الذي أمر ببنائه أو [تجديده][3] آخر القرن السابع الهجري.هـ. [وقيل: إنما جدده وتاريخ بنائه قبل ذلك][4]، وقيل: إنه من بناء الأندلسيين وأن السلطان سيدي محمد بن عبد الله جدد بناءه، والسلطان أبا الربيع أصلح أحد أبوابه، ثم تجدد صحنه وأعيد بناء بابه الخارج لسماط الخرازين في عهد مولاي الحسن[5]، ثم تداعى أخيراً وأشرفت سقوفه على السقوط، فتداركته عناية الأحباس سنة 1333 هـ، ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف بالتجديد والإصلاح والترميم والتسقيف من جديد، فكان ذلك من حسنات هذا العصر الجديد.

وأما جامع السويقة المعروف بجامع مولاي سليمان فقد دلتنا إضافته لمن هو، وفي أي عصر كان بناؤه، وقد قيل في سبب بنائه: إن السلطان مولاي اليزيد لما بويع له بسلا والرباط وهو بالحرم المشيشي وبايعه أهل فاس أيضاً اقتضى نظره أن يبني بالمدن الثلاث مساجد ثلاثة مكافأة لهم على المبادرة إلى بيعته، فأصدر أمره [38/ أ] الشريف في جمادى الأولى عام خمسة ومائتين وألف وهو بمكناسة الزيتون، فابتدأ العمل في البناء لمسجد الرصيف بفاس وعاقه الأجل المحتوم عن إتمامه، والشروع في مسجدي العدوتين، فأمضى عمله بعده أبو الربيع

(1) انظر: الاتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 93.

(2) في (ح): (بعض مؤرخي الإفرنج).

(3) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(5) هو: أبو علي، الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، الحسني، السجلماسي، من ملوك الدولة السجلماسية بالمغرب، ولي الحكم سنة 1290 هـ وتوفي سنة 1311 هـ.انظر ترجمته في: الاستقصا، للسلاوي: 4/ 235، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 2/ 115. (وقد وجاءت ترجمته في الاغتباط برقم 146، ص: 466).

السلطان مولاي سليمان بإتمام الأول وإنشاء مسجد الخرازين بسلا، وهذا الجامع السليماني بالرباط وما يقال من أن هذا الجامع كان من المساجد القديمة، أو هو المسجد العتيق بالمدينة والسلطان المذكور إنما جدد بناءه لا يعرف له أصل.

نعم جاء في "تاريخ الضعيف" إطلاق اسم جامع السويقة عليه عند ذكر حوادث 1219[1] ثم قال في حوادث 1227: وفي يوم الخميس خامس شعبان كملت صومعة جامع السويقة[2]، وفي يوم الأربعاء الحادي عشر منه جاء من جبل طارق الصاري الحديدي للصومعة، وفي يوم الخميس ثالث رمضان طلع الصاري الحديدي ونزل برأس الصومعة، [وفي يوم الأربعاء السادس عشر من رمضان كملت الصومعة][3] وتجردت، ولا بقي فيها ما يُعمل. اهـ[4].

فانظر هل كان اسم جامع السويقة يطلق عليه أولاً عند حدوثه كما يطلق عليه اسم جامع مولاي سليمان، أو كان ذلك الاسم لجامع قديم ثم نسخ باسم الجامع السليماني لما بني بناؤه الحديث؟

ومن مساجد الرباط الفسيحة الرحاب الرحبة البلاط مسجد جامع السنة أحد المساجد الست التي بناها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بأگدال[5] أشار لها الزياني في "ترجمانه" وأكنسوس في "جيشه"[6] وابن الحاج في "تاريخه" والناصري في "استقصائه"، وذكر الضعيف منها خمسة بأسمائها في حوادث سنة 1187 هـ فذكر جامع السنة، وجامع الودايا،

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيد، للضعيف: 2/ 623.

(2) المصدر السابق: 2/ 694.

(3) مكررة في (ح).

(3) المصدر السابق: 2/ 695.

(4) المصدر السابق: 2/ 695.

(5) يقع في الجهة الغربية من التواركة بجانب ثانوية مولاي يوسف بالرباط ولا يوجد عليها حسب جاك " كايبي" أية كتابة ولكن يسهل التعرف عليها من خلال كتابات مؤرخي الدولة العلوية: الضعيف والناصري والزياني في " البستان "، ويؤكد الضعيف أنه انتهى من بنائها في جمادى 1199 هـ/ 12 مارس 1785م، وفي سنة 1806 م نقل مولاي سليمان سقفها لمراكش قصد تسقيف مسجد علي بن يوسف. هـ نقلا عن تعليق البوزيد على تاريخ الضعيف: 1/ 306.

(6) هو كتاب "الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا السجلماسي"، لمحمد بن أحمد بن محمد الكنسوسي المتوفى سنة 1249هـ توجد منه نسخة مخطوطة برقم (292) في مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، كما توجد منه نسختان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقمي (339/ د، 43/ د)، ولم يتسر لي الوقوف على أي منهما.

وجامع أهل مراكش، وجامع أهل سوس، وجامع أهل فاس، ولم يبقَ منها الآن إلا الأول والأخير، ثم منارة [38/ ب] آخر يعرف اليوم بمسجد ملينة، وكان تمام جامع السنة بالبناء في جمادى عام 1199 هـ وكأنه بني على قاعدة ظل العصر بالصحن الأول إذا زالت الشمس عن سقفه الموالي لجهة القبلة كل يوم يطلع العصر؛ لأن جداره أسس على ظل العصر فلا يتبدل أبداً، كما أفادنيه شيخنا موقت العصر الأستاذ السيد المهدي متجنوش الرباطي(1).

قال الضعيف: "ولما ورد السلطان على الرباط دخله وجلس أمام المحراب ودارت به الطلبة، وشرعوا في قراءة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾، وفي ليلة المولد أمر بتزيين الجامع المذكور بالمصابيح وفرق المال على أهل الرباط وسلا نحو القنطارين أو أزيد، وأمرهم أن يصنعوا الطعام ويأتوا به للجامع من الدجاج، والمروزية والكعك، والمقروط والحلواء [الشباكية](2)، وغير ذلك، وبعث الزرابي من داره وفرش الجامع، ثم جلس المادحون وجلس معهم وأمرهم بقراءة قصيدة بانت سعاد... إلى آخر كلامه(3).

وقال في حوادث السلطان أبي الربيع: "وفي صفر الخير عام واحد وعشرين ومائتين وألف أمر مولانا سليمان -نصره الله- بهدم سقف جامع السنة الذي بناه أبوه السلطان سيدي محمد بن عبد الله برباط الفتح بأكدال على أن ينقض منه الجوائز مع قناطير السقف المذكور فنقض، وسار به في سفينة من مرسى الرباط إلى المهدومة (الجديدة)، ومنها إلى مراكش وسقَفَ به جامع علي بن يوسف اللمتوني، وكان هناك المعلم عبد الله السوداني، فلما سقف على الجامع المذكور بمراكش(4)، وحين كمل السقف سقط في الأرض وتكسر والأمر لله، [وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله](5) أنفق عليه أموالاً جزيلة ورتب فيه الطلبة، وكان يأوي إليه كثيراً، ويصلي فيه ويتفقد الطلبة بالطعام في كل يوم يطلع من الرباط ولا يغفل عن الطلبة(6). انتهى كلامه.

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 176، ص: 522.

(2) في (ح): (وشباكية) والمثبت موافق لما عند الضعيف.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 351.

(4) هي جعل سوار مربعة جهة الجوف من محل الصلاة، وتركيب أنصاف أقواس عليها دعم بها سقوفه حيث وقع فيه انشقاق بإشارة المعلم البناء المرحوم السيد الحاج عبد السلام بناني الرباطي في نظارة المرحوم الحاج عبد القادر المعموري، فلم يزد في طوله ولا عرضه، وإنما زاد ما ذكره.

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصول وهي زيادة تقتضيها السياق أثبتناها من التاريخ المذكور.

(6) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيد، للضعيف: 1/ 633.

ولما دالت الدولة للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن تلافاه وأحياه [39/ أ] قال في "الاستقصاء": "وكان بائداً يعشش فيه الصدى والبوم وأقام فيه الصلوات الخمس والخطبة كل جمعة، وأحيا المسجد الصغير المسمى بمسجد أهل فاس، واعتنى به وزخرف سقوفه. اهـ[1].

ولما جاء مولاي الحسن أحدث زيادة في جامع السنة، ولم يزل غالباً هو الجامع السلطاني الذي يقيم به السلطان صلاة الجمعة في موكبه الرسمي إلى هذه الأيام الأخيرة؛ حيث اقتضى نظر الجناب اليوسفي - أبَّد الله ملكه - تخصيص جامع أهل فاس القريب منه بإقامة الجمعة الرسمية، ولما كان لصغره يضيق بالمصلين أمر بالزيادة فيه وتجديده بالبناء، والزيادة في أقواسه وصحنه و[هدم][2] منارته [وإبدالها بأخرى تبعد عنها بنحو سبعة مياتر وهي منارته][3] التي أصبحت تناطح السماء، وقد طلب مني سعادة وزير الأحباس بواسطة ناظر الكبرى بالرباط [الفقيه السيد محمد ملين][4] إنشاء أربعة أبيات تنقش على المحراب الجديد، تتضمن الإشارة إلى عناية السلطان بهذا الإصلاح والتجديد، فقلت:

بُشْرَى فَقَدْ عَادَ الشَّبَابُ لِمَسْجِدٍ ... حُجُرَاتُهُ ضَاءَتْ ضِيَاءَ الْمَاسِ

لَمَّا تَجَدَّدَ حُسْنُهُ ومَنَارُهُ ... وَافَاهُ حَسَّانُ مَطَأْطِي رَاسِ

وَعَلَى التُّقَى قَدْ أُسِّسَتْ شُرُفَاتُهُ ... شَرَفاً وتَقْوَى اللهِ خَيْرُ أَسَاسِ

فِي ظِلِّ مَوْلاَنَا الْمُؤَيَّدِ يُوسُفٍ ... ووَزِيرِهِ الْمَوْلَى أَبِي الْعَبَّاسِ

ولما وقف عليها سعادة الوزير ارتأى أدباً وجوب الاقتصار على ذكر الأمير، فلذلك قلت في إصلاح البيت الأخير:

فِي ظِلِّ مَوْلاَنَا الْمُؤَيَّدِ يُوسُفٍ ... رَبِّ النَّدَى والسَّيْفِ والْقِرْطَاسِ

---

(1) انظر: الاستقصا، للسلاوي: 9/ 127.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(بقية المساجد والزوايا بالرباط)

ومن مساجد الرباط أيضاً مسجد العطارين المعروف بجامع السوق وجامع [39/ ب] الخرازين، ثم جامع ضريح مولاي المكي بن محمد الوزاني، ومسجد ضريح سيدي العربي بن السائح، ومسجد القبة ومسجد درب مولاي عبد الله، ومسجد الدك ومسجد مرينو ومسجد دنية ومسجد بلامينو ومسجد شكلانط، ومسجد السرايري، ومسجد الغماري، ومسجد البيضاء ومسجد الخرازين ومسجد وقاصة، ومسجد قورية، ومسجد اللوبيرة، ومسجد عطية، ومسجد ضريح سيدي السايح، ومسجد الزناقي ومسجد ضريح سيدي الشادلي، ومسجد الباشا، ومسجد ضريح سيدي الغندور[1]، ومسجد تبرنوصت، ومسجد درب النجار يدعى سيدي أبو الأنوار[2]، ومسجد أم الكنابيش، ومسجد القضية، ومسجد الجزاء، ومسجد ضريح سيدي فاتح[3] ومسجد ضريح مولاي إبراهيم[4]، ومسجد لالّ كنزة الطالبية الإدريسية، ومسجد ضريح مولاي المكي بن عبد القادر الوزاني[5]، ومسجد بناني ومسجد ضريح سيدي مَحمد الدرعي[6]، ومسجد النخلة ومسجد ضريح سيدي الحسن المسگيني[7]، ومسجد [سيدي عبد الله][8] الحويشي[9]، ومسجد المدرسة بدرب والزهرا، ومسجد الجنائز المدعو بالزاوية الكتانية، ومسجد ضريح سيدي الحسن بنسعيد[10]، ومسجد ضريح لالّ عائشة عريانة الرأس العلمية.

وأما الزوايا بالرباط فعددها اثنتان وعشرون؛ وهي: الزاوية الناصرية، والزاوية القاسمية، والرحمانية، والمعطوية، والمختارية، والغازية بالبحيرة لأصحاب سيدي الغازي بن قاسم، والغازية بزنقة بيارة [لأصحاب سيدي الغازي بن العربي][11]، والتهامية، والقادرية،

---

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط برقم 249، ص: 600.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط برقم 130، ص: 451.

(3) انظر ترجمته في: الاغتباط برقم 251، ص: 603.

(4) انظر ترجمته في: الاغتباط برقم 108، ص: 411.

(5) انظر ترجمته في: الاغتباط برقم 164، ص: 509.

(6) في (ح) بالذال المنقوطة.

(7) انظر ترجمته في: الاغتباط برقم 142، ص: 463.

(8) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(9) انظر ترجمته في: الاغتباط برقم 193، ص: 545.

(10) انظر ترجمته في: الاغتباط برقم 140، ص: 461.

(11) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

والعيساوية، والحمدوشية، والمباركية، والحنصالية، وزاوية سيدي الشيخ والدرقاوية، والتجانية [والكتانية][1] والبنانية [نسبة للشيخ أبي بكر البناني الرباطي[2] كان حبسها عليه بعض تلامذته من أولاد ابن جلون، وأخيراً تداعى بناؤها فجددها فلذة كبده ووارث سره من بعده صهرنا الشيخ فتح الله البناني[3]][4]، و[5] العكارية [نسبة للشيخ سيدي علي العكاري الرباطي[6] الآتي، ثم زاوية سيدي أحمد بنموسى العايدي[7]][8]، و[9] [40/ أ] التلمسانية و[الزاوية][10] الغربية [للأحمدين أبي العباس التلمساني[11] لا وأبي العباس الغربي[12] الرباطيين][13] و[14] القجيرية [نسبة إلى سيدي محمد القُجَيْرِي (بضم القاف وفتح الجيم) البركة الولي الصالح الشهير تلميذ سيدي عبد الله بن حسون بسلا، كان بنى هذه الزاوية بالرباط في حياته وحفر فيها بئراً لا زال يُتَبَرك به، وحبس عليها عدة حوانيت، ولما أتم بناءها سافر إلى بلده القصر الكبير وبه توفي سنة خمس أو ست وأربعين][15]، [واكتفينا بسردها لعدم تعلق الغرض باستيعاب الكلام عليها هنا][16].

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 118، ص: 436.

(3) هو: أبو الفضل، فتح الله بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام، البناني، الرباطي المولد والوفاة، وأصله من فاس، تتلمذ على أبيه الشيخ أبي بكر البناني ومن كتبه: "المجد الشامخ فيمن اجتمعت بهم من أعيان المشايخ" وهو من أهم مصادر بوجندار المعتمد عليها في كتابنا هذا و"إتحاف أهل العناية الربانية" وغيرها.

(4) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(5) في (ح): (ثم الزاوية).

(6) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 231، ص: 587.

(7) هو: أبو العباس، أحمد بن موسى الجزولي ثم السملالي، شيخ جليل شهير، له طريقة مشهورة، ومناقبه كثيرة، وضريحه ببلاد السوس مزار يتبرك به، توفي سنة 971 هـ. انظر ترجمته في: دوحة الناشر، لابن عسكر، ص: 102، وطبقات الحضيكي: 1/ 12، والإعلام، للسملالي: 2/ 233، والمعسول، للمختار السوسي: 5/ 12.

(8) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(9) في (ح): (ثم الزاوية).

(10) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(11) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 13، ص: 218.

(12) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 11، ص: 213.

(13) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(14) في (ح): (ثم).

(15) ما بين للمعكوفتين زيادة من (ح).

(16) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(الدور الملوكية بالرباط)

منذ كان الرباط وهو قاعدة الإمارة وعاصمة الإدارة والوزارة، كم فيه من دور وقصور لعبد المؤمن وحفيده المنصور، ولا تزال قصور الدولة الموحدية معروفة بهذا الاسم في بعض الرسوم الأصلية، ومما جاء في ذلك لأهل المقامات والمسالك قول ابن الخطيب: بها للملك دور وقصور ولأهل الخدمة بناء مشهور. وقول صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار: وقد تقدم ميناه وهذا معناه أن في الرباط من المباني الملوكية الرفيعة، والمنازه البديعة، وقباب الجلوس للسادات والقصور العليا ما جعلها من عجائب منتزهات الدنيا. هـ.

وكان من جملة هذه القصور دار العادل بالقصبة جعلها بعضهم من آثار بني مرين، والحق أنها من بناء السلطان أبي محمد عبد الله بن يعقوب الموحدي المعروف بالعادل، وقد اندثرت ولا يعرف لها محل من القصبة، وأنشد في حقها صاحب الجذوة:

يَـا عَـاذِلِي دَعْ عَنْـكَ عَـذْلَ الْعَـاذِلِ ... واخْلَعْ عِذَارَكَ فِي الْحَبِيبِ الْوَاصِلِ
وَإِذَا ذَكَـرْتَ عيشة (عَشِيَّةً) لِمَحَاسِنِ ... فَـاذْكُرْ عَـشَايَانَا بِـدَارِ الْعَـادِلِ

[40/ ب] وقد تقدم ذكر الدار الإسماعيلية المسماة بعد بالمدرسة، كما سبق ذكر دار السلطان سيدي محمد بن عبد الله بأگدال، ودار ولده مولاي اليزيد بالقصبة.

ومما لم يتقدم لنا ذكره من آثار السلطان سيدي محمد بن عبد الله بالرباط دار سعيد بن صالح التي اندثرت اليوم وصار عليها مركز الإقامة العامة الجديدة، بناها لقائده سعيد بن صالح، وهو قائد بخاري كان قائد رحى من كبار قواده ووصفائه متولياً قيادة جيش البواخر بالرباط، ذكره الزياني في كتابيه "الترجمان"(1) و"البستان"، وترجم له القنصل الدانمركي هست في "تاريخه للمغرب"، ولما جاء السلطان أبو الربيع بنى لنزوله الدار الملوكية بالقبيبات بشاطئ البحر وهي التي صارت اليوم مستشفى عسكريّاً، ومن الدور الملوكية الدار الكبرى داخل الرباط المنسوبة لمولاي رشيد ابن أمير المؤمنين مولاي عبد الرحمن، وهي التي صارت مستشفى أهليّاً لعموم أهالي الرباط، ومنها دار السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وهي

---

(1) هو كتاب: الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، لأبي القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني، المؤرخ، الرحالة، الوزير، المولود بفاس، والمتوفى بها سنة 1249 هـ. انظر ترجمته في: اليواقيت الثمينة، للأزهري: 1/ 104، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 230، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 8/ 9، وللكتاب نسخة خطية، في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (10859).

الدار الكبرى بأفدال المجاورة لدار سيدي محمد بن عبد الله السالفة الذكر، وهي دار حسناء حسنة البناء واسعة المقاعد والفناء قيل في وصفها: إنها من أخوات البديع؛ لما اشتملت عليه من البناء الرفيع والنمط البديع، وكان الفراغ من بنائها عام واحد وثمانين ومائتين وألف قال في الاستقصاء: "ولما كمل بناؤها أمر السلطان رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يختم فيها فقهاء رباط الفتح صحيح البخاري أولاً وفقهاء سلا ثانياً، فدخلناها في جملتهم وتقصينا منازلها ومقاعدها فرأينا ما ملأ أبصارنا حسناً وإتقاناً وعجيب صنعة". اهـ[1].

وقال صاحب الجيش عند ذكرها: ولقد أحسن مولانا - نصره الله - كل الإحسان في تعمير الثغر المبارك الذي هو سرة البلاد وغرة الفتح المبين عند الجهاد في جوار جده المجاهد الناصر لدين الله تعالى سيدي محمد بن عبد الله، فلو رأى رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما شيده مولانا المظفر - نصره الله - لاقتضى منه العجب [41/ أ] العجاب، وعلم أنه ترك الأمراء العلماء الأنجاب، وأن له زرعاً يغيظ الكفار نباته، وخلفاً مثل الجبال رسوخه وثباته، ولو حيي يعقوب المنصور الذي أسسه، ورأى ما صونه مولانا المظفر وحرسه، لقال الآن صار الرباط رباطاً، وازداد دون غيره من ثغور الإسلام اغتباطاً، لما أصبح للأسد الهصور عريناً، وأضحى لمدينة السلام قريناً، وأظهرت فيه الدولة المحمدية آثارها، ونثرت عليه الأبهة الهمامية نثارها، فصارت تحاكي المباني المحمدية المراكشية والإسماعيلية المكناسية إلا أنها تفوقها بأنها في نحور العدو عتاد، ولسرادق العز الأثيل أوتاد، وعندها للبر والبحر صدور وأعجاز، ومنها إلى الشرق والغرب مجاز، فأجزل الله الثواب لأمير المؤمنين على حسناته وبارك للمسلمين له في حركاته وسكناته. هـ.

ولما جاء السلطان المقدس مولاي الحسن أحدث فيها زيادات من جهة الضريح العبدلاوي، وشيد فيها عدة قباب وقصور تزري بقصور الزهراء، وبديع المنصور منها قبة عجيبة مطلة على الروض السعيد، [ومما][2] كتب على جانبي مدخلها لشيخنا القاضي الفاضل أبي حامد البطاوري - أبقاه الله - قوله يمين الداخل:

دُخُـــولُ سَـــعَادَةٍ ومَزِيــدُ يُمْــنٍ ... ونَـــصْرٌ واعْتِـــزَازٌ وارْتِقَــاءُ

وقوله يسار الداخل:

فَــدُمْ والــدَّهْرُ بِــالأَفْرَاحِ عِيــدٌ ... ودُمْ بِالــسَّعْدِ مُتَّــصِلَ الْبَقَــاءِ

---

(1) انظر: الاستقصا، للسلاوي: 9/ 115.

(2) في (ح) و(ع): (ولما).

وأحدث أيضاً داراً أخرى على الشاطئ البحري جهة الدار السالفة الذكر من بناء السلطان أبي الربيع، وأما المنتزه السلطاني الجديد بدار المخزن والقصر اليوسفي الحادث العهد بباب تامسنا فهما من المحاسن اليوسفية بالرباط، بل هما زينة الرباط العامر، وحلية هذا العصر اليوسفي الزاهر، وما أحقهما بقول الشاعر:

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلامُ ... خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الأَيَّامُ[1]

[41/ ب] وقولي في بعض المنتزهات المقصودة للنزهات:

وَ مَنْزَةٌ مِنْهُ كُلُّ الْحُسْنِ مُقْتَبَسُ ... كَأَنَّهُ مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ مُخْتَلَسُ
مِنْ كُلِّ صُنْعٍ نَفِيسٍ حَازَ أَنْفَسَهُ ... لِذَاكَ تَعْشَقُهُ النُّفُوسُ والنَّفَسُ
أَسَاسُهُ السَّعْدُ حَتَّى لَوْ رَأَى زُحَلُ ... سَعْدُ السُّعُودِ بِهِ مَا كَانَ يَنْتَحِسُ

(بقية الآثار الملوكية بالرباط)

من آثار الرباط الأسوار القديمة وأبوابها وهي من بناء يعقوب المنصور الموحدي كما تقدم.

قال المؤرخ مويط الفرنسوي في "رحلته": والمتناقل عن السكان أن بعضها من بناء المسيحيين الذين أتى بهم قواد يعقوب المنصور عند غزوه لجزيرة الأندلس، وهؤلاء المسيحيون هم الذين قاموا ببناء الأقواس الممدود عليها قنوات المياه الموجودة بالمدن المغربية، كما هو مشاهد الآن بالمدن المذكورة. اهـ. وهذه الأسوار تبتدئ من برج الصراط الذي صار اليوم مستودعاً من جملة المستودعات، وتمتد على طول ثلاثة آلاف ومائتي مطر[2] إلى جهة الجنوب الشرقية[3]، ثم تنحرف نحو جهة الشمال إلى أن تصل للوادي قريباً من أسوار شالة بمائة وستين ميتراً[4]، ويتصل بالسوار الموحدي من جهة المحيط سور أشبار الذي أحدثه السلطان المولى عبد الرحمن يبتدئ من برج الصراط إلى [قبالة][5] قصبة الأوداية ويفصل بينهما[6] السور الداخلي الواصل أيضاً بين السور

(1) البيت لأشجع السلمي الشاعر العباسي، في قصيدة يمدح بها هارون الرشيد، وانظر الأغاني: 18/ 241.

(2) أي متر.

(3) وهي طول السور الجنوبي للرباط. كذا في هامش (ع) والمطبوعة.

(4) وهي مساحة السور الشرقي للرباط. كذا في هامش (ع) والمطبوعة.

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(6) أي من السور الشرقي والأشبار. كذا في هامش (ع) والمطبوعة.

الموحدي والوادي أحدثه الأندلسيون أوائل القرن الحادي عشر، ولا زال يُعرف بسور أهل الأندلس، وأما السور الخارجي[1] فهو من آثار السلطان سيدي محمد بن عبد الله يبتدئ من البحر عن بعد ألف وسبعمائة وأربعين ميتراً من الجنوب الغربي لبرج الصراط ويمتد نحو الجنوب الشرقي، ثم ينعطف إلى أن يتصل بسور الموحدين عن بعد خمسمائة ميترا من دار السلطان التي يحيط بها سور [42/ أ] أجدال الكبير الذي أحدثه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن، أما أبواب الأسوار فسبعة عشر باباً تهدم البعض منها اليوم وأنشئت بدلها أبواب أخرى اقتضتها ضرورة مصلحة الأشغال العمومية، ولكن الأبواب الأثرية منها هي الأبواب الموحدية وهي بابا القصبة المعبر عنهما بالساباط وباب العلو وباب الأحد وباب الحديد[2]، وباب الرواح الذي ينفذ منه إلى أجدال، وكان رحمه السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وأحدث قرب داره التي بناها في قبلة هذا الباب باباً جميلاً ملاصقاً لداره سماه باب الرواح أو باب الربح بقي مفتوحاً طول حياته، ثم سده ولده المولى يزيد كما في الضعيف، وهو الذي بنى فوقه لهذا العهد المنتزه السلطاني بعدما فتح للمرور منه.

ومن الأبواب المحدثة ما ذكره الضعيف في تاريخه قال: "وفي ليلة يوم الثلاثاء 25 رمضان عام 1151 هـ سقط القوس الكبير الذي بباب القنانيط بباب البحر من رباط الفتح أمنه الله، وذلك في مدة مولانا المستضيء بالله[3]. وفي يوم الأربعاء 29 قعدة عام 1204 هـ تقوس باب البحر من ناحية سلا وكثر البناء بالرباط بالسور[4].

وفي ثاني محرم الحرام فاتح عام 1205 هـ تقوس باب الجديد[5].

وفي يوم الاثنين الثاني من جمادى الأولى وقعت ملاججة بين القائد السويسي والناظر محمد فرج[6] على بناء باب شالة بعد أن حفر الناظر أساس الباب على يد المعلم ابن أحمد الشياظمي، فلم يرد السويسي بناء الباب وأراد إبقاءه على ما كان عليه، وفرج[7] أراد بناءه وتعطل البناء،

(1) وراء السور الجنوبي المذكور أولاً وعلى مساحته. كذا في هامش (ع) والمطبوعة.

(2) في هامش (ع) بالحاء المهملة.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 227.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 396.

(5) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 399.

(6) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 105، ص: 403.

(7) في (ع): (أفرج).

ثم بعد ذلك شرع الناظر في بنائه بعد أن كاتب محمداً السلاوي فأمره بالبناء، وكان ابتداء بنائه في السادس عشر من جمادى الأولى وضرب عليه الطبل والآلة". اهـ باختصار[1].

ومن الآثار الملوكية الحادثة بالرباط ما يوجد فيه من القلع والأبراج وهي أحد عشر برجاً تقدم ذكر بعضها في الكلام على قلعة الرباط أعني القصبة الأثرية، ومما جاء في تاريخ الضعيف [42/ ب] الرباطي أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله جدد بناء القصبة وبنى بها البستيون المعروف ببرج خنزيرة وبستيوناً آخر مقابل سلا، وبنى برج الصراط[2] وصقالة ابن عيشة[3]، وجدد قصبة مولانا الرشيد[4]. هـ المراد.

وفي تاريخ الاستقصاء أن السلطان المذكور في سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف نهض لتفقد الثغور والنظر في أحوالها، ولما حل بالرباط أمر قائده أبا الحسن علياً مارسيل[5] أن يبني صقالة؛ أي برجاً كبيراً على البحر، وأمر قائد سلا عبد الحق فنيش بمثل ذلك ثم أمر بإنشاء سفينتين إحداهما لأهل الرباط والأخرى لأهل سلا، وكانت عندهم سفينة واحدة مشتركة بينهم أنشئوها أيام الفترة؛ (أي وقت استقلالهم أيام مولاي عبد الله)، وأما أشبار الكبير بالعلو فهو من آثار السلطان المولى عبد الرحمن كما سبقت الإشارة إليه وهو أيضاً الباني بأعمال الرباط لحفظه وتأمين طرقه القصبتين الكبيرتين قصبة الصخيرات وقصبة أبي زنيقة[6].

قال في الاستقصا: فأمن الناس بها وارتفقوا بالتردد عليها. اهـ[7]. [وهو الباني أيضاً لدار البارود الجديدة قبالة باب الجديد وهي الدار التي اقتضت اليوم مصلحة البلدية هدمها أيضاً دكّاً من طرف من السور الأندلسي بتوسيع نطاق السوق البلدي][8]، أما البرج العظيم الهائل المنظر والمخبر المعروف باسم البرج الكبير خارج باب العلو على الشاطئ فهو أعظم أثر

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 699.

(2) من أهم الأبراج التي أقيمت للدفاع عن الشاطئ، بني فوق صخرة في الشمال الغربي من مقبرة العلو، وتوجد عليه كتابة تؤكد أنه بني عام 1189 هـ بناه علج إنجليزي اسمه أحمد الإنجليزي وأشار الضعيف أن أحمد الإنجليزي هذا هو الذي بنى جل مآثر سيدي محمد بن عبد الله بالرباط. انظر تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 306.

(3) الرئيس المتقدم الذكر. كذا في هامش (ع) والمطبوعة.

(4)انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 306.

(5) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 241، ص: 594.

(6) انظر: الاستقصا، للسلاوي: 8/ 11 وما بعدها.

(7) انظر الاستقصا، للسلاوي: 9/ 78.

(8) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

حسن للسلطان المقدس مولاي الحسن صرف عليه أموالاً باهظة وبناه على هندسة غريبة وكيفية عجيبة لم تكن تعرف عند المغاربة من قبل، وجلب إليه المدفع من ألمانيا من أحكم وأحدث طرز، وقد كان شيخنا القاضي أبو حامد سئل وقت بنائه إنشاءَ بيتين يُكتبان على باب البرج المذكور فأنشأ في ذلك:

جَلَّتْ مَآثِرُ مَوْلانَا الإِمَامِ بِمَا أَبْدَاهُ مِنْ كُلِّ صُنْعٍ مُتْقَنٍ حَسَنِ

فَكُلُّ مَنْ شَاهَدَ الْبُرْجَ الْعَظِيمَ شَدَا بِالْعِزِّ والنَّصْرِ والتَّأْيِيدِ لِلْحَسَنِ

[وهو الباني أيضاً لمرسى الرباط الحالية قبل أن تتناولها يد الإصلاح الحديث جدد بناء ديوانتها الكبرى والصغرى وزاد في رصيفها، وشيد عدة أهرية ومستودعات لحفظ البضاعات][(1)]، وأما دار البارود [القديمة][(2)] المعروفة بالقشلة وبقصبة مولاي رشيد بظاهر العلو، [43/ أ] فقد جاء في "الإتحاف الوجيز" أنها من آثار السلطان مولاي عبد الرحمن[(3)]، والحق أنها من بناء مولاي رشيد وجددها سيدي محمد بن عبد الله كما سبق عن الضعيف، ولم تكن تعرف إلا بقصبة مولاي رشيد بانيها، وما سميت بالقشلة إلا بعد أن أحدث السلطان مولاي الحسن فيها العسكر، ثم صار يطلق عليها دار البارود حيث كان بعضه مخزوناً بها، ولما أحدث تنظيم البوليس المغربي وخصصت هذه القصبة لفرقة بوليس الرباط صار يطلق عليها قشلة البوليس، إلى أن جعلت بعد الاحتلال من سجون البلد، وكان البارود الموجود فيها مع سائر الآلات الحربية جله من آثار السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يجلب ذلك من الخارج، وكم له من سفارات في هذا السبيل كسفارة عام 1175 التي قام بها كاتبه السيد الطاهر بناني الرباطي إلى السلطان مصطفى العثماني صاحب القسطنطينية العظمى، وسفارة عام 1177 التي قام بها في بلاد السويد الرئيس الحاج التهامي مدون الرباطي[(4)]، وسفارة الرئيس أبي عبد الله العربي المستيري الرباطي إلى بلاد إنكلترا، وسفارة عام 1179 التي قام بها الرئيس أبو الحسن علي مرسيل الرباطي إلى فرنسا، وغير هؤلاء من الرؤساء والسفراء الذين كان يبعثهم السلطان بالهدايا فيرجعون بالمراكب الموسوقة

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(3) انظر: الاتحاف الوجيز، للدكالي: ص: 80.

(4) لم أقف عليه في الاغتباط ولم يذكره السلاوي في الاستقصا.

من آلات الحرب كالمدافع والمهاريس والبارود وإقامة المراكب القرصانية، وكان السلطان العثماني في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف أهدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله هدية عظيمة كلها عُدة وآلات حربية ومعها ثلاثون من مهرة المعلمين الذين لهم المعرفة بإفراغ المدافع والمهاريس والكور والبنب وبصناعة المراكب القرصانية، وفيهم معلم مجيد في الرمي بالمهراس إلى الغاية، ففرقهم السلطان على الثغور، وبعث معلم الرمي إلى رباط الفتح فكان يعلم فيها الطبجية من أهل العدوتين، وتخرَّج على يده نجباء، ومن ثم [43/ ب] توارث أهل العدوتين هذه الصناعة مدة إلى أن لم يبقَ منها اليوم إلا الاسم[1]. قاله في الاستقصاء.

ومن آثار الرباط[2] [ما كان فيه من الديار المعدة لضرب السكك الفضية والنحاسية، [كذلك][3] كدار السكة المعروفة بهذا الاسم من حومة الجزاء، وقفنا من آثارها بالرباط على بعض مسكوكات مضروبة باسم السلطان سيدي محمد بن عبد الله ثم ما فيه من مارستانات كالمارستان القديم أمام الجامع الكبير قيل: إنه من أثر أبي عنان المريني، ويدل له تصريح ابن جزي في "تهذيب رحلة الطنجي"[4] بأن من آثار أبي عنان بناء المارستانات في كل بلد من بلاد المغرب.

ولا زال اسم المارستان يطلق عليه حتى بعد أن صار منجرة للأحباس أخيراً وأما المارستان الجديد بضريح سيدي محمد الغازي[5] فهو من بناء السلطان مولاي عبد الرحمن إلى غير هذا من بقية الآثار الملوكية بالرباط نذكر منها أيضاً السجن القديم بساباط القصبة وقد تقدم والسجن الحديث بدرب الحفرة في عهد السلطان أبي الربيع ثم ما يوجد فيه من][6] المرافق والمنافع العمومية كبعض الحمامات والعيون والسقايات فإن منها ما هو حديث العهد ومنها ما هو قديم وجد مع ما وجد أولاً من بنايات الرباط وقد تقدم قول الاستبصار وفي مدينة الرباط قيسارية عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها. هـ ولعل الحمام المذكور هو حمام السوق؛ لأنه أقدم حمام يوجد في الرباط وأما

---

(1) انظر: الاستقصا، للسلاوي: 8/ 32.

(2) في (ح) آثار الرباط الملوكية.

(3) ما بين المعكوفتين زيادة من المطبوعة.

(4) أي رحلة ابن بطوطة الشهيرة، وقد تقدم التعريف بها وبصاحبها.

(5) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 39، ص: 289.

(6) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

حمام العلو فقد سبقت الإشارة إلى أنه من آثار بني مرين ويعرف في الحوالات الحبسية باسم الحمام الجديد حبسه أبو عنان المريني على ضريح والده أبي الحسن وعلى إطعام الطعام للمساكين بشالة كما جاء كل ذلك في رخامة التحبيس السابق ذكرها في فصل "تاريخ شالة" كما سبق أن حمام المدرسة إنما هو من بناء السلطان المظفر مولاي إسماعيل وحمام أگدال من بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وأما حمام القصري فمن بناء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن كان وقت سكنى اليهود بحومة البحيرة دار يهودي يقال له (القشري) بالشين فصحف بـ (القصري) وبقي الحمام يعرف به حتى بعد بنائه، والذي باشر بناءه هو المعلم الطيب بن سعيد والد المعلم المفضل كبير البنائين اليوم بالرباط.

أما باقي الحمامات فهي محدثة من بناء الأفراد كحمام الشرفاء والحمامين الجديدين حمام غنام وحمام والزهراء.

وأما المياه المطردة بسقايات الرباط ومساجدها فالذي كان أجراها أولاً من عين غبولة هو عبد المؤمن الموحدي سنة 545 كما سبق، ثم أجراها من العين المذكورة ثانياً السلطان يعقوب المريني سنة ثلاث وثمانين وستمائة وذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج [44/ أ] كما في "الاستقصاء".

وجاء في "تاريخ الضعيف" أن الذي أجرى مياه عين عتيـق بالرباط هو السلطان سيدي محمد بن عبد الله، ولعله إنما جدد إجراءها[1]، وإلا فقد وقفت على ديوان القاضي أبي عبد الله مرينو الكبير[2] وفيه التصريح بأن إجراء عين عتيـق هو من آثار السلطان المقدس مولاي إسماعيل، قال: إنه هو الذي أدخلها وأجراها داخل المدينة ومساجدها بتاريخ يوم الجمعة العاشر من صفر الخير عام خمسة وثلاثين ومائة وألف وأنشد في ذلك هذه القصيدة:

فَلِلَّـــهِ الْكَـــرِيمِ الْحَمْـــدُ حَقّـــاً ... عَلَـــى نَعْمَائِـــهِ حَمْـــداً وَفَاهَـــا
وَ مِـــنْ أَسْـــنَى الأَيَـــادِ فِـــي الْبَرَايَـــا ... خَلِيفَتُـــهُ الْمُوَفَّـــقُ مَـــنْ حَمَاهَـــا
أَبَـــانَ بِنَـــصْلِ جَـــدِّهِ كُـــلَّ هَـــزْلٍ[3] ... وزَانَ بِعَدْلِـــــهِ فِيهَـــــا خلاهَـــــا
وَ أَيَّـــدَ مِلَّـــةَ الإِسْـــلامِ صِـــدْقاً ... ومِلَّـــةُ غَيْـــرِهِ قَهْـــراً نَفَاهَـــا

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 306.
(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 52، ص: 294.
(3) في (المطبوعة): (عزل).

فَكَــمْ لَــهُ مِــنْ فُتُوحَــاتٍ وغَــزْوٍ مَــشَاهِدُ نَـصْرِهِ أَفْرَحَــتْ غِنَاهَــا
وَ كَــمْ أَحْيَــتْ عَدَالَتُــهُ نُفُوسَــاً بِتَهْيِئَــةِ الْعُلُــومِ لَــهُ سَــنَاهَا
وَ كَــمْ أَحْيَــتْ مَجَادَتُــهُ بِــلاداً بِــإِجْرَاءِ الْمِيَــاهِ لَهَــا تَرَاهَــا
كَمَــا أَحْيَــا الرِّبَــاطَ رِبَــاطَ فَــتْحٍ بِمَــاءِ عَتِيــقٍ جَــدْوَلُ فِــي ثَرَاهَــا

إلى أن قال:

وَ قَــالَ لِـسَانُ حَــالِ عَتِيـقٍ إِنِّــي رَوِيٌّ فِــي الأَقَــاوِلِ مَــنْ وَعَاهَــا
بِــأَنَّ الــصَّالِحِينَ دَعَــوْا لأَبْقَــى رَهِــينَ الْمَــزْجِ يَحْبِـسُنِي حِمَاهَــا
فَكَــمْ عَــانَى الْمُلُــوكُ وكَــمْ أَرَادُوا ومَــا لَبِــثَتْ مِيَــاهِي مَــنْ بَغَاهَــا
فَلَمَّــا أَنْ تَوَجَّــهَ لِــي إِمَــامٌ سَــمَا عَنْــدَ الإِلاهِ الْحَــقِّ جَاهَــا
أَجَبْــتُ نَــدَاءَهُ لَمَّــا دَعَــانِي ولَبَّيْنَــا وأَقْبَلْنَــا وِجَاهَــا
وَجِئْــتُ مُهَــرْوِلاً فِــي كُــلِّ صَــوْبٍ إِلَــى الأَقْــوَاسِ قَــدْ جُزْنَــا بِنَاهَــا
[44/ب]مَدَدْتُ طَوِيلَ جِيدِي رَغْمَ أَنْفِي إِلَــى ذَاكَ الــسَّرِيجِ بِــهِ يُبَاهَــا
فَقَــالَ انْظُــرْ إِلَــى قَــدْرِي وحُــسْنِي وقَــدْ مُلِئَــتْ جَوَابِيــهُ مِيَاهَــا
وَ مِنْــهُ [قَـدْ] (1) جَــرَى الأُنْبُــوبُ كُلِّــي وأَرْغَمَــتْ الَّــذِي بِــالْمَنْعِ فَاهَــا
وَأَخْــرُجُ مِنْــهُ عَنْــدَ الْبَــابِ حُلْــواً لِيَكْــرَعَ مِــنْ جَــدَاوِلِنَا ظِمَاهَــا

وهي قصيدة طويلة كلها في مدح السلطان والعين المذكورين، وقد نقلت ما نقلت منها على علاته للفائدة التاريخية التي هي درة يتيمة(2) في عقد التاريخ الرباطي، [ولم تزل هذه العين هي المادة الوحيدة المستعملة بالرباط لعدم وصول عين غبولة إلى داخل المدينة حتى بعد عام 1330 حيث اهتمت البلدية بتعميم قناة عين غبولة في الانتفاع وتخصيص الأولى للسقي والرش عملاً بإشارة إدارة الصحة فوقع جلبها وصار المستخرج منها يومياً مبلغ ستة آلاف متر مكعب بعدما كان في أول الأمر لا يتجاوز ستمائة متر مكعب بيد أنه أخيراً حصل أمر غير عادي فقل ماؤها بكيفية محسوسة ورغماً عما أضيف إليه من مياه الآبار المحدثة حوالي المدينة فإنه لم يمكن تجاوز 5300 خمسة آلاف وثلاثمائة متر مكعب في اليوم وأصبح هذا المقدار وما

(1) ما بين المعكوفتين سَقَط من (ح)، (ع).
(2) في (ع): (يتيمته).

معه من ماء عين عتيك المنتفع به في غير مسجد وادي والبالغ 800 ثمانمائة متر مكعب غير كاف لضروريات العاصمة التي اتسع نطاقها وازداد عمرانها وستزداد نمواً واتساعاً ولذلك وقع التفكير من مصلحة البلدية في بناء سد على نهر أبي رقراق ولا زالت الفكرة تحت النظر ولو نفذت لكانت الفائدة جليلة بحصول العاصمة على جميع ما يحتاج إليه من الماء زيادة عن كون ذلك يساعد على تنظيم الري في وجتي سلا والرباط فتضاعف ثروتها وتتوفر خيراتها من فلاحة وإنتاج والله تعالى][1] أعلم.

(المعارف والمدارس والمكاتب بالرباط)

جاء في مقدمة كتابي "تعطير البساط بتراجم قضاة الرباط" ما نص المراد منه: -قال- غير خافٍ على من له إلمام بتاريخ المغرب أن الرباط مدينة عمارتها حادثة العهد ولم يكن بها أول بنائها إلا بعض الجنود والجيوش رابطة فيها، للسلطان المنصور بانيها، مع البعض من أهل شالة انتقلوا إليها لجدتها، ولم يتسع نطاق عمرانها، إلا بعد استيطان جالية الأندلس بها حين نفتهم دولة أسبانيا من الجزيرة الخضراء في أوائل القرن الحادي عشر، فتفرقوا شَذَرَ مَذَرَ في بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، ووصلت منهم طوائف إلى الرباط فحلوا به وحصنوه وحسنوه بما بنوا فيه من البناءات الرفيعة والقصور البديعة وغيرها من الحمامات والديار والمنازل والمنازه، والكل على الطرز الأندلسي، فتمت بذلك عمارته وزهت حضارته وراجت تجارته، وراقت نضارته، وازداد ذلك لما أخنى الدهر الخئون بشالة تلك المدينة المقدسة، ولعبت بها أيدي الأيام حتى استحالت سعودها نحوساً وآلت للخراب فانتقلت تلك البقية الباقية من أهلها [45/ أ] إلى الرباط وانتقلت إليه سائر الصنائع والحرف والمعارف التي كانت بشالة بانتقال أهلها فأصبحت عند ذلك مدينة الرباط راقية في أوج العمران والرفاهية تجر ذيول التقدم على كثير من المدن المغربية سيما بعدما أخذ أهل الفضل والعلم والأدب ينسلون إليها من كل حدب فاستوطنها كثير منهم وبهم راجت بضاعة العلم بالرباط ونفقت أسواقه، وعمرت مجالسه ولم تمضِ مدة يسيرة حتى نبغ من الوطنيين أجلاء ملكوا زمام الكتابة والتأليف والتدريس والوعظ والخطابة والفتيا والقضاء وسائر الرياسات الدينية، ولم يزل كل ذلك إلى هذا العهد في نمو وازدياد يفوق الحد، ولله الحمد، أما في غير هذا التاريخ أعني قبل الألف بكثير وبعده بيسير فالأمر كان بضد ذلك كله بين جهل سائد وعلم

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ع).

بالرباط ونفقت أسواقه، وعمرت مجالسه ولم تمضِ مدة يسيرة حتى نبغ من الوطنيين أجلاء ملكوا زمام الكتابة والتأليف والتدريس والوعظ والخطابة والفتيا والقضاء وسائر الرياسات الدينية، ولم يزل كل ذلك إلى هذا العهد في نمو وازدياد يفوق الحد، ولله الحمد، أما في غير هذا التاريخ أعني قبل الألف بكثير وبعده بيسير فالأمر كان بضد ذلك كله بين جهل سائد وعلم كاسد لا عالم يُنتفع بعلمه ولا مؤلف يهتدى بفهمه إلا أفراداً قليلين لا يزيدون على [حركات][1] العوامل، وإن زادوا ما جاوزوا عدد الأنامل ولا غرابة فتلك طبيعة العمران وحال البداية في الأوائل. اهـ[2].

[وجاء في آخر حلقة لسلسلة مقالاتي (ذكرى صلحاء الرباط) المنشورة في "السعادة" ترجمت فيها للشيخ الإمام أبي إسحاق التادلي إمام المجددين ومؤسس دولة النهضة الحالية بين الرباطيين ما نص الغرض، قلت: إمام المجددين ومؤسس دولة النهضة الحالية بين الرباطيين وهي مقالة يغني فيها العيان عن البيان، والتاريخ نعم القاضي على الماضي فقد مر على الرباط حين من الدهر لم تكن فيه سوق المعارف والعوارف نافقة نفاقها الذي زرعت بذر بضاعته منذ أواخر القرن العاشر إلا عندما قرب انبثاق فجر القرن الحاضر، وبعث الله على رأسه من يجدد أمر دينه فكان المترجم خير أمة أخرجت للناس ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120] لم يزل يدعو ويرشد ويؤسس ويجدد وهو الخبير بإشادة ذلك البناء وابن بجدته الذي طالما لقب نفسه بالمجدد ووسمها بالمشيد إلى أن فتح الله من عين بصيرة أقوام أبصروا عند بزوغ فجر دعوته نوراً هداهم إلى سبيل الاهتداء بهديه والتأدب بآدابه، والرضاعة من ثديه، بينهم طبقة من مشايخنا ومشايخهم الذين وُفقوا لاقتفاء آثاره والطبع على غراره في التأديب والتهذيب فأصبحوا أعوانه بمدينة الرباط في الأخذ بضبعيها والإنافة بها على اليفاع لغاية تدرجت فيها اليوم بفضل تعاليمه للوقوف في مقدمة المدن المتقدمة علماً وعملاً وأدباً وفضلاً (وليس الخبر كالعيان). هـ الغرض من المقالة. وإن فيه لدلالة على كون الرباط حادثة العهد في سبيل تقدمها العلمي وتفوقها الأدبي][3].

ولذا كانت المدارس العلمية القديمة قليلة بالرباط لا يوجد منها إلا مدرسة الملاحة جوار قصبة الوداية[4] بالمحل المعروف بالمدرسة وقد تقدم ذكرها وهي التي كان الأندلسيون

(1) في ح (حركة).

(2) انظر مقدمة تعطير البساط ص: 3.

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) في (المطبوعة): (الأودايا) والأودايا أو الأوداية اسم يطلق على إحدى القبائل المغربية. انظر: موسوعة المدن والقبائل،

اتخذوها لتعليم فن الرماية والملاحة والقرصانية وباقي الفنون الحربية البحرية أيام لصوصيتهم وقيامهم بالغزو في السواحل الأوربية، ومنها مدرسة درب والزهرا أنشئت في عهد مولاي إسماعيل وكان يسكنها بعض طلبة العلم في العهد المذكور وهي التي صارت اليوم زاوية للطائفة الحراقية، ومنها مدرسة الجامع الكبير وهي المارستان المريني الذي كان جعل مدرسة لطلبة العلم المترددين على دروس العلم بالجامع المذكور، وأما المدارس المحدثة ولا سيما الكتاتيب الأهلية فعددها ليس بالقليل ولو عني بإصلاحها وإدخال التنظيم [45/ ب] العصري عليها لكان لها من الفائدة أمر جليل كما نشاهده في أخواتها مدارس الحكومة كالمدرسة الابتدائية بزنقة العكاري، ومدرسة أولاد الأعيان بشارع العلو، ومدرسة البنات بحومة سقاية ابن المكي، والمدرسة اليوسفية بأجدال أعني المدرسة العليا الإسلامية، إلى غير ذلك من المعاهد والمدارس التي هي تحت نظر إدارة العلوم والمعارف وهي كثيرة ما بين وطنية وفرنسوية علمية وصناعية ابتدائية وثانوية وعليا، وأعلاها المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية بربوة أجدال الخارجي قرب المعرض وهي التي ترقت اليوم عن اسم مدرسة وصار يطلق عليها اسم معهد الدروس المغربية العليا.

وقد كنت أيام توظيفي بها بصفة مدرس أنشأت سلسلة مقالات بجريدة السعادة في تأسيسها والغاية المقصودة منها كما أنشأت هذه الأبيات في تاريخ وضعها، ومحاسن صنعها:

عَلَى الطَّائِرِ الْيَمَنِيِّ أُسِّسَتْ الْعُلْيَا ... وفَوْقَ مَنَاطِ النَّجْمِ والذُّرْوَةِ الْعُلْيَا

بَدَتْ غُرَّةً غَرَّاءَ فِي جَبْهَةِ الرُّبَى ... ولاحَتْ لَنَا كَالْخَالِ فِي وَجْنَةِ الدُّنْيَا

وَ قَالَ بَشِيرُ السَّعْدِ فِيهَا مُؤَرِّخاً ... عَلَى الطَّائِرِ الْيَمَنِيِّ أُسِّسَتْ الْعُلْيَا

142 1301 151 221 101

1916

= لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 62.

أما المكاتب العلمية العمومية فلا يوجد قديماً منها بالرباط إلا مكتبة المسجد الأعظم من حبس السلطان سيدي محمد بن عبد الله؛ لأنه كان [46/ أ] جمع عدداً وافراً من الكتب العلمية يزيد على اثني عشر ألف مجلد وحبسها على مساجد المغرب فناب [مسجد][1] الرباط قدر له بال منه تأسست المكتبة الحبسية لينتفع بها من هو أهل لها كما جاء في نص التحبيس. ومما جاء في بعض الوثائق المكتوبة على تلك الكتب أنه يشترط أن تكون على يد الإمام أبي عبد الله محمد بن قاسم السجلماسي صاحب "العمل الرباطي" وشارح "العمل الفاسي"، فلم يزل القيم بتلك المكتبة مدة مقامه بالرباط إلى أن غادره بأمر مولوي إلى بجعد كما يأتي في ترجمته إن شاء الله[2]، وبعد ذلك بقيت المكتبة بيد القضاة والنظار فتلاعبت بها الأيدي كما شاءت الأقدار، بل [في العهد الحفيظي أمر السلطان بإحصائها وانتخب منها ما انتخب ثم بقي ما بقي منها في حكم العدم][3] إلى أن قوض[4] الله له همة من أصدق الهمم [فأوجدتها في الجملة من طي العدم][5] وذلك لما تناولت يد الإصلاح أحباس الرباط فصدر الأمر المولوي لجناب ناظرها بالبحث عن البقية الباقية من تلك الكتب الحبسية في خزائن القضاة والنظار والبيوتات العلمية إلى أن جمعت من ذلك مائة وواحداً وثلاثين مجلداً كلها خطية منها تسعة عشر مجلداً من "البيان والتحصيل" لابن رشد[6] وثمانية من نسخة تامة من "البخاري" وثمانية من "القسطلاني"[7] وسبعة من "ابن حجر"[8] وخمسة من "المعيار"[9]

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (المطبوعة).

(2) انظر: ترجمته في الاغتباط ترجمة رقم (63).

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح) وفي موضعه (تفرقت شذر مذر ولم يبق لها عين ولا أثر).

(4) كذا في المطبوعة و(ع) ولعل صوابها: (قيض).

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من (ع).

(6) هو كتاب: البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، لأبي الوليد، محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي، القرطبي قاضي الجماعة بها، المتوفى سنة 520 هـ. جمع فيه المسائل الموجودة وله أيضاً: اختصار المبسوطة، اختصار مشكل الآثار للطحاوي. انظر: هدية العارفين، للبغدادي: 1/ 489، اصطلاح المذهب عند المالكية، ص:217.

(7) يريد كتاب: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، المصري، شهاب الدين الشافعي، المتوفى بمصر سنة 923 هـ وهو كتاب جليل القدر كثير النفع ليس له نظير في بابه رتبه على عشرة مقاصد في السيرة النبوية. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1896، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1511.

(8) يريد فتح الباري في شرح حديث البخاري لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هـ.

(9) هو كتاب: المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيَّة والأندلس والمغرب، لأبي العباس، أحمد بن يحيى بن =

وخمسة من "الحلية" [وخمسة من شرح بناني على سيرة الكلاعي(1) المسمى: "مغاني الوفا بمعاني الاكتفا"](2)، وأربعة من شرح السدراتي على الموطأ(3)، ثم البعض من الزرقاني(4) والترغيب والترهيب للمنذري(5) والإحياء للغزالي(6) والمدخل لابن الحاج(7) =

محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، المتوفى سنة 914 هـ، طبع على الحجر بفاس قديماً سنة 1314هـ بمراجعة عدد من الفقهاء، ثم أعادت وزارة الثقافة والإرشاد بالمغرب ودار الغرب طباعته سنة 1980م بعناية محمد حجي وآخرين.

(1) هو أبو الربيع، سليمان بن موسى بن سالم، الحميري، الكلاعي، البلنسي، محدث، حافظ، مؤرخ، ناثر، شاعر، خطيب، من تصانيفه: الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا، في أربع مجلدات. انظر ترجمته في: الديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 200، وتكملة الصلة، لابن الأبار: 2/ 708، وشذرات الذهب، لابن العماد: 5/ 164.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(3) هو: أبو العباس، أحمد بن الحاج السدراتي، السلاوي، المتوفى سنة 1253، فقيه مشارك ولي القضاء بسلا سنة 1203هـ وأعفي منه ثم أعيد إليه سنة 1226هـ وأخر عنه ثم أعيد مرة ثالثة سنة 1247هـ وكانت له عناية بالحوادث التاريخية نقل عنه السلاوي صاحب الاستقصا، وله شرح على الموطأ. انظر: الاستقصا، للسلاوي: 8/ 21، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 260، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 100، والأعلام، للزركلي: 1/ 260، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 1/ 186.

(4) هو شرح موطأ الإمام مالك، للزرقاني، عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد بن علوان، المتوفى سنة 1099 هـ طبع بمصر وفاس طبعتين قديمتين 1280هـ، و1310هـ وأعيد طبعه حديثاً. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1908، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 967.

(5) هو: أبو محمد، عبد العظيم بن عبدالقوى بن عبد الله بن سلامة بن سعد المنذري، الشامي الأصل، المصري الشافعي، من مصنفاته "الترغيب والترهيب" و"التكملة لوفيات النقلة "، و"مختصر صحيح مسلم" و"مختصر سنن أبي داود". انظر ترجمته في: البداية والنهاية، لابن كثير: 13/ 212، وفوات الوفيات، لابن شاكر: 1/ 296، وطبقات الشافعية، للسبكي: 5/ 108، ومقدمة تحقيق بشر عواد لكتاب "التكملة لوفيات النقلة" نشر مؤسسة الرسالة (1401 هـ).

(6) هو: أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الغزالي، نسبةً إلى صناعة الغزل -عند من يقوله بتشديد الزاي أو إلى غزالة من قرى طوس لمن قال بالتخفيف- الطوسي، حجة الاسلام، له نحو مئتي مصنف، مولده ووفاته في الطابران بخراسان، رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته، توفي سنة 505 هـ من أشهر كتبه: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، وغيرها. انظر ترجمته في: المنتظم، لابن الجوزي: 9/ 168، الكامل، لابن الأثير: 10/ 491، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 4/ 216، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 19/ 322، والوافي بالوفيات، للصفدي: 1/ 274.

(7) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد بن محمد العبدري، الفاسي، القيرواني، التلمساني، المعروف بابن الحاج، المتوفي بالقاهرة سنة 737 هـ، كان من العلماء العاملين من أصحاب الشيخ ابن أبي جمرة -صاحب مختصر البخاري- فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، سمع بالمغرب من بعض شيوخه وقدم القاهرة وسمع بها الحديث وحدث بها وهو أحد المشايخ المشهورين في الزهد والخير والصلاح ألف عددا من التصانيف منها شرح التلقين لعبد الوهاب البغدادي كتاب " المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها" وهو كتاب =

والذخيرة[1] ومختصر ابن عرفة وكبير الخرشي[2] والمواق[3] وشرح العمل والحطاب واختصار البرزلي[4] والاستيعاب لابن عبد البر[5] وشرح نظم ابن سينا في الطب وغيره[6]، وشرح التسهيل للدلائي[7] ....

حافل جمع فيه علماً غزيراً، قال عنه ابن حجر: "هو كثير الفوائد كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها وأكثرها مما ينكر وبعضها مما يحتمل". انظر: الدرر الكامنة، لابن حجر: 4/ 237، والديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 413، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 218، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 156.

(1) أي الذخيرة، لأبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي، المصري، شهاب الدين المتوفى سنة 684هـ جمع فيها من أبواب الفقه والكلام على الأصول، طبعت محققة في دار الغرب، بعناية محمد حجي سنة 1990.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الخراشي أول من تولى مشيخة الازهر نسبته إلى قرية يقال لها أبوخراش من البحيرة، بمصر، كان فقيها فاضلا ورعا، أقام وتوفي بالقاهرة سنة 1101 هـ. من كتبه الشرح الكبير على متن خليل وهو المشار له بالنص وقد طبع وهو من أهم الشروح على خليل وأوفاها. انظر ترجمته في: طبقات الحضيكي: 2/ 321، ونشر المثاني، للقادري: 3/ 18، الرحلة العياشية: 2/ 359، وصفوة من انتشر، للإفراني، ص:205، وعجائب الآثار، للجبرتي: 1/ 113.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف العبدري، الغرناطي، المواق: فقيه مالكي: كان عالم غرناطة وإمامها وصالحها في وقته توفي سنة 897 هـ له من المصنفات التاج والإكليل في شرح مختصر خليل وهو المشار إليه بالنص وسنن المهتدين إلى مقامات الدين انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 324، وشجرة النور، ص: 262، والضوء اللامع، للسخاوي: 10/ 98، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1814، والأعلام، للزركلي: 8/ 30.

(4) هو: أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي، القيرواني، المعروف بالبرزلي، أحد أئمة المالكية، سكن تونس، وانتهت إليه الفتوى فيها، وكان ينعت بشيخ الاسلام، وعمر طويلا، توفي في تونس سنة 843 هـ، من كتبه "جامع مسائل الاحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام"، وقد اختصره الونشريسي صاحب المعيار المتوفى سنة 914 هـ، وهو المشار إليه بالنص، وله "الديوان الكبير" في الفقه. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 1/ 17، والضوء اللامع، للسخاوي: 11/ 133، الأعلام، للزركلي: 5/ 172، معجم المؤلفين، لكحالة: 2/ 158.

(5) هو كتاب: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد البر التجيبي، الأندلسي، المتوفى بطرابلس الشام سنة 341 هـ. انظر: المدارك، لعياض: 8/ 127، والديباج، لابن فرحون: 2/ 367، وجمهرة أنساب العرب، لابن حزم، ص: 302، وجذوة المقتبس، للحميدي، ص: 344، والصلة لابن بشكوال: 3/ 973، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 7/ 66.

(6) لأبي علي، الحسين بن عبد الله المعروف بابن سينا المتوفى سنة 428 هـ أرجوزة في الطب في نحو عشرين وثلثمائة بيتاً تو جد منها عدة نسخ مخطوطة في العالم في برلين والمتحف البريطاني وقد طبعت في لكنو وكلكتا بالهند، وله ألفية في الطب شرحها ابن طملوس وللشرح نسختان بالخزانة الحسنية تحت رقمي: 1014، و11348. انظر: تاريخ حكماء الاسلام للبيهقي، ص: 52، وتاريخ الحكماء، للشهرستاني، ص: 413، والكامل في التاريخ، لابن الأثير: 9/ 456، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص: 437، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 2/ 157.

(7) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد بن أبي بكر القشتالي، المعروف بالصغير الدلائي، المتوفى في سنة 1089 هـ من مصنفاته "البركة البكرية في الخطب الوعظية" و"الدرة الصدفية في محاسن الشعر وغرائب العربية" و"فصل الخصمين في متعلق

وشرح الكافية لناظمها[1] والمقامات الحريرية وكتاب البداية والنهاية وشرح المواقف[2] والإصابة، وشرح التهذيب[3] والشيخ يحيى على المدونة، وغير هذا من الكتب وكلها بخط مغربي والباقي وهو نحو [46/ ب] العشرين مجلداً بخط مشرقي.

وتوجد مكتبة أخرى حبسية من آثار شيخ الجماعة بالرباط أبي إسحاق التادلي الرباطي رحمه الله كان حبسها على طلبة العلم بالرباط، ولا يزال بعضها بخزانة قائمة في ضريحه والبعض منها تلاشى والبعض عند أولاده، وكانت تشتمل على عدة كتب مطبوعة وخطية وعلى الكثير من مبيضات تآليف الشيخ أبي إسحاق، وهي مؤلفات عديدة تقدر بمائة وعشرين تأليفاً في كثير الفنون، ولكن جلها غير تام، وأما المكاتب الخصوصية بالرباط فكثيرة من أعظمها مكتبة القاضي المرحوم الفقيه السيد أحمد بناني[4] التي صارت بعده لورثته، ثم مكتبة شيخنا شيخ الجماعة بالرباط القاضي السابق الشريف أبي حامد البطاوري أبقاه الله، ومن المكاتب الخصوصية العامرة بالكتب في الرباط مكتبة المسيو لوريش المستشرق اللغوي قنصل دولة فرنسا سابقاً بالرباط وهي من المكاتب والخزائن العامرة بالكتب الغربية بالمغرب.

ومما يوجد بها نسخة من المقامات عتيقة بخط الأديب مهذب الدين مهلب بن حسن بن بركات الميلي[5] المتوفى بمصر يوم الثلاثاء 21 من ذي القعدة الحرام عام 576 تاريخ كتابتها =

الظرفين" و"نتائج التحصيل في شرح التسهيل" وهو الشرح المشار إليه بالنص و"نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي". انظر: هدية العارفين، للبغدادي: 2/ 102.

(1) الكافية في النحو، لأبي عمرو: عثمان بن عمر المعروف بابن الحاج المتوفى سنة 646 هـ وهي مقدمة مختصرة مشتهرة نالت اهتماماً كبيراً من قبل الشراح وقد نظمها مؤلفها في أرجوزة وسماها "الوافية" وشرحها وقد أكب الناس على الاشتغال بها وشروحها كثيرة متداولة ومطبوع جلها. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1370، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 853، و993، 2/ 1486.

(2) هو كتاب: المواقف في أصول الدين والعقائد، لعبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عضد الدين، المتوفى سنة 756هـ وقد شرحه عدد من العلماء. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1833.

(3) لعله يريد شرح كتاب: تهذيب الكلام والمنطق لسعد الدين التفتازاني، المتوفى سنة 793، وله عدة شروح. انظر: جامع الشروح، لحبشي: 1/ 789.

(4) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 37، ص: 269.

(5) هو أبو المحاسن مهلب بن الحسين بن بركات بن علي بن مهلب المصري، مهذب الدين، المتوفى في حدود سنة 575 هـ من تآليفه "الجواهر المنثورة في شرح المقصورة"، و"نظم الفرائض وحصر الشوارد". انظر ترجمته في: هدية العارفين، للبغدادي: 2/ 200.

ثمان خلون من شهر ربيع سنة 574، وعليها سماع على الشيخ الإمام العالم الحافظ تقي الدين أبي الرضا أحمد بن طارق بن سنان القرشي(1) مقيده علي بن محمد بن رحّال الشافعي كتبه في يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأخيرة سنة 578، وفي السماع المذكور أنه يروي الرسالة السينية والشينية عن شيخه أبي منصور الجواليقي(2) عن الحريري، وهناك سماع آخر على ابن طارق المذكور وفيه أنه يروي المقامات عن أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن الشقور عن مؤلفها وتاريخ السماع سنة 577، وبعده بخط ابن طارق صحيح ذلك وكتب أحمد بن طارق في التاريخ. هـ.

أما ما أنشأته الحكومة من المكاتب [47/ أ] العمومية في الرباط فأعظمها مكتبة المدرسة العليا؛ أي معهد الدروس المغربية العليا وقد أُحدث لها اليوم محل خصوصي بجوار المعهد المذكور ونقلت إليه أخيراً بعدما صار يطلق عليها مكتبة الحماية، وقد كنت خصصت للكلام عليها مقالة بين سلسلة مقالاتي المتعلقة بالمدرسة المذكورة كما سبقت الإشارة إليه آنفاً، وهذا نص تلك المقالة الخاصة بالمكتبة قالت: ذكرنا في فصل التحسينات المدرسية أن من جملة التحسينات التي دخلت على المدرسة ما أنشئ بها من تلك المكتبة العلمية الجامعة العمومية التي يؤمها الراغب ويقصدها الطالب، فيظل فيها كأنه بين رياض وغياض وحياض أو حدائق ذات أنوار ورياحين وأزهار، تجري من تحتها الأنهار وهو يتهافت نحوها تهافت الظمآن أو العاشق الولهان على تقبيل خدود الورد وارتشاف ثغر الزهر والريحان يقتطف تارة من أزهار العلم وأفنان الفنون، ويتقلد آونة أخرى من جواهر المعاني ودرر المباني ما يزري بالجوهر المكنوز والدر المكنون.

مكتبة لا أغالي إذا قلت: إنها المكتبة الوحيدة المغربية، أو قلت، إنها من قبيل المكاتب

---

(1) هو: أبو الرضا، أحمد بن طارق بن سنان الكركي، ثم البغدادي، محدث شيعي غال. انظر ترجمته في: معجم البلدان، لياقوت: 4/ 361، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 21/ 270، ولسان الميزان، لابن حجر: 1/ 188، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي: 6/ 140.

(2) هو: أبو منصور، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن بن الجواليقي، إمام لغوي نحوي له كتاب "المعرب" طبع بتحقيق وشرح العلامة أحمد شاكر بمطبعة دار الكتب بمصر سنة 1969، وشرح أدب الكاتب، والتكملة في لحن العامة أكمل به " درة الغواص " للحريري كما ذكر ابن خلكان وياقوت، وقد طبع بتحقيق الاستاذ عز الدين التنوخي بمطبعة ابن زيدون بدمشق سنة 1355، بعناية المجمع العلمي العربي بدمشق. انظر ترجمته في: الأنساب، للسمعاني: 3/ 337، ونزهة الالباء، لابن الأنباري، ص: 396، المنتظم، لابن الجوزي: 10/ 118، ومعجم الأدباء، لياقوت: 19/ 205، إنباه الرواة، للقفطي: 3/ 335، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 5/ 342.

العمومية الأوربية، أو قلت: إنها ثالثة الأثاني[1] لمكتبة الأستانة العربية، ومكتبة مصر الخديوية بما تجمعه في بطون خزائنها من الذخائر العلمية، وتكتنزه من المآثر الفنية حبّاً في تسهيل أسباب التعاطي على التلميذ المتعطش للارتواء من لبان المعرفة وارتضاع ثدي العلم والحكمة، وسعياً وراء تحقيق سائر الوسائل والوسائط التي بها يتسنى للطالب الراغب في الاستزادة أن يجدَّ ويكدَّ في الاستفادة بما يجده بين أكنافها الفسيحة من وسائل البحث ومواد التنقيب والتنقير في العلوم على العموم[2] قديمها وحديثها معقولها ومنقولها فروعها وأصولها، أجل إن الواقف على هذه المكتبة وعلى ما جمعته مع قرب العهد بنشوئها من المؤلفات [47/ ب] الغريبة والمصنفات العجيبة والكتب العتيقة والخطوط الأنيقة يستنتج من ذلك - ولا جرم - أن همة من أعظم الهمم هي التي تحتاطها وتلحظها بعين الاهتبال والاهتمام، ألا وهي همة سعادة المقيم العام الذي لم يزل يحوط هذه المكتبة منذ تأسيسها بسائر ضروب الرعاية والعناية آخذاً بيدها في سبيل تقدمها وتوسيع نطاقها بما يجلبه لها بنفسه من المجلدات والذخائر الثمينة، وبما يسعى في تحصيله لها من الهدايا النفيسة التي ترد عليها من المعاهد العلمية والمنتديات الأدبية، وحسبك هذه من خدمة تُذكر ومنقبة تُسجل بين صفحات أعماله الخيرية وتُشكر.

ولم يقف عند هذا الحد بل مراراً استدعى لزيارتها الوزراء الكرام في جملة من الرؤساء العظام، وأعرب لهم عن مزيد إعجابه من تنظيم هذه المكتبة وترتيبها مع ما له من الشغف الزائد بالسعي وراء فائدتها بتكثير مقتنياتها ومستودعاتها، وحثهم على مساعدته وشد عضده في هذا السبيل؛ لما فيه من المنفعة العامة العائدة على الجميع بالخير الجزيل والذكر الجميل، وصرح لهم بأنه يعلم كثيراً من الخزائن [التي][3] كانت عامرة وبقيت مهملة في زوايا النسيان مدفونة في سجوف الإهمال إلى أن أخنت على بعضها الأيام، وضربت عليه بسرادق من نسيج العنكبوت، وهبت على البعض الآخر رياح الضياع وذهبت البقية الباقية أدراج الأطماع، مع أنه في الإمكان إحياء مواد تلك الآثار بجلبها لمكتبة مثل هذه تتعهد بحفظها وضبطها ضبطاً

---

(1) في (ح): (الأثافي) بالتاء المثناة والأثافي جمع أُثفِيَة وقد تخفف الياء في الجمع وهي الحجارة التي تُنْصَبُ وتجعل القِدْرُ عليها وقولهم رماه الله بثالثة الأثافي أي رماه الله بداهية مثل الجبل والمعنى أنهم إذا لم يجدوا ثالثة من الأثافي أسْنَدُوا قُدُورَهم إلى الجبل. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 9/ 3، مادة (أثف).

(2) في (ح): (العلوم) لعلها مصحفة.

(3) ما بين المعكوفتين زيادة من المطبوعة.

يخوَّل للجميع حق الانتفاع بها والاستمتاع بنفائس مجوهراتها، لا سيما والمبدأ الذي أسست لأجله هذه المكتبة هو أن تكون بحيث يصح أن يطلق عليها اسم المكتبة الإسلامية المغربية بما تقتنيه من الآثار الإسلامية ومآثر علماء الإسلام عموماً، والآثار المغربية المحررة بقلم المغاربة خصوصاً، وبالأخص فيما هو متعلق بالتاريخ الإسلامي الأفريقي [48/ أ] المغربي.

ولقد سبق لجريدتنا السعادة الإشارة إلى هذا المعنى فلم يبقَ علينا إلا أن نرد بجماح قلمنا إلى استلفات أنظار علماء بلادنا عموماً وأبناء نهضة شبيبتنا الحادثة خصوصاً، وأخص الأخص أدباء العدوتين (ولأي شيء نستلفت أنظارهم) نستلفت أنظارهم إلى التمتع بهذه الغنيمة الباردة والقطيفة السهلة التناول ولو بزيارة[1] المكتبة حيناً بغد حين.

فالمكتبة اليوم مستعدة لاستقبال كل زائر كريم واقتبال كل أديب لبيب ومساعدته بما شاء في أي وقت شاء إلى أن يرجع قرير العين مبتهج الصدر باسم الثغر، بما يحصل عليه من الفرائد والفوائد والشوارد والزوائد.

وهي دائماً فاتحة أبوابها في وجوه زائريها ولا تقتصر على يوم معين أو أسبوع دون آخر، بل تقابل زوارها صباح مساء وتقتبلهم يوميّاً من الصباح إلى المساء إلا يوم الأحد وأيام المواسم الدينية والأعياد الرسمية.

ولأجل هذا الغرض وقياماً بهذا الحق المفترض جُعل عليها قيم خاص مجبول على الهش والبش معروف بلين الجانب ودماثة الأخلاق، فأنيط به أمر مراقبتها والقيام بشئونها والنظر في مصالحها، وإليه ترجع مسئوليتها في دفع كتاب أو إعارته على وفق القانون المسنون من استلام خط يد المستعير بشرط أن يكون معروفاً، وأن لا تنيف المدة على الخمسة عشر يوماً إلى غير هذا من الشروط الشاملة من كان داخليّاً من المدرسة أو خارجيّاً عنها إلا الأساتذة، فلهم نوع فسحة بنوع رخصة ليست لغيرهم.

أما تنظيمها على الطريقة الحادثة وترتيبها على النسق العصري الموافق للنظام الموجود ببقية المكاتب العمومية الأوربية، فالفضل فيه [48/ ب] يرجع إلى المسيو كوتنير الكتبي الشهير بباريز فقد جاء بدعوة خصوصية من قبل مدير المدرسة، وعهد إليه بأمر المكتبة فثابر على العمل بجد ونشاط لما له من الدراية السابقة، حتى أتم مهمته في أقرب وقت فدون فهارس القسمين العربي والإفرنجي بطريقة عملية تسهل على المشتغلين البحث فيها، فكونها

(1) في (ح): (بزيادة).

من صفحات متحركة أي بطاقات صغيرة مرتبة بحسب الفنون على الحروف الهجائية مكتوب عليها اسم الكتاب ومؤلفه واسم الفن والمطبعة إذا كان مطبوعاً وهكذا.

ولا يخفى أن هذه الطريقة المثلى التي تجعل المكتبة على الدوام كاملة شاملة لكل ما يرد عليها من الكتب الجديدة خلافاً لبعض المنتقدين الذي ارتأى أفضلية الفهارس المجموعة المطبوعة في دفتر خاص كأنه غفل أو تغافل عما تضطر إليه ولا بد من تكميلها بطبع ملاحق من وقت لآخر كلما ورد عليها من المؤلفات التي تظهر في كل وقت من الأوقات.

وبالجملة المغنية عن التفصيل فقد أصبحت هذه المكتبة بفضل تنظيمها وعظيم مكنوناتها ومكنوزاتها معدودة من مفاخر المكاتب العلمية وحسبك أنها تشتمل على عدة آلاف من المجلدات عربية وإفرنجية خطية وغير خطية زيادة على الجرائد والمجلات التي ترد عليها في كثير من اللهجات، وزيادة على الكتب القديمة والحادثة العهد التي تعهدت بالبحث عنها وانتساخها، وربما سعت في طبعها على نفقتها، وزيادة على ما ازدانت به متاحفها من طُرف الفنون الجميلة والآثار القديمة التي يعثر عليها الباحثون تحت سجوف التراب، وذلك بضواحي شالة ومدينة وليلى حيث يوجد الكثير من آثار مصنوعات الرومان والبربر ساكني هذه البلاد من قبل، وزيادة على كثير من الدفاتر العظيمة المشتملة على أعداد من الصور والأشكال [49/ أ] الهندسية، وكثير من الآثار الفنية والمآثر الصناعية في جملة من تماثيل الرسوم التخطيطية المنقولة من أبدع الصنائع والبناءات التي أجراها الله على يد العالم المتمدن في القديم والحديث.

فما علينا إذن إلا أن نردد عبارات الإطراء والثناء على من تخلدت في سجلات أعمالهم الخيرية أمثال هذه الأعمال المبرورة والمساعي المشكورة مكافأة لهم حتى بكلمة طيبة نهديها لهم على حد «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه»(1).

(1) قال العراقي في تخريج الإحياء (1/ 433): أخرجه أبو داود (باب عطية من سأل بالله عز وجل: 1/ 524 برقم 1672) والنسائي (باب من سأل بالله عز وجل: 5/ 82 برقم 2567) من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ "من صنع".

(الفلاحة والغراسة بالرباط)

كنت فيما مضى حررت مقالة بين أعمدة جريدة السعادة تحت عنوان: (أين الغراسة [بالرباط][1]) أتيت فيها على ذكر تطورات الرباط من حيث الغراسة والفلاحة، فرأيت من المناسبة إثباتها هنا لما اشتملت عليه من الفائدة التاريخية؛ وهي هذه الغراسة من قبيل الفلاحة يُتعرف من فنهما كيفية تدبير النباتات والمغروسات من أول نشوئها إلى منتهى كمالها، تارة بإصلاح الأرض إما بالسقي أو بما يحميها من المعفنات كالسماد، أو يحميها في أوقات البرد والأهوية المختلفة، وتارة بعلاج تلك المغروسات وحفظ نباتاتها من الجوائح والأعراض والأمراض.

وقد أثبت التاريخ أن العدوتين كانتا في مقدمة المدن المغربية المعتنية بالغراسة واستغلال التربة الزكية واستثمار الأراضي الصالحة، حتى كان لأجنتهما وحدائقهما[2] ذات الفواكه الشهية نوع امتياز من حيث الصلاح والطيب وحسن المذاق، بل والكثرة والأثرة.

بلغت كثرة الأجنة بالرباط مبلغاً كاد يساوي ما فيه من المنازل والديار، إن لم نقل يفوقه سيما أيام الدولتين المرينية والسعدية، فما شئت من [49/ب] عرصات حول عرصاته وحدائق تحدق به، وبساتين محيطة بالأسوار إحاطة السوار، الأمر الذي يدل على ما كان لأهله من العناية بصناعة الغراسة والاستثمار.

وهل ما زال الأمر كذلك؟ ولِمَ لَمْ يزل كذلك؟ جوابنا: أن مدينة الرباط لما اتسعت دائرة عمرانها وضاق نطاق بنيانها عن[3] إيواء قاصدي استيطانها طفق البناء فيها يمتد إلى خارج السور الداخلي (سور أهل الأندلس)، وبذلك أخذت المنازل تزاحم المنازه، وابتدأ ذلك أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وهو [أول من][4] أمر باستئصال شأفة أجنة أكدال بالرباط، وقطع ما فيه من الأشجار المثمرة وغيرها، وانتهجه طرقاً وفصله دوراً وأزقة وحوانيت ومساجد لمن أنزلهم هناك من العبيد والحرس بقصد حراسة داره الفخيمة.

ولما جاء السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن وحاول تجديد ما اندثر من ذلك البناء،

(1) في (ح): (في الرباط).
(2) في المطبوعة: (لأجنتها وحدائقها).
(3) في (ح): (على).
(4) في (ع): (الذي).

والزيادة في القصر الملوكي فعل مثلما فعل سلفه ببعض الأجنة، وهي القضية التي قام عليه فيها أهل الأجنة يطلبون منه النصفة إلى أن انفصلت عن ضرب من الصلح بإعطائهم ثمن جناتهم، وما ضاع لهم من غلاتهم.

أما بعد الحماية واتخاذ الرباط عاصمة إدارية مخزنية، فلا تسل عما فقده الرباط من الأجنة والبساتين مما صار اليوم مدينة جديدة لسكنى الفرنسويين ومركزاً للإقامة العامة القديمة والجديدة وغيرها من الأبنية والمراكز المتكاثرة يوماً فيوماً هنا وهناك.

إذاً لا عجب فيما قلناه من أن الرباط لم تبقَ كما كانت في عهدها القديم وافرة الغلال، وارفة الظلال؛ لأنه (إذا ظهر السبب بطل العجب)، نعم [50/ أ] يتساءل هل من الممكن أن يتلافى الرباطيون ما أتلفوه أو تلف لهم؟ وإذا كان من الممكن فلِمَ لم يفعلوه؟ جوابنا عن السؤال الثاني أنهم لم يفعلوا لميل جميعهم اليوم للدعة والتوسع بأسباب الترف والانغماس في نعيم الحضارة العريقة فيهم، وجوابنا عن السؤال الأول أن تلافي الرباطيين لما أتلفوه أو تلف لهم من الأجنة والأراضي حتى تعود الرباط من حيث الغراسة إلى حالتها الأولى أو أحسن - هو في نظرنا ليس من الأمر العسير، بل من الأمر اليسير، لو شاءت همتهم تعويضها بتلك الأراضي الفيحاء خارج السور الخارجي، ثم غرس ذلك بأنواع المغروسات [والأشجار][1] الممدودة الظلال، المقصورة على الفواكه والغلال، فيحصلون على فائدتين مزدوجتين: فائدة مادية بتعويض ما فقدوه من الأراضي والاستغلال، وفائدة أدبية باسترجاع ما فقدته المدينة من الميزة والشهرة من حيث طيب الفواكه وكثرة الغلال.

وحسبنا في مثل هذا أن نعمل بمقتضى الإرشادات والنصائح التي تبثها لنا جريدة السعادة حيناً بعد حين، فقد تقدم لها قريباً وما بالعهد من قدم - فكتبتْ مقالة طنانة بقلم محررها الفاضل تحت عنوان (الغلال والفواكه المغربية) أتت فيها على بيان ما للغلال من الدخل العظيم في ثروة البلاد وسكانها، ومما صرحت به أننا إذا رجعنا إلى إحصائيات فرنسا فيما يتعلق بالأرباح المتوفرة من وراء غرس الأشجار المثمرة يتأتى لنا القول بأن ربح المغرب من وراء ذلك سيكون أكثر من الربح المُنجَرِّ من فلاحة الحبوب، بل إن بعض المتبصرين يقولون أن الربح من الأشجار المثمرة يتجاوز في هذه البلاد حتى الربح من الفسفاط، ولو

---

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ع).

بعد توسيع نطاق استغلاله[1]. [50/ب] فعلينا بتلافي ما أتلفناه من الأجنة والأراضي الصالحة حتى نستفيد ونفيد وننتفع وننفع، ولا نعتمد في الغراسة على ما عندنا من علم وتجربة فقط، بل فليكن اعتمادنا أيضاً على الأساليب الفلاحية والطرق الحديثة العصرية في غرس الأشجار واستثمارها؛ أي طبق القاعدة العلمية العملية التي طالما أرشدتنا إليها إدارة الفلاحة[2] فيما أسسته من الحدائق المتعددة للتجربة، أو ألقته على مسامعنا من المسامرات الفنية بواسطة مفتّشيها والاختصاصيين من مستخدميها رغبة في إرشادنا إلى خير الوسائل النافعة، والوسائط الناجعة، العائدة علينا بالنجاح، وعلى غراستنا وفلاحتنا بالفلاح.

هذا وقد علمنا أن بعض المولعين بفن الغراسة قد أسس شركة وطنية فرنسوية للسعي حول هذه الغاية نفسها من إرشاد الوطني إلى العمل بالقاعدة العلمية في الغراسة، وإحداث محلات جديدة للتجربة وللتوليد وتسهيل غرس الأراضي الصالحة بمغروسات ثابتة الجذور يمكن الحصول من ورائها على دخل دائم منتظم، وبيع كل ما يحتاجه[3] الملاكون وأرباب الأجنة من المغروسات لأجنتهم الخصوصية، وإفادتهم بما يحمي تلك المغروسات من الأعراض والأمراض، إلى غير ذلك مما تحملته تلك الشركة على كاهلها وقررته في قانونها الأساسي.

ولا ريب أن هذه الشركة الوحيدة من نوعها بالمغرب قد جاء تأسيسها في وقت مناسب يعلم فيه كل المهتمين بمثل هذه الشئون الفلاحية مقدار الخدمة الجُلّى التي ستقدمها لهم فيقدرون قدرها، وذلك ما يبشر بأنه لا تكاد تمر علينا بعض أيام حتى نظفر بضالتنا المنشودة ولا نبقى نتساءل (أين الغراسة بالرباط؟).

[51/أ] ومما نشرته "السعادة" أخيراً بقلم أحد مساعديها الكرام هذه المقالة البديعة تحت عنوان: (مستقبل الرباط الفلاحي). قالت: مستقبل الرباط الفلاحي يلوح أنه سوف يطرأ عليه تحسن ظاهر بالنسبة لما وصلت إليه حالة الفلاحة الرباطية في السنوات الأخيرة، وذلك إذا اعتبرنا مبادئ النهضة الفلاحية التي أخذت تدب اليوم في نفوس الرباطيين دبيباً وإن كان بطيئاً فسينمو تدريجيّاً، وتكون له نتائج سارة بحول الله[4].

(1) في (ح): بياض قدَّرناه بتسع كلمات، وفي (ع) بياض قدَّرناه بثلاث كلمات.

(2) في (ح): (الفلاحية).

(3) في المطبوعة: (يحتاجونه).

(4) في (ح): بياض قدَّرناه بسبع كلمات، وفي (ع) بياض قدَّرناه بثلاث كلمات.

الرباط في الأصل بلدة فلاحية أكثر منها صناعية وتجارية، أما حضارتها الحاضرة التي برزت اليوم فيها على كثير من مدن المغرب وتفوقت في التأنُّق في أساليبها تفوقاً خاصّاً ألفتَ لها الأنظار، وشهد لها به القاصي والداني، فإنها لم تكن لها من قبل ولم يكن لسكانها بها هذا الشغف الكثير الذي عم الصغير والكبير، بل كان همهم الأكيد مقصوراً على فلاحتهم وماشيتهم، وكان الواحد منهم يظل في حقله يزاول أعماله بيده أو يراقب من ينوب عنه في حراثته، فإذا جَنَّ الليل عاد بماشيته لمربضها المجاور لمنزله حيث تبيت هناك، وحيث يقوم بحلب لِبانها فيأكل من محصولات زرعه ويشرب من خيرات ضرعه، ويبيع ما فضل عنه من ذلك، وهكذا كانت عيشة السواد الأعظم من أهل الرباط عيشة بسيطة مرضية خالية من كل زخرفة وتأنُّق، ولكنها مع ذلك أشبه بعيشة أهل الفردوس لما كانت محفوفة به من عوامل الهناء والاطمئنان وأسباب السعادة والاغتباط، ولم يكن ذلك لبداوة فيهم أو خشونة في طبيعتهم، بل كانت نفس الواحد [51/ ب] منهم وهو في حقله قابضاً على محراثه وبين حرثه وماشيته ترمي دائماً إلى التأنُّق والتفوُّق وتميل لجانب الحضارة والمدينة، وما اشتغالهم بمثل هذه الأمور إلا من باب الاتكال على النفس والاعتماد على العمل؛ حتى لا يكونوا عالة على غيرهم من جوارهم أهل البادية إن شاءوا جلبوا لهم الأقوات وإن شاءوا قطعوها عنهم، ولا سيما عندما تحدث بين الجانبين منافرة ومقاطعة وكانت في ذلك الوقت كثيرة الوقوع [... إلخ. هـ. الغرض من المقالة. وإن فيه لدلالة][(1)].

[ومن ذلك التاريخ بقيت مهنة الفلاحة وغيرها من المهن الشاقة في تأخر ونقصان، ولا يقبل على ولوج أبوابها والانخراط في سلك أربابها إلا بعض الأفراد، وكلما فقد منهم عضو بقي مكانه فارغاً وعمله متعطلاً إلى أن أمست الرباط في عهدها الأخير وكأنها لم يسبق لها إلمام بالفلاحة ومتعلقاتها والماشية وتربيتها. وإذا بحثت بين سكانها بحثاً مدققاً على الفلاحين الأهليين لا تكاد تجد مجموعهم يتجاوز عدَّ الأصابع، أما اليوم فالفضل للضرورة التي أيقظت الهمم وحركت النفوس وكشفت الغطاء عن النافع والأنفع والمفيد والأفيد من موارد العيش وطرق الاكتساب. ولا غرو فقديماً قيل: (الضرورة تفتق الحيلة وتعلم الوسيلة). نعم قد أدرك اليوم عدد من الأهالي ما في الفلاحة من النفع الجم والربح [52/ أ] المهم فأقبلوا بكليتهم على الاشتغال بها والانتفاع من مواهبها، بعدما ندموا (ندم الكسعى) على ما سلف

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

منهم من التفريط في جانبها، وأصبحوا يودون أن لو بذلوا في سبيلها جميع أموالهم وأعمالهم التي ضيعوها من قبل في غيرها من طرق الاستثمار المختلفة ولم تعد عليهم بالنفع الذي[1] عاد عليهم بواسطة الفلاحة وبفضل نتائجها العجيبة رغماً عن كونهم في بداية تعاطيها، وكيف ذلك وما العلة في الإقبال الذي طرأ من بعض الرباطيين على الفلاحة؟ السر في ذلك أن الرباطي كغيره تقلبت عليه أدوار مختلفة وأحوال متباينة منذ تاريخ أول الحماية إلى الآن، فقد جاءت الحماية الفرنسوية إلى المغرب وحملت معها بواسطة الشركات والجمعيات أودية من الذهب والفضة كادت أن تغمر الناس بسيولها المتدفقة، فاغتر الأهلي المسكين بذلك وظن أن ما وراءه خير وأبقى، ثم أخذ يجازف بما لديه مجازفة من لا يحسب للزمان حسابه، ولم يزل سكران بتلك الطفحة المالية التي فاضت له بها كأس تلك الأيام الوجيزة، فيذر بدون حساب ما جرته له الأقدار منها لكونه ناله من غير كد ولا تعب مع اعتقاده أن تلك المقدمة الغربية الشكل لا بد أن تعقبها نتائج على نسبتها وبمقتضى أهميتها. ثم لما جاءت الحرب العالمية الكبرى ذات العجائب والغرائب انخرط في سلك المتجرين المحتكرين كل من كانت لديه بقية مالية منهم اغتناماً للأرباح العظيمة التي كانت تنهال على المذكورين في مدتها بكيفية خارقة للعادة، وحصلوا كذلك من وراء الاتجار والاحتكار ما لا يستهان به من الأموال والأرباح. [52/ب] وعندما انجلت الحرب بأرباحها وتركت جل المتجرين والمحتكرين يتخبطون في مشكلاتها وارتباكاتها اضطر عدد من الأهليين وغيرهم أن ينفضوا أيديهم من التجارة لما أصبحت محتفة به من أنواع الخسارة وأقبلوا بدلاً من ذلك على البناء والانتفاع من وراء الأملاك نظراً لأزمة المساكن وارتفاع الأكرية إذ ذاك، بيد أنه لم يلبث ذلك إلا قليلاً حتى انفرجت الأزمة لتكاثر الأبنية وتساقط الأكرية، فأخذ المشتغلون بذلك يلتفتون يميناً وشمالاً ويستقصون ببصرهم بغية طرق الاكتساب عسى أن يجدوا فيها مورداً عذباً يستمدون من منابعه ومنافعه، حيث إن جل أو كل الموارد المعاشية التي بين أيديهم كاد أن ينضب نفعها ويجف ضرعها، وقد ضاقت الأرض بما رحبت في أعين كثير من هؤلاء بسبب ما ذكر وبسبب الظروف الوقتية والأزمات المتوالية خصوصاً من لم يتوفق منهم لوسيلة جديدة تضمن له الوصول لغايته الوحيدة التي هي قيام أود حياته وشئون معيشته وما تستلزمه من الحالة الحاضرة من الصوادر الباهظة والنفقات المتضاعفة، ولو أنهم تأملوا في الأمر ملياً أن من أهم

(1) في الأصل: (التي).

الأسباب التي أوقعتهم في ذلك طموح نظرهم جميعاً لمرمق واحد وهو التزاحم على خصوص طرق العمل والاكتساب التي لا تتجاوز دائرة المدينة؛ حيث إن الواحد منهم يفضل أن يعمل في داخل بلاده وبالقرب من منزله على البعد منه - ولو كان النفع فيه متضاعفاً - وهو غلط واضح وفكرة غير صائبة نشأت من الجمود والخمود المستولي على جل سكان المدن وخصوصاً الرباطيين. وقد أدرك ذلك أخيراً بعض المتنورين منهم (كما أدركه قبلهم غيرهم) [53/أ] فتاقت نفوسهم للاشتغال خارج المدينة بالشؤون الفلاحية وملحقاتها من ماشية وشبهها، وبعد أن اتخذوا تجاريب ابتدائية في ذلك المضمار جاءت النتيجة فوق ما كانوا يظنون فأخذوا يضاعفون جهودهم بكل ما في أماكنهم ويوسعون دائرة أعمالهم الفلاحية يوماً فيوماً، ولا شك أنه كلما مرت الأيام على تلك الجهود كلما زادت نمواً ونجاحاً، وكلما نجحت أعمالهم وتحققت آمالهم كلما كثر المقتدون بهم والمقتفون لأثرهم. هذه هي العلة في إقبال الرباطيين على الفلاحة، وذلك ما دعانا إلى القول بأن مستقبل الرباط الفلاحي سيكون حسناً بحول الله، ولا يبعد بنا الزمان حتى يصبح تنبهنا من قبيل الحقائق الراهنة التي يؤيدها العيان وليس ذلك ببعيد على التطورات الطبيعية التي يتقلب فيها الإنسان][1].

(التجارة والصناعة بالرباط)

الحركة التجارية بالرباط [هي][2] وإن كانت متأخرة بالنسبة لحركة الدار البيضاء وفاس فهي متقدمة بالنسبة إلى غيرهما من المراسي والمدن، وقد أصبحت مدينة الرباط اليوم بعد بناء مرساها فائزة بأمنيتها من حيث تأييد مركزها التجاري بعد تأييد مركزها الإداري، وتحققت بذلك الآمال التي طالما كانت تعلق على إصلاح المرسى ووجود السكة الحديدية بين ظهرانيها، على أن مرسى الرباط وإن كانت مزاحمة بمرسى القنيطرة فالنقطة المتوسطة التي تبعث الرباط السلعة إليها وتجلب الموسوق منها هي غير النقطة [53/ب] القريبة من القنيطرة، فمرسى الرباط هي مرسى بجعد وزيان وزمور وزعير، بل ومكناس أيضاً وما تحتها من القبائل ولنترك فاساً وما حولها من القبائل والغرب، وزاوية وازان لمرسى القنيطرة ففي دائرة كل مرسى منهما ما يكفي لروجان الأشغال التجارية وحركة دواليب الأعمال الاقتصادية، وهذا ما جعلنا في اطمئنان من حيث تأييد المركز التجاري لمدينة الرباط التي لا

---

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.

يعوزها إلا عدم وجود شركات أهلية تقوم بترويج حركته الصناعية، ولا سيما ما هو مطلوب من الصنائع والبضائع كصناعة الزرابي الرباطية التي لها المقام الأول بين الزرابي المغربية، والطرز الرباطي الذي أصبح من التحف في مفروشات الدور الأجنبية، ثم البلغة المطلوبة في السودان والبلاد المصرية، والبطانية المرغوب فيها بين الأسواق الأوربية، إلى غير ذلك مما نرى بعض الشركات الأجنبية قائمة على ساق في الاستفادة من ورائه في الأسواق ولا يزاحمهم في ذلك إلا بعض الحذاق من تجار الرباط وقليل ما هم، [أما قديماً فقد كانت رحى التجارة الرباطية دائرة على قطب عدة مصنوعات كان لأصحابها في ذلك العهد القدح المعلَّى والمقام الأعلى بين غيرهم، وذلك كالكتان ومصنوعاته، والجلود ومصنوعاتها، والفخار ومصنوعاته مما كانت سفنهم ومراكبهم التجارية تحمله إلى بلاد الأندلس والمغربين الأوسط والأدنى وسواحل مصر إلى أن اتصل المغرب بأوربا، وفتحت أبواب التجارة في وجوه الأجانب الذين زاحموا مصنوعات القطن والكتان الوطنية بما نسجوه على منوالها، وجاءوا بها ألطف شكلاً وأخف ثمناً الأمر الذي قضى على صنعة الحياكة بالرباط وغيره بعدما كانت باب رزق يلجه العمال فيثرون ثم أصبحوا اليوم عالة يتكففون، وأما الجلود ومصنوعاتها فلا زال لها روجان كصنعة الفخار التي هي من أعظم الصنائع والحرف بالرباط ومعاملها كثيرة جدّاً يصنع فيها الأواني على اختلافها ولا سيما النوع المزدوج منها الذي كاد أن يكون خاصّاً بالرباط، وكذلك الآجُرُّ المزدوج الملون المعروف بالزليج الرباطي، وكذلك الزليج الفاسي نظير المصنوع بفاس، ومما كان يعتني به الرباطيون قديماً عصير العنب وصنعة حلواء الفانيد كان يحمل الأول للإتجار به في سائر بلاد الأندلس ويحمل الثاني إتحافاً إلى كثير من البلدان، وكان في الرباط أيضاً أكثر من معمل واحد لصنع الصابون المغربي الممتاز بلونه وقوامه على غيره وقاعدة صنعه هي هي في سائر البلاد المغربية تُؤلف أجزاؤه من الزيت والقلي والرماد ويطبخ على النار، فتتحد عناصر تلك المستحضرات بعضها ببعض ويتولد منها مزيج لزج ضارب إلى الحمرة وهو في غاية من الجودة، ولولا المزاحمة الخارجية لبقي هذا الصنف بيد الأهليين غير أن التفوق في الأمور العصرية غلب على بقايا الصنائع ليصوغها في قالب أمتن عصري أليق بأهل الحضارة والرفاهية، والحاصل أن الصنائع الرباطية كيفما كان حالها من الروجان وضده][1] فإن حالتها اليوم غير حالتها بالأمس كما يتبين لك من مضمون مقالة

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح)، وزاد (ح) في هذا الموضع مكان السقط ما نصه: (وأما الصناعة الرباطية).

أنشأها جناب المسيو[1] شامبينو المراقب المدني ببلدية الرباط سابقاً في موضوع الصنائع الرباطية وبيان حالتها أيام الحرب الكبرى، وإليكها [بنصها][2] كما جاء نشرها في القسم الغير الرسمي من الجريدة الرسمية [لكن باختصار واقتصار][3]، قال المراقب المذكور: الغرض من هذا الدرس إظهار حقيقة حالة الصناعة الرباطية بعد عامين ونصف من الحرب الحاضرة؛ أي بعد مدة تعذرت فيها مواد الصناعة وارتفعت أثمانها بسبب شراء تلك المواد لحاجات الجيش، وبسبب تعذر الصادر والوارد وغلاء المعيشة ووقوف حركة الروجان، وعوامل عديدة دخلت في سيران الصناعة والتجارة فتصاعدت معها أثمان المواد التي يشتغل بها الصناع، وحسبنا [54/أ] أن نقرر حالة كل صنعة على حدة فنبتدئ مثلاً (بدرازين الصوف)، وقد كان عدد الأنوال في السنين المتأخرة يزيد عن ستين نولاً فلم يبقَ منهم اليوم إلا تسعة يشتغل على كل نول ثلاثة من الحياكين، ولا يوجد عند هؤلاء من المتعلمين أحد لأن العائلات الرباطية أقلعت عن تعليم أولادها حرفة تجد أن دخلها غير كافٍ للمعيشة في الوقت الحاضر، فعلى الحكومة الإدارية أن تعتني بهذا النقصان وتسد العوز والحاجة إذا كانت تريد الاحتفاظ والاستبقاء بهذه الحرفة الجميلة المفيدة؛ لأن الدراز[4] يشتري قنطار الصوف اليوم بمبلغ تسعين ومائة ريال وكان يشتريه سابقاً بمبلغ عشرين ريالاً ويضطر نظراً لغلاء الصوف أن يزيد ثمن مصنوعاته، فابتعد عنه الشاري وقل الطلب عليه، والمشتغلون بالدراز اليوم يشتغلون دائماً على حسابهم وحساب التجار.

وتأتي بعد هذه الطائفة (طائفة درازين القطن) فقد قل عدد هؤلاء جدّاً منذ سنين وكان بلغ عددها 200 معلم وأربعمائة صانع فلم يبقَ منهم في احترافها إلا ثلاثة عشر معلماً وثمانية صناع وثلاثة متعلمين.

ويظهر أن سبب تأخر هذه الحرفة منافسة مراكش للرباط فيها باجتهاد بعض المعلمين الرباطيين الذين هاجروا الرباط إلى مراكش، وفتحوا الأنوال لغزل القطن وحياكته بالحمراء، والسبب الجوهري [في][5] غلاء القطن الوارد من منشستر فقد زاد ثمنه مائة بالمائة، فاضطر

---

(1) في (ح): (المسيوا).

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) في (ح): (الطراز).

(5) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح)، وأثبتها ناسخ (ع) ثم طمسها.

الحَيَّاك أن يزيدوا أثمان مصنوعاتهم، فامتنع الكثيرون عن شرائها نظراً لغلاء المعيشة، والخلاصة فهذه الطائفة تجتاز أزمة صعبة.

(طائفة الدباغة)

توجد في الرباط 38 داراً للدبغ يستثمرها [54/ب] غالباً بعض الأرباب، إما بالاشتراك أو بالاختصاص، وعدد صناع الدباغة الرباطية يناهز الثلاثمائة منهم مائة في ريعان العمل ومائة وخمسون متعلمون وخمسون من المعلمين العُجَّز غير القادرين على العمل، وكان عدد هؤلاء الدباغين قبل الحرب يزيد على خمسمائة دباغ، فاضطر 200 منهم لترك العمل مؤقتاً لاحتراف أمور أخرى، واحترف البعض بيع الخضر والبعض الشيالة، والبعض يطلب عملاً ولا يجد، ومن هذا التفصيل يرى القارئ مبلغ أزمة الدباغين في الوقت الحاضر. [وقد كان أول الأزمة حينما تعذر على الدباغين جلب الدبغ من الغابة فسد هذا العذر بما جلبته إدارات الغابات لهؤلاء من المواد التي تقوم مقام الدبغ في دبغ الجلد، ولسوء الحظ قلت المواد التي اعتمد عليها وارتفعت أثمان الجلود المعدة للدبغ حتى صار ثمن جلد الماعز يساوي عشرة فرنكات، وكان لا يزيد عن أربعة في الماضي، وبلغ أيضاً حتى خمس عشرة بسيطة، وبلغ ثمن جلد الغنم ثمانية، وتسعة بسائط، وكان قبلاً لا يزيد عن ثلاثة، وثمن جلد البقر عن ستة عشر بسيطة، وكان لا يزيد عن خمسة][(1)].

(طائفة [الخرازين][(2)])

وهم صناع البلغة والبابوش والسباط والصناعة الجلدية على العموم، وكان عددهم سابقاً 140 معلماً يحترف معهم 220 متعلماً، وكانت صناعتهم رائجة قبل عشرة من السنوات حتى انقطع وسق البلغة إلى مصر والجزائر والسنيكال والسودان، ونافست بلغة فاس بلغة الرباط حتى في الرباط وغلت أجور المتعلمين فصار المتعلم الماهر يقبض بسيطتين ونصفاً إلى ثلاثة بساسط باليوم، وكان سابقاً لا يقبض أكثر من نصف بسيطة، وارتفعت أجور أكرية الحوانيت وتضاعفت، ومما أثر جداً في هذه الصنعة غلاء أثمان الجلد وعليه فحسب الحكومة أن تحتفظ [55/ أ] بالكمية اللازمة من الجلد لمصلحة الخرازين، وأن تسهل لهم تناول الدبغ والمواد

---

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح)، و(ع)، وقام ناسخ (ع) بوضع خط فوقها لإسقطها من المتن.

(2) (الخرازين) مكررة في (ح).

الكيماوية التي تحل محل ما ذكر، وأن تطلب الحكومة من حكومتي الجزائر وأفريقيا إرجاع تصدير البلغة إلى تلك النواحي كما كان العمل بالماضي، وأن تبذل الجهد في ترويج البابوش المطرز بالحرير وخيط الفضة والقصب للبس الغادات في الدور الباريسية. (أما طائفة الطرافين) فلم تتأخر[1] حرفتهم جداً وأعمالهم جارية على أحسن منوال بعكس الخرازين فهم في عسر لعدم وجود المواد اللازمة لأعمالهم.

(طائفة الخياطين)

وعددهم عشرون معلماً [يشتغل ستة منهم في خياطة كساوى الجنود عند بيطون][2] ولا يوجد من لا يجد شغلاً بين محترفي هذه الحرفة.

(والصباغين)

وعددهم سبعة معلمين وعاملان وخمسة صناع يشتغل الكل بدون انقطاع مع قلة العمل؛ لأنه كان عندهم كمية كبرى للصباغة التي تشحن إلى السينكال فنفدت، وجل شغلهم الآن بصبغ الصوف للزرابي.

(والصياغين)

عدد الصياغين سبعة عشر صائغاً معلماً منهم ستة عشر من اليهود ومعلم مسلم، وعندهم عشرة من المساعدين ثمانية من اليهود واثنين من المسلمين وسبعة عشر متعلماً ستة عشر من اليهود وواحد من المسلمين، وقد أقلع ثلاثة من الصياغ منذ ابتداء الحرب حتى الآن عن الصنعة؛ لأنهم لم يجدوا فيها من الأرباح ما يكفيهم لمعيشتهم فسافر اثنان منهم إلى الدار البيضاء والثالث سافر إلى البرازيل.

ثم إن هؤلاء الصياغين لا يشتغلون الآن إلا يومين بالأسبوع وكانت أرباحهم بالماضي تبلغ خمس عشرة بسيطة يومياً، فصارت اليوم لا تتجاوز ثلاثة بساسط ونصف بسيطة ومن عنده منهم فضلات متوفرة يأكل منها اليوم، وسبب انحطاط هذه الصنعة عدم تبرج ذوي اليسار [55/ب] بالحلي نظراً للضيق العام الحاصل في المعيشة، وقد زادت أثمان الفضة والذهب فكيلو الفضة كان يساوي سابقاً 28 ريالاً مخزنياً ويساوي الآن أربعين ريالاً، وقد

---

(1) كذا في المطبوع، وفي (ع) و(ح): (تتأثر).

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من (ع) و(ح).

قل الذهب إذ صار من الممنوع تذويب السكة الذهبية واضطر الصائغ أن يشتري الحلي القديمة ليذوبها ويشتغل بها بإصلاح غيرها، وكان ثمن الرهج الذي يمحص الذهب يساوي الكيلو منه عشرة بساسط وهو يساوي اليوم مائة وأربعة وعشرين بسيطة وقلما يجده الطالب، وكان ثمن الزئبق اثنتي عشرة بسيطة للكيلو، فصار الآن خمسين بسيطة، وتضاعف ثمن الأمونياك وعليه فأصحاب اليسار لا تشتري الحلي؛ نظراً لغلاء ثمنها والصائغ لا يمكنه أن يوجدها[1] بسهولة، وجل الأعمال الآن مقصورة على بعض التصليحات.

(والحدادين)

وعددهم سبعة عشر معلماً بالرباط عند كل معلم خادم وصانع، وأشغالهم كثيرة في فصول ثلاثة:

الفصل الأول: قبل الحرث -سكك للحرث والفلاحة.

الفصل الثاني: قبل الحصاد -صنع مناجل للحصاد.

الفصل الثالث: قبل جز الصوف -صنع مقصات للجز.

وفي غير هذه الفصول قلما يجد الحدادون من الأشغال التي تروج صناعتهم، وعلى كل حال فعندهم دائماً منها ما يكفي للقيام بأود المعيشة وقد قلت عندهم أعمال الشبابيك[2] الحديدية والفيسان[3] والقفولة والمطابخ بسبب الوارادت من هذه الأنواع من الأسواق الأوربية، والسبب من هذا يرجع إلى ميزة مصنوعات أوربا على المصنوعات الوطنية.

[وثانياً عدم اشتغال هؤلاء في إقامة محلات المخزن............[4]، زد على ما تقدم غلاء أثمان الحديد التي ثمن القنطار منها من ثلاثين [56/أ] إلى ثمانين فرنكاً.................[5]، وهنا ملاحظة تستحق الاعتبار وهي أن تبذل الحكومة جهدها في إحداث مدرسة للحدادة وأن توصي الحدادين المسلمين على الإقامة اللازمة للجنود المغربية وعلى الأخص صنع صفيحة بيطرة الخيل][6].

---

(1) في (ح): (يجدها).

(2) في (ع) و(ح): (شبابك).

(3) كذا في الأصول ولعل الصواب فؤوس جمع فأس.

(4) في هذا الموضع بياض قدر ثلاث كلمات تقريباً.

(5) في هذا الموضع بياض قدر سبع كلمات تقريباً.

(6) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(القصادرية)

القصادرية ستة في الرباط، وعند كل معلم متعلم وشغلهم صقل مواعين المطابخ والتلحيم ولا يشتغل واحد منهم في صنع آنية جديدة؛ لأن الإنسان يستحسن الآنية المصنوعة في أوربا على الآنية المصنوعة هنا.

(البرادعية)

البرادعية هم المشتغلون في صنع البرادع للحمير والبغال وعددهم سبعة، وعند كل معلم متعلم وأشغالهم متواصلة.

(الفخارين)

كان يشتغل في الفخارين عادة مائة معلم مع خمسين متعلماً، وقد بطل أكثر من الثلث اليوم، ويقول [عريفهم][1] أن البطالين بطلوا عن كسل والشغل كثير موجود، ولو نظرنا مدققاً إلى صنعة الفخار وجدنا نقصاناً بيناً في الصنعة بسبب غلاء نقل المواد الدلغانية والدوم وكراء المحلات، وأجور الصناع، والناس لا تشتري كالماضي للعسر العام.

(والبنائين)

إن البنائين في الرباط عددهم الأصلي لا يزيد عن 25 إلى خمسين معلماً وزد عليهم 150 إلى 200 معلم من سلا، وقد تحسنت حالة هؤلاء جداً نظراً للأشغال الكثيرة الموجودة والتي وجدت بعد الاحتلال، والمقاولون الأوربيون يفضلون المعلم الأجنبي؛ لأنه يشتغل من الساعة الخامسة صباحاً حتى الساعة الخامسة مساء، والمعلم المسلم يشتغل من الساعة السابعة حتى الساعة الخامسة فقط، وعسى أن يحصل التفاهم في هذا الأمر ويعتمد المقاول الأجنبي على اليد العاملة الوطنية [56/ ب] دون غيرها.

(الرحوية)

عدد الرحوية في الرباط الآن سبعة وكان عددهم قبل الاحتلال خمسة وثلاثين، والنقصان يرجع إلى إنشاء مطاحن بخارية، وعما قريب تقفل أبواب الرحوية الوطنية؛ لأنها عاجزة عن مناظرة آلات البخار التي تعجل بالطحن وأقل ثمناً بالأجرة، وأنعم طحناً من الحجر. انتهى [ما وقفت عليه من مقال المراقب المذكور وبانتهائه وانتهائك معي إلى هذا الحد

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

لا شك أنه يخالجك أيها القارئ من لواعج الأسى والآسف حول الصناعة الوطنية ما يحملك على أن تكبر عليها أربع تكبيرات لو لم يلهم الله الوطني المسكين، ويؤيده بروح من عنده فيقوم قومته لتلافيها قبل تلفها، وذلك بالمحافظة على صبغتها والسعي في ترويجها وترصد الأسواق بها، وزيادة التأنيق فيها والبعد عن التدليس والتلبيس؛ حتى لا تحل محلها صنعة أخرى أجنبية فتزاحم صناعتنا، وتسام أسواقها بالبوار والكساد لا قدر الله][1].

(العمران وعدد السكان بالرباط)

منذ كان الرباط رباطاً وهو معمور بالسكان، معروف بالعمران، حتى قبل بنائه، وتخطيط فنائه، على ما سبق عن ابن حوقل من أنه كان إذ ذاك يربط فيه المرابطون، وعددهم مائة ألف إنسان يزيدون وينقصون، ولم يزل الرباط كذلك مأهولاً مأنوساً بالعمارة حين اتخذه الموحدون مقر الوزارة والإمارة، واستفحل عمرانه بالجيوش ساكنيه، للمنصور بانيه، وكان يقدر عددهم بالآلاف المؤلفة كانت تذهب لغزو الأندلس من جملة الجنود، فترجع منصورة الألوية مكللة البنود[2]، [بل اجتمع فيه مرة للموحدين من عساكرهم ومن قبائل العرب والبربر أزيد من ثلاثمائة ألف فارس فيها من جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل إلى أن ضاقت بهم أرض قصبة الرباط، وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلا من عين غبولة إلى عين خميس إلى حلق المعمورة، كما يعلم من أخبار الدولة الموحدية لدى تأهبها للغزو وجمع عددها وعددها حول قصبة الرباط الأثرية، ولكن في][3] أواخر أيام يعقوب المنصور أصابت الرباط عين الكمال، فلم يبقَ له ما عهده من ذلك الاستفحال، وتلك هي الغصة التي شربها يعقوب، ولم يكتمها لما حضرته شعوب، ولو عاش رجباً لقضى من تجدد عمارته أيام الدولتين السعدية والعلوية عجباً، ولذلك قال صاحب كتاب "المجد الطارف والتالد"[4] في التنكيت على ابن الخطيب الذي لم يفرد الرباط بمقامة وحده في مقامات

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) في (ح): (مكللة البنود، ودام الأمر كذلك إلى أواخر أيام يعقوب المنصور...).

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) هو كتاب "المجد الطارف والتالد على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد" لأبي عبد الله محمد الأمين الصحراوي الحجاجي، الجعفري، المراكشي وفاة، أحد فضلاء المغرب، ضمنه أخبار رحلته إلى مدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب، وأجاب فيه على أسئلة سأله عنها الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي صاحب كتاب "الاستقصا" وتوجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (588ك). انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 7/ 21، وإتحاف =

البلدان: إنه لو أدركه زماننا هذا يعني أواخر القرن الماضي (فما بالك بالقرن الحالي) من جهة الحضارة ودثور المال والأبنية الأنيقة وكونه صار تخت الملك وإيوانه السامي ومحط رجاله لأفرده بالذكر. هـ.

[57/ أ] وكان ابتداء تجدد هذه العمارة من عهد السلطان زيدان السعدي الذي جعل فيه من طوائف أهل الأندلس ما يقدر عددهم بنحو ثلاثة آلاف كما تقدم، وكانت العمارة الرباطية بلغت من الضعف أيام الدولة المرينية إلى حد لم يبقَ معه عدد الديار بالرباط سوى نحو المائة مع بعض الأبنية، و[من][(1)] عدد الساكن سوى ما يناسب هذه[(2)] المساكن رغم الرغبة التي كانت لهذه الدولة في سبيل التجديد وإحياء الرباط من جديد، وهذا [عندي][(3)] عذر ابن الخطيب في عدم إفراد الرباط [إذ ذاك][(4)] بالتبويب، وأما بعده فقد انقلب الحال، وأخذ عدد السكان في ازدياد، والعمران في استفحال إلى أن صار أهل الرباط قبل الاحتلال يقدرون بنحو العشرين ألفاً من الوطنيين المسلمين واليهود، بينهم ثلاثمائة فقط من النصارى، وبعد الاحتلال زاد عدد النصارى إلى نحو عشرة آلاف ما عدا الجنود والموظفين العسكريين، كما أسفر عن ذلك إحصاء عام 1917م وقريب منه إحصاء عام 1921 الذي نتج منه أن جملة قاطني الرباط عدا العسكريين وعائلاتهم 29 ألفاً و563 منها 18 ألفاً و723 مسلمين و5 آلاف و302 فرنساويين و3 آلاف و4 يهود [وطنيين][(5)] و1096 إيطاليين، و1216 أسبانيين و69 إنكليزيين ولبنانيين وصينيين[(6)]، و6 سوريين و4 من الجمهورية الفضية، و4 بولونيين وروسياً و30 سويسيين[(7)]، و34 يونانيين، وبلغارياً و8 سربيين، و54 من البرتغيز، و8 من بلجيكا، [والله تعالى أعلم][(8)]. هـ. [هكذا جاء في إحصاء عام 1921 والذي نتج عن الإحصاء الأخير وهو إحصاء هذه السنة 1926 أن مجموع سكان الرباط واحد وأربعون

المطالع، لابن سودة: 1/ 269، والأعلام، للزركلي: 6/ 42.

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) في (ح): (هذا).

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(5) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(6) في (ح): (وصينيًا).

(7) في (ح): (سوسيين).

(8) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

ألفاً ونيف، فمن الأهلين المسلمين 20 ألفاً و700 نسمة ومن الأوربيين 16 ألفاً و787 نسمة ومن الإسرائيليين 3 آلاف و676 نسمة، والعلم له وحده][1].

(أهالي الرباط)

أهالي الرباط أقسام: شلاويون[2] وسلويون وفاسيون ومختلطون ومرابطون وأندلسيون وإسلاميون وإسرائيليون.

فمن فريق أهل شالة أولاد الشلاوي [57/ب] [والمعموري وأبي الشكاوى[3]][4] انتقلوا منها إلى الرباط في جملة الشلويين [ولا تزال بيدهم بعض رسوم وملكيات لما كان لهم بها من الديار والرباع، وكذلك أولاد أبي الشكاوى وآل سيدي أبي الشكاوى دفين شالة، ويعرف البعض منهم بأولاد ابن الخضر[5]، ثم آل ابن العامري والمحرزي وكان المحرزيون يعرفون بأولاد الحمير[6]، وآخر من عرف منهم محمد بن عبد الله المحرزي أحد العدول بالرباط آخر القرن الثاني عشر، ثم السيد محمد الحمير محتسب الرباط بتاريخ 1223. وكان من أهل شالة قديماً الشرفاء الكتانيون الموجودون اليوم بفاس كما تلقيت ذلك عن الشيخ أبي السعود الكتاني ذاكراً أنه يوجد في بعض رسومهم القديمة التصريح بأن أصلهم من شالة استوطنوا بها زمناً طويلاً ومنها انتقلوا إلى فاس وعليه فانتقال البعض منهم اليوم إلى الرباط هو انتقال متأصل، ومعدود من باب الحنين لأول منزل][7].

ومن فريق أهل سلا بعض البيوتات آثروا الانتقال لدواع وأسباب كأولاد السلاوي والبريبري[8] [والرايسي، وبوحدو، والشدادي][9] [وزنيبر][10] وابن يوسف وفنيش من آل عبد الحق فنيش قائد سلا الشهير انتقلوا بعد محنته الشهيرة في التاريخ بأمر مولوي، [وكذلك

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) في (ح): (شليون).

(3) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 230، ص: 586.

(4) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(5) هو: محمد بن الخضر حفيد أبي الشكاوي، انظر ترجمته في الاغتباط برقم 56، ص: 302.

(6) بضم الحاء وانظر الاغتباط ترجمة رقم 196، ص: 546.

(7) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(8) ومنهم أحمد التهامي البريبري السلاوي، انظر ترجمته في الاغتباط برقم 22، ص: 240.

(9) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(10) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

أولاد زنيبر انتقل البعض منهم للرباط لمحنة أصابتهم من عامل سلا بتاريخ 1159، وكان بينهم عالمهم الكبير وقاضيهم الشهير أبو عبد الله محمد بن حجي زنيبر السلاوي[1] تلميذ العكاري والغربي، فبقي مهاجراً بالرباط مدة مديدة إلى أن عاد لسلا وبها توفي سنة 1194][2].

وكذلك الشرفاء القادريون بالرباط أصلهم من سلا كانوا قاطنين بها عام 1130 كما وقفت على ذلك في ظهير إسماعيلي بالتاريخ المذكور، ومن فريق أهل فاس كثير من البيوتات انتقلوا إلى الرباط للإتجار أو غيره فاستوطنوها واتخذوها قراراً وموطناً فحسبوا من أهلها.

وذلك كأولاد جسوس، وبناني، والتازي، والأزرق، وبوهلال، ولحلو، والقباج، وأولاد جسوس، منهم [مَن][3] هم من قبيل العلامة أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس شارح الشمائل[4] وغيرها، وأولاد بناني قيل إنهم من نسل شيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام شارح "الاكتفاء"، وبحث فيه بأن عقب ابن عبد السلام المذكور انقرض بالكلية في حدود سنة 1200هـ، ومما يؤيد هذا ما هو مكتوب على ظهر نسخة من الخرشي تسعية[5] موجودة بخزانة كتب جامع القرويين من أن النسخة المذكورة كان حبَّسها التاجر بمصر الحاج أحمد الشرايبي الفاسي الأصل على ابن عبد السلام المذكور وعقبة وأنه إذا انقرض العقب المذكور ترجع لأحباس القرويين، وحين انقرض العقب المذكور حيزت النسخة المشار إليها للخزانة وكتب ما ذكرنا على ظهر كل سفر منها بشهادة أبي عبد الله محمد بن عبد المجيد الفاسي وأحمد بن محمد بن سليمان، وذلك بتاريخ 2 ربيع سنة 1201 [كما تلقيته عن الشيخ أبي السعود حياه الله، ولنا كلام في أصل هذه العائلة الفاضلة، ذكرناه في غير هذه

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن حجي زنيبر، السلاوي، الفقيه الأديب، العلامة المحدث المشارك الأريب، قاضي سلا وعلامتها انظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة 14/ب، والإتحاف الوجيز، لمحمد بن علي الدكالي، ص:145.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن قاسم بن محمد جسوس، فقيه، من علماء فاس متوفى سنة 1182 هـ له كتب، منها "شرح مختصر خليل" و"الشرح الكبير لحكم ابن عطاء الله " و"شرح الرسالة للقيرواني" و"شرح شمائل الترمذي" و"شرح توحيد المرشد المعين، لابن عاشر". انظر ترجمته في: الفكر السامي، للثعالبي: 4/ 124، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 2/ 355، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 330.

(5) في (ح): (تساعية).

العجالة العاجلة][1].

ومن فريق المختلطين ما يوجد في الرباط من باقي المدن كما تدل على ذلك نسبتهم كأولاد البيضاوي والصويري [58/أ] والمراكشي والمكناسي، والوزاني، [والقصري][2] والعرايشي، والتطاوني، وغيرهم. ومن أهل تطوان بيت أولاد ابن عبد الله الشهير، وأما ما يوجد في الرباط من قبائل العرب وغيرها من الأحواز المختلطة، فمن سجلماسة السادة العلويون السلجماسيون أبناء مولاي علي الشريف الحسنيون، [ومن تافيلالت بيت أولاد برق الليل[3] البيت المعروف بالرباط وبالفيلاليين يعرفون في رسومهم القديمة][4]، ومن عرب الساقية الحمراء أولاد بوجندار وينتسبون إلى سيدنا عبد الله بن جعفر، [ولنا كلام على هذه النسبة في ترجمة قريبنا عالم البيت الجندري الفقيه السيد المكي بوجندار[5] قدس سره][6].

ومن سوس أولاد السويسي كما تدل لذلك نسبتهم، ومن دكالة أولاد الدكالي وأولاد فرج وأولاد الغربي. [وقيل في أولاد فرج: إن أصلهم الأصيل أندلسي، وإذا صحت نسبتهم إلى فرج الأندلسي كانوا عثمانيين من بني عثمان بن عفان كما في كتاب الأنوار النبوية][7]. ومن تادلة أولاد التادلي ينتسبون إلى سيدنا جابر بن سليمان دفين قصبة تادلة. ومن شرشال عمالة الجزائر أولاد الشرشالي المعروفون بالبطاوري ينتسبون إلى الإمام أبي مهدي عيسى الغبريني[8] عَصْرِي الإمام ابن عرفة ومفتيه أيام ولايته. ومن تلمسان أولاد بورقية بيت حديث العهد بالرباط وكانوا يعرفون هناك بأولاد ابن عبد الرحمن ثم شهروا باسم جدتهم

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح) وانظر الاغتباط ترجمة رقم (37)، ص: 269 وما بعدها.

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(3) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 72، ص: 336.

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(5) سقط رأس هذه الترجمة من كتاب الاغتباط وهو ما أشرنا إليه من ظهور اضطراب في سياقة تراجم الكتاب في هذا الجزء وهو تداخل ترجمة كلا من المكي بناني والمكي الوزاني والمكي بوجندار.

(6) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(7) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(8) هو: أبو مهدي، عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني، التونسي، القاضي الفقيه، المتوفى سنة 815 هـ. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 1/ 333، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 243.

للأب الأعلى. ومن الجزائريين بيت الحجويين الجعفريين انتقلوا إلى حواضر المغرب لأسباب تاريخية في دولة بني زيان وفي دولة المولى إسماعيل، وهم ثعالبة من صميم عرب اليمن بينهم فصيلة من آل جعفر بن أبي طالب، منهم الولي الشهير سيدي عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر، ومن بني أورى قبيلة بالشاوية(1) أولاد الأوراوي وينتسبون إلى الشرفاء العزوزيين، [ومن بني كولان أولاد القسطالي الرفاعيون آل سيدي أحمد الرفاعي الكولاني(2)](3)، إلى غير هؤلاء من ذوي المجد العريق المنخرطين في سلك هذا الفريق، والبعض [كما ترى](4) يدعي الشرف، ولكن أصرحهم نسباً السادة العلويون والشرفاء الوزانيون فإن في مثل نسبهم يقال:

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى ... نُوراً وِمِنْ فَلَقِ الصَّبَاحِ عَمُوداً

ومن فريق المرابطين بعض أهل الزوايا [كالسادة الناصريين](5) والمباركيين، والشرقويين والعيساويين والعايديين، [ثم بيوتات أخرى عريقة في المجد والفضل كأولاد ابن الجناوي وقد ذكرنا نسبتهم في غير هذا المحل، وكذلك أولاد الضعيف آل الضعيف المؤرخ الشهير، وقد انقرض بيتهم اليوم أو كاد، ثم إن](6) بعض هؤلاء يزعم الشرف حيث كان آباؤهم من أرباب الزوايا والصلاح ظناً منهم أن كل صالح شريف من آل البيت، وليس كذلك فإن الصلاح لا يختص به أهل البيت، بل كل مؤمن ينبغي أن يكون صالحاً.

ومن فريق أهل الأندلس جل العائلات الموجودة في الرباط اليوم كآل برگـاش، [وغنام](7)، والزبدي، والزهرا، وبلافريج، ومارسيل، والقرطبي، وتكيطو، وملاط، ودنية، والرندة، وابن الكاهيا [وقريون](8)، وملين، ومرينو [وباينة](9)، وأشكلانط وبلانبو وأبيرو

---

(1) الشاوية: قبائل رحل ممن معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر وسموا بذلك لقيامهم على الشاء والبقر، انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:284.

(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 9، ص: 208.

(3) ما بين المعكوفتين سقط من (ع) والمطبوع.

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(5) في (ح): (كالناصريين).

(6) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(7) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(8) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(9) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

وبرادو، ومتجنوش، [وقديرة][1]، وطيفور واللوشي [58/ ب] ، وعاشور ولباريس، وبسير [وفلوريش][2]، وكريسبو، وابن طوجه[3]، وكيلطو، وبربيش، وسباطة، وتمورو، وروديانس، وبلامينو [، وبريس، وباينة، وبونو، وضاكة، والدقاق، والحداد، وزبرو، وفشردو، والعماني، والقسطالي، والتونسي، والقصري، وقريون، ومدون، وقديرة، وابن قدور، وابن عمرو، وابن الطاهر، وابن الفقيه، وابن دهاق، وفلوريش][4]، إلى غير ذلك مما هو معلوم وفي الرسوم مرسوم.

وربما يوجد في بعض الرسوم كثير من البيوتات الأندلسية انقرضت اليوم [كأولاد الدك وشنتياك، ودعنون، وعبدون، وبلانكو، وفلوريش، ولا زال اسم الرئيس المعطي فلوريش من الشهرة بمكان في الرباط، وكذلك اسم زنقة الدك، وجامع الدك، والعرصة الدعنونية وغيرها، وكذلك أولاد بلسيو وآخر من عرف منهم السيد عبد الرحمن بلسيو ناظر الزاوية الفجيرية بالرباط أواخر القرن الثاني عشر، ثم الأولاد بزازة، وكنضرون، وابن منديل، وابن الضيف والحمري، والعظمي، وبلدور، وفرندنو، وآخر من عرف من هذه البيوتات بعض المريدين من تلامذة الشيخ سيدي محمد الفجيري، ثم بيوتات أخرى لا زالت في المرسوم والرسوم محفوظة ملحوظة][5]، وقد يوجد في بعضها نسبة أهلها لغير نسبهم الحاضر، وذلك كأولاد عاشور يعرفون في الرسوم القديمة بأولاد الرشاي وأولاد الجزولي من بيت أولاد لميرو وآخر من تسمى منهم بهذا الاسم رجل يسمى المحجوب لميرو أدرك الكهولة وليس له أولاد، فنذر إن زيد عنده ولد يسميه باسم السيد محمد الجزولي أحد المأذونين من قبل الشيخ ابن عيسى السفياني المنسوبة إليه الطائفة العيساوية، وكان السيد المحجوب ينتسب إليها ويعتقد شيخها، وبالفعل لما رُزق ولداً ذكراً سماه محمد الجزولي وفاء بنذره فبقي يعرف به فقط وتنوسي نسبه الأول إلا في الرسوم والشهادات العدلية، فكان يذكر فيهما معاً كما أفادنيه صديقي الشاعر الفحل السيد محمد الجزولي نجل الفقيه الناسك التقي السيد بنعاشر بن حسان المادحين الرجل الصالح الذاكر الخاشع السيد

---

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(3) في (ح): (طوجة).

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح)، واستدرك بعضه في الهامش.

الحاج بوشعيب[1] ابن السيد محمد الجزولي لميرو المتقدم، ولا تزال بعض عقارته تعرف به كدار الجزولي [لميرو وهي دارنا الكبرى بزنقة قورية التي تملكها من أحد أولاده جدي للأم السيد الحاج محمد بن محمد بوجندار، وبها كان مسقط رأسي واندراجي من عشي فسقياً لها من دار.

رجع ولأول نظرة يلقيها القارئ على هذه الأسماء والألقاب الأندلسية يدرك منها ما هو عربي أصيل، أو معرب دخيل، تولد من احتكاك العرب بالأسبان والامتزاج بهم، فتعجمت أسماؤهم لذلك ولا سيما الذين بقوا مدة تحت حكمهم، بل منها ما هو عجمي محض كان لأشراف من العائلات الأسبانية الأصلية ولما دخلت في دين الله القويم لم تغير ألقابها الخاصة بها؛ لما كانت عليه بالطبع من الجاه والحسب مثل [اسم][2] بونو أو ابن بونو اسم لكثير من أدباء الأندلس، وأصله أسباني محض معناه الطيب والجيد، ولا يزال لقباً لعائلات أسبانية إلى الآن، كما أن هناك أعلاماً عربية محضة تعجمت واستسبنت ولا تزال أسماء لبعض الأسبانيين إلى اليوم مثل قديرة مع أن أصله عربي. وعائلة أولاد قديرة وأولاد ابن قدور شهيرة بالرباط وغيره، انظر شرح هذا المعنى في آخر كتاب "السفر إلى المؤتمر" للرحالة المصري الشهير أحمد زكي[3] عند كلامه على امتزاج العرب بالأسبان والاستشهاد على ذلك بالأسماء والألقاب فقد أفاض في البيان والإفادة.

ومما أفاده أن من خصائص الألقاب الأندلسية [الأصيلة][4] التي تفرد بها أهل الأندلس المسلمون زيادة الواو والنون لإفادة القوة والشدة والتفخيم؛ مثل ابن خلدون وبدرون

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 116، ص: 436.

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من (ع).

(3) هو: أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله، الملقب بشيخ العروبة، أديب بحاثة مصري، ولد بالاسكندرية وتخرج بمدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة، أتقن الفرنسية، وله معرفة بالإنجليزية والإيطالية، عين مترجماً لمجلس النظار، فسكرتيراً ثانيا، فسكرتيراً أول، ومنح لقب باشا واتصل بعلماء المشرقيات، ومثل مصر في مؤتمراتهم، وقام بفكرة إحياء الكتب العربية، فطبعت الحكومة المصرية عدة مخطوطات تولى هو تصحيحها ومراجعتها، وأحكم صلته برجالات العرب في جميع أقطارهم، وتسمى بشيخ العروبة وسمى داره بيت العروبة، وجمع مكتبة في نحو عشرة آلاف كتاب ووقفها، فنقلت بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية. وله من الكتب "السفر إلى المؤتمر" وهو المشار إليه بالنص وقد طبع في حياته، و"أسرار الترجمة" و"قاموس الجغرافية القديمة" و"الدنيا في باريس" توفي سنة 1353 هـ 1934 م. انظر ترجمته في: مذكرات أحمد زكي باشا، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 971.

(4) ما بين المعكوفتين زيادة من (ع).

وزيدون وعبدون وحسون وغيرها من الأسماء التي سرد منها ما ينيف على الخمسين، والذي نستنتجه نحن من ذلك أن بيت أولاد قريون ومدون بالرباط هي من البيوتات الأندلسية الإسلامية الأصيلة. انتهى.

وفي كتاب "الأنوار النبوية"[1] ذكر لجماعة من أشراف هذه البيوتات الأندلسية كأولاد ابن الفقيه وبرقوق وهما من أهل النسب بالرباط، وسيأتي التصريح بأن نسب أكثر أهل الأندلس من قريش والأنصار، ومن][2] بقايا العرب الذين التزموا طاعة الأسبان والبقاء تحت حكمهم على شروط اشترطوها عليهم حين استيلائهم على غرناطة سنة 897، وانقراض ملك العرب من الأندلس، [إلا أن أسبانيا أخلفت عهودها وأمرتهم أن يدخلوا في المسيحية كافة، ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعوهم زمراً زمراً وحبسوهم في غرف واسعة ورشوهم بالماء إشارة إلى تعميدهم وتنصيرهم، ثم لما رأوا هؤلاء المسلمين المتنصرين لا زالوا يخشون طمعوا في أموالهم، وصاروا يظلمونهم من آن لآخر، ومن ذلك ما وصل إلينا من أوامر فيليب الثاني التي يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية واستعمال اللغة العربية والاستحمام في الحمامات العامة، والسبب في هذا الأخير أن الكنيسة الأسبانية [كانت الاستحمام][3] جرماً لا يغتفر، ثم طردوهم من وطنهم وأمروا أصحاب السفن بخيانتهم، فأبقوا متاعهم في البحر وأنزلوهم حيثما شاءوا، فوقعت منهم طوائف بالمغرب فاستخدمت منهم حكومة المغرب عسكراً جراراً، وأنزلتهم بالرباط فتمت بذلك عمارته وزهت حضارته كما قدمنا][4].

ومن فريق الإسلاميين بيوتات لا داعي لبيانها محافظة على العواطف كانوا أسلموا بالرباط وليس لهم دار سواه، وقد سوى الإسلام بين هؤلاء وبين غيرهم في الحقوق وقرر أن «لا فضل لعربي على عجمي -في الذاتيات- إلا بالتقوى»[5] ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ

---

(1) هو كتاب: "الأنوار النبوية في آباء خير البرية" لمحمد بن عبد الرفيع بن محمد الشريف الحسيني الجعفري المرسي الأندلسي، فاضل عالم بالأنساب، سكن تونس وصنف بها الكتاب المذكور وفي ثمانية فصول، وسينقل عنه بوجندار في المقدمة.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(3) كذا في (ح)، وبالعبارة سقط، ولعل العبارة: (كانت تعد الاستحمام).

(4) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(5) أخرجه أحمد في مسنده حديث 23536، 5/ 411، والطبراني في الأوسط حديث 4749، 5/ 86، وفي مسند الحارث حديث 51، 1/ 193. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح 3/ 336، وصححه الألباني =

أتقىٰكم﴾ [الحجرات: 13].

ومن فريق الإسرائيليين عائلات كثيرة يرجع أصل بعضها إلى إسرائيلي الأندلس الذين طردتهم أسبانيا، فهاجروا مع من هاجر من العرب المسلمين، وقد كان هذا الفريق يسكن بحومة البحيرة من الرباط [59/ أ] ثم أخرجوا منها بأمر السلطان أبي الربيع إلى حيث يوجد ملاحهم اليوم بوقاصة.

قال المؤرخ الضعيف في حوادث 1222 من تاريخه: " ثم جاء أمر السلطان لأهل الرباط ولأهل سلا على أن اليهود [لعنهم الله][1] يخرجون من ملاح سلا وملاح الرباط ويبنون ملاحاً آخر في طرف المدينة، ولا يبقون مختلطين بديارهم مع ديار المسلمين، وعين ليهود الرباط الجنانات التي بحومة وقاصة، واشترى الأرض من عنده وحبسها على اليهود فأقلعوا الكرم والدوالي والبرقوق والأجاص، وفي متم ثلاثين من جمادى الأولى طلع المعلم الحسن السوداني وفصل لهم الملاح بحومة وقاصة المذكورة، وصارت اليهود تبني الديار والأفران والطواحين والحوانيت "، إلى أن قال في حوادث عام 1223: " إنه في يوم الأحد الخامس والعشرين من شعبان العام المذكور خرجت اليهود أهل الذمة الذين بالرباط من ملاحهم القديم للملاح الجديد الذي بوقاصة لما كمل بناؤه، وخرج آخرهم يوم الثلاثاء السابع والعشرين من شعبان المذكور بالبكاء والصياح والعويل ووافق السادس من أكتوبر "[2].

(استطراد في نسب جالية الأندلس [وسبب هجرتهم][3]) رعياً لكون جل أنساب أهل الرباط أندلسية، وأن البيوتات النبيلة والعائلات الأصيلة فيه كلها أو جلها من بقايا جالية الأندلس رأيت أن أنقل في شرف نسبهم ما يصلح أن يكون دليلاً لمن يفتخر بالانتماء إلى جانب حسبهم، وذلك ما جاء في خاتمة [كتاب][4] "الأنوار النبوية في آباء خير البرية"[5]، وهو كتاب خطي عزيز الوجود لأبي عبد الله النسابة سيدي محمد بن عبد الرفيع الأندلسي =

في صحيح الترغيب والترهيب 2963، 2/ 79.

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 642.

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) مكررة في (ع).

(5) هو كتاب: الأنوار النبوية في آباء خير البرية لمحمد بن عبد الرفيع بن محمد الشريف الحُسَيْني، الجعفري، المورسكي، الأندلسي، المتوفى سنة 1052 هـ، توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1238 / ك.

المتوفى في رجب عام اثنين وخمسين وألف[1]، وهذا نص المراد من خاتمة ذلك الكتاب، وقد تضمنت زيادة عن فائدة الأنساب [59/ ب] فائدة خروج الأندلسيين وما دعى إليه من الأسباب.

قال رحمه الله وبوأه من الفردوس أعلى القباب: "قد كثر الإنكار علينا معشر أشراف أهل الأندلس من كثيرين من إخواننا في الله بهذه الديار الإفريقية من التونسيين وغيرهم -حفظهم الله تعالى- بقولهم من أين لهم الشرف وقد كانوا ببلد الكفار - دمرهم الله - ولهم مئون من السنين كذا وكذا، ولم يبق فيهم من يعرف ذلك من مدة الإسلام، وقد اختلطوا مع النصارى - أبعدهم الله تعالى - إلى غير ذلك من الكلام الذي لا نطيل به ولا أذكره هنا صوناً لعرضهم وحبي فيهم، فأقول وبالله التوفيق، والهادي إلى أقوم طريق، مع أني صغير السن حين دخولنا هذه الديار عمرها الله تعالى بالإسلام وأهله بجاه النبي المختار ﷺ، فقد أطلعني الله تعالى على دين الإسلام بواسطة والدي رحمة الله عليه - وأنا ابن ستة أعوام وأقل - مع أني كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب [60/ أ] النصارى لأقرأ دينهم ثم أرجع إلى بيتي فيعلمني والدي دين الإسلام، فكنت أتعلم فيهما معاً وسني حين حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام، فأخذ والدي لوحاً من عود الجوز كأني أنظر الآن إليها مملساً من غير طفل ولا غيره، فكتب لي فيه حروف الهجاء وهو يسألني حرفاً حرفاً عن حروف النصارى تدريباً وتقريباً، فإذا سميت له حرفاً أعجمياً كتب لي حرفاً عربيّاً، فيقول لي حينئذٍ هكذا حروفنا، حتى استوفى لي جميع حروف الهجاء في كرّتين، فلما فرغ من الكرة الأولى أوصاني أن أكتم ذلك حتى عن والدتي وعمي وأخي وجميع قرابتنا، وأمرني أن لا أخبر أحداً من الخلق، ثم شدد علي الوصية وصار يرسل والدتي إلي فتسألني ما الذي يعلمك والدك، فأقول لها لا شيء، فتقول أخبرني بذلك ولا تخف لأني عندي الخبر بما يعلمك، فأقول لها أبداً ما هو يعلمني شيئاً، وكذلك كان يفعل عمي، وأنا أنكر أشد الإنكار، ثم أروح إلى مكتب النصارى وآتي الدار فيعلمني، إلى أن مضت مدة فأرسل إلي من إخوانه في الله الأصدقاء فيسألني فلم أقر لأحد قط بشيء مع أنه رحمه الله تعالى قد ألقى نفسه للهلاك لإمكان أن أخبر بذلك عنه فيحرق لا محالة، لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى بتأييده وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته بين أظهر أعداء الدين.

وقد كان والدي رحمه الله تعالى يلقنني حينئذٍ ما كنت أقوله عند رؤيتي للأصنام، وذلك

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 60، ص: 304.

أنه قال لي إذا أتيت إلى كنائسهم ورأيت الأصنام فاقرأ في نفسك سرّاً قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73]، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: 1-2] إلى آخرها، وغير ذلك من الآيات الكريمة. وقوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۝ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 156-158]، فلما تحقق والدي رحمه الله تعالى أني أكتم أمور دين الإسلام عن الأقارب فضلاً عن الأجانب أمرني أن أتكلم بإفشائه لوالدتي وعمي وبعض أصحابه الأصدقاء فقط، وكانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون في أمر الدين وأنا أسمع، فلما رأى حزمي مع صغر سني فرح كثيراً غاية الفرح وعرفني بأصدقائه وأحبائه وإخوانه في دين الإسلام، فاجتمعت بهم واحداً واحداً، وسافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من جيان[1] مدينة ابن مالك إلى غرناطة[2] إلى قرطبة وأشبيلية وطليطلة، وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء [60/ ب] أعادها الله تعالى للإسلام، فتلخص لي من معرفتهم أني ميزت [منهم][3] سبعة رجال كانوا كلهم يحدثونني بأمور غرناطة وما كان بها في الإسلام حينئذٍ، وبما أقوله بعد وقلته قبل، فسندي عالٍ لكون ما ثم إلا واسطة واحدة بيني وبين أيام الإسلام بها، فباجتماعي بهم حصل لي خير كثير ولله المنة، وقد قرءوا كلهم رحمهم الله على شيخ من مشايخ غرناطة أعادها الله للإسلام يقال له الفقيه اللوطوري رحمه الله تعالى ونفعنا به، فإنه كان رجلاً صالحاً وليّاً لله فاضلاً زاهداً ورعاً عارفاً سالكاً ذا مناقب ظاهرة مشهورة وكرامات زاهرة مأثورة، قد قرأ القرآن الكريم في مكتب

---

(1) جيان بالفتح وتشديد الياء مدينة كبيرة بالأندلس شرقي قرطبة وتحوي قرى عديدة وينسب إليها عدد من العلماء أشهرهم ابن مالك النحوي المحدث الشهير صاحب الألفية. انظر: معجم البلدان لياقوت: 2/ 195.

(2) غرناطة: هي جراناداً، ومعناها «الرمانة» تقع شمالي غربي جبال « سيرا نيفادا »، ويحدُّها من الجنوب نهر شنيل، فرع الوادي الكبير، ويخترق فرعه « حدره » المدينة من الوسط، وإلى يمينه يقع حي «البيازين»، ومعظم المدينة الحديثة، وتقع قصبة الحمراء في الناحية الأخرى. وقد سقطت غرناطة بالتسليم في يد فرناندو وإيسابيلا، 1492م الموافق سنة 897هـ.
انظر: ذكر المعاهد، لابن الخطيب، ص: 62، ورحلة ابن بطوطة: 2/ 87.

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.

الإسلام بغرناطة قبل استيلاء أعداء الدين عليها وهو ابن ثمانية أعوام، وقرأ الفقه وغيره على مشايخ أجلاء حسب الإمكان؛ لأن الوقت ضاق في السر والإعلان لشدة القتال والحصر الذي كان عليهم مع صغر سنه، ثم بعد مدة يسيرة انتزعت غرناطة من أيدي المسلمين أجدادنا، وقد أذن العدو في ركوب البحر والخرج منها لمن أراده، وبيع ما عنده وإتيانه لهذه الديار الإسلامية أبقاها الله تعالى عامرة بالإسلام إلي يوم الدين، وذلك في مدة ثلاثة أعوام، ومن أراد أن يقيم على دينه وماله فليفعل بعد شروط اشترطوها وإلزامات كتبها عدو الدين على أهل الإسلام، فلما تحركوا لذلك أجدادنا وعزموا على ترك ديارهم وأموالهم ومفارقة أوطانهم للخروج من بينهم، وجاز إلى هذه الديار التونسية والحضرة الخضرا بغتة من جاء إليها حينئذٍ، ودخلوا في زقاق الأندلس المعروف الآن بهذا الاسم، وذلك سنة اثنتين وتسعمائة، وكذلك للجزائر وتطاون وفاس ومراكش وغيرها، ورأى العدو العزم فيهم؛ لذلك نقض العهد فردهم رغم أنوفهم من سواحل البحر إلى ديارهم ومنعهم قهراً عن الخروج [61/أ] واللحوق بإخوانهم وقرابتهم لديار الإسلام، وقد كان العدو يظهر شيئاً ويفعل بهم آخر مع أن المسلمين أجدادنا استنجدوا مراراً ملوك الإسلام كملك فاس ومصر حينئذ. فلم يقع من أحدها إلا بعض مراسلات ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ثم بقي العدو يحتال بالكفر عليهم غصباً فابتدأ يزيل لهم اللباس الإسلامي والجماعات والحمامات والمعاملات الإسلامية شيئاً فشيئاً، مع شدة امتناعهم والقيام عليه مراراً وقتالهم إياه إلى أن قضى الله سبحانه ما قد سبق في علمه، فبقينا بين أظهرهم وعدو الدين يحرق بالنار من لاحت عليه أمارة الإسلام ويعذبه بأنواع العذاب، فكم أحرقوا وكم عذبوا وكم نفوا من بلادهم وضيعوا من مسلم - فإنا لله وإنا إليه راجعون - حتى جاء النصر والفرج من عند الله سبحانه، وحرك القلوب للهروب، وكان ذلك سنة ثلاث عشرة وألف لهجرته ﷺ، فخرج منا بعض للمغرب وبعض للمشرق خفية مظهراً دين الكفار - أبعدهم الله - فخرج بعض أحبابنا وإخواننا وهو الفقيه الأجل المدرس الشريف لأمه أبو العباس أحمد الحنفي المعروف بعبد العزيز القرشي ومعه أحد أخواله رحمهم الله تعالى إلى مدينة بَلِغْرَاذْ من عمالة القسطنطينية العظمى، فالتقيا بالوزير مراد باشا وزير السلطان المعظم المرحوم السلطان أحمد ابن السلطان محمد نجل آل عثمان - نصرهم الله تعالى وأيدهم - فأخبراه بما حل [بإخواننا الأندلس][1] من الشدة بفرانسة وغيرها،

(1) كذا في جميع النسخ، وفي العبارة سقط، ولعلها: (بإخواننا بالأندلس).

فكتب أمراً لصاحب فرانسة - دمرها الله بأعلام السلطان نصره الله - يأمره بأن يخرج من كان عنده من [المسلمين الأندلس][1] وخدام آل عثمان - نصره الله - ويوجههم إليه في سفن من عنده مع ما يحتاجون إليه، فلما قرأ الأمر السلطاني في ديوان الفرانسيس فسمعه من كان عنده مرسلاً من قبل صاحب الجزيرة الخضراء وهو اللعين فيليبو الثالث، فأرسل لسيده وهو يخبره [61/ب] بالواقع وأن السلطان أحمد نجل آل عثمان أرسل أمره إلى فرانسة، وأمر صاحبها بأن يخرج من كان عنده من الأندلس، فقبل كلامه وأمر بإخراج المسلمين وأذن لمن جاء من الأندلس بأن لا بأس عليهم وأن يركبوا عنده في سواحله مراكبه ويبلغهم إلى حيث شاءوا من بلاد المسلمين، فلما أحس بهذا الأمر عدو الله فليبو صاحب أسبانية دخله الرعب والخوف الشديد، وأمر حينئذٍ فجمع أكابر القسيسين والرهبان والبطارقة، وطلب منهم الرأي وما يكون عليه العمل في شأن المسلمين الذين هم ببلاده كافة، فبدأ الشأن في أهل بلنسية[2] فأخذوا الرأي وأجمعوا كلهم على إخراج المسلمين كافة من مملكته، وأعطاهم السفن وكتب أوامر وشروطاً في شأنهم وفي كيفية إخراجهم وشدد على عماله بالوصية والاستحفاظ على كافة المسلمين من الأندلس. نعم أريد أن أذكر لك نبذة يسيرة اختصرتها وترجمتها من جملة أسباب ذكرها الملك الكافر أبعده الله في أوامره التي كتبها في شأن إخواننا الأندلسيين[3] حين إخراجهم من الجزيرة الخضراء لتكون على بصيرة من أمرهم وتعلم بعض الأسباب التي أخرجوا لأجلها على التحقيق، لا كما يزعم بعض الحاسدين، وليؤيد ذلك ما قدمناه آنفاً من أمر السلطان أحمد المنصور بالله نجل آل عثمان - نصرهم الله أمين - وتكمل الفائدة، ولئلا يساء الظن بنا معشر الأندلسيين، فأقول وبالله التوفيق: قال الملك الكافر - أبعده الله تعالى وزلزله آمين - لما كانت السياسية السلطانية الحسنة الجيدة موجبة لإخراج من يكدر المعاش على كافة الرعية النصرانية في مملكتها التي تعيش عيشاً رغداً صالحاً، والتجربة أظهرت لنا عياناً أن الأندلسيين الذين هم متولدون من الذين كدروا مملكتنا فيما مضى بقيامهم علينا وقتلهم أكابر مملكتنا والقسيسين والرهبان الذين كانوا بين

---

(1) كذا في جميع النسخ.

(2) بلنسية: مدينة سهلية في شرق الأندلس، كانت قاعدة من قواعده، قال ابن سعيد الغرناطي: "وحيث خرجت من جهاتها لا تلقى إلا منازه ومسارح". وقد كان الروم تغلبوا عليها ثم أحرقوها عند خروجهم منها سنة 495 هـ. انظر: المغرب في حلى المغرب، لعلي بن سعيد، الغرناطي: 2/ 243.

(3) في (ح)، و(ع): (الأندلس).

أظهرهم، وقطعهم لحومهم وتمزيقهم أعضاءهم وتعذيبهم إياهم [62/ أ] بأنواع العذاب الذي لم يسمع فيما تقدم مثله مع عدم توبتهم مما فعلوه وعدم رجوعهم رجوعاً صالحاً من قلوبهم لدين النصرانية، وأنه لم ينفع فيهم وصايانا، ورأينا عياناً أن كثيراً منهم قد أحرقوا بالنار لاستمرارهم على دين المسلمين، وظهر منهم العناد بعيشهم فيه خفية واستنجادهم كذلك عون السلطان العثماني لينصرهم علينا، وظهر لي أن بينهم وبينه مراسلات إسلامية ومعاملات دينية، وقد تيقنت ذلك من إخبارات صادقة وصلت إلي، ومع هذا أن أحداً منهم لم يأت إلينا ليخبرنا بما هم يدبرونه في هذه المدة بينهم وفيما سبق من السنين بل كتموه بينهم علمت بذلك أن كلهم قد اتفقوا على رأي واحد ودين واحد ونيتهم واحدة، وظهر لي أيضاً ولأرباب العقول والمتدينين من القسيسين والرهبان والبطارقة الذين جمعتهم لهذا الأمر واستشرت مع أن من إبقائهم بيننا ينشأ عنه فساد كبير وهول شديد بسلطنتنا، وأن بإخراجهم من بيننا يصلح الفساد الناشئ من إبقائهم بمملكتي، أردت إخراجهم [كافة][1] من سلطنتنا جملة؛ ليزول بذلك الكدر الواقع والمتوقع للنصارى الذين هم رعيتنا طائعين لأوامرنا وديننا، ورميتهم إلى بلاد المسلمين أمثالهم لكونهم مسلمين ". انتهى المراد بأكثر لفظه، ولم أتعرض لذكر شروط كتبها ودققها، فانظر - رحمك الله - كيف شهد عدو الدين الملك الكافر بأنهم مسلمون واعترف[2] أنه لم يقدر على إزالة دينهم من قلوبهم وأنهم متمسكون كلهم به مع أنه كان يحرق منهم من ظهر عليه الدين، ثم وصفهم بالعناد لرؤيته فيهم لوائح المسلمين وأماراتهم، فأي علامة أكبر من صبرهم على النار لأجل دين الحق، ومن استنجادهم ملك دين الإسلام المؤيد لحماية الدين أمير المسلمين السلطان أحمد نجل آل عثمان - نصرهم الله تعالى - فهذا غاية الخير والعز والبركة لهذه الطائفة الطاهرة الأندلسية التي قال فيها شيخنا [62/ ب] الأستاذ القطب الغوث سيدي أبو الغيث القشاش - نفعنا الله تعالى به دنيا وأخرى - في بعض مكاتبه التي كان يكاتبني بها في بعض شأنهم حين قدومهم إلى هذه الديار - أدامها الله للإسلام - فقال لي: " وسلم لي على هؤلاء الأنصار الأطهار الأخيار، فإنه لا يحبكم إلا مؤمن ولا يبغضكم إلا منافق ". انتهى بلفظه. ويؤيد كلام الأستاذ رحمه الله تعالى الأحاديث الشريفة السابقة في أول هذا الكتاب في الفصل الأول منه في النوع الثالث منها، كحديث سلمان الفارسي رضي الله عنه،

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.

(2) كذا في المطبوع، وفي (ح)، و(ع): (واعتراف).

وحديث علي رضي الله عنه وهو قوله ﷺ: «لا يبغض العرب إلا منافق»[1]، وغيرهما، وكما جاء في شأن قريش لثبوت نسب أكثرهم[2] منهم ومن الأنصار الخزرج والأوس وغيرهما؛ تغليباً فضلاً عن من هو منهم من الأشراف من درية الحسن والحسين والعباس وغيرهم رضي الله عنهم من بني هاشم كما سيأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى مع ما تقدم والله سبحانه أعلم وبه التوفيق. فخرجوا كلهم سنة تسع عشرة وألف ووجد في دفاتر السلطان الكافر - أبعده الله تعالى آمين - أن جملة من أخرج من أهل الأندلس كافة نيف وستمائة ألف نسمة كبيراً وصغيراً، فكانت هذه الواقعة منقبة عظيمة وفضيلة عجيبة لجماعتنا الأندلسيين زادهم الله شرفاً بمنه، وأمر أيضاً بإخراج من كان مسجوناً في كافة مملكته وكل من كان أمر بإحراقه فأخرجه وعفا عنه وزوده وأرسله إلى بلاد الإسلام سالماً، ولا يخفى أن هذا أمر عظيم ومحال عادة، فسبحان رب السموات ورب الأرض الذي إذا أراد أمراً قال له كن فكان، فيالها من أعجوبة ما أعظمها، ومن فضيلة ما أشرفها، ومن كرامة ما أجملها، ومن نعمة ما أكبرها، فما سمع من أول الدنيا إلى آخرها مثل هذه الواقعة إلا ما حدثني به شيخنا العلامة ساسي نوينه الأندلسي حفظه الله تعالى فقال: روي أن جيشاً من المسلمين غزا بعض مدائن الكفار فلما وصل الجيش إلى هذه المدينة وخرج جيش الكفار بآلات [63/أ] حربهم وتصافَّ القوم فخرج شاب من جيش المسلمين، وقال: [هل][3] من مبارز؟ فخرج إليه قِرنه من الكفار، فقتله الشاب ورجع عنه إلى المسلمين، وأصبح من الغد ففعل مثل ذلك، فحين رأى ذلك ملك الروم اهتم وقال لعسكر الكفار: إذا خرج الشاب وطلب البِراز فخرج إليه قِرنه فإذا تشابكا اهجموا عليه وخذوه. فلما أصبح وخرج الشاب وطلب البِراز وخرج إليه قِرنه هجم عليه جيش الكفار فجاءوا به وأدخلوه السجن وكبلوه وغللوه، وفرح ملكهم وبقي يشرب ثلاثة أيام سروراً بأخذ الشاب، وقال بعد أخذ الشاب: كأني أخذت عسكر المسلمين كله. ثم دخل عليه الملك ليلاً فقال له: من الذي أدخلك السجن؟ فقال: مولاي. [ومن الذي قيدك وغللك؟ فقال: مولاي][4]. ونظر إلى القيد والجامعة بين يديه، فقال له الملك: ولم أبقاك في السجن؟ فقال: لأمر أراده. فقال الملك:

---

(1) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند 1/ 81، برقم (614)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد 10/ 53: فيه زيد بن جبيرة وهو متروك.

(2) أي أكثر الأندلس من قريش، وبقرطبة اليوم مشهور مقبرة تسمى بمقبرة قريش، قاله غير واحد من أكابر العلماء منهم الحافظ الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك الأنصاري صاحب الصلة.

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.

أنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فأصبح أهل المدينة كلهم يقول: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقال الشاب للملك حينئذٍ: إنما إبقاني في السجن لأجل هذا. انتهى.

ولا ريب أن هذا من كرامة النبي ﷺ الذي أكرمه الله ربنا سبحانه بمثل ما أكرم به كافة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وما أحسن قول الإمام البوصيري -رحمه الله تعالى-:

تتباهى بك العصور وتسمو بك علياء بعدها علياء

(الرؤساء وبيوتات الرياسة بالرباط)

بيوتات الرياسة بالرباط كثيرة نشير إلى بعض من تبوءوا مقاعدها الوثيرة ممن كانت لهم أثرة وشهرة إلى هذه الأيام الأخيرة، نذكر منهم أولاً بيت آل مرينو بيت العلم والفضل والجلالة والقضاء والحسبة والعمالة والإمامة والخطبة والعدالة، وكان البعض منهم أحد أعضاء مجلس النواب الأندلسي أيام استقلال [63/ ب] الأندلسيين في عهد السعديين والدلائيين، ومن مشاهيرهم السيد عبد القادر مرينو قائد الرباط والقصبة في عهد مولاي رشيد، والقائد أحمد حجي مرينو[1] عامل الرباط في عهد مولاي إسماعيل، ولعله المذكور باسم القائد حجي مرينو في حوادث عام 1166 من تاريخ الضعيف على أنه مات مقتولاً[2]، ثم جماعة منهم تداولوا قضاء الرباط قيل أن عددهم عشرة، ذكرت منهم في كتاب تعطير البساط بتراجم قضاة الرباط أربعة فقط وهم من وقفت إذ ذاك على تراجمهم[3]، ثم وقفت بعد ذلك في تاريخ الضعيف على أن محمد بن القاضي المهدي مرينو[4] ممن تولى القضاء الرباطي أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله وذلك باتفاق أهل الرباط عليه عند وفاة والده في اليوم العاشر من رمضان سنة 1188هـ[5].

وممن تولى خطة الحسبة منهم بالرباط أبو الفضل السيد عباس مرينو[6]، كان من زعماء

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 8، ص: 205.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 275.

(3) الاغتباط التراجم رقم (209) و(52) و(68) و(54)، ص: 558، وص294، وص324، وص300.

(4) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 68، ص: 324.

(5) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 328.

(6) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 676.

الرباطيين أنصار المولى مسلمة بن محمد ضد مولاي هشام والمولى أبي الربيع بعد وفاة مولاي اليزيد إلى أن توفي في حادثة مولاي سليمان مع أهل الرباط، وآخر من ظهر من هذا البيت جماعة من العدول والخطباء في العهد السليماني، ثم الأمين السيد المعطي مرينو(1) وبعده مال نجم هذا البيت للأفول وانزوت أفراده في بيت الخمول.

ومن بيوتات الرياسة بالرباط قديماً آل شنتياك، وآل ابن طوجا، وأولاد التونسي، وأولاد القرطبي، وأولاد القصري، وأولاد ابن عبدون، وأولاد الدك، كلهم تقدمت فيهم رياسات وكان أسلافهم من أهل الحل والعقد بين أشياخ الأندلس الجمهوريين كما سبقت الإشارة إليه نقلاً عن المؤرخين مويط ودو كاستري في رحلة الأول وتاريخ الثاني، وقد تقدم ذكر أحمد شنتياك من بين رؤساء أهل الأندلس وفي تاريخ الضعيف ذكر المحتسب [السعيد](2) شنتياك الأندلسي محتسب الرباط بتاريخ 1209، وسيأتي ذكر من كان من عمال الرباط من أولاد القصري.

[64/ أ] ومن البيوتات التي تداولت عمالة الرباط في عهد مولاي عبد الله [كما في تاريخ الضعيف](3) آل الولتيتي، وآل أبي جندار، واللوشي، وصيرون، وغيرهم [كما للمؤرخين الضعيف الرباطي وابن الحاج الفاسي(4) لدى حوادث أيام مولاي عبد الله، وقد ذكرهم هذا الأخير صحيفة 23 من الجزء التاسع من تاريخه بأسمائهم، ووصفهم بالرياسة والرشاد، والتربية والسداد، والتشيع لجانب المخزن ضد المخالفين من أهل الرباط، فانظره](5). وفي عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله وليها القائد العربي المستيري بتاريخ 1168 ثم عزل عنها لعجزه وكبر سنه، وتولاها عبد الوهاب أشكلانط الأندلسي سنة 1186(6)، [كما في الضعيف أيضاً](7) [وكان القائد العربي المذكور من أشهر الرؤساء الرباطيين الذين تداولوا مع عمالة الرباط رياسة السفارة أيضاً، وبيته من البيوتات التي

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 169، ص: 519.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.

(3) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(4) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 29، ص: 243.

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(6) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 325.

(7) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

تداولت رياسة البحر كما يأتي][1].

ومن البيوتات الرباطية الأندلسية المتسنمة ذروة المجد في القديم والحديث بيت آل بركاش، بيت الرياسة والسياسة والكياسة، وأول من اشتهر منهم الأمين السيد الحاج عبد الله ابن السيد الحاج علي بركاش الأندلسي أصلاً الرباطي داراً ومنشأ، كان من الأمناء والزعماء أهل الصرامة والنفوذ حتى كان يُدْعَى كما في الضعيف بسلطان الرباط، ولي قائداً في أواخر القرن الثاني وبقي إلى أوائل الثالث عشر، رأيت في ذلك ظهيراً سليمانياً بتاريخ 25 رجب عام 1206 هـ، ولما أسن أعفي وولي بدله ولده الأمين الحاج المكي بركاش أحد السفراء والنظار الرباطيين، إلا أن ولايته كانت قريبة لوفاته في حياة والده أواخر عام 1211، فتولى بعده ولده الطالب أبو عبد الله محمد بن المكي بركاش، وابن المكي هذا هو الذي تنسب إليه اليوم سقاية ابن المكي التي قرب دارهم تحت الساباط هناك. ومن مشاهير هذا البيت سيادة النائب السلطاني الباشدور [الطائر الصيت في عالم السفارة والسياسة الخارجية الفقيه][2] السيد محمد بركاش[3] المتوفى في 3 محرم الحرام عام 1304، ثم أولاده الأمناء كالأمين الحاج محمد بركاش، والأمين الحاج العباس، والأمين الحاج عبد المجيد، وباشا الرباط المرحوم السيد الصديق، ثم حفدته كالخليفة المرحوم السيد عبد العزيز، وصنوه سيادة باشا الرباط الحالي الفقيه السيد عبد الرحمن بركاش أيده الله.

ومن البيوتات الأثيلة المجد في الرباط بيت المكانة والأمانة والزعامة والشهامة بيت أولاد الزبدي [64/ ب] آل الحاج محمد الزبدي العضو بمجلس النواب في عهد استقلال الأندلسيين، وقائد الرباط الحاج الطيب الزبدي المذكور في حوادث 1223 من تاريخ الضعيف[4]، وقائد الرباط الحاج محمد بن الطاهر الزبدي الزعيم الرباطي بتاريخ 1261 في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن، وكان امتحن بالسجن لعهد المولى المذكور وبعد إطلاق

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(3) هو السيد مَحمّد فتحا ابن الرئيس السيد الحاج عبد الرحمن بركاش الاندلسي محتدا، الرباطي دارا ومولدا، كان من أعيان الوجهاء، وذوي السياسة والعقل والذكاء، رشح للنيابة السلطانية بثغر طنجة فكان يباشر قضايا الأجانب على أحسن ما يرام، وكثيرا ما وجه سفيرا للدول، وتوفي المترجم بالرباط في ثالث محرم عام أربعة وثلاثمائة وألف ودفن بالعلو. انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية: 1/ 211.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 631.

سبيله عين لوظيفة أمين على الدفاتر المالية، ثم سفيراً عن السلطان المقدس مولاي الحسن إلى دول الإفرنج مثل فرنسا وإنكلترا وإيطاليا وبلجيكا، وذلك بتاريخ عام 1293، واستصحب معه هدايا نفيسة وأموالاً طائلة صيرها في وجهته تلك إلى أن قضى الغرض على أكمل الوجوه وأحسنها، وعاد مسروراً في أواخر شعبان من العام المذكور، وهو والد الأخوين الوجيهين صديقنا الأديب السيد أحمد الزبدي [العضو بالمجلس البلدي][1]، والأمين [المرحوم][2] السيد العربي أحد المتقلبين في خدمة المخزن.

ثم بيت آل غنام الفخام بيت السفارة والنظارة و[الرصانة][3] والرزانة، [أول من][4] اشتهر منهم [الفقيه الفاضل السيد الحاج بناصر ابن السيد الحاج علي غنام الأندلسي النسب، ثم][5] السيد الحاج عباس غنام أمين مرسى الرباط بتاريخ 1226، والسيد الحاج أحمد غنام ناظر أحباسه الكبرى بتاريخ 1283، والسيد محمد – فتحاً – غنام ناظرها بتاريخ 1295، [وكانت وفاته عام 1312، ثم][6] السيد محمد غنام ناظرها بتاريخ 1320، وكانت وفاته بتاريخ ليلة التاسع من المحرم فاتح عام 1333، و[لو لم يكن][7] من مفاخر هذا البيت [إلا][8] جناب الأمين المرحوم السيد بناصر ابن السيد الحاج أحمد غنام، [أحد][9] رجال المخزن الكرام وسفرائه العظام وأمنائه المتقلبين في خطة الأمانة والقهرمانية [لكفى فخرا يسجله التاريخ بقلم الإكبار والإعجاب، وناهيك][10] [بولده][11] حبيبنا الخليفة الأول لباشا الرباط الفاضل السيد محمد غنام، [ثم بصنوه][12] حبيبنا الأمين الشهير

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(3) في (ح): (الأصالة).

(4) في (ح): (ممن).

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(6) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(7) ما بين المعكوفتين غير موجود في (ح).

(8) ما بين المعكوفتين غير موجود في (ح).

(9) في (ح): (كان من).

(10) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(11) في (ح): (وهو والد).

(12) في (ح): (وصنو).

السيد عبد الله غنام.

ثم بيت أولاد والزهرا الفخيم، بيت السؤدد والفضل والجاه في الحديث والقديم، كان البعض منهم من أشياخ الأندلس في عهد الجمهورية الأندلسية، وكان السيد أحمد والزهرا منهم أحد [65/ أ] عمال الرباط في عهد السلطان مولاي عبد الله إلى أن مات مقتولاً بتاريخ 1166. [ذكره ابن الحاج الفاسي في تاريخه ووصفه بكونه من رؤساء الرباط أهل الرشاد والتربية والسداد. هـ.][1] وممن تداول فيهم نظارة الأحباس الرباطية الناظر السيد الحاج محمد والزهرا بتاريخ 1255، والناظر السيد المكي والزهرا بتاريخ 1317، وهو صنو الأمينين الشهيرين في العهد العزيزي السيد عبد السلام والزهرا والفقيه السيد مَحمد -فتحاً- والزهرا أهل الدرب المعروف بالرباط، [وسيأتي ذكر من فيهم من أهل العلم][2].

ثم بيت أولاد التازي بيت الوجاهة والنزاهة والنباهة، وأشهرهم الأمين السيد محمد [ابن الحاج محمد][3] التازي [(الموخ) الرجل][4] الشهير الذكر الطائر الصيت في عهد السلطان مولاي الحسن، [كان من خواصه ومن المحبوبين لديه إلى أن صاهره بإحدى جواري أبيه][5] و[هو الذي][6] عينه سنة ست وتسعين لوظيف أمين الأمناء، وأسند إليه أمر خراج[7] المغرب ومراسيه ومستفاداتها وما يتبع ذلك مع صوائرها، وفوض إليه في ذلك تفويضاً تاماً لعلمه بنصحه وأمانته وضبطه. قال في الاستقصا: " وهذا الرجل من أمثل أهل المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان، وأشدهم غيرة على الدين والوطن حتى لو كان في الدولة عشرة رجال على شاكلته ومذهبه لكان يظن أن يكون لها بذلك النجاح التام ". اهـ[8]. [ولما توفي أقام السلطان مقامه في وظيفه أخاه الأمين الشهير الطيب الذكر السيد عبد السلام التازي وكان أيضاً من المحظوظين الملحوظين عند السلطان، وهو الذي بنى له داره الكبرى

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(6) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(7) صحفت في (ح) بـ (خارج).

(8) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري: 9/ 166.

بحومة مولاي إبراهيم، فَخَوَّلَهُ في ذلك خراج بعض الأعشار، فكانت لها بذلك في الرباط ميزة عن الديار. ومن أفاضل هذا البيت أخوهما للأب السيد الحاج محمد التازي والد حبيبنا الفلاح الكبير المثري الشهير السيد الحاج أحمد التازي العضو بالمجلس البلدي][1].

ثم بيت أولاد السويسي بيت العمالة الرباطية والصولة المخزنية، تداولها منهم السيد الحاج محمد السويسي قائد الرباط بتاريخ 1226هـ، وهو الذي ولي نظارته بتاريخ 1239 هـ ثم ولده الحاج محمد ابن الحاج محمد السويسي قائده في عهد المولى عبد الرحمن إلى أن ثار عليه أهل الرباط سنة 1261 هـ ثم أبو محمد عبد السلام بن محمد السويسي قائد الرباط في عهد مولاي الحسن، وهو الذي عينه في سنة أربع وتسعين ومائتين وألف للذهاب إلى مدريد عاصمة أسبانيا بقصد السفارة عنه والرد لزيارة باشدورهم الذي كان جاء برسم زيارة السلطان، ثم صنوه السيد محمد السويسي قائد الرباط بعد وفاة أخيه عام 1302 هـ ثم قائده من بعده السيد أحمد [السويسي شهيد الوقعة العزيزية عام 1326][2].

[65/ ب] [3] ثم بيت أولاد مارسيل البيت الأضيل النبيل، اشتهر منهم في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أبو الحسن السيد علي مارسيل قائد الرباط بتاريخ عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف - كما لصاحب الاستقصا - ولعله هو المذكور عنده في حوادث عام تسعة وسبعين باسم الرئيس أبي الحسن علي مارسيل من جملة سفراء السلطان المذكور، كان بعثه إلى فرنسا لتقرير الصلح معها وقبض مال أسارى العرائش وشراء الإقامة الحربية[4]، [وأرخ وفاته الضعيف بأول يوم من رجب عام 1188، وقال في حقه أنه كان من أهل الهندسة والتنجيم[5]][6]. ومنهم السيد أحمد مارسيل[7] مؤقت الجامع الكبير بتاريخ 1230، ومؤقته أيضاً السيد الطيب مارسيل، ثم من بعده مؤقته أيضاً ولده السيد علي مارسيل المتوفى يوم الاثنين صفر

---

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(2) في (ح): (وهو أخو السيد عبد السلام المذكور، ولم يزل متربعا على دست العمالة بالرباط إلى أن توفي في الوقعة العزيزية عام 1326، فأسندت إلى السيد عبد النبي السويسي الخليفة الثاني الباشا بالرباط الحالي).

(3) وقعت أول لفظة في الصفحة في الهامش السابق، وأول الصفحة (عبد النبي).

(4) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري: 8/ 25.

(5) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 328.

(6) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(7) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 17، ص: 230.

الخير عام 1329، وهو والد سيادة المؤقت الحالي سيدي محمد مارسيل حفظه الله.

ثم بيت أولاد فرج بيت الزعامة والفضل والنبل، ومن مشاهيرهم السيد المكي بن العربي فرج أحد الزعماء الرباطيين في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وولده مولاي اليزيد، ذكره في البستان والجيش وتاريخ الاستقصا والضعيف في حوادث عام 1206، ومنهم السيد الحاج محمد بن إبراهيم فرج[1] ناظر أحباس الرباط بتاريخ 1326، وقائده بتاريخ 1320، والقائد السيد عبد اللطيف فرج المتوفى سنة 1267، كان تولى قيادة الرباط عام 1262، ومحتسب الرباط وناظره الأمين السيد عبد الخالق فرج المتوفى عام 1332، ثم بيت أولاد ابن عبد الله بيت الحسب والنسب والنشب، وأول من اشتهر منهم التاجر [السيد][2] عبد المالك بن عبد الله وولداه الأمين الحاج محمد أمين الصائر في العهد الحسني، والأمين الحاج أحمد أمين مرسى تارودانت[3]، وسيأتي ذكر من تداول فيهم الحسبة، [ومن درج فيهم من أهل العلم][4]، ثم بيوتات أخرى [مشهورة بالنعمة والثراء، لها مآثر حسان في سبيل الأعمال الخيرية العائدة على بني الإنسان بالإحسان كبعض أولاد بلافريج، والعوفير، وابن بوعزة، والباشا إلى بيوتات أخرى][5] درج فيهم سفراء وكتاب ونظار ومحتسبون، نكتفي بالإشارة إلى بعض أفرادهم [كالرئيس الشهير السيد عبد الله ابن عائشة الرباطي سفير المولى إسماعيل إلى الوزير الرابع عشر و][6] الكاتب الشهير [66/أ] السيد الطاهر بناني الرباطي[7] سفير السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى السلطان العثماني، والرئيس الحاج التهامي المدور الرباطي سفيره إلى بلاد السويد، والرئيس العربي المستيري الرباطي سفيره إلى بلاد إنكلترا، والحاج الهاشمي المستيري ناظر الكبرى بالرباط عام 1216، والسيد الحاج العربي ملين ناظر الرباط بتاريخ 1223، والسيد الحاج العربي بناني ناظره بتاريخ عام 1237،

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 74، ص: 340.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(3) تارودانت: إحدى دوائر عمالة أگادير تحتوي على عدة جماعات، وكانت في الستينات من هذا القرن الرابع عشر الهجري عاصمة سوس قبل أن تنقلعاصمة الإقليم إلى أگادير. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 125.

(4) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(6) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح)، وفي (ع) سقط من السياق واستدركه بالهامش.

(7) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 153، ص: 487.

والسيد محمد قريون ناظره بتاريخ 1239، والسيد الحاج عبد القادر المعموري ناظره عام 1304، والسيد الحاج محمد الأزرق ناظره عام 1327، والسيد بنعيسى بن مسعود اطريدانو[1] ناظره عام 1333، وكانت وفاته في 8 رمضان عام 1335، وهو تاريخ ولاية الناظر الحالي صديقنا الفقيه السيد محمد ملين سدده الله. وأما المحتسبون فمنهم السيد محمد بناني، ثم ابن عمه السيد الحاج محمد بناني والد الأمين السيد الحاج أحمد بناني المثري الشهير بالرباط، ثم السيد محمد بن العباس الزكي محتسب الرباط بين عام 1266 وعام 1292، والسيد الجيلاني العدلاني محتسبه بعد ذلك إلى عام وفاته تاريخ 1298، ثم بعد هذا التاريخ تداول حسبة الرباط السيد عبد الخالق فرج المتقدم الذكر، والأمين السيد الحاج أحمد بن عبد الله، وأخوه السيد العربي بن عبد الله إلى عام 1328، والأمين السيد العربي الزبدي إلى أثناء عام 1329، والأمين السيد محمد بن محمد المريني إلى عام 1332، والأمين السيد محمد بن أحمد فرج إلى عام 1334، وهو تاريخ ولاية المحتسب الحالي الأمين السيد رضوان بلافريج، بيته من البيوتات الشهيرة بالنعمة والثراء والمجد والعلاء، وناهيك أن والده هو التاجر الطيب الذكر الشهير السيد الحاج أحمد بلافريج صاحب الأيادي البيضاء في الجود والسخاء والمآثر الحسان في سبيل التبرعات والإحسان. [66/ ب]

ولنشر أيضاً إلى بعض الأفراد من الرؤساء الرباطيين الذين تداولوا رياسة البحرية والطبجية والبابنجية رعياً للمكانة السامية التي كانت تشغلها هذه الرياسة قبل هذا العهد مكتفياً بذكر جماعة منهم جاءت أسماؤهم في تاريخ الضعيف وغيره، مثل الرئيس السيد المكي بن الشاذلي الشرقوي الذي كان تولى قيادة الرباط في عهد حصار مولاي المستضيء على الرباط، والرئيس علي بريبس الأندلسي، والرئيس العربي المستيري، والرئيس العربي حكمي، والرئيس محمد السبيعي، والرئيس محمد العنقي، والرئيس لبريس، والرئيس عاشور، والرئيس الهاشمي المستيري، والرئيس علي التركي، والرئيس محمد بن مبارك، والرئيس إبراهيم لباريس، والرئيس الحسن بناني، والرئيس الحاج عبد الرحمن بركاش، والرئيس الحاج عبد الرحمن بريطل، [والرئيس المعطي][2]، والرئيس المعطي فلوريش، وغيرهم من الرؤساء المجاهدين المعروفين بالمعلمين كالمعلم المجاهد العناية البعودي، قال الضعيف في حقه: " إنه كان عارفاً بضرب المهراز، وهو

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 127، ص: 450.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح)، واستدركه (ع) في هامشه.

الذي ضيق بأهل سبتة من النصارى إلى أن قتلوه، [وقطعوا له أذنه أو فلسوا المهاريز والأنباض][1] فاغتاض السلطان مولاي اليزيد وبكى على العناية الرباطي رحمه الله، واغتاض عليه جميع الجيش"[2]. ومنهم المعلم أبو جندار البنباجي من عائلتنا الجندارية، ومن المشهورين بالرماية والضرب بالمهراز كما جاء ذكره في حوادث ثامن ربيع الثاني عام 1211 من تاريخ الضعيف[3]، ومنهم المعلم المجاهد السيد محمد- فتحاً - بوجندار جد والدتي وعم والدي شهيد وقعة سلا الأخيرة، والمعلم السيد محمد بن عسيلة، والمعلم الطاهر بن الحسن، والمعلم الرطل، والمعلم ابن العباس، والمعلم سباطة، والمعلم أشديد، وغيرهم [ممن اشتهروا][4] من رؤساء الأبراج وكبراء [المعلمين و][5] المتعلمين بها في عهد دولتنا الشريفة، وأما العلماء وبيوتات الرياسة العلمية بالرباط فذلك عندنا بيت القصيد وعتبة الوصيد من موضوع كتابنا الاغتباط بتراجم أعلام الرباط حيث تصدينا لترجمة كل إمام بها لا تسعه هذه المقدمة والموعد إن شاء الله في بقية الأجزاء [67/ أ] أمام [وسيمر بك بيوتات تداولوا رياسة العلم خلفاً عن سلف وإماماً عن إمام، نخص بالذكر منهم هنا في هذه المقدمة الإجمالية آل مرينو، وأولاد ابن عمرو، وعائلة الغربي، وابن جلون، والعزوزيين، وأولاد البناني، وعاشور، ودنية، والشرقويين، وملين، والبطاوريين، وأولاد الحكمي، وأولاد ابن إبراهيم، وغيرهم، أعاننا الله تعالى على ما نحن بصدده في إحياء ذكرهم بالتنبيه على علو قدرهم والتنويه بعظيم فخرهم، آمين بالأمين][6].

(حوادث تاريخية بالرباط)

قد مر بك في تاريخ شالة الأزلية وقصبة الرباط الأثرية من الحوادث والماجريات التاريخية ما رأيت المناسبة في ذكره هناك بين ما يناسبه من الوقائع والأحداث الخارجية تاركاً إلى هنا بعض حوادث أخرى داخلية لخصتها بقلم أحد المترجمين من كتاب أصول التاريخ المغربي للمسيو دو كاستري المتقدم الذكر، ثم حوادث أخرى أهلية اقتطفتها من تاريخ أبي

---

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 409.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 499.

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(6) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

عبد الله الضعيف الرباطي، وغيره، وعلى القارئ أن يغضي معنا عما جاء في هذا الفصل من ضعف التأليف، فإن قلم الترجمة لا يخلو من تعبير سخيف، وقلم مؤرخنا الضعيف من حيث هو ضعيف سيما والقصد هنا الفائدة التاريخية الأثرية لا الفائدة اللغوية الأدبية، قال المؤرخ دو كاستري ما تلخيص ترجمته في حوادث الرباط وقصبته أن الأندلسيين لما استقلوا في القصبة بأنفسهم ضد السعيدين والدلائيين كانوا كثيراً ما يستقلون حتى عن إخوانهم أهل الرباط الأندلسيين، وكم استبدوا دونهم بالحكم ومدخول المرسى إلى أن استحكمت بينهم بسبب ذلك أسباب البغضاء، أفضت بهم إلى المحاربة ومحاصرة هؤلاء لأولئك سنة 1630 مسيحية، وكان [67/ ب] السلويون يميلون لأهل القصبة ويستميلونهم لمعاملتهم بالإتجار وغيره، وربما أعانوهم على الرباطيين بإدعاء أن أهل القصبة الذين هم من الأندلسيين القدماء كانوا أمتن ديانة وأشد غيرة على الدين من أندلسيي الرباط المتأخرين، ثم تداخل بعض الأشراف من المرابطين بين أهل القصبة والرباطيين وانفصلوا على ضرب من الصلح وشروط تعاهدوا عليها منها كون القصبة هي مركز العامل المنتخب ومركز مجلس الشورى، ومنها أن أعضاء المجلس يكونون من أعيان المدينتين معاً وهم ستة عشر رجلاً، وأن لكل من المدينتين حق الانتخاب، ومنها أن ما أفاء الله عليهم من الغنائم ومدخول المرسى يكون بينهما على التساوي. هـ. وهذا هو التاريخ الذي كان الرباط فيه جمهورياً، بل كان يوجد في مصب أبي رقراق ثلاث جمهوريات كل واحدة مستقلة عن الأخرى، وهي - سلا - والقصبة والرباط، وهو تاريخ ظهور الشيخ العياشي بسلا، وكان يكره أهل الأندلس المذكورين إلى أن أفضى به الأمر لمحاربتهم سنة 1631 زاعماً أنه يحاربهم بأمر أمير الوقت، فلذلك رفع الشكاية به إلى الأمير الذي كان بمراكش كل من قائد الرباط في ذلك العهد وهو عبد الله بن علي القصري وقائد القصبة وهو محمد بن عبد القادر سرون، فكان جواب العياشي بأن أهل الرباط والقصبة تحالفوا مع أسبانيا عدوته وهو يحاربهم لأجل ذلك، لكن الأندلسيين أنكروا ذلك وقالوا إنما الغاية المقصودة للعياشي هي محاولة الاستيلاء عليهم لا غير، كذا قال المؤرخ دو كاستري. والذي جاء في بعض تواريخ الإسلام ما صورته أنه في سنة 1023 هجرية كان الشيخ العياشي قد كثر اجتماع الناس عليه بسلا وصار صيته في البلاد لقيامه بالجهاد وغزوه مرسى معمورة وإيقافه بمن كان فيها من الأسبان، فتخوف السلطان [68/ أ] زيدان السعدي منه وأمر الزعروري قائده على عسكر الأندلس بقصبة الرباط باغتياله وإلقاء القبض عليه، ففاوض الزعروري أشياخ الأندلس في ذلك فاتفق رأيهم على أن يكون مع العياشي جماعة

منهم عيناً عليه وطليعة على نيته، واستخباراً لما هو عازم عليه وما هو طالب له، فلازمه بعضهم وشعر العياشي بذلك فلزم بيته، وتحكمت البغضاء بينهم وأظلم الجو وصاروا أعواناً للأسبان عليه يخبرونهم بأموره ويعلمونهم بعورته، فشاور أبو عبد الله العياشي العلماء في أمرهم بعد إقامة الحجة الشرعية عليهم، فأفتاه الإمامان أبو حامد الفاسي وأبو مالك عبد الواحد بن عاشر وغيرهما بجواز مقاتلتهم. هـ. فاعرفه وانظره بعين النقد مع ما يأتي، فربما تطير شرارة تضيء لك مكان جوهرة الحقيقة التي هي بالقبول خليقة.

ولنرجع إلى بقية تفاصيل أخبار العياشي مع الأندلسيين، قال المؤرخ المذكور: "وكان للعياشي في سور سلا أربعة مدافع أعدها لضرب القصبة، ولكنه ما كان ينال منها إلا ما كان يناله من ضرب المراكب التي تمر بالوادي، وأرسل ولده عبد الله العياشي إلى شالة بخمسة آلاف فارس حاصر بها الرباط والقصبة، ولما لم يحصل على مرامه غادرهما وذهب لغزو الأسبان، وفي أثناء عام 1636 م انحلت الرابطة بين الرباطيين وأهل القصبة، وعزم أهل الرباط على احتلال القصبة والقضاء على شوكة الأندلسيين القدماء، وبالفعل دخلوا وقتلوا وغربوا وهربوا ونفوا البعض من الرؤساء إلى الجزائر وتونس، وفرَّ البعض منهم إلى سلا ملتحقاً بالعياشي، والبقية الباقية استوطنت الرباط، ومن هذا الحين تولى الرباطيون حكومة الرباط والقصبة معاً.

وفي عام 1637 عزموا على غزو سلا والاستيلاء عليها، فجعلوا قنطرة مركبة من عدة سفن (أي معدية) [68/ ب] لعبور المشاة والفرسان والمعدات الحربية، وكان قائد تلك الجنود هو قائد الرباط عبد الله بن علي القصري، ولما بلغ الخبر للعياشي الذي كان خارجاً عن سلا رجع مسرعاً بجنوده فوصل في 10 مايو عام 1637، ومن حظه صادف مجيء أسطول إنكليزي لمحاربة الأندلسيين فكان خير معين له عليهم وعلى إخراجهم من سلا، ومما فعله الأسطول الإنكليزي أنه كسر للأندلسيين تلك المعدية التي كانوا يعبرون عليها وتركها أثراً بعد عين. ومن هذا التاريخ رجع العياشي لحصار الرباط والقصبة فحاصرها براً والأسطول الإنكليزي بحراً، ووقعت معاهدة بين رئيس الأسطول الإنكليزي والعياشي بمقتضاها أخذ العياشي من رئيس الأسطول عدة مدافع كان يضرب بها الرباط والقصبة ويراقب المراكب القرصانية الرباطية الموجودة بالوادي إلى أن كسر ثمانية مراكب من المراكب العظام.

وفي مقابلة ذلك سلم العياشي للرئيس الإنكليزي جميع الأسارى الإنكليزيين الذين كانوا تحت الأسر في البلاد التي استولى عليها العياشي.

ولما بلغ هذا الخبر للسلطان الشريف مولاي محمد الشيخ ابن زيدان وهو بمراكش تخوف من الإنكليزيين ومن الشيخ العياشي واتهم العياشي بمحاولة طلب الملك، وجاء من مراكش إلى سلا بمحلة عظيمة وأربعة عشر مدفعا، فلما علم العياشي بذلك أرسل إليه يقول أنه إذا احتل الرباط والقصبة يسلمهما له وذلك غرضه من احتلالهما، وأوعز لجنوده بإحراق جميع المزارع التي هي بطريق المحلة، فلم تجد محلة المخزن لذلك ما ترعاه ففرت وكرت، وكان مما فعله العياشي أيضاً [69/ أ] أن استعان بالدلائيين وآثار العرب والقبائل على السلطان الذي وقف متربصاً جهة فضالة ينظر إلى هذه الحوادث بعين الحذر، ولم يقدر على الوصول للرباط بل رجع لمراكش في يونيو عام 1637، وبسبب حصار الأسطول من البحر والعياشي من البر نشأ الجوع في أهل الرباط وحصل فيها انحلال سيما بعدما بلغهم خبر رجوع السلطان لمراكش، ووقتئذ انقسموا إلى قسمين قسم ارتأى الوفاق مع العياشي وقسم أبى إلا الإصرار ريثما تأتي النجدة من المخزن، وهذا القسم اتهم القائد القصري الذي كان قائداً من قبل السلطان بأنه يريد الاستقلال ضد المخزن، وأرادوا أن يرسلوه للسلطان ليفعل به ما يشاء، أما القسم الأول فكان يكره القائد أكثر بسبب أن هذا القسم متركب من أعيان الأندلسيين الذين كان أخرجهم القصري من القصبة، ومن هؤلاء المسمى علي كالان وموسى صينصياض وسليمان بن الطاهر، وهذا القسم أنهى للعياشي ما يريده معه من الوفاق وما يحاوله من اغتيال القصري عدوه قاصدين استمالته للتخفيف عليهم في شروط الوفاق، ولكن العياشي اشترط عليهم لرفع الحصار أن يصلحوا جميع الخراب الذي وقع بسلا، وثانياً أن يعطوا نصف مدخول الديوانة، وثالثاً أن يعطوا نصف الغنائم البحرية، ورابعاً إرجاع الأندلسيين القدماء إلى القصبة وإعطاءهم أموالهم، فأبى الأندلسيون من الموافقة على الشرط الأخير فلذلك جهزوا وفداً للشريف السلطان وأرسلوا معه القائد القصري، فذهب الوفد مع القائد في مركب خاص ونزل بأزمور ومنها قصد المحلة الشريفة، فتلاقى القصري مع السلطان وأخبره بما وقع من الحوادث وفي الحين رده إلى الرباط وكتب إلى الرباطيين يأمرهم بإرجاع القائد القصري لوظيفته، وجاء معه تاجر إنكليزي مكلفاً [69/ ب] من قبل السلطان. وكان ركوبهما من أسفي بمركب للتاجر المذكور، ولما وصلا لوادي أبو رقراق وجد الأسطول الإنكليزي هناك فذهب التاجر إلى أمير الأسطول، وبعدما عرفه المقصود من مجيئه مع القائد صرح الأمير بأنه لا يتعرض لنزولهما في البر لكن بشرط إرجاع الأسارى الإنكليزيين الذين هم في الرباط والقصبة بيد الأندلسيين، فقبلا هذا الشرط ولما نزلا وأطلع

الرؤساء الأندلسيين على المكاتب السلطانية ساعدوا على إرجاع القصري على خصوص الرباط فقط وتركوا القصبة في يد قائد خاص كانوا عينوه لها.

ثم لما رجع القصري للحكومة نفى البعض من أضداده وقتل البعض، وبعضهم فر بنفسه، وبعدما رجع الأسطول الإنكليزي إلى إنكلترا مع الأسارى الذين دفعهم له العياشي وأهل الأندلس في متم غشت سنة 1637 استعان القصري بأسبانيا على العياشي المحاصر للرباط إلى أن أيس من الاستيلاء عليه بسلاح الجوع، ولذلك أقلع عنه زاعماً أنه لم تبق له فائدة في حصاره بعدما صار تابعاً للمخزن، وذهب للتضييق على الأسبان بحصار معمورة، ثم [لما][1] انحصرت سلطة المخزن في القصبة واستقل الرباطيون عنها عام 1638م اتفق العياشي مع قنصل فرنسا على حصار القصبة إعانة للرباطيين، وبالفعل ركبا في مراكب هولندية وضربا نطاق الحصار عليها بحراً والرباطيون براً، ولكن مع ذلك لم يحصلوا على طائل لكون المراكب الأسبانية والإنكليزية، بل والمراكب السلطانية المخزنية كانت قائمة بتموين القصبة حتى إن الزرع والشعير كان يباع فيها بأبخس ثمن، واتفق أيضاً ظهور أمر الدلائيين في المغرب أثناء هذا التاريخ وهم الذين قضوا على العياشي والأندلسيين المحاصرين للرباط في وقائع كثيرة شهيرة في التاريخ [70/ أ] إلى أن استشهد العياشي ودخلت من بعده سلا والرباط والقصبة في حكم الدلائيين".

هذا ملخص ما جاء من الحوادث الرباطية مع العياشي في كتاب "أصول التاريخ المغربي" الذي اعتمدنا على النقل منه لكن باختصار واقتصار، وأما حوادثه في عهد الدلائيين فلنكتف بما نقلناه سابقاً عن المؤرخ مويط الفرنسوي في رحلته عند كلامنا على تاريخ القصبة للعهد المذكور، ولنأتِ على أهم الحوادث الأهلية التي وقعت في الرباط في عهد دولتنا الشريفة معتمدين في ذلك على جملة حوادث جلها مقتطف من تاريخ الضعيف الرباطي كما قدمناه، وهذا ما قاله بلفظه ومعناه: "أنه في اليوم الرابع عشر ذي الحجة الحرام عام أحد وخمسين ومائة وألف هجرية في مدة السلطان مولانا المستضيء بنور الله نزل برباط الفتح ثلج عظيم حتى كادت السُقُف تسقط، وفي موضع صهريج ماء اعتيق إلى بير أكدال إلى حسان إلى المدينة، وفي محروسة سلا إلى قصبة الحريشي إلى مطانة، وبقي ينزل نحو الساعة، وكان من أشهر العجم الثالث عشر من مارس، وكانت الشمس في برج الحمل قطعت منه ثلاثة أدراج،

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

وكان نزوله بعد صلاة العصر من ذلك اليوم وكان يوم الثلاثاء"[1].

وفي يوم الأحد 19 رجب عام 1156 خالف أهل الرباط أهل سلا في مبايعتهم لمولانا المستضيء، وبقوا متمادين على بيعة السلطان مولانا عبد الله، ثم إن مولاي المستضيء راود أهل الرباط على بيعته فأبوا، وقيدوا عليهم الرئيس السيد المكي بن الشاذلي من أولاد سيدي محمد الشرقي وهو الذي قام بأمرهم، وفي اليوم الثالث من رجب من العام انتصب السيد محمد كراكش[2] الرباطي الأندلسي لأمر القضاء بأمر السيد المكي بن الشاذلي الشرقوي[3] [70/ ب] على أهل الرباط، وعزل الفقيه السيد محمد مرين[4]، وكان قبل انتصب للقضاء في العشرين من ربيع أول عام التاريخ المذكور أعلاه بأمر عامة الناس من أهل رباط الفتح، ثم بعث عبد الحق فنيش لأهل الرباط على أن ينكثوا بيعة مولانا عبد الله، وكان قبل ذلك بقريب قطع للرباط مع أعيان سلا وتعاقدوا على بيعة مولانا عبد الله في الجامع الكبير وتعاهدوا على ذلك، ثم نكث عبد الحق بيعة مولانا عبد الله وبايع مولاي المستضيء، وأراد من أهل الرباط أن يتبعوه على ذلك فلم يريدوا، وبسبب هذا حصر مولانا المستضيء بنور الله على أهل الرباط أربعة عشر شهراً وضيق عليهم آناء الليل وأطراف النهار، وقتل أناس من فقهاء الرباط بسلا على يد عبد الحق فنيش، وقبض على الفقيه القاضي السيد المهدي مرين الرباطي الأندلسي كان مسافراً على طلب العلم في بجعد ببلاد تادلا، ولما قدم للرباط وجده محصوراً فأتوا به لمولانا المستضيء فرمى عليه كبلاً حامياً من أثر النار جديداً فأثر في رجله اليمنى، ولا زال أثره برجله إلى أن مات رحمه الله سنة ثمان وثمانين ومائة وألف في اليوم العاشر من رمضان، وبعد ذلك أراد قتله فأتوا به إليه فاعتذر له بأنه كان مسافراً للقراءة وأنه من طلبة العلم، وأخبره بحفظه لمختصر خليل فقال مولانا المستضيء: اقرأ قوله باب فرض الحج، فقال: باب فرض الحج وسنت العمرة مرة وفي فوريته وتراخيه[5] لخوف الفوات خلاف، فأمر بإطلاقه وتسريحه ووجهه لبلاده

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 230.

(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم (55).

(3) انظر الاغتباط: ترجمة رقم (256) وقد تحدث عن المذكور وشك أنه ربما يكون سيدي الشاذلي المدفون بالجزاء، وقد ورد ذكره في تاريخ الضعيف 2/ 261.

(4) هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد مرينو، وبه يعرف، وأصله من قرطبة بالأندلس انظر ترجمته في الاغتباط ترجمة رقم (52).

(5) في (ح)، و(ع): (تأخيره)، وصوبها (ع) في هامشه بما أثبتناه.

وذلك من بركة الشيخ المعطي ابن الصالح[1] نفع الله به؛ لأنه هو الذي أمره بالقدوم على بلاد رباط الفتح أمنه الله، وكان عبد الحق فنيش يغري على قتله فسلمه الله، وتولى القضاء بالرباط زماناً طويلاً في مدة السلطان سيدي محمد بن عبد الله[2].

ولما امتنع أهل الرباط من بيعة [71/أ] مولانا المستضيء استصرخ بنحو مائة قبيلة من قبائل بني حسن بحلتهم ومحلته، وداروا بالمدينة واشتد الحصار آناء الليل وأطراف النهار، واعتصم أهل الرباط بالأسوار. وكان حصران مولانا المستضيء بنور الله على أهل الرباط في رمضان المعظم عام 1156 فسدوا أبواب المدينة وبنوا عليها، وحملوا الأنفاض على البيبان، وطالت عليهم الحصرة حتى كاد أن يأكل بعضهم بعضاً، وكان قد خرج يوماً من الرباط بالليل رجل صياد بالدواري يصطاد على القنفذ يقال له بَكروم[3] فلم يظهر، فذهبت أمه أو زوجته تنادي في أهل الرباط فخرجوا بنحو الخمسمائة بعدتهم من ناحية باب العلو مع ساحل البحر فأحاط بهم مولاي المستضيء بنور الله وحال بينهم وبين المدينة فمات البعض منهم في الحرب والبعض منهم رمى بنفسه في البحر، والبعض أحاط به مولاي المستضيء ودخل بهم لسلا وذلك في ذي الحجة من العام المذكور وأتى بهم للرمل وقال لأهل الرباط: إن تبايعوني أطلق إخوانكم، وإن لم تبايعوني أقتل إخوانكم. فقالوا له: اقتلهم. فقتلهم يوم عيد النحر وفيهم الفقهاء والطلبة، والذين رموا بأنفسهم في البحر ماتوا جميعاً في البحر ولا خرج منهم إلا واحد، وبقي أهل العدوتين لا يأكلون الحوت زماناً من أجل الموتى[4].

وفي رجب عام 1157 صنع مولانا المستضيء السلاليم من غابة المعمورة وأراد الدخول في الليل على أهل الرباط من أعلى السور من ناحية البحر آخر الليل، فطلع الجيش على السلاليم ونزلوا في سانية الوكريف داخل المدينة، فلما أحس بهم علج كان ببرج السراط[5]، فخرج فيهم

---

(1) هو: المعطي بن صالح بن محمد الشرقي، الزعيري، شيخ الصوفية، الورع الزاهد، صاحب كتاب "ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج"، منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط. تحت رقم: (2770ك) انظر ترجمته في: نشر المثاني، للقادري: 4/ 174، والتقاط الدرر، للقادري أيضاً، ص: 446، وطبقات الحضيكي: 2/ 383.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 262.

(3) بفتح الموحدة.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 262 و263.

(5) من أهم الأبراج التي أقيمت للدفاع عن الشاطئ، يبعد عن مصب أبي رقراق وبني فوق صخرة في الشمال الغربي من مقبرة العلو، وتوجد عليه كتابة تؤكد أنه بني عام 1189هـ. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 306.

نفضاً(1) كان بالشرشم فصادف السلاليم المذكورة، فمات كثير من الناس وانكسرت، وتبادر إليهم أهل الرباط فقبضوا على البعض الذي نزل داخل المدينة، وكان الجل منهم من أولاد اسبيطة وقبضوا على رئيس سلا وهو محمد [71/ ب] فنيش خرج فيه أحد من أهل الرباط وكان صاحبه فستره في داره وخرجه ليلاً، وقتلوا كل من بقي بأيديهم من أولاد اسبيطة، وهم كانوا شيعة لعبد الحق فنيش السلاوي، كانوا يركبون معه بنحو خمسمائة فارس(2).

وفي ذي القعدة عام 1157 نهض أمير المؤمنين مولانا عبد الله لبني حسن فأوقع بهم وقعة هائلة بتلماغت، وهي وقعة ازبيدة المذكورة، واحتوى على مالهم وبعث للرباط وقتل منهم بأزبيدة خلقاً كثيراً، وفر مولانا المستضيء لناحية أخيه القائم بمسفيوة وهو مولاي بناصر كعادته، وسرح أهل الرباط من الحصران فلما وفدوا عليه وقالوا له أكلنا الحلوى على بيعتك ومات خيارنا عليك، فقال لهم أنتم ظلمتم أنفسكم لو بايعتموه حتى نقدم عليكم(3).

وفي سنة 1159 وجه السلطان مولانا عبد الله ولده الأمير مولاي أحمد وأعطاه نحو الثلاثمائة من أصحابه لمدينة رباط الفتح خليفة عنه، فنزل بالقصبة بالرباط المذكور أمنه الله، فتمادى عليهم، وكان أصحابه يقبضون النساء في الأزقة والصبيان، ونزع مولاي أحمد المذكور للشريف مولانا إبراهيم بن عبد السلام ابن الشيخ مولانا التهامي - نفع الله به صاحبه - كان شاباً حسناً يقال له ولد مرين - رغماً عليه، فخرج الشريف مولانا إبراهيم المذكور لوزان وأقام مدة بضريح مولاي محمد بن عبد الله الشريف لا يخرج إلى أن وجهه مولاي الطيب لفاس بعد مدة وهو مريض وقال له هناك يأتيك من أخذ لك صاحبك مريضاً إن شاء الله، ثم إن مولاي أحمد ابن السلطان مولانا عبد الله أراد ينزع للرايس علي [بربيس](4) الأندلسي جاريته الحبشية التي أتى بها من المشرق، فبعث إليه فأبى وقال إنها زوجتي، وقبض على محمد بن مبارك الرباطي وضربه حتى كاد أن يموت، فاتفق أهل الرباط على الحصار عليه فحاصروه في شهر شوال عام 1160 إلى أن نفد له الزاد والماء [72/ أ] حتى شرب ماء البحر نحواً من ثلاثة أشهر هو ومن معه من أصحابه والعبيد الذين كانوا ساكنين بها من قبله بنحو ثلاثمائة أو أكثر، وفر الجل من أصحابه عليه، كانوا يرمون بأنفسهم من أعلى السور وهدموا

(1) النفض طليعة القوم أو جواسيس يتحسسون الأخبار انظر: تاج العروس للزبيدي: 19/ 85، مادة (نفض).
(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 263.
(3) انظر: المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.
(4) في (ح): (بربير) وفي تاريخ الضعيف (بريس).

سقف الديار لعدم الحطب، واشتد عليه الحصار آناء الليل وأطراف النهار وهم يرمونه بالرصاص إلى أن طلب منهم الخروج بالأمان، فدخل بينه وبين أهل الرباط الفقيه السيد أحمد بن عبد الله الغربي(1) فأخرجه من القصبة وبات بجواريه عنده، وحلفوا عليه أن لا يخرج إلا إذا خرج تحت ظل العدة والسيوف، فلما أراد الخروج صباحاً ترك جميع ماله عند الفقيه المذكور وخرج بين صفوفهم وهم حاملون عدتهم، وذلك في أوائل المحرم فاتح عام 1161، فمر لناحية دكالة واستنصر بهم على أهل الرباط، فلما اتصل الخبر بأخيه الأمير الخليفة بمراكش بعث له بأن يقوم ويمر لأبيه، وأقسم عليه إن لم يقم حتى يأتيه ويفعل به أكثر [مما](2) فعل أهل الرباط به، وبعث لأهل قصبة بلعوان أن يعطوه المثونة فغضب عنها، وقال: أنا كافٍ عليه المراد منه أن يفدي ثأري من أهل الرباط، ونهض والتحق بأبيه وبكى عليه فقال له أنا بعثتك لتأكل معهم الطنجية بساحل البحر فأنت الظالم لنفسك، والآن قشابتي مقطعة لا نقدر لك على أخذ الثأر منهم، ولكن أخوك محمد يأخذ لك الثأر منهم إن شاء الله(3).

وفي ليلة السبت أول يوم من رجب عام التاريخ المذكور أعلاه انقض نجم عظيم في ناحية المغرب أضاء منه الآفاق، وذلك وقت صلاة العشاء، قال الفقيه الحاج المسناوي الرباطي(4): وكنا في ملازمة درس الفقيه السيد أحمد بن عبد الله الغربي أبقاه الله في الزاوية الناصرية نقرأ عليه شفاء عياض(5) نفع الله به، وكنت أرصد الأوقات بالمسجد الأعظم برباط الفتح [72/ ب] أمنه الله(6).

وفي سنة 1166هـ استقر السلطان مولانا عبد الله بداره بدار الدبيبغ وضعف نهوضه

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 11، ص: 213.

(2) في (ح): (ما).

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 268.

(4) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 62، ص: 312.

(5) هو: أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، الأندلسي، ثم السبتي. الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، جمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق. توفي بمراكش في شهر جمادى الأخيرة وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل: إنه مات مسموماً سمه يهودي، ودفن رحمه الله بباب أيلان داخل المدينة. تواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب "الشفا في التعريف بحقوق المصطفى". انظر ترجمته في: الديباج المذهب، لابن فرحون: 1/ 168، والصلة، لابن بشكوال: 2/ 660، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 3/ 483، والبداية والنهاية، لابن كثير: 12/ 225.

(6) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 269.

عن الحركة وظهر في الغرب القائد عبد الله السفياني المعروفي من سفيان، وظهر في ابني مالك القائد الحبيب المالكي الحمادي من أولاد حمد، واشتهر صيتهما وخمدت نار مولانا عبد الله ولا بقي له سوى مرسة تطاون، كان يقبض منها العشور. واستقل أهل فاس بأنفسهم وكذلك أهل رباط الفتح فكانوا يأكلون مال المرسة وعملوا آية الأربعين، وأخذوا في اشتراء الخيل والعدة وثاروا على السلطان وصاروا يقيدون هذا أياماً ثم يقتلونه بالغدر، ويقيدون هذا ثانياً ويهجمون عليه، فكان هذا أمرهم، قتلوا أقواماً منهم. وكان القائد عليهم في عام 1165 السيد أحمد الولتيتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم طلع للمشرق وحج، فلما رجع غرق في السفينة الآتي ذكرها، ثم قيدوا عليهم بالرباط السيد أحمد والزهرا قتلوه(1)، ثم اللوشي قتلوه، ثم قتلوا صيرون(2)، ثم قتلوا ابن جندار، ثم قتلوا القائد حجي مرين(3).

وفي ليلة السبت 9 ربيع الثاني سنة 1167 نزل عندنا بالرباط ثلج عظيم ما رأيناه أبداً، ولا ذكر لنا أحد من الناس المسنين أنه عقله أو مثله لا واحد ولا اثنان، ووافق ذلك ليلة 22 من يناير عام 1754(4).

وفي شعبان عام 1167 ورد الخبر على فاس بأن سفينة مملوءة بالحجاج سافرت من الإسكندرية قاصداً من فيها بعض المراسي من نواحي تونس بقصد المغرب، وفيها نحو أربعة رجال من أهل فاس ورباط وسلا ومن مراكش وغيرهم، فغرق جميع من فيها ونجا منهم بعض الأفراد على بعض الألواح منها بل على بعض البرامل التي كانت عندهم لحمل الماء الحلو، ومن جملة ما غرق فيها اثنان من الشرفاء العراقيين الذين بفاس، وفيها غرق القائد أحمد الولتيتي الرباطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(5).

وفي شوال عام [73/ أ] التاريخ المذكور أعلاه نهض الأمير سيدي محمد لرباط الفتح حرسه الله، فسدوا في وجهه أبواب المدينة وركبوا الأنفاض عليها، واتفقوا مع رئيس أهل سلا وهو عبد الحق فنيش وأعيان سلا على أن يخالفوا عليه، فأغنى على أهل الرباط وقطع

---

(1) هو غير أحمد بن يحيى والزهرا المتوفى ظنا بعد 1110 هـ والمترجم في الاغتباط برقم 6.

(2) في تاريخ الضعيف (صيدون)

(3) انظر تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 275.

(4) المصدر السابق: 1/ 278.

(5) المصدر السابق: 1/ 279.

وادي المشرع، ونزل بالدار الحمراء بقرب مدينة سلا ففتح الباب أهل سلا وخرجوا إليه مع رئيسهم بالمحاضر والألواح راغبين خائفين، والسيف في فم عبد الحق المذكور وأولاده صغار أمامه ويده وراءه، فعفا عنهم، فلما رأوا ذلك أهل الرباط حلوا أبواب المدينة وخرجوا إليه مع الفقيه السيد أحمد بن عبد الله الغربي والشريف مولاي إبراهيم حفيد مولاي التهامي الوزاني[1]، فقبضهم وكبلهم وطلبهم في مال المرسى، فقالوا له بنينا به السور، ثم إنه عفا عنهم. ورحل منهم البعض من كبرائهم لمراكش بنسائهم وأولادهم منهم الحاج العباس مرين الأندلسي والفقيه السيد محمد التونسي الأندلسي، والتهامي مدون، وقيد عليهم القائد العربي المستيري[2] كان يبعث له بأخبار أهل الرباط ويكاتبه ويقول في آخر كتابه: وكتب الحروف خديمك كُذْيا. وهو لا يعرفه فلما دخل الرباط قال أين فيكم كديه؟ فخرج إليه فعرفه وقيده عليهم. وكان الأمير حين سدوا عليه الأبواب وأغنى عنهم وجاز لسلا وجه لهم - أي لأهل الرباط - الحاج محمد التامري الكديري السرار، كان من أصحاب القائد صالح، ثم صار من أصحاب الأمير المذكور مع الفقيه ابن زاكور[3]، فركب في القارب من ناحية سلا على أن يأتوا لأهل الرباط بالأمان، فقال الحاج سعيد التامري[4] إن هذا الرجل يريد غدر هؤلاء القوم، اللهم لا تلقني بهم ولا معه. فتقبل الله منه فغرق به القارب بين الرباط وسلا، فتوفي رحمه الله مع الفقيه المذكور. ولما قدم الأمير على سلا وجد أهل سلا يصنعون في سفينة لأنفسهم [73/ ب] رئيسها هو محمد عواد منيطة السلاوي[5]، فاستولى عليها ثم بعدها طلعت سفينة الرايس قنديل -وهو الرايس محمد عواد- وبعدهما طلعت سفينة الرايس العربي المستيري في السنة التي بويع بها، وكان قبل هذه المدة أنشأ أهل سلا وأهل الرباط سفينة من خشب جامع حسان يقال لها سفينة الكَرْكُجيا نصفها لأهل الرباط ونصفها

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 134، ص: 454.

(2) هو أحد قواد المولى محمد بن عبد الله وأحد سفرائه إلى انجلترا. انظر الإتحاف، لابن زيدان: 3/ 260.

(3) هو: أبو العباس أحمد بن محمد ابن زاكور، الفاسي المتوفى سنة 1176هـ والمدفون بالقباب. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 481.

(4) في تاريخ الضعيف: العميري.

(5) هو: محمد عواد المعروف بمنيطة السلاوي، رئيس بحري اقتنص مركباً سويدياً سنة 1072 هـ بمشاركة رؤساء مثل قنديل الكبير السلاوي والعربي المستيري الرباطي. انظر: الإتحاف، لابن زيدان: 3/ 159، والإتحاف، للدكالي، ص: 247، وقراصنة سلا، لكواندرو، ص: 79.

لأهل سلا، وهي أول سفينة طلعت قبل هذه السفن المذكورة، وكانوا يتسببون فيها. ثم لما رحل أهل الرباط رجع من سلا لمدينة مراكش بعد أن وجه عماله ليتصرفوا في مدن المغرب(1).

وفي شهر ذي الحجة 1178 حصر الفرانصيص على رباط الفتح ومدينة سلا بالسفن من البحر، فرجعت سفينة الرايس سالم من تحت القصبة، وهي الماعونة التي لم ينشئ أمير المؤمنين أكبر منها، كانت تريد الخروج للسفر في البحر فرجعت أمام صومعة حسان، وأخذوا يرمون بالأنفاض الكور على مدينة سلا والبنب، ففزعوا وخرج البعض منهم خارج المدينة وجعلوا الأخبياء والقياطين، وكان ظهورهم على العدوتين يوم الجمعة 11 من ذي الحجة، ولم يحصلوا على طائل، فقلعوا وانصرفوا بسفنهم لأخذ العرائش(2).

وفي سنة 1187 استفتى السلطان علماء فاس في إخراج أهل الرباط من بلدهم وادعى أنه بلد المخزن وأن السلطان يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي هو الذي بناه، وأن السلطان يرث السلطان، فأفتاه بذلك الكثير من العلماء إلا البعض، منهم السيد التاودي بن الطالب ابن سودة الفاسي(3) رحمه الله، فأفتى بأن الرجل إذا نزل بأرض وتصرف فيها إحدى عشرة سنة ولم ينازعه فيها أحد فإنها له، وقال لعلماء فاس: إن خرج أهل الرباط بهذه الحجة فإنه يخرجكم أيضاً ويحتج عليكم بأن باني فاس هو مولانا إدريس، وقد كان أميراً فهو يرث ما بنى أيضاً. ولذلك عزله [74/أ] السلطان من الإمامة ونزع له ما كان يقبض عن الخطبة، وأمره بالجلوس في داره. انتهى كلام الضعيف(4).

أقول: وقد علم منه أن سبب محنة الشيخ التاودي هي مسألة أهل الرباط هذه لا ما جاء في

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 280.

(2) المصدر السابق: 1/ 316، والاستقصا، للسلاوي: 8/ 21.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد التاودي بن الطالب بن علي بن قاسم بن محمد ابن سودة، المري، الفاسي، محدث، فقيه، مؤرخ، رحلة، لقبه المشارقة بشمس الدين، والتاودي نسبة لتاود بلدة من أعمال فاس نسب إليها أحد أصحاب أبي يعزى وسمي به المترجم تيمناً توفي بفاس وقد جاوز التسعين سنة 1209هـ من آثاره: حاشية على الجامع الصحيح للبخاري وسماها "زاد المجد الساري إلى صحيح البخاري" ونقوم حاليا بمقابلتها على نسخة خطية بحوزتنا يسر الله نشرها، وشرح تحفة الحكام لابن عاصم، وغيرها وقد كتب في مناقبه تلميذه سليمان الحوات كتابه المشهور الروضة المقصودة في مآثر بني سودة. انظر ترجمته في: الروضة المقصودة، لحوات، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 118، والإعلام، للسملالي: 6/ 136، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 185، ودليل مؤرخ المغرب، لابن سودة: 1/ 106.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 325.

كتاب السعادة الأبدية لابن الموقت المراكشي[1] من أن سبب محنته هي مسألة المكس، فإنه غلط لأن الشيخ التاودي ممن وافق السلطان على ما يريده فيها ولم يخالفه إلا في مسألتنا الرباطية.

(التفات)

رأيت أن أثبت هنا مقالتين في موضوع مسألة إخراج الرباطيين من بلادهم، تتضمن الأولى ما لاحظه عليّ فيها بعض المنتقدين من أهل فاس، والثانية جوابي عن تلك الملاحظة، وكلتاهما مما نشر على صفحات جريدة السعادة بهذا اللفظ.

قال المنتقد (قصبة الرباط الأثرية) تحت هذا العنوان نشر مؤرخ الرباط الشاعر الناثر حفظه الله كلمات عن تاريخ القصبة الأثرية بالرباط في عصورها المختلفة وفي عصر الدولة المالكة صانها الله، وهي مهمة تاريخية عظيمة يقوم بها مؤرخ الرباط دون غيره، فيجب أن نشكره جميعاً على عمله الجدير بالإكبار والاعتبار خصوصاً في هذا العصر الذي يكاد أن يضمحل فيه التاريخ المغربي لولا هذه البلالة التي لا زلنا نتندى بها، ويعلم الله كم حوى التاريخ المغربي من نفائس وعظائم يجب شكر الرجال لأجلها.

ولكن إذا أراد الله انحطاط أمة من الأمم أعمى بصرها عن تاريخ أسلافها وصدها عن النظر في آثار آبائها (سنة الله) لندع الآن هذا الموضوع المهم إلى سانحة أخرى [74/ ب] ولنرجع إلى المقصود.

كتب السيد مؤرخ الرباط ما كتب من تاريخ قصبة الرباط الأثرية، وأشار في أحد مقالاته إلى مسألة عزم سيدي محمد بن عبد الله على إخراج الرباطيين من الرباط لأسباب شرحها، وقال: إن سيدي محمد بن عبد الله لما هم بإخراج سكان الرباط استفتى في ذلك علماء فاس فلم يسوغوا له ذلك.

هكذا وقع لمؤرخ الرباط ما وقع اعتماداً منه على ما ذكره شيخنا أبو عيسى الوزاني رحمه الله

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد المراكشي، المسفيوي، المعروف بابن المؤقت، مؤرخ بحاثة مشهور، له عدة تآليف منها "السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية" وقد طبع في فاس 1336هـ و"الانبساط بتلخيص الإغتباط بتراجم أعلام الرباط"، و"المعرب عن مشاهير مدن المغرب"، و"الضياء المنتشر من أعيان القرن الأول إلى الرابع عشر"، و"لبانة القاري من صحيح البخاري"، و"العناية الربانية في التعريف بشيوخنا في الحضرة المراكشية"، و"سمير الحلك في تلخيص علم الفلك"، و"الكشف والتبيان عن حال أهل الزمان"، و"الرحلة المراكشية" أو "مرآة المساوي الوقتية"، وكتابه الأخير هذا أثار ضجة بين أوساط الطرق الصوفية بالمغرب مما دفع العلامة سكيرج للرد عليه بتأليف سماه "الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوي الوقتية". انظر: دليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 226، والأعلام، للزركلي: 7/ 84.

في معياره[1]، ونحن خدمة للتاريخ المغربي وبياناً للحقيقة التي ينشدها الكثيرون نبين الواقع في ذلك ولا يوجب هذا حطاً من درجة أبي عيسى الوزاني المرحوم ولا من عبقرية مؤرخ الرباط حفظه الله، فالكمال منفرد به الكبير المتعال.

المسألة في الحقيقة هي أن مولانا الأمير سيدي محمد بن عبد الله لما عزم على فعله المشار له استفتى علماء فاس، وفي سؤاله يقول: إن بلاد الرباط بلاد المخزن، والموحدي هو الذي بناها، والسلطان وارث السلطان... إلخ، فأفتى علماء فاس قاطبة بإخراج الرباطيين من رباطهم، ولم يخالف في ذلك أحد ما عدا الشيخ التاودي بن سودة، وهذا القدر هو الذي صرح به المؤرخون ومنهم مؤرخ فاس العلامة أبو العباس أحمد ابن الحاج السلمي في الجزء العاشر من تاريخه العام[2]، ونقل هنا نص فتوى ابن سودة، فأين قول مؤرخ الرباط أن علماء فاس لم يسوغوا له ذلك، وها أنت ترى ابن الحاج يصرح بموافقة العلماء الفاسيين على ما أراده السلطان ما عدا فرد منهم وهو الشيخ التاودي بن سودة.

وإذا أراد القارئ أن يستفيد كثيراً من حوادث الرباطيين مع سيدي محمد بن عبد الله [75/ أ] فعليه أن يراجع تاريخ أبي العباس ابن الحاج المذكور آنفاً في حوادث سنة 1187 فإن المؤرخ الفاسي قد أعطى المسألة حقها من البحث، وأتى بنصوص علماء فاس في فتاويهم المصرحة بإخراج سكان الرباط ونقلهم إلى حيث يريد السلطان، وكذلك أشار إلى تضييق السلطان بأهل الرباط وإرساله ابن العياشي[3] تهديداً لهم وإنزال العبيد بالرباط وقطع

---

(1) هو: أبو عيسى، محمد المهدي بن محمد ابن الخضر الوزاني، الفاسي، الفقيه المدرس المفتي الكبير المشارك، له تآليف عديدة في أعظمها كتاب "المعيار الجديد" في أحد عشر مجلداً طبع بفاس، وله أيضاً حاشية على "شرح الطرفة" في المصطلح، و"الكواكب النيارة على شرح ميارة" في جزئين وغير ذلك، توفي رحمه الله سنة 1342هـ. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 435، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 193، ومعجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي: 2/ 48، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1915، والأعلام للزركلي: 7/ 335.

(2) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي، المرادسي، مولده بفاس سنة 123 هـ وبها نشأته، نال من العلوم حظاً، وله مصنفات في السير والتاريخ والأنساب، كانت له وجاهة كبيرة عند السلطان المولى الحسن حيث كان قد اتخذه شيخاً له ولأولاده، وأتاح له مكتبته الجامعة فوضع له في الدولة العلوية تاريخ حفيل، وهو تاريخه المسمى "الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر السلطان مولانا الحسن" في أحد عشر جزءا استوعب فيه تاريخ الدولة العلوية إلا أن فيه بعض التطويل. انظر ترجمته في: جواهر الكمال، للكانوني، 1/ 53، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 149.

(3) هو: محمد بن سعيد بن العياشي، أحد قواد السلطان أرسله لرباط الفتح سنة 1211 هـ. انظر: تاريخ الدولة السعيدة، للضعيف: 2/ 510.

أشجار أكدال، وما فعله ببساتينهم، وطلب أهل الرباط العفو أخيراً عن ذنوبهم، وغير ذلك من الحوادث التي يتطلبها كل طالب للتاريخ.

هذه كلمة يسيرة حول كلمة مؤرخ الرباط، وعسى أن يكون لمؤرخنا المذكور ما يرجح خلاف ما سطرناه فتتمحض الحقائق، والله تعالى أعلم وأحكم.

الإمضاء

محمد العابد الفاسي(1)

وهذا نص جواب تحت عنوان (حول الملاحظة الفاسية):

إليكم يا معشر الناقدين حياكم الله وبياكم وسلام عليكم لا نتبغي الجاهلين.

إني وحياتكم ما كان ولم يكن عندي - وأنا في هذه الحالة التي أرادها الله لي من السقم - أحسن مسلٍّ يسليني مثل مقال في موضوع علمي أقوم بنشره فيكون له من الوقع في النفوس والصدى بين أرجاء القلوب ما يحمل الأندية العلمية على أن تفسح له المجال لتناوله تارة بيد الاحتفاء والاحتفال مثل ما سبق مني نشره عن الشيخ أبي السعود والإقبال، وتارة بيد الأخذ والرد على طريقة النقد مثل ما اتصل بي من آثار أقلام جماعة كلهم في العلم من أهل الحل والعقد بينهم بعض أحبائي بالجديدة وسلا ومكناس وفاس، فأغتنم هذه الفرصة لأشكرهم جميعاً على صنيعهم شكراً جماً مشمولاً برداء الإغضاء والسماح عما جاء في انتقاد [75/ب] بعضهم مما يمس بكرامتي العلمية، ثم أقول ما أسمَى قيمة النقد الصادق ممن ينتقدون عن صدق نية وسلامة باطن وإخلاص قلب، وهم من ينتقدون الكتابة ولا غرض لهم إلا الكتابة من حيث هي لا دخل لشخصية الكاتب فيها، لأنه ما دامت وحدها هي الغرض الوحيد فليس لنقدها من أثر سوى أنها جليلة في نفسها خطيرة القدر، ولولا ذلك ما احتفل بها المحتفلون ولا انتقدها المنتقدون، وقد قال الحريري: إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك.

وَمَا عَلَى التِّبْرِ عَارٌ ... فِي النَّارِ حِينَ يُقَلَّبُ

ولا شك أن من هذا القبيل ما نشرته السعادة أخيراً من تلك الملاحظة الفاسية بقلم الأديب النابغة السيد العابد الفاسي، وليست هي أول ملاحظة لحظتها لهذا النابغة، فكم من

(1) هو: أبو عبد الله محمد العابد بن عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي، صاحب فهرسة خزانة القرويين.

مقال قلته فكان ناقده جزاه الله عني بها يجازي الرب (عابده) جاء في إحدى مقالاتي الأثرية أن السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الله لما هم بإخراج سكان الرباط من بلدهم استفتى في ذلك علماء فاس فلم يسوغوا له ذلك (هكذا بصيغة الجمع في الضمير ومعاده) فلاحظ على قولي هذا نابغتنا الفاسي بأن الحقيقة في المسألة هي أن السلطان لما عزم على فعله المشار له واستفتى في ذلك أفتاه علماء فاس قاطبة بجواز الإخراج، ولم يخالف في ذلك أحد عدا فرد واحد منهم وهو الشيخ التاودي، فهو الذي أجاب بالمنع. وقبل أن نجيب المنتقد عن ملاحظته هذه نتساءل: هل كان استقر عمل السلطان على مقتضى الجواب الإيجابي أو السلبي؟ فإن قال بالثاني - وهو الواقع - قلنا ولماذا؟ فإن قال لأحقية الجواب - ولا شك - قلنا وما هو [76/ أ] الجدير بالاعتبار. فإن قال الجواب الحق - ولا مندوحة - قلنا ذلك هو موجب اعتبار قاله وحده حتى لم نحتفل إلا بأصحابه عند الإشارة لفتواهم دون سواهم، وهل هؤلاء جماعة كما هو مقتضى تعبيرنا أو فرد واحد فقط كما زعم المنتقد؟ نقول: سوف يتفرى الليل عن صبحه، ويعلم ما في ادعاء الانفراد والفردية من خسارة القول أو ربحه، ولو حمل المنتقد كلامنا من أول مرة على إحدى المحامل التي تقتضيها قواعد العلم بأن جعله -رعياً لنكتة الاعتبار السالفة، وأن المقام ليس لبيان الخلاف أو للتنصيص - من باب المعدوم حدساً - كالمعدوم حساً أو من باب الاستخدام أو من باب الحكم على المجموع أو من باب الإطلاق الإضافي أو من باب التخصيص أو غير ذلك من أبواب البلاغة والبراعة المطروقة لدى حملة الأقلام وأرباب اليراعة لما تحمل أعباء النقد وحملنا مئونة الرد، ولو ترك القطا ليلاً لنام ولكن لا ملام ما دامت الحقيقة ضالتنا المنشودة وإنما الكلام مع الكلام.

على أن الحقيقة ليس هي ما للمنتقد في دعواه انفراد الشيخ التاودي بفتواه فقد وقفنا على نص فتوى الشيخ التاودي وبعدها تأييد الشيخ البناني[1] وعقبه تعضيد الفقيه بوخريص[2] تحت إمضاءاتهم جميعاً منقولة بواسطة نص إمضاء الأول (عبد ربه محمد

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن الحسن البناني، الفاسي الدار، إمام فقيه محقق مشارك، له حاشية على شرح الزرقاني، وشرح للسلم، توفي رحمه الله سنة 1194 هـ. انظر ترجمته في: نشر المثاني، للقادري: 4/ 214، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 169، والفكر السامي، للحجوي الثعالبي: 4/ 125، والأعلام، للزركلي: 6/ 91.

(2) هو: أبو محمد، عبد القادر بن العربي بوخريص الفلالي، الفاسي، فقيه، مدرس، مشارك متفنن، قاضي، توفي رحمه الله سنة 1188 هـ. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 356، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 2/ 116.

التاودي بن الطالب بن سودة تغمده الله برحمته) ونص إمضاء الثاني (محمد بن الحسن بناني) ونص إمضاء الثالث (عبد ربه تعالى عبد القادر بوخريص وفقه الله بمنه ولطف به). وهؤلاء جماعة كيف لا يعبر في جانبهم بصيغة الجمع، وكيف يدعي بعد ذلك انفراد الشيخ التاودي بالمنع، وقد جاء في تاريخ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي التصريح بأن التاودي إنما هو فرد من أفراد الجماعة لا كل الجماعة، [76/ ب] فإنه بعدما تعرض للقضية وأشار للفريق المانع قال: "منهم السيد التاودي بن الطالب بن سودة الفاسي"(1).

هكذا بمن الدالة على التبعيض، فأين قول المنتقد لم يخالف أحد عدا فرد، وأين قوله وهذا القدر هو الذي صرح به المؤرخون، وأين قوله أن المؤرخ الفاسي أعطى المسألة حقها من البحث، وليت شعري من هؤلاء المؤرخون الذين أجمعوا على ذلك التصريح فقد رأيت من كلام مؤرخنا الضعيف ما يناقض دعوى الإجماع (نقيضها موجبة جزئية) ومما يلاحظ على المنتقد في دعوى الانفراد أن بعض آبائه وأسلافه الكرام نريد به الشيخ أبا حفص الفاسي(2) هو من أفراد الجماعة الذين أفتوا بعدم جواز إخراج الرباطيين من بلادهم، ولا أدري ولست أخال أدري هل يرضى أهل مكة بأن نعرفهم بشعابها، وسكان الدار بأن نرشدهم إلى أبوابها، فنسوق هنا نص فتواه الطويلة الذيل المديدة السيل، ولكن نكتفي بإحالتهم على مراجعتها في الجزء التاسع من المعيار الجديد صحيفة 355.

أما إحالة المنتقد لنا على مراجعة تاريخ أبي العباس السيد أحمد ابن الحاج الفاسي لنستفيد كثيراً من حوادث الرباطيين مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله فإنا بعد أن نشكره الشكر الجزيل على هذا الجميل نعرفه بأن ما شرحه ذلك المؤرخ الفاسي من حوادث الرباطيين إنما هو عالة في جل ذلك إن لم نقل كله على مؤرخنا الرباطي أبي عبد الله الضعيف؛ لأنه المؤرخ الوحيد الذي تنزل في تاريخه لشرح تلك الحوادث الرباطية وإثباتها على علاتها مع الصراحة التامة في ذكر أسبابها مجلوة الحقائق على منصاتها، ولم يزل تاريخه المادة الوحيدة في الموضوع لمن جاء بعده [77/ أ] يريد أن يعرفنا الصحيح من الموضوع، وما على نابغتنا الفاسي إلا أن يراجع

---

(1) انظر تاريخ الدولة السعيدة، للضعيف: 1/ 326.

(2) هو: أبو حفص، عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف الفاسي، الفهري، إمام نظار وفقيه، عده مخلوف من أتقن علماء هذا البيت الفاسي الذين خدموا العلم مع ما عرفوا به من متانة الدين. انظر ترجمته في: الفكر السامي، للحجوي الثعالبي: 4/ 125، وإمداد ذوي الاستعداد، ص: 9.

الكتابين ويحكم بما شاء إنصافه إذا حصحص الحق لذي عين، وها العرب بالباب، وإن في ذلك لذكرى لأولي الألباب.

(إلحاق)

ولنلحق ها هنا بمقالتي هذه ما وقفت عليه من فتاوى أهل فاس المصرحة بعدم جواز إخراج الرباطيين، وهذا نص ما وقفت عليه في ذلك منقولاً من خط الشيخ گنون رحمه الله قال: ومن محاسن السلطان الإمام (يعني سيدي محمد بن عبد الله) غرة الليالي وحسنة الأيام رفع الله في أوليائه درجته وقدس روحه وأسكنه جنته اقتضاءه السؤال عن ثغر الرباط لعمل أراد أن يخرج من فيه من ذويه ويسكن آخرين طلباً للتحصين وإعداداً لعدو الدين هل له ذلك أم لا، فأجابه جماعة من العلماء منهم الشيخ أبو حفص سيدي عمر الفاسي[1].

ونص ما أجاب به: "الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، المقام الذي أقامه الله لإقامة الدين وأهَّله لرعاية المسلمين فنصر الشريعة القويمة وسلك الطريقة المستقيمة وبسط مهاد العدل والإنصاف وهدم أساس الجور والاعتساف، أبقاه الله ووفر سعوده وبكَّت عدوه وحسوده، وعليه أزكى التحيات وأنمى البركات، هذا وقف العبد الفقير الحقير الوقير على الكتاب الكريم الوارد من الجناب العظيم في شأن رباط الفتح، وما ذكره سيدنا في أصل نشأته، وأمر أيده الله بأن نكون على وثوق في ذلك، وبمطالعة كتب التاريخ فغاية ما تقرر لدي في ذلك أن الأمير يعقوب المنصور رحمه الله هو الذي بناه وأسكن فيه الجيش وجعله تجاه العدو الكافر، ومع ذلك فلا أجد [77/ ب] فيما أعلم مساغاً لانتزاع تلك الأملاك من يد من هي بيده الآن مع طول حيازتهم لها واستمرار عمارتهم إياها المئين من السنين من غير منازع ولا مدافع مع تداول الدول وتطاول الأعصار والجيول الأول، وقد تقرر في المذهب المالكي أن الحيازة قاطعة لكل دعوى فيما جهل أصله، وطول الأمد مظنة الجهل.

وقد قال في المدونة ما نصه: "قال مالك: ومن أقامت بيده دارٌ سنين ذوات عدد يحوزها ويمنعها ويكريها ويهدم ويبني فأقام رجل بينة أن الدار داره أو أنها لأبيه أو جده، وثبتت المواريث فإن كان هذا المدعي حاضراً يراه يبني ويهدم ويكري فلا حجة له، وذلك يقطع دعواه". ثم قال: ولم يحد مالك في الرباع عشر سنين ولا غير ذلك. وقال ربيعة: حوز عشر سنين يقطع دعوى

---

(1) تقدم التعريف به آنفا.

الحاضر إلا أن تقوم بينة أنه إنما أكرى أو أسكن أو أعار ونحوه، قال وذكر ابن المسيب عن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ قال: «من حاز شيئاً عشر سنين فهو له »[1].

قيل لابن القاسم: أرأيت لو أن داراً بيدي ورثتها عن أبي ثم أقام ابن عمي بينة أنها دار جده وطلب مورثه؟ قال: هذا من وجه الحيازة التي أخبرتك بها. اهـ[2].

ونحوه في «العتبية»[3] و«المقرب»[4] وغير ذلك من دواوين الفقه كـ"مختصر خليل"[5] وابن عرفة[6]، بل صرح ابن رشد في "نوازله" أن المطلوب لا يسأل من أين صار إليه الملك، فإن قال: المال مالي والملك ملكي؛ قُبل منه، ولا يكلف بأكثر من ذلك قال هذا مذهب ابن القاسم وروايته

---

(1) قال الشيخ الألباني في " السلسلة الضعيفة والموضوعة " 10/ 430: ضعيف، أخرجه عبد الله بن وهب في "موطئه" عن عبد الجبار بن عمر الأيلي عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سعيد بن المسيب يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ.
وقال عبد الجبار: وحدثني عبد العزيز بن المطلب عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ مثله.
ذكره الشيخ أبو الفيض أحمد الغماري في كتابه "مسالك الدلالة في تخريج أحاديث الرسالة لابن أبي زيد القيرواني" (ص 331 - مطبعة دار العهد الجديد)..... أقول: إنه حديث ضعيف عندي؛ لأنه مرسل من الوجهين، وكل من المرسلين مدني؛ فلا يقوّي أحدهما الآخر؛ لاحتمال أن يكون شيخهما تابعياً واحداً.
على أن مدار الإسناد إليهما على عبد الجبار بن عمر الأيلي؛ وهو ضعيف؛ كما جزم به الحافظ، تبعاً لجمع من الأئمة؛ بل إن بعضهم ضعفه جداً، فقال محمد بن يحيى الذهلي: "ضعيف جداً". وقال النسائي: "ليس بثقة". وقال الدارقطني: "متروك".

(2) انظر المدونة: 13/ 192.

(3) العتبية أو (المستخرجة من الأسمعة) لأبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد العزيز، المتوفى سنة 255 هـ كان جامعاً للمسائل، عالماً بالنوازل، عظيم القدر عند العامة، معظماً في زمانه، من أهل الخير، والجهاد، والمذاهب الحسنة، والكتاب هو عبارة عن حصر شامل لمعلومات فقهية يرجع معظمها لابن القاسم عن مالك، وهي برواية من جاءوا بعده مباشرة، كما أنها تحتوي على آراء فقهية لتلاميذ مالك وخلفائه. انظر: تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي ترجمة رقم 1104، وجذوة المقتبس، للحميدي، ص: 39، وترتيب المدارك، لعياض: 4/ 252، وبغية الملتمس، للضبي، ص 48.

(4) هو كتاب المقرب أو المغرب على اختلاف وهو اختصار جليل لمسائل المدونة وشرح مشكلها اختصرها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمَنِين، المري، الأندلسي، أجل أهل وقته حفظاً للرأي، ومعرفة بالحديث، واختلاف العلماء، توفي رحمه الله سنة 398هـ. انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، لعياض: 7/ 183، وجذوة المقتبس، للحميدي، ص: 56، والصلة: 2/ 482، وبغية الملتمس، للضبي، ص: 87؛ والديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 232؛ وشجرة النور الزكية، لمخلوف، ص: 101؛ والفكر السامي، للحجوي الثعالبي: 2/ 119.

(5) تقدم التعريف بالمختصر وصاحبه.

(6) هو: محمد بن عرفة الورغمي، التونسي، شيخ الشيوخ، بقية أهل الرسوخ، له التصانيف الغزيرة، والفضائل المديدة، المنتشر علمه شرقاً وغرباً، وكانت إليه الرحلة في الفتاوى، والاشتغال بالعلم والرواية، حافظ المذهب، وضابط قواعده، المتوفى سنة 803هـ. انظر ترجمته في: الديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 331، ونيل الابتهاج، ص: 274، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 227. والضوء اللامع، للسخاوي: 9/ 240، وشذرات الذهب، لابن العماد: 7/ 38.

عن مالك المدونة ولا اختلاف في ذلك أحفظه. اهـ.

هذا ما يعرفه العبد الفقير من النصوص الفقهية والقواعد المذهبية، وهو الذي تجب به الفتيا وكيف لا وقد قال سيد الوجود ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا إلا الله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[1]، وقال [78/ أ] عليه الصلاة والسلام: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا قد بلغت اللهم اشهد »، ثم قال: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع»[2]. وسيدنا الإمام أيده الله [وقَّاف][3] مع النصوص الشرعية والقواعد الدينية لا يرضى بمجاوزتها قلامة ظفر وهو أوفر عقلاً وأكثر علماً وأكبر ديانة وأوسع حلماً وأقرب إلى النصيحة وأبعد من الشبهة وأشد مراقبة لله عز وجل وأكثر استحضاراً لعظمته، يتجافى عن الغي ويتحاشى عن الباطل، لم تستفزه الإمارة ولا استهوته الإمارة، يأخذ في الأمور بالاقتصاد ومن مر بها بالمرصاد أبقى الله دولته الشريفة، وهو زينة الأيام مصونة من كل وصم محفوظة من كل ثلم، ووقاها شر الشيطان وجنوده حتى لا تصاب منهم بمين ولا تلتمس من مكائدهم بعين، إنه ولي ذلك والقادر عليه. ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إلى: ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: 255] اللهم أيد إمامنا وأبد نصره، وأطل في هناه وعافية عمره وخلد في الصالحات ذكره وأمتع المسلمين بطول حياته، ولا تقطع عنهم ما عودتهم من بركاتك بفضلك يا أرحم الراحمين، والسلام الكريم يعتاد المقام الكريم، ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته. وكتب مقبل ثري أقدامكم عبد الله تعالى عمر بن عبد الله الفاسي كان الله له. هـ.

ومنهم الشيخ التاودي بن سودة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد قال في الجواب: إن الرباط المذكور لاشك أنه بناه يعقوب المنصور، تضافرت الرواة والتواريخ وغيرها بذلك، وممن ذكره الإمام ابن عرفة. إلى آخره، ثم قال: وعادة الملوك والأعيان إذا اختطوا بلداً أو نزلوا أرضاً للعمران أن

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب: الحياء من الإيمان، حديث 25، 1/ 17، ومسلم كتاب الإيمان، باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، حديث 21، 1/ 52، واللفظ هنا لمسلم.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب: قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، حديث 67، 1/ 37، ومسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث 1679، 3/ 1306.

(3) في (ح): (وقف).

يأخذوا ما يحتاجون إليه ثم يأذنون الناس رغبة في الأجر وإبقاء للذكر وطلباً للعمارة [78/ ب] والأنس. ثم قال: وإذا كان المنصور أقطع رجلاً واحداً مع ما أعطاه أرضاً تسع المدينة بمرافقها فكيف لا يقطع هو أو غيره كل رجل من ساكني الثغر المذكور دويرة يسكن بها أو عرصة يقاتل عليها؛ لأنها مأواه ومحل أنسه ومنشأ كده وثمرة غرسه، وعطايا الملوك وإقطاعاتهم جائزة نافذة، وقد أقطع رسول الله ﷺ تميماً الداري بعض أراضٍ بنواحي بيت المقدس[1]. وأقطع زيد الخيل أرضاً ببلده[2] والقوم قد غرسوا وبنوا وسكنوا وتصرفوا بما شاءوا، ولم يسمع أن أحداً من الملوك أخرجهم ولا كلمهم في ذلك أو نازعهم هذه ستمائة، لأن وفاة المنصور كانت سنة 595 هـ. وكان البناء قبلها وقد روى أبو داود عن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «من احتاز شيئاً عشر سنين فهو له»[3]، ومثله في المدونة من رواية ابن حبيب إلى آخره، ثم نقل كلام المعيار من أن عادة السلاطين في الوقت وعادة من تقدمهم أن يقروا كل من له بناء على قاعة المخزن على ما هو عليه ولا ينزعوها منه، ولا يأمروه بقلع بنائه ولا يأخذوه بقيمته إلى آخر ما نقله وقال في الأخير: ولا بد للعبد أن يقف بين يدي مولاه ويسأله، نسأله سبحانه أن يتجاوز عنا بفضله وأن لا يخرجنا من دائرة رحمته، والسلام التام على تلك الرحاب العظام، ومن طاف حول كعبتها من الأقوام والخدام، والرحمة والبركة والسلام. عبد ربه محمد التاودي بن الطالب ابن سودة تغمده الله برحمته.

وبعده بخط العلامة سيدي محمد بن الحسن بناني: الحمد لله، الجواب أعلاه صحيح، ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية [الحشر: 7]، والله أعلم. وكتبه محمد بن الحسن بناني.

وبعده الحمد لله الجواب أعلاه صحيح، وكتبه عبد ربه تعالى عبد القادر [79/ أ] بوخريص، وفقه الله بمنه ولطف به.

---

(1) روى عمرو بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عامر، عن أبيه، عن يزيد بن عامر، عن أخيه زيد بن عامر، قال: قدمت على النبي ﷺ، فأسلمت. فقال النبي ﷺ لتميم الداري: "سلني". فسأله بيت عينون ومسجد إبراهيم، فأعطاهن إياه، وقال النبي ﷺ: "يا زيد، سلني"، قلت: أسألك الأمن والإيمان لي ولولدي، فأعطاني ذلك. أخرجه ابن منده وأبو نعيم.) انظر: أسد الغابة، لابن كثير: 2/ 350.

(2) أخرج البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قَوْلِ الله تَعَالَى (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ بَعَثَ عَلِيٌّ وَهُوَ بِالْيَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِذُهَيْبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي مُجَاشِعٍ وَبَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَبَيْنَ عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ الْعَامِرِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي كِلَابٍ وَبَيْنَ زَيْدِ الْخَيْلِ الطَّائِيِّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نَبْهَانَ... : 6/ 2702، برقم (6995).

(3) أخرجه أبو داود في المراسيل 1/ 286.

(انعطاف إلى كلام الضعيف)

قال: ثم تبدل السلطان على أهل الرباط وكتب لهم على أن يعزلوا من أولادهم نحو الثمانين ليتعلموا الرماية بالأنفاض والمهراز، وكتب أيضاً على أن يزيدوه عدداً آخر من البحرية ليسافروا في البحر. ثم وشوا بأهل الرباط للسلطان وقيل له أنهم يريدون الخلاف والاستقلال بأنفسهم، فوجه لهم الباشا سعيد بن العياشي مع جيش كثيف ووجه معه الأنفاض والمهاريز، ونزل على باب العلو خارج المدينة، ثم وجه ولده مولانا المأمون بإثره، وكان قد أراد شراً بأهل الرباط فأنجاهم الله منه، وكان يريد أن يرحلهم للصويرة وذلك نكاية لهم لأجل حصرانهم على أخيه مولاي أحمد[1] في القصبة عام 1161 هـ، ثم رأى أنه إن أخرجهم لم يجد من يقوم مقامهم بالبحر وبالسفن فغض طرفه عنهم، وأراد أن يسكن معهم العبيد بأكدال[2] فكتب للعبيد الذين بفاس الجديد وقال لهم إني قد أعطيتكم ديار أهل الرباط بما اشتملت عليه من الإماء والطعام وغير ذلك، فبوصول كتابي إليكم أسرعوا في الخروج، وذلك حيلة منه ليخرجهم من فاس، فخرجوا منه ووجه لعبيد سوس أن يأتوا من تارودانت وغيرها مع القائد المحجوب ولد قائد راش، ووجه من مراكش نحو خمسمائة من أولاد العبيد بنسائهم، وهم الذين كانوا بالمنشية، فكانوا هم السابقين للرباط أمرهم بالنزول في القصبة، وكان ابتداء نزول العبيد برباط الفتح في شعبان أو في رجب عام 1187 بالقصبة وأخذوا في بنائها بعد قبض كل واحد منهم خمسين مثقالاً، ثم وردت على الرباط [79/ب] عبيد فاس الجديد فأمرهم السلطان أن ينزلوا أمام [اللبرة][3] حومة بين المدينة والبحر، فنزلوا هناك وبنوا النوائل من الكلخ والقصب، وسكنوا إلى أن قدم السلطان من مراكش.

وفي رجب المذكور أخذ النصارى سفينة للسلطان، وهي سفينة الحاج الهاشمي المستيري

---

(1) هو: أحمد ابن المولى عبد الله بن إسماعيل بعثه واليا على الرباط سنة 1159 هـ فأساء معاملتهم فحاصروه سنة 1160 هـ حتى نفذ له الزاد والماء حتى شرب ماء البحر نحوا من ثلاثة أشهر ومن معه من أصحابه والعبيد الذين كانوا ساكنين بها من قبله بنحو ثلاثمائة أو أكثر وفر الجل من أصحابه وهم يرمونه بالرصاص إلى أن طلب منهم الخروج بالأمان فدخل بينه وبين أهل الرباط الفقيه السيد أحمد بن عبد الله الغربي. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 261 وما بعدها.

(2) منطقة خصبة بالرباط قرب السور الموحدي، بنى فيها المولى محمد بن عبد الله كثيراً من المساجد منها مسجد السنة عام 1182 هـ.

(3) في (ح): (اللبيرة)، والمثبت موافق لما في تاريخ الضعيف وهي كلمة بالعامية يقصد بها الليمون أو البرتقال وتطلق على الحي التجاري المقام بالعلو.

الرباطي من جنس الكرنيز، وبقي عندهم نحو الخمس سنين. وفي الخامس والعشرين من رمضان قدم السلطان على الرباط من ناحية مراكش، وفي الليل أطلق السبيل في الأجنة والبساتين فنهبوا ما وجدوا فيها من اللتين، وفي الصباح خرجوا له من الرباط بالمحاضر والألواح والمصاحف والأشراف فوجدوه داخل أكدال في ناحية صومعة حسان ومعه ابن عمران والحاج العباس مرين، فلما خرج على باب الجديد قال: من هؤلاء؟ فقالوا: أهل الرباط. فأتى وليس معه أحد إلا المذكورين فقال أهل الرباط: جئناك مستشفعين لتعفو عنا. وقال لهم: وما فعلت لكم؟ إنما أتيت لأطهر بلدكم[1].

ثم عفى عنهم وبعث معهم الحاج العباس [مرين][2] وأمرهم بالدخول من باب الحديد، وأن يوجهوا له بعض الطلبة يقرءون السلكة[3] في ليلة القدر... إلخ[4].

ثم في شوال أمر بقطع الأشجار بأكدال من الكرم والبرقوق واللتين والتين والخوخ والسفرجل والإجاص، وغير ذلك من المشماش بالشواقر، ودخل له النصراني باول -دمره الله- وأخذ يفصل في المدينة كالأزقة والأسواق والحوانيت والديار والدروب وغير ذلك، وفرق المال على العبيد وأمرهم ببناء الدور، وفصل نحو الخمس مساجد منها جامع السنا وجامع الوداية وجامع أهل مراكش وجامع أهل سوس وجامع أهل فاس، وفصل داره بالقرب من باب الحديد وسماه باب الريح، وأمر ببناء البساتين على البحر كبستيون برج خنزيرة بالقصبة، وهدم دار الحرة وما يليها من الدور، وبنى بيت المال [80/ أ] وعمره بالمال، وحصن القصبة، وكان الباني لهم المعلم أحمد اللنكليز علجاً من العلوج، وكانت له سطوة مع السلطان وكان الباني لداره هو المعلم منصور العلج.

وفي سنة 1188 أمر السلطان بإيصال الماء الجاري من عين عتيق للرباط، وفيها نزع ابن سعيد الفلالي[5] عن القضاء وولي المهدي مرين الرباطي، وعمل على أهل الرباط وعلى الجيش الساكن بأكدال القائد عبد الله الرحماني[6].

---

(1) في تاريخ الضعيف: (بلاكم).

(2) مابين المعوفتين سقط من المطبوعة.

(3) المراد بالسلكة خَتْمُ القرآن من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 326 و327.

(5) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 66، ص: 324.

(6) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 328.

وفي رمضان من عام 1194 أمر السلطان بخروج العبيد من رباط الفتح وكانوا فيه بنحو سبعمائة وسبعة آلاف، بل أزيد من ذلك، ولم يعطهم شيئاً، فباعوا ما كان عندهم من القش خرجوا حتى كانوا يحملون أولادهم الصغار على رءوسهم، وخرجوا منه بلا عوين وفرقوهم في المراسي[1].

وفي صبيحة يوم الأربعاء 22 من شوال عام 1195 كسفت الشمس، وكثر الهَرْج، ووقعت يبسة في الزرع الأخضر، وصلوا صلاة الاستسقاء فصلوا برباط الفتح المرة الأولى، وكان الخطيب السيد عبد الله البناني، ثم أعاد الثانية وأخذ الناس في البكاء والعويل وزيارة الصالحين ويتشفعون له بالمصاحف، وكانت اليهود تخرج بجموعهم ويطلبون الله، وانقطع الزرع الصويني من الرحبة وكذلك الخروب والزبيب والكرموس والشعير والذرة والبشنة، وخلت الأسواق من ذلك كله، وجاحت الأعراب في البوادي حتى كان الناس يأكل بعضهم بعضاً، ثم أعيدت الصلاة ثالثاً وإمامها الفقيه العلامة سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي[2]، فرحم الله عباده بالمطر بعد أن وصل الزرع خمسين أوقية للمد، وخرج أهل الرباط ليلاً بالفضة والذهب واشتروا من النصارى وسق ثلاثة سفن من الزرع الصويني، وعبروه على ضوء الشمع في الليل، وأدخلوه لديارهم وهم الأغنياء منهم فخيب الله ظنهم ورحم عباده[3].

وفي شوال من عام 1204 اشتكى أهل الرباط على السلطان على أن يرحل عنهم الشريف سيدي إبراهيم بن محمد الرباطي فأجابهم لذلك، وفي الرابع والعشرين منه [80/ ب] ورد كتاب السلطان على الشريف المذكور على أن يقدم على السلطان، وقد كان الشريف المذكور يبحث في أهل الرباط، فلما وصل للسلطان أمره بالخروج من الرباط وأن يسكن بشالة[4].

وفي صبيحة يوم الاثنين انتشر خبر موت السلطان سيدي محمد بن عبد الله في الرباط وفي سلا، فاجتمع أهل الرباط وأهل سلا بالفقهاء والعلماء والشرفاء والطلبة، وطلعوا لدار السلطان وأخذوا في حفر قبره وغسلوه وكفنوه، وصلى عليه الفقيه سيدي محمد بن أبي

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 339.

(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 63، ص: 313.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 341.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 391.

القاسم السجلماسي[1] مع الفقهاء والعلماء، ودفن رحمه الله عشية يوم الاثنين السادس والعشرين من رجب عام 1204 هـ وبعد دفنه اختلف أهل الرباط وأهل سلا مع جيش السلطان فمنهم من أراد بيعة مولانا هشام ومنهم من أراد بيعة مولانا اليزيد[2]، ثم اتفقوا على بيعة مولانا اليزيد باتفاق من أهل الرباط وأهل سلا وكبراء الجيش من حوز مراكش وقيّادهم وأعيانهم، وبعثوا له بالبيعة لمولانا عبد السلام بن مشيش نفع الله به[3]، وكان الرحماني يريد بيعة هشام وكذلك الحاج عبد الله بركاش الرباطي وقادوس بعد اتفاقهما، لكن خالفهما الجل من أهل الرباط وسلا مع نحو الأربعة آلاف التي جاءت مع السلطان رحمه الله من كبراء أهل الحوز، ثم جددوا البيعة في جامع الرباط الأعظم فقطعت رؤساء أهل سلا بأعيانهم وفقهائهم وطلبتهم، واجتمعوا مع أعيان أهل الرباط وكبرائهم، وذلك يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب المذكور بمحضر القضاة والعدول من كلا العدوتين، وأخذ كل من الفريقين نسخة من الآخر بخط أيديهم وبعثوا ثانياً لتجديد البيعة في اليوم المذكور ولحقه خبر موت أبيه يوم الأربعاء 28 رجب عند الاصفرار من آخر النهار[4].

وفي الحادي عشر من شعبان عام 1204 هـ فرق عبد الله بركاش الراتب على الجيش المحصور بالرباط من المال الذي أتى به محمد بن العربي قادوس[5] من المهدية[6]، وفيه ورد

(1) انظر ترجمته في الاغتباط: ترجمة رقم (63).

(2) هو: اليزيد بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف بن علي، العلوي السجلماسي، بويع له بالخلافة بعد دفن أبيه السلطان أبي عبد الله سيدي محمد رحمه الله بحضرة رباط الفتح واتفقت على بيعته العلماء والفقهاء والأشراف ورؤساء أهل الحوز من دائرة أبيه وكذلك فقهاء أهل سلا ورؤسائهم وأشرافهم وطلبتهم وذلك يوم الاثنين السادس والعشرين من رجب الفرد من سنة أربع ومائتين وألف 1204 هـ انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 377.

(3) هو: أبو محمد، عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن المزوار بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، ومن تلامذته: أبو الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية المشهورة، فهو أحد أقطاب التصوف، توفي رحمه الله شهيداً حوالي 625 هـ قتله بجبل العلم قوم بعثهم لقتله ابن أبي الطواجين الكتامي المتنبي فدفن بجبل العلم. انظر ترجمته في: مناقب الشيخ عبد السلام بن مشيش" لعبد الله بن محمد الوراق، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ط تحت رقم (1484) والنبوغ المغربي، لعبد الله كنون ص: 15.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف:. 1/ 377

(5) هو: العربي قادوس، وزير السلطان محمد بن عبد الله السجلماسي العلوي، أصله أعجمي، كان شديد الذكاء والفطنة امتحن أيام المولى يزيد. انظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 3/ 336، والإعلام، للسملالي: 9/ 216.

(6) تقد الكلام على المهدية ص: 45.

[81/أ] أمره على نهب ملاح[1] الرباط وسلا، فراجع عبد الله بركاش مولانا اليزيد على أن يقبض منهم المال، واليهود في غاية الضيق، فأخذوا في بيع حوائجهم كالصناديق والنحاس وغير ذلك، ودفعوا للسلطان نحو الخمسة آلاف مثقال[2].

ومن أخبار مولاي اليزيد أنه كان يأتيه بعض المتفقرين المتمردين مثل محمد بن بوعزة الزعري الرباطي، وكان يزعم أنه من أولاد سيدي بوعزة الحبشي[3]، وكان يدعي الكلام وينشد الملحون، وصار يزعم الصلاح بالرباط إلى أن قدم على مولاي اليزيد وهو في الحرم المشيشي، وكذب عليه فسماه بلقرايح[4].

ثم لما تولى الخلافة وجهه على أن يبحث على مال قادوس، فورد على الرباط بنحو الخمسين فارساً، فدخلها يوم الثالث والعشرين من جمادى الأولى المذكور [عام][5] 1205، فقبض على أولاد فرج وسجنهم وضرب الفقيه ابن إبراهيم فرج، وضيق عليه، وقبض الرايس محمد بن مبارك والحاج محمد بركاش الزنفوري وضربهما، وقبض أولاد مارسيل وزاوك[6] الحاج المكي بركاش وأمه مكية زوجة الحاج عبد الله بركاش، وقبض محمد فرج وقامت في أهل الرباط فتنة كبيرة، وكل هذا كان بديوان الحاج العباس مرين والفقيه السيد عبد الرحمن السرايري[7]، وأحمد بن القاضي، ومحمد بن البعزاوي بلقرايح، وفي هذا اليوم وقع بأهل الرباط أمر عظيم، ثم اتفقوا ووجهوا طائفة منهم بنحو الأربعين رجلاً يشكون على السلطان بمكناسة، وطلبوا منه أن يرحل عليهم الحاج العباس، والسرايري، وابن

---

(1) الملاح أي سكن اليهود.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 380.

(3) هو: أبو يعزى آل النور أو يلنور أو إيلانور -أي صاحب النور- بن ميمون. بن أبي بكر الإيلاني، وقيل: بن عبد الله وقيل: يللبخت بن عبد الرحمن، ويعزى اسم ابنه، ومعناه العزيز، وله مكانة سامية في قلوب المغاربة ويقوم أهل فاس بزيارته بعد عيد الفطر في جماعات. انظر ترجمته في: المعزى في مناقب أبي يعزى، لأبي العباس ابن أبي القاسم التادلي، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (63/ د)، والتشوف، للتادلي، ص: 213، ووصف أفريقيا، لليون الإفريقي، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب، بيروت الطبعة الثانية، 1983، ص: 205.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 403.

(5) زيادة من المطبوعة.

(6) الزواق أو الزواك هو التجاء المجرم أو اللص بالأضرحة متحرما. انظر: معجم إرجاع الدارج، لأحمد الصبيحي السلاوي، ص: 131.

(7) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 184، ص: 530.

القاضي ويدفع عنهم محمداً بلكرايح، فأجابهم وبعث من يقبض بلقرايح، فقبض وسجن، وأمر بإخراج العباس والسرايري وابن القاضي فقبض بلكرايح في التاسع من جمادى الثانية وزاك الحاج العباس فخرجه ابن أحساين فنيش السلاوي على أن يقرأ كتاب السلطان، فقال له: اقرأه علي هنا، فأبى ولا زال معه إلى أن خرج فمر به للقوارب ثم رده لدار باركاش، فوبخوه وحاسبوه [81/ ب] على كراء الكنيسة، فوجدوا عنده أربعمائة مثقال فقبضوا منه نصفها على الفور، وأعطي الضامن في الباقي، وخرجوا الفقيه السرايري وابن القاضي لسلا على أمر السلطان نصره الله، وقبضوا بلقرايح، وبعد خروجهم لسلا ذهبوا لمكناسة أيضاً العباس والسرايري وابن القاضي، ثم بعث السلطان بإخراج بلقرايح مسجوناً، وبإخراج عياله، فدخلوا على داره وخرجوا امرأته ومكّنوها برأسها[1] لنحو خمسة عشر من العبيد ذهبوا بها لمكناسة، وكل هذا كان في يوم الأحد التاسع من جمادى الثانية. واقتصرنا[2].

وفي عشية يوم الجمعة الثاني من رجب الفرد المذكور بلغ خبر موت السلطان لشقيقه مولانا سلامة[3]، وهو مزاوك بجبل العلم، ثم انقسمت أهل الرباط وأهل سلا على نصفين فمنهم من أراد بيعة مولانا هشام، ومنهم من أراد بيعة مولانا سلامة، وكثر اللجاج فيما بينهم[4].

وفي يوم الاثنين الثالث من شعبان المذكور 1206 اجتمع أهل الرباط وأهل سلا بمولاي المكي بزاوية مولاي التهامي، فقامت بينهم فتنة عظيمة، فقال بركاش المذكور: ننصر مولانا هشام؛ لأن أولادنا عنده تحت يديه، ولأنه أيضاً قاتل عليها، ولأن كتابه هو الأول ورد علينا الأول والثاني، ولأننا إن بايعنا سليمان أو سلامة يقتل أولادنا، وهم ثلاثون بين أهل الرباط وسلا، فأبى الحاج العباس مرين، وقال: لا نتبع إلا سلامة، وها كتاب سيدي علي.

---

(1) في تاريخ الضعيف: بفراشها.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 405.

(3) هو: سلامة بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل، العلوي، السجلماسي، الشريف، ورد عليه خبر موت أخيه الشقيق اليزيد في رجب 1206 هـ فطلب البيعة كانت دولة مولانا اسلامة المذكور بوزان شهرين وهو يتصرف على قبائل اجبالة والقصر وطنجة والعرائش وتطاون ووزان مع أهل الفحص وأهل الغرب إلى أن غلب عليه أخوه مولانا سليمان بالجيش والمال وقبائل البرابر فخلع نفسه بعد أن أنفق على الناس في التهتة نحو السبعين قنطاراً وخرج من وزّان فارّا بنفسه ليلة السبت التاسع والعشرين من شعبان من عام ستة ومائتين. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 431.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 426.

فقالوا له أولاد الرايسي: ها كتاب سيدي محمد بن عبد القادر يقول فيه: نحن أهل وزان ما بايعنا أحداً من سليمان ولا من سلامة، فقال أهل سلا لبركاش مع فقهائهم: بايع واحداً منهم من أردت، والذي بايعته نشهد عليك أنك بايعته. فقال: لا تشهدوا علي ما نشهد عليكم، أنتم فقهاء تحللون وتحرمون فإن بايعتم سلامة مكنوني من خط يدكم، فإن ورد هشام نمكن له خط أيديكم وبينكم وبينه أو قدم سليمان فكذلك. وكان فقهاء [82/ أ] العدوتين يريدون سلامة إلا محمداً الغربي، فإنه كان من ناحية بركاش فقال الفقهاء: من وصل لنا هو الأول [تبايعوه][1]، ثم لما أراد بركاش المذكور أن يمكر بالحاج العباس دون عليه، ثم كتب كتابه لمولانا سليمان على أن يبعث له بالجيش من مكناسة؛ وذلك أنه لما رأى الحاج العباس تحزب مع أهل القزا ومع المكي فرج ومع مولاي المكي ولد سيدي عبد الله بن الحسني صار من ناحية العباس والمكي فرج وأهل الكزا المذكورين، ومن حيل بركاش: زور كتاباً على لسان مولاي هشام واستظهر به، وفيه[2] الأمر بإعداد البحرية والطبجية والبنباجية، والأمر بقيادة بركاش وبقضاء محمد الغربي، والأمر بقطع رأس الحاج العباس ورأس المكي فرج، وكان هذا يوم السبت الثامن من رجب المذكور فتحزب بركاش، وأراد قطع رأسيهما فتعرضت عليهما أهل الكزا مع مولاي المكي بن الحسني[3].

وفي يوم الجمعة 14 من شعبان عام 1206 قامت الفتنة بين أهل الرباط عند صلاة الجمعة، فأراد بركاش أن يخطب بهشام وذلك حيلة منه ومكر؛ لأنه كاتب مولانا سليمان وطلب الاستغاثة على الحاج العباس، وأراد الحاج العباس أن يخطب بسلامة، فقال العباس: إن لم نخطب بسلامة نصلِّها ظهراً. فكان كذلك ثم إن شيعة بركاش رجعت [لقطع رأس][4] المكي فرج، فتمنع بداره فمات المعطي بن العامري وهو الذي أراد الدخول على الدار المذكورة، وترصص العربي بَناني، وسبب هذه الفتنة عبد الله بن إبراهيم فرج كان بحانوته بقرب جامع [الجزارين][5] فأتته شيعة بركاش ونهبوا له كابوساً وكيسة فيها عشرة مثاقيل فتحزمت أبناء عمه، وهبطوا على الرحبة للفلايك، فرآهم ولد حمي بركاش فرمى بنفسه في البحر

(1) في (ع)، (ح): (نبايعوه).

(2) في (ح): (في).

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 443.

(4) سقط من (ح)، وفي موضعه بياض بقدر كلمتين.

(5) في (ع)، (ح): (القزارين) بالقاف المعقودة.

وخرج تحت القصبة، فتحزم المعطي بن العامري وطلع لدار المكي فرج فمات أمام فران الحاج عزوز، فتحزم العباس بشيعته وأتى مغيثاً لدار [82/ ب] فرج[1]، وأما أهل سلا فخرجوا البعض من الفنانشة[2] مع المحتسب الهاشمي بن عبد العزيز فنيش؛ لأنهم من شيعة سلامة وأهل سلا من شيعة سليمان، ولما أخرجوهم جاءوا لوزان لمولانا سلامة يستنشدونه، وفي هذا اليوم اشتكى عليه باينا[3] بما فعل أهل الرباط بجده العباس[4].

وفي يوم الجمعة الخامس عشر من ربيع المذكور سنة[5] 1209 ورد كتاب السلطان على رباط الفتح فقرئ على أهل الرباط بالجامع الكبير مضمنه: أن محمداً ولد ابن عبد الكامل يتولى أمر البحرية والطبجية والبونبجية يتفقدهم، ويسرطهم من سبت إلى سبت، فأبى الحاج عبد الله بركاش مع أهل الرباط والبحرية، وقالوا: لا يتصرف. والذي قرأ الكتاب الطيب الغربي بمحضر مولاي عبد المالك بن إدريس وأرادوا الفتنة[6]، وأما مولاي عبد المالك بن إدريس تقدم أن السلطان وجهه لرباط الفتح فأخذ في مودة الشاوية من كسوة الملف والكتان وغير ذلك، وكان يصرف عليه الحاج عبد الله بركاش، ثم إن بركاش أراد مكر مولاي عبد المالك فأتاه وقال: اخرج علي من الرباط، فخرج من حينه ورجع للسلطان بمكناس، وأعلمه بذلك فأراد السلطان أن يقبض بركاش فقال له: أمهل عليه إلى أن تنتهز الفرصة فيه. وكان أهل الرباط يقولون السلطان بركاش[7].

وفي يوم الثلاثاء سادس ربيع 2 اتفق الجل من أهل الرباط على عدم كيل الزرع للنصارى فهجموا على دار القصري، ودخلوا على النصراني فكسروا الأمداد ونهبوا النصراني، ثم وقعت فيهم الخلة بعد الاتفاق المذكور وكان القائد عليهم هو الحاج محمد بركاش فقبض على البعض منهم وشيعهم لأهل سلا وبعثهم [السجن][8] المهدية، ثم بعث إليهم السلطان فوردوا عليه بمكناس فسجنهم بفاس، فدخلوا عشية يوم الخميس الخامس

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 444.

(2) في (ع) والمطبوعة: (الفناشة) والمثبت الأصوب قياساً نسبة لأولاد فنِّيش أحد الأسر الكبيرة بسلا.

(3) هو محمد بن أحمد باينة الأندلسي انظر ترجمته في الاغتباط، ترجمة رقم (69).

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 446.

(5) زيادة من المطبوعة.

(6) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 453.

(7) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 456.

(8) في (ع): (للسجن).

عشر من ربيع الثاني[1].

وفي سنة 1211 كان أهل الرباط يشترون السفن من النصارى، [83/أ] فيهم من يشتري السفينة الواحدة، ومنهم من يشتري نصف سفينة، وآخر الثلث والربع، وكثر عليهم المال والريال وصاروا يصنعون أبواب الديار بالأقواس الرومية، ويركنون لصحبة النصارى ويدخلون الديار ويكرمونهم ويحبونهم، وعلى هذه الحالة الجل منهم والمسكين ضائع[2].

وفي ثامن ربيع 2 عام 1211 وجه السلطان من مكناس ولد الدليمي مع عبيد الصويرة، وأمر أيت عطا أن يخرجوا من فاس لسجلماسة بمهرازين مع المعلم ابن جندار الرباطي البنباجي[3].

وفي يوم الأحد 17 ربيع أول عام 1220 دخل الطالب الغازي لرباط الفتح عاملاً على العدوتين ونزل بدار القائد العربي ولد المجاطيا، وفي أواخر ربيع الأول المذكور تقيد الحاج الطيب الزبدي على أهل الرباط، جعله الغازي خليفة، ونزع في متم عام 1223. وفي شهر ذي الحجة 1222 عزل الباشا الغازي الشاوي الحاج الطيب الزبدي عن حكومته على أهل الرباط وولى مكانه ابن أخته وهو البهلول ابن الصغير المزمزي[4].

وفي يوم الأحد 29 شوال عام 1223 عزل قريون[5] عن الحسبة وتولاها محمد الحمير[6].

وفي يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني 1224 بعث السلطان لأمناء الرباط مع القاضي عبد القادر مرينو على أن يجلس عدل وأمين بفندق القاعة وفندق الجلد وفندق الزيت والأمين يتخلص والطالب يكتب[7].

وفي يوم الأحد 8 قعدة 1226هـ بعث السلاوي للحاج محمد السويسي الرباطي فقيده على أهل الرباط بمحضر أهل البلد[8].

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 472.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 498.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 498.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 630.

(5) هو: محمد بن الجيلاني، قريون الأندلسي، من محتسبي الرباط بأمر المولى سليمان. انظر: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 203.

(6) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 628.

(7) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 651.

(8) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 680.

وفي يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة المذكور تنظر الحاج محَمد بن إبراهيم فرج الرباطي[1] على أحباس جامع الرباط بمحضر السيد محَمد السلاوي أيضاً، وفي الغد سافر السيد محَمد السلاوي للعرائش لعمالته بعد أن عزل الرايس محمد السبيع وولده عن مرسة الرباط، وأمرهما بلزومهما بدارهما وجعل على المرسة الحاج [83/ب] عباس غنام والرايس إبراهيم لباريس وعزل أيضاً الطيب الزياتي[2]، كان من عدول المرسة المذكورة. وقال له: من عملك فيها؟ فقال له: القاضي عبد القادر مرين. وذلك يوم الأربعاء الرابع من ذي القعدة المذكورة، وفي ربيع الأول عام 1229 بعث السلطان كتاباً مضمنه أن قياد العدوتين لا يعملون الخلائف تحتهم، ومن عمل منها خليفة فليشهد عليه الطالب محمد باينا ثم يسجل عليه القاضي ثم يعزل، وكل قائد منهما لا يحكم على أحد إلا بمشورة القاضي[3].

وفي يوم السبت 19 ربيع 1 سنة 1229 عزل القائد محمد السويسي[4].

وفي يوم السبت 28 من شعبان 1230 اجتمع الجل من خرازين أهل الرباط بالجامع الكبير وأحضروا المصحف الكريم وتعاهدوا واتفقوا على الحاج عبد الرحمن عشعاش التطاوني[5]، وشاع الخبر بالمدينة فذهب الحاج محمد صندال مع ابن عسيلة للجامع الكبير وقالا للخرازين المجتمعين بالجامع الكبير، وعاير الجمع المذكور من الخرازين وأنهم دراري[6]: فكيف تقدرون على عشعاش؟ فنهضوا في الحين وهجموا على عشعاش بالقنانيط وهو مع الحاج محمد أجغالف من أهل سلا وأحمد مارسيل الرباطي الموقت[7] فسدوا عليهم القنوط لأنهم أرادوا قتل عشعاش، فاجتمعت عليه الأطفال والرجال ورجموه بالحجر، ثم جاء البعض من شرفاء وازان بعد أن ذبحوا له الدجاج ونهبوا له بيت ولده، وتشفعوا فيه وحلوا عليه القنوط، وفي العشية ذهب معه لداره مع نحو الستين من الطبجية والبحرية

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط ترجمة رقم (74).

(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 158، ص: 489.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 628.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 707.

(5) هو: عبد الرحمن عشعاش قائد الرباط من ربيع الأول 1227هـ حاول قتله الخرازون من أهل الريف عام 1230هـ فعزله السلطان وولى مكانه العربي بن بلال كما ولى على سلا محمد بن الجيلالي بن القرشي السقيري. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 680، وما بعدها، ومعلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 204.

(6) في دارجة أهل المغرب (دراري) بمعنى صغار الأطفال.

(7) انظر ترجمته في الاغتباط ترجمة رقم (17).

والأطفال، ورآه تنادي عليه وتضربه بالحجر.

وفي الغد رجع للقنوط وأراد أن يقبض ثمانية من الغواغين من الخرازين وذلك يوم الأحد، فتسلح فيه الجل من الخرازين بالكوابس والسكاكين وجلسوا في حوانيتهم[1].

وفي يوم الاثنين أول يوم من رمضان قامت غوغة بالخرازين وتسلحوا أيضاً، وقامت [84/ أ] غوغة ولم يخرج هذا اليوم من داره، وكتب بما فعل له أهل الرباط للسلطان.

وفي يوم الثلاثاء ثالث رمضان سار البعض من الخرازين للسلطان والبعض من الحدادين والبعض من الدباغين والبعض من أهل الذمة، فلما وصلوا مكناس اغتاظ عليهم السلطان غيظاً شديداً ولم يلتقِ بهم سوى حماد مولى أتاي زمي جميعهم وبعثهم لبلادهم وكان القاضي أيضاً كاتب السلطان وهو عبد القادر مرين، ثم وجه السلطان كتابه لأهل الرباط وقرئ به، وذلك يوم الخميس الرابع من رمضان، قرئ بالقنانيط مضمنه أنه عزل عليهم عشعاش وولى على أهل الرباط الطالب العربي بن بلال وولى على أهل سلا محمد بن الجيلاني أخي سليمان ابن القرشي السقيري.

ولما أراد الباشا العربي بن بلال الخروج من الرباط قيد الحاج محمد فرج على أهل الرباط، وذلك يوم الأحد 6 شوال عام 1230، ثم لما ورد السلطان على الرباط يوم الثلاثاء ثامن شوال عامه قصد ضريح أبيه فوجد أهل الرباط بالمحاضر - وهو في غيظ عظيم عليهم على ما فعلوه بعشعاش - فبعث للقاضي عبد القادر مرين مع بعض الطلبة، فلما جلس بين يديه قال السلطان: أين الفقيه السيد محمد بن جلون الرباطي[2]؟ فأتى إليه وجلس بين يديه عن يمينه، وجلس القاضي مرينو على يساره، فوبخ أهل الرباط وتغير وجهه على القاضي وقال له: تكلم كيف بك لم تتعرض على عشعاش وأنا جعلته قانعاً يحفظ أولادكم ويعس على دياركم، وتفعلون به كذا وكذا؟! حتى خنق السلطان وخنق القاضي، ثم يلتفت لابن جلون ويتكلم معه بلين. وفي يوم الأربعاء تاسع شوال المذكور بعث السلطان كتاباً مع السيد الطيب بسير[3] للفقيه السيد محمد بن جلون مضمنه عزل القاضي عبد القادر مرينو وولى القضاء للفقيه السيد محمد بن جلون، [84/ ب] قرئ بالقبة التي بناها محمد السلاوي، قرأه الفقيه السيد

(1) انظر تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 729.

(2) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 73، ص: 337.

(3) انظر ترجمته في الاغتباط، ترجمة رقم (159)، ص: 489.

أحمد بن خضراء السلاوي العمري[1]، ووافق اليوم الأول من شتنبر.اهـ[2].

وهنا انتهى ما اقتطفناه من حوادث تاريخ الضعيف مع بعض تغيير.

ومما جاء منها في تاريخ الاستقصا حادثة ثورة الرباطيين عند بيعة السلطان مولانا سليمان، وهذا نص كلامه، قال: "ولما قُتل السلطان المولى يزيد بن محمد بمراكش افترقت الكلمة بالمغرب، فأقام أهل الحوز ومراكش على التمسك بدعوة المولى هشام بن محمد، وبقيت الثغور تحت نظر المولى مسلمة بن محمد، واتفقوا على بيعته، واتفق أهل فاس على بيعة المولى سليمان بن محمد، وبايعوه ونصروه، وذلك سنة ست ومائتين وألف، وبعدما تمت بيعته بفاس تداعى أمر المولى مسلمة إلى الاختلال، وكان أول ما ابتدأ به عمله أن بعث جريدة من الخيل إلى نظر القائد أبي عبد الله محمد الزعري إلى الرباط، وذلك باستدعاء محتسبها أبي الفضل العباس مرينو وأبي عبد الله محمد المكي بن العربي فرج من أهلها المنحرفين عن المولى سليمان إلى التمسك بدعوة المولى مسلمة، وكان أهل الرباط يومئذٍ على فرقتين، فرقة دخلت في طاعة السلطان المولى سليمان، وفرقة أقامت بالتمسك ببيعة المولى مسلمة، ولما اتصل بالمولى سليمان خبر مسير الزعري إلى رباط الفتح عقد لأخيه المولى الطيب على بني حسن، وبعثه في اعتراضه، فتوافى الجيشان معاً برباط الفتح، ووقعت الحرب فانهزم الزعري وشيعته، وقتل العباس مرين، وفر المكي فرج إلى الزاوية التهامية فاستجار بها، وقبض المولى الطيب على الزعري وجماعة من أصحابه، ثم سرحه بأمر السلطان المولى سليمان، واجتمعت كلمة أهل العدوتين على طاعته". هكذا ساق صاحب البستان هذا الخبر ومثله في الجيش العرمرم لأكنسوس، وآل فرج يثبتونه [85/ أ] ويقولون: إن أصل هذه الفتنة أن آل مرينو كانت لهم الوجاهة مع المولى يزيد رحمه الله فسعوا عنده بآل فرج وقالوا له إنهم تقاعدوا على مال الوزير أبي عبد الله محمد بن العربي قادوس الذي أمنه عندهم، فبطش بهم المولى يزيد وصادرهم، واستحكمت العداوة يومئذ بينهم وبين آل مرينو، فلما توفي المولى يزيد بادر آل مرينو إلى بيعة المولى مسلمة، وانحرف عنهم إلى بيعة المولى سليمان من لم يكن من حزبهم. اهـ[3].

وبعد هذه الحادثة زحف السلطان إلى الرباط فمحا بقية آثار الفتنة، وصلى الجمعة

---

(1) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن خضراء، السلاوي، أديب، فقيه كان ملازما للتدريس بزاوية الشيخ ابن ناصر رحمه الله، توفي سنة 1236هـ. انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 156.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 731.

(3) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري: 8/ 90.

بمسجد القصبة - وكان هو الإمام - وخطب خطبة بليغة تشتمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحذير من الحرام واجتناب الآثام، ووعد وأوعد، ودعا لكافة الأمة وصلى في الركعة الأولى بسورة الجمعة والثانية بسورة الغاشية.... إلخ. هـ[1].

وقال في الاستقصا أيضاً: " وفي سنة 1261 ثار أهل رباط الفتح على عاملهم الحاج محمد ابن الحاج محمد السويسي، وكان السبب في ذلك أن الحاج محمد ابن الحاج الطاهر الزبدي من أهل الوجاهة بالرباط ومتبوع العقب فيها، وكان كثيراً ما يجالس العامل المذكور ويدلي عنده بالصداقة والمودة، فيقال إنه تشفع عنده في بعض أهل البلد فرد شفاعته، فغضب الزبدي وعظم عليه ذلك، وكان أهل البلد قد سئموا ملكة السويسي و[رضوا][2] في طاعته لأسباب تعدها الرعية على العمال، فجاء الزبدي إلى منزله وجمع جماعة من أعيان البلد ممن يعلم انحرافهم عن العامل المذكور، وأطعمهم وأطلعهم على خبيئة صدره في أمر العامل، فوجدهم إليه سراعاً، فتحالفوا وتعاهدوا على أن لا يبقى متولياً عليهم بحال، ثم مشوا إليه وأنذروه وتقدموا إليه بأن يلزم بيته، ثم أجمع رأيهم على تقديم الزبدي مكانه فقدموه وضبط أمر البلد، واتصل الخبر بالسلطان رحمه الله وهو بفاس، فقام وقعد وكتب إليهم [85/ب] بالوعظ والتقريع، فصموا عن سماعه وتمادوا على شأنهم، ثم بعث إليهم القائد الطيب الوديني البخاري يتولى عليهم ويقبض على أهل الفساد منهم، فأفحشوا عليه وطردوه من البلد مع العشي، فعبر إلى سلا في مطر غزير ورجع إلى السلطان فأعلمه الخبر، فاحتال السلطان رحمه الله بأن بعث الفقيه الكاتب أبا عبد الله محمد العربي بن المختار الجامعي[3] فقدم رباط الفتح وجمع أعيانها وخيرهم فيمن يتولى عليهم فاختاروا الزبدي، فولاه السلطان عليهم وحمدوا سيرته. وبعد نحو ستة أشهر قدم السلطان رباط الفتح وتريث بها مدة حتى نقر عن رءوس الفتنة فقبض عليهم وعلى قائدهم الزبدي، وبعث بهم إلى فاس فسجنوا بها ثم سرحوا بعد حين. هـ[4].

---

(1) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري: 8/ 94.

(2) في (ح)، والمطبوع: (مرضوا).

(3) هو: محمد بن العربي بن المختار بن محمد بن عبد الملك الجامعي، الوزير، كان رحمه الله فقيهاً نبيهاً، رئيساً، ترقى إلى وزارة الحرب في دولة السلطان محمد بن عبد الرحمن، وبايع ولده الحسن، فأقره على وزارة الحرب، وكان ذا سيرة حسنة. انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 7/ 214.

(4) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري: 9/ 54.

ومن هذا الحين سكنت حدة الرباطيين فلم يعودوا للتظاهر بتلك الحدة الناشئة عن طبيعتهم طبيعة الآباء التي لا تتحمل الهون، والهمة العلياء التي لا ترضى بالدون، اللهم إلا بعض مظاهرات شاهدنا منها مظاهرتهم عند مبايعة المولى عبد الحفيظ[1]، وكانت ضد باشا الرباط وقاضيه إلى أن انتهت بحملهما على المبادرة للدخول فيما دخلت فيه الجماعة بعد انكسار مولاي عبد العزيز، ثم مظاهرتهم بدار الإقامة العامة عند حادثة انقطاع دخول العجم للرباط، ومظاهرتهم بدار المخزن عند حفر نفق السكة الحديدية بالمقبرة العمومية، ثم مظاهرتهم [ضد تصريحات رئيس الغرفة التجارية بالدار البيضاء][2] حول مسألة التعليم، وغيرها من المظاهرات التي انتهت في الحين، لكن عن ضرب من السياسة أو الكياسة.

(نوادر تاريخية بالرباط)

من النوادر التاريخية بالرباط ما ذكره الضعيف في حوادث سنة [86/أ] 1219 قال: "إنه في يوم الجمعة 24 جمادى الأولى من السنة المذكورة نوَّب السيد الزاكي بن أحمد التلمساني خطيب جامع السويقة برباط الفتح مَحمد المهدي مرين ليخطب له بالجامع المذكور، ثم إن العربي روديباس الأندلسي تكلم مع محمد بن الجيلاني قريون المحتسب برباط الفتح على أن لا يخطب مَحمد مرين، فذهبا للناظر وهو الحاج محمد [والزهرا][3] الرباطي وتكلما معه على أن لا يخطب مَحمد بن المهدي مرين، فاتفقا على ذلك وذهبا للقاضي أحمد

---

(1) هو: أبو المواهب، عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد الحسني العلوي، من سلاطين الدولة العلوية في المغرب الأقصى، كان فقيهاً أديباً، ولد بفاس، ونشأ في قبيلة بني عامر جنوب غربي مراكش، وتوفي والده السلطان حسن وخلفه أخوه عبد العزيز بن حسن، فانتدب عبد الحفيظ، خليفة له بمراكش، فنادى به الجنود وأهل القبائل الحوزية سلطاناً فيها سنة 1325 هـ، وانقسمت الدولة بين عبد العزيز في فاس وأخيه عبد الحفيظ في مراكش، وكانت البلاد مستقلة، فاتخذ عبد العزيز من ممثلي الألمان أنصاراً، واتخذ عبد الحفيظ من الفرنسيين أولياء، وخلع عبد العزيز بفاس وانتظم الأمر لعبد الحفيظ؛ فانتقل إلى العاصمة فاس، ثم ثارت عليه قبائل بني مطير وشراقة متفقة مع القبائل النازلة بجوار فاس، وحاصرته، وقام أخوه المولى زين بثورة في مكناس، فاستولى عليها، وألف حكومة، ودعا إلى نفسه، فلجأ عبد الحفيظ إلى طلب عون الحكومة الفرنسية، وسرعان ما أجابت وأعلنت بعد ذلك الحماية على المغرب وأجبر على التنازل عن العرش ونفي سنة 1330 هـ ووَلي مكانه أخوه يوسف وظل في منفاه إلى أن توفي سنة 1356 هـ. انظر ترجمته في: الدرر الفاخرة، لابن زيدان، ص: 117، ودروس التاريخ المغربي، 5/ 266. وكتاب هذه مراكش، لعبد المجيد بن جلول 69.

(2) سقط من (ح)، و(ع) واستدركه في الهامش.

(3) في (ع): (وزهرا).

الحكموي[1]، وقصا عليه الأمر فوافقهم وبعث لِمَحمد بن محمد بن جلون وأمره بالخطبة بالجامع المذكور، فذهب مَحمد بن جلون للجامع على أن يخطب ويصلي الجمعة، ولم يشعر بذلك مَحمد بن المهدي مرين، فلما وصل الزوال ذهب مَحمد مرين للجامع ليصلي بعد أن يخطب بالناس، وكان قد أعلم المصطفى المؤذن بذلك وقال له: إني لا أدخل المقصورة ولكن أجلس أمام المنبر، فإذا أذن المؤذن أطلع للمنبر وأخطب وأصلي. فلما وصل وقت الصلاة أتى مَحمد بن جلون ودخل المقصورة فلما رأى ذلك المصطفى المؤذن أعلم مَحمد مرين بأن مَحمد بن جلون في المقصورة فقال مَحمد مرين للمصطفى المؤذن سر لِمَحمد بن جلون وقل له أن الزاكي بن أحمد التلمساني أنابني على أن أخطب وأصلي لأنه مريض. فذهب المصطفى المؤذن وأعلم مَحمد بن جلون فأطرق برأسه وسكت، فرجع المصطفى المؤذن وأعلم مَحمد بن المهدي مرين بذلك فرفع نعليه وخرج في الحين وصلى بالجامع الكبير، ثم خرج لدار الزاكي بن أحمد التلمساني الإمام بجامع السويقة وأعلمه بذلك، فتغير وقال: لم آمره بذلك. ثم قطع مَحمد مرين لسلا والتقى بِمَحمد السلاوي وقص عليه الخبر فبعث في الحين لِمَحمد بن جلون على أن يأتي به مقبوضاً، وبعث للمحتسب [86/ ب] محمد قريون فجاء إليه مَحمد بن جلون فقال له السلاوي: ما الذي حمل على الصلاة من غير إذن إمامه وهو الزاكي؟ فقال: إني خطبت بإذن القاضي وهو الذي أمرني بذلك. وأقسم أنه لم يشعر حتى صلى الجمعة، وكان في يمينه كاذباً، ثم أمره السلاوي بالانصراف من سلا للرباط، ثم بلغ قريون المحتسب للسلاوي فوبخه وأراد أن يقع به فقال: إن أهل حومة السويقة لم يريدوا الصلاة وراء مَحمد مرين، وإني بريء من ذلك، إلا أني أتيت المقصورة وقلت لِمَحمد بن جلون أن مَحمد مرين هنا في الجامع أراد الصلاة.

فقال له السلاوي: هل أعلمت مَحمد بن جلون قبل الصلاة أو بعدها؟ فقال: قبل. فقال: وكيف يكذب علي ويقول ما شعر بِمَحمد مرين حتى صلى إو الله إو الله.

ثم قال السلاوي لقريون: إن لم تبرئ نفسك من هذا الأمر أفضحك. فذهب قريون للقاضي وطلب منه البراءة، فكتب القاضي الحكموي لمحمد السلاوي وأنه هو الذي أمر ابن جلون بالصلاة: وأما قولك أن الطلبة الذين اتفقوا على هذا أني لا علم لي بهم، وأني أمرت مَحمد بن جلون بالخطبة لكن لم أشعر بأن الزاكي نوب مَحمد مرين. ثم قطع السلاوي للرباط

(1) انظر ترجمته في الاغتباط ترجمة رقم (14) ص: 222.

يوم السبت الثاني من جمادى الثانية للرباط فالتقى بِمَحمد بن جلون بقرب سيدي الحسن بن سعيد[1] فقال له السلاوي: أجي كيف تكذب علي وتقول إني ما شعرت بمحمد مرين حتى صليت الجمعة؟! والله إذا علمت أنك طلعت على عود من أعواد المنبر حتى أجعلهم على ظهرك وأحرقك بهم.

وكان السلاوي قد قال لِمَحمد مرين: هل لك بينة على أن الزاكي نوبك؟ فقال: نعم. فقال: إئتني بها.

فذهب للزاكي وأشهد بخطه أنه هو الذي نوب مَحمد مرين وشهد أيضا محمد بن مالك الفلالي بذلك، ثم إن محمد بن جلون أتى بالعوريط لِمَحمد مرين على أن لا يمشي للسلاوي فسكت[2].

[87/ أ] وذكر الضعيف من النوادر أيضاً أنه في يوم الجمعة 10 رجب عام 1226لم يجد الناس من يصلي بهم صلاة الجمعة بالجامع الكبير بالرباط حتى [فات][3] وقت الظهر من أجل السيد المفضل بن الحفيان[4] من أولاد سيدي محمد الشرقي، كان إماماً بالجامع المذكور بإذن القاضي عبد القادر مرين، ومر يشتكي على السلطان من أجل السجن، وهو الحبس الذي أمر السلطان ببنائه بقرب داره بدرب الحوت على أن لا يكون بقرب داره، فذهب مؤذن الجامع المذكور للفقيه السيد أحمد الحكموي، وأعلمه بأن الناس لم يجدوا من يصلي بهم صلاة الجمعة، فأبى وأشار عليه بأن يمر على السيد محمد بن التهامي بن عمرو[5]، فمشى إليه المؤذن المذكور، فمر معه ليخطب ويصلي بالناس. فلما طلع فوق المنبر أنزله منه المؤذنون وقالوا له: حتى [نستأذن][6] القاضي عبد القادر مرين. فذهب أحمد مارسيل موقت الجامع والحداد المؤذن للقاضي -وكان بجامع القصبة يصلي بالناس- فأخبروه بالخبر المذكور، فأذن للتهامي متجنوش[7] أن يخطب بالجامع المذكور، فلم يحفظ خطبة، وتوقف وفات وقت

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 140، ص: 461.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 623.

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(4) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 174، ص: 521.

(5) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 75، ص: 342.

(6) في (ح): (تستأذنوا).

(7) انظر ترجمته في الاغتباط، برقم (176)، ص: 522.

الجمعة، فأمكن التهامي متجنوش بخطبة مكتوبة كانت مع المكي بناني، فدهش [وتاه][1] ولم يدر ما يقول مع كون الخطبة مكتوبة بيده ولحق وقت صلاة العصر .هـ[2].

ومن النوادر أيضاً حادثة التعييد عيدين [المذكورة][3] في الاستقصا قال:" إنه في سنة اثنتين وتسعين ومائتين وألف اتفق أن وقعت نادرة برباط الفتح، وهي أن جماعة من شهود اللفيف اثني عشر جاءوا إلى القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم[4] رحمه الله ليلة التاسع والعشرين من رمضان وشهدوا عنده أنهم رأوا هلال شوال بعد الغروب رؤية محققة لم يلحقهم فيها شك ولا ريبة، فسمع القاضي [87/ب] شهادتهم وسجلها وكتب للسلطان بذلك وهو بقرميم، فارتحل السلطان في جوف الليل ودخل الرباط في هذه الليلة، وأصبح من الغد معيداً، وعيد أهل العدوتين وأعمالها والجم الغفير من أهل المغرب الذين حضروا مع السلطان، ولما كان ظهر ذلك اليوم وهو التاسع والعشرون من رمضان حقق الفلكيون من أهل الدولة أن العيد لا يمكن أن يكون في ذلك اليوم، وتكلموا بذلك وفاهوا به، فكثر الكلام بذلك وكان جل الناس على شك أيضاً. ولما حان وقت الغروب ارتقب الناس الهلال والسماء مصحية ليس فيها قزعة، فلم يروا له أثراً، فأمر السلطان أعزه الله بالنداء وأن الناس يصبحون صياماً؛ لأن رمضان لا زال. فصام الناس من الغد وبعد ذلك ظهر الهلال ظهوراً معتاداً وتبين كذب الشهود فسجنوا ثم سرحوا بعد حين.هـ[5].

---

(1) في المطبوع: (وتلف).

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 667.

(3) في (ح): (المذكورين).

(4) انظر ترجمته في الاغتباط برقم 91، ص: 375.

(5) انظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، للناصري: 9/ 147.

(نظرة عمومية حول الرباط وأهاليه)
(وهي خاتمة المقدمة)

أهل الرباط على العموم هم أهل [مدنية][1] لا يعادلهم فيها إلا أهل فاس وتطوان نظراً لأصلهم الأندلسي الأصيل في العراقة والحضرية التي نشاهد من آثارها في الرباط والرباطيين ما هو ظاهر ظهور الشمس في معارفهم وآدابهم وصنائعهم، ولذا كان الرباط - ولم يزل آهلاً بالأدباء والكتاب والشعراء إلى ما فيه من الصناع المجدين والتجار الأذكياء المجدين فضلا عن اليد العاملة بكل كد وجد وبيوتات الرياسة والعائلات الكبرى العريقة في المجد، ولا تسل عن حالته العلمية والأدبية فالرباط في الصف الأول بين المدن المغربية، وكل شبانه اليوم مقبلون على المدارس [88/أ] للتعلم والتفهم مدمنون على التغذي بلبان المعارف على اختلافها وتنوع مشاربها، ولهم شغف بمطالعة الجرائد والمجلات العلمية، وتعلق بالعلوم العصرية وماجريات الأحوال الوقتية، مما يدل على تنور فكرتهم وسلامة فطرتهم، وأن لهم مستقبلاً في الرقي يغار منه الماضي بحول الله، ولا حول إلا بالله.

ومما عرف به أهل الرباط الإقدام والنجدة وطبيعة الحدة، كما يدل عليه ما قدمناه من الحوادث التاريخية قديمها وحديثها، وعرفوا أيضاً بشيمة الإباء والهمة الشمَّاء إلى حد يظنه الجاهل كبراً فيهم، وهم من ذلك برآء - اللهم إلا على أهل الكبر فنعم - (والتكبر على أهل الكبر عبادة)[2]، ومن أخلاقهم التقرب للغريب والإحسان إليه بقدر الإمكان، والعناية بالضيف ولاسيما إذا كان من أهل الفضل، وهو معنى ما يجري على ألسنة العامة في قولهم: مولاي إبراهيم كرام الضيف. إلا أنهم وإن بالغوا [وبلغوا][3] ما بالغوا لا يبلغون شأو أهل فاس ومراكش في هذا الباب.

وكان الرباطيون قديماً في حكم البدويين فلم يكن فيهم إلا من يعتمد على نفسه في

---

(1) في (ح): (مدينة).

(2) هي عبارة مشهورة ولا أصل لها وأورد الملا علي في الأسرار المرفوعة، ص:163، العبارة هكذا "التكبر على المتكبر صدقة".

(3) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

فلاحته ودراسته وماشيته واستنتاج ذلك للانتفاع به في القيام بشئون معيشته، ثم صار الرباطي اليوم تبعاً للظروف منغمساً في بحار الترف ميالاً للدعة والراحة واستكثار الأقوات والملابس والتأنق فيها والتطاول في البنيان، وذلك ما عمت به البلوى إلا من لم يجد (ومن العصمة أن لا تجد). ومن أوصافهم العامة المحافظة على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم غالباً، ثم تعظيم الأشراف والعلماء وكل من كان من أهل الخير والصلاح والدين مع العناية التامة بالأيام الفاضلة والجمع والأعياد والمولد النبوي وسائر المواسم الدينية التي لا يشينها إلا ما يحيط بها في الغالب من المكاره والبدع - وكلنا اليوم بدع - ولا سيما في عوائدنا الأهلية وقواعدنا البيتية.

هذه نظرة عمومية حول أهالي مدينة الرباط، وأما نفس المدينة فإذا ألقينا نظرة عمومية حول ما اشتملت عليه من آثار الاستعمار داخل الأسوار المحيطة بها إحاطة السوار تجدها تنقسم إلى ثلاثة مناطق: منطقة شرقية وهي منطقة حسان والإقامة العامة القديمة والجديدة ومساكن أكدال الكبير ودار المخزن وأتواركة، ومنطقة غربية وهي منطقة المدينة الأصلية والقصبة والمرسى والمدرسة والمقبرة العمومية، ومنطقة جنوبية وهي منطقة الأقيانوس والمحطة العسكرية والمستشفيات الطبية ودار القبيبات السلطانية [والمقبرة الإسرائيلية][1] وعدة أبنية أوروبية وبساتين وأجنة رباطية. تقدر مساحة المنطقة الأولى بثلاثمائة وسبعة وخمسين هكتاراً، ومساحة المنطقة الثانية باثنين وتسعين هكتاراً، ومساحة المنطقة الثالثة بأربعمائة وخمسين هكتاراً، فيكون المجموع ثمانمائة وتسعة وتسعين هكتاراً، تتخللها عدة حومات وشوارع قديمة وحديثة أبهجها اليوم شارع دار المخزن، فقد كثرت الأبنية الجميلة في ذلك الشارع البهيج ولا زالت الهمة مصروفة في تشييد أبنية عديدة أخرى على جانبيه بحيث لا تمر مدة قصيرة حتى تتضاعف عمارته ويعظم فيه الروجان، ضرورة أنه يوجد بوسط المدينة وبالقرب من سوقها البلدي الجديد، وبه توجد بناية البريد الضخمة وبناية البنك المخزني العجيبة وبناية البنك الجزائري التونسي [88/ ب] وقصر المحكمة الفرنساوية الاستئنافية وغيرها.

أما الشارع من حيث هو فقد بالغت بلدية [العاصمة][2] جهدها في تحسينه وتنميقه إلى

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع، وأثبتها (ع) ثم ضبب عليها.
(2) في (ح): (العاصمية)، وهو خطأ.

حد جعله بهجة للناظرين ونزهة للسائحين.

وبالجملة المغنية عن التفصيل، إن كل من قابل بين حالة الرباط بالأمس وحالته اليوم من سائر الحيثيات والاعتبارات يقضي كل العجب من البون الشاسع والفرق الواقع بين الحالتين، [فقد كانت الرباط بالأمس في حالة إذا ذكرناها تروعت لذكراها النفس، وتأوهت الجوانح والجوارح، فأين نحن منها الآن][1] فقد خطت الرباط في سبيل الإصلاح خطوة واسعة المدى، رصفت طرقاتها [ونمقت][2] حوماتها، وأنشئت فيها المستشفيات والملاجئ الصحية والمدارس العلمية والمعامل الصناعية والأهرية التجارية، وغيرها من الأبنية الضخمة التي أصبحت بها الرباط تجر ذيول الفخر على كثير من المدن المغربية.

بالأمس كانت [المياه آسنة والأسواق مكفهرة][3] والشوارع مظلمة والطرقات كلها أوحال وإلا فغبار أو رمال، ولا سيما حول شاطئ الوادي والبحر حيث المرسى محصور بالرمل والصخر فلا أجفان ولا روجان.

وأما اليوم فـ [المياه طيبة الموارد و][4] المرسى عامرة بالصادر والوارد، والأجفان تغدو وتروح المراكب داخلة خارجة في الغبوق والصبوح، والسلع متوفرة والأمتعة مدخرة والأنوار الكهربائية متألقة الأضواء في الشوارع والأرجاء والأسلاك [89/ أ] ممتدة في سائر الأنحاء، إلى غير هذا مما يشاهده الرباطي من معالم الإصلاح وعلائم الخير والصلاح.

فلا عجب إذا أصبح الرباط وهو العاصمة الإدارية والمخزنية مع ذلك كله مشمولاً بعناية ورعاية الحكومة التي تتبع إصلاحاته على شكل هندسي عجيب يجعله في تبرجه وتبرزه كالعروب العروس بين باقي المدن الجميلة المقصودة للنزهة من الأقارب فضلاً عن السواح والأجانب.

ولنختم هذا الموضوع بهذا الوصف الجامع للشاعر المطبوع، قال من قصيدة:

وَ فِـي ثَغْـرِ الرِّبَـاطِ نَظَـرْتُ خُـوداً ... بِـأَثْوَابِ الْجَمَـالِ مُوَشَّـحَاتِ
تَغَـانَوْا بِالْقُـدُودِ عَـنِ الْعَـوَالِي ... وبِالأَجْفَـانِ عَـنْ حَمْـلِ الْقَنَـاةِ

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.
(2) في (ح)، و(ع): (نظفت).
(3) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.
(4) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوع.

فَلَمْ أَرَ قَبْلَهُنَّ شُمُوسَ خِدْرٍ يَلُحْنَ مِنَ الْعُلُوِّ بِأَكْسِيَاتِ
فَلَيْتَ الْحَائِكِينَ لَهُنَّ مَاتُوا جَمِيعاً قَبْلَ صُنْعِ الأَرْدِيَاتِ
سَقَى غَيْثُ السُّرُورِ الصَّفْوُ صِرْفاً رِبَاطَ الْفَتْحِ عَاصِمَةَ الْحُمَاةِ
بِلادٌ تَكْفُلُ الآرَامَ فِيهَا ضَرَاغِمُهَا وجُرْدَ الصَّافِنَاتِ
بِلادٌ تُشْرِقُ الأَقْمَارُ فِيهَا بِأَطْوَاقٍ وتُحْجَبُ بِالظُّبَاةِ
بِلادٌ قَدْ غَدَا فِيهَا مُقِيماً أَمِيرُ الْقُطْرِ مَحَّاقُ الْبُغَاةِ
بِلادٌ أَكْبَرُ الْعُلَمَاءِ فِيهَا غَدَا مُتَصَدِّراً لِلْمَوْعِظَاتِ
بِلادٌ أَعْظَمُ الْوُزَرَاءِ فِيهَا وفِيهَا مَنْ عَلِمْتَ مِنَ الدُّهَاةِ
تَأَمَّلْ فِي مَرَابِعِهَا تَجِدْهَا مَرَابِعَ زَاهِرَاتٍ زَاهِيَاتِ
مُنَظَّمَةٌ شَوَارِعُهَا ولَكِنْ عَنِ الأَدْرَانِ طُرّاً خَالِيَاتِ
تَأَمَّلْ فِي مَسَاجِدِهَا تَجِدْهَا بِأَمْوَاجِ الْخَلائِقِ عَامِرَاتِ
مُنَظَّفَةٌ مُعَظَّمَةٌ ولَكِنْ لأَشْتَاتِ الْمَحَاسِنِ جَامِعَاتِ
[89/ب]لَهَا سُرُجٌ تُنَارُ بِكُلِّ لَيْلٍ فَتَسْطَعُ كَالنُّجُومِ الزَّاهِرَاتِ
يَخَالُ النَّاظِرُونَ لَهَا قُصُوراً ضِخَاماً لِلْمُلُوكِ مُشَيَّدَاتِ
وَ فَتِّشْ عَنْ مَدَارِسِهَا تَرَاهَا بِطُلابِ الْمَعَارِفِ آهِلاتِ
بِهَا الشُّبَّانُ عَاكِفَةٌ عَلَى مَا يُفِيدُ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَاتِ
عُلُوماً فَضْلُهَا أَمْسَى جَلِيّاً غَنِيّاً مِنْ جَمِيعِ الْبَيِّنَاتِ
عُلُوماً لا حَيَاةَ الْيَوْمَ فِيمَا أَرَاهُ بِدُونِهَا فِي ذِي الْحَيَاةِ
عُلُوماً حَسْبُ دَارِسِهَا افْتِخَاراً تَعَلُّمُهُ لِسَيِّدَةِ اللُّغَاتِ
عُلُوماً لَوْ قَرَأْنَاهَا قَدِيماً لَمَا كُنَّا مِثَالَ الْعَجْمَوَاتِ
وَ لا كُنَّا تَرَكْنَاهَا اخْتِيَاراً فَجِئْنَاهَا اضْطِرَاراً كَالْعُفَاةِ
وَ أَعْجَبُ مَا رَأَيْتُ لَهَا حَدِيثاً دَيَاراً وَاسِعَاتٍ شَاهِقَاتِ
يُوَافِيهَا الْمَرِيضُ بِكُلِّ رَدْحٍ فَيُشْفَى مِنْ جَمِيعِ الْمُوجِعَاتِ
لِذَلِكَ سُمِّيَتْ فِي كُلِّ حَيٍّ مِنَ الأَحْيَاءِ بِالْمُسْتَشْفَيَاتِ

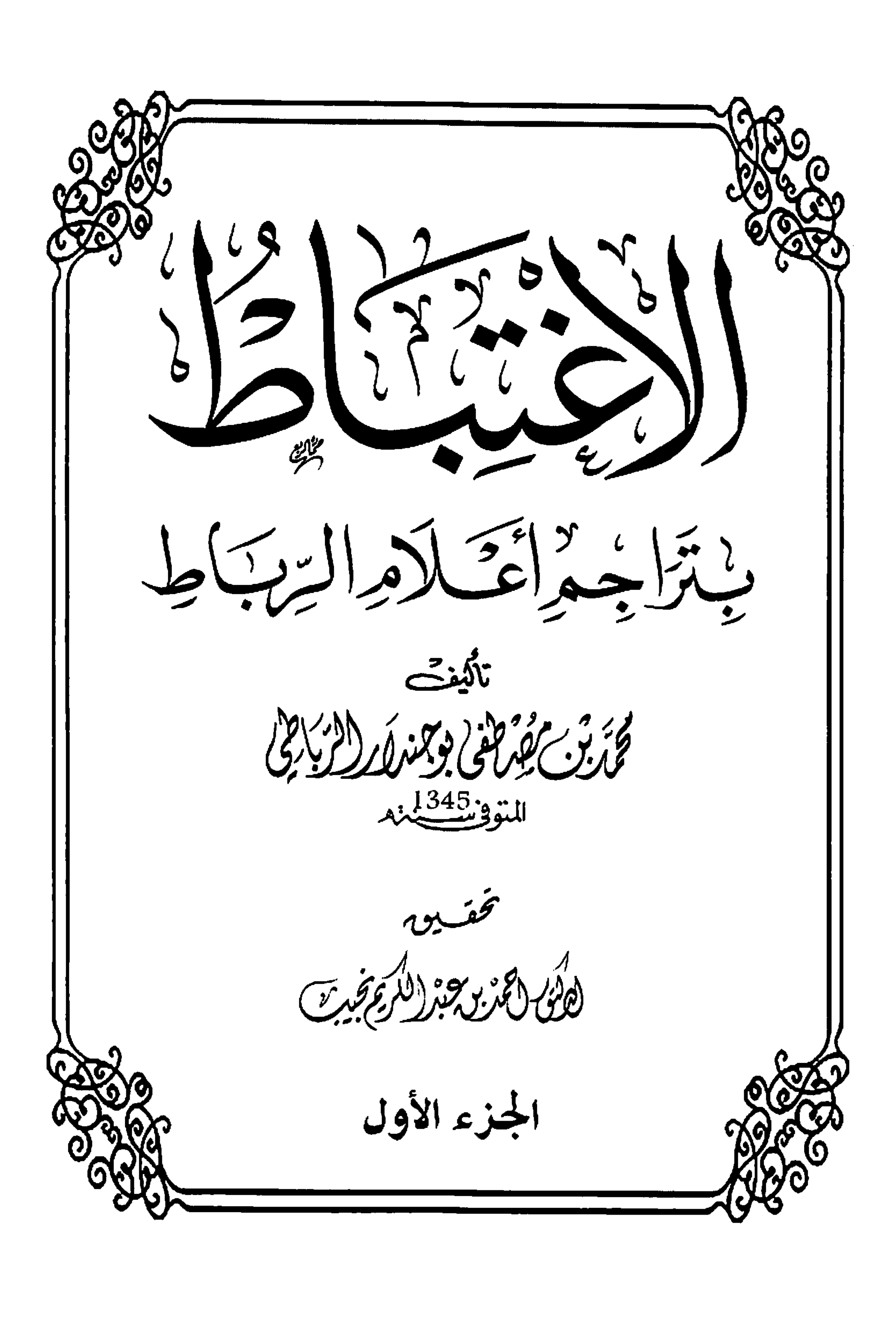
ويحسن أن تكون كلمة مستشفى هي خاتمة المقدمة تفاؤلاً بالشفاء لأني منذ اشتغلت بتحرير هذا الكتاب وأنا في أسقام وآلام، قلب لي بها الدهر ظهر المجن، وجرعني ما جرعني من الإحن والمحن، ولست أشكو إلا إليه تعالى ومنه أسال الفرج راجياً من الواقف على هفواتي أن يعتذر بها اعتذر الله به عني، وليس على المريض حرج، إذ قلما يخلو مؤلف من سيئات، و﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: 114]، وكان تخريج هذا الجزء في غضون عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف.

[وسيليه بحول الله الجزء الثاني المنصوص بمن اسمه أحمد ومحمد من تراجم الأعلام، أعاننا الله على التمام][1].

وكتبه خديم العلم والأدب والتاريخ محمد بن مصطفى بوجندار، الرباطي [90]: الأصل والدار، شفاه الله آمين بالأمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم وبالنفع عم

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من المطبوعة، وأثبته (ع) ثم طمسه.


الاغتباط
بتراجم أعلام الرباط
تأليف
محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي
المتوفى سنة 1345
تحقيق
الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب
الجزء الأول



مقدمة المصنف

قال مؤلفه سامحه مولاه: «إنه لا بد في كل مشروع من فاتحة يُبْتَدَأُ بها قبل الشروعِ، وفاتحة مشروعي هذا حمدُ من جَعَلَ في سيرةِ الغابرين عبرةً للحاضرين، وفي أثر الأولين موعظةً وذكرى للمؤمنين، والصَّلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العالَمين وسند العالِمين وعلى آله وأصحابه الهادين المهتدين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والرضى عن ساداتنا العلماء الأعلام من أئمة الدين سلام عليهم لا نبتغي الجاهلين، وبعد:

فهذا بحول الله ما عنيت بجمعه في كتابي التاريخي الذي وسمته: "الاغتباط بتراجم أعلام الرباط":

بِـــلادٌ بِهَـــا نِيطَـــتْ عَلَـــيَّ تَمَـــائِمِي ... وأَوَّلُ أَرْضٍ مَـــسَّ جِلْـــدِي تُرَابُهَـــا[1]

هذه البلاد التي أنجبت من الأئمة الأعلام والرجال العظام ما ترك المتأخرين يرجعون باللائمة على المتقدمين في إهمالهم وإغفالهم ذكر أحوالهم، وما كانوا علية من الآداب في أقوالهم وأفعالهم، مع أن معرفة تراجم العلماء العاملين والوقوف على مناقب أولياء الله الكاملين من أفضل ما وجهت إليه العناية من أهل الدراية والرواية لما في ذلك من العظة بأقوالهم والعبرة بأحوالهم والتعرض لاستمطار سحائب الرحمات واستنشاق عاطر النفحات:

اذْكُـــرْ حَـــدِيثَ الـــصَّالِحِينَ وسَـــمِّهِم ... فَـــبِذِكْرِهِمْ تتَنَـــزَّلُ الـــرَّحمَاتُ

وَانْـــشُرْ فَـــضَائِلَهَمْ وأَرِّخْ مَـــوْتَهُم ... وقُـــبُورَهُمْ زُرْهَـــا إِذَا مَـــا مَـــاتُوا[2]

رأيت في كتاب: "المجد الطارف والتالد" للعلامة الأديب السيد محمد الأمين الصحراوي[3] عند ذكر رحلته بالرباط أنه لما سأل علماء الرباط هل تحت يدهم تاريخ عرَّف

---

(1) أورد البيت ابن منظور في لسان العرب: 7/ 418، معزواً لرقاع بن قَيْس الأسدي.

(2) أورد البيتين ابن عيشون في "الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس"، ص: 48، ومحمد بن جعفر الكتاني عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي، المنتوري القيسي، المتوفى سنة 834هـ. انظر: مقدمة سلوة الأنفاس: 1/ 12.

(3) هو كتاب "المجد الطارف والتالد على أسئلة الناصري سيدي أحمد بن خالد" لأبي عبد الله محمد الأمين الصحراوي الحجاجي، الجعفري، المراكشي وفاة، أحد فضلاء المغرب، ضمنه أخبار رحلته إلى مدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب، وأجاب فيه على أسئلة سأله عنها الشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي صاحب كتاب "الاستقصا" وتوجد منه نسخة =

بعلماء وأولياء بلدهم، أجابوه بأنهم ما وقفوا على شيء من ذلك.

قال: "فقلت الأمر لله سبحانه هذه عادة علماء مغربنا يميتون مآثر علمائهم بخلاف أهل المشرق وعلماء الأندلس وغيرها، ولو اعتنى علماء مغربنا هذا بمآثر من دخل فاساً[1] ومراكش[2] من علماء الأندلس وغيرها لكان من العلم والفائدة أمر جليل، ولو وجدت خزانة تفي بالغرض لقضيت بالقرب هذا الحق الواجب المفترض بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي". اهـ. أقول وإذا كانت العلوم كما قال ابن مالك[3]: "منحاً إلهية ومواهب اختصاصية؛ فلا يستغرب أن يدخر للمتأخرين ما صعب إدراكه على المتقدمين..."[4].

وقد منَّ الله عليّ ولله الحمد فجمعت من تراجم علماء وأولياء الرباط ما يقارب الثلاثمائة ترجمة، كلها أو جلها كانت في حيز خبر كان، (وليس في الإمكان أبدع ممّا كان)، ولعل في هذا القدر من أداء الغرض ما يسقط على علماء بلدنا ذلك الواجب والحق المفترض، بل فيه ما يحمل ذلك الأديب الصحراوي على الاعتراف بفضل العصر الحاضر مع التماس العذر لأهل الجيل الغابر، وكم ترك الأول للآخر:

وَإِنْ كُنْتُ فِي زَمَنِي لاحِقاً فَكَمْ سَبَقَ اللاحِقُ السَّابِقَا =

مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (588ك). انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 7/ 21، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 269، والأعلام، للزركلي: 6/ 42.

(1) مدينة فاس أسسها المولى إدريس الثاني سنة 192هـ فهي أقدم العواصم الملكية بالمغرب تقع في أقصى غرب سهل السايس الغني، وهي تضم حيين يفصلهما بوخراب (الوادي الحار) - مصرف المدينة - وهما عَدْوة القرويين على الضفة اليسرى، وعَدْوة الأندلس على الضفة اليمنى، أما فاس الجديدة على مقربة منها فقد أسسها المرينيون على أرض منبسطة وعلى مستوى أكثر ارتفاعاً من مستوى فاس القديمة. انظر: جغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 63.

(2) مراكش وهي المدينة الحمراء تقع في الجنوب بالمغرب، أسسها يوسف بن تاشفين أعظم ملوك المرابطين عام 454هـ، عاصمة الجنوب، تقع جنوب جبال الأطلس الكبير بالقرب من وادي "تنسفت"، وتمتاز بالنخيل الباسق ومن ورائه الجبال تكسوها الثلوج. انظر: جغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 67 - 70.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، ابن مالك، الطائي الجياني، اللغوي المقرئ، جمال الدين، إمام العربية، وفحل النحو والصرف، صاحب الألفية وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، المولود في جيان بالأندلس، والمتوفى بدمشق سنة 672هـ. انظر ترجمته في: حسن المحاضرة، للسيوطي: 2/ 174، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: 1/ 357، والوافي بالوفيات، للصفدي: 3/ 366، والوفيات، لابن قنفذ: 1/ 11، وشذرات الذهب، لابن العماد: 5/ 419.

(4) قال ابن مالك في خُطبة التسهيل ما نصه: وإذا كانت العُلوم مِنحاً إلهية ومواهب اختصاصيّة فغير مُستبعَدٍ أن يُدَّخر لبعض المتأخرين ما عَسُر على كثير من المتقدِّمين والمعنى أن تَقدُّم الزمان وتأخُّره ليست له فضيلةٌ في نفسه لأن الأزمان كلها متساوية وإنما المعتَبر الرجالُ الموجودون في تلك الأزمان فالمصيب في رأيه ونقله ونقده لا يضرُّه تأخُّرُ زمانِه الذي أظهره الله فيه" اهـ. نقلا عن الزبيدي في مقدمته لتاج العروس (1/ 46).

ولقد أجهدت نفسي في الاطلاع والبحث والتنقيب في عدة كتب ومسانيد وفهارس وتواريخ ومجامع ورسوم وأنكحة وشجرات وكنانيش إلى أن تيسر لي من ذلك ما يسرُّ الفؤاد ويثلج الصدر، ويشرح النفس ويضحك الثغر، وذلك ما ذكرته في هذا الكتاب مرتباً على حروف المعجم؛ ليسهل الكشف عما أبهم، وقدمت ذكر من اسمه أحمد ومحمد لشرف الاسمين؛ والبشرف من دواعي التقديم بلا مَين؛ بادئاً بالأقدم فالأقدم عند الاشتراك في الاسم [الأعم ولا عليَّ في الأهم][1] ومن لم أقف على تاريخ توفيه ذكرته في القرن الذي كان فيه، أثناء من يقاربه أو يقارنه في الزمان حسب الإمكان. وذكرت كثيراً ممن اشتهروا بالولاية والصلاح ولم يشتهروا بالعلم تبعاً لكثير من المؤرخين، وتبركاً بخدمة عباد الله الصالحين.

ولم أذكر إلا الأموات إحياءً لذكرهم وأداءً لواجب شكرهم؛ [ومن ورَّخ مؤمناً فقد أحياه واستوجب شفاعته ورضاه وتعرض لاستنشاق نفحات الوهب من الله][2].

ففي كتاب "الجواهر المضيئة"[3]: "إنَّ ذكر فضائل العلماء تُعَرِّض لنفحات الوهب من الله، فإن ذكرهم بالفضائل ذكرٌ لله بالإنعام والإفضال وثمرة ذكر الله طمأنينة القلب كما نطق به الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ونقل مفتي اليمن السيد عبد الرحمن بن سليمان الزبيدي[4] عن خط أبيه عن بعض رسائل مسند مكة الشيخ حسن العجيمي[5]: أن من ورَّخ مؤمناً من أهل الفضل والكمال فهو في شفاعته". اهـ ورحم الله من قال:

أَرِّخْهُمُ تَظْفَرْ بِأَجْرٍ وأُجْرَةٍ ... فَبِذِكْرِهِمْ يُجْلَى عَنِ الْقَلْبِ الصَّدَى

وفي كتاب: "الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية وما في حكمها من السادات

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(3) هو كتاب:"الجواهر المضية في تراجم السادة الحنفية"، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله بن سالم، المعروف بابن أبي الوفا القرشي، المتوفى سنة 775هـ جمع فيه طبقات الحنفية بإعانة شيوخه فصار كتاباً كبيراً جامعاً لكثير من التراجم والفوائد الفقهية. انظر: الرسالة المستطرفة، للكتاني، ص:186.

(4) هو: عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، الزبيدي، اليمني، وجيه الدين، محدث، حافظ، فقيه، مفسر، أصولي، بياني، مشارك في بعض العلوم، توفي سنة 1250هـ. انظر ترجمته في: فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 250، والأعلام، للزركلي: 3/ 307، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 5/ 140.

(5) هو: أبو البقاء، حسن بن علي بن يحيى، اليمني أصلاً، المكي داراً، الحنفي المعروف بالعجيمي، المتوفى سنة 1113هـ له من التصانيف "خبايا الزوايا" ترجم به مشايخه ومن اجتمع بهم، و"إهداء اللطائف من أخبار الطائف"، و"تاريخ مكة والمدينة وبيت المقدس". انظر ترجمته في: فهرس الفهارس والأثبات، للكتاني: 1/ 448، والأعلام، للزركلي: 2/ 223.

العلوية ممن له ولاية ودولة في الأقطار المغربية" للشيخ الفقيه المحدث الحافظ المسند العارف محمد بن علي السنوسي المكي[1] ما نصه:

قال جار الله -يعني محب الدين الطبري المكي- في "تحقيق الصفا في تراجم بني الوفا"[2] ما نصه: وقد ورد في الأثر عن سيد البشر أنه قال: «من وَرَّخَ مُؤمناً فكأنما أحياهُ ومَنْ قَرَأَ تاريخَهُ فكأنما زَارَهُ ومن زَارَهُ اسْتَوْجَبَ رِضْوَانَ الله وحَقٌّ على المَزُورِ أنْ يُكْرِمَ زَائِرَهُ»[3]. اهـ.

وبالجملة ففي مثل أخبار ساداتنا الأعلام وشمائلهم والتطيب بطيب خمائلهم، تُسْتَنُّ جياد الأقلام وتتحلى أجياد الطُّروس بلآلئ النِّثَارِ والنِّظَام، إذ هُم العُرْوَةُ الوُثْقَى التي لا تَنْفَصِمُ والأَطْوَادُ العُلْيا التي ينجو بها مَنْ يَعْتَصِمُ، فهنيئاً لمن بقربهم يعتني ولثمار ذكرهم يَجْتَنِي، ولوِدَادِهم يقْتَنِي، وكيف لا والتودد إليهم سعادة والتملق على أعتابهم مجادة، والتحلي بذكرهم يوجب الحسنى وزيادة.

هُمُ الْكِرَامُ الأُلَى جَمَّتْ مَنَاقِبُهُمْ ... هُمُ الْهُدَاةُ لِمَنْ يُعْنَى بِتَسْدِيدِ
هُمُ الْبُدُورُ الَّتِي تُجْلِي أَشِعَّتُهَا ... لَيْلَ الرَّدَى والأَذَى عَنْ كُلِّ مَوْجُودِ
هُمُ الْحُمَاةُ فَمَنْ يَحْلُلْ بِسَاحَتِهِمْ ... يَلْقَ النَّجَاةَ ولَمْ يُقْصَدْ بِتَهْدِيدِ

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بهم، وأن ينظمنا في سِلْكِ حِزْبِهِم، وأن يمنع كل مانع ويصرف كل صارف وقاطع، وأن ييسر في الختام والانتهاء، كما يَسَّرَ في الافتتاح والابتداء، وأن يجعل هذا المؤَلَّف بحرمة النبي الكريم، خالصاً لوجهه العظيم، ومُوجِباً للفوز برضوانه الكبير، فهو نعم المولى ونعم النصير.

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن علي، السنوسي، الخطابي، الإدريسي، الحسني، المالكي، الشهير بابن السنوسي، المتوفى سنة 1276هـ انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 399، وفهرس الفهارس والأثبات، للكتاني: 2/ 1040، والأعلام، للزركلي: 6/ 299.

(2) هو كتاب: "تحقيق الصفا في تراجم بني الوفا"، لمحمد بن عبد العزيز بن فهد المكي الهاشمي الشافعي، الملقب بجار الله، المتوفى سنة 954هـ جمع فيه رجال الطريقتين الوفائية والشاذلية ورتبهم على الحروف. انظر: النور السافر في أخبار القرن العاشر، للعيدروس، ص: 241، وهدية العارفين، للبغدادي: 2/ 74، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 378، والأعلام، للزركلي: 7/ 79، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 10/ 175.

ولم أقف عند من ذكر جار الله وترجم له أنه طبري وإنما المحب الطبري من شيوخه.

(3) لم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر، وقد استشهد به المتأخرون بين ثنايا مقدمات كتب التراجم والتاريخ. انظر مقدمات الكتب التالية: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، للسنوسي، ص: 6 التي ذكر المؤلف، وأيضاً كشف الظنون، لحاجي خليفة، ص: 3، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 9، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 21.

ذكر من اسمه أحمد ومحمد

ذكر من اسمه أحمد(1)

*[1] أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، المكنى أبا المطرف(2) (المتوفى سنة 656هـ)(3)

قاضي الرباط وأحد القضاة الرباطيين الذين أغفلت ذكرهم في كتابي " تعطير البساط"(4)، ترجمه صاحب "الإحاطة"(5) وصاحب "الجذوة"(6)، وكلاهما صرَّحا بقضائه على الرباط، للرشيد أبي محمد بن أبي الوليد(7)، ولأخيه أبي الحسن المعتضد بعد وفاة الرشيد.

ومما نقله ابن الخطيب في حقه أنه: "كان أول طلبه شديد العناية بشأن الرواية فاستكثر

---

(1) هذا العنوان ساقط من (ح).

(2) انظر ترجمته في: الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب: 1/ 60، وهو أوسع من ترجم له، وجذوة الاقتباس، لابن القاضي المكناسي: 1/ 145، وعنوان الدراية في من عرف من علماء المائة السابعة ببجاية، للغبريني، ص: 178، والإعلام، للسملالي: 2/ 149، وبغية الوعاة، للسيوطي، ص: 137، ولسان الميزان، لابن حجر: 1/ 203، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 4/ 152.

(3) إضافة تاريخ الوفاة مقرونا برأس الترجمة من فعل محققه تيسيرا للقارئ فكثيرا ما يغيب في ثنايا الأخبار في الترجمات الطوال وهو ما اعتدناه في من نترجم له.

(4) هو كتاب: "تعطير البساط بذكر قضاة الرباط للمصنف" طبع على الحروف بفاس 1339هـ وقد أعدنا طباعته بتحقيقنا ونشر بمجلة قطر الندى الفصلية المحكمة في عددها الأول، قال في مقدمته لذلك الكتاب: "إني أذكر من القضاة كل من علمت بولايته على الرباط سواء كان رباطي الدار والأصل أو لا، وإنما اشترط العلم بولايته على الرباط على سبيل التحقيق، ومن ثم لم أذكر القاضي أبا المكارم أحمد بن عيسى آدم الرباطي.. وذلك لعدم تحققي بولايتهم على الرباط، وإن قيل بذلك وغاية ما وقفت عليه تحليتهم بالقاضي كما في نشر المثاني بالنسبة للأول.. وهل كانت ولايتهم بالرباط أو بغيره، لا أعلم".

(5) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد، اللوشي، الغرناطي، الأندلسي، لسان الدين، ابن الخطيب. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة، لابن حجر 3/ 469، ونفح الطيب، للمقري 4/ 240، وشذرات الذهب، لابن العماد: 6/ 244، والبدر الطالع، للشوكاني: 2/ 191.

(6) هو: أحمد بن محمد ابن أبي العافية، ويعرف بابن القاضي المكناسي، المؤرخ صاحب التآليف العديدة في الفقه والحساب والهندسة ومن آثاره: "جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام في مدينة فاس"، توفي ﷺ سنة 1025هـ انظر ترجمته في: صفوة من انتشر، للإفراني، ص:77، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 164.

(7) هو: أبو محمد، عبد الواحد بن إدريس بن عبد المؤمن بن علي الموحدي، الملقب بالرشيد ابن المأمون الموحدي، تولى بعد أبيه سنة 630هـ والمتوفى سنة 640هـ انظر ترجمته في: البيان المغرب، لابن عذاري: 4/ 306، والاستقصا، للسلاوي الناصري: 1/ 201.

من سماع الحديث، وأخذ عن مشايخ أهله، وتفنن في العلوم، ونظر في العقليات، وأصول الفقه، ومال إلى الأدب، فبرع فيه براعة عُدَّ بها من كبار مجيدي النظم، وأما الكتابة فهو علمها المشهور، وواحدها الذي عجزت عن ثانيه[1] الدهور، ولا سيما في مخاطبة الإخوان، هنالك استولى على أمد الإحسان، وله المطولات المنتخبة، والقصار المقتضبة، وكان يُملح[2] كلامه نظماً ونثراً بالإشارة إلى التاريخ ويودعه إلماعات بالمسائل العلمية منوعة المقصد.

قلت[3]: وعلى الجملة فذات أبي المطرف فيما ينزع إليه ليست من ذوات الأمثال فقد كان نسيجَ وحدِه إدراكاً وتفنناً، بصيراً بالعلوم، محدثاً مكثراً، راويةً ثبتاً، متبحراً في التاريخ والأخبار، ريان مضطلعاً بالأصلين، قائماً على العربية واللغةِ، وكلامه كثير الحلاوة والطلاوة، جم العيون غزير المعاني والمحاسن، شفاف اللفظ حرَّ المعنى، ثاني بديع الزمان[4] في شكوى الحرفة وسوء الحظ، ورونق الكلام ولطف المأخذ، وتبريز النثر على النظم والقصور في السلطانيات.

روى عن أبي الخطاب بن واجب[5] ، وأبي الربيع بن سلام[6]، وأبي عبد الله ابن فرج،

---

(1) كلمة غير مقروءة في (ح 1) وفي (ح) ثانيها والتصويب من الإحاطة.

(2) في (ح 1) كلمة مطموسة، وفي (ح): (يعلم)، والتصويب من الإحاطة.

(3) القائل لسان الدين ابن الخطيب، والفقرة بكاملها من الإحاطة، وانظر الإحاطة: 1/ 61.

(4) هو: أبو الفضل، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد، الهمذاني، الحافظ المعروف ببديع الزمان، أديب اشتهر بمقاماته الأدبية وشكوى الدهر من قلة ذات اليد على باع وصولة في الأدب. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر، للثعالبي: 4/ 256، ومعجم الأدباء، لياقوت: 2/ 161، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 1/ 127.

(5) هو: أبو الخطاب، أحمد بن محمد بن عمر بن واجب، القيسي البلنسي، القاضي، المتوفى سنة 614هـ. قال ابن فرحون: كان فاضلاً كامل الاشتغال بعلم الحديث حافظاً له متسع الرواية حريصاً على الإفادة والاستفادة وافر الحظ من علم العربية والأدب والتاريخ والنسب مع الدين المتين وكان شهير البيت رفيع القدر واستقضي بشاطبة وبلنسية فحمدت فيهما سيرته وعرف بالعدالة وإقامة الحق والصدع به وردع المفسدين. أهـ انظر ترجمته في: الديباج المذهب، لابن فرحون، ص:124، والإعلام، للسملالي: 1/ 374.

(6) كذا في الأصل وإنما هو أبو الربيع، سليمان بن موسى بن سالم، الحميري، الكلاعي، البلنسي، الخطيب، المتوفى سنة، محدث، حافظ، مؤرخ، ناثر، شاعر، خطيب، روى عن أبي القاسم بن حبيش وأكثر عنه وأبي عبد الله بن زرقون وأبي عبد الله بن حميد وأبي بكر بن الجد وأبي محمد بن بونه وأبي محمد: عبد المنعم بن الفرس وأبي بكر بن أبي جمرة، وغيرهم، روى عنه ابن الأبار وابن المواق وابن الغماز وأبو محمد بن برطلة وأبو جعفر الطنجالي، من تصانيفه: "الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا"، في أربع مجلدات، و"مصباح الظلام" في الحديث و"الأربعون" عن أربعين شيخاً لأربعين من الصحابة، و"حلية الأمالي في الموافقات العوالي" و"تحفة الوارد ونخبة الرائد" وغير ذلك.انظر ترجمته في: تكملة الصلة، لابن الأبار: 2/ 708، =

فرج، وأبي علي الشلوبين[1]، وأبي عمر بن عات[2]، وأبي محمد بن حوط الله[3] لقيهم، وقرأ عليهم وسمع منهم وأجازوا له.

[وأجاز له][4] من أهل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج[5] وغيره.

روى عنه ابنه[6] أبو القاسم، وأبو بكر بن الخطاب، وأبو إسحاق البلقيني الجعيد، والحسن طاهر بن علي الشقوري وأبو عبد الله البزي، وحدث عنه أبو جعفر بن الزبير، وابن شنيف، وابن ربيع وغيرهم مما يطول ذكره.

ومن بديع ما صدر عنه فيما كتب في غرض التورية قطعة من رسالة أجاب بها العباس بن أمية وقد أعلمه باستيلاء الروم على بلنسية[7]؛ فقال: "بالله أي نحو تنحو أو مسطور تثبت أو تمحو وقد حذف الأصل والزائد، وذهبت الصلة والعائد، وباب التعجب طال، وحال اليأس لا تخشى انتقال، وذهبت علامة الرفع وفقدت نون الجمع والمعتل أعدى

=

والديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 200، وشذرات الذهب، لابن العماد:5/ 164.

(1) هو: أبو عليّ، عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله، الأزدي الإشبيلي، المعروف بالشلوبين، النحوي، المتوفى سنة 645هـ والشلوبين الأبيض الأشقر، وقيل: نسبة لشلوبانية وهي بلد على ساحل البحر الأبيض، سمع من أبي بكر بن الجد وأبي عبد الله بن زرقون، وأجاز له السلفي، قال ابن فرحون: كان أسند من بقي بالمغرب وكان في العربية بحراً لا يجارى وحبراً لا يبارى، تصدر لإقراء النحو نحواً من ستين عاماً أهـ. انظر ترجمته في: البيان المغرب، لابن عذاري: 2/ 129، وأنباه الرواة، للقفطي: 2/ 232،، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 3/ 451، والديباج، لابن فرحون: 1/ 286.

(2) هو: أبو عمر، أحمد بن محمد بن هارون بن أحمد بن عات، النفزي، الشاطبي، سمع من ابن عساكر، شهد وقعة العقاب التي أفضت إلى خراب الاندلس، وفقد فيها فلم يوجد حيا ولا ميتا سنة 609هـ له تصانيف منها "النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة" و"ريحانة النفس وراحة الأنفس في ذكر شيوخ الأندلس". انظر ترجمته في: نفح الطيب، للمقري: 1/ 636، والإعلام، للسملالي: 2/ 117.

(3) هو: أبو محمد، عبد الله بن سليمان بن حوط الله، القاضي، حافظ، مقرئ نحوي، أدب أولاد المنصور بمراكش، وولي قضاء إشبيلية وقرطبة، وتوفي بغرناطة 612هـ. انظر ترجمته في: الديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 231، والإعلام، للسملالي: 2/ 207.

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(5) هو: أبو الفتوح، نصر بن محمد بن علي بن أبي الفرج، المعروف بابن الحصري الحافظ، أصله من همذان، قرأ بالروايات الكثيرة على أبي بكر ابن الزاغوني، والمبارك بن الحسن الشهرزوري وغيرهما، توفي سنة 619هـ. انظر ترجمته في: غاية النهاية، لابن الجزري: 2/ 338، وشذرات الذهب، لابن العماد: 3/ 83.

(6) ساقط من (ح).

(7) بلنسية: مدينة سهلية في شرق الأندلس، كانت قاعدة من قواعده، قال ابن سعيد الغرناطي: "وحيث تلقى إلا منازه ومسارح". وقد كان الروم تغلبوا عليها ثم أحرقوها عند خروجهم منها سنة 495هـ المغرب، لعلي بن سعيد، الغرناطي: 2/ 243.

الصحيح، والمثلث أردى الفصيح وامتنعت الجموع من الصرف، وأمنت زوائدها من الحذف، ومالت قواعد الملة، وصرنا جمع القلة، وظهرت علامة الخفض، وجاء بدل الكل من البعض "[1].

ومن شعره في المقطوعات التي وري فيها بالعلوم قوله:

قَدْ عَكَفْنَا عَلَى الْكِتَابَةِ حِيناً ... ثُمَّ جَاءَتْ خِطَّةُ الْقَضَاءِ تَلِيهَا
مَعَ كُلٍّ لَمْ يَبْقَ لِلْجُهْدِ إِلا ... مَنْزِلاً نَائِياً وعَيْشاً كَرِيهَا
نِسْبَةٌ بُدِّلَتْ ولَمْ تَتَغَيَّرْ ... مِثْلَ مَا يَزْعُمُ الْمُهَنْدِسُ[2] فِيهَا

وكقوله مما افتتح به رسالة:

يَا غَائِباً سَلَبَتْنِي الأُنْسَ غَيْبَتُهُ[3] ... فَكَيْفَ صَبْرِي وقَدْ كَابَدْتُ بَيْنَهُمَا
دَعْوَايَ أَنَّكَ فِي قَلْبِي فَعَارَضَهَا ... شَوْقِي إِلَيْكَ فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا

وفي مثل ذلك استفتاح رسالة أيضاً:

إِنَّ الْكِتَابَ أَتَى وسَاحَةُ طِرْسِهِ ... دَوْحٌ تَوَشَّحَ بِالْبَدِيعِ مُبَرْقَعُ
وَلَهُ حُقُوقٌ ضَاقَ وقْتُ وُجُوبِهَا ... ومِنَ الوجوب[4] مضَيَّقٌ ومُوَسَّعُ

وفي مثل ذلك استفتاح رسالة أيضاً:

كَبَّرْتُ بِالْبُشْرَى أَتَتْ وَسَمَاعُهَا ... عِيدِي الَّذِي لِشُهُودِهِ تَكْبِيرِي
وَكَذلِكَ الأَعْيَادُ سُنَّةُ يَوْمِهَا ... مُخْتَصَّةٌ بِزِيَادَةِ التَّكْبِيرِ

وفي أغراض أخر:

بَايَعُونَا مَوَدَّةً هِيَ عِنْدِي ... كَالْمُصَرَّاةِ[5] بَيْعُهَا بِالْخِدَاعِ
فَسَأَقْضِي بِرَدِّهَا ثُمَّ أَقْضِي ... بَعْدَهَا مِنْ مَدَامِعِي أَلْفَ صَاعِ[6]

---

(1) انظر: الإحاطة، للسان الدين ابن الخطيب، ص: 61 وما بعدها.

(2) في (ح1) كلمة غير مقروءة، والمثبت من (ح) وهو الموافق للإحاطة.

(3) في (ح): (طلعته).

(4) في (الأصل): (العجائب) والمثبت موافق للمطبوع من الإحاطة.

(5) في المطبوع من الإحاطة 1/ 61: (المرآة)، والمصراة: هي البهيمة التي تُصَرُّ أخلافُها ولا تُحلَبُ أياماً حتى يجتمعَ اللبنُ في ضَرْعِها فإذا حَلَبَها المشتري استغزرَها. انظر لسان العرب، لابن منظور: 14/ 457، مادة (صرى).

(6) يشير إلى حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «مَنِ اشْتَرَى شَاةً مُصَرَّاةً فَلْيَنْقَلِبْ بِهَا فَلْيَحْلُبْهَا فَإِنْ رَضِيَ حِلاَبَهَا أَمْسَكَهَا وَإِلاَّ رَدَّهَا وَمَعَهَا صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ»، أخرجه البخاري: 2/ 756، برقم (2044) كتاب البيوع، باب إن شاء رد المصراة.

وله في معنى آخر:

شَــرَطْتُ عَلَـيْهِمْ عِنْـدَ تَـسْلِيمِ مُهْــجَتِي وعِنْــدَ انْعِقَــادِ الْبَيْــعِ حَتْمَـاً يُوَاصِــلُ

فَلَمَّــا أَرَدْتُ الأَخْــذَ بِالــشَّرْطِ أَعْرَضُــوا وقَــالُوا يَــصِحُّ الْبَيْــعُ والــشَّرْطُ بَاطِــلُ

له تآليف في كائنة ألمرية[1] وتغلب الروم عليها، نحا فيها نحو العماد الأصفهاني في "الفتح القدسي"[2]، وكتابةٌ في تعقبه على فخر الدين بن الخطيب الرازي في كتاب " المعالم في أصول الفقه "[3] منه، وردّه[4] على كمال الدين أبي محمد [ابن][5] عبد الكريم السماكي في كتابه المسمى بالتبيان في علم البيان[6] واختصار نبيل من "تاريخ ابن صاحب الصلاة"[7]

---

(1) مدينة ألمرية: بناها الناصر سنة 344هـ ثم كانت في أيام الموحدين مدينة الإسلام، وكان بها من كل الصناعات كل غريبة، يعمل بها صنوف أنواع الحرير وصنوف آلات النحاس والحديد إلى سائر الصناعات وكان بها من فواكه واديها الشيء الكثير الرخيص وكانت تقصدها مراكب الطريق من الإسكندرية والشام كله، ولم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالاً ولا أتجر منهم في جميع أنواع التجارات، وتعتبر الآن من أهم مراكز التعدين بأسبانيا. انظر: الروض المعطار، للحميري، ص: 183، ومعلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 343.

(2) هو: كتاب "الفتح القسي في الفتح القدسي" للعماد أبي عبد الله، محمد بن محمد بن حامد بن أله الأصبهاني، المتوفى سنة 597هـ الكاتب، وهو كتاب في التاريخ في مجلدين بدأ فيه من سنة 583هـ طبع بليدن، وله مقدمة باللغة الفرنسية، وطبع مرة ثانية بمصر. انظر: الوافي في الوفيات، للصفدي: 1/ 132، ومقدمات التحقيق لأقسام الخريدة المصرية والشامية والعراقية، ومعجم المطبوعات: 2/ 1376.

(3) هو كتاب: المعالم في أصول الفقه، لمحمد بن عمر، فخر الدين الرازي، المتوفى سنة 606هـ وقد جعله على خمسة أنواع، في علم أصول الدين، وعلم أصول الفقه، والفقه، وأصول معتبرة عند الخلاف، وقد تعددت عليه الشروح. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1726، وجامع الشروح والحواشي، لعبد الله حبشي: 3/ 2024.

(4) قلت: يشير ابن الخطيب لكتابه "التنبيهات علي ما في التبيان من التمويهات" لإبن الزملكاني-في علم البيان وله نسخة خطية بالأسكوريال تحت رقم (115) كما في معجم التراث رقم 848، جزء رابع، ص:314.

(5) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل والمثبت موافق لما تقتضيه ترجمته الآتية بالحاشية.

(6) هو: كتاب "التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن" لأبي المكارم، عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف، السماكي، الزملكاني، كمال الدين، ألفه في عشرين يوماً من رمضان عام 637هـ وتوفي رحمه الله سنة 651هـ انظر ترجمته في: طبقات الشافعية، للسبكي:5/ 133، وتاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص:191، والشذرات، لابن العماد: 3/ 254، والإعلام، للسلالي: 1/ 357.

(7) هو: أبو مروان، وأبو محمد، عبد الملك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، الباجي، الإشبيلي، المعروف بابن صاحب الصلاة، المتوفى بعد سنة 594هـ مؤرخ من أهل باجة أقام مدة في إشبيلية وتنقل بينها وبين قرمونة وقرطبة ومراكش حيث تعلق بخدمة الموحدين واستمر إلى آخر حياته، له "تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين"، طبع المجلد الثاني منه بتحقيق عبد الهادي التازي، و" ثورة المريدين "، و"تاريخ الموحدين". انظر ترجمته في: البيان المغرب، لابن عذاري: 3/ 82، والأعلام، للزركلي: 4/ 164.

وغير ذلك من التعاليق والمقالات، ودوَّن الأستاذ أبو عبد الله بن هانئ السبتي[1] كتابته وما يتخللها من الشعر في سفرين بديعين أتقن ترتيبهما وسمى ذلك "بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف"[2].

ولد بجزيرة شُقر[3]، وقيل: ببلنسية في رمضان عام اثنين وثمانين وخمسمائة، وتوفي بتونس ليلة الجمعة الموفية عشرين ذي الحجة عام ستة وخمسين، قال ابن عبد الملك[4]: ووهم ابن الزبير في وفاته إذ جعلها في حدود الخمسين وستمائة أو بعدها.

※ [2] أحمد بن محمد بن عيسى آدم القاضي أبو المكارم[5] (المتوفى سنة 1094هـ)

قال في نشر المثاني[6]: هو الشيخ الحافظ الخطيب الشريف القاضي أبو المكارم نزيل رباط الفتح من سلا[7]. اهـ[8].

---

(1) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن هانئ، اللخمي السبتي أصله من إشبيلية. توفي بجبل الفتح سنة 733هـ. انظر ترجمته في: غاية النهاية، لابن الجزري: 2/ 211، وبغية الوعاة، للسيوطي، ص:82، والدرر الكامنة، لابن حجر: 4/ 91.

(2) انظر: إيضاح المكنون، للبغدادي: 1/ 190 وهدية العارفين، للبغدادي:2/ 24، وله نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (232).

(3) جزيرة شُقر بضم الشين ورويت بفتحها أيضاً، تقع في شرقي الأندلس، قال ياقوت: "وهي أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً وماء". انظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي: 3/ 354.

(4) سقط لفظ (ابن) من النسختين، وأثبتناه كما في الإحاطة وهو: أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن مسعود، الأنصاري الأندلسي، المعروف بابن بشكوال، المؤرخ المتوفى سنة 578)هـ. انظر ترجمته في: الديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 184، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 154، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 2/ 240.

(5) انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 100، والتقاط الدرر، للقادري: 2/ 227، ونشر المثاني، للقادري: 4/ 1669، والمنح البادية في الأسانيد العالية، لأبي عبد الله، محمد الصغير الفاسي: 1/ 160، واليواقيت الثمينة، لأبي عبد الله، محمد بن البشير بن ظافر: 1/ 35، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 6/ 91.

(6) هو كتاب: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر أو "الأزهار النادية في أخبار أهل المائة الحادية عشر والثانية وما إليهم من الشيم العالية"، لأبي عبد الله، محمد بن الطيب القادري، الحسني المتوفى سنة 1187هـ، توجد منه نسختان كبرى وصغرى طبعت في سفرين على الحجر بفاس سنة 1310هـ، وترجم إلى الفرنسية وطبع بباريس سنة 1331هـ - وأما الكبرى فيها زيادات مهمة وصل فيها إلى سنة 1186 ست وثمانين ومائة وألف موافق سنة قبل وفاته بسنة، وجعل في آخرها خاتمة للأعلام الذين لم يقف على تعيين سنة وفاتهم وقد نشرته الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر سنة 1986 م بالرباط بتحقيق الأستاذين محمد حجي وأحمد التوفيق.

(7) سلا: مدينة تقع على مصب نهر أبي رقراق بجانب الرباط وتتصل المدينتان بقنطرة بالقرب من موضع يعرف باسم سيدي مخلوف، تعتبر عماراتها نموذجاً للفن المغربي الرائع في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، ولسلا شهرة صناعية تجارية في الجلد والأواني النحاسية والحديدية ونسج الزرابيّ والطرز، وصناعة الحصر. انظر: شالة وآثارها، لبوجندار ط الرباط 1340هـ وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 107.

(8) انظر: نشر المثاني، للقادري: 4/ 1669.

وعدَّه صاحب "المنح البادية في الأسانيد العالية "[1] من جملة شيوخه الذين أخذ عنهم وأجازوه وسمع منهم، قال: "سمعت عليه الحديث المسلسل بالأولية وأحاديث من الصحيحين وأجازني فيهما وفيما له من مقروء ومسموع وأضافني على الأسودين وصافحني وشابكني وألبسني وناولني السبحة "[2].

وهو يروي عن شيوخ فاس كالإمام أبي البركات عبد القادر الفاسي[3]، وأبي الضياء محمد بن أحمد ميارة[4]، وأبي البقاء الأبار وغيرهم.

ورحل للجزائر وأخذ بها عن العلامة سعيد بن إبراهيم التونسي النجار الجزائري الدار الشهير بقدورة[5]. اهـ.

وبهذا ترجمه الشيخ محمد البشير ظافر في كتابه "اليواقيت الثمينة"[6].

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر، الفاسي، صاحب "المنح البادية في الأسانيد العالية" وهي فهرسته لشيوخه، وقد حققها محمد الصقلي، في أطروحة لنيل درجة الدكتوراه سنة 1417هـ. انظر ترجمته: في شجرة النور الزكية، لمخلوف، ص: 333. وصفوة من انتشر، للإفراني، ص: 371.

(2) انظر: المنح البادية، للفاسي، بتحقيق محمد صقلي: 1/ 160.

(3) هو: أبو البركات، عبد القادر بن علي بن يوسف القصري، الفاسي، الشهير، المتوفى سنة 1091هـ لقبه الكتاني بشيخ الإسلام وهو أحد أشياخ فاس المشهورين أخذ عن ابن عاشر صاحب المرشد المعين، وغيره من أشياخ فاس. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 351، وما بعدها.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد (بفتح الميمين) بن أحمد بن محمد الفاسي، المعروف بميارة،، المتوفى سنة 1072هـ من فقهاء فاس بعهد الدولة السعدية، تفقه بابن عاشر، له مؤلفات كثيرة منها: شرحين على "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين"منظومة لابن عاشر شيخه، و"الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام"، و"تنبيه المغترين على حرمة التفرقة بين المسلمين"، و"شرح لامية الزقاق"، و"تكميل المنهج المنتخب في قواعد المذهب" للزقاق مع شرحه. انظر ترجمته في في سلوة الأنفاس للكتاني:1/ 165، وشجرة النور، لمخلوف:2/ 309، وصفوة من انتشر للإفراني، ص:140، والنبوغ المغربي، لعبد الله كنون: 1/ 249، والفكر السامي، للحجوي:2/ 331، والأعلام للزركلي: 6/ 11.

(5) هو: أبو عثمان،سعيد بن إبراهيم التونسي، الجزائري، المعروف بقدورة المتوفى سنة 1066هـ عالم الجزائر ومفتيها في عصره، أصله من تونس ومولده ونشأته بالجزائر وصفه مترجموه بالورع والصلاح والمشاركة في العلوم النقلية والعقلية، له فيها تآليف حسنة من بينها شرح على السلم في المنطق، وحاشية على شرح صغرى السنوسي في العقائد. انظر ترجمته في: نشر أزاهر البستان، لابن زاكور، ص:37، وما بعدها، وصفوة من انتشر، للإفراني، ص226، وشجرة النور، لمخلوف، ص:309.

(6) هو كتاب: "اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة"، وهو مؤلف في تراجم متأخري المالكية، لأبي عبد الله، محمد بن البشير بن ظافر المدني، الأزهري المتوفى بعد سنة 1329هـ مات مؤلفه قبل أن يتمه، وأثنى عليه مخلوف في شجرته واعتمد عليه في بعض تراجمه، وطبع الجزء الأول منه في حياته بالقاهرة سنة 1324هـ. انظر: شجرة النور، لمخلوف:1/ 413، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1255.

توفي كما للقادري في "النشر" سنة أربع وتسعين وألف[1].

* [3] أحمد بن ناجي السجلماسي ثم المكناسي (المتوفى سنة 1122هـ)[2]

أحد قضاة الرباط، ترجمه في " الإتحاف الوجيز"[3] وحلاه بالفقيه العلامة المعظم للعلم وأهله، المتداول لهذه الخطة القضائية في كثير من مدن المغرب كالرباط وسلا وفاس ومكناس.. إلخ[4].

وبمثله ذكره أبو العباس أحمد بن عاشر الحافي السلاوي في "فهرسة شيوخه "[5] ووصفه بنفوذ الكلمة عند الحاكم والمحكوم والأمير والمأمور وعدَّه من جملة شيوخه الذين حضر مجالسهم العلمية وأخذ عنهم خصوصاً الفقه والحديث والتفسير.

كانت ولايته بالعدوتين سلا والرباط ونواحيهما أواخر القرن الحادي عشر ومكث في ولايته عليهما نحو العشرين سنة، ثم انتقل إلى قضاء فاس، ثم قضاء مكناسة الزيتون بعده.

كانت وفاته بمكناس[6] عام اثنين وعشرين ومائة وألف ودفن بروضة السيدة عائشة

---

(1) انظر: نشر المثاني، للقادري: 4/ 1669.

(2) انظر ترجمته في تعطير البساط، للمصنف، ص: 7، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 137، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 337.

(3) هو: كتاب "الإتحاف الوجيز في أخبار العدوتين المُهدَى للمولى عبد العزيز" تناول فيه تاريخ العدوتين وعلى الأخص سلا ألفه محمد بن محمد بن أحمد بن علي، الدكالي السلاوي المتوفى سنة 1364هـ وهو أديب مؤرخ التحق بعدد من الوظائف الإدارية بسلا، له مصنفات ومؤلفات تاريخية بين المنثور والمنظوم من أشهرها كتابه: المشار إليه آنفا، وقد جمعت بينه وبين بوجندار صداقة ومراسلات. انظر: مقدمة الإتحاف الوجيز، بتحقيق مصطفى بوشعراء من منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 27.

(4) انظر: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص:137.

(5) قال أبو العباس الحافي، في الفهرسة المذكورة: "شيخنا الفقيه العلامة سيدي أحمد بن محمد بن ناجي السجلماسي، تولى القضاء بسلا والرباط، ونواحيها، وبقي متولياً بها نحو العشرين سنة، ثم تولى القضاء بفاس، ثم بمكناسة الزيتون، حضرنا عليه في تفسير القرآن العظيم، وفي رسالة ابن أبي زيد، وذلك كله بمحروسة سلا..." فهرسة ابن عاشر الحافي مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1421ك).

(6) مكناس: مدينة ترتفع عن سطح البحر 522 متراً، بينها وبين فاس حوالي ستين كيلو متر، وقد سميت باسم قبيلة مكناسة البربرية،، وارتفاعها، يحيط بها نطاق مثلث مركب من أسوار وحصون يبلغ طولها 40 كم، من آثارها العتيقة باب المنصور، والاسطبلات القديمة، وبركة البساتين التي تبلغ مساحتها 4 هكتارات مربعة، ومدرسة أبي عنان المريني، التي ظفرت مكناس بعنايته في عصره، وهي اليوم خامس مدن المغرب من حيث عدد السكان، وكانت قاعدة حربية أثناء الاحتلال، ثم المدينة الجديدة إلى الشرق. انظر: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، لابن غازي، بتحقيق عبد الوهاب بنمنصور، الطبعة الثالثة نشر المطبعة الملكية بالرباط 1999م، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص:71.

العدوية[1] هناك.

* [4] **سيدي أحمد داود**[2]

صاحب الضريح إزاء الجامع السليماني، ويعرف بسيدي تسيمر[3] ترياق مجرب عند العوام ولا سيما في ما يعتري الأطفال من الأسقام، وما يقال من أنه من آل مرينو بيت العلم والفضل في القديم لا أتحققه الآن وربما دل عليه تصرف البعض منهم في ضريحه فلينظر.

* [5] **سيدي أحمد الشريف**[4]

صاحب الضريح بوقاصة[5] قيل إنه هو القاضي أبو المكارم أحمد آدم الرباطي السالف ذكره[6] كما وجدته بخط الفقيه المرحوم أبي العباس البناني في كناشته[7] ولكنه لم يجزم بذلك وجاء في تقاييد الفقيه ابن الغازي الكبير أن سيدي أحمد الشريف كان ضريراً وهو جد سيدي الحسن الإمام دفين شالة[8] من جرثومة[9] نسبة سيدي علي المعروف بسيدي بورحى[10] صاحب الضريح قرب المسجد الأعظم[11] قال: ولهم حفدة بالرباط، وبعضهم بمراكش ذهبوا من الرباط والكل يتصرف في فتوحات الأضرحة الثلاثة المذكورة حتى الآن. اهـ.

---

(1) عائشة العدوية المكناسية يذكر أنها كانت ذات أحوال ومكاشفات وقبرها مزار مشهور بمكناسة الزيتون توفيت عام 1080هـ. انظر ترجمتها في: نشر المثاني، للقادري: 2/ 184، وصفوة من انتشر، للإفراني، ص:283.

(2) لم أقف على ذكره فيما بين يدي من مصادر.

(3) في (ح): (مسيمر).

(4) لم أقف له على ذكر فيما بين يدي من مصادر.

(5) وقاصة: حي من أحياء اليهود بالرباط نقلهم إليه المولى سليمان. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 638.

(6) انظر : ترجمة رقم (2) ، ص: 198.

(7) الكناشة هي كتابة تشتمل على الأحداث التي شاهدها صاحب الكناشة وأشعاره ومساجلاته الأدبية وفوائده، وأبو العباس أحمد بن محمد القاضي البناني، تأتي ترجمته برقم (37)، ص: 269، وانظر: الفهرس والكناشة في النشاط الفكري في المغرب العربي، لعبد العزيز بنعبد الله، مقال منشور بمجلة التاريخ العربي.

(8) شالة مدينة اتخذها بنو مرين مركزاً أقاموا فيه مسجداً ومدرسة ومقبرة لملوكهم. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 282.

(9) الجرثومة أصل الشيء ومجتمعه. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 12/ 95.

(10) ستأتي ترجمته في الكتاب ، برقم (235) ، ص: 592.

(11) المسجد الأعظم ويسمى أيضا مسجد الخرازين، ويوجد في منطقة التقاء درب باب شالة وسوق السباط بشارع السويقة قرب زاوية سيدي التلمساني. انظر: الانبساط، لدنية، ص: 52.

* [6] أحمد بن يحيى والزهرا (المتوفى ظناً بعد سنة 1110هـ)[1]

به يعرف وأصله من الأندلس وجدّه كان من وجهاء الأندلسيين أهل الحلّ والعقد بالرباط [أيام كان الرباط جمهورياً يحكم نفسه بنفسه][2] أواخر الدولة السعدية ولم يزل بيته من أوجه البيوتات الرباطية إلى اليوم.

والمترجم كان من العلماء الأجلّة، الطالعين في أوج المعارف كالأهلّة، له مشاركة في جل العلوم، منطوقها والمفهوم، وإلمام بعلمي المعقول والمنقول، والفروع والأصول.

أخذ عن الشيخ أحمد بن يعقوب الولالي[3] والعلامة أبي الوليد عبد الملك بن محمد التجموعتي السجلماسي[4]، ولازم الشيخ العكاري في الرباط إلى أن سمع منه معظم الأمهات من المتون في كثير من الفنون سماع بحث وتنقير وتحقيق وتحرير، واستجازه فأجازه إجازة عامة بتاريخ الحادي والعشرين من رمضان المعظم عام ثمانية ومائة وألف وهي مذكورة بنصها في فهرسة حفيد الشيخ المذكور أبي الحسن العكاري[5] عندما تعرض لذكر المترجم في جملة من أخذ عن جده إلا أنه لم يذكر له تاريخ وفاة وقال أنه سافر للحج قاصداً بيت الله الحرام فتوفي في سفره، والظن أن وفاته كانت بعد العشر من القرن الثاني بعد الألف.

وهذا نص إجازة العكاري لمولانا المترجم قال: "حمداً لمن فضل الأمة المحمدية بالرواية والإسناد، وصلاةً وسلاماً على من هو للعباد عماد وسناد، وعلى الآل والأصحاب الذين هم

---

(1) انظر ترجمته في: البدور الضاوية في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، المعروف بـ "فهرسة العكاري "، لأبي الحسن العكاري الحفيد، لوحة: 7/أ. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (88 د)، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 125، وإتحاف المطالع، لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة: 1/ 81، ومجالس الانبساط، لمحمد بن علي بن أحمد دنية، ص: 90، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 6/ 149.

(2) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(3) هو: أبو العباس، أحمد بن يعقوب، الولالي المتوفى سنة 1128هـ نسبته إلى بني ولال من قبيلة أيت عطا، أخذ عن محمد بن عبد الله السوسي بالزاوية الدلائية، وتصدر للتدريس بالقصبة الإسماعيلية في مكناس. انظر ترجمته في: نشر المثاني، للقادري: 3/ 229، والتقاط الدرر، للقادري أيضاً، ص: 311، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 340.

(4) هو: أبو مروان عبد الملك بن محمد، التجموعتي، قاضي سجلماسة،كان خطيباً حاد اللسان عالماً بالحديث عارفاً بالمخاطبات السلطانية ينظم الشعر. انظر ترجمته في: نشر المثاني، للقادري: 2/ 96.

(5) فهرسة العكاري هي كتاب: البدور الضاوية في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، لأبي الحسن، علي بن محمد بن علي، العكاري (الحفيد) المتوفى سنة 1158هـ في مناقب جده المتوفى سنة 1118هـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (88د) تحت اسم: "مناقب العكاري ".

القدوة في كل محضر[1] ونادٍ.

هذا والإجازة لها موقع في الدين جسيم وخطر عظيم، وكانت منذ قديم، من مثال المهرة الفحول في الفروع والأصول، قد طالما رفعت في أنديتهم راياتها، وتسوبقت في ميادينهم غاياتها.

وأنه قد سلك ذلك المنهج وانطوى في مفاوز ذلك المدرج الفقيه الفاضل البارع الماهر أبو العباس أحمد بن يحيى والزهرا؛ فسألني أرشده الله أن أجيزه، وأشايع تبريزه، وذلك بعد أن لازمنا برهة من الزمان، وأخذ عنا معظم الفنون من فقه وأصول وبلاغة وكلام ومعقول وغير ذلك مما يطول، وسمع منا في جمع من نجابة الطلبة معظم الأمهات المتداولة في كل ذلك سماع بحث وتنقير، وتحقيق وتحرير، كما أخذت ذلك عن أعيان فقهاء العصر كالفقيه النحوي السيد سعيد الهوزالي[2]، والفقيه القاضي السيد أبي القاسم الدرعي[3]، والشيخ المحدث أبي عبد الله صاحب "المقنع"[4]، والشيخ الحافظ أبي علي الحسن بن علي حفيد الولي الصالح سيدي أحمد بن موسى السوسي[5]، والأديب القاضي السيد عبد الله اللمطي، وشيخ الجماعة أبي علي اليوسي[6]، والفقيه الفاضل سيدي الطيب

(1) في (ح): (عصر)، والمثبت موافق لما في مخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 7/ ب.

(2) هو: سعيد بن إبراهيم، الهوزالي، من علماء مراكش في القرن الحادي عشر، قال المختار السوسي: عالم كبير فهامة حافظ مدرس، مخرج يؤخذ عنه ويجيز، توفي بعد سنة 1086 هـ. انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 10/ 149، ورجالات العلم العربي في سوس، للمختار السوسي، ص:49.

(3) هو: أبو القاسم بن عبد الرزاق الدرعي من أكابر الصوفية الآخذين عن أحمد بن موسى السملالي. انظر ترجمته في: صفوة من انتشر، للإفراني، ص:123، والطبقات، للحضيكي: 1/ 162.

(4) هو كتاب: "المقنع في علم أبي مقرع" وهو رجز في علم التوقيت وشهور العام وأيام السنين العربية والعجمية في ثمانية وتسعين بيتاً، توجد منه نسخة برقم: (194/ 6) بالخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة، وأخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (208 د) ولدينا منه ثلاث نسخ خطية في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث) ونسخة من شرح مصنفه المسمى "الممتع في نظم المقنع"، لأبي عبد الله، محمد بن سعيد بن محمد بن يحيى، السوسي المرغتي، من أهل مِرغْت من قرى السوس، سكن مراكش وانقطع للعبادة والتأليف وتوفي سنة 1089هـ. انظر ترجمته في: المعسول، للمختار السوسي: 10/ 185، وفهرس الفهارس، لعبد الحي الكتاني، 1/ 554، و: الأعلام، للزركلي: 6/ 139.

(5) هو: أبو العباس، أحمد بن موسى، الجزولي، السملالي، من أكابر المشايخ الصوفية بالمغرب في القرن العاشر الهجري، كانت وفاته رحمه الله سنة 971هـ وضريحه ببلاد سوس مشهور يتبرك به. انظر ترجمته في: دوحة الناشر، لابن عسكر، ص:83، والإعلام، للسملالي: 2/ 233، وإيليغ قديماً وحديثاً، للمختار السوسي، ص:19.

(6) هو: أبو علي، الحسن بن مسعود، اليوسي ـ نسبة إلى قبيلة أيت يوسي، أي اليوسفي نسبة للجد الأعلى المسمى يوسف ـ عالم مشارك متضلع، مجاهد مصلح، اعتبره كثير من مترجميه مجدد المئة الحادية عشرة، لما له من آراء ومواقف في الصدع بالحق،

البكري[1]، وغيرهم ممن حصل بهم الانتفاع كثر منه أو لم يكثر السماع عاملهم الله بفضله وأفاض عليهم سجال نعمه، فأجزته وفقه الله تعالى عمن ذكر إجازة تامة مطلقة عامة في كل ما تقدم من معقول أو منقول، مقروء أو مسموع، مفرد أو مجموع، منثور أو منظوم، منطوق أو مفهوم.

وأجزته أيضاً في غير ذلك من كل ما سمعه مني أو بلغه عني من كتب مقروءات أو مسائل مقررات أو رسائل مستظرفات أو فوائد ملتقطات، وأذنت له أن يروي من جميع ذلك عني ما صح عنده أنه مني، وأن يُشيع ما تحرر عنده بين المسلمين ويمنحه صدور المتعلمين على الشرط المعتاد عند المهرة النقاد، وأوصيه بتحري الصدق، وتتبع الحق، واتهام النفس، والتأني في مواطن اللبس، وتزيين القول بالعمل، وتوقع هجوم الأجل.

وعن عجل قاله وكتب به في الحادي والعشرين من رمضان المعظم عام ثمانية ومائة وألف علي العكاري، عامله الله العظيم بالفضل العميم، بالنبي الكريم عليه أطيب الصلاة وأزكى التسليم "[2]. انتهى بلفظه.

ومن مآثره بالرباط المدرسة الموجودة داخل الدرب المعروف بدرب والزهرا يقال أنه هو الذي بناها برسم قراءة العلم بها؛ وهي مدرسة لطيفة تشتمل على عدة بيوت وميضة ومسجد ومنارة صغيرة وبراح في وسطه نارنجة باسقة الأفنان، ولا زالت حتى الآن تعرف باسم المدرسة، وأخيراً صار يطلق عليها أيضاً اسم الزاوية الحراقية[3] نسبة لطائفة الحراقيين الذين يجتمعون بها كل يوم للقيام بوظائف الذكر والمديح وأداء مراسم طريقتهم من صلاة وأوراد وغيرها، وربما دُرِّست فيها بعض العلوم الدينية، فهي على كل حال لم تخرج عن مقصد بانيها رحمه الله.

والجرأة في إبداء النصح، له من التصانيف: "المحاضرات"، و"منح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب"، و"قانون أحكام العلم" و"زهر الأكم في الأمثال والحكم، توفي رحمه الله سنة 1102هـ. انظر ترجمته في: فهرسته نسخة خطية بحوزتنا، وأخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1234 ك)، ونشر المثاني، للقادري: 3/ 25، والتقاط الدرر، للقادري أيضاً ص: 258، والإعلام، للسملالي: 3/ 154.

(1) هو: أبو عبد الله، محمد الطيب، بن أحمد، المسناوي، الدلائي البكري، الفاسي الدار، شيخ الجماعة الأديب العالم، المتوفى سنة 1136هـ انظر ترجمته في: نشر المثاني: 3/ 256، وطبقات الحضيكي: 2/ 361.

(2) انظر: نص الإجازة مخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 7/ ب: 8/ ب.

(3) نسبة لمحمد بن عبد الواحد بن يحيى، العلمي، الشاذلي، الدرقاوي، الشهير بالحراق المتوفى سنة 1261هـ.

*** [7] أحمد بن علي المراكشي ثم الرباطي (المتوفى سنة 1129هـ)(1)**

الفقيه العلامة القاضي، يقال تولى قضاء الرباط في دولة السلطان المقدس مولاي إسماعيل، ولما لم يتحقق عندي هذا ضربت صفحاً عن ترجمته في كتابنا "تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط"(2)، وغاية ما وقفت عليه تحليته بالقاضي كما في كتاب "الاستقصا"(3) عندما تعرض لتاريخ وفاته وعبارته: "في سنة تسع وعشرين ومائة وألف توفي الفقيه العالم القاضي أبو العباس أحمد ابن العلامة أبي الحسن علي المراكشي، وصُلِّيَ عليه من الغد، ودفن بالموضع المسمى بالعلو من رباط الفتح"(4).

*** [8] أحمد حجي بن مَحمد بن أحمد مرينو الأندلسي ثم الرباطي (كان حياً سنة 1135هـ)(5)**

الفقيه العلامة الأديب الشاعر عامل الرباط وأخو قاضيها أبي عبد الله مرينو الآتي، أخذ عن الشيخ العكاري وكان أخص الناس به، والقارئ بين يديه، يسرد عليه الصحيح وغيره بالجامع الأعظم إلى أن تولى عمالة الرباط بعد العشر الأولى من القرن الثاني فناب عنه أخوه المذكور.

---

(1) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: وقد نقل عن كناشة لأحمد بن عاشر السلوي ما نصه: وتوفي الفقيه العالم القاضي سيدي أحمد بن العلامة الحافظ الدراكة سيدي علي المراكشي ﷺ ليلة عيد الفطر، وصلي عليه من الغد، ودفن بالموضع المسمى بالعلو من محروسة الرباط عام 1123هـ. واستصوب السملالي هذا التاريخ عن ما ذكره الناصري في الاستقصا ـ وما سار عليه بوجندار ـ لأن الحاكي معاصر لهذا التاريخ المذكور فهو أولى. انظر: الإعلام، للسملالي: 2/ 352، والاستقصا، للناصري:3/ 113.

(2) ذكر المصنف ﷺ أنه سيذكر من القضاة من علم بولايته على الرباط سواء كان رباطي الدار والأصل أولاً، وإنما اشترط العلم بولايته على الرباط على سبيل التحقيق، ومن ثم لم يذكر القاضي أبا المكارم " أحمد بن عيسى آدم الرباطي " والقاضي المترجم. انظر مقدمة تعطير البساط، للمصنف: ص:5.

(3) هو كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس أحمد بن خالد، الناصري، المتوفى سنة 1315هـ تناول فيه تاريخ المملكة المغربية من لدن الفتح الإسلامي حتى دولة السلطان عبد العزيز، ترجمت منه بعض أجزاء للفرنسية، وقد طبع في حياته بمصر سنة 1312هـ في أربعة أجزاء بالمطبعة البهية المصرية، ثم أعيد طبعه بتحقيق نجليه جعفر ومحمد بدار الكتاب بالدار البيضاء 1954م في تسعة أجزاء، انظر: مقدمة الكتاب بتحقيق ولديه المذكورين:1/ 5 وما بعدها، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 130، والأعلام للزركلي:1/ 120.

(4) انظر: الاستقصا، للناصري: 3/ 113.

(5) انظر ترجمته في: البدور الضاوية، مخطوط فهرسة العكاري، للعكاري الحفيد، لوحة: 9/ب، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 134، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 89.

كان رحمه الله شاعراً وشاحاً، له تواشيح كثيرة في المديح النبوي وغيره على طريقة الموزون والملحون[1]، وكان جميل الأخلاق متواضعاً، خافض الجناح كامل المروءة إلى غير هذا من الأوصاف التي وصفه بها الحفيد العكاري وصاحب الإتحاف الوجيز[2]، ولم يذكرا له وفاة، وكان لا زال حياً عام خمسة وثلاثين ومائة وألف.

وكانت له صحبة مع سيدي أحمد بن عبد القادر التاستاوتي[3]، وكانت بينهما مراسلات كما جاء بعض ذلك في مجموع للقاضي مرينو أخي المترجم يشتمل على محاورات شعرية ونثرية ما بين موزونة وملحونة، بعضها في إشارات عرفانية وغوامض صوفية على طريق القوم.

ومما جاء فيه من كلام القاضي المذكور ما نصه:

"قال عبيد ربه محمد بن محمد مرين الأندلسي لطف الله به، الحمد لله منير الكائنات بنور وجوده، ومجزل العاطيات بفضله وجوده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل عبيده، وعلى آله وأصحابه وتابعيه وحزبه وجنوده، أما بعد؛ فإن شيخنا الإمام العلامة الولي الصالح الهمام سيدي ومولاي ابن ناصر[4]، سقى بسر وصاله أغصاناً أينعت من شرابه وأثمرت،

(1) يقصد بالموزون الشعر الموزون المقفى بنوعيه العمودي والتواشيح، أما الملحون: فهو ضرب من الشعر لا يلتزم فيه الإعراب ويحتوي على كثير من اللفظ العامي وهو أنواع منه الزجل، والمواليا، والكان كان، والقوما، وفي اللغة الدارجة عند مغاربة اليوم هو: الشعر المنظوم بالعامية، فيكون مقابلاً للشعر النبطي عند أهل الخليج انظر في هذا الموضوع: بلوغ الأمل في فن الزجل، لابن حجة الحموي، والفنون الشعرية غير المعربة، لرضا محسن القريشي: 2/ 16.

(2) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي، الدكالي السلاوي أديب مؤرخ التحق بعدة من الوظائف الإدارية، توفي سنة 1364هـ بسلا، له عدة مصنفات ومؤلفات تاريخية بين المنثور والمنظوم وما زال البعض منها مخطوطا وكتابه: "الإتحاف الوجيز في أخبار العدوتين المهدى للمولى عبد العزيز" كما سماه يتضمن الخبر عن مدينة سلا بعدوتيها، ووصفها وصفًا جغرافيًا وتاريخيًا مما يتعلق بمساجدها ومدارسها وزواياها وأسوارها وأبراجها وأسواقها ومعارف أهلها، وترجم لكثير من علمائها وصلحائها وملوكها، أهداه للمولى عبد العزيز سنة 1313هـ فاستحسنه وأجازه عليه. انظر: مقدمة الإتحاف الوجيز، بتحقيق مصطفى بوشعراء من منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 27.

(3) هو: أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب التستوي، أو التستاوتي، أديب، صوفي، من تصانيفه: نظم رجال التشوف وشرحه، نظم رجال القشيرية وشرحه وديوان شعر في ثلاثة أجزاء ضخام توفي رحمه الله سنة 1127هـ).انظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 329، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 1/ 279.

(4) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن ناصر، الدرعي، الجعفري، الإمام علم الطريقة الشاذلية، النحوي الفقيه صاحب "الأجوبة الناصرية" طبع على الحجر وسنعيد طبعه مقابلا على ثلاث نسخ خطية في حوزتنا إن شاء الله و"الرحلة المشرقية"، وغيرهما، توفي سنة 1129هـ انظر ترجمته في: صفوة من انتشر، للإفراني، ص: 270، واليواقيت الثمينة، للأزدي، ص: 42، فهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 677، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 169، وإيضاح المكنون، للبغدادي: 1/ 551، 2/ 62.

وانتشرت فروعها وأورقت، فَمِن أولئك الذين سقوا مدام خمرته، وسَكِروا بنَيْل ما أمَّلوه في حضرته، سيدنا الولي الصالح الهمام أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر[1] حفيد الولي الصالح سيدي محمد بن مبارك، نزيل تاساوت[2]، أفاض الله علينا من بركاتها وأنالنا من خمرتها، وقد كنا التقينا معه في الحضرة السلطانية حين ابتلينا بخطتي القضاء والحكومة واستشرناه فأشار علينا بما اقتضاه حاله من قبول ما كلفنا به ورضانا في الحال وكان لنا في متابعته خير وبركة من نيته الصالحة وبركته الباهرة، فبعد ذلك كاتَبنا رحمه الله بما نصه في سنة سبعة عشر ومائة وألف، وقيدتها في أواخر رمضان المبارك عام ثمانية عشر ومائة وألف:

سَلامٌ عَلَى الْقَاضِي الأَحَبِّ مُحَمَّدٍ ... ونَجْلِ أَبِيهِ صِنْوِهِ صَاحِبِي حَجِّي

سَلامٌ ومَا يُغْنِي السَّلامُ مُنَكَّباً ... إِذَا النَّاسُ فِي خَطْبٍ شَدِيدٍ مِنَ الْهَرْجِ

إلى آخر أبيات بعدها جوابها، ثم ذكر موشحات نبوية لصاحب الترجمة يقول في بعضها:

أَقُلَيْبِي مَتَى نَسِيرُ عَجْلانْ ... لِجِوَارِ الْحَبِيبْ

فِي سُرُورٍ ونِعْمَةٍ فَرْحَانْ ... نَنْشَرِح ونَطِيبْ

نَتَرَقَّبُ فِي حَضْرَةِ الْعَدْنَانْ ... رَحْمَةً لِلْكَئِيبْ

وَنُنَادِي فِي رَوْضَةِ الْمُخْتَارْ ... بِقُلَيْبٍ كَسِيرْ

كُنْ لِعَبْدٍ أَتَاكَ يَا غَفَّارْ ... فِي ذُنُوبٍ أَسِيرْ

طَالَ عُمْرِي فِي وَرْطَةِ التَّقْصِيرْ ... وارْتِكَابِ الآثَامْ

وَدَخَلْتُ وحُقَّ لِي التَّبْكِيرْ ... حِمَى خَيْرَ الأَنَامْ

فَارْحَمْ ذُلِّي وجُدْ لِي بِالتَّنْوِيرْ ... لِقُلَيْبِ الْغُلامْ

إِنِّي لُذْتُ بِعُزْوَةِ الأَبْرَارْ ... طَهَ نِعْمَ الْبَشِيرْ

كُنْ لِعَبْدٍ أَتَاكَ يَا غَفَّارْ ... فِي ذُنُوبٍ أَسِيرْ

---

(1) هو: أبو العباس، أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسى بن محمد بن مبارك التستاوتي، أديب صوفي، من مؤلفاته: نظم ممتع الاسماع وشرحه، نظم رجال التشوف وشرحه، نظم رجال القشيرية وشرحه، وكتاب النزهة ضمنه رسائله في جزئين، وديوان شعر في ثلاثة أجزاء ضخام، توفي في سنة 1127هـ. انظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 329.

(2) تساوت أو تستاوت: قرية جبليه توجد على الطريق الذاهبة من الرباط إلى واد زم بالقرب من مولاي بوعزة.

*** [9] أحمد بن محمد الكراري الرفاعي الكولاني الغرناطي، ثم الفاسي ثم الرباطي المشهور بأبي العباس (المتوفى سنة 1138هـ)[1].**

ترجمه في "الإتحاف الوجيز"، والحفيد العكاري في فهرسته وصهرنا العارف بالله تعالى الشيخ فتح الله البناني في "طبقاته"[2] وذكر أنه يوجد في بعض التقاييد منقولاً عن المترجم في نسبته ما نصه:

"من عبيد ربه أبي العباس ابن محمد الكراري الرفاعي الكولاني الغرناطي: إلى من يقف عليه من الإخوان وأهل المحبة السلام ومن بكم وإليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أوصيكم وإياي بتقوى الله العظيم واتباع سنة نبيه المصطفى الكريم، مولاي محمد رسول الله ﷺ، هذا وإنك سألتني أن أكتب لك نسبتي، فاعلم أني عبيد ربه أبو العباس ابن محمد الكراري بن أحمد البيطش بن موسى بن أحمد الرفاعي الأندلسي الغرناطي الذي خرج من العدوة الأندلسية إلى تازة[3] ثم فاس ثم تامسنا[4] إلى قبيلة أولاد علي إلى الشيخ منصور عند أمكون ثم إلى جماعة أولاد طرفاي وهو ابن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد كولان - المشهور بالشرف والولاية في الشجرات بقرب وادي زم[5] - بن عبد الله بن سعيد بن عيسى بن عثمان بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن يوسف بن سيدال بن عامر بن يحيى بن عبد الله بن أحمد بن

(1) انظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة رقم: 13/أ، و95/أ، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 133، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 92، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 6/ 226.

(2) هو: أبو الفضل، فتح الله بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام، البناني، الرباطي المولد والوفاة، وأصله من فاس، تتلمذ على أبيه الشيخ أبي بكر البناني ومن كتبه: "المجد الشامخ فيمن اجتمعت بهم من أعيان المشايخ" وهو من أهم مصادر بوجندار المعتمد عليها في كتابنا هذا و" إتحاف أهل العناية الربانية "وغيرها.

(3) تازة: مدينة تقع بين جبال الريف شمالاً وجبال الأطلس المتوسط تبعد عن مدينة فاس بـ120 كلم وعن العاصمة الرباط ب 318 كلم، وهي دائرة تضم جماعات باب مرزوقة، وبني لنت، وبوقلال، وأولاد أزباير، ووادي أمليل، وبني أفراض. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 126، ومدينة تازة ومكانتها في الدولة المرينية، بحث للأستاذ سعيد أعراب، نشرته جريدة الميثاق في عددها العاشر، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 86.

(4) تامسنا: بسيط يقع بين نهري أم الربيع وأبي رقراق وأطلقت بعد ذلك على إقليم الدار البيضاء، وكانت مركزاً للبرغواطين. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 132، ووصف إفريقيا: 1/ 153.

(5) وادي زم: إحدى دوائر ـ جمع دوّار وهو القرية ـ عمالة أخريبكة تضم جماعات منها أبي الجعد وأيت عمار، والمعادنة، وبني أسمير، وبني باناو، وأولاد فنان، والبركسة، وتاشراقت، وبني ازرانتل، والشكران الرواشد، والكناديز، وأولاد بوغادي. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 370.

محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن ابن مولاي علي كرم الله وجهه- والله حسيب من يؤذينا في نسبنا، والله حسبي إذا بدلت أو غيرت أو رشوت، والله حسيب من يطعن في نسبتي، وأسأل الله أن يعاقبه في الدنيا، ودعائي عليه جائز بدليل دعاء رسول الله ﷺ على ولد أبي لهب حين آذاه فقال ﷺ: «اللهم سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْباً من كِلابِك»[1]؛ فأكله الأسد، ولا أسمح لمن قال أخذت عقودي المعرفين من غير أيدي والدي، والسلام".

ويوجد في بعض الرسوم القديمة ذكر هذا النسب الشريف كما يوجد أيضاً في لوح قديم معلق بضريح مولانا المترجم، وكلاهما فيه بعض مخالفة لما ذكر، والأولى الوقوف عند هذا، فأهل مكة أدرى بشعابها، نعم ينظر ذلك مع ما نقله في السلوة في ترجمة أبي عبد الله اليَسِّيتْني[2] عن المنجور[3] في فهرسته من أن بطن بني كولان[4] لم يثبت لهم الشرف كالمشاهير بالشرف من القبائل[5].

وعلى كل حال فقد علمت نسبه الطيني، وأما نسبه الديني فله شيوخ كثيرون، وعمدته منهم الشيخ أبو الحسن العكاري، أخذ عنه علمي الظاهر والباطن، وكان كثيراً ما يرجع إليه في المشكلات النازلة به عند المطالعة أو التدريس.

وقد وقفت على إجازة حفيلة أجازه بها ووصفه فيها بالفاضل المحرز قصب السبق في العلوم، والغواص على غوامض الفهوم، وقال في حقه أنه استمطر من علمه جهاماً واستخدم من عقله كهاماً، وأنه قرأ عليه معظم الفنون من فقه وأصول وبلاغة وكلام ومعقول[6].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك: 2/ 588، برقم (3984)، والبيهقي في الدلائل: 2/ 338، مطولاً من حديث أبي عقرب ؓ، وأورده ابن حجر في الفتح: 4/ 48، وقال: حديث حسن.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، اليسيتني، قال في السلوة: "بفتح الياء المثناة من أسفل، وكسر السين المهملة، وتشديدها، نسبة إلى بني يسيتن؛ بربر من عمالة دَبْدُو، ثم هو من بطن منهم يقال لهم: بنو كِلال، كان يقرئ الصبيان واشتهر بالبركة. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 288، وجذوة الاقتباس، لابن القاضي المكناسي: 1/ 246، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 58.

(3) هو: أبو العباس، أحمد بن علي بن عبد الرحمن، المنجور، المكناسي، الإمام الفقيه، المتوفى سنة 995هـ برز في المعقول والمنقول، وكان من أحفظ أهل زمانه، وأعرفهم بالتاريخ والبيان انظر ترجمته في: درة الحجال، لابن القاضي المكناسي، ص:84، والإتحاف، لابن زيدان: 1/ 319، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 6، أما الفهرسة المذكورة فقد أتم تأليفها عام 989 وهي موجودة بالخزانة السلطانية.

(4) هكذا في (ح 1) و(ح)، ووردت في "السلوة": (كِلال) باللام بدلاً من النون.

(5) انظر ترجمة أبي عبد الله، محمد بن أحمد اليَسِّيتْني في سلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 58.

(6) انظر: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 95/ ب.

وأخذ أيضاً عن القطب ابن ناصر[1]، وكان مقدَّماً من قِبله لتلقين الأوراد والقيام بوظائف الطريقة الناصرية، ولم يزل في وظيفهِ هذا حتى في أيام ولد الشيخ الخليفة سيدي أحمد[2].

ولما ارتحل للمشرق حج وزار، وأخذ عن مشايخ الحرمين الشريفين، ورجع عامر الوفاض يحدث بما شاهده وعمن لقيه من أهل الخير والفضل والعلم والدين كما حكى ذلك عنه الحفيد العكاري في ترجمته، قال:

"وكان يعرض له في آخر عمره شبه غيبة أو حال حتى إنه ربما ترى رأسه بلا قلنسوة ولا عمامة، وكان لا يلبس الثياب الرفيعة الفاخرة، ولا يتأنق فيها، وكان يخضب لحيته بالحناء اقتداءً بأشياخه المقتدين بسنة الخلفاء الراشدين في الخضاب..."إلى آخر كلامه[3]، ولم يذكر له وفاة، وقال إنه توفي بالبادية وحمل للرباط ودفن قرب داره، وبنيت عليه قبة عجيبة، وعقَّب أولاداً ذكوراً من ذريته لم يزالوا بعده قائمين بضريحه".اهـ[4].

وكان تاريخ وفاته في يوم الاثنين متم ذي الحجة متم عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف، قدس الله روحه وجعل في الفردوس غبوقه وصبوحه. آمين.

* [10] أحمد الحداد الأندلسي الفقيه العلامة المفتي المدرس[5]

ترجمه الحفيد العكاري ووصفه بالعلم والفقه والدرس والأخذ عن جده، ورأيت مقيداً في جملة أوراق بالية أن بعض قضاة البادية كتب إلى قاضي الرباط بعدة أسئلة فقهية يقترح عليه الجواب عنها بقلم صاحب الترجمة، فكتب المترجم في جوابه بعد أسطر الافتتاح ما نصه:

"أما المسألة الأولى فاعلم أنه لا بد لكل مأموم من نية الاقتداء من غير تفصيل بين أن تكون الجماعة اتفقت على ترتيبه لكل صلاة أو لا.

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن ناصر الدرعي الإمام العالم، مجدد الطريقة الشاذلية، أخذ عن والده والشيخ عبد القادر الفارسي بسنده والشيخ محمد المصمودي وغيرهم، أخذ عنه ابنه أبو العباس أحمد، وله زاوية وأتباع كثيرون جداً وصيت كبير بالمغرب وهو الممدوح بدالية الشيخ اليوسي المشهورة المسماة بالتهاني، توفي سنة 1085هـ.. انظر ترجمته في: طلعة المشتري في النسب الجعفري، للناصري: 2/ 108 وما بعدها، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 313.

(2) تقدم التعريف به ص: (ترجمة رقم 8)، ص: 8.

(3) انظر: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 97/ ب.

(4) المصدر السابق نفسه.

(5) انظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 9/ أ، وذكره الدكالي في، الإتحاف، ص130 في ثنايا ترجمته لأخيه أبي عبد الله الحداد الأندلسي الرباطي.

إذ لو قصد مصلٍّ أن يصلي فذّاً فأحرم ونيته ذلك، ثم رأى إماماً يصلي بجماعة بين يديه فلا يجوز أن يدخل معه بنية المأمومية لفقد نية الاقتداء أول الصلاة على المشهور، نعم يكتفى في نية الاقتداء بما يدل عليها التزاماً كانتظاره للإمام بالإحرام كما قاله ابن عبد السلام[1] عن بعض أشياخه، ونقله عنه التتائي[2]، والقباب[3]، وقالا أنه واضح. قال القباب: وكلام المازري[4] نص أو كالنَّص في ذلك.اهـ.

وأما المسألة الثانية: فإن أريد هل يجوز التكفين بملبوس أو لا يجوز؟

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير المنستيري، التونسي، القاضي، الأصولي، المتوفى سنة 749هـ أخذ عن أبي العباس البطرني، وجلة من العلماء، وولي قضاء الجماعة بتونس، وكان شديداً في الحق، وممن أخذ عنه ابن عرفة الورغمي، من تصانيفه: شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي. انظر ترجمته في: الديباج، لابن فرحون،ص:336، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 210، وتاريخ قضاة الأندلس، للنباهي، ص: 161.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم التتائي، المنوفي، المصري، شمس الدين، قاضي القضاة، المتوفى سنة 942هـ أخذ عن السنهوري، وأحمد بن يونس القسنطيني، وعن زكريا الأنصاري، وسبط الماردبني وغيرهم، من مصنفاته: شرح كبير على خليل سماه: فتح الجليل" و"جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر"، ويعرف بالشرح الصغير لمختصر خليل، وقد من الله علينا بإخراج أبواب العبادات منه للنور مشفوعا بتحقيقنا في دار نجيبويه للمخطوطات و"تنوير المقالة بحل ألفاظ الرسالة"، و"خطط السداد والرشد بشرح نظم مقدمة ابن رشد" لابن الرقعي، وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي، وشرح الإرشاد لابن عسكر، وشرح التفريع لابن الجلاب، وشرح الشامل لبهرام، ولم يكمله. انظر ترجمته في: توشيح الديباج،للقرافي، ص:171، ونيل الابتهاج، للتنبكتي: 1/ 335، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 272، والأعلام، للزركلي: 5/ 302.

(3) هو:أبو العباس، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي، المعروف بالقباب، المفتي، الفقيه، المتوفى سنة 779هـ.تولى الفتيا بفاس، قال ابن الخطيب في الإحاطة: هذا الرجل صدر من صدور عدول الحضرة الفاسية وناهض عشهم فقيه نبيل مدرك جيد النظر شديد الفهم ولي القضاء بجبل الفتح متصفاً فيه بجزالة وانتهاض. أهـ قال ابن فرحون: حج واجتمعت به في المدينة النبوية. أهـ من تصانيفه: شرح قواعد عياض، شرح مسائل ابن جماعة في البيوع، واختصار احكام النظر لابن القطان، شرح أحكام النظر لابن القطّان، وشرح قواعد عياض في غاية الإتقان، وبيوع ابن جماعة، وله فتاوى مشهورة نقل بعضها البرزلي في ديوانه والونشريسي في معياره، وناظر الإمام سعيد العقباني في مسائل جمعها العقباني وسمّاها "لباب اللباب في مناظرة القباب"انظر ترجمته في: الديباج، لابن فرحون: 1/ 105، ونيل الابتهاج، للتبكتي: 1/ 100، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 235، والإحاطة، للسان الدين ابن الخطيب: 1/ 48.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي، المازَري، القيرواني، المتوفى سنة 536هـ كان صقلي الأصل،أحد الأئمة الأعلام، أفقه المالكية في عصره، لقب بالإمام، من مصنفاته: "المعلم بفوائد مسلم"، و"إيضاح المحصول في برهان الأصول"، و"نظم الفرائد في علم العقائد"، وتعليق على المدونة، وشرح "التلقين" للقاضي عبد الوهاب. انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، لعياض: 8/ 101، والديباج، لابن فرحون: 1/ 147، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 127، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 4/ 285، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 20/ 105.

فقد قال في المختصر[1]: (وتكفين بملبوس)[2] عاطفاً له على مدخول (جاز)، وإن أريد -أي بالثوب المذكور- وسخاً أو غير ذلك؛ فقد قال الحطاب[3] في تقرير كلام المختصر المذكور: ما لم يكن وسخاً ولم يخف نجاسته، قال سند[4]: وكان سالماً من القطع[5].

قال القاضي عياض في قواعده[6]: ومستحباته خمس: تحسينه..الخ[7]، والضميران للكفن، قال شارحه القباب[8]: أخرج مسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «إِذَا كَفَّنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ..»[9]. قال القباب: وإحسانه أيضاً من جهة الثياب سبوغها وسترها وكثافتها ونقاؤها، ولا تكون وسخة ولا هجنة، وإن أريد الفرق بين ثوب الرجل والمرأة

(1) مختصر خليل من أجل المختصرات في الفقه المالكي التي دارت عليها الشروح والحواشي. انظر المقدمة التحقيقية لشفاء الغليل في حل مقفل خليل، لابن غازي المكناسي، بتحقيقنا، واصطلاح المذهب عند المالكية، للدكتور محمد إبراهيم علي، ص: وجامع الشروح والحواشي، لعبد الله محمد الحبشي:3/ 1856.

(2) مختصر خليل: ص: 51.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني، الأندلسي الأصل، ثم المكي، المعروف بالحطاب، المتوفى سنة 954هـ انظر ترجمته في: توشيح الديباج، للقرافي، ص:216، ونيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 285، والفكر السامي، للحجوي الثعالبي: 2/ 319، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 270، وشرحه مطبوع طبعته وزارة الأوقاف بتحقيق الدكتور أحمد سحنون سنة 1409هـ.

(4) هو: أبو علي، سند بن عنان بن إبراهيم بن حريز بن الحسين بن خلف الأزدي، السكندري، المتوفى سنة 541هـ سمع من أبي بكر الطرطوشي، وأبي الطاهر السلفي، وأبي الحسن علي بن المشرف، وغيرهم، وروى عنه جماعة من الأعيان، وكان من زهاد العلماء فقيهاً فاضلاً،ألف كتاب "الطراز" شرح به المدونة في نحو ثلاثين سفراً وتوفي قبل إكماله. انظر ترجمته في: الديباج المذهب، لابن فرحون، ص:207، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 125، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 4/ 283 واصطلاح المذهب عند المالكية، لمحمد إبراهيم علي، ص: 224.

(5) انظر: مواهب الجليل، للحطاب: 3/ 46.

(6) هو كتاب: الإعلام بحدود قواعد الإسلام، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصوبي المتوفى سنة 544هـ وقد طبع بالرباط 1390هـ نشرته وزارة الأوقاف الإسلامية بالمغرب ثم أعيد طبعه مراراً وتناوله بالشرح القباب المتوفى سنة وزروق المتوفى سنة 899هـ والحطاب المتوفى سنة 954هـ. انظر جامع الشروح والحواشي، لعبد الله حبشي: 2/ 1636.

(7) ذكر في الشرح الكبير مستحبات الكفن فقال: وندب بياض الكفن وتجميره أي تطييبه بالبخور وعدم تأخره أي التكفين عن الغسل. انظر: الشرح الكبير، للدردير: 1/ 416.

(8) شرح القباب على قواعد عياض، لأبي العباس، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن، الجذامي، المعروف بالقباب، المتوفى سنة 769هـ توجد منه نسخة مخطوطة، برقم (171) في الخزانة الحبسية التابعة لنظارة الأوقاف بآسفي، وأخرى في خزانة القرويين تحت رقم (352) انظر: جامع الشروح والحواشي، لعبد الله الحبشي: 2/ 1636. وانظر ترجمة القباب في: درة الحجال، لابن القاضي، ص: 29، ونيل الابتهاج، للتنبكتي:1/ 72، والأعلام، للزركلي: 1/ 197.

(9) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب تحسين كفن الميت: 2/ 651، برقم (943)، وأبو داود، في سننه، في كتاب الجنائز، باب الكفن: 3/ 198، برقم (3148). وأحمد، في مسنده: 3/ 295، برقم (14178).

فظاهر نصوصهم أن لا فرق كما ترى.اهـ. هذا ما وسعني نقله بعد التي واللتيا من خط المترجم مجيباً عن تلك الأسئلة، والباقي تلاعبت به عوامل البتر والتلاشي، فلم تذر إلا بعض السطور بالحواشي؛ لهذا لم أنقل من الخط المذكور كل ما فيه، وإنما تلافيت خشية تلف الجميع ما أمكنني تلافيه، حتى يكون ترجماناً عن علم مولانا المترجم وعنواناً على غيث فضله المسجم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

* [11] أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي (المتوفى سنة 1178هـ)[1]

نسبة إلى غربية دُكالة[2]، فهو الدكالي أصلاً الرباطي منشأً وداراً، الفقيه العلامة الحافظ الحجة المحدث المسند الأثري الراوية الرحالة.

ذكره العلامة سيدي سليمان الحوات في كتابه "الروضة المقصودة والحلل الممدودة"[3] في ترجمة سيدي يوسف الناصري[4]، وأخبر أنه زار معه ضريح مولانا عبد السلام ودخل معه لشَفْشَاون[5] وتطوان[6] وفي هذه الزيارة لقي الشيخ سيدي علي بركة

(1) انظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة:16/أ، والإعلام، للسملالي: 2/ 385، والروضة المقصودة، لسليمان الحوات: 1/ 302، والفهرسة الصغرى، للتاودي بن سودة، ص: 111، وجواهر الكمال، للكانوني، ص: 33، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 123، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 119، والأعلام، للزركلي: 1/ 190، 3/ 153، ثمرة أنسي، للحوات، ص: 67، وتاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف، ص: 296، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 6/ 363.

(2) الغربية مدينة بدكالة وهي مدينة مشترابة، وقد أضافها المصنف إلى "دكالة" للتفريق بينها وبين قبيلة الغربية المعروفة في ناحية الغرب ومن مدنها أصيلا وحجرة الزرقا. انظر: معلمة المدن والقبائل المغربية، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 322.

(3) هو كتاب: الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، لأبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله، الحوات، الشفشاوني، العلمي، المتوفى سنة 1231هـ وقد نشرته مؤسسة أحمد بن سودة بفاس في مجلدين.

(4) هو: أبو يعقوب، يوسف بن محمد الكبير ابن ناصر، أحد أقطاب البيت الناصري، أخذ عن عمه أبي العباس أحمد بن ناصر، وتولى أمر الزاوية، وتوفي سنة 1197هـ. انظر ترجمته في: طلعة المشتري، للناصري: 2/ 130، والإعلام، للسملالي: 10/ 435، وله ترجمة حافلة في الروضة المقصودة لمعاصره الحوات: 2/ 556.

(5) شفشاون الزرقاء: مدينة اختطها المجاهد أبو جمعة الحسن بن محمد العلمي سنة 876هـ المتوفى شهيداً بدسيسة الإفرنج، وقام مقامه ابن عمه الأمير علي بن موسى بن راشد فبنى قصبة شفشاون، وأوطنها عشيرته. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 288.

(6) تطوان: تقع في أقصى شمال المغرب وتنقسم إلى قسمين المدينة القديمة وهي موضع مدينة تمودا الرومانية، وتقع في الناحية الشرقية، أما المدينة الحديثة فتمتد إلى الغرب والجنوب الغربي ابتداء من ساحة الفدان المعروفة الآن باسم " ساحة الحسن الثاني "، وأمر بإنشائها أبو ثابت عامر بن عبد الله ابن أبي يعقوب المريني. انظر: جغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 74.

التطواني[1] وروى عنه "دلائل الخيرات"، وذكره أيضاً في ثمرة أنسه في التعريف بنفسه[2] وأثنى عليه كما أثنى عليه في رسالته التي ألفها في التعريف بشيخه البناني مُحَشِّي الزرقاني[3].

وترجمه الحفيد العكاري من جملة من أخذ عن جده الشيخ العكاري بالرباط وذكر أنه لازم الشيخ أكثر من اثني عشر عاماً حتى انتفع به نفعاً بيناً على فوات قراءته حال الشبوبية، وتخرج به وبغيره من المشارقة أيام مجاورته للحرمين الشريفين وختم به علم المعقول في عدوتي سلا والرباط، وبلغ من الذكاء والإدراك مبلغاً هو الغاية القصوى وأولع أخيراً بالتصوف ومطالعة كتب القوم ولاحت عليه شواهد الذوق وراض نفسه، وصام وقام واجتهد وجد، وأتته العزائم بقدر عزمه، وهو الآن من المحققين المشاركين المتقنين المدققين، لم يبق في العدوتين أعلم منه على الإطلاق، ولا دليل أقوى من المشاهدة[4].

ومن شيوخه أيضاً القطب ابن ناصر وخليفته مولاي الحسين بن محمد الشرحبيلي الدرعي[5]، والشيخ سيدي أحمد بن يعقوب الولالي، والعلامة الشهير سيدي مَحمد بن عبد السلام البناني الفاسي، وغير هؤلاء من فطاحل المغاربة.

ثم رحل للمشرق سنة أربعين ومائة وألف فأخذ عن شيوخ مصر والحرمين الشريفين كعالم المدينة في وقته الشيخ أبي الطاهر الكوراني[6]، سمع عنه الحديث المسلسل بالأولية،

---

(1) هو: أبو الحسن، علي بن محمد بركة التطواني، الفقيه النحوي، المتوفى سنة 1020هـ. انظر ترجمته في: نشر المثاني، للقادري: 3/ 195، وصفوة من انتشر، للإفراني، ص364، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 764.

(2) كتاب: "ثمرة أنسي في التعريف بنفسي" أو "الخبر عن النشأة الأولية إلى التمكن والاستقرار بفاس الإدريسية"، لأبي الربيع سليمان الحوات المتقدم، عرف فيها بنفسه وأشياخه. وله نسخة مخطوطة تحفظ في الخزانة الحسنية تحت رقم (11861) وقد طبع بتحقيق عبد الحق الحيمر سنة 1996 م. انظر: دليل المؤرخ، لابن سودة: 2/ 296.

(3) محشي الزرقاني هو: أبو عبد الله، محمد بن الحسن بن مسعود، البناني، الفقيه، المتوفى سنة 1194هـ وحاشيته المشار إليها هي كتاب "الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني" المعروف بحاشية بناني على شرح الزرقاني على مختصر خليل، والحاشية مطبوعة بهامش الشرح، وتكثر بالمغرب نسخه الخطية وقلما تخلو منه خزانة، ولدينا منه العديد من النسخ الخطية الأصلية في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث).

(4) انظر: مخطوط فهرسة العكاري، لأبي الحسن العكاري، لوحة: 16/ ب.

(5) هو: الحسين بن محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر بن ناصر الدرعي، أخو سيدي محمد بن ناصر الدرعي. انظر ترجمته في: نشر المثاني، للقادري: 2/ 279، وطبقات الحضيكي: 1/ 200، والمعسول، للمختار السوسي: 18/ 239.

(6) هو: أبو طاهر، محمد بن إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي، الكوراني الشهرزوري، المولود بالمدينة، ومفتي الشافعية بها، المتوفى سنة 1145هـ من تصانيفه: اختصار شرح شواهد الرضا للبغدادي، ومنتخبات من كنز العمال، للمتقي الهندي. انظر ترجمته في: سلك الدرر، للمرادي: 4/ 27، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 494، والأعلام، للزركلي:

وقرأ عليه عدة أحاديث من أول الجامع الصحيح وفاوضه في مسائل من علم الكلام والسير والأصول واصطلاح الحديث واستجازه فأجازه شفاهياً ثم كتابياً.

وفي الحرم المكي أخذ عن الشيخ تاج الدين القلعي[1] وحضر مجلسه في التفسير والبخاري وسرد عليه بقصد الرواية كراريس اشتملت على أوائل كتب الإسلام المشاهير الحديثية الصحاح وغيرها من الأجزاء والمسانيد والموطآت.

وأخذ بمصر عن شيخ المالكية في وقته الشيخ أحمد العماوي[2]، وحضر مجالسه في التفسير والفقه، وقرأ عليه "المواهب " وأوائل الكتب الست وشيئاً من أول "الموطأ " و"الشفا " وغيرهما إلى غير هؤلاء ممن أخذ عنهم كالشيخ سالم بن سالم البصري[3]، والشيخ سيدي محمد بن عبد الله السجلماسي[4]، والفقيه الناسك البركة سيدي سليمان بن أبي سلهام الحصيني[5].

كما حكى كل هذا في المدينة عن رحلته التي طار صيته فيها بين أرجاء تلك الأصقاع الحجازية وحصل له فيها ما حصل من العناية الإلهية والعطفة النبوية حتى اقتبلوه بما اقتبلوه به من مزيد الحفاوة والإعظام، ووصفوه بما وصفوه به من عظيم الشمائل والشمائل العظام، خصوصاً الشيخ أحمد الجوهري الخالدي[6] الشافعي المصري الذي حلاه بقوله: العلامة

6/ 195، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 8/ 196.

(1) هو: علي بن محمد تاج الدين بن عبد المحسن القلعي، مفتي مكة وقاضيها، المتوفى سنة 1172هـ. انظر ترجمته في: سلك الدرر، للمرادي: 3/ 219، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 97.

(2) هو العلاّمة المحدث صدر المدرسين شهاب الدين أحمد بن أحمد العماوي المالكي الأزهري الدمرداشي المتوفى سنة 1155هـ انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 338، ونسبته في المطبوع منه: "العماري"، وفهرس الفهارس والأثبات، للكتاني: 2/ 830.

(3) لم أقف عليه في ما بين يدي من مصادر.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، السجلماسي، قرأ بفاس وأخذ بها وأجيز من محمد الصغير الفاسي صاحب "المنح البادية" وغيره، ثم رحل إلى الحجاز سنة 1125هـ، ومات بالمدينة المنورة سنة 1141هـ. انظر ترجمته في: سلك الدرر، للمرادي: 4/ 60، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 850.

(5) هو: أبو الربيع، سليمان بن أبي سلهام الحصيني، له حاشية على "الاكتفا في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا" للكلاعي، كما في كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية، ص:145.

(6) هو: أبو العباس، أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن يوسف، الكريمي الجوهري، الخالدي، الشافعي، متكلم، ولد بمصر من مؤلفاته: "هداية الراشدين المسترشدين لحل شرح السنوسي على أم البراهين"، توفي سنة 1182هـ. انظر ترجمته في: خلاصة الأثر، للمحبي: 1/ 327، فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 302، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 1/ 185.

النحرير والأستاذ الفاضل الشهير صاحب التحقيقات اللوذعية والتدقيقات المنورة المرضية، الجهبذ الليث الهمام المدقق الفهام، حامل مذهب إمام دار الهجرة على كاهله، العارف بالله الأرضى، والسيد المعظم الأمضى، صاحب الأخلاق الزكية والشيم الهاشمية العلية، علامة الأنام حامل راية الإفهام، مولانا وسيدنا، من عكفت العلوم كلها على ساحة رياضه وارتوت من رحيق حياضه. إلى آخر ما أطاب وأطال وأطنب ما شاء في المقال.

ومما أنشده شيخ المالكية الشيخ العماوي المتقدم في حق هذا الإمام قوله -وناهيك بها من شهادة إمام لإمام-:

أَقْسَمْتُ بِالسَّارِيَاتِ الْغُرِّ والنُّجُبِ ... وبِالْمَرَاشِفِ عَنْ دَرٍّ وعَنْ حَبَبِ
لَمْ يَبْلُغِ الْقَصْدَ إلا عَالِمٌ شَهِدَتْ ... أَهْلُ الْعُلُومِ لَهُ مَعْ جَوْدَةِ النَّسَبِ
ذَاكَ الَّذِي مَلَكَ الدُّنْيَا وقِيلَ لَهُ ... قُلْ مَا تَشَاءُ فَذَاكَ الْعِزُّ يَا ابْنَ أَبِي
ذَاكَ الْمُفَدَّى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ مَنْ ... دَانَتْ لَهُ رُتَبُ الْعُلْيَا بِذَاكَ حُبِي
لا زَالَ مُبْقًى مُنَقًّى نَافِعاً حَكَماً ... مَا بَيْنَ أَرْبَابِ أَفْهَامٍ بِلا رِيَبِ
وَدَامَ مُغْتَبِطاً مَا نَسْمَةٌ حَمَلَتْ ... نَشْرَ الشَّذَى لِمُحِبٍّ صَادِقِ الطَّرَبِ

أما تلاميذه ومن أخذ عنه شرقاً ومغرباً، فشيء يضيق عن استقصائه نطاق هذا الكتاب، وحسبنا أن راوية سوس الأقصى ونادرة قطره المحدث الشهير أبا عبد الله ابن أحمد بن عبد الله الحضيكي(1)، وقاضي القضاة وفخر مكناسة الزيتون القاسم بن سعيد العميري(2)، وبركة فاس وشيخ علمائها الشيخ التاودي بن سودة(3) كلهم من تلاميذه.

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عبد الله، الجزولي الحضيكي. راوية السوس ومؤرخها المشهور، نزيل زاوية أيسى بسوس، المتوفى سنة 1189هـ انظر ترجمته في: المعسول، للمختار السوسي: 11/ 317، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 351.

(2) هو: أبو القاسم بن سعيد بن أبي القاسم، العميري الجابري، التادلي، المكناسي، عالم، أديب تولى القضاء في مكناس، وتوفي بها في سنة 1178هـ من تصانيفه: "التنبيه والإعلام بفضل العلم والأعلام" و"الورد الندي في ترتيب ما تضمنه شرح التسميط المحمدي"، وشرح على نظم العمل الفاسي. انظر ترجمته في: الإتحاف، لابن زيدان: 5/ 541، اليواقيت الثمينة، للأزهري: 1/ 102، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 209.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد التاودي بن الطالب بن علي بن قاسم بن محمد ابن سودة، المري، الفاسي، محدث، فقيه، مؤرخ، توفي بفاس وقد جاوز التسعين سنة 1209هـ من آثاره: حاشية على الجامع الصحيح للبخاري وسماها "زاد المجد الساري إلى صحيح البخاري" ونقوم حاليا بمقابلتها على نسخة خطية بحوزتنا يسر الله نشرها، وشرح تحفة الحكام لابن عاصم. انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 6/ 136، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 185، ودليل مؤرخ المغرب لابن سودة: 1/ 106.

وممن أخذ عنه حسبما وقفت على ذلك ورأيته بأم العين بفهاريسهم جميعاً فلترجع إليها ولتقف على إجازاته المسهبة الطويلة الأذيال لهؤلاء الأجلة الأمثال، على أنه لو لم يكن من مفاخره سوى ولديه وفلذتي كبده الآتيين الإمامين الجليلين القاضيين أبي علي السيد الحسن الغربي، وأبي عبد الله السيد محمد لكان كافياً.

توفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبعين ومائة وألف، ودفن بالزاوية الشهيرة والمنسوبة إليه إزاء ضريح مولاي إبراهيم بالرباط.

ومن فوائده ما وقفت عليه بخطه مكتوباً على الجزء الثاني من كتاب "المواهب اللدنية" عندما تعرض القسطلاني لذكر الخلاف في البسملة هل هي آية من القرآن أو لا زاعماً أن الخلاف في البسملة هو كالخلاف في حرف من القرآن، وأن الذي يجب المصير إليه هو أن كلا من العملين ثابت لأنه لا يختلف اثنان من أهل الإسلام أن هذه القراءات السبع كلها حق مقطوع بأنها من عند الله، وليست هذه أول كلمة ولا أول حرف اختلف في إثباته وحذفه. إلى آخر كلام القسطلاني؛ فكتب عليه صاحب الترجمة ما نصه:

"قوله لا يختلف اثنان..إلخ؛ كلام ضعيف لا يقوم على ساق، فإنه لا يخفى على صاحب التحقيق الفرق بين ما اختلف فيه القراء السبعة من الزيادة والنقص غير البسملة وبين اختلافهم في البسملة، وذلك جلي لمن تأمل، فإن ما اختلفوا فيه غير البسملة حصل القطع بتواتره قرآناً عند جميع الناس أما عند الأخذ به فظاهر، وأما عند غيره فهو يعلم أنه تواتر قرآناً عند الآخذين به، ولا خلاف أن المتواتر عند قوم قد لا يتواتر عند آخرين، وليست البسملة كذلك، فإنا لم نجد من تواترت عنده قرآناً لا من السبعة ولا من غيرهم، فقد اعترف المختلفون واتفقت كلمتهم أنها لم تتواتر قرآناً، ولولا ذلك لكفَّروا من نفاها كما نكفر من نفى شيئاً من القرآن الذي تواتر قرآناً ولو عند بعض السبعة. فتأمل فإن هذا بحمد الله تحقيق يرد هذا التمويه الذي زعمه هذا القول ورآه إنصافاً يجمع بين القولين مع أنه قياس مع وجود الفارق، والله أعلم ".

كذا وجدته بخطه بهامش الجزء الثاني من نسخة "المواهب " وهي نسخته التي قرأ بها على الشيخ العماوي المصري واعتنى بتصحيحها والكتابة عليها، ونوه بها في إجازاته وهي لا تزال حتى الآن قائمة العين ولكنها متفرقة، ثانيها بخزانة شيخنا أبي السعود الكتاني بفاس، وأولها بخزانة حبيبنا أبي عبد الله الدكالي بسلا، والحاصل أن ترجمة هذا الإمام تقف دونها الأقلام فلنمسك الزمام، وهذا القدر كفيل بالمرام.

*** [12] أحمد بن علي بن دهان الأندلسي الرباطي[1]**

الحاج الأبر الفقيه العالم العدل الحيسوبي، شب في طلب العلم، وتصدر للشهادة فبرز فيها، وكان يشار إليه في فني التوثيق والحساب، ورحل للمشرق فحج وزار وأخذ واستفاد. ولازم الشيخ العكاري بالرباط فتفقه عليه وانتفع به، وله ذكر في فهرسة العكاري من بين تلامذة جده ولكنه لم يذكر له وفاة. اهـ.

*** [13] أحمد بن [محمد][2] القاضي التلمساني (المتوفى نحو1180هـ)[3]**

علامة الرباط وشاعره ومفتيه، [الحاج الأبر الفقيه العالم العدل الحيسوبي، شب في طلب العلم وتصدر للشهادة فبرز فيها وكان يشار إليه في فني التوفيق[4] والحساب، ورحل للمشرق فحج وزار وأخذ واستفاد، ولازم الشيخ العكاري بالرباط فتفقه عليه وانتفع به، وله ذكر في فهرسة العكاري من بين تلامذة جده، ولكنه لم يذكر له وفاة][5] أخذ عن فخر الرباط أبي العباس[6] ومن كان في طبقته.

وقد كان من مفاخر الفقهاء المفتين المدرسين الناظمين الناثرين، وقفت على عدة فتاوى من فتاويه وهي وحدها أعظم برهان على غزارة مادته في العلوم ومشاركته في كثير من الفنون، كما وقفت على بعض إجازاته للغير، والبعض من إنشاءاته النثرية والشعرية كتقريظه البديع على "شرح الهمزية "[7] للقاضي أبي عبد الله زنيبر السلاوي[8] الذي جمعه من إملاءات شيخه أبي العباس الغربي المذكور أيام تدريسه لهمزية المديح.

وكانت وفاته في حدود الثمانين بعد المائة والألف كما يستفاد من رسم تحبيس حانوت

(1) هذه الترجمة ساقطة بكاملها من (ح). وانظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 14/أ.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح1).

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 108.

(4) التوفيق والأوفاق: فرع من علم الحروف والأسماء، ويعرف أحيانا بالسيميا ويدرس طبائع الحروف وأسرارها. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 650.

(5) ما بين المعكوفتين سقط من (ح1).

(6) يريد أبا العباس أحمد بن عبد الله الغربي وستأتي ترجمته في هذا الجزء إن شاء الله برقم (11).

(7) هو كتاب: "الفوائد الزكية والدرر البهية والعوائد السنية على ألفاظ الهمزية"، لأبي عبد الله ابن زنيبر السلاوي، ومنه نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية، تحت رقم (11624).

(8) هو: أبو عبد الله، محمد بن حجي زنيبر، السلاوي، الفقيه الأديب، العلامة المحدث المشارك الأريب، قاضي سلا وعلامتها انظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة 14/ ب، والإتحاف الوجيز، لمحمد بن علي الدكالي، ص:145.

على ضريحه بتاريخ عام اثنين وثمانين ومائة وألف أيام قضاء المهدي مرينو، وضريحه بجوار الجامع الأعظم المعروف باسم الزاوية التلمسانية -نسبة لدفينها صاحب الترجمة- كان الكتانيون اتخذوها لإقامة شعائر طريقتهم فيها مدة تقرب من الخمس سنين حتى صارت الزاوية تنسب إليهم، وبعدما بنيت زاويتهم التي بحومة مولاي إبراهيم انتقلوا إليها، وعاد إلى الزاوية اسمها الأول وتمحضت للصلاة المفروضة وإقامة الخمس.

ومن نثره ما أفتى به وكتب على شهادة إثبات نسب قال:

"الحمد لله المنفرد بالإيجاد والإنشاء الذي أعز بفضله من شاء ورفع مقام السادات الأشراف ووصفهم بالتطهير والجد والعفاف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث بالعدل والإنصاف المصطفى من خير بني عبد مناف، والرضى عن ساداتنا أهل البيت الطاهر، وصحابته ذوي النسك والفضل الفاخر، أما بعد، فإن أجل الأنساب وأحظى الأحساب نسب النبي المختار من لباب اللباب والأعراف الطاهرة التي تقصر عن وصفها الألباب. وقد نص علماؤنا رحمهم الله على ثبوت النسب بشهادة السماع[1]، فيلتحق بسببها الفرع بالأصل بلا نزاع، والمسألة منصوصة في ابن الحاجب[2] وشرحه وغيرها من الدواوين.

قال الناظم وقد جمع المسائل التي تثبت بشهادة السماع، والشاهد منه لمسألتنا قوله:

وِكَالتُهمْ إِرْثٌ وَلَوْثٌ[3] قَسَامَةٌ هِبَاتٌ وَأَنْسَابُ....إلخ

فيجب للسادات المشهود لهم التوقير، والاحترام والتطهير، والإجلال والإكبار والإعظام، وقد قال سيدنا الإمام مالك ﷺ: "الناس مصدقون في أنسابهم مأمونون عليها حتى يتبين خلاف ذلك بقاطع صرف"[4]؛ وفقنا الله لمحبتهم والاعتزاز بهم وخدمتهم، قاله وأملاه، أضعف الفقراء إلى الله، أحمد بن محمد ابن القاضي التلمساني، جبر الله كسره وأزاح عنه ضيره".

---

(1) انظر: جامع الأمهات، لابن الحاجب، ص: 477.

(2) هو كتاب جامع الأمهات أو مختصر ابن الحاجب الفرعي. قصد بهذه التسمية (الجامع بين الأمهات) أن الأمهات الفقهية مثل المدونة، ومختصراتها، وغير ذلك من الكتب المؤلفة في الفقه المالكي قد جمعها في مختصره، ويعرف الكتاب بالمختصر الفرعي وقد شغل دوراً مهماً في تاريخ الفقه، وأقبل عليه الناس شرقاً وغرباً، حفظاً وشرحاً، ومن أجل تلك الشروح شرح الشيخ خليل المسمى بالتوضيح في ستة مجلدات وقد منَّ الله علينا في دار نجيبويه للدراسات والنشر بطباعته كاملاً.

(3) اللوث هو أن يشهد شاهد واحد على إقرار المقتول قبل أنْ يموت أن فلاناً قتلني أو يشهد شاهدان على عداوة بينهما أو تهديد منه له أو نحو ذلك وهو من التَّلَوُّث. انظر: لسان العرب لابن منظور: 2/ 185.

(4) قال القرافي في الذخيرة 12/ 115: "قال مالك: والناس على أنسابهم لأنهم حازوها وعرفوا بها كالأملاك"اهـ.

ومن نظمه قوله في "سلسلة العمود المنيف ونسب أهل البيت الشريف":

حَمْـداً لِمَـنْ شَـرَّفَ قَـدْرَ أَحْمَـدَا حَتَّـى سَـمَا بِمَجْـدِهِ فَـوْقَ الْمَـدَا
فَـطَابَ أَصْـلُهُ الرَّفِيـعُ وارْتَقَـى كَـرَمَ فَـرْعُهُ فَـعَزَّ الْمُلْتَقَـى
عَمَّـاهُ عَبَّـاسٌ أَبُـو الْفَـضْلِ الْمَجِيـدُ والسَّـيِّدُ التَّقِـيُّ حَمْـزَةُ الشَّـهِيدُ
وَفَـرْعُ مَـنْ ذُكِـرَ أَوْلادُ عَلِـي الحَـسَنُ الْحُـسَيْنُ مُحْـسِنُ الزَّكِـي
زَيْـنَبُ أُخْـتُهُ بِوَجْـهِ قَـدْ أَضَـا فَاطِمَـةُ الزَّهْـرَا وبَعْلُهَـا الرِّضَـى
نَـسَبُهُ الـطَّاهِرُ خَيْـرُ نَـسَبِ عَـلَيْكَهُ تَـحْظَ بِنَيْـلِ مَطْلَـبِ
وَالِـدُهُ الأَنْـفَسُ عبـد الله وشَـيْبَةُ الْحَمْـدِ الْعَظِيـمُ الْجَـاهِ
فَـهَاشِمٌ عَبْـدُ مَنَـافٍ وقُـصَيْ ثُـمَّ كِـلابٌ مُـرَّةٌ كَعْـبٌ لُـؤَيْ
وَغَالِـبٌ فِهْـرٌ ومَالِـكٌ السَّـرِي نَـضْرٌ كِـنَانَةٌ خُزَيْمَـةُ السَّـنِي
مُـدْرِكٌ إِلْـيَاسٌ نِـزَارٌ ومُـضَرْ مَـعَدُّ عَـدْنَانٍ هُـمُ الْغُـرُّ الـدُّرَرْ
إِلَـى هُنَـا قَـدِ انْتَهَـى هَـذَا النَّـسَبْ فِـي أَثَـرٍ صَـحَّ وزَادَ مَـنْ كَـذَبْ
يَـنْمِي لإِسْـمَاعِيلَ لا مَحَالَـةْ ولِخَـلِيلِ اللهِ بِـالْجَدَالَةْ
ثُـمَّ لِـسَامٍ ولِـنُوحٍ يَنْتَمِـي ثُـمَّ لِـشِيثٍ هِـبَةُ ابْـنِ آدَمِ
عَـلَيْهِمُ الـصَّلاةُ والـسَّلامُ مَـا بَـقِيَ الْـقُعُودُ والْقِيَـامُ
سَلَـفُهُ لِرَبِّـنَا مُـوحِّدُ وهْـوَ نِكَـاحٌ لا سِـفَاحٌ يُوجَـدُ
هَـذَا الَّـذِي قَـدْ صَـحَّ فِـي الأَخْبَـارِ والزَّيْـدُ مَوْكُـولٌ لِعِلْـمِ الْبَـارِي

ومن شعره في المديح قوله وهو من الكلام الفصيح:

مَـا بَـالُ قَلْبِـي يَهِـيمُ وَجْـداً وقَـدْ جَـرَى الـدَّمْعُ بِانْسِجَامْ
هَـلْ أَوْمَـضَ الْبَـرْقُ مِـنْ حُنَـيْنٍ أَمْ هَـبَّ رِيـحٌ مِـنْ ذِي سَـلامْ
أَمْ حَـرَّكَ الـشَّوْقَ ذِكْـرُ عُـرْبٍ حَـلُّوا حَـشَاً قُـدَّ مِـنْ ضِـرَامْ
أَمْ زَارَ طَـيْفُ الْكَـرَى بِلَيْـلٍ أَمْ عَـادَ عَـزْفٌ مِـنَ الْخِيَـامْ
هَـمَتْ جُفُـونِي لِـذِكْرِ حِبِّـي فَـزَادَ قَـلْبِي أَسَـى وهَـامْ
أَيَـكْتُمُ الـصَّبُّ حُـبَّ نَجْـدِ وقَـدْ بَـدَتْ صُـفْرَةُ الـسِّقَامْ
أَبَـعْدَ وَجْـدِي وسَـيْلِ دَمْعِـي يَـبْقَى سَـجُوناً مَـعَ اكْتِتَـامْ

مَا كَانَ ظَنِّي لِفَرْطِ جَهْلِي ... أَنَّ الْهَوَى مُكْسِبُ الْكَلامْ
مَا رَامَ عَزْمِي حَدِيثُ سُعْدَى ... إلا وقَدْ صَادَنِي غَرَامْ
قَدْ أَرَّقَ الْجَفْنَ مِنْ جَوَاهُ ... فَلَمْ يَطِبْ عِنْدَهُ مَنَامْ
يَا عَاذِلِي دَعْ هَوَى عَلانِي ... يَفْرِي فُؤَادِي بِلا حُسَامْ
فَطَالَمَا عَزَّ دَاءَ قَلْبِي ... دَوَاؤُهُ هَلْ لَهُ انْحِسَامْ
بَدَتْ عُرَى الصَّبْرِ مِنْ نَوَاهُ ... مَا جَاسَ إلا بَدَا انْهِزَامْ
مَا نُعْمَى قَصْدِي ولا سُلَيْمَى ... لا رَامَةٌ إِنَّمَا الْمَرَامْ
مَنْ فَاقَ كُلَّ الْوَرَى جَمَالاً ... وقَدْ مَحَا نُورُهُ الظَّلامْ
مِصْبَاحُ جُودٍ وسُحْبُ جُودٍ ... وعَيْنُ مَجْدٍ فَلا يُرَامْ
أَبْهَى الْمُحَيَّا كَشَمْسِ ضَحْوٍ ... أَوْ قَمَرٍ لاحَ عَنْ تَمَامْ
فَيَا لَهُ مِنْ بَهَاءِ وَجْهٍ ... يَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُؤِ الْغَمَامْ
قَدْ وَسِعَ الْعَالَمِينَ حِلْماً ... وحِلْمُهُ عَمَّ مَنْ يُلامْ
مَا غَيْرُ أَخْلاقِهِ نَسِيمٌ ... ولا سِوَى وَصْفِهِ اخْتِشَامْ
طَيِّبُ أَصْلٍ وشَمْسُ فَضْلٍ ... وسَيِّدٌ ضَحِكُهُ ابْتِسَامْ
يَمْشِي الْهُوَيْنَى لَهُ فُؤَادٌ ... أَنْ نَامَتِ الْعَيْنُ لا يَنَامْ
هَذَا السَّبِيلُ الْقَوِيمُ لَمَّا ... أَنْ ضُمَّ كُفْرٌ إِلَى اجْتِرَامْ
مَحَا مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شِرْكٍ ... ولَمْ يَزَلْ يُرْشِدُ الأَنَامْ
حَتَّى بَدَا الرُّشْدُ مِنْ سِوَاهُ ... وبَانَ غَيٌّ فَلا يُسَامْ
فَانْقَضَى مُذْ جَاءَ كُلُّ بَغْيٍ ... وانْقَدَّ بِالتَّوْبَةِ الآثَامْ
قَدْ أَلِفَ النُّسْكَ وهْوَ طِفْلٌ ... يَبْغِي التُّقَى هَكَذَا الْكِرَامْ
يَزْرِي بِدُنْيَا غَدَتْ ويَرْجُو ... مَا عِنْدَ مَوْلاهُ بِاهْتِمَامْ
أَظَلَّهُ الْغَيْمُ كَانَ يَدْرِي ... مِنْ خَلْفِهِ مَا دَرَى أَمَامْ
قَدْ نَصَحَ الْخَلْقَ كُلَّ نُصْحٍ ... لَمْ يَكْتَرِثْ قَطُّ بِالْمَلامْ
وَأَطْرَبَ السَّمْعَ مِنْ حَلاهُ ... مَحَاسِنٌ مَا لَهَا اخْتِتَامْ

يَـا مُـصْطَفَى اللهِ حُـزْتَ حُـسْناً | عَـنْ وَصْـفِهِ يَعْجِـزُ الْكَـلامْ
مَـا طَـالَ مَـدْحِي لَكُـمْ وقَـصْدِي | أُوفِـيكَ مَـدْحاً مِـنَ انْتِظَـامْ
قَـدْ بَـرَّحَ الـشَّوْقُ بِـي فَقَلْبِـي | يَـهْوَى حِمَـى سَـاكِنِ الْحَـزَامْ
يَـا دَوْحَـةَ الْمَجْـدِ خَيْـرَ هَـادٍ | عَـيْنَ الـنَّدَا مِـسْكَةَ الْخِتَـامْ
قَـدْ أَثْقَـلَ الظَّهْـرَ حَمْـلُ وِزْرِي | مَـا كَـانَ يَـأْوِي إِلَـى انْفِطَـامْ
مَـا لِـي سِـوَى أَحْمَـدٍ مَـلاذٌ | يَـوْمَ امْـتِحَانٍ مِـنَ انْتِقَـامْ
عَـلَيْهِ مِـنْ رَبِّـنَا صَـلاةٌ | يَـصْحَبُهَا أَفْـضَلُ الـسَّلامْ
يَغْـشَاهُ مِـنْ عَـرْفِهِ شَـذَاهُ | والآلَ مَـعْ صَـحْبِهِ الْكِـرَامْ

*[14] أحمد بن أحمد الحكمي (المتوفى سنة 1226هـ)[1]

قاضي العدوتين وحاكم الأمتين، العلامة الإمام المشارك الأديب الشاعر الناثر الناسك.

نشأ بالرباط وبه قرأ، ثم رحل إلى فاس فأخذ عن شيوخها كالعلامة الشيخ التاودي بن سودة، والشيخ البناني محشي الزرقاني، ومن كان في طبقتها واستجازهم فأجازوه بإجازات حفيلة، ثم رجع للرباط مسقط رأسه فأكب على التدريس ونشر العلم بين أهله حتى تخرج عند علماء أجلاء سنأتي على تراجمهم بحول الله. وناهيك أن من تلامذته العلامة العارف القدوة الزاهد أبا حفص عمر بن المكي ابن الشيخ المعطي[2] وقريبه العلامة الزاهد الصالح سيدي الشاذلي بن بلقاسم الشرقي الغزواني، والعلامة القاضي محمد بن دحون[3] نزيل أزمور[4] والعلامة السيد الهاشمي بن التهامي الزيزوني نزيل زاوية وازان وغيرهم.

---

(1) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف، ص: 25، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 137، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 106، وإتحاف أعلام الناس، لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن زيدان العلوي: 1/ 346، أعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 7/ 110.

(2) هو: أبو حفص، عمر بن محمد المكي بن محمد المعطي بن الصالح التادلي، الشرقاوي، المتوفى سنة 1260هـ لقي غير واحد من الأئمة الكبار وذكر عن نفسه أنه لقي الصحابي الأشهر: السيد شمهروش؛ قاضي الجن، مرات كثيرة، وتبرك به وأخذ عنه !! انظر ترجمته في: سلوةالأنفاس، للكتاني: 1/ 212.

(3) وفي مجالس الانبساط لدنية: (أحمد بن محمد ابن دحون). انظر: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 138.

(4) أزمور: مدينة ساحلية على الأطلسي بالمغرب، موقعها على الجانب الأيسر لمصب وادي أم الربيع، وهي مدينة صغيرة مشيدة بجانب رأس صخري عال، كانت عاصمة إقليم دكالة القديمة. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 24.

وقد ولي رَحِمَهُ اللَّهُ قضاء العدوتين سلا والرباط، وكان جلوسه للحكم في منتصف رمضان عام أربعة عشر ومائتين وألف، واستعمل نائباً عنه بسلا الفقيه البركة السيد الهاشمي طوبى السلاوي[1] كما كان يستعمل نائباً عنه بالرباط لموجبه تلميذه أديب العدوتين العلامة ابن عمرو الرباطي الشهير، ومكث في ولايته هذه نحو الخمس سنين ثم أعفي عشية يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام تسعة عشر ومائتين وألف، وولي مكانه جد والدي للأم القاضي السيد الطيب بسير الآتي.

ثم خوطب بالقضاء مرة ثانية فامتنع من القبول تورعاً فألزمه الكبراء أن يقبل فأبى واعتذر عن ذلك بأنه كان يفاوض في القضاء الأول الفقيهين الغربي[2] والمير[3] وقد ماتا معاً رحمهما الله.

وكان في الأدب من ذوي الرقائق والترسيل والمنزع الغريب والمقطع العجيب، لن ترى أرشق من تخلصه إلى المقصود بالذات بعد نسيب وسيم ما له من قسيم، والشعر الذي تنتشق منه روائح المعاطن والرسيم والنثر الجزل البليغ المزري باعتلال النسيم، مع جودة القريحة وسرعة الإملاء، ومن شعره قوله:

دَعَـتْنِي فَـتَاةُ الْحَـيِّ بَادِيَـةً نَحْـراً ... هَلُـمَّ إِلَـى نَحْـوِ الـسَّعَادَةِ فِـي الأُخْـرَى

فَـلَبَّيْتُهَا والـدَّمْعُ يَهْمِـي وأَضْـلُعٌ ... يُـفَتِّتُهَا بُعْـدَ الْمَـزَارِ بِـمَنْ أَغْـرَى

ومن قصيدة في المدح منها قوله:

فَـقَالَتْ وقَـدْ خَـانَ الرِّضَـا وتَبَـسَّمَتْ ... عَـلَيْكَ بِمَـنْ أَسْـرَى إِلَـى مَـانِحِ الإِسْـرَا

رَسُـولٍ بَـدَا غَيْـثِ النَّـدَى عَلَـمِ الْهُـدَى ... كَـرِيمٍ غَـدَا بَـرّاً عَطُوفـاً ولا حَـصْرَا

أَمِـيرِ الْـوَرَى قُـطْبِ النَّبِيِّـينَ مُجْتَبَـى ... بِـخَلْقٍ وخُلْـقٍ خَيْـرُ مَـنْ وَعَـى الـذِّكْرَا

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد الهاشمي طوبى، السلاوي، القاضي، كما ذكر الناصري في الاستقصا اسمه وحليته وأنه أم المصلين على جنازة أحمد بن المكي السدراتي السلاوي في سنة 1253هـ. انظر: الاستقصا، للناصري: 3/ 46.

(2) يريد القاضي أبا عبد الله محمد بن أحمد الغربي وانظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 612.

(3) هو أبو عبد الله، محمد بن الطاهر المير، السلاوي، من أفاضل عصره في العلم والدين والاجتهاد في الطلب والعقل الرزين. رحل لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، ولما رجع من رحلته جلس للتدريس بمدينة سلا والإفتاء، وكان يدرس التفسير، ولما وصل إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قبضه الله إليه، وذلك في سنة 1220هـ .انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 154، والاستقصا، للناصري: 8/ 107، وفيه أن وفاته 1214هـ.

لَـهُ الْمَوْكِـبُ الأَسْـنَى وفِيـهِ لَنَـا الْمُنَـى بِـذِكْرٍ لَـهُ فَـائِعَ الْغِنَـى واذفَـع الْعُـسْرَا
لَـــهُ مُـعْجِزَاتٌ يُــحْجِمُ الْعَــدُّ دُونَهَــا وهَـلْ تَحْـصِرُ الْحَـصْبَاءَ أَوْ تَحْـسِبُ الـذُّرَّا
فَـطُوبَى لِـمَنْ أَمْـسَيْتَ يَـا خَيْـرَ مُرْسَـلٍ مُـوَاصِلَهُ بَـيْنَ الْـوَرَى فَـاقْتَنَى الـذُّرَّا
أَيَـا مُـصْطَفًى مِـنْ صَـفْوَةِ الـصَّفْوِ خَالِـصاً تَـدَارَكْ مُـسِيئاً قَـدْ أَلَـمَّ لَكُـمْ حَجْـرَا
أَيَـــا عِـــدَّتِي عِـــنْدَ الـــشَّدَائِدِ كُلِّهَـــا وِدَادُكَ مَـــا أَرْجُـــو بِـــهِ أَمْحَـــقُ الْـــوِزْرَا

ومنه قوله مخاطباً لتلميذه أبي حفص المتقدم:

لِـلْبَيْنِ مَـا بَـيْنَ أَفْـلاذِ الْحَـشَا أَثَـرُ ولِلْمَـشُوقِ إِلَـى نَحْـوِ الْحِمَـى نَظَـرُ
وَآيَـةُ الـصِّدْقِ فِـي دَعْـوَى الْمَحَبَّـةِ أَنْ تَـرَى الْمَـشُوقَ وفِـي عَبرَاتِـهُ عِبَـرُ
وَمَـنْ يَكُـنْ يَرْتَجِـي يَوْمـاً يُـسَرُّ بِـهِ فَـوَصْلُكُمْ مُنْتَهَـى الآمَـالِ يَـا عُـمَرُ

ومنه قوله مطلع قصيدة له من المديد:

صَـاحِ إِنْ زَلَّـتْ بِـكَ الْقَـدَمُ واعْـتَرَى بَاطِنَـكَ النَّـدَمُ
وَرَأَيْـتَ الـصُّحُفَ قَـدْ مُلِئَـتْ مِـنْ خَطَايَـا دُونَهَـا الـدِّيَمُ
فَـاخْلَعِ الْهَـزْلَ الَّـذِي أَلِفَـتْ مِـنْكَ نَفْـسٌ مَـا لَهَـا ذِمَـمُ
وَتَـوَرَّعْ لِـلتُّقَى حُلَـلاً حَـاكَهَا التَّوْفِيـقُ والنَّـدَمُ

ومنه قصيدته الطنانة التي مدح بها ذخيرة المحتاج ومؤلفها الشيخ سيدي المعطي[1] رحمه الله، وهذا مطلعها:

فِـي سُـنْدُسِ الـرَّوْضِ الْبَـدِيعِ الأَخْـضَرِ زَارَتْ بُـثَيْنَةُ فِـي رِدَاءِ الْمُـشْتَرِي
أَحْـبِبْ بِـهِ رَوْضَ الـسُّرُورِ كَأَنَّـهُ خِلَـعُ الْمُلُـوكِ عَلَـى لِيُـوثِ الْعَـسْكَرِ
وَكَـأَنَّمَا قَـامَ الْـهَزَارُ بِغُـصْنِهِ يَحْكِـي الْخَطِيـبَ عَلَـى سَـرِيرِ الْمِنْبَـرِ
وَكَـأَنَّمَا فِـيهِ الْحِيَـاضُ تَـدَفَّقَتْ أَنْـهَارُهَا مِـنْ سَلْـسَبِيلِ الْكَـوْثَرِ

إلى أن قال:

اللهُ أَكْـبَرُ والْـمَوَاهِبُ آيَـةٌ هَـذَا الَّـذِي بِـمِثَالِهِ لَـمْ أُخْبَـرِ

---

(1) هو: المعطي بن صالح بن الولي الكبير محمد الشرقي، الزعيري، شيخ الصوفية، الورع الزاهد الجواد الناسك، صاحب كتاب "ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج"، منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط. تحت رقم: (2770ك) انظر ترجمته في: نشر المثاني للقادري: 4/ 174، والتقاط الدرر، للقادري أيضاً، ص: 446، وطبقات الحضيكي: 2/ 383.

لَـمْ يَـدَّخِرْ مِثْـلَ الـذَّخِيرَةِ وَاجِـدٌ ... وبِـسِرِّهَا بَـيْنَ الْـوَرَى لَـمْ يَظْفَـرِ

أَنَّـى النَّـسِيمُ إِذَا سَـرَى مِـنْ سِـرِّهَا ... أَوْ مِـنْ شَـمَائِلِهَا شَـبِيهَةُ عَنْبَـرِ

لا تَـعْدُوَنْ عَـيْنَاكَ عَـنْهَا أَنَّهَـا ... عَـيْنُ الْـمَعَالِي وذِمَّـةٌ لَـمْ تُخْفَـرِ

لَـكِنَّ مَـنْ وَرِثَ الْعُـلا عَـنْ صَـالِحٍ[1] ... عَـنْ جَـدِّهِ الـشُّرْقِي الْهُمَـامِ الأَشْـهَرِ

فَـهْوَ الْحَـرِيُّ بِـأَنْ يُـدِيرَ كُؤُوسَـهَا ... بِـمُدَامَةٍ وهْـيَ الْمُنَـى لَـمْ تُعْـصَرِ

خَـمَّارُهَا الْفَـارُوقُ يَـا سَـعْدَ الأُلَـى ... هَـامُوا بِهَـا فَـوْقَ الْبِـسَاطِ الأَنْـوَرِ

هَـذِي الْـمُدَامَةُ لا سِـوَاهَا رَائِـقٌ ... يَـا فَـوْزَ مَـنْ عَـنْ وِرْدِهَـا لَـمْ يَـصْدُرِ

يَـا صَـالِحاً صَـلُحَ الْمَـدِيحُ بِـذِكْرِهِ ... إِنِّـي عَلَـى فِعْـلِ الْغِوَايَـةِ مُجْتَـرِي

فَـانْهَضْ عَلَـى قَـدَمِ الْعِنَايَـةِ رَاحِمـاً ... مَـنْ لَـيْسَ فِـي أَشْـوَاقِهِ بِـالْمُفْتَرِي

حَـتَّى أَرَى بَحْـرَ الْعُلُـومِ بِأَسْـرِهَا ... مُسْتَنْـشِقاً رَيَّـا شَـذَاهَا الأَعْطَـرِ

مُسْتَـشْفِعاً بِعُـلا جَنَـابِ الْمُـصْطَفَى ... خَـيْرِ الْـبَرِيَّةِ بِـالْجَبِينِ الأَزْهَـرِ

صَـلَّى عَـلَيْهِ وآلِـهِ وصَـحَابِهِ ... رَبٌّ حَـبَاهُ شَـفَاعَةً فِـي الْمَحْـشَرِ

مَـا حَرَّكَـتْ شَـوْقَ الْمَـشُوقِ حَمَامَـةٌ ... غَنَّـتْ عَلَـى قُـضُبِ الرِّيَـاضِ الأَخْـضَرِ

ومن الفنون الأدبية التي تفرد بها في وقته فن الموسيقا، فقد كان له مزيد إلمام بها، ولذلك عده من العارفين بها المحسنين لها سبطه شيخ شيوخنا أبو إسحاق التادلي في كتابه أغاني السيقا في علم الموسيقى[2].

وكان مع هذا كله كثير العبادة والقيام بالليل والتلاوة للقرآن، يقطع سحابة يومه بالذكر والأوراد وقراءة دليل الخيرات وتعمير مجالسه العلمية على اختلافها.

ولم يكن يكترث لشدة ولا يهتم لنائبة واثقاً بربه محسناً الظن به، فعاش رحمه الله سعيداً ومات كما يذكر شهيداً.اهـ.

هذا ملخص ما قاله في حقه الأديب ابن عمرو المتقدم فيما يوجد من فهرسته مع زيادات وتصرف في التعبير.

---

(1) أي والده صالح بن المعطي.

(2) هو كتاب: "السيقا في علم الموسيقى" أو "الارتقا إلى علم الموسقى" لأبي إسحاق، إبراهيم بن محمد، التادلي، المتوفى سنة 1311هـ، لدينا منه نسخة خطية أصلية في مكتبتنا بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، وأخرى في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1821د، وثالثة في الخزانة الحسنية تحت رقم (12063) ورابعة تحت رقم (13914).

ثم قال: "وبينما نحن من سعادته ومساعدته في أمان وطرب، ومن علومه وفضله في ورد رائق وبلوغ أرب، وهو لنا أب ونحن له بنون لم يرعنا إلا أن أدار عليه كأسه المنون فاختلسه من أيدينا غفلة ونعق به ناعق البين فأوجب في رحيله فرضه ونفله، وأجرى ماء الشؤون دماً وصير المؤمل من طول سلامته عدماً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، مات رَحِمَهُ اللهُ بداء البطن، و«المبطون شهيد»والحديث في الصحيح بذلك شهيد[1]، بعدما مرض مرضاً طويلاً ولازم الفراش نحو أربعين يوماً بعد طلوع الفجر من يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر رمضان عام ستة وعشرين ومائتين وألف.

ولما أقفر منه الربع وكان به آهلاً، وأيقن بصروف الدهر من كان بحلولها غرّاً جاهلاً، ورمي الأعلام لموته بالصمات وأصغت الآذان لوقع مصابه في محافل الأبطال والكماة تنفس كل مصدور متسلياً عن المقدور، وأجرى في ميادين الفكرة جياد القريحة، وغاص في مدامعه لاستخراج ما هو كالدواء للقلوب القريحة به، فكان أسبقهم في هذا الميدان وأجراهم فرساً وأملكهم للعنان ولده الذي ما مات من خَلَّفه، ونجله الذي أحيا المكارم فقفا وفاق سلفَه ووارثه الذي ابتسم به ثغر الدهر، والقائم بعهده في السر والجهر، العلامة الأريب، أبا عبد الله محمد صالح فقال وأجاد في المقال:

عَــزِّ الْمُــصَابَ وسَــلِهِ وانْهَــضْ إِذَا ... مَــا احْــتَاجَ لِــلتَّأنِيسِ والإِكْــرَامِ

وَابْــكِ الْــكِرَامَ إِذَا فَقَــدْتَ دَلِــيلَهُمْ ... واشْــكُ الــنَّوَى وتَوَاطُــؤَ الأَيَّــامِ

وَانْــدُبْ رُبُــوعاً طَــالَمَا يَمَّمْتَهَــا ... مُتَعَطِّــشاً فَــكُفِيتَ شَــرَّ أُوَامِ[2]

وَاحْــبِسْ مَطَايَــا الــدَّمْعِ إِنْ عَايَنْتَهَــا ... تَــشْكُو الْــخُطُوبَ بِطَرْفِهَــا الْبَــسَّامِ

وَاجْهَــدْ وجُــدْ عَــسَى تُــنَفِّسُ بَعْــضَ مَــا ... لاقَــيْــتُ مِــــنَ الأَهْــوَالِ والآلامِ

بِــنَوَى أَبِــي الْــعَبَّاسِ دُرَّةِ عَــصْرِنَا ... بَــيْتِ الْقَــصِيدِ وكَــعْبَةِ الإِعْظَــامِ

آهــاً لِــفَقْدِ شَــمَائِلٍ وَلَّــتْ لَــدُنْ ... أَوْلَــى الْــبِعَادَ وذَاقَ طَعْــمَ حِمَــامِ

بُــعْداً لِــيَوْمٍ ذُقْــتُ فِــيهِ بِــعَادَهُ ... مُتَــصَبِّراً لِــسِهَامِ شَــهْمٍ رَامِ

لَــهْفِي عَلَيْــهِ ولَهْــفَ قَــوْمِي والأُلَــى ... صَــارُوا بِــرَغْيِ الــوُدِّ مِــنْ أَقْوَامِــي

(1) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون: 5/ 2165، برقم (5401)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء: 3/ 1521، برقم (1915)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) الأوام: شدة العطش. انظر لسان العرب، لابن منظور: 12/ 38 مادة (أوم).

يَا حَسْرَتَاهُ وهَلْ دَرَى دَهْرِي بِأَنْ ... أَفْنَى اضْطِبَارِي وسَامَنِي بِحُسَامِ
وَا غُرْبَتَاهُ وكَمْ شَكَى مُتَغَرِّبٌ ... مِثْلِي بِفُرْقَةِ قَرْمِيَ الْمِقْدَامِ
مَنْ لِلأَرَامِلِ والْمُؤَمِّلِ والْعُلَى ... مَنْ لِلضِّعَافِ الْغُبْرِ والأَيْتَامِ
مَنْ لِلْعُلُومِ يُبِينُهَا إِنْ أَشْكَلَتْ ... وتَمَنَّعَتْ عَنْ عَاجِزٍ بِلِثَامِ
مَنْ لِلْوُفُودِ وبَذْلِ مَيْسُورِ الْقِرَى ... مَنْ لِلْمَسَاجِدِ بَعْدَهُ بِإِمَامِ
مَنْ لِي إِذَا مَا جِئْتُ أَمْراً مُنْكَراً ... أَوْلَى الْجَمِيلَ وزَادَ فِي الإِكْرَامِ
لا زِلْتُ أَنْشُدُهُ وأُنْشِدُ بَعْدَهُ ... يَا رَبِّ مُنَّ لَهُ بَدَارِ سَلامِ
وَأَنِلْهُ صُحْبَةَ أَحْمَدٍ فِي جَنَّةٍ ... أَعْدَدْتَهَا لِعِصَابَةِ الإِسْلامِ
وَامْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا ... عَنِّي الذُّنُوبَ وسَيِّئَ الإِجْرَامِ
وَتَوَلَّ كُلَّ مُوَاصِلٍ ومُجَامِلٍ ... بِزَوَائِدِ الإِفْضَالِ والإِنْعَامِ
وَارْحَمْ عَدِيماً طَالَ مَا عَوَّدْتَهُ ... مِنْكَ الْجَمِيلَ وجَاءَ بِالآثَامِ
وَاجْعَلْ إِلَيْكَ تَوَجُّهِي فِيمَا عَرَى ... واسْمَحْ بِفَضْلِكَ لِي بِحُسْنِ خِتَامِ
بِمُحَمَّدٍ وبِصَحْبِهِ والْمُقْتَفِي ... حَيَّاهُمُ رَبُّ الْعُلا بِسَلامِ

وقال أيضاً:

يَا أَبَتَاهُ سَقَتْكَ الْغَادِيَاتُ فَكَمْ ... قَدْ عَضَّدَتْهَا دُمُوعُ أَعْيُنِ النَّادِي
وَلازَمَتْ فِي دَيَاجِي الْخَطْبِ تِذْكَارَكُمْ ... وكَرَّرَتْهُ فَأَغْنَتْنِي عَنِ الْحَادِي
وَلَمْ أَزَلْ سَاهِراً والنَّجْمُ يَشْهَدُ لِي أَنِّي ... فَرِيدٌ سَلَكْتُ ذَلِكَ الْوَادِي
لَهْفِي عَلَيْكَ ومَا يُغْنِي أَخَا حُرَقٍ ... لَهْفٌ عَلَى قَامِعِ الْبَاغِينَ والْعَادِي

وأنشد الأديب المذكور أيضاً لنفسه في رثاء هذا الشيخ وتاريخ حلوله في رمسه:

كَفَى الرُّزْءُ خَطْباً أَنْ يَحُلَّ عُرَى الصَّبْرِ ... ويُرْخِصَ مِنْ دَمْعِ الْوَرَى غَالِيَ التِّبْرِ
وَيُذْكِي نَاراً تَلْتَظِي بِتَغَيُّظٍ ... فَتُفْنِي جِذَى الأَحْشَاءِ مِنْ كُلِّ ذِي صَدْرِ(1)
وَيُبْكِي أَعْلامَ الدِّرَايَةِ والْهُدَى ... ويَسْلُكُ بِالتَّحْرِيرِ فِي الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ
وَيُعْجِمُ أَسْرَارَ الْبَلاغَةِ بَعْدَ مَا ... تَحَلَّتْ حُلَى تَكْسُو الْجَمَالَ سَنَا الْبَدْرِ

---

(1) الجِذى والجِذْوَة من النار: العود الغليظ يؤخذ فيه نار ويقال لأصل الشجرة جِذْيَة وجَذَلَة. انظر لسان العرب، لابن منظور: 14/136.

وَيَــعْكِسَ آمَـــالَ الـــظِّمَاءِ إذَا انْظَـــوا ... لِمُـــشْكِلَةٍ عَـــيَّتْ عَـــلَى النَّاقِــدِ الْخَبْــرِ
وَيُـــخْرِس لُـــسْناً لَـــمْ تَكُـــنْ قَبْـــلُ تَنْثَنِـــي ... لِمُعْـــضِلَةٍ تَـــشْتَدُّ مِـــنْ نُـــوَبِ الـــدَّهْرِ
وَيُـــذْهِمَ أَرْبَـــابَ الـــطِّرُوسِ بِـــصَدْمَةٍ ... تَـــطِيشُ لَهَـــا الأَحْـــلامُ عَـــنْ شَـــرَقِ النَّحْـــرِ
وَإِنَّ عَـــظِيماً مَـــا دَهَـــا النَّـــاسَ كُلَّهُـــمْ ... بِـــطُوفَانِ جَـــهْلٍ أَوْ بِغَـــيْضٍ مِـــنَ الْبَحْـــرِ
سَـــطَا فَـــاعْتَمَى نَيْـــلَ الأَبَـــاهِرِ والْكَـــلا ... فَأَقْـــصَدَهَا مِـــنْ حَيْـــثُ يَـــدْرِي ولا نَـــدْرِي
فَـــمَا لِـــصُرُوفِ الـــدَّهْرِ تَرْنُـــو إِلَـــى الْعُـــلا ... عَـــلَى حَـــنَقٍ شَـــزْراً لَكَانَـــتْ عَلَـــى نَـــذْرِ
بَـــلَى مَـــا قَـــضَاهُ اللهُ فِـــي الْكَـــوْنِ وَاقِـــعٌ ... فَـــمَا لِـــلْعُلَى يَـــوْماً ولِلنَّظَـــرِ الـــشَّزْرِ
ويَـــجْمُلُ فِـــي الأَرْزَاءِ حُـــسْنُ تَجَمُّـــلٍ ... بِـــصَبْرٍ عَـــلَى أَنْ لا سَـــبِيلَ إِلَـــى الـــصَّبْرِ
وَكَيْـــفَ اضْـــطِبَارِي بَعْـــدَ مَـــنْ حَـــلَّ رُزْؤُهُ ... بِـــكُلِّ الْـــوَرَى مَـــا أَنْ يَخُـــصَّ بِـــذَا الْقُطْـــرِ
فَـــتًى كَـــانَ لِـــلْوُرَّادِ أَعْـــذَبَ مَنْهَـــلٍ ... ويُـــمْنَاهُ لِـــلْعَافِي بَـــدِيلاً مِـــنَ الْقَطْـــرِ
وَلِلْمُـــسْتَفِيدِينَ الـــشِّفَاءَ مِـــنَ الْعَمَـــى ... وفِـــي مَبْحَـــثِ التَّحْقِيـــقِ يُرْبِـــي عَلَـــى الْفَخْـــرِ
وَيُـــزْرِي بِـــسَعْدِ الـــدِّينِ فِـــي الْعِلْـــمِ والْحِجَـــا ... ويَحْمِـــي حِمَـــى الـــشَّرْعِ الْمُطَهَّـــرِ بِالـــسُّمْرِ
فَـــلَهْفِي عَـــلَيْهِ لافْـــتِكَاكِ عَوِيـــصَةٍ ... تَـــنَابَذَهَا الأَعْـــلامُ حَـــقّاً بِـــلا نُكْـــرِ
وَلَهْـــفِي عَـــلَيْهِ لاقْـــتِنَاءِ مَـــكَارِمٍ ... مِـــنَ الْعَفْـــوِ والإِغْـــضَاءِ فِـــي الـــسِّرِّ والْجَهْـــرِ
وَلَـــهْفِي عَـــلَيْهِ لارْتِـــكَامِ مَـــوَاطِرٍ ... مِـــنَ الْفَـــضْلِ لا تَنْفَـــكُّ تَنْهَـــلُّ عَـــنْ كُثْـــرِ
وَلَـــهْفِي عَلَـــى جَمْـــعِ الْبَـــشَاشَةِ والْقِـــرَى ... لِـــمَنْ قَـــدْ عَـــرَى هَبْـــهُ أَصَـــرَّ عَلَـــى الْغَـــدْرِ
وَلَـــهْفِي عَلَـــى الـــسَّجَّادِ واللَّيْـــلُ حَالِـــكٌ ... مَـــدَى الـــدَّهْرِ لَـــوْ يَغْـــشَاهُ مُنْـــصَرَفَ الْفَجْـــرِ
وَلَـــهْفِي عَـــلَى عِلْـــمِ الْحَـــدِيثِ وعُلْـــوِهِ ... بِـــإِسْنَادِهِ الْمَعْلُـــومِ فِـــي الْوَصْـــلِ والْقَـــصْرِ
وَلَـــهْفِي عَـــلَى عِـــلْمِ الأُصُـــولِ فَإِنَّـــهُ ... أَشَـــاحَ بِـــهِ رُغْـــماً ومَـــرَّ مَـــعَ الـــسُّفْرِ
وَلَـــهْفِي عَلَـــى التَّفْـــسِيرِ والنَّحْـــوِ بَعْـــدَهُ ... فَـــمَا بَـــاذِلٌ كَـــابْنِ اللَّبُـــونِ إِذَا يُقْـــرِي
وَلَـــهْفِي عَلَـــى عِلْـــمِ الْبَـــلاغَةِ بَالِـــغاً ... مَـــدَاهُ فَيُبْـــدِيهِ أَدَقَّ مِـــنَ الـــسِّحْرِ
فَـــمَنْ بَـــعْدَهُ لِـــلْمَنْطِقِ الْعَـــذْبِ وِرْدُهُ ... فَيَكْـــشِفُ عَـــنْ عَلْـــمِ الْعَقَائِـــدِ والـــشِّعْرِ
فِـــداً لأَبِـــي الْعَبَّـــاسِ مِـــنْ بَعْـــدِ مُهْجَتِـــي ... تِـــلادِي ومَـــا أَمَّـــلْتُهُ مِـــنْ يَـــدِ الـــدَّهْرِ
سَـــأَبْكِيهِ بِـــالدُّرِّ الـــثَّمِينِ ومَـــا أَسَـــا ... فَـــتًى بِـــثَمِينِ الـــدُّرِّ يَبْكِـــي عَلَـــى الْبَحْـــرِ

هُوَ الْمَرْءُ مِن بَيْتٍ طَوِيلٍ عِمَادُهُ ... ولَمْ يَكُ مِنْ أَهْلِ الْفَظَاظَةِ والشَّرِّ
عَلَى فَقْدِهِ يَبْكِي الخَلِيُّ مِنَ الشَّجَى ... وفِي مَوْتِ أَرْكَانِ الْهُدَى شَابَكَ الظُّفْرِ
وَقَدْ كَادَ يُسْلِينِي حَقِيقُ انْتِقَالِهِ ... لِجَنَّةِ عَدْنٍ بِالْبَشَائِرِ وَالْبِرِّ
عَلَى أَنَّهُ وَافَى الْجِنَانَ مُخَلَّداً ... وأَفْلاذُنَا تَصْلَى الْبِعَادَ عَلَى الْجَمْرِ
وَلَكِنَّهُ أَبْقَى بِحَمْدِ إِلَهِنَا ... خَلِيفَتَهُ فِي الْعِلْمِ والدِّينِ والْخَيْرِ
فَأَمْرَغَ نَادِيَهُ السَّعِيدَ بِصَالِحٍ ... وقَامَ بِأَعْبَاءِ الْخِلافَةِ فِي الإِثْرِ
وَأَبْقَى لَنَا أَعْلامَ مَجْدٍ أَمَاثِلاً ... قَدِ الْتَقَطُوا مَا كَانَ يُلْقِي مِنَ الدُّرِّ
وَقَدْ سَبَقُوا قُدْماً لِكُلِّ فَضِيلَةٍ ... وهَاهُمْ بِحَمْدِ اللهِ كَالأَنْجُمِ الزُّهْرِ
فَصَبْراً عِبَادَ اللهِ إِنَّ اصْطِبَارَكُمْ ... كَفِيلٌ بِمَا يُرْجَى لَدَى اللهِ مِنْ ذُخْرِ
وَصَبْراً عَلَيْهِ صَالِحَ الْفِعْلِ والدُّعَا ... فَمَا زَالَ صَبْرُ الْمُبْتَلَى مَاحِيَ الْوِزْرِ
تَغَمَّدَهُ اللهُ الْكَرِيمُ بِرَحْمَةٍ ... وبَوَّأَهُ الْفِرْدَوْسَ بِالْحُبُورِ والْبِشْرِ
وَرَوَّى ثَرَاهُ مِنْ شَآبِيبِ عَفْوِهِ ... وكَانَ لَهُ فِي الْقَبْرِ والْعَرْضِ والنَّشْرِ
وَأَسْكَنَهُ فَضْلاً جِوَارَ مُحَمَّدٍ ... عَلَيْهِ صَلاةُ اللهِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ
فَأَرِّخْ بِشَهْرِ الصَّوْمِ يَوْمَ وَفَاتِهِ ... بِتَاسِعَةٍ مِنْهُ تُضَافُ إِلَى عَشْرِ
وَذَاقَ الْمَنَايَا يَوْمَ ذُقْنَا بِعَادَهُ ... لِنَحْتَازَ أَجْراً عَامَ شُورِكَ فِي الأَجْرِ

* [15] أحمد التاغي(1)

صاحب الضريح بشالة فوق جبل سيدي بومنينة، ذكره الفقيه ابن الغازي من جملة أولياء شالة الذين لا تعرف لهم ترجمة، ورأيت في بعض التركات ما يدل على أنه عايدي من آل سيدي محمد العايدي دفين زاوية العايديين بالرباط المعروفة بزاوية سيدي أحمد موسى، وهل هو شريف أو مرابط فقط، وقفت على تحليته بالكل.

* [16] أحمد بن المهيدي(2) (المتوفى سنة 1227هـ)

من أولاد سيدي محمد بنعيسى دفين الضريح الرباطي، ذكره الضعيف في تاريخه وأخبر

(1) انظر: مجالس الانبساط، لمحمد بن علي دنية، ص: 62.

(2) هذه الترجمة والتي قبلها قد سقطتا من (ح) وقد أثبتت من حاشية (ح1)، وإن كان الأصوب أن تكونا في أواخر الباب لما ذكره المصنف في مراعاة الترتيب الأبجدي للمترجمين، وانظر ترجمة أحمد بن المهيدي في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 109 وسماه أحمد بن المهدي العيساوي.

أن وفاته كانت يوم الأحد 21 في ربيع عام 1227هـ(1).

* [17] أحمد مارسيل (المتوفى سنة 1231هـ)(2)

من أهل التعديل والتنجيم بالرباط، وكان موقت الجامع الأعظم بتاريخ عام 1230هـ(3).

* [18] أحمد ابن الفقيه السيد الطاهر بن جلون(4) (المتوفى سنة 1234هـ)

الفقيه العلامة النزيه الناسك البركة الحاج الأبر، كذا وقفت على تحليته بقلم تلميذه الأديب ابن عمرو الرباطي فذكره من جملة من أخذ عن شيخه القاضي أبي العباس الحكمي، ووقفت أيضاً بخط بعض المعتنين بالتقييد من الرباطيين على عدة أشعار ملحونة وموزونة، ويوجد بعض كلامه الملحون في كنانيش المديح كقوله من قصيدة ملحونة طويلة أنشأها في مدح مكة المكرمة:

جَاهلْ حَالِي كَانْ تسَالْنِي عَنْ ... دَمْعِي قَطَّارْ مَنْ ما بين الْمَصرَارْ

مَكِّ مَوْلاتِي البَاهَيَا مَا طِّيبْهَا بِنَسِيمْ

جَاذْ علِي جَلِّ الْجَلِيلِ جِتْهَا ... مَعْ زُوَّارْ نخَسَبْهَا غيز مَزَارْ

عاد أنهي إلِي شَافها طول الدهر سقيم

إلى آخرها، ومن شعره الموزون قوله متغزلاً:

خَلِيلَيَّ مَا بَالُ الْفُؤَادِ مُكَلَّمٌ ... وعَقْلُكَ حَيْرَانُ وهُوَ مُتَيَّمُ

فَإِنْ كَانَ مِنْ فَرطِ الصَّبَابَةِ والْهَوَى ... فَإِنَّ قَتِيلَ الْحُبِّ لا شَكَّ يُرحَمُ

أَأَضْنَاكَ مَنْ لِلْغُصْنِ أَخْجَلَ قَدَّهُ ... فَكَيْفَ الَّذِي يَهْوَى الْمَنِيَّةَ يَسْلَمُ

يَجِلُّ عَنِ التَّشْبِيهِ مَبْسَمُ ثَغْرِهِ ... فَمَا مِثْلُهُ فِي الْحُسْنِ ثَغْرٌ مُنَظَّمُ

جَبِينٌ كَأَنَّ الصُّبْحَ أَشْرَقَ نُورَهُ ... وحَاجِبُهُ يَفْرِي الْفُؤَادَ ويَفْصِمُ

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 691.

(2) تفرد المصنف رحمه الله بترجمته وقد ذكره الضعيف في تاريخه في المواضع الآتية: 2/ 668 و698 و729، وذكره دنية عندما ترجم لحفيده أبي الحسن علي مرسيل في مجالس الانبساط، ص: 288.

(3) ذكر الضعيف في تاريخه تاريخ وفاة المترجم في صفر سنة 1231هـ انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 737.

(4) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 145، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 123، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 7/ 154.

وَوَجْـهُ كَـمِثْلِ الْـبَدْرِ عِنْـدَ تَمَامِـهِ يُـضَاهِيهِ فِـي لَـوْنٍ شَـقِيقٌ وعَنْـدَمُ
وَخَـالٌ كَمِـسْكٍ فِـي شَـذَاهُ ولَوْنِـهِ ولَـكِنَّ جَـيْشَ الْحُـسْنِ فِيـهِ عَرَمْـرَمُ
بِـأَلْحَاظِهِ قَـدْ مَـزَّقَ الْقَلْـبَ والْحَـشَا ولَـكِنَّ ذَا الـتَّمْزِيقِ لَـيْسَ بِـهِ دَمُ
فَـيَا عَـاذِلِي أَقْـصِرْ فَـعَذْلُكَ ضَـائِعٌ وإِنَّ سُـلُوِّي عَـنْ هَـوَاهُ مُـحَرَّمُ
وَكَيْـفَ سُلُوِّي وهْـوَ فِـي الْقَلْـبِ سَـاكِنٌ وكَيْـفَ اضْـطِبَارِي وهْـوَ عِنْـدِي مُخَـيِّمُ
يَـمِيناً بِـهِ مَـا فِـي الْحِـسَانِ نَظِيـرُهُ بِـهِ لِـرِبَاطِ الْـفَتْحِ فَـوْزٌ ومَغْـنَمُ
فَـوَا أَسَـفِي إِنْ غَـابَ عَنِّـي سَـاعَةً ووَا طَـرَبِي إِنْ كَـانَ بِـالْقُرْبِ يُـنْعِمُ

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد عصر يوم الأربعاء الخامس والعشرين من جمادى الأخيرة عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف.

*[19] أحمد بن أبي الحسن علي حكم الرباطي(1)

الفقيه الحيي النزيه الزكي أبو العباس، كذا وصفه الأديب ابن عمرو الرباطي من بين من أخذ عن شيخه القاضي أبي العباس الحكمي، ولعل والده أبا الحسن هو المذكور في كتابه دوحة البستان(2) من جملة تلامذة الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن(3)، متع الله أرواح الجميع في جنات الرضوان.

*[20] مولاي أحمد النجار العلمي (المتوفى سنة 1254هـ)(4)

هو الولي الصالح الشريف المقرئ الناسك مولانا أحمد النجار العلمي الفاسي ثم الرباطي، كان من طلبة العلم النجباء بفاس، وكان من أكبر المنكرين على أهل التصوف، فجاء يوماً بقصد التهكم على شيخ الطريقة وإمام أهل الحقيقة مولانا العربي

---

(1) لم نقف على ذكره فيما بين يدي من مصادر.

(2) كتاب "دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمن"، لمحمد بن علي بن محمد المنالي الزبادي، المتوفى سنة 1209هـ مخطوط الخزانة العامة في الرباط تحت رقمي (390 د)، و(2339/ ك).

(3) هو: أبو الحسن، علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يعقوب بن صالح بن علي، التادلي، الدرعي، من مشاهير متصوفة المغرب، ذكرت له كرامات وأحوال، وله العديد من الأقوال منها: "الخوف من العبد يؤدي إلى الشك في الله، والشك في الله كُفْرٌ وَالْعِيَاذُ بِالله" وكان يقول لأصحابه: ليغرس كل واحد منكم في داره شجرة اسمها (أقبح) تنظرون إليها كل صباح، فَسُئِلَ عنها؟ فقال: معناها المؤمنون كلهم أفضل مني توفي رحمه الله سنة 1091هـ. انظر ترجمته في: "دوحة البستان في مناقب علي بن عبد الرحمن"، للزبادي المتوفى 1209هـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2339/ ك)، وصفوة من انتشر، للإفراني، ص:315، وله ترجمة حفيلة في الإعلام، للسملالي: 9/ 208، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 200.

(4) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 166، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 7/ 239.

الدرقاوي[1]، فلم يرجع إلا وقد سلب العقل الأول وأعطي عقلاً آخر كما يقع لكثير من المنكرين مع أهل الله فغاب صاحب الترجمة عما كان عليه من الإنكار عمن ذكر وصار من أكابر الأولياء، وله كرامات عديدة، ثم رحل لرباط الفتح واستقر به قائماً بتلقين الورد الدرقاوي.

وممن أخذه عنه عالم الرباط ومفتيه الفقيه السيد المكي البناني كما يأتي في ترجمته، وكانت وفاة المترجم سنة أربعة وخمسين ومائتين وألف، ودفن بروضة العلو رحمة الله عليه.

*** [21] أحمد الرفاعي الشريف أبو العباس المدعو بالقسطالي (المتوفى سنة 1256هـ)[2]**

صاحب القلم الأعلى الفقيه العلامة الكاتب ابن الفقيه مولاي محمد ابن العلامة الصالح مولاي محمد المدعو القسطالي ابن الشيخ الناسك سيدي قاسم ابن مولاي موسى ابن الولي مولاي أحمد المدعو البطاش دفين أفزار ببلاد تامسنا، ابن الولي الصالح سيدي موسى ابن العالم سيدي أحمد الرفاعي الأندلسي الغرناطي القادم من العدوة الأندلسية ابن سيدي عبد الله ابن سيدي أحمد ابن سيدي عبد الله ابن سيدي أحمد ابن سيدي عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن سيدي محمد كون جد أشراف بني كولان القاطن بواد زا وقبره هناك مشهور ابن عبد الله بن سعيد بن عيسى بن عثمان بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن يوسف بن سيدال بن عامر بن يحيى بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس.

وقفت على نسبه هكذا مرفوعاً في ورقة فيها شهادة تلميذه سيدي محمد بن التهامي له بالشرف، قائلاً في أوله: "يشهد كاتبه الواضع شكله بمعرفة شيخه وأخيه في الله ذي المروءة التامة والأخلاق الطيبة العامة والمبرة الوافية الكاملة والفواضل النامية الهاطلة الشيخ العلامة الكاتب الأبرع والنحرير الأوحد الأرفع مولاي أحمد: لآخر ما تقدم ".

ثم ذكر بعده من أبنائه الفقيه المجود المعتكف على قراءة العلوم وحفظ دواوينه مولاي

---

(1) هو: أبو حامد العربي بن أحمد الدرقاوي، مؤسس الطريقة الدرقاوية، وعلم من أعلام التصوف في المغرب، توفي سنه 1239هـ. انظر ترجمته في: "كنز الأسرار في مناقب العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار"، لأبي زيان محمد، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2339/ د)، و"المنحة السنية في الفقر والبلية"، لأبي عبد الله المكودي، المتوفى سنة 1214هـ مخطوط الخزانة الحسنية تحت رقم (885) لوحة: 146/ أو146/ ب.

(2) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 2/ 405، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 163، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 169، والاستقصا، للناصري: 7/ 170، وتاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 2/ 707، والجيش العرمرم، لمحمد بن أحمد بن محمد الكنسوسي: 1/ 303، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 7/ 242.

علي وشقيقه سيدي محمد وأخاهما للأب شريف الطرفين مولاي عبد القادر وأنه كان لشيخه المذكور شقيق اسمه سيدي محمد الهادي.

ومن أولاد أخيه المذكور الطالب مولاي المهدي ومن أولاد المهدي سيدي محمد الهادي وشقيقه مولاي الطاهر ومولاي المكي ومولاي الحسن ومولاي العربي.

ثم ذكر أنه يعرف هذه النسبة الصحيحة الشريفة بما أوجب له العلم بها تلقاه يافعاً وكهلاً من أفواه الثقات والنقلة الأثبات وغاص عليه بحور الدواوين المعتمدة وطالعه من شهادة الأئمة الفحول الأكابر وظهائر الملوك في هذه السلالة كابراً عن كابر من غير مدافع في ذلك ولا طاعن فيه ثم أرّخ ذلك بتاريخ غرة ربيع النبوي عام 1243هـ، وعطف عليه العالم المفتي سيدي محمد المكي بن عبد الله بن محمد بن عبد السلام بناني الرباطي، ثم محمد بن محمد، ثم في ربيع الثاني عام 1248هـ وقف على هذه الشهادة [قاضي الرباط][1] سيدي صالح بن أحمد الحكمي قائلاً: جميع ما تضمنته شهادة السادة الجلة وعلماء الملة المرسومة أشكالهم أعلاه حق وصدق وأنا أشهد لساداتنا المتملكين[2] به بمضمونه إذ هو مما استفاض.

ثم عطف عليه محمد بن عبد الله بوعلو، وأحمد بن المختار الغربي، ومحمد بن عبد الرحمن، ومحمد الأوسي، وأحمد الطالبي الأندلسي، وأحمد بن الطيب، ومحمد بن محمد البوعزاوي، وعبد القادر بن محمد بوعياد الخطيب بالمسجد الأعظم، والطاهر بن الحسين بوحد، ثم كتب بمثله محمد الطيب بن إبراهيم بسير قاضي الرباط وغيرهم ممن لم أتمكن من حل أشكالهم "[3].

وقد سبق في ترجمة أبي العباس الكراري ما لوحظ به على النسب الكولاني[4] ولكن في حيازة النسبة كفاية والناس مصدقون في أنسابهم مأمونون عليها حتى يتبين خلاف ذلك بقاطع صَرْف.

وقد نصوا على وجوب احترام من حصلت له تلك النسبة ولا سيما من جمع الله له بين شرفها وشرف العلم كسيدنا المترجم فقد كان من أفاضل العلماء يشار إليه بالمشاركة في كثير من الفنون وهو صاحب المنظومة في علم الخط، وقفت على شرحها له فإذا هو شرح حفيل

---

(1) ما بين المعكوفتين زيادة من (ح).

(2) في (ح): (المتمسكين).

(3) ذكَر شهادة التهامي والعاطفين عليها بأشكالهم غير المقروءة السملاليُ في الإعلام:2/ 405.

(4) انظر ترجمة رقم (9) ص: 208، وما بعدها.

ضمنه الإشارة إلى علم الجدول وسر الحرف لأنه كانت له مهارة في ذلك حصلت له من شيخه في الفن السيد المعطي مرينو الرباطي.

ومن شيوخه الشيخ الرهوني[1] والقاضي ابن العروصي وغيرهما ممن أشار إليهم في مقدمة شرحه المذكور.

وكان ذا خط حسن في غاية الجودة وكان معدوداً من كتاب مولانا سليمان وعينه لتعليم أولاده ثم استعمله في ولاية فاس بدل ابن عبد الصادق وأوصاه أن يسير بالعدل في الضعفاء المساكين ويشتد على الفجرة والمتمردين، وكانت ولايته سنة 1232هـ ثم عزله لعجزه عن القيام بالخطة وولى مكانه الحاج محمد الصفار عام 1233هـ كما في تاريخ الاستقصا[2] والجيش العرمرم[3].

وبعد عزله عن ولاية فاس عاد لمرافقة السلطان أبي الربيع ثم السلطان مولاي عبد الرحمن وأولادهما، ولم يزل معهم في اتصال إلى أن توفي سنة 1256هـ رحمه الله.

ولنذكر ها هنا مقدمة شرحه على أرجوزته الخطية[4] فقد تضمنت شرح ما أومأنا إليه باختصار في ترجمته تتميماً للفائدة، وهذا نصها بعد خطبة الكتاب قال:

"وبعد، فلما أن وفق الله تعالى والديَّ وأرشدهم إلى تعليمي كتابه المبين، وأدخلوني للمكتب مع أولاد المؤمنين، وفتح سبحانه علي فحفظت القرآن والمنة لله الملك المنان ألهمني جَلَّ وعلا فصرت أستحسن الكتابة في كل موضع، وتقع حروفها مني كل موقع، وكان يأتي وقت كتابة الألواح مكتبنا ليعين في الفتوى مؤدبنا الشيخ البركة الحسن الوقور الزاهد الذاكر

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف، الرهوني - نسبة إلى رهونة من قبائل جبال غمارة شمال المغرب - الفقيه، المتوفى سنة 1230هـ صاحب الحاشية الكبيرة على مختصر الشيخ خليل وله أيضاً: التحصن والمنعة ممن اعتقد أن السنة بدعة. انظر ترجمته في: الاستقصا، للناصري:3/ 129، وهدية العارفين، للبغدادي: 2/ 357، ومعجم المؤلفين، لكحالة:9/ 20.

(2) انظر الاستقصا، للناصري: 3/ 133.

(3) كتاب "الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا السجلماسي"، لمحمد بن أحمد بن محمد الكنسوسي المتوفى سنة 1249هـ، توجد منه نسخة مخطوطة برقم (292) في مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، كما توجد منه نسختان بالخزانة العامة بالرباط تحت رقمي (339/ د، 43/ د)، ولم يتيسر لي الوقوف على أي منهما.

(4) الأرجوزة المشار إليها هي: "نظم لآلي السمط في حسن تقويم بديع الخط" توجد منها نسخة خطية، تحت رقم (2023/ 7 د) بالخزانة العامة في الرباط، وتوجد منها نسخة أخرى تحت رقم (10365) في مكتبة عبد الله كنون، وثالثة، تحت رقم (6/547) في مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، وقد شرحها ناظمها.

على الدوام شيخنا سيدي عبد السلام سباطة الأندلسي الرباطي[1] وكان ذا خط حسن بديع الشكل عديم المثل، فكنت أرصده عند عرض الألواح للسلك فأسلك لوحي عليه ليكتب لي في آخره السائس الموقوف عليه، فأعيده بعينه مرات وأتتبعه عسى أن نقطف من روضه زهرات، حتى أحسست من نفسي أني ناولت من أغصانه العالية بعض الثمرات فصرت أكتب السائس الموقوف عليه بخطي لأعلمه أني أريد قطف الزهر من تلك الأكمام، وكان شيخاً وقوراً قليل الكلام، فلما علم ذلك مني أقبل علي وزادني على السائس كلمات ونظر إلي وقال لي: هكذا وكي تفعل مثل هذا.

فقمت من بين يديه بما يجب من الأدب نشواناً وبخمرة السرور ملآناً، ثم صرت أكتب في الكاغيد حتى استقام خطي وجاد وترونق أو كاد، فلازمت ابن عمنا شيخنا مولاي أحمد رَحِمَهُ اللهُ وكان ذا خط حسن مرونق مستحسن، فكان يعلمني انتظام الحروف واتساقها ويقدر لي النسبة من الكتابة وتعريفها.

ثم انتقلت إلى مطالعة الكتب ذات الخط الحسن وأنتخب ما أستحسنه من خطها وأتخير ما تقبله العين من تبريز الحروف وبسطها فلم أجد خطاً يعبر بالقوة عن المعاني ويفصح بها إفصاحاً ويزيد الحسن اتضاحاً يماثل خط ديار أهل الأندلس أعادها الله دار إسلام، فقد كانوا فيه آية ما بين الأنام، وهم الذين أجادوا الخط وأوضحوا الكتابة وأصابوا في مناسبتها كل الإصابة، وأودعوها بطون الطرس ذخيرة للأسلاف، تُنقل من قرن عن الأسلاف، فكان لهم الفضل بالتقدم لقول القائل:

فَلوْ قَبلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبابَةً ... بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبلَ التَّنَدُّمِ

وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَا ... بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ[2]

وكما فتح الله علي وحقق ما كان يرجوه منه سبحانه والديّ واقتبست جذوة من نور الكتابة، وجرت ألسنة الخلق أني أصبت منها بعض الإصابة، وكنت بمحروسة فاس بقصد القراءة والتبرك بمولانا إدريس نفعنا الله به ليحصل لي بالكتابة النفع دنيا وأخرى، وأراد سبحانه وله المنة أن يكسوها سراً يسّر لي شيخاً كاملاً صالحاً عابداً يراعي النجوم والأظلة

(1) لم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر.

(2) البيتان لعدي بن الرقاع، وقد ينسبان لنصيب بن رباح. انظر: الحماسة البصرية، لأبي الحسن البصري، بتحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، طبعة 1999م، وزهر الأكم في الأمثال والحكم، لليوسي، بتحقيق د محمد حجي، طبعة الدار البيضاء 1401هـ.

لذكر الله شيخنا وسيدنا أبا عبد الله سيدي محمد التهامي ابن سيدي محمد بن محمد بن الشاهد ابن مولانا التهامي ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله الشريف العلمي الوزاني فأخرجني من فاس إلى داره بقبيلة بني ورياجل[1] بمدشر الدردار بوادي وزْغه[2] بقصد الكتابة، فكتبت له كتباً عديدة آخرها كتاب أبي محمد بن إسماعيل البخاري من عمل عشرة أسفار.

وقد أقمت عنده نحواً من أربع سنين حتى سمع بي عنده شيخ الإسلام وقدوة الأنام، مربي المريدين، ومصباح السالكين، وتاج العارفين، شيخنا وسيدنا ومولانا سيدي أبو الحسن مولانا علي ابن مولانا أحمد ابن مولانا الطيب ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله الشريف المذكور، فبعث له على أن يوصلني إليه لزاويتهم المباركة وازان ففعل، ولما أراد أن يودعني سيدي التهامي المذكور بعد أن دعا لي بخير طلبت منه زيادة دعاء بالقبول على هذا الخط، فقال لي: أتريد قبولاً أكثر من هذا؟

قلت: نعم يا سيدي.

فقال لي عند ذلك: لا أكسد الله لك سلعة.

ثم ودعني في يد الله، ولما اجتمعت مع مولانا علي المذكور رحب بي وقال لي: أنت فلان؟

قلت: نعم يا سيدي.

ثم قال لي: نريد أن تكتب لنا كتباً نكون شركاء في أجرها.

فقلت: أجل يا سيدي أجر ومعك فنعم الأجر هو.

فعيّن لي ما أكتب، وبقيت أكتب له نحواً من أربع سنين، ولا أكتب له إلا كتب التصوف والحقيقة، وخصني مرة بكتابة كتاب في الأسرار، وآخِر ما كتبت له المصحف الكريم.

ثم طلبني منه نجله الصالح ذو الهمة العلية والأخلاق الطيبة المرضية البدر السلمي أبو عبد الله سيدي محمد التهامي فدفعني إليه بعد أن أوصاه علي، فبقيت عنده كذلك بوازان أكتب له كتب التعديل وغير ذلك مما يتعلق به حتى وقع خطي في بعض الرسائل بيد مولانا

---

(1) بنو ورياجل : قبيلة صنهاجية موطنها وادي بجاية ويوجد فريق منهم بوادي ورغة شمالي إقليم فاس وهم غير بني ورياغل البطيويين. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 118.

(2) ورغة: نهر بشمال المغرب هو موطن قبيلة ورغة وتوجد أيضاً بجنوب تونس قبائل ورغة. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 373، وذكر الزركلي في الأعلام: 6/ 15، في ترجمة محمد بن أحمد الورغي أن ورغة بكسر أولها.

الإمام الذي أيد الله به الدين وقلده أمر المسلمين فما بات عن مصالحهم بطرف وسنان سلطان العلماء وعالم السلاطين أبي الربيع مولانا سليمان ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا إسماعيل الشريف العلوي قدس الله روحه وأسكنه من الجنان فسيحه، وكان جالساً بحضرته الطاهرة العلية بالله مولانا التهامي ابن مولانا علي المذكور؛ فقال له: أتعرف هذا الخط؟

قال: نعرفه، هو لفلان كان يكتب لنا.

فقال له رَحِمَهُ اللهُ: إذا جئتمونا هذه المرة فأتوا به معكم.

فوافق الحال بعد ذلك أن كان سيدي علي المذكور عائداً لمولانا سليمان في مرض اعتراه بمراكشة فأشخصني معه إليه، فلقيناه بتامسنا بموضع يقال له كَيّو فعرضني عليه على يد شيخنا المبارك العالم العلامة المسن البركة سيدي محمد الصادق الشريف الريسولي العلمي فأنزلني رَحِمَهُ اللهُ بمحلته السعيدة مكرماً، ووجه سيدي علياً المذكور لمراكشة بقصد زيارة سبعة رجال وللتبرك به، ولما أردت الوداع معه أي سيدي علي وأرجع مع مولانا سليمان اعترتني دهشة وقابلتني هيبة الملك، فصرت أبكي أمامه وقلت له: يا سيدي إني لا أستطيع معانة دار المخزن ولا أحسن أدبها. فقال: لا تَلْقَى فيها إلا الخير إن شاء الله، فمولانا سليمان حسن العشرة، إن عرف طبعك ساعدك عليه، فاصحبه فلك الخير في صحبته. ثم دعا لي بخير وودعني في يد الله.

فلما صحبت مولانا سليمان ورأى خطي اتخذني أولاً لكتابة تفسير الإمام البقاعي[1] ثم بعد ذلك أخرجني من بين عشرة من الكتاب لقراءة ولده الصالح أبي حفص مولانا عمر رَحِمَهُ اللهُ ولتأديبه، فلازمته حتى حفظ القرآن والحمد لله، ولقيت من صحبة مولانا سليمان رَحِمَهُ اللهُ كل خير دنيوي وأخروي، ومات وهو راض عني والحمد لله تعالى.

ومن رضاه عني أن قال لي يوماً: أنت تعلم أني أحبك وحتى أولادي يحبونك؛ فخجلت وقلت: يا سيدي إنما أنا عبدكم.

فقال لي: إنك نصحتني في أولادي جزاك الله خيراً.

ولما أفضت الخلافة إلى ولي عهده ومتولي الأمر من بعده الذي هو أثبت الملوك جناناً وأقواها نجدة وبياناً، وأكملها عدالة وصيانة، وأوفرها مروءة وديانة، وأجمعها لشروط

---

(1) هو كتاب: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، المعروف بمناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي نسبة لمؤلفه أبي الحسن، إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط، الخرباوي، برهان الدين البقاعي، نزيل القاهرة ثم دمشق المتوفى سنة 885هـ. انظر ترجمته في: الضوء اللامع، للسخاوي: 1/ 101، ونظم العقيان، للسيوطي، ص:24، وفهرس الفهارس، للكتاني:2/ 48.

الإمامة اتفاقاً، وأوعبها لضروب الكمال في سوق المعارف والعوارف نفاقاً، طالع الأمان في غرة الأزمان أبو زيد مولانا عبد الرحمن ابن أخيه مولانا هشام أدام الله بقاءه للمسلمين آمين، وكان يعرفني من قبل ورأى ضعفي وكبر سني وعجزي عن الخدمة اتخذني لتأديب ولده الأطهر التقي النقي الحيي الأنور الأنجب الأنجد مولانا أحمد أصلحه الله وأنبته نباتاً حسناً، فها أنا معه مغمور في أياديه وإسدائه، أيده الله، والحمد لله.

ونسأله سبحانه حسن الخاتمة، اللهم بارك لنا في إمامته بركة تشمل النفس والأهل والأموال والأولاد وتحفظ به المهج والسفّار والتجار والبلاد، ويسر له آمال الراغبين، وحُطه وحُط به فإنك ملجأ الطالبين. وما ذكرته من صحبة الصالحين والملوك وما نلنا منهم من الخير والدعاء الصالح إلا تحدثاً بنعم الله وتشويقاً لحكمة الكتابة التي هي زيادة في الخلق.

وحيث كنت أقرئ مولانا عمر المذكور رحمه الله وكان الشأن مع حفظ القرآن تعليمه الخط القويم بإشارة من أبيه رحمه الله، كنت أتحدث في شأنه مع شيخنا العالم العلامة العارف الزاهد العاضّ على السنة المحمدية بالنواجذ أبي حفص سيدي عمر ابن سيدي المكي ابن سيدي المعطي ابن الصالح الشرقي العمري الفاروقي متعني الله برضاه، حضني على أن أجعل منظومة في صناعة الخط وأبين فيها أشكال الحروف تقريباً للمتعلمين وحلية للمؤدبين فكان رضي الله عنه سبباً فنظمت قصيدتنا هذه التي نريد شرحها إن شاء الله المسماة بنظم لآلئ السمط في حسن تقويم بديع الخط قصدت بها النفع لنا والمؤدبين، فكان من جملة النفع بها أن وضع سبحانه لها قبولاً في أقطار المغرب، فما دخلت بلدة منه إلا وجدت لها سؤولاً وكنت عنها مسؤولاً، ويطلب مني أن أجعل عليها شرحاً يعرب عن ألفاظها ومعانيها ويسفر عن قواعدها ومبانيها، إذ حروفها مؤسسة ومبنية على قواعد هندسية، ويُلحُّ عليّ في ذلك ولست أهلاً لذلك، لعلمي بقصوري عن درجة التأليف، وليس لي آلة أستعين بها من آلات التصنيف، فبقيت متحيراً بين الإقدام والإحجام، وأتردد وراء وقدام، وأستوهب موهبة من الله الملك الوهاب عسى أن ييسر لي سبباً من الأسباب، ويفتح لي لمعرفته باباً من الأبواب حتى استولى على خاطري وارد العزم؛ فألزمني الأخذ بالحزم، فاستعنت بالله وتوكلت على الله، وما توفيقي إلا بالله، وسميته حلية الكتّاب ومنية الطلاب[1] ورتبته على مقدمة وعشرة أبواب

(1) توجد نسخة من هذا الشرح بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (254 د) وأخرة بالخزانة الحسنية تحت رقم (12849) ولم أقف على أي منها.

وخاتمة، والله المسؤول أن ينفع به ويضع له القبول آمين". انتهى.

وأما أرجوزته فهذه فاتحتها قال:

قَالَ الرِّفَاعِيُّ الْفَقِيرُ أَحْمَدُ ... اللهَ جَلَّ وتَعَالَى أَحْمَدُ
مُصَلِّياً عَلَى الرَّسُولِ الْهَادِي ... الْمُصْطَفَى سَيِّدِ كُلِّ هَادِي
وَآلِهِ صَفْوَةِ خَلْقِ اللهِ ... وصَحْبِهِ ذَوِي الْعُلا والْجَاهِ
وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ حُسْنَ الْخَطِّ ... أَجَلُّ مُقْتَنًى وخَيْرُ أُعْطِي
فَكَمْ سَمَا إِلَى الْعُلا مَنْ رَامَهْ ... ونَالَ مِنْهُ الْعِزَّ والْكَرَامَهْ
وَحَسْبُهُ أَثْنَى عَلَيْهِ اللهُ ... فِي الذِّكْرِ بِالْحِكْمَةِ واجْتَبَاهُ
بِقَوْلِهِ يَزِيدُ مَا يَشَاءُ ... فِي خَلْقِهِ ويُؤْتِي مَنْ يَشَاءُ
وَهْوَ مَا اخْتَصَّ بِهِ الإِنْسَانُ ... كَالْعَقْلِ يَشْهَدُ بِذَا الْعِيَانُ
وَإِنَّنِي لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ ... قَدْ شَرِبُوا مِنَ الْوَنَى أَكْوَاسَا
وَقَصُرَتْ هِمَمُهُمْ ومَا اعْتَنَى ... بِالْخَطِّ مِنْهُمْ أَحَدٌ ومَا اقْتَنَى
وَهَجَرُوا سِرَّهُ دُونَ عُذْرِ ... ونَبَذُوهُ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِ
وَأَعْرَضُوا كُلَّ الإِعْرَاضِ عَنْهُ ... ومَا رَوَوا مِنْ مَا رُوِيتُ مِنْهُ
حَتَّى غَدَا بِغَرْبِنَا مَفْقُوداً ... وكَادَ لَمْ يَكُنْ بِهِ مَوْجُوداً
قُمْتُ لِذَا نَظَمْتُ فِيهِ أُرْجُوزَهْ ... قَرِيبَةً أَلْفَاظُهَا ومُوجَزَهْ
سَمَّيْتُهَا نَظْمَ لآلِي السَّمْطِ ... فِي حُسْنِ تَقْوِيمِ بَدِيعِ الْخَطِّ
قَلَّدْتُهَا الْجِيدَ مِنَ الْوِلْدَانِ ... زِيَادَةً فِي الْحُسْنِ والْمَعَانِي
وَلِلْمُؤَدِّبِينَ تَاجاً قَدْ عَلا ... رُؤُوسَهُمْ فَخَيْرُهُمْ قَدْ كَمُلا
نَظَمْتُهَا عَلَى مَا بِي مِنْ عَيْبِ ... مُبْتَغِياً بِهَا رِضَاءَ الرَّبِّ
وَاللهَ أَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَافِعَهْ ... لِي ولَهُمْ وكُلَّ خَيْرٍ جَامِعَهْ

وهذه خاتمتها قال:

وَالْخَطُّ أَنْوَاعُهُ لا تَنْحَصِرْ ... أَفْرَادُهَا يَقْصُرُ عَنْهَا الْخَبَرْ
لَكِنَّ خَيْرَهُ الَّذِي انْتَمَى إِلَى ... أَنْدَلُسٍ فَسِرُّهُ قَدِ انْجَلَى
وَاقْتَبَسُوا مِنْ نُورِهِمْ أَهْلُ سَلا ... فَخَطُّهُمْ قِدَماً وَوَقْتاً قَدْ عَلا

كَـابْنِ الْفَقِيـهِ الْمُرْتَـضَى الْجَرِيـرِي | وكَالـسُّوسِيِّ ذِي الْبَهَـا الْمُنِيـرِ
فَـضْلَ هـذَا مَـوْلانَا الإِمَـامُ | عَـنْ غَـيْرِهِ سُـلَيْمَانُ الْهُمَـامُ
وَاشْـتَهَرَتْ بِـهِ رِبَـاطُ الْفَـتْحِ | عِـنْدَ أُنَـاسٍ مُـنِحُوا بِفَـتْحِ
وَأَرْجُـو رَبِّـيَ أَنْ أَكُـونَ مِـنْهُمْ | فَـيَنْظِمُوا جَـوْهَرِي فِـي سِـلْكِهِمْ
وَالـسِّرُّ فِـي الـشَّيْخِ لا بُـدَّ مِنْـهُ | فَـبِهِ تَـسْمُو فَـابْحَثَنْ عَنْـهُ
وَهَـذِهِ نُـبْذَةٌ فِـيهِ كَـافِيَةْ | طَـالِبُهَا يَـجْنِي بِـهَا أَمَانِيَـهْ
نَـظَمْتُهَا غُـرَّةَ شُـكْرٍ لامِعَـةْ | مَـعَ أَرْبَـعٍ مِـنَ الـسِّنِينِ وَاقِعَـةْ
أَبْـيَاتُهَا قَـوْمٌ قَـدِ احْتَـوَوْا عَلَـى | سِـرٍّ وأَدْرَكَـهُ مَـنْ تَبَـتَّلا
وَهَـا هُنَـا قَـدْ تَـمَّ مَـا قَـصَدْتُ | مِـنْ صَـنْعَةِ الْخَـطِّ كَمَـا أَرَدْتُ
وَذَاكَ مَـعْ جَهْلِـي الَّـذِي اتَّـسَمْتُ | بِـهِ وفُـرْقَتِي لِـمَنْ أَحْبَبْـتُ
وَأَسْـأَلُ الـرَّحْمَنَ جَمْـعَ الـشَّمْلِ | بِـالأَهْلِ والْمَنْـشَا وكُـلِّ أَمْـلِ
وَالْخَـتْمَ بِالْحُـسْنَى مَـعَ الزِّيَـادَةْ | بِـجَاهِ طَـهَ صَـاحِبِ الـسِّيَادَةْ
مُحَـمَّدٍ نَـبِينَا الْـمُخْتَارِ | شَـفِيعُنَا مِـنْ زَفَـرَاتِ النَّـارِ
صَـلَّى عَـلَيْهِ رَبُّـنَا وسَـلَّمَا | وآلِـهِ مَـا سَـحَّ سُـحْبٌ وهَمَـا
وَصَـحْبِهِ ذَوِي الْعُـلا ومَـنْ تَـلا | فَـنَالَ مِـنْ حُـسْنِ الْخِتَـامِ أَمَـلا

وأما شعره فقد وقفت منه على هذه الأبيات الثلاثة يخاطب عصريه الأديب ابن عمرو الشهير قال:

لَمَّـا رَكِـبْتَ مِـنَ الْـعَلْيَاءِ ذَرْوَتَـهَا | والْمَجْـدَ قُتَّـهُ هَـامَ الْـوَرَى فِيكَـا
وَصِرْتَ تَخْطُو الشُّهَى والشَّمْسَ فِي شَرَفٍ | فَـازْدَادَ غَيْظـاً لِمَـا أُولِيـتَ جَافِيكَـا
لا زَالَ مَجْـدُكَ عَـيْنُ الْعِـزِّ تَحْرُسُـهُ | والـسَّعْدُ يَخْدُمُـهُ واللهُ كَافِيكَـا

* [22] أحمد بن التهامي البريبري السلاوي

ثم الرباطي ثم المدني، ترجمه حفيده القاضي أبو عبد الله البريبري في بعض إجازاته وحلاه بقوله سيدنا وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الغيث الهامي ذو المقام السامي سيدي ومولاي أحمد بن التهامي أحد أعلام الأمة المشارك في علوم جمة كالحديث والتفسير واللغة وغير ذلك، وذكر أنه اختار المدينة المنورة منزلاً واتخذها موئلاً، ولم يبغ بها بدلاً ولا عنها حولاً إلى

أن توفي بها فدفن بالبقيع في جوار المصطفى، وكفى بهذا عزاً وشرفاً. انتهى لفظه.

ومن مناقبه المنقبة الشهيرة بالرباط وهي التي أجرى ذكرها الشيخ أبو السعود والإقبال السيد عبد الحي الكتاني في تأليفه المسمى بالمبشرات، قال: حدثني العلامة الناسك الصموت المقرئ القاضي الورع الصالح أبو عبد الله محمد ابن آخر القضاة العدل بالرباط أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد بن التهامي البريبري السلوي أصلاً الرباطي داراً عن والده عن الحاج محمد بن الكاهيا الرباطي أنه حج مع جد محدثي المذكور أبي العباس أحمد بن التهامي البريبري المذكور أيام فتنة الوهابيين[1] بالحجاز الذين أذاعوا وأشاعوا أن المصطفى ليس حياً في قبره وأنه لا يسمع سلام المسلم عليه[2].

قال: فجاء الشيخ أبو العباس المذكور بأحد منهم إلى القبر النبوي وسلم هو على صاحبه فرده ﷺ حتى سمع المنكر.

وقال لي تلميذ محدثي المذكور العلامة الخطيب الناسك أبو العباس أحمد بن محمد بناني الرباطي أن هذه القصة شائعة عندهم في الرباط. (انتهى من تأليف المبشرات).

* [23] أحمد بن الطاهر[3]

جد القاضي أبي زيد البريبري للأم وأحد مشايخه في العلم.

ذكر أبو عبد الله البريبري في إجازته السابقة الذكر أن والده القاضي أبا زيد قرأ على المترجم القرآن العظيم وربع العبادات من مختصر الشيخ خليل كان يكتبه له بخط يده وغير ذلك إلى أن صار إلى رحمة الله طيب الله ثراه. ثم قال: ومن شيوخي سيدي أحمد بن الطاهر بالرباط سيدي محمد بن مسعود الشيظمي أحد أصحاب سيدي المعطي صاحب الذخيرة،

---

(1) درج خصوم السلفية على تسمية أتباعها بالوهابيين وهي تسمية باطلة معنى ومبنى فمن حيث اللغة هي نسبة للوهاب وهو من أسماء الله تعالى وتفيد المدح لا القدح رغم أن الأخير هو مراد من يطلقها وللإنصاف أن من يوصف بالوهابية اليوم في الغالب هم حنابلة وقد ابتلاهم الله في الآونة الأخيرة بشيء من الفرقة والتمايز فمنهم من غلا في دينه ومنهم من تساهل ومنهم من غلا في ولائه وبرائه ومنهم من تساهل ولكن الآفة أن الكثيرين منهم - خاصة أتباع ربيع بن هادي المدخلي - بالغوا في محاربة البدع مبالغة مبتدعة فصنفوا مخالفيهم إلى خوارج ومبتدعة وضلال وأكثروا من اشتقاق أسماء توهم بأن لكل مخالف لهم مذهباً خاصاً أو فرقة خاصة به وبأتباعه كالسرورية والقطبية والمغراوية وهكذا دواليك.

(2) لا ينكر أهل السنة والجماعة حنابلة وغير حنابلة حياة الأنبياء في قبورهم لما روي من حديث أوس بن أوس الثقفي الذي أخرجه أحمد في مسنده: 4/ 8، برقم (16207)، وأبو داود: في كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجمعة: 1/ 275، برقم (1047)، والنسائي (3/ 91، رقم 1374)، وابن ماجه (1/ 524، رقم 1636).

(3) الترجمة مستدركة في حاشية (ح1) ولم نقف على ذكره عند غير المصنف.

أخذ عنه بالرباط ثم رحل سيدي أحمد إلى فاس فأخذ عن علمائها. (انتهى لفظه)

*** [24] أحمد بن عبد الله الفضالي**

ثم الرباطي أحد شيوخ القاضي أبي زيد البريبري وهو عمدته في الفقه، أخذ عنه بالرباط وبفضالة كما حكاه أبو عبد الله البريبري في ثبته، وهذا ما أعرف في ترجمته.

*** [25] أحمد بن المختار الغربي العدل الموثق الشهير (المتوفى سنة 1251هـ)[(1)]**

كان من العدول المبرزين بالرباط زاول خطة الشهادة ما ينيف على العشرين عاماً كما يستفاد ذلك من بعض الرسوم، وتولى خطة القضاء بالرباط بحسب النيابة عن قاضيه السيد الحسن بن فارس وذاك بتاريخ أوائل ربيع النبوي عام اثنين وأربعين ومائتين وألف، ولا أعرف له تاريخ وفاة[(2)].

*** [26] أحمد ابن العلامة السيد العربي عاشور الأندلسي[(3)]**

ثم الرباطي الفقيه العلامة الحيسوبي المؤقت المؤرخ أخو قاضي الجماعة السيد محمد عاشور ابن الفقيه الأعدل.

تفقه على شيوخ هذا الثغر كالقاضي ابن العروصي، وشارك في عدة فنون وربما نثر ونظم، له أنظام في موضوعات علمية وأشعار في أغراض أدبية يوجد بعض الأزجال منها في كنانيش المديح.

وكان له رَحِمَهُ اللَّهُ ولوع بالتقييد خصوصاً فيما يرجع لفن الهيئة والتعديل والحوادث التاريخية، وله أرجوزة شهيرة في التوقيت يقول في مطلعها:

يَقُولُ أَحْمَدُ الرِّشَائِيُّ نَسَباً ... مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِهِ الَّذْ كَسِبَا
الْحَمْدُ لِلهِ الْعَظِيمِ الْبَارِي ... مُكَوِّرِ اللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ
مُسَخِّرِ النُّجُومِ فِي الأَفْلاكِ ... وفَالِقِ الإِصْبَاحِ فِي الأَحْلاكِ
أَحْمَدُهُ حَمْداً عَلَى نِعَمِهِ ... صَلَّى وسَلَّمَ عَلَى رَسُولِهِ

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص:162، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 158 وقد ذكره بين من لم يتحقق له سنة وفاة وغلب على ظنه وفاته في النصف الثاني من القرن الثالث عشر.

(2) ذكر دنية أنه استفاد تاريخ وفاته من رسم تركته. انظر: مجالس الانبساط، ص:162.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص:145، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 158 وقد ذكره بين من لم يتحقق له سنة وفاة وغلب على ظنه وفاته في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 7/ 215.

وَبَــعْدُ فَــاعْلَمْ أَنَّنِــي نَظَمْـــتُ ... نَـــظْماً مُـــوجَزاً وقَـــدْ جَمَعْـــتُ
فِـــيهِ مِـــنَ النُّكَـــتِ فِـــي الأَوْقَـــاتِ ... كَـــالْفَجْرِ والْمَغْـــرِبِ والـــسَّاعَاتِ
سَـــمَّيْتُهُ بِـــتُحْفَةِ الأَخْبَـــارِ ... فِـــي عِلْـــمِ وَقْـــتِ اللَّيْـــلِ والنَّهَـــارِ

إلخ. أما وفاته فالظن أنها كانت أواسط المائة الثالثة بعد الألف.

❊ [27] أحمد الرغاي (المتوفي بعد 1280هـ)[1]

الفقيه الأعدل الموثق الشهير خطيب الجامع السليماني بالرباط، توفي أواسط القرن المنصرم، وبعده تولى الخطابة مكانه الفقيه سيدي علي البطاوري جد شيخنا القاضي أبي حامد، وسيأتي.

❊ [28] أحمد ابن الفقيه العربي الغربي (الحفيد) (المتوفى سنة 1274هـ)[2]

من حفدة أبي العباس الغربي الكبير، فقيه مدرس، أدركه بعض شيوخنا يدرس بجامع النخلة رسالة أبي زيد القيرواني، وكان ممن يحضر مجلسه صهرنا القاضي أبو الحسن علي دنية.

وأظن أن شيخنا المرحوم مفتي الرباط الفقيه سي الجيلاني بن إبراهيم كان أخبرني بقراءته عليه.

كان المترجم ذا أناة ورزانة وكان تام النفوذ مسموع الكلمة بين الرباطيين، أضاف إلى رياسته العلمية رياسة الكتابة الخصوصية مع عامل الرباط إذ ذاك القائد السيد عبد اللطيف فرج المتوفى سنة 1267هـ. توفي المترجم عام أربعة وسبعين ومائتين وألف.

❊ [29] أحمد ابن الحاج علي دِنِية (المتوفى سنة 1282هـ)[3]

بكسر الدال نسبة إلى دانية[4] من بلاد الأندلس على ما قيل، الفقيه المفتي النوازلي

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 190، وكناه بأبي العباس وذكر تلقيه عن أبي العباس دنية، وأن وفاته بعد سنة 1280هـ وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 253 وسماه: أحمد بن محمد الرغاي وقد ذكر تاريخ وفاته في الثمانينيات من القرن الثالث عشر.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 184، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 212، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 7/ 347.

(3) انظر ترجمته في: النسمات الندية من نشر ترجمة الإمام أبي العباس دنية، لحفيده محمد بن علي دنية، ومجالس الانبساط، له، ص: 184، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 231، والأعلام، للزركلي: 1/ 182 وذكر فيه أن وفاته سنة 1280هـ وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 7/ 386.

(4) دانية مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقاً مرساها عجيب يسمى السمان، كثيرة التين والعنب واللوز، وكانت قاعدة ملك أبي الجيش مجاهد العامري وأهلها أقرأ أهل الأندلس لأن مجاهداً كان يستجلب القراء ويُفْضِل عليهم

الأشهر، نشأ بالرباط متشبثاً منذ نعومة أظفاره بأهداب العلم الشريف مستظلاً بظله الوريف، ثم رحل إلى فاس فتفقه على الفقيه ابن عبد الرحمن السجلماسي[1]، والعلامة سيدي عبد القادر الكوهن[2]، وغيرهما من الفطاحل بكلية القرويين، ثم رد بجماح وجهته إلى مسقط رأسه فتحمل أعباء الدراسة بين أبناء جنسه.

وممن تخرج عنه الفقيه السيد التهامي البناني، والفقيه أبو حفص عاشور، والعلامة المعطي الغربي لازموه مدة في قراءة المختصر قراءة تحقيق وتحرير بالزرقاني وحواشيه.

وختم كثيراً من المتون الحديثية كالبخاري ومسلم، وكان يحضر مجلسه فيها الخليفة السلطاني مولاي أحمد ثم الخليفة مولاي رشيد بعده.

وألف تآليف منها ختم على مختصر خليل، وشرح على همزية المديح، وتقاييد في مسائل من الفقه، زيادة على ما كان يحرره من الفتاوى العديدة والأجوبة التي كانت ترفع إليه أسئلتها من المواطن البعيدة لما كان يسلكه فيها من مسلك الصرامة والجد والوقوف ضد من يحاول التزحزح عن طريق العدل أو مجاوزة الحد.

وله في هذا خصوصاً مع عصريه القاضي أبي زيد البريبري نوادر وقضايا كلها كانت تنتهي بالعمل على ما يراه المترجم، ويذكر من صفاته الجنوح إلى طريق الورع والزهد والتوخي لأكل الحلال، وغير هذا من الصفات والخلال.

وقفت على تحليته بها في بعض الرسوم والقصائد الشعرية التي أنشئت في مدحه والثناء عليه عند ختماته للفنون العلمية، وبعد قفوله من الوجهة الحجازية عام ثمانية وستين ومائتين وألف.

وهكذا كانت حاله رحمه الله إلى أن قبض الله روحه عام اثنين وثمانين ومائتين وألف. ودفن بمقبرة العلو سقى الله ثراه آمين.

ومن فوائده ما كتبه في قضية نزلت بالرباط وهي أن جلداً من الزيت وجدت فيه فأرة

=

وينفق عليهم الأموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده فكثروا في بلاده. انظر معجم البلدان، لياقوت الحموي: 2/ 434.

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن الفلالي، الحجرتي، الفاسي، إمام مشارك فقيه، انتهت إليه رئاسة العلم بفاس، عرض عليه القضاء فيها والإمامة في مسجد الأبارين فأبي تورعاً، له حواش على الخرشي، توفي سنة 1275هـ انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 2/ 232، والفكر السامي، للثعالبي:2/ 134.

(2) هو: أبو محمد، عبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي، عالم، محدث توفي بالمدينة المنورة سنة 1253هـ من آثاره: إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد. انظر ترجمته في: إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد، طبعت بتحقيق عبد الرحمن السعيدي 1425هـ وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 368، ودليل مؤرخ المغرب، لابن سودة: 321، معجم المؤلفين، لكحالة:5/ 282.

ميتة عند إفراغه للبيع فاختطفها صاحب الزيت ورمى بها للسطح مرتين ليدلس ببيع زيته، فأُعلم بذلك القاضي فأمر بإراقته.

ثم إن صاحب القضية رفع الأمر إلى الخليفة السلطاني فأحضر أهل العلم والحكم فيها بما تقتضيه الشريعة، فحكم بعضهم بإراقتها، وحكم المترجم بديهة بعدم الإراقة مستدلاً بكلام ابن رشد[1] المنقول في نوازل العلمي[2] وحاشية بناني[3]، قال:"فردّ علي بعض الحاضرين بقضية إراقة اللبن، وبعضهم بقول خليل (وينجس) إلخ؛ فأجبت الأول بأن تلك عقوبة في مال ولا يخفى ما فيها.

والثاني بأنه لا شاهد في قول خليل (وينجس) مع قوله (وينتفع بمتنجس لا نجس) إلخ.

ثم طالعت ما حضرني من شروح المتن المذكور من خرشي[4] وزرقاني[5]

---

(1) هو: أبو الوليد، محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، القرطبي، القاضي، شيخ المالكية، المتوفى سنة 520هـ تفقه بأبي جعفر أحمد بن رزق، وحدث عنه، وعن أبي مروان بن سراج، ومحمد بن خيرة، ومن تلامذته القاضي عياض، وله من التصانيف "المقدمات الممهدات"، و"البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل"، واختصار "المبسوطة"للقاضي إسماعيل، واختصار "مشكل الآثار" للطحاوي، وغير ذلك. انظر ترجمته في: الديباج، لابن فرحون: 1/ 278، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 129، والصلة، لابن بشكوال: 2/ 576، والوفيات، لابن قنفذ، ص: 270، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 19/ 501.

(2) هو: أبو الحسن، علي بن عيسى بن علي، الحسني، العلمي، الشفشاوني، المتوفى سنة 1127هـ حلاه ابن مخلوف فقال: "العلامة المحقق المطلع البارع في الأحكام والنوازل، ألّف النوازل المعروفة بنوازل العلمي". وقد طبعت نوازله على الحجر بفاس سنة 1322هـ وأعادت طباعتها وزارة الأوقاف (1403هـ بتحقيق المجلس العلمي بفاس. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 336، وفقه النوازل في سوس، للدكتور الحسن العبادي، ص: 89.

(3) الحاشية المشار إليها هي المسماة "الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني" لأبي عبد الله، محمد بن الحسن ابن مسعود بناني، المغربي،، الإمام، المتوفى سنة 1194هـ قال عنه مخلوف: ليس له في عصره ثاني.اهـ أخذ عن أحمد بن مبارك، ومحمد جسوس، ومحمد بن عبد السلام البناني، وأخذ عنه عبد الرحمن الحائك، والرهوني، والطيب بن كيران، وبنيس، وحمدون بن الحاج، وسليمان الحوات، وغيرهم، له تآليف منها حاشية على مختصر الشيخ السنوسي في المنطق، وشرح على السلم، وحواش على التحفة.انظر ترجمته في: حاشية الرهوني على شرح الزرقاني على خليل: 1 /15، وشجرة النور، لمخلوف:2/ 357، والفكر السامي، للحجوي: 2/ 292، والأعلام، للزركلي: 6/ 91.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله الخرشي المتوفى سنة 1101هـ شيخ المالكية في وقته وإليه انتهت الرئاسة بمصر، أخذ عن البرهان اللقاني، والنور الأجهوري، وغيرهما، وعنه جماعة منهم الشيخ العدوي، وعلي النوري، وأبو عبد الله السلموني، ومحمد بن عبد الباقي الزرقاني، له شرحان على المختصر كبير وصغير. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 317، وعجائب الآثار، للجبرتي: 1/ 113، وحاشية العدوي على الخرشي: 1/ 8، و9، و10.

(5) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني، نسبة إلى زرقان من قرى منوف بمصر، المتوفى سنة 1122هـ اخذ عن النور الشبراملسي، وعن حافظ العصر البابلي، وغيرهما، وحدث عنه عبد الله الشبراوي، والملوي،

وحطاب[1]، وتتائي[2]، وحواشي بناني، والرهوني، ونوازل العلمي، وكتب العمل فلم نجد إلا نص المدونة في الحطاب وكلام ابن رشد في نوازل العلمي وحاشية بناني، وفتوى ابن أبي زيد[3] والبرزلي في الحطاب، والرهوني بأن الزيت لا يراق على صاحبه، فكتبت بذلك وبغرم القيمة على من أتلفه حسبما أخذه ابن ناجي من المدونة كما في الحاشية الرهونية لدى قول المتن (لا ككلب صيد...).إلخ ، وناهيك بقوله في باب الغصب (وإن جلد ميتة لم يدبغ أو كلباً) إلخ".

هذا ملخص كتابته الأولى في القضية ولكن مخالفوه أصروا على الحكم بالإراقة وعدم غرم القيمة مدعين أن الزيت كان متغير الرائحة، واستدلوا بمراعاة المصلحة الوقتية وبما في الحطاب عن المازري من الإراقة بتغير الرائحة، وبقول البرزلي بعده: والذي عليه العمل والمشهور اجتنابه.

فعاد المترجم للكتابة وأسهب وأطال وقدم تقرير أصلين:

الأول الفرق بين النجَس بالفتح والنجِس بالكسر حقيقةً وحكماً، وأن المفتوح لا ينتفع به =

والجوهري وزين الدين البهنسي، وغيرهم، من تصانيفه: شرح الموطأ، وشرح المواهب وسماه "إشراق مصابيح السيرة المحمدية بمزج أسرار المواهب اللدنية"، وشرح على مختصر خليل، انظر ترجمته في:شجرة النور، لمخلوف: 2/ 341، وعجائب الآثار، للجبرتي: 1/ 69، وسلك الدرر، للمرادي: 4/ 32، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 342.

(1) أي مواهب الجليل، للحطاب، وقد تقدم التعريف به.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي، المصري، قاضي القضاة، شمس الدين، المتوفى سنة 942هـ نسبته إلى "تتا" من قرى المنوفية بمصر، من مصنفاته: شرح كبير على خليل وهو: " فتح الجليل في شرح مختصر الشيخ خليل " وشرح صغير وهو المسمى "جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر" طبع منه قسم العبادات في دار نجيبويه، و" تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة " وعندنا منه نسخة خطية ابتعتها من الشيخ محمد الصقلي الفاسي حفظه الله، و" خطط السداد والرشد بشرح مقدمة ابن رشد"، وهو شرح على منظومة الرقعي على مقدمة ابن رشد. ولدينا منه نسختان خطيتان ضمن مجموعين، يحملان الرقم 88، و110، في مكتبة مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 279، وشجرة النور، لمخلوف:2/ 272، والكواكب السائرة، للغزي: 2/ 20 والأعلام، للزركلي: 6/ 192.

(3) هو: أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزاوي، القيرواني، المتوفى سنة 386هـ نسبته إلى نفزة؛ وهي مدينة بالجنوب التونسي، وقيل: إحدى قبائل الأندلس، تفقه بأبي بكر بن اللباد، وأبي الفضل الممسي، وابن العسال، وسعدون بن أحمد الخولاني، وغيرهم، ثم ارتحل إلى المشرق فحجّ وسمع من ابن الأعرابي، وإبراهيم بن محمد بن المنذر، وأحمد بن إبراهيم بن حماد القاضي، واستجاز ابن شعبان، والأبهري، والمروزي، وأخذ عنه من أهل القيروان أبو القاسم البراذعي صاحب التهذيب، وأبو عبد الله الخواص، وغيرهما، ومن الأندلسيين أبو بكر بن موهب المقبري أوّل شرّاح الرسالة، وأبو عبد الله بن الحذاء وغيرهما.انظر ترجمته في:، ترتيب المدارك، لعياض: 6/ 215، والديباج، لابن فرحون، ص: 221، شجرة النور، لمخلوف: 1/ 57، وفهرست ابن النديم، ص: 283.

مطلقاً والمكسور ينتفع به (في غير مسجد وآدمي) ولا يراق كما هو صريح خليل.

الثاني هل الغاشّ المدلس يعاقب في ماله رعياً للمصالح المرسلة أم هي دعوى عارية عن الدليل.

والحجة الواضحة الفصل على حرمة العقوبة في المال، وحكى اتفاق الجم الغفير على نسخ ما روي عن سيدنا عمر في ذلك واستنتج أن الحكم في الزيت عدم بيعه لتنجيسه وعدم إتلافه على صاحبه ولو تغير عن حاله لما له من الانتفاع به وإنما عليه الأدب بالضرب والسجن والإخراج من السوق كما ذكروه عند قول المتن (وتصدق بما غش) لخ.

وأن من أتلفه عليه يلزم بغرم القيمة واعترض استدلالاتهم بها في حطاب من وجوه منها: أنه ليس المراد بالاجتناب في كلام البرزلي أنه يراق ولا ينتفع به، بل معناه أنه يجتنب أكلاً وبيعاً، إذ البرزلي لا يقول بالإتلاف وعدم الانتفاع، كيف وهو مفتٍ بخلافه ومعترض على مخالفه؟!

ما هذه إلا غفلة عن مراجعة كلامه المنقول في الحطاب عند قول المتن (وينتفع).

ومنها أن تفصيل المازري في غاية الشذوذ وكلامه على ما فيه ليست الإراقة فيه على حقيقتها بل تعبيره هو كتعبير ابن حارث بالإلقاء في التنبيه المنقول عند الحطاب لدى قوله (وينجس).

وكتعبير سند بعده بالطرح ليس المراد من ذلك الإتلاف وعدم الانتفاع وإنما المراد أنه نجس لا يباع ولا يؤكل وإلا أدى حمل كلامهم على ذلك إلى تناقض وتعارض مع أن كلامهم يفسر بعضه بعضاً.

لا يقال أن الحاكم استند في حكمه إلى قول من الأقوال، وقد قال خليل (ورفع الخلاف لا أحل حراماً)، لما في جواب سيدي عبد القادر الفاسي من أن المقلد يجب عليه اتباع مقلده ومهما خرج عليه كان حكمه مطروحاً بل يتعين عليه اتباع ما رسموه من التشهير، فإن حكم بغير المشهور لم يعتبر حكمه ورد عليه في وجهه. انظر تمامه في أجوبته.

وفي العمل[1]:

حُكْمُ قُضَاةِ الْوَقْتِ بِالشُّذُوذِ ... يُنْقَضُ لا يَتِمُّ فِي النُّفُوذِ

---

(1) هو: العمل المطلق أو فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد وهي أرجوزة في الفقه شرحها ناظمها محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل السجلماسي الفيلالي المتوفى سنة 1214هـ أولها:

يقول عبد ربه محمد ... ابن أبي القاسم ربي أحمد

توجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1040 د) وقد طبع على الحجر وتوجد بالخزانة العامة بالرباط نسخة من المطبوع تحت رقم (137 ح - 17).

هذا تحصيل المراد من كتابته التي هي أشبه شيء برسالة أو تقييد في المسألة، والله تعالى أعلم. هـ.

ومن شعره قوله[1]:

[إِنِّي أُحِبُّ مُحَمَّداً فَوْقَ الْوَرَى ... وبِهِ كَمَا فَعَلَ الأَوَائِلُ أَقْتَدِي
فَقَدِ انْقَضَتْ خَيْرُ الْقُرُونِ ولَمْ يَكُنْ ... فِيهِمْ بِغَيْرِ مُحَمَّدٍ مَنْ يَهْتَدِي][2]

* [30] أحمد بن محمد بن الغازي (المتوفى سنة 1285هـ)[3]

الفقيه العدل الشهير العلامة المحدث إمام الجامع الأعظم وخطيبه[4] المصقع والمدرس به للمختصر الخليلي والجامع الصحيح للبخاري.

كان رحمه الله يختمه به كل سنة وكان يحضر عليه الكثير من أشياخ شيوخنا كالفقيه السيد الحاج عمر عاشور والفقيه القاضي السيد أحمد ملين وصهرنا القاضي السيد علي دنية وغيرهم، مات رحمه الله سنة خمس وثمانين ومائتين وألف.

* [31] أحمد بن عبد السلام ملين الأندلسي الرباطي (المتوفى سنة 1305هـ)[5]

القاضي الشهير كان رحمه الله من أجل العلماء الملازمين للتدريس الجانحين للتحرير والتحبير.

أخذ عن الكثير من علماء فاس كالفقيه السيد ابن عبد الرحمن السجلماسي، ومن كان في طبقته، ثم عن شيوخ الرباط كالفقيه ابن الغازي السابق، وقريبنا العلامة الخطيب السيد المكي بوجندار، ومن كان في طبقتهما.

وفي عام أربعة وثمانين ومائتين وألف رحل للمشرق فحج وزار وأخذ عن علماء الحرمين، وهو رحمه الله ممن اشتغل بالتجارة مدة، ودرّس من المتون والفنون عدة، وتفقه عنه

---

(1) في (ح1) بعد هذه العبارة قول المصنف: ومن شعره قوله، ولم يذكر بعد ذلك شيئاً، وقد ذكر دنية في المجالس البيتين وأشار أنهما مما كان يتمثل بهما المترجم كثيراً وعليه فهما ليسا من شعره. انظر: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 186

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح1).

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص:192 / وإتحاف المطالع، لابن سودة 1/ 241، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 7/ 399.

(4) في قصة توليه الخطابة أحداث تستحق التأمل. انظرها في الجزء الثاني من هذا الكتاب عند ترجمة عبدالقادر بوعياد برقم (210)، ص:559.

(5) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف، ص: 39، مجالس الانبساط، لدنية، ص:214، وإتحاف المطالع: لابن سودة: 1/ 298.

تلاميذ كان لهم خير عدة كشيخنا القاضي أبي حامد، وشيخنا أبي العباس جسوس، وشيخنا السيد الجيلاني بن إبراهيم وغيرهم.

ولي قضاء الرباط بعد وفاة القاضي أبي عبد الله بن إبراهيم عام سبعة وتسعين ومائتين وألف، فقام بأعباء خطته أحسن قيام، لا يهاب بطش ظالم ولا لوم لائم متثبتاً لدى النقض والإبرام، من أهل الجد والصرامة في الأحكام كما تلقيناه عن كثير من شيوخنا.

وللمترجم ذكر في تأليف شيخنا أديب فاس القاضي الشريف مولاي أحمد بن المأمون البلغيثي، الذي سماه "بيان الخسارة لمن حط من قدر التجارة"[1]، ترجمه في جملة أهل العلم والفضل والدين الذين كانوا يتعاطون التجارة.

وكانت وفاته في اليوم الخامس من المحرم فاتح العام الخامس من هذا القرن على ما أخبرني به شيخنا السيد الجيلاني المذكور.

والذي وجدته مقيداً بخط شيخنا القاضي أبي حامد أنها كانت أواخر ذلك العام، والمنقول عن ولده الفقيه أبي عبد الله أنها كانت عام ستة من هذا القرن، وقبره رحمه الله معروف بالزاوية المعطوية الرباطية طيب الله ثراه.

(انتهى من كتابنا تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط)[2].

*** [32] أحمد الزعيمي[3] (المتوفى سنة 1329هـ)**

القاضي الخطيب الشريف المجيد، أديب من أدباء الرباط وشاعر مكثر مجيد، شب في طلب العلم راتعاً في رياض الآداب يقتطفها من أدباء هذا الثغر.

وارتحل إلى فاس واكتسب شهرة في عالم الأدب والشعر لم يزل حتى الآن صداها متردداً بين المنتديات والمجالس، ولن يزال طيب سمعتها مغنياً عن طيب سماع الأغاني من الغواني الأوانس، وذلك لما عرف به من سمو الأفكار وقوة الخيال والابتكار مع البلاغة الرائعة والبديهة المطاوعة إلى ما تحلّى به من ضروب الآداب وحلاوة المطارحة الآخذة بالألباب إلى أدب غض طري وشعر بالإطراء والتنويه حري، وهمة سامية دونها المشتري، ومفاخر هاشمية منتظمة ولا نظام عقود الجوهري إلى ما تقلب فيه من الخدمات المخزنية والخطط

(1) توجد نسخة – قد تكون الوحيدة – في الخزانة الصبيحية بسلا تحت رقم 369.

(2) تعطير البساط، للمصنف، ص: 41 .

(3) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 2/ 463، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 293.

والمناصب الدينية؛ فكان أولاً بطنجة[1] من كتّاب النائب السلطاني السيد محمد بركاش ثم استدعاه المخزن فاتخذه كاتباً من جملة كتبته إلى أن استخدمه ببعض المراسي المغربية.

ثم عاد للتوظيف مع المخزن، ثم رجع للرباط فتعاطى خطة الشهادة وكان من العدول المبرزين أيام القاضي أبي عبد الله البريبري، والقاضي أبي الحسن دنية إلى أن جاء القاضي أبو العباس البناني فأخره عن الشهادة لسبب لا أدري عينه، ثم رجع إليها أيام ولاية القاضي أبي حامد البطاوري فبقي في الخطة إلى أن أسندت إليه خطة القضاء بالدار البيضاء وكان قبل ذلك متولياً الخطابة بالجامع السليماني.

فكان كما قال الحريري: "يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه".

وقد أحاطت به أخلاط الزمر إحاطة الهالة بالقمر والأكمام بالثمر، وكان من خواص القاضي أبي حامد المذكور، وكم له معه من محاورات أدبية ومساجلات شعرية تكتب بقلم من نور على قدود الحور.

ومن حسن الاتفاق أني حضرت ليلة في مجلس إكرام عقده البعض لإكرام وفادة أديب فاس القاضي ابن المأمون البلغيثي، وكان ممن حضره صاحب الترجمة فوقعت بينه وبين الأديب المذكور مساجلة شعرية من أنفس المساجلات الأدبية كنت أرى فيها المترجم يتفجر حكمة وأدباً والكل من سرعة ارتجاله يكبر عجباً، وبكل أسف لم تحضرني الآن هذه المساجلة، ولو حضرتني لحليت بها جيد هذه الترجمة الحسناء، وكان تاريخها عام خمسة وعشرين من هذا القرن قبل سفر المترجم قاضياً إلى الدار البيضاء.

ومما حضرني من شعره ما كاتب به من فاس مخاطباً الفقيه السيد أحمد بن إبراهيم متعرضاً فيه لمدح شيخنا القاضي أبي حامد وذلك قوله:

قُلْ لِلْفَقِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ مَنْ بَرَعَا ... يَا نَجْلَ مَنْ قَدْ تَحَلَّى الزُّهْدَ وَالْوَرَعَا

بَعْدَ السَّلامِ بِأَزْكَاهُ وَأَطْيَبِهِ ... عَلَيْهِ دَاباً وَنِعْمَ مَا لَهُ اخْتَرَعَا

قَدْ أَنْبَأَتْنَا سُطُورُهُ بِأَنَّهُ مِنْ ... أَهْلِ الرِّبَاطِ ذَوِي الأَقْدَارِ قَدْ جَمَعَا

---

(1) طنجة: إحدى مدن المغرب القديمة، بينها وبين أوربا مسافة مضيق جبل طارق، عرفها الفينيقيون مركزاً تجارياً هاماً، ثم القرطاجنيون في تبادل السلع، وتموين السفن التي في طريقها من وإلى المحيط، دخلها الإسلام عام 62هـ وكانت في القرن الماضي عاصمة المغرب الدبلوماسية حيث يستقر نائب الملك. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 304، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 59.

فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ صَارَ يَجْمَعَهُمْ لِلانْبِسَاطِ بِمَبْسُوطِي الْجَمَالِ مَعَا
كَأَنَّهُمْ فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ أَنْجُمُهَا وَالْبَدْرُ بَيْنَ النُّجُومِ نُورُهُ لَمَعَا
يَحْكِي الثُّرَيَّا ولَكِنْ فَوْقَ عِدَّتِهَا وَالنُّورُ كَالشَّمْسِ فِي وَقْتِ الضُّحَى سَطَعَا
وَمَجْلِسُ الأُنْسِ كَامِلُ الْمَحَاسِنِ بَلْ عَلَى انْشِرَاحِ الصُّدُورِ وَالْهَنَا انْطَبَعَا
لَكِنَّهُ زَادَهُ عِزاً وَتَكْرُمَةً وَرِفْعَةً وَكَمَالاً عِنْدَمَا وَقَعَا
حُضُورُ مَنْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ عِزَّتِهِ إِشْرَاقَ نُورِ هِلالِ الْعِيدِ فَارْتَفَعَا
شَيْخُ الْجَمَاعَةِ فِي كُلِّ الْعُلُومِ وَمَنْ بِهِ الإِلَهُ لأَهْلِ الدِّينِ قَدْ نَفَعَا
أَنْفَاسُ طِيبِ عُلاهُ غَيْرُ خَافِيَةٍ وَالطِّيبُ فِي الْوَقْتِ مِنْ أَرْدَانِهِ نَضَعَا
شَقِيقُ أَرْوَاحِنَا لا بَلْ وقُرَّةُ عَيْـ ـنِي مَنْ لَهُ الْقَلْبُ بِالْوُدِّ الْقَدِيمِ سَعَى
أَبْقَاهُ رَبِّي مَحْفُوفاً وَمُرْتَدِياً بِالْعِزِّ وَالْحِفْظِ مَا دَاعِي الْفَلاحِ دَعَا

فأجابه شيخنا المذكور بقوله:

يَا مَنْ تَذَكُّرُهُ السُّرُورَ قَدْ جَمَعَا وَمَنْ مَوَدَّتُهُ صَفْوٌ وَلَوْ شَسَعَا
وَافَى الْقَرِيضُ الَّذِي أَزْرَى بِرَوْنَقِهِ بِالرَّوْضِ قَدْ جَادَهُ الْوَسْمِيُّ فَارْتَفَعَا
مُسْتَحْسِناً صُنْعَ جَمْعِ الطَّالِبِينَ كَمَا أَنْشَا مُقَدِّمُنَا وَنِعْمَ مَا صَنَعَا
ذَاكَ الْفَقِيهُ أَبُو الْعَبَّاسِ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ الأَمَاثِلُ بِالذِّهْنِ الَّذِي بَرَعَا
هَيَّجْتَ أَفْكَارَ هَيْمَانَ يُنَبِّهُهُ هَبُّ النَّسِيمِ سَرَى وَالْبَرْقُ إِذْ لَمَعَا
إِذْ مَعْهَدُ الأُنْسِ قَفْرٌ مُنْذُ بَيْنِكُمُ لا أَوْحَشَ اللهُ مِنْكُمْ لا ولا قَطَعَا
مَا بِالدِّيَارِ أَخُو وَجْدٍ يُطَارِحُ لا وَاللهِ مُذْ غِبْتُمُ التِّذْكَارُ مَا انْقَطَعَا
الْقَلْبُ عِنْدَكُمُ رَهْنٌ بِرُمَّتِهِ لَوْ أَمْكَنَ الْجِسْمَ سَعْيٌ نَحْوَكُمْ لَسَعَى
فَاسْعَدْ بِكُلِّ سُرُورٍ يُرْتَجَى وَرِضَى وَاصْعَدْ فَطَالِعُكَ الْمَيْمُونُ قَدْ طَلَعَا
وَاعْذُرْ أَخَاكَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ مَلَلٍ فَالْوُدُّ فِي زَلَلِ التَّقْصِيرِ قَدْ شَفَعَا

ومن شعره أيضاً قوله مطلع قصيدة سلطانية:

فَتْحٌ يُوَاجِهُ بِالتَّمْكِينِ مَوْلانَا وَبِالْقَبُولِ سَمَا سِرّاً وَإِعْلانَا
وَالْكَوْنُ بَشَّرَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ أَمَا تَرَاهُ طَلْقَ الْمُحَيَّا صَارَ جَذْلانَا
وَالْيُمْنُ أَعْلَنَ بِالإِقْبَالِ طَائِرُهُ مُهَنِّئاً بِتَوَالِي الْعِزِّ أَوْطَانَا

وَرَوْضُــهُ اخْــضَلَّ وافْتَــرَّتْ كَمَائِمُــهُ ... عَــنْ ثَــغْرِ زَهْــرٍ فُنُــونٍ زَانَ أَفْنَانَــا
وَوُرْقُــهُ ارْتَفَعَــتْ فِــي الأَيْــكِ سَــاجِعَةً ... وأَفْــهَمَتْنَا عَــنِ الإِعْــرَابِ أَلْحَانَــا
وَصَــافَحَتْ كَــفَّ أَنْفَــاسِ الــصَّبَا سِــحْراً ... خَــمَائِلُ الــزَّهْرِ أَلْــوَاناً فَــأَلْوَاناً
مَــا بَــيْنَ وَرْدٍ ونَــرْجِسٍ يُلاحَــظُ مِــنْ ... خَــلْفِ الْبَنَفْــسَجِ خَــابُوراً ونُعْمَانَــا
فَأَكْــسَبَ الْــجَوَّ مِــنْ تَعْطِيــرِهِ أَرَجَــاً ... مُــعَنْبَراً كَــفَتِيقِ الْمِــسْكِ رَيَّــانَا
وَعَــمَّ نَــشْرُ الــشَّذَى الأَرْجَــا فَأَرَّجَهَــا ... وجَــادَهَا الْــغَيْثُ هَــتَّاناً فَــهَتَّانَا
وَأَطْــرَبَ الْــعَنْدَلِيبُ كُــلَّ صَــادِحَةٍ ... فَأَرْقَــصَتْ بِأَغْمَــاتَ الــرَّوْضِ أَغْــصَانَا
وَالنَّهْــرُ خَلْخَــلَ سُــوقَ الــدَّوْحِ مِــنْ وَرِقٍ ... والــزَّهْرُ صَــاغَ لَهَــا الإِبْرِيــزَ تِيجَانَــا
وَالْبَــرْقُ يَلْمَــعُ مِثْــلَ الْبِــيضِ إِذْ شُــهِرَتْ ... وفَــارَقَتْ لِــقِرَاعِ الْــقِرْنِ أَجْفَانَــا
كَــأَنَّها وجُــيُوشِ النَّــصْرِ تَحْمِلُهَــا ... عَــزْمُ الْــمُظَفَّرِ تَــأْيِيداً وسُــلْطَانَا

إلى أن قال في أواخرها مخاطباً لمدوحه:

أَنْــتَ الَّــذِي حَفِــظَ الْمَوْلَــى شَــرِيعَتَهُ ... بِــهِ وأَنْــتَ الَّــذِي بِالْفَــضْلِ تَزْعَانَــا
طَــإِ الْبَــسِيطَةَ وارْقَ الْفَرْقَــدَيْنِ وإِنْ ... تَــشَا فَأَجْــرِ عَلَــى الأَعْــدَاءِ طُوفَانَــا
وَمَــهِّدِ الْــغَرْبَ إِنَّ الــشَّرْقَ مُنْتَظِــرٌ ... أَعْــلامَ نَــصْرِكَ لِلتَّــشْرِيفِ أَزْمَانَــا
وَانْــصُرْ شَــرِيعَةَ خَيْــرِ الْخَلْــقِ جَــدِّكَ قَــدْ ... نَــادَتْكَ واحْــمِ حِمَاهَــا حَيْثُمَــا كَانَــا
وَخُــصَّ بِالْفَــضْلِ أَهْــلَ الْعِلْــمِ وارْعَ لَهُــمْ ... حَــمْلَ الــشَّرِيعَةِ سُــنَّةً وقُــرْآنَا
وَلَــبِّ دَعْــوَةَ أَفْــقَرِ الْــوَرَى فَلَقَــدْ ... نَــادَاكَ وابْــنِ لَــهُ لِــلْعِزِّ إِيــوَانَا
وَاجْــبُرْ بِفَــضْلِكَ كَــسْرَهُ ومُــنَّ بِمَــا ... يَــزْوِيهِ إِذْ صَــارَ دُونَ الْقَــوْمِ ظَمْآنَــا
وَاقْــبَلْ خَــرِيدَةَ فِكْــرٍ تَزْدَهِــي طَرَبــاً ... قَــدْ عَــطَّرَتْ بِــأَرِيجِ النَّــصْرِ أَرْدَانَــا
حَــلَّيْتُهَا مِــنْ مَــدِيحِ سَــيِّدِي حُلَــلاً ... ومِــنْ مَــحَاسِنِهِ دُرّاً وعِــقْيَانَا
دُمْ طَــالِعَ الــسَّعْدِ والإِقْبَــالِ مَــا نَــسَخَتْ ... شَــرِيعَةُ الْمُــصْطَفَى بِــالْخَتْمِ أَدْيَانَــا
لا زِلْــتَ تَــحْفَظُ هَــذَا الــدِّينَ مُقْتَــدِياً ... بِــجَدِّكَ الْــمُجْتَبَى مَــنْ بِالْهُــدَى جَانَــا
عَــلَيْهِ مِــنْ رَبِّــنَا أَزْكَــى تَــحِيَّتِهِ ... تَعُــمُّ آلاً وأَصْــحَاباً وإِخْــوَانَا

وقال من قصيدة أخرى مطلعها:

يَــوْمُ الــسُّرُورِ مِــنَ الأَيَّــامِ أَهْنَاهَــا ... فَــاطْرَبْ فَبُــشْرَاكَ قَــدْ أَبْــدَتْ خَبَايَاهَــا

هَـذِي شُـمُوسُ الْهُـدَى لاحَـتْ طَلائِعُهَـا ... لَـنَا فَـهِمْنَا بِـهَا لَـمَّا فَهِمْنَاهَـا
وَالـرَّوْضُ أَضْـبَحَ مُخْـضَلاً كَمَائِمُـهُ ... قَـدْ فَـاحَ فِيـهِ مِـنَ الأَزْهَـارِ أَذْكَاهَـا
وَالْـوُرْقُ فَـوْقَ غُـصُونِ الآسِ سَـاجِعَةٌ ... تُـبْدِي انْتِحَابـاً كَـأَنَّ الـشَّوْقَ أَضْـنَاهَا
غَـنَّتْ إِلَـيْنَا بِـأَصْوَاتٍ فَهَـاجَ بِهَـا ... بَـلابِلٌ طَـرَّبَ الأَرْوَاحَ مَـغْنَاهَا

وهي قصيدة طويلة تنيف عن الستين بيتاً، وجل شعره على هذا المنوال من الإسهاب والسلاسة والانسجام زيادة عن كونه في الغالب على سبيل البديهة والارتجال.

كانت وفاته بالدار البيضاء في صفر الخير عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف، وبها دفن واحتفل بجنازته الاحتفال اللائق به، عليه رحمة الله تعالى ورضوانه، آمين.

*** [33] أحمد بن عاشر الحداد (المتوفى سنة 1326هـ)[1]**

الشيخ الصالح البركة الواضح ذو الأحوال الصحيحة والمشاهد العرفانية الصريحة الشيخ المعمر أبو العباس أحمد بن محمد الشريف العلمي الحداد نسبة إلى ولي بالجبل يقال له سيدي أحمد شريف علمي، واشتهر المترجم بابن عاشر على ولي الله الحاج أحمد بن عاشر السلاوي[2] تفاؤلاً. وهو الحداد لقباً الخمليشي أصلاً ونسباً[3].

اجتمعت به كثيراً في صغري وسمعت منه وحدثني بوقائع ودعا لي بما نرجو من الله وصوله إلي، وتلقيت منه مقالات عرفانية وحكم ربانية تدل أي دلالة على شفوف قدره وإشراق بدره، وناهيك بصلواته وأحزابه وتوسلاته النثرية والشعرية على الطريقة الزجلية وهي التي يذكرها أهل الطريقة الحراقية التي كان هو المشيد لمعالمها بهذه الحضرة الرباطية.

يقال أنه مرت له في بدايته قوة عجيبة حتى إنه كان يحمل ثلاثة أشخاص ويذهب بهم.

وتعرض له مرة في طريقه أشخاص ثلاثة أتوا إليه يريدون سبيله فجعل كل واحد منهم تحت إبطه واشتد على الآخر إلى أن تابوا إلى الله تعالى، وكانت تصدر منه في بعض الأحوال خوارق من باب ما يصدر من الملامتية، وطريقه في التصوف الطريقة الشاذلية، أخذها عن

---

(1) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 2/ 457، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 287، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 377.

(2) هو: أبو العباس، أحمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحافي، السلوي عالم أديب مؤرخ اشتهر بابن عاشر توفي بسلا سنة 1116هـ.انظر ترجمته في: فهرسة أبي العباس أحمد بن عاشر الحافي السلوي، مخطوطة الخزانة العامة تحت رقم 1421 ك، والخزانة الحسنية، تحت رقم، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص:143.

(3) الخمالشة أو قبيلة الخمليشي إحدى القبائل المغربية. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:188.

شيخه سيدي محمد بن العربي الدلائي الرباطي الآتي ذكره.

ومما حكاه الشيخ أبو المواهب سيدي عبد الكبير الكتاني أن ممن تلمذ[1] للمترجم سيدي عبد المالك العلمي[2]، وأن[3] سيدي الهادي الصقلي[4] كان يقول في حقه أنه من الآيات المتشابهات والراسخون في العلم يقولون: آمنا.

توفي في ثامن ربيع الثاني عام 1326هـ ستة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الحراقية، ورثاه صاحبنا الشاعر المجيد سيدي محمد الناصري بقصيدة نصها:

غَارَتْ عُيُونُ الأَرْضِ أَيْنَ الْمَاءُ ... واغْبَرَّتِ الآفَاقُ والأَنْحَاءُ
وَاسْتَيْأَسَ الإِرْجَاءُ بَعْدَ رَجَائِهَا ... واشْتَدَّتِ الأَزَمَاتُ والأَسْوَاءُ
وَالْخَلْقُ ذَا يُتْمٍ غَدَوْا وتَحَسُّرٍ ... والْعَيْشُ ضَنْكٌ والْحَيَاةُ عَنَاءُ
وَخَبَتْ نُجُومُ السَّعْدِ بَعْدَ ظُهُورِهَا ... وبَدَا لَنَا الدُّبْرَانِ والْعَوَّاءُ
وَعَلا مُنِيرَاتَ الْكَوَاكِبِ جُمْلَةً ... دَاجِي الظَّلامِ فَلَمْ تَبِنْ لأَلاءُ
وَغَدَا الْعَوِيلُ بِكُلِّ نَادٍ قَائِماً ... وبَدَا الشَّقَاءُ وعَمَّتِ الْبَلْوَاءُ
وَمَضَى التَّصَوُّفُ وانْمَحَتْ أَزْمَانُهُ ... والأَرْضُ أَمْسَتْ مَحْلَةً ضَهْيَاء
بِذِهَابِ قُطْبِ الشَّرْقِ والْغَرْبِ الَّذِي ... قَدْ أُسْدِلَتْ لِذِهَابِهِ الظَّلْمَاءُ
بَحْرُ الْمَعَارِفِ والْمَوَاهِبِ والْهُدَى ... رَبُّ الْمَكَارِمِ رَأْسُهَا الْمِعْطَاءُ
رَبُّ الْمَفَاخِرِ والَّذِي شَهِدَتْ بِهِ ... وبِفَضِلِهِ أَهْلُ النُّهَى الْفُضَلاءُ
أَسَفاً عَلَى فَقْدِ الَّذِي سَعِدَتْ بِهِ ... كُلُّ الْبِلادِ وجَلَّتِ النَّعْمَاءُ
أَسَفاً عَلَى فَقْدِ الَّذِي بُهِتَتْ إِذَا ... مَا قَامَ يَحْكِي قَوْلَهُ الْعُقَلاءُ

(1) لعل المقصود أنهما من شيوخه ليسا بتلميذين له.

(2) كذا في النسختين ولا أظنه إلا عبد المالك العلوي الضرير المتوفى سنة 1318هـ من خيرة علماء فاس، أخذ العلم عن جماعة من فقهاء المدينة المنورة. انظر ترجمته في: الروض النضير في الإعلام بأحوال مولاي عبد الملك الضرير؛ في مجلد وسط، لعمر بن عبد السلام، العلوي المتوفى سنة 1350هـ وكشف الحجاب، للعلامة سكيرج، ص: 234.

(3) في (ح): (والي).

(4) هو: أبو التقى، عبد الهادي -وقد يطلق عليه الهادي اختصارا على عادة المغاربة- بن أحمد الحسيني، الصقلي، الفاسي، قاض من المعنيين بالتراجم، توفي سنة 1311هـ تولى القضاء بفاس، وتوفي بالمدينة المنورة عائدا من الحج، ودفن في البقيع. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 148، والإتحاف، لابن زيدان: 4/ 274.

أَسَــفاً عَــلَى فَقْــدِ الْــوَلِيِّ الَّــذِي إِذَا ... مَــا قَــامَ يَــخْطُبُ تُــذْهَلُ الْخُطَبَــاءُ
أَسَــفاً عَلَــى فَقْــدِ الَّــذِي حَــازَتْ لِــسَبْـ ... ـقِ كَلامِــــهِ ومَـــقُولِهِ الْــــبُلَغَاءُ
أَسَــفاً عَــلَى فَــقْدِ الَّــذِي هُــوَ سُــلَّمٌ ... لِلْـــحَقِّ يَــقْفُو إِثْــرَهُ الــسُّعَدَاءُ
أَعْـنِي أَبَــا الْعَبَّـاسِ أَحْمَــدَ مَــنْ سَــمَا ... بَــحْرُ الْــحَقِيقَةِ حِــزْبُهُ الــصُّلَحَاءُ
أَعْـنِي ابْـنَ عَاشِـرِ الرِّضَـى الْحَـدَّادَ مَـنْ ... ثَــغْرُ الــرِّبَاطِ الــدَّارُ والإِنْــشَاءُ
حَمْلِيــشِيُّ النَّــسَبِ الَّــذِي بِوَلائِــهِ ... شَــهِدَتْ رُؤُوسُ الــدِّينِ والْحُكَمَــاءُ
مِـنْ فَقْـدِهِ شُـقَّتْ جُيُـوبُ الْمَجْـدِ وَانْـ ... صَــدَعَ الْــفُؤَادُ وحَــلَّتِ الْبَأْسَــاءُ
وَتَــزَلْزَلَتْ أَرْضُ الْــمَغَارِبِ كُلُّهَــا ... وتَــمَلْمَلَتْ أَشْــجَارُهَا الــشَّعْوَاءُ
وَانْحَطَّــأَتْ أَكْمَاتُهَــا وتَــسَافَعَتْ ... أَطْــيَارُهَا نَــوْحاً كَــمَا الأَبْــنَاءُ
وَتَلاطَمَــتْ مَــوْجُ الأَسَــى وتَرَاكَمَــتْ ... بِنُـــفُوسِنَا لِذِهَــابِهِ الْــغَمَّاءُ
وَتَــتَابَعَتْ كُــلُّ الْهُمُــومِ بِأَسْــرِهَا ... حَــقاً وقَــدْ ذَهَــبَتْ بِــهِ الأَضْــوَاءُ
أَرِّخْ وَفَاتَــهُ بِــابْتِدَاءِ مَقُــولِي قَــدْ ... وَلَّــى كُــلُّ سَعَــادَةٍ غَــرَّاءِ[1]
فِــي أَوَّلِ مَــنْ طَــابَ حُلْمــاً مِــنْ رَبِيــ ... عِ الــثَّانِي مَــنْ لَــهُ فِــي الْــوَرَى إِعْــلاءُ
لَــهْفِي عَــلَيْهِ دَائِــماً لَــوْ أَنَّــهُ ... يُــشْفِي وقَــدْ طَالَــتْ بِــيَ الــضَّرَّاءُ
صَــبْراً لِــفَقْدِهِ أَنَّــهُ فَــرَطٌ لَــنَا ... وذَخِيــرَةٌ مَقْــبُولَةٌ حَــسْنَاءُ
صَــبْراً عَلَــى غُــصَصٍ تَوَالَــتْ عِنْــدَمَا ... أَوْدَى فَــصَبْرُكَ شِــيمَةٌ سَــمْحَاءُ
لَــوْ كَــانَ يُفْــدَى لافْتَــدَاهُ كِرَامُنَــا ... بِــنُفُوسِهِمْ كَــيْ يَــثْبُتَ الإِفْــدَاءُ
لَــكِنْ مَــضَى قَــدَرُ الإِلَــهُ فَمَــا لَنَــا ... إِلا الــرِّضَى والــصَّبْرُ والإِرْضَــاءُ
فَــاسْقِ الــضَّرِيحَ بِــوَابِلِ رَحْمَــةٍ ... يَــا مَــنْ لَــهُ الإِفْــضَالُ والإِعْطَــاءُ
وَاجْــبُرْ إِلَــهِي كَــسْرَنَا وتَلافَنَــا ... فَيُــزَاحُ عَــنَّا الــضُّرُّ والأَدْوَاءُ
وَاسْــدُدْ بِفَــضْلِكَ ثُلْمَتَــا وتَوَلَّنَــا ... بِعِنَايَــةٍ تُــنْفَى بِــهَا الأَسْــوَاءُ
بِــمَقَامِ خَــيْرِ الْمُرْسَــلِينَ ومَــنْ بِــهِ ... كَــمُلَ الــسُّرُورُ وتَمَّــتِ الأَرْجَــاءُ

---

(1) كذا في (ح1)، والبيت مضطرب الوزن والقافية، ركب فيه الشاعر ما ركب مراعاةً لحساب عدد الكلمات المؤرِّخ بها على طريقة حساب الجمل.

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ خَيْرَ صَلاتِهِ ... مَا فَاحَ مِسْكُ الْخَتْمِ والأَفْعَاءُ[1]

*** [34] أحمد بن قاسم جسوس (المتوفى سنة 1331هـ)[2]**

شيخنا العلامة الأديب المجيد الذي تحلى به الزمان النحرُ والجيد، فخر الرباط وشاعره، وناظم دره وناثره، روضة المكارم التي تفتقت أزهارها الندية، وعبقت أنفاسها الندية عن أدب غض وشعر كالزهر المنفض، إلى أخلاق وشمائل، تزري بالصبا والشمائل، وأناة ورزانة، وعلم جانسه العمل وزانه، واعتقاد صادق ودين في غاية المتانة، مع وقار حلا في أفواه الأقلام ثناؤه، وفخار اعتلى على هام البدر سناه وسناؤه:

لَهُ صَحَائِفُ أَخْلاقٍ مُهَذَّبَةٍ ... مِنْهَا الْحِجَا والْعُلا والْفَضْلُ يُنْتَسَخُ

ولد رحمه الله في حدود السبعين من القرن الماضي فتربى في حجر والده ممتعاً بذخائر طارفه وتالده إلى أن بلغ سن التمييز فحفظ القرآن العظيم وتعاطى العلم الشريف، وما مضت عليه مدة حتى كان فيه من أهل التبريز.

وكانت قراءته على شيوخ الرباط في وقته كالولي الصالح أبي المواهب سيدي العربي بن السائح، وشيخ الجماعة أبي إسحاق التادلي، والعلامة الصوفي أبي حفص الحاج عمر عاشور، والقاضي أبي العباس ملين السابق وغيرهم.

ثم رحل إلى فاس فأخذ عن ملحق الأحفاد بالأجداد أبي العباس أحمد بن أحمد البناني والشيخ الإمام أبي عبد الله الحاج محمد كنون، وسيبويه زمانه السيد عبد الواحد بن سودة، والمحقق الشريف أبي عبد الله محمد بن قاسم القادري، والعلامة الحافظ الحاج الطيب بن أبي بكر بن كيران وغير هؤلاء ممن كان في طبقتهم.

ولم يقف عند هذا بل رحل إلى مراكش وطنجة وتطوان ومصر والحرمين الشريفين وتلاقى بعلماء الكل.

وأخذ وسمع واستجاز واستفاد وكتب في ذلك كناشاً خصوصياً أتى فيه على تراجم كل من أخذ عنه أو سمع منه وذلك من جملة كتاباته العلمية وانشاءاته النثرية التي حاكت أفكاره السامية خِزَّها وأجادت أنامله بقلم الإبداع طُررها.

---

(1) الأَفْعَاء: هي الروائح الطيبة. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 15/ 159، مادة (فعا).

(2) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 2/ 465، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 405، والأعلام، للزركلي: 1/ 199، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 13/ 365، وأعلام الفكر المعاصر، لعبد الله الجراري: 2/ 39.

ولم يبق في حفظي منها الآن إلا حاشيته على الورقات[1]، وتعليقه على الموطأ هو تقييد سماه الإغراء بمسائل الاستبراء، وافتتاح البخاري وختمه ثم ختم الشمائل الموسوم بزهر الخمائل.

إلى ما قيده في كنانيشه العديدة المتضمنة لذكر أخباره ورحلاته وما كتبه من القضايا والمسائل وفرائد الفوائد أيام كان بطنجة وفاس، وكان مع اشتغاله بالتقييد له أيضاً بالزاوية التيجانية والجامع الأعظم دروس فقهية وحديثية وعقلية حضرت عليه في بعضها في جمع من طلبة الرباط ونقادهم.

وكان عذب الإلقاء أنيق التعبير حسن الإدراك والفهم، وكان كلَّما جلس في مجلس كَسَتْهُ حلة الجمال والجلال، وذاكر وحاضر وخاض في كل مجال، بكلام خلوب يملك القلوب، وألفاظ تكاد تسيل لطفاً، وتحتسيها الأرواح مدامة صرفاً، وتود الآذان تكون لها شنفاً، وكم له مع فطاحل الأدب والشعر كالقاضيين الشريفين شيخنا أبي حامد البطاوري وشيخنا أبي العباس البلغيثي، والسيد عبد القادر لبريس، وأبي العباس الزعيمي، من مساجلات ومراسلات لم تزل في عقد الأدب يواقيت منتظمات تذكرنا في الحوليات والمقامات.

غير أن الدهر على عادته مع أهل الأدب غالباً وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً، قَلَبَ لَهُ ظَهْرَ المِجَنِّ بأسقام طالما قاساها وقابلها بصدر رحيب حتى آخر حياته، فكانت روحه المقدسة تتراءى في جسم نحيف وجسد نحيل، وذاته الكريمة كمرآة صافية تتجلى فيها عواطف أذكى من الخزامى وأرق من النسيم العليل.

ولم يزل متقلباً في أطوار تلك الأسقام حتى أفضت النوبة إلى الطور الذي ختمت فيه أنفاسه الزكية وذلك أواسط قعدة الحرام عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، وقد كان لمنعاه رنة أسف يرددها صدى الأسى والأنين، وكان قلمي مما جرى في رثائه بهذه القطعة الشعرية التي سميتها لوعة الحزين، فقلت:

---

(1) يريد حاشيته المسماه: "جلاء العين على قرة العين" وهي حاشية على شرح الحطاب الرعيني المسمى " قرة العين بشرح ورقات إمام الحرمين " على كتاب " الورقات" في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني، ولدينا منه أكثر من نسخة خطية أصلية للورقات وقرة العين في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث). انظر: جامع الشروح والحواشي، لعبد الله الحبشي: 3/ 2471.

هِـــيَ الدُّنْيَـــا بِمَـــا يُبْكِـــي تَـــدِينُ — وتَفْعَـــلُ مَـــا يَهُـــولُ ولا يَهُـــونُ
فَـــلا تَغْتَـــرَّ إِذْ تُبْـــدِي ابْتِـــسَاماً — فَـــكَمْ جَفَّـــتْ لِمُغْتَـــرٍّ جُفُـــونُ
وَحَـــسْبُكَ عِبْـــرَةً مَـــا حَـــلَّ فِينَـــا — ونَـــحْنُ بِغَفْلَـــةٍ عَمَّـــا يَكُـــونُ
مُـــصَابٌ رَاعَـــنَا بِوَفَـــاةِ شَـــهْمٍ — أَصَـــابَتْهُ بِـــأَسْهُمِهَا الْمَنُـــونُ
أَبُـــو الْعَبَّـــاسِ أَحْمَـــدُ مَـــنْ تَبَـــدَّى — كَـــأَنَّهُ فِـــي العُلَـــى طَـــوْدٌ رَصِـــينُ
قَـــضَى ومَـــضَى وخَلَّفَنَـــا حَيَـــارَى — بِـــهَذَا لَـــوْعَةٌ ولِـــذَا أَنِـــينُ
وَأَلْبَـــسَنَا ثِـــيَاباً مِـــنْ حِـــدَادٍ — فَـــكُلٌّ بَـــعْدَهُ بَـــاكٍ حَـــزِينُ
بِـــهِ كُنَّـــا وحَقِّـــكَ فِـــي ابْتِهَـــاجٍ — ولَـــكِنْ خَانَنَـــا الـــدَّهْرُ الْخَـــؤُونُ
وَكَـــانَ لَـــهُ اعْتِـــزَازٌ واعْتِبَـــارٌ — وَقَـــدْرٌ فِـــي ذُرَى الْعُلْيَـــا مَكِـــينُ
تَـــلُوحُ عَلَيْـــهِ شَـــارَاتُ الْمَعَـــالِي — ويَـــعْلُو وَجْـــهَهُ نُـــورٌ مُبِـــينُ
لَـــهُ كُـــلُّ الْمَعَـــارِفِ طَائِعَـــاتٌ — فَـــسِيَّانُ الْحَوَاشِـــي والْمُتُـــونُ
إِلَـــى أَدَبٍ وشِـــعْرٍ فَـــوْقَ سِـــعْرٍ — ولَـــكِنْ دُونَـــهُ الـــدُّرُّ الثَّمِـــينُ
وَعِـــلْمٌ زَانَـــهُ عَمَـــلٌ وفَـــضْلٌ — وتَـــقْوَى اللهِ والـــدِّينُ الْمَتِـــينُ
لِـــهَذَا أَصْـــبَحَتْ تَبْكِيـــهِ عَيْنِـــي — وتَـــجْرِي بِالـــدِّمَا مِنْهَـــا عُيُـــونُ
عَـــلَيْهِ أَوْسَـــعُ الرَّحَمَـــاتِ تَتْـــرَى — وجَـــادَ ضَـــرِيحَهُ غَيْـــثٌ هَتُـــونُ
وَبَـــوَّأَهُ الْـــكَرِيمُ جِنَـــانَ عَـــدْنٍ — وأَمَّـــنَ رُوحَـــهُ الـــرُّوحُ الأَمِـــينُ

(آمين بالأمين)

ولا بأس أن نحلِّي جِيد هذه الترجمة بجواهر من منثوره ومنظومه، فنقول من ذلك قوله مطلع هذه الرسالة التي كاتب بها شاعر الرباط السيد عبد القادر لبريس رحمه الله:

سَـــلامٌ عَلَـــى صَـــفَحَاتِ الْكَـــرَمْ — عَلَـــى الْغُـــرَرِ الْفَارِجَـــاتِ الْغُمَـــمْ
عَلَـــى الْهِمَـــمِ الْفَارِعَـــاتِ النُّجُـــومْ — عَلَـــى الأَيْمُـــنِ الْغَـــامِرَاتِ الـــدِّيَمْ(1)

على حضرة السعود الحفاضة وسدة النعم السابغة الفضفاضة بيت المجد الباذخ ومفخر السؤدد الذي على هام الجوزاء شامخ الجوهر المتخل والمفضال الذي لا يبخل والمدره المعظم

(1) البيتان لأبي عمر جعفر بن يوسف الباجي الفقيه القاضي، يحكي فيهما حنينه إلى أهل سرقسطة وقد فارقهم. انظر: المغرب في حلى المغرب، ص:97.

وسلك المفاخر المنظم حسام المجد المنتضى، وكوكب العلياء الذي أضا، من غذي بالأدب وسما إلى أعلى الرتب.

يَخُوضُ إِلَى الْمَجْدِ والْمَكْرُمَاتِ ... بِحَارَ الْخُطُوبِ وأَهْوَالَهَا
وإِنْ ذُكِرَتْ لِلْعُلَى غَايَةٌ ... تَرَقَّى إِلَيْهَا وأَهْوَى لَهَا[1]

إلى أن قال: أما بعد، فقد وصلت القصيدة التي فتنت حين أتت، وسبت حين هبت، وخلعت بخفتها عنا الوقار حين أدارت عندمي ذاك العقار، فلعمري هي الشعر الغالي السعر، والكلام المثقف المباني الرائق الألفاظ والمعاني، والمرهف كالحسام اليماني، وشعر بديع السرد مفوف البُرد ظرف أدب غض وزهر على مجتنيه منفض، وروض أنف، وحلى لآذان الزمان شنوف، قصيدة عذراء وكريمة عفراء غراء جالبة السراء، أدارت علينا كؤوس البيان المعتق وخلبت العقول بأطراف الكلام المنسق، برزت في وشي البديع بأصنافه وأبرزت در المعاني من أصدافه، وبرزت في حر الكلام بأعلى أوصافه، وجنت ثمار البيان لحين قطافه.

قَسَماً بِهَا وبِنَظْمِهَا وبِنَثْرِهَا ... لَقَدِ انْتَحَتْ لِي مِلْءَ عَيْنِ رَجَائِي
وعَلِمْتُ أَنَّكَ أَنْتَ فِي إِبْدَاعِهَا ... لَفْظاً ومَعْنًى مُعْجِزُ النُّبَلاءِ[2]

وكتب في غرض التعزية بوفاة شيخه أبي المواهب سيدي العربي بن السائح مخاطباً بعض أحبائه من أصحاب الشيخ ما نص الغرض: أما بعد، فعزاءً أيها السادات القادات في المصاب الذي قصم الظهر وأظلم أيام الدهر وفتت الأكباد وكاد يبيد العباد.

أَسَفاً عَلَى ذَاكَ الْجَمَالِ تَقَلَّصَتْ ... أَفْيَاؤُهُ وعُهِدْنَ خَيْرَ رَوَاقِ[3]

أسفاً على ثبير الخصوصية والولاية ورضوى السؤدد والعناية، أسفاً على ركن المجد، أسفاً على كعبة التقى والجد، أسفاً على الأسد الوَرد في الصدر والوِرد، أسفاً على بقية صالح السلف، أسفاً على سيد الخلف، أسفاً على يتيمة الدهر في السر والجهر، أسفاً على روض المعارف وذبوله، أسفاً على تصويح ربيع العوارف ومحوله، لقد تنكرت حتى الشهب لفراقه،

---

(1) البيتان لخلف بن هارون القطيني، الأديب الأندلسي يمدح ابن حزم. انظر: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في محاسن أهل المغرب والأندلس، لابن خاقان، ص:55.

(2) البيتان من الهمزية المشهورة بين أدباء المغرب لصفوان بن إدريس التجيبي، المتوفى بمرسية سنة 598هـ. انظر: نفح الطيب، للمقري، بتحقيق الدكتور إحسان عباس: 6/ 255.

(3) البيت لأبي عبد الله محمد ابن زمرك الشاعر الأندلسي المتوفى سنة 793هـ يرثي به شيخه محمد بن إسحاق التنوخي. انظر: المصدر السابق: 5/ 195.

وأغمد الصبح نور إشراقه، ومزقت الريح صداراً، وصارت الأهلة لا تعرف أبداراً، ولبست الأيام قميصة الحزن، وبكته الخضراء بأدمع المزن، وانفصم من الثريا سوارها وانكسفت من الشمس أنوارها.

وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مَرِيضَةٌ … والأَرْضُ وَاجِفَةٌ تَكَادُ تَمُورُ

فيا دافنيه كيف سويتم عليه الرغام، أَوَلَمْ تنكروا على الشمس أن تغام، هيهات لقد سمحتم بإقبار من طبّق الدنيا بطيب الأخبار، وإلحاد من لا نزاع في فضله ولا إلحاد، ويا ضريحه كيف وجدت ريحه، لو علمت من بين جنبيك راقد لعلوت على السهى والفراقد، ويا حامليه كيف حملتم الطود الأعظم وجعلتم على الكواهل البحر الغطمطم.

إنْ تَحْمِلُوهُ عَلَى الْكَوَاهِلِ طَالَمَا … قَدْ كَانَ مَحْمُولاً عَلَى الأَحْدَاقِ[1]

ذهب إلى ما وعده به ربه من البشرى وغادر القلوب في أيدي الأحزان أسرى.

عَجِبْتُ وقَدْ وَدَّعْتُهُ كَيْفَ لَمْ أَمُتْ … وكَيْفَ انْثَنَتْ بَعْدَ الْوَدَاعِ يَدِي مَعِي
فَيَا مُقْلَتِي الْعَبْرَى عَلَيْهِ اسْكُبِي دَماً … ويَا كَبِدِي الْحَرَّى عَلَيْهِ تَقَطَّعِي[2]

إنا لله وإنا إليه راجعون، وبما قضاه الله سبحانه راضون، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون.

اللهم إنا نسألك لنا ولأحبائنا وإخواننا طمأنينة نهدأ بها من هذا الروع العظيم على النفوس، وسكينة لا تغادر في قلوبنا مثقال ذرة من البوس، اللهم وأعل درجات فقيدنا السيد الإمام، واجزه عنا أفضل ما جازيت به خاصة الخاصة من أوليائك سادات الأنام، ولا تجعل يا مولانا بين أرواحنا وروحه فصلاً، واجعلنا إلهنا ممن حاز في مضمار محبته خصلاً، بجاه إمام المتقين وقدوة العالمين وسيد الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا أبي القاسم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلَّم وشرَّف وكرَّم، ومجَّد وعظَّم.

أما شعره فكثير جله ضارب في باب الإجادة بسهم يزري بابن حبيب[3] وابن الجهم[4].

---

(1) البيت من قصيدة ابن زمرك السابق ذكرها. انظر: نفح الطيب، للمقري: 5/ 197.

(2) البيتان ينسبان للحكم المستنصر بالله. انظر: الحلة السيراء، لابن الأبار: 1/ 203، والمغرب في حلى المغرب، لابن سعيد: 1/ 182.

(3) لعله يقصد حاجب بن حبيب الأسدي، شاعر جاهلي، من شعراء المفضليات أو محمد بن حبيب العلامة العارف بالأنساب والشعر المتوفى 245هـ.

(4) هو: أبو الحسن، علي بن الجهم بن بدر بن الجهم البغدادي، الشاعر، المتوفى سنة 249هـ.

وكان رحمه الله جمع منه ديواناً صغيراً على أنه قُل من جُل وبعض من كُل. قال في طالعته بعد أسطر الافتتاح:

أما بعد، فإنك أيها السيد الحلاحل، المحيي من الأدب كل ربع ماحل، لا زلت في حلبة الفضلاء مجلياً، وعلى هام النجم مصلياً، سألتني كتب شيء من شعري على أنه غثّ، ونشر البعض من مطريه وأنه لرثّ، ولكن حملتني عنايتك التي هي روض أريض على الإسعاف حتى لم أقل حال الجريض دون القريض[1]..إلخ.

ثم أنشد من نبوياته:

لِطَيْبَةَ فَارْكَبْ نَاقَةَ الشَّوْقِ أَوْ طِرْفَا[2] ... وغُضَّ عَنِ الأَحْبَابِ كُلِّهِمُ الطَّرْفَا

وَخَلِّ الْهَوَى وارْبَأْ بِنَفْسِكَ جَاهِداً ... فَمَا بِالْوَنَى نَالَ الأُلَى سَبَقُوا الإِلْفَا

أَمَا تَدَّعِي الشَّوْقَ الْمُبَرِّحَ بِالْحَشَا ... وأَنْ قَدْ سُقِيتَ الْحُبَّ فِي كَأْسِهِ صِرْفَا

وَشَبَّ بِأَنْحَاءِ الضُّلُوعِ لَهِيبُهُ ... ولَيْتَهُ لا يَخْبُو ولَيْتَهُ لا يُطْفَا

فَسِرْ يَا رَعَاكَ اللهُ فِي ذِمَمِ الْهَوَى ... ووَدِّعْ مَهَاةَ الْحَيِّ والشَّادِنَ الْخِشْفَا

وَكُنْ قَمَراً يَفْرِي الدُّجَى بِمَسِيرِهِ ... فَتَحْمَدُ عِنْدَ الصُّبْحِ ذَاكَ السُّرَى أَلْفَا

وَإِنْ جِئْتَ سَلْعاً والْعَقِيقَ ورَامَةَ ... هُنَاكَ فَعَرِّسْ فَالسُّرُورُ بِهَا الْتَفَّا

هُنَالِكَ تَبْدُو طَيْبَةٌ بِسَنَائِهَا ... مُعَطَّرَةَ الأَرْجَاءِ تُبْدِي لَنَا عَرْفَا[3]

كَسَاهَا الْبَهَا والْحُسْنُ وَشْياً مُطَرَّزاً ... فَلِلَّهِ مَا أَسْنَى ولِلَّهِ مَا أَضْفَا

تَعَالَتْ عَلَى الشِّعْرَى ومَنْ دُونَهَا السُّهَى ... وصَارَتْ ثُرَيَّا الأُفْقِ فِي أُذْنِهَا شَنْفَا

إلى أن قال:

أَلَيْسَ بِهَا الدِّينُ الْحَنِيفِيُّ أَشْرَقَتْ ... شُمُوسُهُ حَتَّى قَدْ أَمِنَّا لَهُ كِسْفَا

أَلَيْسَ بِهَا خَيْرُ الْخَلائِقِ أَحْمَدُ ... ثَوَى يَقِظاً مِنْ غَيْرِ نَوْمٍ ولا إِغْفَا

---

(1) هو مثل يضرب لمن أراد أمراً فمنعته عنه العوائق، والجريض الغُصَّة، من الجرض وهو الريق يغص به وأصل المثل، أن رجلاً كان له ابن نبغ في الشعر فنهاه أبوه عن ذلك فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الهلاك، فأذن له أبوه في قول الشعر، فقال هذا القول، وقيل: هو لعبيد بن الأبرص عندما طلب منه قول الشعر وقد أمر به ليقتل. انظر: جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري: 1/ 359، ومجمع الأمثال، للميداني: 1/ 191.

(2) الطِّرْف بالكسر هو: الكريمُ العَتِيقُ من الخيل. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 9/ 213.

(3) في (ح): (تندي).

يَـرُدُّ سَـلامَ الْقَـوْمِ مِـنْ كُـلِّ مُـسْلِمٍ ... ويُوسِـعُهُمْ نُـعْماً ويُـوسِعُهُمْ لُطْفَـا
أَلا يَـا رَسُـولَ اللهِ يَـا ابْـنَ أَئِـمَّةٍ ... غَـطَارِفَةٍ يَكْفُـونَ مَـنْ بِهِـمُ اسْـتَكْفَى
فَـأَنْتَ كَـرِيمٌ مِـنْ كِـرَامٍ جَحَـاجِحٍ ... ولَكِنَّـكَ الْـبَحْرُ الْخِـضَمُّ الَّـذِي شَـفَّى
لَـكَ الْكَـوْثَرُ الْـفَيَّاضُ فَـضْلاً مُنِحْتَـهُ ... يُـحَاكِي نَـدَاكَ الْـغَمْرَ تُرْسِـلُهُ وَكْفَـا
بِـكَ اللهُ أَسْـرَى واجْـتَبَاكَ لِحَـضْرَةٍ ... بِهَـا السِّرُّ مَـجْلُوٌّ إِلَيْـكَ فَمَـا يَخْفَـى
رَقِـيتَ مَقَامـاً مَـا سِـوَاكَ لَـهُ ارْتَقَـى ... ونِلْـتَ الـدُّنُوَّ الـتَّمَّ والْقُـرْبَ والإِصْـفَا
وَأَسْـمَعَكَ اللهُ الْـكَرِيمُ كَـلامَهُ الْ ... قَـدِيمَ ولا صَـوْتاً لَـدَيْهِ ولا حَرْفَـا
وَقَـوَّى فُـؤَاداً مِنْـكَ حَتَّـى شَـهِدْتَهُ ... عِـيَاناً ولَكِـنْ لا مِـثَالاً ولا كَـيْفَا
وَهَـذِهِ إِحْـدَى مَـا سَبَقْتَ بِهَـا الْـوَرَى ... وكَـمْ لَكَ مِنْ حُسْنَى وكَـمْ لَكَ مِنْ زُلْفَا

ومن نبوياته أيضاً هذه الطائية البديعة:

خَلِيلَـيَّ هَـذَا الْبَـيْنُ فِـي الْخَـدِّ قَـدْ خَطَّـا ... خُـطَوطَ دُمُـوعٍ تُـشْبِهُ الْخَـدَّ والـشَّرْطَا
جَفَـانِي بِـهِ نَـوْمِي وعِيـلَ تَـصَبُّرِي ... وسَـاوَرَنِي هَـمٌّ كَمَـا الْحَيَّـةِ الرَّقْطَـا
وَلَـيْلٌ دَجُـوجِيُّ الإِهَـابِ سَـبَحْتُهُ ... كَـمَا يَـسْبَحُ الْـيَمُّ الَّـذِي عَـدِمَ الـشَّطَا
أُسَـامِرُ طَـوْراً فِـيهِ ذِكْـرَى أَحِبَّتِـي ... وآونَـةً نَـجْمَ الثُّرَيَّـا إِذَا أَبْـطَا
أَوَدُّ الْـكَرَى جَـفْنِي يَـزُورُ لَعَلَّنِـي ... أَرَى طَيْـفَ مَـنْ أَهْـوَى بِرَبْعِـيَ قَـدْ حَطَّـا
حَنَانَيْكُمَـا كُفَّـا عَـنِ الْعَـذْلِ فِـي الْهَـوَى ... ولا تَخْرِقَـا قَـلْبِي بِـعَذْلِكُمَا شَـيْطَا
فَكَـمْ خُـضْتُ بَحْـراً لِلْغَـرَامِ ولَـمْ أَهَـبْ ... طُلُـوعَ جِـبَالِ الْمَـوْجِ فِيـهِ أَوِ الْهَبْطَـا
أَلِفْتُـهُ مُـذْ نِـيطَتْ عَـلَيَّ تَمَـائِمِي ... ودِنْـتُ بِـهِ بَـلْ واغْتَبَطْـتُ بِـهِ غِبْطَـا
رَضِـيتُ الَّـذِي يَـأْتِي بِـهِ مِـنْ شَـرِيعَةٍ ... وأَسْـلَمْتُهُ نَفْـسِي أَبَـرَّ أَوِ اشْـتَطَّا
وَصِـرْتُ كَـأَنِّي لا حَـيَاةَ تَحُلُّنِـي ... فَـلا أَخْتَـشِي قَبْـضاً ولا أَرْتَجِـي بَـسْطَا
هُـوَ الْحُـبُّ مَـا أَصْـفَى وأَعْـذَبَ وِرْدَهُ ... عَـلَى أَنَّـهُ فِـي الـسُّكْرِ جَـاوَزَ اسْـفَنْطَا[1]
فَيَـا قَـاصِداً دَارَ الْـحَبِيبِ ورَبْعَـهُ ... لَـكَ اللهُ لا تَخْـشَ اغْتِرَابـاً ولا شَـحْطَا

(1) الإِسْفِنْطُ والإِسْفَنْطُ المُطَيَّبُ من عصير العنب وقيل هو من أسماء الخمر. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 7/ 255 مادة (أسفط).

فَــإِنْ مَــا دَنَــا وَادِي الْــعَقِيقِ ورَامَــةً وفَـاحَ كَبَـاءٌ يَفْـضَحُ الْمِـسْكَ والسُّنطَا[1]
وَشِــمْتَ بُــرُوقَ النُّـورِ تَلْمَـعُ مِـنْ قِبَـا ولاحَــتْ قِـبَابٌ دُونَهَـا زُحَـلُ انْحَطَّـا
وَصِــرْتَ تِجَـاهَ الْمُـصْطَفَى بِـسَكِينَةٍ تُـنَظِّمُ عِـقْداً مِـنْ دُمُوعِـكَ أَوْ سِـمْطَا
هُنَالِــكَ فَــاذْكُرْنِي وأَنْــهِ تَــحِيَّتِي وعَفِّرْ مَصُونَ الْوَجْـهِ فِـي التُّـرْبِ مُنْحَطَّـا
وَقُـلْ يَـا رَسُـولَ اللهِ يَـا خَيْـرَ هَاشِـمٍ وخَــيْرَ الْــوَرَى طُـرّاً وأَشْــرَفَهُمْ رَهْطَـا

إلى أن قال:

وَيَــا أَفْـصَحَ الأَكْــوَانِ عُــذْراً لِقَاصِــرٍ تَـكَلَّفَ يُثْنِـي والْمَـدَى عَنْـهُ قَـدْ شَـطَّا
يُــحَاوِلُ مَــدْحاً والإِجَــادَةُ مِنْحَــةٌ ويَــا لَـيْتَهُ مِنْهَــا ولَــوْ ذَرَّةٌ يُعْطَــى
وَوَاللهِ لا تَــكْفِي النُّجُــومُ أَصُــوغُهَا لِـمَدْحِكَ أَلْـفَاظاً أَخُـطُّ بِهَـا خَطَّـا
فَــسَامِحْ حَبِيــبَ اللهِ واقْبَــلْ هَــدِيَّتِي وهَــبْنِي لِــحِبِّ مُوثِــقٌ حَبْلَــهُ رَبْطَـا
عَــلَيْكَ صَــلاةُ اللهِ يَــا خَيْــرَ خَــاتِمٍ وخَــيْرَ رَسُــولٍ بَـيَّنَ الـدِّينَ أَوْ وَطَّـا
وَآلِـكَ والأَصْـحَابِ أَهْـلِ الْعُلَـى الأُلَـى تَـسَامَوْا بِـدَوْرِ النَّـاسِ واكْتَمَلُـوا رَهْطَـا

وقال أيضاً وقد أجاد ما شاء:

لِطَيْبَــةَ يَــا ابْــنَ الأَكْــرَمِينَ فَــسَابِقِ لِـتُحْرِزَ قَـصْبَ الـسَّبْقِ عِنْـدَ التَّـسَابُقِ
وَجُــدَّ بِحَــزْمٍ وامْــتَطِ الـشَّوْقَ جَاهِـداً وقُــدْ بِــسَيْفِ الْعَــزْمِ كُــلَّ الْعَوَائِــقِ
وَقُــدْ كُــلَّ حَمْــرَاءِ الإِهَــابِ كَرِيمَــةٍ رَتُــوعٍ وَكُــوفٍ مِــنْ أَعَــزِّ الأَيَــانِقِ
مُذَكَّــرَةٍ قَــوْدَاءَ غَــلْبَاءَ عَــيْطَلٍ بَدِيــعَةِ حُــسْنٍ...... فَائِــقِ[2]
سَفِــينَةِ بَــرٍّ لا يُــحَسُّ قَــوَامُهَا كِــلالٍ ولا تَــشْكُو وُلُــوجَ الْمَــضَايِقِ
وَتَــذْرَعُ فَــيْحَاءَ الْــفَلاةِ بِمَنْــسِمٍ وتَــبْرَعُ فِــي رَقْــصٍ بِــأُمْلُودٍ بَاسِــقِ
فَــشُدَّ عَــلَيْهَا عَــمْرَكَ اللهَ وانْــتَهِجْ سَــبِيلَ الْهُــدَى واعْجَــلْ وبَــادِرْ ولاحِــقِ
وَلا تُــسْقِهَا إلا دُمُــوعَ صَــبَابَتِي فَــكَمْ وَرَدَتْ مِــنْ أَنْهُــرٍ كُــلَّ دَافِــقِ
وَيَــمِّمْ بِــهَا وَادِي الْعَقِيــقِ ورَامَــةً وجَــزْعاً وسَــلْعاً كَالْعُــذَيْبِ وبَــارِقِ

---

(1) الكباء: البخور. وفي (ح): (القَنط) بدلاً من السنط، والسنط نوع من الأشجار، قيل: هو أَجْوَدُ حطَبٍ اسْتَوْقَد به الناسُ يزعمون أنه أكثره ناراً وأقلُّه رَماداً. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 7/ 325، مادة (سنط).

(2) بياض في (ح1) و(ح).

وَإِنْ شِمْتَ بَرْقَ النُّورِ يَلْمَعُ مِنْ قِبَا وفَاحَ كَبَا طِيبٍ كَمَا الْمِسْكِ فَاتَّقِ
هُنَاكَ تَرَجَّلْ خَاضِعاً مُتَأَدِّباً وكُنْ بِنَجَاحِ الْقَصْدِ أَعْظَمَ وَاثِقِ

* [35] أحمد ابن القاضي محمد بن إبراهيم (المتوفى سنة 1334هـ)(1)

شيخنا الفقيه العلامة الفرضي الحيسوبي النوازلي القاضي الشهير.

نشأ بالرباط متعاطياً العلم الشريف عن جل مشايخنا الكبار، ورحل إلى فاس ومكث مدة في طلب العلم.

ثم رجع فأتم دروسه على شيخنا القاضي أبي حامد البطاوري وهو عمدته وسنده، وتصدر للتدريس فقرأ عليه كثير من النبغاء، وهو أحد مشايخي الذين قرأت عليهم في بدايتي، ومما ختمته عليه الجرومية مراراً، والمرشد مرتين، وفرائض المختصر مرة، وفرائض الرسالة مراراً، ونحو الثلث من الألفية، وأوائل الرسالة والبعض من آخرها من باب الجامع، وأوائل التحفة والبعض من آخرها من الفرائض، وأوائل الزقاقية بشرحه عليها، إلى غير هذا مما قرأته عليه، وكنت أنا القارئ بين يديه في الكل.

وألف تآليف كثيرة منها:

تلخيص الحذاق شرح على لامية الزقاق(2)، طبع أخيراً، وكنت قرظته في صغري من جملة من قرَّظه من علماء العدوتين وغيرهم ، ثم حاشية على الزقاق في عدة أجزاء واختصارها في جزء، ثم تأليفه في المسألة الأكدرية(3) في علم الفرائض، ثم ختم على التحفة، وآخر على الزقاقية، وآخر على الجرومية، وآخر على فرائض المختصر، وتقييد نفيس فيما يتعلق باسم زيد بن ثابت من المناسبات من الفرائض، طبعه في عام عشرين.

إلى غير هذا من التقاييد والطرر والكتابات بالهوامش سيما على المتون الفقهية وشروحها، ولكثرة شغفه بها كان يلقب بعض أولاده الذكور بالزقاق وبالتاودي وخليل، وبعض الإناث

(1) انظر ترجمته في: جواهر الكمال، للكانوني، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، بالرباط الطبعة الأولى 2004م، ص: 67، وأعلام الفكر المعاصر، لعبد الله الجراري: 2/ 48، والأعلام، للزركلي: 1/ 249.

(2) توجد منه نسخة برقم (154 ح - 1) بالخزانة العامة بالرباط. ورقمها الترتيبي (56) في فهرس المطبوعات الحجرية المغربية.

(3) يقصد بالمسألة الأكدرية في الميراث المسألة التي فيها: زوج وأم وجد وشقيقة أو أخت لأب، وسميت بالأكدرية لأنها كدرت على زيد بن ثابت أصوله، وقيل: لأن عبد الملك بن مروان ألقاها على رجل يقال له أكدر كان ينظر في الفرائض فأخطأ فيها فسماها الأكدرية، والأصل في باب الجد والإخوة أن لا يفرض للأخوات معه ولا يرث الإخوة شيئا إذا لم يبق إلا السدس، لكنهم استثنوا هذه الصورة، ففرضوا لها النصف وله السدس. انظر: القوانين الفقهية، لابن جزي: 1/ 256.

بالتحفة، وهكذا.

وكان رَحِمَهُ اللهُ جميل الأخلاق مقبول الهيئة محبوباً بالطبع سريع الرضى والعفو، كريم المائدة، متودداً للناس، مقداماً غير هياب ولا وَكِل. تصدر للشهادة مدة مديدة فبرز فيها، ثم تولى خطة القضاء بثغر العرائش ثم أخر وعين بثغر آسفي[1] قاضياً على المدينة وقبيلتي عبدة وأحمر، ودام متولياً نحو السنة.

وعزل ثم رجع للرباط فبقي مدة متشوفاً للقضاء إلى أن نزل به القضاء وقبض الله روحه بعيد العشاء من ذي القعدة عام أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح مولاي المكي مأسوفاً عليه، رَحِمَهُ اللهُ.

ومما مدح به هذه القصيدة لبعض أدباء سلا أنشدها يوم ختمه لفرائض المختصر عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف فقال:

دَعْ عَنْكَ قَوْلَ عَوَاذِلٍ ووُشَاةِ ... وافْنِ الزَّمَانَ بِخُذْ وحُطَّ وهَاتِ
قَدْ فَازَ مَنْ وَصَلَ الصَّبُوحَ مَعَ الْغَبُو ... قِ فَبِالْعَشِيِّ يَسِيرُ والْغَدَوَاتِ
وَاعْقِدْ نِكَاحاً بِابْنَةِ الْحَانِ الَّتِي ... عَقْلِي لَهَا مَهْرٌ مِنَ الصَّدُقَاتِ
وَاشْهِدْ نَدَامَى الإِنْسِ عَقْدَ نِكَاحِهَا ... وأَرَى تَفُضُّ الْخَتْمَ بِالْكَاسَاتِ
وَاعْدِلْ عَنِ الأَوْتَارِ واسْتَبْدِلْ بِهَا ... نَغَمَ الْغُصُونِ لِنَقْرَةِ الْوَرْقَاتِ
مِنْ نَغْمَةِ الْوَرْقَا وصَدْحِ هَزَارِهَا ... والْعَنْدَلِيبِ وبُلْبُلِ الدَّوْحَاتِ
وَأَرَى لَهَا عِنْدَ الْغِنَاءِ غَرِيبَةً ... فِي طَيِّهَا ضَرْبٌ مِنَ النَّفَثَاتِ
وَاسْتَجْلِهَا عَذْرَاءَ قَدْ عَقَدَتْ لَهَا ... طَوْقاً مِنَ الْيَاقُوتِ فِي صَدَفَاتِ
مِنْ ثَغْرِ سَاقٍ قَدْ أَرَاحَ بِرَاحِهِ ... قَلْبَ الشَّجِيِّ مُرَدِّدَ الزَّفَرَاتِ
فِي لَحْظِهِ ولَمَاهُ مَعْ تَخْدِيشِهِ ... ضَرْبٌ مِنَ الصَّهْبَاءِ فِي الْجَامَاتِ
وَبِخَدِّهِ وَرْدٌ يَخَافُ عَلَى قِطَا ... فِهِ قَدْ حَمَى بِاللَّحْظِ واللَّحَظَاتِ
وَبِجِيدِهِ الْبَرَّاقِ نُورٌ لامِعٌ ... مِنْ بَيْنِ سَجْفِ مَوَاقِعِ الظُّلُمَاتِ

---

(1) آسفي: ميناء ومدي نة تقع جنوب الدار البيضاء وهي دوائر تضم عمالة عبدة واليوسفية والصويرة، احتلها البرتغال بين عامي 910هـ و913هـ واستبسل أهلها في الدفاع عنها إلى أن اضطر البرتغال للجلاء عنها بعد نحو ثلاث وعشرين سنة. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 28، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 97.

وَبِطُرَّةٍ صَارَ النَّهَارُ بِهَا بَهِيّاً ... بَدْرُهُ ذَاكَ الْجَبِينُ السَّاتِي
فَهُوَ الْهِدَايَةُ لِلَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي ... دَاجِي الشُّعُورِ يَهِيمُ فِي فَلَوَاتِ
لِمْ لا ومَطْلَعُهُ الْفَقِيهُ الْمُتَّقِي ... تَاجُ الزَّمَانِ وصَالِحِ النِّيَّاتِ
مَنْ ظَلَّ دَهْراً فِي ابْتِنَاءِ مَآثِرٍ ... وذَخَائِرٍ ومَفَاخِرٍ مُسْدَاةِ
ذَاكَ الأَدِيبُ اللَّوْذَعِيُّ الأَلْمَعِي ... شَمْسُ النَّبَاهَةِ حَامِلُ الرَّايَاتِ
وَلَقَدْ أَبَانَ لِمَا يَبِينُ بِنُكْرِهِ ... عَنْ بَابِهِ عُذْراً عَلَى الْهَفَوَاتِ
لِمْ لا ومَا لَهُ فِي الْمَكَارِمِ مُشْبِهٌ ... مَعَ فَضْلِهِ الْمُرْبِي عَلَى الْغَايَاتِ
يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْفَرَائِضِ قَائِساً ... يُبْدِي الْعُجَابَ بِقِسْمَةِ التَّرِكَاتِ
وَغَدَا يُصَوِّرُ فِي الْمَسَائِلِ قَائِلاً ... هَذَا لِهَذَا ثُمَّ ذَاكَ لِهَاتِ
إِنِّي لِمِثْلِكَ لَمْ أَزَلْ مُتَعَجِّباً ... فِيمَا أَتَى بِهِ مِنْ نُهَى وهِبَاتِ
دَعْ لا تُعِيبَكَ لَثْغَةٌ بِعِبَارَةٍ ... وتَأَسَّ بِابْنِ عَطَاءَ فِي اللَّثَغَاتِ
وَأَفِدْ سَمَاعِي لَثْغَةً لَوْ أَنَّ وَا ... صِلَ حَاضِرٌ لَمْ يَهْجُرِ الرَّاءَاتِ
وَاصْبِرْ عَلَى جَوْرِ الدُّهُورِ فَرُبَّمَا انْـ ... تَبَهَتْ لأَهْلِ الْفَضْلِ مِنْ غَفَلاتِ
وَلَهَا حُلُومٌ فِي ارْتِفَاعِ ذَوِي الْجَهَا ... لَةِ وانْخِفَاضِ ذَوِي النُّهَى الْقَادَاتِ
لَكِنْ تَعُودُ الْحَالُ أَحْسَنَ مَا أَرَى ... دَوْماً لِذَاكَ ولا لِذَا فِي الآتِي
وَهَلِ الْكُسُوفُ يُرَى لِغَيْرِ الْبَدْرِ فِي ... زَمَنٍ مِنَ الأَزْمَانِ والأَوْقَاتِ
سَتُرَى عَلَى هَامِ الثُّرَيَّا تَاجَ عِزٍّ ... كَلَّلَتْهُ الزُّهْرُ بِالزَّهَرَاتِ
يَا رَاكِباً مَتْنَ الْعُلا فِي سَيْرِهِ ... والْكُلُّ دُونَهُ مِنْهُ فِي ضَغَطَاتِ
لا يَسْتَفِزُّكَ أَنَّنِي لَكَ مَادِحٌ ... مَدْحَ الْمُحِبِّ إِلَى الْحَبِيبِ الذَّاتِي
فَالْقَوْلُ قَوْلُكَ والْقَرِيضُ مُقَرَّرٌ ... واللائِمُونَ مَآلُهُمْ لِفَوَاتِ
مِسْ رَافِلاً فِي ذَيْلِ عِزِّكَ يَا أَبَا الْـ ... ـعَبَّاسِ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الْهَالاتِ
لا زِلْتَ شَمْساً فِي سَمَا ثَغْرِ الرِّبَا ... طِ لَكَ الْفَخَارُ بِهِ مَدَى الأَوْقَاتِ
مَا اهْتَزَّ غُصْنٌ أَوْ تَفَتَّحَ زَهْرُهُ ... وشَدَتْ عَلَيْهِ بَلابِلُ الرَّوْضَاتِ
وَغَدَا الْغَرِيمُ مُنَادِياً لَكَ قَائِلاً ... دَعْ عَنْكَ قَوْلَ عَوَاذِلٍ ووُشَاةِ

وأنشد في مدحه أيضاً صديقنا قاضي الشعراء أبو العباس سيدي أحمد سكيرج[1] هذه القصيدة اللطيفة يقول فيها:

إلى متى وأنت تظهر الجفا ... وقد لقيت في هواك ما كفى
أما كفاك أن قلبي اشتعلت ... نيران شوقه وحالي ما خفا
ازداد فيك كلفاً مضاعفاً ... ما دام فيك عاذلي معنّفا
يقول لي كأنه ينصحني ... دع الهوى فإن فيه التلفا
إن الهوى هو الهوان نفسه ... وكم فتى أشفى به على شفا
فقلت بعدما عرفت قوله ... والحق لا يخفى على من أنصفا
يا عاذلي قولك لا أسمعه ... ولو أطلت في الملام بالجفا
ما كان قد ضرك لو تركتني ... وما أقاسي منذ صرت مدنفا
فلتدع اللوم وخل عنك ما ... تبديه للخل الذي يبغي الوفا
إني امرؤ أصون عرض صاحبي ... سيان بالعهد وفى أو أخلفا
ولم أك امرءاً يبيع إلفه ... بألف ذنب وأعده هفا
ألتمس العذر له فإن يعد ... عدت له بفضله معترفا
من منصفي ممن غدا معنفي ... من غير ذنب وهو عد منصفا
يلومني بأنني مقصر ... في حقه ويظهر التأسفا
كأنني قصرت في مدح الذي ... قد استحق المدح جهراً وخفا
كأنه أبو المعالي أحمد ... خلي ابن إبراهيم معدن الصفا
مرافقي في المكرمات المرتقي ... لرتبة العليا مجاز الشرفا
ذو همم عالية وهو الذي ... عند المهمات به قد يكتفى
لولاه لم ينزل رباطي موثقاً ... وفي الرباط قد جفاني من جفا

---

(1) هو: أبو العباس، أحمد بن العياشي سكيرج، الأنصاري، القاضي العلامة المؤرخ المتوفى سنة 1363هـ وله من المصنفات "رفع النقاب بعد كشف الحجاب عن من تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب"، و"رياض العلوان في تراجم من اجتمعت بهم من الأعيان". انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 498، وسل النصال، له أيضاً، ص:102، ومعجم المؤلفين، لكحالة:13/ 365.

أَشْـــكُرُهُ عَـــلَى جَـــمِيلِ فِعْلِـــهِ ... ومَـــا بِـــهِ فِـــي الْكَمَـــالِ اتَّـــصَفَا
أَشْـــكُرُهُ وكُـــلُّ مَـــنْ يُحِبُّـــهُ ... أَبْـــنِي لَـــهُ فِـــي الْقَلْـــبِ مِنِّـــي غُرَفَـــا
أَشْـــكُرُهُ ولَـــمْ أَزَلْ أَشْـــكُرُهُ ... شُـــكْراً بِـــصِدْقِ الْـــوُدِّ قَـــدْ تَأَلَّفَـــا
أَكْـــرِمْ بِـــهِ مِـــنْ عَـــالِمٍ مُنْتَفَـــعٍ ... بِـــعِلْمِهِ والـــنَّقْصُ عَنْـــهُ مُنْتَفَـــى
حُـــظِّيَ فِـــي الْعِلْـــمِ بِحَـــظٍّ وَافِـــرٍ ... وبِـــبَدِيعِ الْفَهْـــمِ حِفْظُـــهُ اكْتَفَـــى
مَـــا نَـــزَلَتْ نَازِلَـــةٌ أَوْ أَعْـــضَلَتْ ... مُـــشْكِلَةٌ إلا وجَـــاءَ بِالـــشِّفَا
يُـــبْرِي الْعَلِيـــلَ يَـــرِدُ الْغَلِيـــلَ مِـــنْ ... حَـــرِّ الْـــجَفَا بِـــيسِرِ وُدٍّ قَـــدْ صَـــفَا
لا زَالَ مَـــلْحُوظَ الْجَنَـــابِ رَاقِيـــاً ... فـــي زَفَـــعَةٍ مُـــتَّبِعاً لِلْمُـــصْطَفَى
صَـــلَّى عَـــلَيْهِ اللهُ والآلِ مَعَـــاً ... وصَـــحْبِهِ ومَـــنْ لَهُـــمْ قَـــدِ اقْتَفَـــى

*[36] الحاج أحمد بن العالم القادري (المتوفى سنة 1337هـ)[1]

الشريف البركة الجليل صاحب الخلق الجميل، من سلالة الشرفاء القادريين آل القطب الشهير سيدي عبد القادر الجيلاني أصلهم من بغداد واستوطنوا سلا، ثم انتقلوا منها إلى الرباط كما دل على ذلك ظهير إسماعيلي بتاريخ 24 رجب سنة 1130هـ مضمونه توقير واحترام الشرفاء حملته أسلاف سيدنا المترجم وهو وحده كاف في الدلالة على شرف هؤلاء خلافاً لمن توقف في ذلك متعللاً بعدم وجود ذكرهم في الأنساب مع أنهم حائزون للنسبة الشريفة زيادة على ما في يدهم من الظهائر المنيفة. والأنساب تحاز بما تحاز به الأملاك كما تقرر في الفروع.

ولد المترجم سنة 1276هـ فنشأ بالرباط متعاطياً العلم عن مشايخه، ورحل للمشرق سنة 1307هـ فحج وزار واستجاز واستفاد، وكان في سنة 1304 عدلاً بمرسى الجديدة، وبعد قفوله من الحج عين بمرسى طنجة سنة 1311، ثم عين للخدمة بالبنيقة المراكشية سنة 1320، ثم انتقل متوظفاً إلى مكناس سنة 1325، وبعد رجوعه للرباط تصدر للشهادة في سماط العدول إلى أن توفي عند ظهر يوم الجمعة سابع وعشري جمادى الأولى سنة 1337، ودفن بالزاوية القادرية.

---

(1) انظر ترجمته في: الإتحاف، لابن زيدان: 1/ 467. وذكر أن العالم هو اسم أبيه، وأن اسم جده عبدالله، أفاده بذلك بلديُّه أبو حامد البطاوري.

وخلف من آثاره العلمية حاشية على ميارة الصغير سماها فتح القدير، رأيت عليها بعض التقاريظ لبعض علماء فاس ومراكش ومكناس، منها تقريظ بعض الأدباء يقول مخاطباً للمؤلف:

يَا فَرِيدَ الزَّمَانِ تَفْدِيكَ نَفْسِي ... أَنْتَ قَلَّدْتَ بِالْجَمَالِ الْوُجُودَا
أَنْتَ أَنْشَأَكَ الإِلَهُ غَمَامَاً ... يُمْطِرُ الْكَائِنَاتِ فَضْلاً وجُودَا
أَنْتَ أَبْرَزْتَ مِنْ مَغَانِي الْمَعَالِي ... غَانِيَاتٍ مِنَ الْحِجَالِ وَرُوْدَا
أَنْتَ رَبُّ الْبَيَانِ تَحْكُمُ فِيهِ ... وتَخُدُّ لِمُبْتَغِيهِ الْخُدُودَا
قَدْ زَفَفْتَ لَنَا أَبْكَارَ الْحَوَاشِي ... لابِسَاتٍ مِنَ الْحَيَاءِ بُرُودَا
وَمِنَ الْفَضْلِ أَنْ تَرَانِي كُفْواً ... لِبَهَاهَا وقَدْ عَدِمْتُ النُّقُودَا
مَا عَلَيْنَا والْوُدُّ مِنْكَ كَفَانَا ... أَمْرَهَا أَنْ نَسُوقَهَا أَوْ نَقُودَا
وَعَلَيْكَ السَّلامُ مَا رَقَّ شِعْرٌ ... وأَجَادَ لَهُ الْغِنَاءُ النَّشِيدَا

* [37] أحمد بناني قاضي الرباط (المتوفى سنة 1340هـ)[1]

هو فخر الرباط الهمام الورع الخطيب الصقع الفقيه العلامة المشارك البركة المفضال الناسك القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن البناني، نسبة إلى بني بنان القبيل البربري المنتشر بحواضر المغرب، ذلك البيت الشهير بالعلم والفضل خلفاً عن سلف.

ونقل عن أبي القاسم البرزلي[2] في تاريخ إفريقية[3] أن بنان قرية بإفريقية تصاقع باجة[4] وإليها

---

(1) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف ﷺ، ص: 44، ومعجم الشيوخ (المسمى برياض الجنة)، لعبد الحفيظ الفاسي، ص: 116، والأعلام، للزركلي: 1/ 249، وأعلام الفكر المعاصر للجراري: 2/ 51، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 2/ 90.

(2) هو: أبو القاسم، أحمد بن المعتل البلوي، القيرواني، التونسي، الشهير بالبرزلي فقيه تونس ومفتيها، صاحب النوازل المشهورة، تتلمذ على ابن عرفة، لازمه نحوًا من أربعين عامًا توفي سنة 844هـ. من آثاره: الديوان الكبير في الفقه، و"جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام". انظر ترجمته في: كفاية المحتاج، للتنبكتي: 2/ 15، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 245، والضوء اللامع، للسخاوي: 11/ 133، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 149.

(3) لعل هذا التاريخ هو تاريخ أحمد بن أبي الضياف التونسي وزير القلم بالحكومة التونسية المتوفى سنة 1291هـ واسمه: "إتحاف أهل الزمان بأخبار عصر عهد الأمان في تاريخ أفريقية لاسيا التونس والقيروان " في أربع مجلدات، وهناك تواريخ أخرى لإفريقية منها تاريخ إفريقية للحسن بن محمد الوزان، الغرناطي أصلاً، الفاسي داراً، المسمى بليون الإفريقي، وأما تاريخ إفريقية لأبي العرب، محمد بن تميم، وتاريخ ابن الرقيق؛ فهما متقدمان لا يصح أن ينقلا عن البرزلي. انظر: الأعلام، للزركلي: 2/ 217، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 102.

(4) باجة: مدينة بإفريقية غربي تونس، وكانت تسمى قديماً باجة القمح سميت لذلك لكثرة الحنطة، وباجة أيضاً مدينة قديمة =

نسبة البنانيين بفاس وبلاد المغرب[1]، وردوا منها مع من ورد في أيام يحيى بن محمد بن إدريس[2] ﷺ وذلك أوائل المائة الثالثة.

ولد المترجم في حدود الستين من القرن الماضي فتربى في حجر والده، ممتعاً بذخائر طارفه وتالده، إلى أن صلح شأنه وانطبعت فيه الغرائز السامية وتدرج إلى عالي المعالي بحفظ القرآن العظيم ومزاولة العلم الشريف.

وكانت قراءته على شيوخ الرباط في وقته كشيخ الجماعة أبي إسحاق التادلي، والقاضي أبي عبد الله البريبري وغيرهما، ورحل لفاس ومكناس وزرهون[3] وتلاقى بكثير من أهل العلم والفضل، واتصل بالولي الصالح سيدي عبد الكريم بن الرضي دفين مكناسة، وقصد تطوان، وبها أخذ الطريقة الريسونية عن الشيخ سيدي محمد بن ريسون[4]، ومكث هناك مدة يدرس العلم بالزاوية العيساوية باقتراح من الشيخ المذكور، ثم رحل للمشرق مرتين فحج وزار وأخذ العلم عن كثير من شيوخ الحجاز ومصر، وكانت حجته الأولى مع شيخه أبي إسحاق التادلي بسنة 1284هـ، وبقي مجاوراً بالحرمين الشريفين سنة كاملة قرأ عليه فيها علوماً كثيرة، كالتفسير والفقه وأصوله والحديث والسير، وختم معه بالمدينة الهمزية وبمكة الشفا والجوهرة وغيرهما، وفي هذه المرة أخذ عن الشيخ الدراج المدني[5]، واستجاز الشيخ أحمد

بالأندلس وإليها ينسب أبو الوليد الباجي، شارح الموطأ. انظر: معجم البلدان، لياقوت: 1/ 314، ومعلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 80.

(1) نقل هذا الكلام الزركلي في الأعلام: 1/ 250 عن الاغتباط قال: وفيه (أي الاغتباط): البناني، نسبة إلى بني بنان القبيل البربري المنتشر بحواضر المغرب – ونقل عن البرزالي في تاريخ افريقية أن بنان قرية بافريقية تصاقع باجة وإليها نسبة البنانيين بفاس وبلاد المغرب. اهـ.

(2) هو: يحيى بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ورضي عنهم أجمعين، أحد ملوك الأدارسة، بويع بعد أخيه علي بعهده إليه في حياته، فسار بسيرة أخيه وأبيه وجده، وفي أيامه كثرت العمارة بفاس، وقصد إليها الناس من الأندلس وإفريقية وجميع بلاد المغرب فضاقت بسكانها، فبنى الناس الأرباض بخارجها، وبنى الأمير يحيى بها الفنادق والحمامات وغيرها، وفي أيامه بنى جامع القرويين وبقي أميراً إلى أن توفي بها. انظر ترجمته في: جذوة الاقتباس، لابن القاضي المكناسي: 2/ 534.

(3) مدينة أسست حول ضريح المولى إدريس الأكبر فاتح المغرب. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 213.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد الصادق بن ريسون، الحسني، العلمي، التطواني المتوفى بوازان سنة 1234هـ. انظر ترجمته في: عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد، لأبي الربيع المولى سليمان العلوي، ص:65، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 333، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 128.

(5) هو: أبو عبد الله الدراج التونسي المدني كما ذكر في معجم الشيوخ، للفاسي عند الحديث عن التادلي، ولم أقف في ما بين يدي

دحلان المكي[1] فأجازه إجازة عامة وكتب له السند في البخاري والشمائل والشفا والجامعين للسيوطي[2].

وكانت حجته الثانية سنة (1292هـ) وفي هذه المرة حضر مجالس الشيخ دحلان لتدريس الإحياء وتفسير البيضاوي وغيرهما، كما حضر مجلس الشيخ صديق الهندي المكي لقراءة سنن أبي داود، ومجلس الشيخ حسب الله المصري ثم المكي لتفسير ذي الجلالين[3]، كما أخذ بمصر عن الشيخ عليش[4] والشيخ العدوي[5] شارح دليل الخيرات، ومن كان في طبقتهما ممن لم تحضرني أسماؤهم على التعيين (ولم يدرك بمصر الشيخ الرفاعي[6] فلم يأخذ عنه، وما في كتاب تعطير البساط بتراجم قضاة الرباط المطبوع أخيراً تحققته بعد الطبع بتنبيه من المترجَم رضوان الله عليه)[7].

وبعد قفوله من الحج عين في خطة الشهادة ودام في مزاولتها نحو الثلاثين سنة، كان قلمه فيها لا يتجاوز حد الصواب، بل كان الحامل على كاهله أعباء سائر الأنكحة والتركات

=

من مصادر على ترجمة له. انظر: معجم الشيوخ، للفاسي، ص: 185.

(1) هو: أبو العباس، أحمد بن زيني دحلان، المكي، الشافعي، مفتيهم بمكة، علامة مشارك، توفي سنة 1304هـ انظر ترجمته في: تحفة الرحمن في سيرة دحلان، لأبي بكر، شطا، الدمياطي، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 390.

(2) أي الجامع الكبير المسمى بجمع الجوامع والجامع الصغير المسمى الجامع الصغير من حديث البشير النذير في الأحاديث للسيوطي جلال الدين المتوفى سنة 911هـ. انظر مقدمة كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي.

(3) كذا في الأصل، وهو تفسير القرآن للجلالين، جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد عليش، المالكي، الأشعري، الشاذلي، الأزهري، الفقيه، المتكلم، النحوى، أصله من طرابلس الغرب، مولده في القاهرة وولي مشيخة المالكية في الأزهر، واتهم بموالاة ثورة عرابي، فأخذ من داره وهو مريض، فألقي في سجن المستشفى، فتوفي فيه سنة 1299هـ من تصانيفه: "حاشية على شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على إيساغوجي في المنطق" و"هداية السالك إلى أقرب المسالك" في فروع الفقه المالكي، و"تذكرة المنتهي في فرائض المذاهب الاربعة"، و"حاشية على رسالة الصبان البيانية في البلاغة"، و"هداية المريد لعقيدة اهل التوحيد". انظر ترجمته في: الفكر السامي، للحجوي: 2/ 135، والأعلام، للزركلي: 6/ 244.

(5) هو: حسن الحمزاوي، الأزهري، الشهير بالعدوي، فقيه مالكي، من قرية (عدوة) بمصر، وتوفي بالقاهرة في سنة 1303هـ. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 407، والخطط التوفيقية، لعلي مبارك: 14/ 37.

(6) هو: أحمد بن محجوب الفيومي، الرفاعي، شيخ رواق الفيومية بالجامع الأزهر، ولد توفي سنة 1325هـ من تصانيفه: حاشية على شرح محمد بحرق اليمني على لامية الأفعال. انظر ترجمته في: اليواقيت الثمينة، للأزهري: 1/ 82، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 947، والأعلام، للزركلي: 1/ 202.

(7) صحح المصنف رحمه الله بعبارته مستدركاً على نفسه في كتابه السابق الذكر ص: 45، وقد ذكر فيه أن المترجَم قد أخذ عن الشيخ الرفاعي محشّي بحرق.

المهمة الموجودة اليوم بالرباط.

وفي حدود عام 1300هـ عينه المخزن الشريف في خراج مرسى الرباط، واستمر عدلاً بديوانتها الكبرى مدة أربعة أو خمسة أعوام، وكان قبل التاريخ المذكور إثر وفاة القاضي ابن إبراهيم (إمام الزاوية الناصرية وخطيبها) عين بأمر مولوي مكانه وأسندت إليه سائر وظائفها الدينية من خطبة وإمامة ووعظ وتدريس، فقام بها أسند إليه خير قيام، واعتكف على نشر علومه ومعارفه بالزاوية المذكورة، وحسبك أن ممن كان يحضر مجالسه العلمية شيخنا علامة الرباط وشيخ الجماعة به القاضي السابق أبا حامد البطاوري أبقى الله بركته.

ومن مميزات المترجم في دروسه ما كان له من السلطة على دقائق المعاني وتحديدها وإبرازها في صورها اللائقة بها، مع ما كان له من الشغف الزائد في تحقيق المسائل وتحريرها، والاستيعاب في كل مسألة لسائر ما قيل فيها وما طرقوه من الاحتمالات والوجوه، حتى كان يستغرق الأيام والليالي العديدة في البيت الواحد والبيتين مما بهر وبرهن على مزيد اقتداره ومهارته.. إلخ.

وفي عام 1317هـ ترشح لقضاء الرباط فدام في ولايته نحو الخمس سنين كان فيها مثال العدل والجد والصرامة، وبعد تخليه أقبل على العزلة والانفراد ولم يبق يتعاطى سوى وظيف الإمامة والخطبة والوعظ بالزاوية الناصرية. وكان طولب لأن يكون قاضي الجماعة بفاس فامتنع تورعاً، كما خوطب في قضاء الرباط ثانياً فاعتذر بضعف الحال والعجز عن القيام بالخطة وفق مقتضيات الأحوال.

أما تقاييده وتقاريره العلمية فشيء كثير جداً لأنه ما من كتاب يوجد بخزانته على عظمها إلا وفيه نقرة من نقراته وأثرة من آثار أقلامه. ومما عرفناه من مؤلفاته حواشي المكودي على الألفية[1] في عدة أجزاء، وحواشي المجرادي الموسومة بـ "فتح الهادي"، وشرح البردة المترجم بـ "إتحاف أهل المودة"، وشرح على الجوهرة، وشرح على خطبة ميارة وديوان خطب وتقييد في

---

(1) نقل عن بعض من ترجم للبناني أن الفتح الودودي على حاشية العلامة المكودي له وما وقفنا عليه أن الفتح الودودي لأحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي المرداسي ومنه نسختان بالخزانة الحسنية تحت رقمي (9361 - 11414) ولدينا نسخة خطية أصلية منه في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث)، أما حاشية بناني فهي بالخزانة الحسنية تحت رقم (13946) ولدينا منها نسخة خطية واحدة على الأقل في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث).

مسألة العمل بالخبر التلغرافي[1]، سماه "إتحاف أهل الإنصاف"، إلى غير هذا من مقيداته، وهي شتى، وربما نثر ونظم، وساجل وراسل وأجاز وأفتى.

وأما سماته فقد كان قصيراً في قامته وسطاً في بنيته شديد البياض في لونه، عصبياً في مزاجه، عريضاً في منكبه، رحباً في صدره جليلاً في منظره، هيناً ليناً في لقائه إلى زهدٍ وورع، وبعدٍ عن الطمع، ورسوخ دونه رسوخ الأطواد وثبات يزري بثبات الأوتاد، وأما سمعته فسمعته طائرة الصيت بين أهل العلم والفضل، ولا سيما في الحرمين الشريفين، وناهيك بمن يذكر أهل الحرم اسمه دبر كل صلاة بمسمعٍ من تلك الخلائق المحتشدة للصلاة بالحرم النبوي الشريف، وأما ديانته ومحبته في جانب النبوة وآل البيت وأهل الحرمين فقد كان يلتهب غيرة على الكلّ إلى درجةٍ لا تعرف إلا للسلف، ولا أدري هل توجد في غيره من الخلف؟

وأما مكانته فمنذ كان وهو مرموق من الكل بعين التجلة والاحترام، لا يلاحظ من الخاص والعام إلا بلحظ الإكبار والإكرام؛ سيما من الجناب السلطاني اليوسفي[2] الذي كان يتيمن بحضوره في مجلسه وبالصلاة خلفه في الأعياد والخطبة به، وحسبك دليلاً على ما له من سمو المكانة ورفيع المنزلة لديه حضوره بنفسه في مشهد جنازته إلى أن أقبر في رمسه، وكانت وفاته شبه فجأة بعد أن صُلِّيَ العشاء، وذهب الهزيع الأول من ليلة الثلاثاء سادس وعشري ربيع الثاني عام 1340هـ أربعين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية، سقى الله ضريحه. آمين.

ومن محاسن شعره ونثره قوله مقرظاً على تَأْلِيفَي الشريف الجليل البركة سيدي العربي بن سيدي عبد الله التهامي الرباطي ما هذه صورته بعد البسملة والصلاة والسلام على مولانا رسول الله ﷺ: "الحمد لله الذي فتح لأهل العناية من معالم الغيوب ما كان مطلسماً، وأبان لهم من أسرار القلوب ما كان مبهماً معجماً، فقذفت قريحة أيديهم جواهر المباني، وتفتقت كمائم ألسنتهم عن أزاهر المعاني، وإذا حفت العناية عبداً نشر الحق من يد

(1) في (ح 1): (التلغافني)، والمقيدات الفقهية عن التلغراف وغيرها فهي مؤلفات تتناول أحكام التعاقد بهذه الآلات في التقنيات المعاصرة، والنظر في كل ما تقدم إلى تطابق ما أخذت به القوانين مع النظر الفقهي، وفي جواز التعاقد بهذه الآلات وما يترتب عليه من الآثار. انظر: مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة العدد السادس، بحث عن اتحاد المجلس عند الفقهاء بقلم الدكتور: محمّد عبد اللطيف صالح الفرفور.

(2) يريد السلطان يوسف بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن العلوي، بويع له بالسلطنة وهو في رباط الفتح، بعد نزول أخيه السلطان عبد الحفيظ عن العرش سنة 1330هـ فنقل البلاط السلطاني من فاس إلى الرباط، توفي سنة 1346هـ. انظر ترجمته في: دروس التاريخ المغربي، للجراري: 5/ 269، والدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لابن زيدان، ص: 125.

ولسان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على إمام أهل الحضرة الطاهرة ونقطة سطح العوالم الباطنة والظاهرة، الذي فضّله الله على العالمين، واختاره صادقاً أمينا، وأنزل عليه في كتابه العزيز ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وعلى آله الكرام، أمان الله في الأرض، وظله الوريف في الطول والعرض، الذين شادوا الدين وكان كل سيد منهم على إظهار الحق ظهيراً، ونزل في شأنهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] وعلى صحابته الأعلام نجوم الاهتداء ومصابيح الاقتداء، الذين بذلوا أنفسهم في محبته ﷺ ابتغاء رضوان مولاه، وكانت مبايعتهم له مبايعة للحقّ سبحانه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] وعلى كلٍّ من أدلج على نهجهم القويم، وعلى طريقهم درج، وعليه باتباعهم من غوالي مسوكهم ومسوك غواليهم أرج، وبعد، فيقول العبد الفقير إلى الله المستغني به عن كلّ ما سواه أحمد بن محمد بناني، بلّغه الله بمنه وكرمه جميع الآمال والأماني: إنه لما أطلعني السيد الشريف والسند الغِطريف نخبة الأفاضل ومجمع الفواضل العلم الخفّاق وفارس السباق، المتفنن في إنشاء العوارف والمعارف، المولع باجتناء النفائس واللطائف، المتحلي بطريف المجد وتليده، ومن أنيطت قلائد المفاخر بجيده، الناظم بفكره ما يحكي الجواهر اللامعة تحت رقيق الشنب الجامع بين الشرفين الموروث والمكتسب

لَـئِنْ حَـازَ مَجْـدًا فَهْـوَ وَقْـفٌ لأَهْلِـهِ وإِنْ حَـازَ عِلْمـاً فَهْـوَ مَـشْرَبُهُ الأَصْـفَى

ذو المقام السامي، والمنهل الهامي أبو عبد الله سيدي ومولاي العربي التهامي، لا زالت محاسنه زاهرة، وكواكب بدائعه باهرة على كتابيه الجليلين وتأليفيه الحفيلين اللذين سمى أحدهما "مسلك الفتوحات في الصلاة على أشرف المخلوقات" وسمى الآخر "تنوير القلوب وتفريج الكروب"، نزهت طرفي في رياضهما وأوردت فكري في معاني حياضهما، وشنفت سمعي بأقراط جواهر تلك المفاخر التي هي مصداق قول من قال: كم ترك الأول للآخر؛ وابتهجت به ابتهاج الصبِّ المشوق بزيارة الحبيب، وانتعشت بهما انتعاش السقيم بعيادة الطبيب، وأحللتهما محل الروح من الجسد وعوّذتهما من شر حاسد إذا حسد، وكيف لا وقد ألفيت كلا منهما أزاهر نبتت في كتاب وجواهر، تكونت من ألفاظ عذاب ومواهب لا تدرك بيد اكتساب، وسبحان من يرزق من يشاء بغير حساب، ولاح لي من خلال بروق أنوارهما ما يسر به المحب الودود، ويغتم به المنكر الجحود، فأعظم بهما من منن لا يشكّ الناظر إليها أنها منح ربانية، ولا يرتاب المطلع عليها أنها من النفحات المصطفوية التهامية.

أَيَعْمَى الْعَالِمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ

ولقد أعربا عما منح الله مؤلفهما من الفضل الزائد، إذ التأليف على كمال مؤلفه أفضل شاهد، ولا عجب إن أشرق البدر من مطلعه، والتقط الدر من موضعه، وما هذه الأولى من حسنات صاحب التصنيف، وليس هذا الطراز العزيز لجنابه أول التأليف، غير أن الفضل لا يعرفه إلا ذووه، والياقوت لا يتنافس فيه إلا الألى عرفوه

وَجُحُودُ مَنْ جَحَدَ الصَّبَاحَ إِذَا بَدَا وبَعْدَ مَا انْتَشَرَتْ لَهُ الأَضْوَاءُ

مَا دَلَّ أَنَّ الْفَجْرَ لَيْسَ بِطَالِعٍ بَلْ إِنَّ عَيْناً أَنْكَرَتْ عَمْيَاءُ

وَهَلْ يُضَاهِي بَنِي الرَّسُولِ مِنْ أَحَدٍ يَا عِزَّ قَوْمٍ لَهُمْ جَنَاحَهُمْ خَفَضُوا

تَاللهِ مَا الْفَضْلُ إِلا فَضْلَهُمْ وَلَهُمْ عَلَى الْخَلائِقِ حَقٌّ مَا لَهُ عِوَضُ

ولما رأيت المحبين من أهل التحقيق والتدقيق يحلّون تآليفه الشريفة بحليتي التقريظ والتنميق، ويأتون في ذلك بها يحاكي شمائل محاسنه طيباً ويقوم هزاره على منبر نشر فضائله خطيباً حتى إن لسان حال الرائين لرياض تلك التقاريظ الناضرة الذين لم تزلَ أعينهم لها ناظرة لا يزال يقول ما هي إلا العقد الفريد في نحور الغيد، أو اليواقيت والجواهر على ذوات الجمال الباهر، أو حديقة ذات أنوار مختلفة الألوان هب نسيمها فتمايلت غصونها تمايل النشوان، خاطبت الفكر في سلوك تلك المسالك والتقريظ على الكتابين المذكورين بنزر قليل مما هنالك فتخامد وتقاعس وتجامد وتناعس، مخافة أن تزل به القدم، حيث لم يثبت لي في ميدان أهل الشعر قدم، وخاطبني بلسان حاله بقول من قال:

وَكَيْفَ أَسُوقُ نَحْوَكَ شِعْرِي وقَوْلِي لَيْسَ يَخْلُو مِنْ حَزَازَة

فأجبته بلسان مقالي بقوله بعده:

وَلَكِنِّي قَبُولَكَ أَرْتَجِيهِ وقَوْلِي يَرْتَجِي مِنْكَ اعْتِزَازَهْ

فعند ذلك ساعد بعد أن كان على المخالفة أشفى واستيقظ بعدما تناعس وأغفى، وقال: ليس على من كان ذا عرج إذا لم يلحق بالقوم من حرج. ثم جاد بهذه الأبيات الشوارد التي هي بعد طبخها من أبرد البوارد، وفي مثلها قيل:

تَاللهِ مَا بَخِلَ الْكِرَامُ وَإِنَّمَا لِبُرُودَةِ الأَشْعَارِ قَدْ جَمُدَ النَّدَى

أَيُّهَا الْمَادِحُ الْمَشُوقُ إِلَى خَيْـ ـرِ الْوَرَى أَحْمَدَ الْمُشَفَّعِ طَهَ

بِمَدَائِحِهِ لَنَا اشْدُ وَطَيِّبْ بِالصَّلاةِ وبِالسَّلامِ شِفَاهَا

وَتَيَمَّمْ لِذَاكَ مَسْلَكَ فَتْحٍ بِفُتُوحَاتِهِ غَدَا يَتَبَاهَى
وَبِأَسْرَارِ مَا بِهِ مِنْ صَلاةٍ وسَلامٍ عَلَى الْمُرَفَّعِ جَاهَا
بَاحَ فَاسْتَنْشَقَتْ عَبِيرَ شَذَاهُ أَنْفُسُ الْهَائِمِينَ نَحْوَ رُبَاهَا
وَتَبَدَّوْا نَشَاوَى مِنْ غَيْرِ وِرْدٍ ونِعْمَ وِرْدٌ وَا عُذَيْبَ لَمَاهَا
يَا لَهَا مِنَّةٌ بِهَا قَرَّتِ الْعَيْـ ـنُ وزَالَ عَنِ الْقُلُوبِ صَدَاهَا
وَاغْتَدَى نُورُهَا مُخْجِلَ شَمْسٍ أَيُوَازِي سَنَى الشُّمُوسِ سَنَاهَا
فَهَنِيئاً لِمَنْ بِهَا هَامَ وَجْداً واكْتَفَى طَرْفُهُ بِحُسْنِ بَهَاهَا
وَتَرَوَّى بِشُرْبِهَا كُلَّ وَقْـ ـتٍ واحْتَسَى كَأْسَهَا فَتَاهَ وَبَاهَى
وَتَرَقَّى بِهَا لأَعْلَى الْمَقَامَا تِ وهَلْ فِي الْمَعَالِي غَيْرُ عُلاهَا
وَأَضَافَ لَهَا لِتَفْرِيجِ كَرْبٍ ولِتَنْوِيرِ قَلْبِهِ إِذْ تَلاهَا
حِزْبُ مُنْشِيهَا الَّذِي قَدْ تَبَدَّى بِمَعَانٍ مَعَارِفٍ لا تَنَاهَى
بَعْدَمَا جَالَ طَرْفُهُ فِي الْمَعَالِي واجْتَنَى يَانِعاً مِنْ طِيبِ جَنَاهَا
يَا لَهَا مِنْ شُمُوسِ حَقٍّ تَبَدَّتْ وأَزَاهِرَ فَاحَ عِطْرُ شَذَاهَا
فَاسْتُضِيءَ بِذَكَاهَا فِي غَيْهَبِ الْكَرْ بِ فَضَوْءُ الثُّرَيَّا دُونَ ثَرَاهَا
وَتَطَيَّبْ بِمِسْكِهَا كُلَّ حِينٍ وتَوَثَّقْ تَمَسُّكاً بِعُرَاهَا
وَافْزَعَنْ إِلَيْهَا فِي كُلِّ خَطْبٍ فَبِهَا تُدْرِكُ النُّفُوسُ مُنَاهَا
وَاخْتِمَنْ بِالدُّعَا لِمَنْ حَازَ مَجْدًا وإِلَيْهِ الْمَعَالِي أَلْقَتْ عَصَاهَا
وَسَمَا صِيتُهُ سَمَا كُلِّ أَرْضٍ ولَهُ اشْتَاقَ مِصْرُهَا وَقُرَاهَا
ذُو الْمَقَامِ السَّمِيِّ والْهِمَّةِ الْقَعْـ ـسَاءِ والسُّؤْدُدِ الَّذِي لا يُضَاهَى
غُرَّةُ الدَّهْرِ ذَاكَ كَهْفُ الْمَعَالِي وبِهِ قُطْرُنَا غَدَا يَتَجَاهَى
سَيِّدِي الْعَرَبِي التُّهَامِي الرِّبَاطِي قُطْبُ دَارِ الضَّمَانِ شَمْسُ ضُحَاهَا
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ عُلاهُ مَلْجَأً لِمَنِ احْتَمَى بِحِمَاهَا
وَيُفِيضُ عَلَيْنَا سُحْبَ رِضَاهُ فَنَفُوزُ بِجُودِهَا وجَدَاهَا

ولنكتف بهذه النتفة القليلة الدالة على أن همتي كليلة ولا سيما مع تغير الحال بالحوادث التي تنغص الفكر وتشوش البلبال.

حَـــمَلْنَا مِـــنَ الأَيَّـــامِ مَـــا لا نُطِيقُـــهُ كَمَـــا حَمَـــلَ الْعَظْـــمُ الْكَـــسِيرُ الْعَـــصَائِبَا

ولنستح من إذاعة هذه المحمدة التي هي في الحقيقة عربدة؛ لكنه لا لوم ولا حد على من سقي شراب المحبة فعربد، نعم على القلم أن يتأدب ويكف لسانه ويقول رحم الله امرأ عرف قدره ومكانه، وأن يخلع ما اسودَّ من برودِهِ، ويرفع رأسه من ركوعه وسجوده، ويعتذر بقول من قال:

وَهَـــلْ أَنَـــا إِلا طَـــائِرٌ بِرِحَـــابِكُمْ بِطِيـــبِ مَزَايَـــاكُمْ يَطِيـــبُ تَغَـــرُّدِي

وَمَـــا أَنَـــا وَحْـــدِي بِالثَّنَـــاءِ مُغَـــرِّدٌ فَإِحْـــسَانُكُمْ رَوْضٌ لِكُـــلِّ مُغَـــرِّدِ

ثم يختم القول بقول من قال:

وَلَـــوْ أَنَّنِـــي أَفْنَيْـــتُ عُمْـــرِيَ فِـــي الثَّنَـــا عَـــلَيْهِ لَـــمَا وَفَّيْـــتُ جَانِـــبَ حَقِّـــهِ

قاله بفمه وسطره بقلمه محب آل البيت الشريف المستظل طول عمره بظلهم الوريف الذي لا يزال في جامع الشرف على رؤوس الملأ يثني عليهم ولمحاسنهم ينشر، وعلى منبر المدح يحمد ويشكر قائلاً لمن لامه على فرط مودتهم وملازمة الثناء عليهم ممن طبع الله على قلبه ولم يره أهلا لمحبتهم وقربهم: كيف أنثنى عن الثناء عليهم في ذلك الجامع الأحمد أو أصرف عن ذلك المنبر الأرفع وأنا أحمد.

إِذَا انْـــصَرَفَتْ أَسْـــمَاءُ أَهْـــلِ وِدَادِكُـــمْ فَأَحْمَـــدُ فِـــي الأَسْمَـــاءِ لَـــيْسَ لَـــهُ صَـــرْفُ

وَاللهِ مَـــا طَـــلَبَتْ أَرْوَاحُنَـــا بَـــدَلاً مِـــنْكُمْ ولا انْـــصَرَفَتْ عَـــنْكُمْ أَمَانِينَـــا

وَلَـــوْ أَنَّنِـــي حَاوَلْـــتُ مَـــدْحَ سِـــوَاكُمْ عَـــقَلَ الْقَرِيحَـــةَ عَـــنْهُ أَيُّ عِقَـــالِ

فَـــكَأَنَّمَا طَـــبْعِي شَـــرِيفٌ حَيْثُمَـــا لا يَـــهْتَدِي لِـــسِوَى مَدِيـــحِ الآلِ

أَنَـــا عَـــبْدُهُمْ مَـــا دُمْـــتُ حَيَّـــاً ومَيِّتَـــاً وإِنْ شَـــحَّتِ الأَمْـــوَالُ رَوْحِـــي فِـــدَاهُمُ

قَـــوْمٌ لَـــهُمْ عِنْـــدَ رَبِّ الْعَـــرْشِ مَنْزِلَـــةٌ وحُرْمَـــةٌ وبِـــشَارَاتٌ وَإِكْـــرَامُ

وَكُـــلُّ مَـــنْ قِيـــلَ عَنْـــهُ عَبْـــدُ بَـــابِهِمُ يَـــجِلُّ بَيْـــنَ الْـــوَرَى قَـــدْرًا وأَنْـــسَابَا

وَاللهِ لا أَرْعَـــوِي عَـــنْهُمْ ولَـــوْ لَقِيَـــتْ نَفْـــسِي عَلَـــى حُـــبِّهِمْ حَيْنِـــي مِـــنَ الْحِـــينِ

وَاللهِ لَـــوْ خَـــيَّرُونِي فِـــي مَحَبَّـــتِهِمْ مَـــا اخْـــتَرْتُ غَـــيْرَهُمْ واللهِ وَاللهِ

وَاللهِ لَـــوْ فَتَحُـــوا صَـــدْرِي لَمَـــا وَجَـــدُوا بِقَلْـــبِي غَيْرَهُـــمْ واللهِ وَاللهِ

وَاللهِ مَـــا خُنْـــتُ فِـــي عَهْـــدٍ لَهُـــمْ أَبَـــداً وإِنَّنِـــي صَـــادِقٌ واللهِ وَاللهِ

فَـإِنْ يَطْرُدُونِـي لَـيْسَ لِـي غَيْـرُ بَـابِهِمْ وإِنْ هُـمْ رَضُـوا عَنِّـي فَـذَاكَ مُنَـى الْقَلْـبِ

وكان تسطيره في محرم الحرام فاتح عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف، رزقنا الله خيره ووقانا ضيره بجاه من له الجاه العظيم سيدنا ومولانا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم والحمد لله رب العالمين.

ومن كلامه في غرض الإحماض[1] والدعابة بما فيه ارتياح وارتياض ما كتب به لسلطان الطلبة جوابًا عما طلبه، وهذا نصّ ما كتب: "الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده أدام الله المآكل والمشارب والزرود والتطيب بماء الورد والزهر والند والعود لسيدنا ومولانا أمير الطلبة المتنزهين والأكلة الطفيليين المترفهين، وبعد تقبيل الأرض من قيام وأداء ما يجب من التعظيم والاحترام، فقد وافانا كتاب سيدنا ورائحة الخبز منه تفوح ولوائح السمن والزيت عليه تلوح آمراً بأداء ما وجب علينا أداؤه لذلك الجناب مع سخرة حامليه من الطلبة الأنجاب، فامتثلنا ذلك الأمر فوراً وما ولينا الحامل وجهاً ولا ظهراً، ودفعنا له مائة واحدة من الريال إلا تسعة وتسعين، مع مائة بسيطة إلا ثماناً وتسعين في العدد إعانة لذلك الجناب وتكثيراً للمدد، طالبين صالح الأدعية خصوصاً وقت تقليب الأيدي في كساكيس المخفية. والسلام.

ومما خاطبه به أديب الرباط الفقيه السيد أحمد جسوس[2] المتقدم الذكر قوله في غرض التهنئة بعيد أضحى:

الفِطْـرُ والأَضْـحَى والأَعْيَـادُ والعُـصُرُ مُـنِيرَةٌ بِـكَ حَتَّـى الـشَّمْسُ وَالْقَمَـرُ

مَـا الدَّهْـرُ عِنْـدَكَ إِلا رَوْضَـةٌ أُنُـفٌ يَـا مَـنْ شَـمَائِلُهُ فِـي دَهْـرِهِ زُهُـرُ

مَـا يَـشْتَهِي لَـكَ فِـي أَيَّامِـهِ كَـرَمٌ فَـلا انْقَـضَى لَـكَ فِـي أَعْوَامِـهِ عُمُـرُ

فَـإِنَّ حَظَّـكَ مِـنْ تِكْرَارِهَـا شَـرَفٌ وحَـظُّ غَيْـرِكَ مِنْهَـا الـشَّيْبُ وَالْكِبَـرُ

فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

وَافَـى قَرِيـضُكُمْ والْكَـوْنُ أَجْمَعُـهُ بِـنُورِهِ يَنْتَـضِي والـشَّمْسُ والْقَمَـرُ

وَالأُفْـقُ مِـنْ طِيبِـهِ وعَـرْفِ مَأرَجِـهِ قَـدْ أَخْجَـلَ الطَّيِّبَـيْنِ الْـوَرْدُ وَالزَّهْـرُ

---

(1) الإحماض من أَحْمَضَ القومُ إحماضاً إذا أفاضوا فيما يُؤْنِسُهم من الحديث والكلامِ كما يقال فَكِهٌ ومُتَفَكِّهٌ. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 7/ 138، مادة (حمض).

(2) تقدمت ترجمته برقم (34) ص: 256.

وَلِـمْ وَكَيْـفَ وقَـدْ خَطَّتْـهُ أَقْـلامُ مَـنْ ... بِــزُهْرِ آدَابِــهِ الـشَّمَّا اسْتَـضَا الْعُمُــرُ
وَهَـلْ يَـسُودُ الْفَتَـى مِـنْ غَيْـرِ مَـا أَدَبٍ ... وإِنْ عَــلاهُ الْمَـشِيبُ واعْتَــرَى الْكِبَــرُ

وقال أيضًا من إنشائه وقد مرض فلم يعده بعض أخلائه:

يَـــا مُلُـــوكَ الْقُلُـــوبِ عَطْفًـــا عَلَيْنَـــا ... وحَـــنَانًا فَـــإِنَّا نَـــحْنُ الْعَبِيــــدُ
قَـــدْ شُـــفِينَا فَمَـــا اشْـــتَفَيْنَا بِوَصْـــلٍ ... واشْـــــتَكَيْنَا فَخِفْنَـــــا أَلا تَعُـــــودُوا
فَـــاقْتَفُوا سُـــنَّةَ الـــنَّبِي عِيَـــاداً ... ثُـــمَّ عُـــودُوا لِهَجْـــرِكُمْ بَـــلْ وَزِيـــدُوا
لَـسْتُ أَبْتَغِـي مِــنْ سِــوَاكُمْ وِصَــالاً ... وهُـــوَ فِـــي قُـــرْبِهِ لَـــدَيَّ بَعِيـــدُ
شَـــقِيَ الْقَـــوْمُ بِافْتِقَـــادِ هَـــوَاكُمْ ... وأَنَـــا بِـــــهَوَاكُمْ ذَاكَ الـــسَّعِيدُ

وقال مخاطبًا لبعض أصدقائه لما أخلف وعده وعرج على أحد السماسرة للمبيت عنده:

عَــرِّجْ أَخِـي عَلَـى طَرِيـقِ سَمْـسَرَةٍ ... إِنْ كَــانَ قَـصْدُكَ فِـي سَعَــادَةِ الأَمَــدِ
وَالْـزَمْ حِمَاهَـا تَنَـلْ مَـا تَرْجُـو مِـنْ وَطَـرٍ ... لا تَخْـشَ هَجْـراً ولا خِلافـاً مِـنْ أَحَـدِ
وَاتْـرُكْ طَرِيقـاً كَثِيـراً مَـا عَنِيـتَ بِهَـا ... دَرْسَ الْـعُلُومِ وسَـرْدَ مُعْتَلِـى الـسَّنَدِ
فَـإِنَّهَا إِنْ تَـكُنْ لِـلرُّشْدِ دَاعِـيَةً ... لَـكِنْ عَـدِيمَةُ سَـعْدٍ صَـعْبَةُ الْكَمَـدِ
فَـانْظُرْ بُـدُورَ الـدُّجَى فِـي حِـينِ مَطْلَعِهَـا ... تَـجِدْ سَـنَاهَا عَلَـى السِّمْـسَارِ ذَا رَصَـدِ
وَغَيْـرُهُ مِـنْ ذَوِي الْعُلُـومِ فِـي ظُلُمَـا ... تِ اللَّيْـلِ والْهَجْـرِ والْخُلْـفِ عَلَـى الأَبَـدِ
فَـلَيْتَنِي عَـبْدُ ذَا السِّمْـسَارِ أَخْدُمُـهُ ... فَـأَشْتَفِي بِطُلُـوعِ الْبَـدْرِ مِـنْ رَمَـدِ
وَلَـيْتَنِي لَـمْ أَحُـمْ حَـوْلَ الْعُلُـومِ مَتَـى ... يَـكُنْ تَـعَلُّمُهَا مِـنْ مُوجِـبِ الْبُعْـدِ

وفي عام 1309هـ أهدى له صديقه المنتسب السيد الحاجّ الطاهر الشرقوي ديكاً جيداً ربَّاه في عزيبة وورد له به فلما بلغ ذلك الأديب أبا العباس الزعيمي[1] كتب للمترجم ما نصّه:

يَـــا سَـــيِّداً هُـــوَ التَّقِـــيُّ ... الْـــبَرُّ فِـــينَا الأَفْـــضَلُ
وَمَـــنْ إِذَا مَـــا ذَكَـــرُوا الْـــ ... كِـــرَامَ فَـــهُوَ أَوَّلُ
وَحِـــيدُ دَهْـــرِهِ الَّـــذِي ... نَزِيـــلُهُ لا يُـــخْذَلُ
أَتَـــاكَ دِيـــكٌ أَفْـــرَقٌ ... كَرَامَـــةً تُعَـــجَّلُ

(1) هو: أبو العباس أحمد الزعيمي تقدمت ترجمته برقم (32)، ص: 249.

مِــــنْ سَـــيِّدٍ أَتَـــى بِـــهِ مُعَــــــظَّمٌ مُفَــــــضَّلُ
جَلِيـــلُ قَـــدْرٍ فِـــي الْـــوَرَى شِيــــــمَتُهُ التَّـــــبَتُّلُ
ذُو كَـــــرَمٍ لِـــــــضَيْفِهِ يُـــــنِيلُهُمْ مَـــــا أَمَّـــلُوا
الطَّـــاهِرُ النَّـــسَبِ والاسْـــــمُ الَّـــذِي لا يُـــجْهَلُ
رَبَّـــــاهُ فِـــــي عَـــزِيبِهِ مَـــزعَاهُ فِيـــهِ الـــصَّنْدَلُ
سَمَّـــــــنَهُ لأَجْـــــــلِكُمْ فَـــــهُوَ حَـــــلالٌ نُـــــفَّلُ
يَـــا لَـــهُ دِيكًـــا قَـــدْ أَتَـــى بِـــهِ الْكَـــرِيمُ الأَوْصَـــلُ
بَـــلْ هُـــوَ فَـــرُّوجٌ كَبِيـــــرٌ رَأْسُـــــهُ مُـــكَلَّلُ
وَرِيـــــشُهُ مُـــــزَرْكَشٌ مِـــــنْهُ عَـــــلَيْهِ حُـــــلَلُ
بَـــلْ هُـــوَ كَـــبْشٌ أَمْلَـــحٌ صُوفَـــــتُهُ تَـــــقَرْشَلُ
تَـــــصِيرُ بَطَّـــــانِيَّةً فَـــوْقَ الْفِـــرَاشِ تُجْعَـــلُ
هُـــوَ سِـــــمَاكٌ رَامِـــحٌ بِـــــلا سِـــــمَاكٍ أَعْـــزَلُ
بَـــلْ هـــوَ ثَـــوْرٌ أَشْـــطَبٌ بَـــلْ نَـــاقَةٌ أَوْ جَـــمَلُ
أَوْ هـــوَ فِيـــلٌ بَـــلْ مِـــنَ الْـــفِيلِ الْكَـــبِيرِ أَطْـــوَلُ
احْـــتَاجَهُ النَّـــاسُ جَمِيـــعـــاً وعَـــلَيْهِ عَوَّلُـــوا
لَـــوْلاهُ مَـــا وُجِـــدَ دِيـــكٌ لِلـــضِّيَافِ يُـــبْذَلُ
كَـــلا ولا بَـــيْضٌ بِزُبْـــدٍ فِـــي الـــصَّبَاحِ يُؤْكَـــلُ
دِيـــكٌ ودِيـــكٌ قَـــدْرُهُ مُزَعْـــفَرٌ مُـــفَلْفَلُ
مُـــسَمَّنُ الْكُـــسْكُسِ بِـــلْ زَبِيـــبُهُ مُعَـــسَّلُ
فَفَـــزْقُهُ مُلَـــوَّنٌ وجَمْـــعُهُ مُفَـــصَّلُ
مُـــؤَذِّنٌ بِلَـــيْلِهِ مُكَـــبِّرٌ مُهَـــلِّلُ
قَـــدْ عَـــلِمَ النَّـــاسُ بِـــهِ فَـــالْكُلُّ جَـــاءَ يَـــسْأَلُ
وَالْـــوَالِي والْحَـــاكِمُ لَمَّـــا سَمِـــعُوهُ سَـــبْحَلُوا
وَكُـــلُّ صَـــانِعٍ أَتَـــى لأَجْلِـــهِ يُـــهَرْوِلُ

وَكُــــلُّ أَغْــــيَانِ سَـــلا مَـــعَ الـــرِّبَاطِ أَقْبَلُـــوا
أَطْرَبَــــهُمْ بِــــصَوْتِهِ فَـــغَيْرُهُ قَـــدْ أَهْمَلُـــوا
شَغَـــفَهُمْ بِحُـــسْنِهِ هَـــذَا الْفَتَـــى الْمُـــسَرْبَلُ
وَعَـــلِمُوا أَنَّـــكَ قَـــدْ أُوتِيـــتَ مَـــا هُـــوَ الأَحْفَـــلُ
لَـــوْ بُـــشِّرُوا بِمِثْلِـــهِ فِـــيهِ الـــنَّفِيسَ بَـــذَلُوا
لَـــكِنَّمَا قَـــسَمُ الإِلَـــهُ لَـــيْسَ عَنْـــهُ يُـــعْدَلُ
فَـــاشْكُرْ هُـــدِيتَ نِعْمَـــةً مَـــا إِنْ إِلَيْهَـــا يُوصَـــلُ
قَـــدْ خَـــصَّكَ اللهُ بِهَـــا والـــنَّاسُ فِيهَـــا عَـــذَلُوا
لا تَـــكْتَرِثْ بِعَـــذْلِهِمْ وقُـــلْ لَهُـــمْ قُـــلِ اعْمَلُـــوا
وَقُـــلْ لَـــنَا مَتَـــى بِنَـــا مَنْـــزِلُكُمْ يُـــجَمَّلُ
أَكْـــرِمْ بِـــهِ الأَحْبَـــابَ لا عَـــنْهُمْ بِـــشَيْءٍ تُـــشْغَلُ
أَحْـــضِرْ لَنَـــا أَبَـــا مُحَـــمَّدٍ وذَاكَ الأَكْمَـــلُ (1)
فَفَـــضْلُهُ مُـــقَرَّرٌ ومَجْـــدُهُ مُـــؤَثَّلُ
فَإِنَّـــهَا كَرَامَـــةٌ مَـــا إِنْ حَـــذَاهَا مَثَـــلُ
كَـــرَامَةُ الـــدِّيكِ الَّـــذِي مِـــنَ الْـــغَزَالِ أَجْمَـــلُ
تُـــحْفَةُ مَـــنْ هُـــوَ التَّقِـــيُّ الْـــبَرُّ فِـــينَا الأَفْـــضَلُ
فَمَرْحِـــبُوا بِجَمْعِنَـــا إِذَا أَتَـــى وَسَـــهِّلُوا

فراجعه صاحب الترجمة بقوله:

يَـــا أَيُّهَـــا الْـــفَقِيهُ والـــسَّمَـــيْذَعُ الْعُمَيْثَـــلُ (2)
وَمَـــنْ غَـــدَا فِـــي فَـــضْلِهِ فَـــرْداً فَـــلا يُـــمَاثَلُ
وَفِـــي الْـــوَغَى زَعِيمُنَـــا فَمَـــا سِـــوَاهُ بَـــطَلُ
بَـــشَّرْتَنَا بِـــشَارَةً بِنَـــيْلِ مَـــا نُـــؤَمِّلُ

(1) في هامش (ح1) يعني به السيد عبد الله بن خضرة.
(2) العَمَيْثَل من كل شيء البطيء لعِظَمه، وقيل: العَمَيْثَل الضخم الشديد العريض. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 11/ 478، مادة (عمثل).

فأوجبت مسرّة ... للعقل كادت تذهل
وأنجزت موعدة ... شاق لها الأفاضل
وأثبتت كرامة ... تزنو لها الأوائل
إذ قلت في نظم عجيب ... يعجز عنه الأخطل
أتاك ديك أفرق ... كرامة تعجّل
ثم ذكرت وصفه ... ومن عليه عوّلوا
وصفة الطبّخ وما ... معه أيضاً يوكل
وقلت قل لنا متى ... ربعي بكم يجمّل
فمرحباً ومرحباً ... أهلاً وسهلاً أقبلوا
وأكرموا بزورة ... فيها النفوس تبذل
صبّاً غدا بجمعكم ... غرامه لا يجهل
وليس عنكم عنده ... ما يسلين أو يشغل
وذاك في صبيحة السّـ ... ـبت الذي يستقبل
فغلّسوا وبكّروا ... وأسرعوا وهرولوا
ولا تغشّوا جملة ... أو انكبوا(1) وقلّلوا
وهيّئوا بطونكم ... لزردة تفصّل
فطورها فزتونة ... تسقط لها الحوامل
ثم أتايّ معه ... غريبة وقرشل
بغريرها منوّع ... مسكّر معسّل
وكفتة من فوقها ... بيضة كلّ تجعل
ثم دجاج بعدها ... الصّحيح والمبصّل(2)
ثم شراب قهوة ... عن حسنها لا تسألوا

(1) نكب عن الأمر أي عدل عنه. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 1/ 770.
(2) هذا البيت ساقط من (ح).

وَالطِّيبُ عَمَّ نَفْحُهُ ... قَمَارِيٌّ[1] وَمَنْدَلُ
وَمَاءُ وَرْدٍ عَاطِرٌ ... زَيَّنَهُ قُرُنْفُلُ
وَرَوْضُ أُنْسٍ بَاسِمٍ ... والبَسْطُ فِيهِ شَامِلُ
حَيْثُ يَكُونُ قَيِّماً ... ذَاكَ الْهُمَامُ الْفَاضِلُ
أَعْنِي أَبَا رُقَيَّةٍ ... والْغَيْرُ مُلْقَى مُهْمَلُ
فَإِنَّهُ يَأْتِي بِمَا ... يَهْتَزُّ مِنْهُ الْمَحْفَلُ
إِذْ لا يُحَرِّكُ ولا ... يَرْتَاحُ مِنْهُ زُنْبُلُ
وَلا فَنِيقٌ[2] شَكِرٍ ... مِنْ رَمْيِهِ لا يَقْلِلُ
حَتَّى غَدَا بَعْضُ الصِّحَابِ ... مِنْ فِعْلِهِ يُحَنْبِلُ
وَكَادَ أَنْ يَفِرَّ مِنْ ... مَجْمَعِهِ يُهَرْوِلُ
وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ ... عَنْ صُنْعِهِ لا يَعْدِلُ
أَعْجِبْ بِهِ مِنْ قَيِّمٍ ... عَنْ طَبْلَةٍ لا يَغْزِلُ
وَكَيْفَ يَغْزِلُ وَآ ... خِرُ الْكُؤُوسِ أَوَّلُ
فَسَاعِدَنْ أَخَيَّ أَوْ ... فَارِقْ وأَنْتَ عَاذِلُ
فَإِنَّنَا لا نَبْتَغِي ... مِنْهُ وَعَنْهُ بَدَلُ
وَلا اكْتِرَاثَ عِنْدَنَا ... بِعَذْلِهِ إِذْ يَعْذِلُ
هَذَا ومِنْ فَضْلِكُمْ ... أَرْجُوكُمُ أَنْ تَقْبَلُوا
وَتَمْنَحُوا عُبَيْدَكُمْ ... دُعَاكُمُ وَتَبْذُلُوا
وَتَجْبُرُوا خَاطِرَهُ ... بِمَوْعِدٍ يُعَجَّلُ

ولما وقف الفقيه القاضي سيدي محمد ابن القاضي الأجل المقدس سيدي عبد الرحمن البريري على ذلك، زاد ما نصّه:

وَعِنْدَهُ مِنْ شَرْطِهِ الـ ... ـنِّغْنَاعُ لَيْسَ يُغْفَلُ
كَمِثْلِ بَعْضِ الظُّرَفَا ... فِيمَا رَوَوْا وَنَقَلُوا

---

(1) العُود القَمارِيّ عود طيب الرائحة منسوب إلى موضع ببلاد الهند. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 5/ 113.

(2) الفنيق: الفحل من الجمال، والفنيق أيضا الوعاء. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 10/ 312، مادة (فنق).

إذْ هُـــوَ عِنْـــدَهُمْ مَـــنُ الْـــ — عَـــنْبَرِ قَـــالُوا أَفْـــضَلُ
صَـــدِّقْهُمُ فَـــإِنَّهُمْ — أَهْـــلُ وفَـــاءٍ عُـــدِّلُوا
وَلا تَـــكُنْ مِـــنَ الأُلَـــى — لَـــمْ يُنْـــصِفُوا فَعَـــذَلُوا
وَقَـــالَ فِـــي مَذْهَبِـــهِ — إِنَّ الـــشَّرَابَ نَهَـــلُ
فَقَـــلَّمَا يَـــصْحَبُهُ — إذَا عَـــذَلْتَ عَـــلَلُ
خِـــلافُ رَأْيِ فِـــئَةٍ — بِالـــسَّبْعِ قَـــالُوا يَكْمُـــلُ
فَـــإِنْ يَـــزِدْ شَـــيْءٌ عَلَـــى — سَبْـــعِهِمُ فَـــنَفَلُ
وَهْـــيَ مَـــذَاهِبٌ فَخُـــذْ — بِـــالْعَدْلِ فَهْـــوُ أَكْمَـــلُ

*[38] احمد بن عبد الواحد بن المواز الفاسي[1] (المتوفي سنة 1341هـ)

ثم الرباطي الوفاة، قاضي القضاة وأحد الفحول الوعاة وأبْطَالُ الأدَب الكُماةِ، شبَّ وشاب في طلب العلم والأدب والحكمة قراءةً وإقراءً، وتأليفاً وإفتاءً، وتربى في حجر الرئاسة متدرجاً في مدارج الكياسة، إلى أن جال جولاته في معترك السياسة، وتقلب في عدة وظائف علمية ومخزنية أيام الدول الأربع الحسنية والعزيزية والحفيظية واليوسفية من الكتابة إلى السفارة إلى العضوية بالمجلس التحسيني لكلية القرويين، إلى قاضي القضاة، ورئيس المجلس الاستئنافي القضائي بالرباط، حيث استوطن أخيرا إلى أن توفي به عام 1341هـ واحد وأربعين وثلاثمائة وألف، ومنه حمل على ظهر أتوموبيل خاص إلى فاس، حيث كان مرقده الأخير، طيب الله ثراه.

ومن شعره ما أنشأه عام 1327هـ لما كان على مدريد رئيس السفارة المغربية تحت عنوان: تهنئة المسافر بالفوز الباهر، مرفوعة لجانب سلطان العلماء وعالم السلاطين المولى عبد الحفيظ سلطان المغرب الأقصى، كما جاء نشرها في السعادة بالعنوان والتاريخ المذكورين، وهي قصيدة هنأه فيها عند الظفر بأبي حماره[2] يقول في مطلعها:

---

(1) انظر ترجمته في: سل النصال، لابن سودة، ص: 27، وإتحاف المطالع، له أيضاً: 2/ 433، والأعلام، للزركلي: 1/ 165، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 13/ 363.

(2) هو: أبو حمارة، الجيلاني الزرهوني، من قبائل مدشر أولاد يوسف بجبل زرهون، كان من عمال الدولة ثار على السلطان المغربي وألب عدة قبائل من الأنكاد؛ فدخلوا تحت طاعته فكانت بينه وبين السلطان حروب انتهت بأسره في عام 1327هـ. انظر خبره باستفاضة في: الإتحاف، لابن زيدان: 1/ 399 وما بعدها.

جَازَتْ لَنَا الْبَحْرَ أَنْبَاءٌ مِنَ الظَّفَرِ ... فَكَانَ رِيحُ الصَّبَا مِنْ نَفْحَةِ الْخَبَرِ
أَهْدَتْ لِذِي غُرْبَةٍ أُنساً بَشَائِرُهَا ... والأُنْسُ أَحَالَ النَّوَى مِنْ مُنْتَهَى الْوَطَرِ
وَلِلنُّفُوسِ بِقَدْرِ الْبِشْرِ تَسْلِيَةٌ ... والْبِشْرُ تَهْوَاهُ طَبْعاً أَنْفُسُ الْبَشَرِ
يَا مُنْبِئاً بِفُتُوحٍ لِلْعُلَى اتَّسَعَتْ ... فِدَاكَ وهُوَ قَلِيلٌ قُرَّةُ الْبَصَرِ
رَدِّدْ عَلَيْنَا أَحَادِيثَ السُّعُودِ بِمَا ... نَالَتْ جُيُوشُ الْعُلَى مِنْ مُسْعَدِ الْقَدَرِ

ومن شعره أيضا قوله منبئًا ومتنبئاً بالحرب العالمية الكبرى:

وَقَائِلَةٌ مَا فِي طَوَايَا زَمَانِنَا ... فَقُلْتُ لَهَا قَوْلاً لِمَنْ يَتَفَرَّسُ
أَرَاهُ بِطُولِ السِّلْمِ قَدْ ضَاقَ صَدْرُهُ ... فَهَمَّ بِزَفَرَاتٍ بِهَا يَتَنَفَّسُ

ولما رشح لوظيفة رئاسة المجلس الاستئنافي كتبتُ إليه مهنئاً بهذه القصيدة:

أَتَتْنِي صَبَاحاً وهْيَ حَامِلَةٌ بُشْرَى ... تَهَلَّلَ وَجْهُ الدَّهْرِ مِنْ أَجْلِهَا بِشْرَا
وَقَدْ فَتَنَتْ لَمَّا أَتَتْ فَكَأَنَّنَا ... سُكَارَى بِهَا أُنساً ولَسْتَ تَرَى خَمْرَا
فَقَالَتْ أَمَا تَدْرِي فَقُلْتُ لَهَا بَلَى ... فَقَالَتْ إِلَيْكَ الْخَبَرُ إِنِّي بِهِ أَدْرَى
فَقُلْتُ ومَا ذَا الْخَبَرُ قَالَتْ بِشَارَةٌ ... بِعَزْلِ فُلانٍ عَنْ وَظِيفَتِهِ الْكُبْرَى
وَإِنَّ ابْنَ مَوَّازٍ حَبِيبَكَ قَدْ أَتَى ... رِئَاسَةَ الاسْتِئْنَافِ وهُوَ بِهَا أَحْرَى
فَقُلْتُ لَعَمْرُ الْحَقِّ حُقَّ لَنَا الْهَنَا ... وحُقَّ لَكِ التَّقْبِيلُ عَنْ هَذِهِ الْبُشْرَى
فَقَبَّلْتُهَا أَلْفاً ومِنْ فَرَحِي بِهَا ... تَغَالَطْتُ فِي عَدِّي فَزِدْتُ لَهَا عَشْرَا
لِتَهْنَ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ مَنْ غَدَا ... بِهِ الثَّغْرُ ثَغْرُ الْفَتْحِ أَشْنَبَ مُفْتَرَّا
فَأَنْتَ الَّذِي قَدْ طَارَ صِيتُهُ فِي الْوَرَى ... بِأَنَّهُ فَرْدٌ فِي الْقِرَاءَةِ والإِقْرَا
وَفِي الْعِلْمِ بَحْرٌ قَدْ تَلاطَمَ مَوْجُهُ ... وهَلْ بَيْنَنَا مَنْ يَصْدِمُ الْمَوْجَ والْبَحْرَا
وَفِي الْمَجْدِ يُدْعَى سَيِّداً وابْنَ سَيِّدٍ ... يُزَاحِمُ نَجْمَ الأُفْقِ والشَّمْسَ والْبَدْرَا
وَفِي النَّظْمِ والآدَابِ لا شَكَّ شِعْرُهُ ... هُوَ الشِّعْرُ لَكِنْ دُونَهُ رُتْبَةُ الشِّعْرَى
إِذَا حَاضَرَ الْجُلَّاسَ يَوْماً بِعِلْمِهِ ... تَقُولُ يَزِينُ النَّحْرَ أَوْ يَنْفُثُ السِّحْرَا
وَلَوْ أَنَّهُ أَجْرَى الْيَرَاعَةَ خِلْتَهُ ... لَنَا يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ أَوْ يَصْنَعُ الدُّرَّا
وَيَنْظِمُ فِي سِلْكِ الْقَوَافِي جَوَاهِرَ ... كَمَا يَنْشُرُ الأَسْلاكَ والأَنْجُمَ الزُّهْرَا
بِعَيْشِكَ قُلْ لِي هَلْ فُلانٌ نَظِيرُهُ ... وهَلْ أَنَّهُ فِي الْعِلْمِ قَدْ فَاقَهُ قَدْرَا

وَهَلْ أَنَّهُ فِي الْمَجْدِ والْجِدِّ شِبْهُهُ ... وهَلْ أَنَّهُ يَحْكِي شَمَائِلَهُ الْغُرَّا
وَهَلْ بَيْتُهُ بَيْتُ النُّبُوَّةِ وَالْهُدَى ... وهَلْ أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَا
وَهَلْ تَسْتَطِيعُ الْيَوْمَ تَزْعُمُ أَنَّهُ ... لَدَى الرَّأْيِ والتَّدْبِيرِ مِثْلُهُ أَوْ أَدْرَى
لَعَمْرِي مَا فِي فَضْلِ أَحْمَدَ مِن مِرَا ... وَهَلْ يَجْحَدُ الصُّبْحَ الَّذِي أَبْصَرَ الْفَجْرَا
لِتَهْنَ أَبَا الْعَبَّاسِ بِالرُّتْبَةِ الَّتِي ... تَقَلَّدْتَهَا فِينَا فَقُلِّدْتَهَا فَخْرَا
لَكَ الشَّرَفُ الأَسْمَى الَّذِي دُونَهُ السَّمَا ... طَإِ الأَرْضَ ثُمَّ ارْقَ الْمَجَرَّةَ والنَّسْرَا
لِتَهْنَ لَنَا ولْتَبْقَ فِينَا مُحْسِناً ... إِذَا مَا أَطَالَ اللهُ لِي ولَكَ الْعُمْرَا

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ:

طَبِيعَةُ أَهْلِ الْمَجْدِ تَسْتَنْبِتُ الْبِذْرَا ... كَمَا أَنَّ دَاعِيَ الوُدِّ[1] لَمْ يُطِقِ الصَّبْرَا
فَمَا ارْتَكَزَتْهُ فِي هِمَّةِ الْمَجْدِ حِكْمَةٌ ... جَمَالِيَّةٌ إِلا اقْتَضَى نُورُهَا النَّشْرَا
ومَا صُقِلَتْ مِرْآةُ وُدٍّ وَحُصِّنَتْ ... دَعَائِمُهُ إِلا وتَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَا
ولَمَّا تَجَلَّتْ لِي خَرِيدَةُ فِكْرِكُمْ ... أَفَادَتْ فَأَصْبَتْ مِنْ بَلاغَتِهَا الْفِكْرَا
وَلاحَتْ كَمَا تَبْدُو الثُّرَيَّا بِأَنْجُمٍ ... تُوَاصِلُ جَوْزَاءَ الْمَجَرَّةِ بِالشِّعْرَى
وحَيَّتْ فَأَحْيَتْ مُهْجَةً أَنِسَتْ بِهَا ... وهَنَّتْ فَأَبْدَتْ مِنْ شَذَا طِيبِهَا عِطْرَا
وَزَارَتْ فَوَفَّتْ بِالْمَكَارِمِ مِنْكُمْ ... وعَيْنُ الرِّضَى تَرْنُو لِمَا جَاوَزَ الْقَدْرَا
ولا شَكَّ أَنَّ الْخَيْرَ والعِلْمَ وَالْعُلا ... صِفَاتٌ يُفِيدُ الشِّعْرَ مِنْ أَهْلِهَا الْبُشْرَى
لَكُمْ وَاجِبُ الشُّكْرِ الَّذِي لا نُطِيقُهُ ... عَلَى نِيَّةٍ حُسْنَى خُصِصْتُمْ بِهَا ذِكْرَى
وَبِي أَسَفٌ مِنْ أَجْلِ سُقْمِكُمُ الَّذِي ... يُدَارِكُهُ الْمَوْلَى بِعَافِيَةٍ تَتْرَى
ويُمْنٌ شِفَاهُ لا يُغَادِرُ عِلَّةً ... وتَجْدِيدُ عِزٍّ دَائِمٍ يَرْتَقِي النَّسْرَا
وإِنِّي عَلَى شَوْقٍ أَعُودُ جَنَابَكُمْ ... قِيَاماً بِحَقِّ مَا اسْتَطَعْتُ لَهُ حَصْرَا
كَمَا أَنَّنِي أَرْجُو دُعَاءَكُمُ الَّذِي ... يُرَى مُسْتَجَاباً عِنْدَ مَنْ يَمْنَحُ السِّتْرَا
تَدَارَكَنَا سُبْحَانَهُ بِعِنَايَةٍ ... فَإِنَّهُ يَكْفِينَا وإِيَّاكُمُ الأَمْرَا

---

(1) في (ح): (الشوق).

وكتب لي في بعض أغراضه قوله:

عَجباً لأهْلِ مَحبَّةٍ وَذِمَارِ عُهِدُوا بِحِفْظِ مَعَاهِدِ التِّذْكَارِ
تَأْتِيهُمُ كُتُبُ الْحَبِيبِ فَلَمْ يَرِدْ عَنْهَا الْجَوَابُ وهُمْ بِقُرْبِ مَزَارِ
أَوَلَيْسَ حُكْمَ مَحَبَّةٍ مُتَنَزِّهاً عَنْ آفَةِ التَّقْصِيرِ وَالإِقْصَارِ
وَعَقِيدَتِي أَنَّ الْفَضَائِلَ حَازَهَا ذُو الرُّتْبَةِ الأَحْظَى أَبُو جِنْدَارِ
فَالشَّأْنُ فِيهِ عِنَايَةٌ قَدْ نُزِّهَتْ عَنْ وَصْفِهَا بِتَلَمُّسِ الأَعْذَارِ
لَكِنَّ تَهْلِيلا أَتَى بِوُجُودِكُمْ مِنْهُ الْجَوَابُ بِمَوْعِدِ اسْتِبْشَارِ
وَعُلاهُ أَوْلَى بِالْوَفَاءِ لأَنَّهُ مُتَمَيِّزٌ بِمَحَامِدِ الآثَارِ
وَالْقَصْدُ مِنْكَ بِأَنْ تَذَكَّرَ فَضْلَهُ فِي فَوْزِنَا بِسُهُولَةِ الأَوْطَارِ
حَاشَ الْحُقُوقَ بِأَنْ تَضِيعَ وَإِنَّهَا تَنْمَى لأَهْلِ الْعَدْلِ فِي الأَقْطَارِ
لا سِيَّمَا عَدْلُ الْمُقِيمِ فَإِنَّنَا نَرْجُو الشِّفَاءَ بِهِ مِنَ الأَضْرَارِ
وَالْعَدْلُ فِي فَضْلِ الْحُقُوقِ أَسَاسُ مَا تُبْنَى عَلَيْهِ عِمَارَةُ الأَمْصَارِ
مَا الْعَدْلُ فِي التَّحْسِينِ إِلا تَابِعٌ بَعْدَ الْحُقُوقِ وحِفْظُهَا مِنْ طَارِي
وَإِذَا الْحُقُوقُ تَأَخَّرَتْ أَفْضَتْ إِلَى أَنَّ التَّغَافُلَ فِي التَّحَفُّظِ سَارِي
وَلَكَمْ تَكَرَّرَتِ الشِّكَايَةُ مُذْ بَدَا نَشْرُ الْقَرَارِ بِفَضْلِ كُلِّ مُبَارِي
وَتَكَرَّرَ الإِعْلانُ رَسْمِيّاً بِإِزْ جَاعِ الْغُصُوبِ ومَيْزَةِ الأَقْدَارِ
مَا بَالُ شَكْوَانَا لِسُوءِ الْحَظِّ لَمْ تَنَلِ الْفِصَالَ بِحَيِّزِ الإِظْهَارِ
وَأَجَلُّ مِنْ حِفْظِ الْحُقُوقِ إِقَامَةٌ قَدْ رُكِّبَتْ مِنْ أَعْظَمِ النُّظَّارِ
فَلَنَا الرَّجَاءُ بِأَنْ نَرَى مِنْ فَضْلِهِمْ نُورَ الْوَفَاءِ مِنْ نَيِّرِ الأَفْكَارِ

فراجعته بقولي:

هَذَا طِرَازُكَ أَمْ يَرَاعُكَ جَارِي يَا نَافِثَ الأَسْحَارِ فِي الأَسْحَارِ
أَمْ تِلْكَ عَاطِفَةُ الْوِدَادِ تَمَثَّلَتْ مَمْزُوجَةً بِعَوَاطِفِ التِّذْكَارِ

جَاءَتْ تُذَكِّرُ فِي حُقُوقٍ لَمْ تُسَمْ ... مِنَّا بِنِسْيَانٍ ولا بِنِفَارِ
وَغَدَتْ تُفَوِّقُ لِلْمَلامَةِ أَسْهُماً ... وتَقُولُ يَا عَجَباً لأَهْلِ ذِمَارِ[1]
تَأْتِيهُمْ كُتُبُ الْحَبِيبِ فَلَمْ يَرِدْ ... عَنْهَا الْجَوَابُ وهُمْ بِقُرْبِ مَزَارِ
مَعَ أَنَّنِي حِيناً كَتَبْتُ جَوَابَهَا ... مِنْ غَيْرِ تَقْصِيرٍ ولا إِقْصَارِ
لَكِنْ أَتَتْ بِلِسَانِ تَهْلِيلٍ فَقَطْ ... نَظَراً لِكَوْنِهِ فَارِسَ الْمِضْمَارِ
وَلِكَوْنِهِ بَيْتَ الْقَصِيدِ ولاتِّحَا ... دِ مَا فِي كُلِّ شُغْلٍ جَارِي
مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لا تَعْتِبْ عَلَى ... عَارِي الْمَقَاصِدِ مِنْ مَعَرَّةِ عَارِ
وَلَئِنْ وَهِمْتَ تَكَاسُلِي وَتَغَافُلِي ... فَالْوَهْمُ عِنْدِي كَالْخَيَالِ السَّارِي
مَا إِنْ لَهُ حُجَّةٌ مَقْبُولَةٌ ... فِي شَرْعِ أَهْلِ الْوِدِّ والإِيثَارِ
وَلَطَالَمَا وحَيَاتِكُمْ ذَكَّرْتُ صَا ... حِبَنَا وكَمْ أَلْحَحْتُ فِي تِذْكَارِي
فَيُجِيبُ أَنَّ الْحَرْبَ كَانَتْ أَعْظَمَ الْـ ... أَسْبَابِ فِي التَّعْطِيلِ لِلأَوْطَارِ
وَهِيَ الَّتِي لِلآنَ مَا زَالَتْ لأَهْـ ... ـلِ الْحُكْمِ تَشْغَلُ سَائِرَ الأَنْظَارِ
فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ ولا تَخَفْ ... لا بُدَّ يَظْهَرُ حَقُّكَ الْمُتَوَارِي
وَلَقَدْ عَلِمْتُ الْيَوْمَ خَيْرَ بِشَارَةٍ ... تُهْدِي إِلَيْكَ مَسَرَّةَ اسْتِبْشَارِ
وَتُرِيكَ أَنَّ الْفَضْلَ فِي تِلْكَ الْقَضَا ... يَا قَدْ غَدَا فِي حَيِّزِ الإِظْهَارِ
حَيْثُ الْمُقِيمُ غَدَا بِنَفْسِهِ نَاظِراً ... فِي شَأْنِهَا مَنْ أَعْظَمِ النُّظَّارِ
فَإِلَيْكَ حُسْنَ بِشَارَتِي مَقْرُونَةً ... بِتَحِيَّتِي وثَنَائِيَ الْمِعْطَارِ

وكتبت له معتذرا:

هَذَا مُحِبُّكُمُ قَدْ جَاءَ يَعْتَذِرُ ... والْعَفْوُ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ يُنْتَظَرُ
لَيْسَ التَّخَلُّفُ لِلأَخْلاقِ شِيمَتَنَا ... وإِنَّمَا قَدْ أَتَى ضِدَّ الْمُنَى الْقَدَرُ

---

(1) الذمار هو: الحَرَمُ والأهل، وقيل: الحَوْزة والحَشَمُ والأنساب، وموضعُ التَّذَمُّرِ هو موضعُ الحفيظة. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 4/ 311، مادة (ذمر).

وَقَـدْ عَلِمْـتَ قَـدِيماً قَـوْلَ شَـاعِرِهِمْ تَجْـرِي الرِّيَـاحُ بِمَـا لا تَـشْتَهِي النُّظُـرُ

فأجاب:

عُـذْرُ التَّخَلُّـفِ مَقْبُـولٌ بِمُوجِبِـهِ لَـوْلاهُ مَـا كَانَـتِ الأَحْبَـابُ تَعْتَـذِرُ

وَالْـوُدُّ إِنْ كَـانَ بِـالإِخْلاصِ مُقْتَرِنـاً ولَـوْ مَـعَ الْعُـذْرِ لَـمْ يَـضْعُفْ لَـهُ أَثَـرُ

دُمْـتُمْ ودَامَ عُـلا الْقُبْطَـانِ مُرْتَقِيـاً والْوَقْـتُ فِـي غَـدِهِ مِـنْكُمْ سَـيُنْتَظَرُ

(ذكر من اسمه محمد)

* [39] سيدي محمد الغازي المعروف ببوضربات(1)

هو الولي الصالح المجذوب صاحب الأحوال الربانية والفتح الموهوب أبو عبد الله سيدي مَحمد (فتحاً) بن محمد الغازي المعروف ببوضربات صاحب الضريح المشهور قرب جامع مولاي سليمان. كان في زمن السلطان المولى أحمد الذهبي.

وممن كان ينوه بكراماته ومقاماته الشيخ أبو بكر البناني، وقد أجرى ذكره في رسائله مدارج السلوك(2) لدى ذكر من جربت إجابة الدعاء عند مقامهم من أهل الجذب والسلوك، ولا يزال مقامه مقصوداً للزيارة من سائر أصقاع المغرب وخصوصاً لمن سلب عقله وربط في مقامه من أهل الاختلال والاعتلال فيعود كأنما نشط من عقال، والمحل الذي به الضريح مع ما اتصل به بعضه كان روضة للدفن وبعضه حبس من أولاد أفقير(3) كما وجد بخط بعض الثقات.

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 80 مع ملاحظة أن هذه الترجمة و الثلاث التي تليها مستدركة بحاشية (ح1) وقد سقطت من النسخة الأخرى.

(2) يريد الرسائل المسماة مدارج السلوك إلى مالك الملوك، لأبي بكر البناني، قال السملالي: مسائل كتبها لإخوانه وأهل محبته لقصد الموعظة، لأجل غلبة الهوى وهدم مباني التحقيق سيما والطريق قد دخلها الخلل وجعلوها قيلاً وقالا وأهملوا سياسة النفوس بصحبة الرجال، وقالوا: بهذا صارت الأبدال أبدالاً، طبعت بمصر عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، وهي في صحائف 152، وطبع مع كتابه (الفتوحات الغيبية في شرح ألفاظ الصلاة المشيشية) مع شرح أبيات (تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر) انظر: الإعلام، للسملالي: 1/ 222، والأعلام،للزركلي: 2/ 70، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 591.

(3) لم أقف على ذكر أولاد أفقير فيما بين يدي أما ولعل الألف في أولها هي ألف النسبة كما هي العادة في لغات القبائل في المغرب أي المنسوب للفقير وهو الصوفي وقد ذكر المختار السوسي أن الاسم يطلق على الأمين المسئول عن ما يهدى للزوايا من حبوب وتمر وزيت. انظر المعسول: 16/ 67.

* [40] سيدي محمد المنگود(1)

صاحب الضريح الشهير قرب الجامع السليماني، ويعرف بسيدي المنكود بالقاف المعقودة. قال الفقيه القاضي المرحوم السيد أحمد بناني في كناشته وقد رأيته مرسوماً بالكاف في رسم قديم مؤرخ بالحجة عام عشرة ومائتين وألف، وبه يعلم أن النطق بالقاف معقودة غير صواب. انتهى لفظه والخطب سهل.

* [41] سيدي محمد العايدي

دفين زاوية السادة العايديين بالرباط وهي المعروفة بزاوية سيدي أحمد بن موسى(2) بين الضريحين السابقين. كان المترجم من أهل العلم والصلاح، وقفت في بعض الرسوم على تحليته بالشريف وبالمرابط، وفي بعض المقيدات على أنه كان معاصراً للشيخ العكاري أخذ عنه عند وصوله للرباط الطريقة الشاذلية ولازمه مدة كان الشيخ المذكور فيها يملي دروسه العلمية بتلك الزاوية الأحمدية(3).

* [42] سيدي محمد الدراوي

به عرف وأصله من درعة(4)، ومقامه من المزارات الشهيرة بالرباط يتيمن العموم بزيارته في شفاء العيون من عللها وأوصابها، وليتهم أتوا البيوت من أبوابها، وتيمنوا بمن رد عين قتادة بعد ذهابها(5)، ولكن الأعمال بالنيات(6).

---

(1) لم أقف له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(2) هو: أبو العباس، أحمد بن موسى الجزولي ثم السملالي، شيخ جليل شهير، له طريقة مشهورة، ومناقبه كثيرة، وضريحه ببلاد السوس مزار يتبرك به، توفي سنة 971هـ. انظر ترجمته في: دوحة الناشر، لابن عسكر، ص: 102، وطبقات الحضيكي: 1/ 12، والإعلام، للسملالي: 2/ 233، والمعسول، للمختار السوسي: 5/ 12.

(3) لم أقف على ذكر المترجم في البدور الضاوية للعكاري.

(4) درعة بتاء مربوطة في آخرها ونقل عن بعضهم أنها بالمعجمة وهي أحد أقاليم المغرب الشهيرة ودوائره ثمانية مزكيتة وأيت سدرات، وأيت زري، وتيتزولين، وترناتة، وفزوانة، وكتاوة، والمحاميد، لها نشاط فكري وثقافي واضح في تاريخ المغرب. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:196.

(5) إشارة إلى رد النبي ﷺ عين قتادة بن النعمان ﷺ في غزوة أحد كما أخرج البيهقي في دلائل النبوة، باب رد عين قتادة: 3/ 251 وما بعدها.

(6) وجد مستدركاً بالحاشية هذا التعليق ولا نحسبه للمصنف: "قوله: وليتهم... إلخ. هذا فتور وبله من المؤلف لما لا يخفى عن أهل الاعتقاد الكامل والنور الواصل الشامل أن مظاهر الأولياء المسلم لهم العلم والحال والتصرف بقدرة الكبير المتعال لهم لنبيه ﷺ ونقطة من بحر نوره ﷺ، فالمتعلق بهم متعلق به ﷺ وقاصد البيت من بابه كما قيل:

أَنْـــتُمُ الْبَـــابُ وَالإِلَـــهُ كَــرِيمٌ ... مَـــنْ أَتَـــاكُمْ لَـــهُ الْمُنَـــى وَالْهَنَـــا

=

* [43] **محمد بن محمد دنية**(1)

أحد تلامذة سيدي علي بن عبد الرحمن، من فقهاء الرباط وأفاضلها المنسوبين، وكان من المعاصرين للولي الصالح سيدي عبد الله الحويشي الرباطي وكلاهما من تلامذة الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن كما في كتاب "دوحة البستان ونزهة الإخوان" في مناقب الشيخ المذكور لمؤلفه أبي عبد الله المنالي رحم الله الجميع.

* [44] **سيدي محمد التريكي**

به يعرف وهو صاحب الضريح بروضة العلو يقال أصله من الترك، ولعله جد أولاد التريكي بالرباط، ومما يقال إنه كان كاتبا مع الرئيس السيد عبد الله بن عائشة الرباطي أحد سفراء السلطان مولاي إسماعيل، ولعله هو الذي كتب لابن عائشة رحلته الباريزية في سفارته التي قام بها في حدود 1111هـ انظر كتابي الموسوم بالكلمات الذهبية.

* [45] **أبو عبد الله محمد الحويشي (كان حياً 1118هـ)**(2)

هو الفقيه العلامة الهمام أبو عبد الله محمد ابن الولي الصالح سيدي عبد الله الحويشي، كان من أقران أبي عبد الله العكاري وأبي عبد الله الدغيمر، وأبي العباس الغربي يحضرون جميعاً دروس الشيخ العكاري بهمة ونشاط، فأخذوا عنه علوماً جمة كالنحو والبيان والميزان والكلام والأصول والفقه والحديث، وقرؤوها عليه قراءة بحث وتحقيق وتنقيح وتدقيق، مع اعتناء الجميع بمطالعة الشروح والحواشي، وتنافسهم في تحرير النقول وحلّ المشكلات والبحث عن الغوامض والإيرادات، وربما وقع الإملاء من بعضهم على بعض بحضرة الشيخ، واستمروا على هذه الحالة من الجد والاجتهاد حتى فازوا بأوفر نصيب، ورموا في العلوم بسهم مصيب، كذا في الفهرسة للحفيد، قال: ومن جملة ما كان يخاطبهم به الشيخ في مجلس الإقراء تحريضا لهم على الزيادة في تعاطي العلم والحزم في تحصيله لما بدا له من اعتنائهم، وجودة ذكائهم، وظهور نجابتهم، وإصابتهم في كثير من مسائلهم وسروره بحالهم قوله لهم: شدوا أرواحكم في أخذ العلم وطلبه وتحصيله، وأرجو إن شاء الله أن تكونوا

=

غيره، وكلهم من رسول الله التمس وعليه فلا حاجة إلى الاستدراك بالمشار حسبما يفهم كُمَّلُ أهل البصائر والاستبصار. أفاده شيخنا قطب الوجود مولانا فتح الله ﷺ". انتهى كما في الحاشية، ولم أقف على فتح الله المشار إليه فيها (محقق).

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص:94.

(2) انظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة:17/أ، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص:130.

محتسبين على غيركم[1].

وكان يقول لهم: احمدوا الله واشكروه فإن الحال الذي أدركتم لم يكن لمن كان قبلكم وكانوا يعرفون أن ذلك سر من أسراره خصهم به إلى غير ذلك من كلامه في هذا المعنى ولم يزالوا معتكفين على هذه الحالة من الاجتهاد والاعتناء إلى أن توفي الشيخ قدس الله روحه.اهـ[2].

*** [46] الشريف سيدي محمد الدغيمر[3]**

ذكره الحفيد العكاري في الفهرسة وقال في حقه: هو الفقيه العالم الكفيف أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد الحسني السجلماسي المدعو الدغيمر.

كان من الملازمين للشيخ والمنتفعين به والمحبين فيه الباذلين الجهد في خدمته، وكان له إدراك حسن في علم المعقول رحمه الله، آمين.

*** [47] أبو عبد الله العكاري[4]**

هو الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله محمد ابن الشيخ سيدي علي العكاري، تخرج عن والده واقتصر على الأخذ عليه دون سواه من علماء وقته.هكذا ذكر الحفيد ولده في فهرسته قال: "وقد قيد الوالد عن والده تقاييد وطررا على المختصر الخليلي والخلاصة والكبرى والسلم وغير ذلك، وتصدى بعد وفاة الشيخ للتدريس والفتيا وتمهر وبرع في كل فن وارتفع ذكره وعظم صيته"[5].

خلفه الشيخ العلامة أبو علي الشرحبيلي البوسعيدي[6] يلقن الأذكار على الطريقة الناصرية لمن أراد الانخراط في سلك الشيخ ابن ناصر نفعنا الله به وقد كان خليفة يلقن أوراد الشيخ أبي الحسن سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي[7] نفعنا الله به لمن أراد الدخول في

---

(1) مخطوط فهرسة العكاري، لوحة:17/ ب.

(2) المصدر والصفحة السابقين.

(3) انظر ترجمته في: المصدر السابق، لوحة: 16/ أ.

(4) انظر ترجمته في: المصدر السابق، لوحة: 15/ ب.

(5) المصدر والصفحة السابقين.

(6) في الأصل (أبو سعيد) والمثبت موافق لما في الفهرسة وهو: الحسين بن محمد بن علي شرحبيل البوسعيدي النجار، الدرعي الأصل والدار، واشتهر نسبته إلى جدِّه الثالث؛ وهو شرحبيل، وكان متفنناً في جملة من العلوم العقلية والنقلية، صحب الشيخ أبا العباس أحمد بن ناصر الدرعي، توفي ﷺ سنة 1142هـ. انظر ترجمته في: المعسول، للمختار السوسي: 18/ 241.

(7) هو: علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يعقوب بن صالح بن علي التادلي، الدرعي، من مشاهير متصوفة المغرب المتوفى سنة =

سلسلته، فقام بالأمرين وحاز شرف الخلافتين، ولم يزل كذلك إلى أن توفي طيب الله ثراه.

* [48] محمد بن محمد العكاري (المتوفى سنة 1092هـ)(1)

الشيخ الفقيه العالم العلامة الصوفي أبو عبد الله محمد ابن الفقيه العالم الحافظ سيدي محمد العكاري الرباطي رحمه الله تعالى، هكذا جاء ذكره من بين تلامذة الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن في كتاب "دوحة البستان ونزهة الإخوان"، وأنشد له في مدح شيخه المذكور قطعة شعرية تصرفت فيها بالإصلاح لاختلال كثير من أبياتها، وهي:

لِمَ كُنْتَ تَسْرِي فِي الظَّلامِ جِهَاراً ... والْبَدْرُ قَدْ عَمَّ الْبِطَاحَ وَنَارَا
إِنِّي أَرَاكَ وقَدْ عَمِيتَ عَنِ الْهَوَى ... تُصْغِي لِمَنْ جَحَدَ الطَّرِيقَ وجَارَا
أَوَمَا تَرَى لِلنَّاسِ فِي سُدُفِ الدُّجَى ... نُوراً بِهِ عَادَ الظَّلامُ نَهَارَا
سَنَدِي عَلَى مَنْ بِهِ سَمَتِ الْعُلَى ... لَمَّا غَدَتْ وَطَناً لَهُ وقَرَارَا
نَجْمُ الْهُدَى بَدْرُ الدُّجَى شَمْسُ الضُّحَى ... ظِلُّ الْوَرَى كَهْفٌ لِمَنْ قَدْ حَارَا
نُورٌ سَمَا بَلَغَ السَّمَا بَحْرٌ طَمَا ... عَمَّ الثَّرَى وبَلْ هَمَا مِدْرَارَا
أَخْلاقُهُ مِسْكِيَّةٌ أَوْصَافُهُ ... عُلْوِيَّةٌ هَيْهَاتَ لَيْسَ يُجَارَى
طَابَ الزَّمَانُ بِنَشْرِهِ فَتَفَتَّقَتْ ... أَزْهَارُهُ فَقُرُنْفُلاً وعِرَارَا
قُلْ لِلَّذِي لَمْ يَقْتَبِسْ مِنْ نُورِهِ ... مَا نَالَ مَا يَهْوَى ولا مَا اخْتَارَا
يَا سَيِّدِي عَبْدٌ لَكُمْ بِحِمَاكُمُ ... حَاشَا الْكِرَامَ يُضَيِّعُونَ الْجَارَا

* [49] سيدي محمد الحداد(2)

الفقيه العالم المدرس أخو الفقيه أبي العباس أحمد الحداد الأندلسي السابق ذكره.

رحل للبقاع المقدسة فحج وزار واستفاد وأفاد، وكان في الرباط من علمائه المدرسين.

ومن شيوخه الشيخ العكاري حسبما جاء في الفهرسة للحفيد العكاري، ومما ذكره في

=

1092هـ. انظر ترجمته في: دوحة البستان في مناقب علي بن عبد الرحمن، للزبادي الفاسي المتوفى سنة 1209هـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2339/ك)، وصفوة من انتشر، للإفراني، ص: 315، وله ترجمة حفيلة في الإعلام، للسملالي: 9/ 208.

(1) انظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة:52/ ب، والإعلام، للسملالي:5/ 349، ومجالس الانبساط، لدنية، ص80، وفي الإتحاف، لابن زيدان:4/ 97 أن وفاته كانت سنة 1092هـ وتبعه على ذلك دنية في مجالس الانبساط.

(2) انظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 9/ أ.

حقه أنه أصابه في آخر عمره خبال في عقله لازمه إلى أن قضي عليه، قال: وكان مجداً في أمر دينه وقافاً عند ما حُدَّ له، متواضعاً، يعالج بيده كَرْم أجنته، ويباشر خدمة الأرض بنفسه، ويتحرى الشبهات جهده[1].

*** [50] محمد ابن الحاج إبراهيم الزيدي الأندلسي[2]**

أحد فقهاء الرباط ومدرسيه المتخرجين عن الشيخ العكاري، بل كان من خواصه الملازمين له كما في الفهرسة.

*** [51] محمد بن غانم[3]**

أحد تلامذة الشيخ العكاري حسبما ذكره الحفيد وحلاه بقوله: الفقيه العدل الخطيب أبو عبد الله سيدي محمد بن غانم النسب.

*** [52] القاضي محمد مرينو (كان حياً 1143هـ)[4]**

هو القاضي أبو عبد الله الحاج محمد بن مَحمد بن أحمد مرينو، وبه يعرف، وأصله من قرطبة بالأندلس.

كان رحمه الله من أكابر العلماء والخطباء ومن مفاخر الأدباء والشعراء. أخذ عن الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، وساجل الولي الصالح السيد المعطي بن الصالح، وقرأ على مشايخ فاس كأبي عبد الله المسناوي وعلى شيخ الرباط في وقته سيدي علي العكاري كما في فهرسة حفيده أبي الحسن العكاري، وقد وصفه بالسماح والصدق والتنزل والاعتناء بأهل العلم وبالفضل والتأدب في أضرحة الصالحين والتظاهر بالخشوع والخضوع ولين الجانب، وذكر أن له قصائد ومدائح نبوية وعدة موشحات وتلاحين وأزجال في أغراض شتى من الأغراض الأدبية. اهـ[5].

وكل هذا وقفت عليه بخط قديم من جملة ديوان خاص جمعه بعض أولاده وذيله بكثير من منثوره ورسائله مع مكاتبات ومحاورات نثرية وشعرية جرت بين المترجم وعصريه الولي

---

(1) المصدر والصفحة السابقين.

(2) انظر ترجمته في:المصدر السابق، لوحة: 12/أ.

(3) انظر ترجمته في: المصدر السابق، لوحة: 19/أ.

(4) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 8، والبدور الضاوية، المعروف بفهرسة العكاري، لوحة رقم:10/أ، واسمه فيه محمد بن محمد مرين، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 94.

(5) انظر: البدور الضاوية، المعروفة بفهرسة العكاري: لوحة رقم:11/أ.

الصالح سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي دفين مكناسة الزيتون، وهي وحدها تدل على جلالته وفضله لما تضمنته من الإشارات والمغامز الصوفية والحقائق والفهوم العرفانية الجارية على أسلوب كلام القوم وطريقهم الربانية.

فمنها قوله في صفر الخير عام 1136هـ من بحر الطويل:

نَدِيمِي أَدِرْ فِي حَضْرَةِ الْحُبِّ أَكْؤُسَا ... عَلَيْنَا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ وعَسْعَسَا

وَوَالِ إِذَا مَا الصُّبْحُ أَجْلَى ظَلَامَهُ ... وَقَدْ نُشِرَتْ أَعْلَامُهُ وتَنَفَّسَا

عُقَارَ الثَّنَا أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ مَطْعَماً ... وَأَشْهَى لِرَاجِي الْوَصْلِ مِنْهُ وأَنْفَسَا

وَأَذْكَى مِنَ الطِّيبِ الْعَطِيرِ أَرِيجُهُ ... وَأَمْرَى وأَهْنَا فَاقَ شُرْباً وأَنْفَسَا

عَلَى مَنْ سَبَى عَقْلِي ورُوحِي جَمَالُهُ ... وَهَاجَ سَنَاهُ الشَّوْقَ فِي الصُّبْحِ والْمِسَا

وهي قصيدة طويلة، ومن شعره قوله مخاطباً للولي الصالح سيدي الصالح بن المعطي نفعنا الله به من أبيات:

سَيِّدِي الصَّالِحُ الَّذِي يَصْلِحُ اللهُ ... بِهِ لِلْوُفُودِ حَالاً وشَأْنَا

قَدْ وَفَدْنَا ضَرِيحَ جَدِّكَ فَاحْضُرْ ... لِتَكُونَ لَنَا شَفِيعاً وعَوْنَا

فأجابه سيدي الصالح المذكور بقوله وناهيك بها شهادة بفضله:

مَرْحَباً مَرْحَباً أَهْلا وسَهْلاً ... بِكُمْ كَيْفَ لا وأَنْتُمْ أَجِلَّةْ

ولَكُمْ فِي الْعُلُومِ بَاعٌ عَرِيضٌ ... وسَنَاكُمْ مِمَّا سَنَاهُ الأَهِلَّةْ

حَاشَا شَيْخَ الشُّيُوخِ مَنْ شَاعَ شَرْقاً ... وهُنَا رَبُّهُ بِغَرْبٍ أَحَلَّهْ

إِنْ تَؤُوبُوا ومَا ظَفَرْتُمْ بِخَمْرٍ ... مُذْهِبٍ عَنْ حِجَاكُمُ كُلَّ عِلَّةْ

وَعَلَيْكُمْ مِنَ السَّلَامِ سَلَامٌ ... مُسْتَدَامٌ يَجُرُّ بِالْمِسْكِ ذَيْلَهْ

ومن نبوياته قوله بعد أن حج ورجع من الحرمين الشريفين وهو بمصر أواسط ربيع الأول عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف:

أَلا مَنْ لِلْعُوَيْشِقِ ذِي الصَّبَابَةْ ... كَسِيرِ الْبَالِ مَأْسُورِ الْكَآبَةْ

وَبِلْبَالٍ تَلَظَّى فِي حَشَاهُ ... وأَشْجَانٍ بِهِ هَاجَتْ عَذَابَهْ

بِوَصْلِ الدَّارِ دَارِ حَلَّ فِيهَا ... حَبِيبٌ لَمْ أَزَلْ أَهْوَى اقْتِرَابَهْ

كذا مطلعها، وهي قصيدة تشتمل على اثنين وعشرين بيتاً.

ومن نبوياته أيضاً قوله من المنسرح عام 1133هـ:

هَـــذَا الْهِـــلالُ الْبَهِـــيُّ أَنْبَأَنَـــا ... بِمَوْلِـــدٍ قَـــدْ نَفَـــى دُجَـــى الْهَـــوَسِ
وَذَكَّـــرَ النَّـــاسَ مَـــا لَـــهُ عَهِـــدُوا ... فِـــيمَا مَـــضَى لَهُـــمْ مِـــنَ الْقَبَـــسِ
وَعَـــزَّ فِيـــهِ الْكَـــرَى لِـــذِي طَـــرَبٍ ... يَنْفِـــي غِـــرَارَ الْجُفُـــونِ بِـــالْهمسِ

ومنها:

لَـــوْ كَـــانَ لِـــي مُـــسْعِفٌ عَلَـــى سَـــهَرٍ ... طَـــوَيْتُ بَـــيْدَاءَهُ إِلَـــى الْغَلَـــسِ
أَحْيَيْـــتُ لَـــيْلاً بِمَـــدْحِ مَـــنْ سَـــجَدَتْ ... لَـــهُ غُـــصُونُ الْغَـــضَا بِـــلا حَـــدَسِ
وكَـــانَ يَأْتِيـــهِ أَزْمُنـــاً مَلَـــكٌ ... بِوَحْـــيِهِ مِثْلَمَـــا صَـــوْتِ الْجَـــرَسِ

ومما كتبه جامع ديوانه، قوله:

ومما وجدته بخط خالنا الفقيه السيد أبي يعزى ابن الفقيه جدنا لأمنا السيد محمد الدقاق الدغمي، الأصل الرباطي الدار، ما نصه:

"الحمد لله لما خرج شيخنا الإمام العلامة الهمام، الأديب، الذي يوده الفرقدان سميراً، ويطلع في مجلس الأنس بدراً منيراً، الذي إذا سكت خلته عطارد في أفلاكه، وإذا نطق رأيت الدر ينثر من أسلاكه، أبو عبد الله سيدي محمد مرين الأندلسي، أدام الله وجوده، وأدام النفع به، قاصداً لزيارة الشيخ أبي يعزى نفعنا الله ببركاته وسقانا من فيض بحره، وبحر أمثاله وكان شيخنا المذكور سابقاً لزيارته، أنشأ هذه الأبيات..".ثم سردها.

ونقل من خط المترجم ما نصه: "لما ورد شيخنا الإمام العلامة، القطب الورع، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن ناصر أفاض الله علينا من بركتهما ورود خير وسلامة على البساط الشريف العلي القدر، المنيف بساط أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين، ذي الشرف الأصيل، أبي النصر مولانا إسماعيل أيد الله أوامره ونصر جنوده وعساكره في جمادى الثانية عام تسعة عشر ومائة وألف، وكان الناس يردون عليه من أقطار البلاد، ولم يتيسر لنا القدوم لملاقاته لمقتضى الحال، قلت أبياتاً من مجزوء الكامل، وهي:

لِلْفَـــضْلِ مِـــنْ أَرْجَـــائِكُمْ ... فَيَـــضَانُ بَحْـــرٍ زَاخِـــرِ
كَـــمْ وَارِدٍ مِنْـــهُ ارْتَـــوَى ... فَغَـــدَا فِـــي حَـــرِّ الـــصَّادِرِ
عَلِـــلْ بِمُنْهَمِـــرِ الْوَفَـــا ... مِـــنْ كُـــلِّ حَـــظٍّ وَافِـــرِ
وَاكْـــسُ الْمُعَطَّـــلَ حُلَّـــةً ... تَـــثْنِي عِنَـــانَ النَّـــاظِرِ

إلخ.. وهي قصيدة تشتمل على نحو الثلاثين بيتاً مذكورة في الديوان، وكانت وفاته أواسط القرن الثاني، وكان لا زال حياً عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف، وهو عام رجوعه من الحرمين الشريفين، كما قدمنا.

*** [53] الحاج محمد الدقاق (المتوفى سنة 1158هـ)[1]**

مجاور الحرمين الشريفين، وأحد تلامذة الشيخ العكّاري

قال في الفهرسة[2]: وكان أديباً شاعراً فصيحاً، وقفت له على قصائد ومقطعات رائقة، وكان خفيف الروح ذا دعابة لطيفة، ينمق مجلسه بحكايات استطرادية ينفي بها ملل الطلبة، وكسلهم، له عبارة حسنة فصيحة في الدرس يألف ويؤلف، ويستجلب قلوب العامة بحسن مخاطبته، وهو إلى الآن بقيد الحياة بجوار الله ورسوله قد بلغ سناً عالية". (انتهى بلفظه)

وكانت وفاته رحمه الله بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام سنة 1158. وبها دفن كما ذكر ذلك تلميذه الحافي السلوي في فهرسته مشايخه[3]. [وقد وصفه فيها بقوله: شيخنا العلامة النحرير الدراكة الشهير المدرس البركة، كريم الأخلاق سيدي محمد ابن الفقيه العدل سيدي محمد الدقاق. كان رحمه الله عالما مدرسا مفتيا لين الجانب للغريب والبعيد، معظما لأشياخه كثير الثناء عليهم شديد المحبة لهم، وهم كذلك][4].

أخذ عن جماعة من شيوخ أهل فاس الأئمة الأعلام، منهم الشيخ العلامة خاتمة المحققين العارف بالله تعالى سيدي محمد ابن العلامة العارف بالله سيدي عبد القادر الفاسي، ومنهم العلامة الدراكة الحافظ أبو عبد الله سيدي مَحمد بن أحمد القسمطيني، الحسني المعروف بالكماد، ومنهم قاضي الجماعة بفاس، والمفتي بها الدراكة البركة سيدي العربي بن أحمد بُردلة، ومنهم شيخنا العلامة الفهامة سيدي محمد بن أحمد بن المسناوي، الدلائي، وغيرهم من العلماء الأعيان، وأخذ طريق التصوف عن الشيخ الإمام القطب الهمام إمام عصره، وفريد دهره العارف بالله تعالى سيدي محمد بن ناصر الدرعي رضي الله عنه.

---

(1) هو أبو عبد الله، محمد بن محمد، شمس الدين المعروف بالدقاق الرباطي، المجاور بالحرمين الشريفين. انظر ترجمته في: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 173، ومخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 13/ب، وفهرسة أحمد بن عاشر السلوي، مخطوط الخزانة العامة، تحت رقم (1421 ك).

(2) يريد فهرسة العكاري.

(3) انظر: فهرسة أبي العباس أحمد بن عاشر الحافي السلوي، مخطوط الخزانة العامة: 1421 ك.

(4) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح1).

وقد سافر لحج الفريضة وجاور بالمدينة المشرفة منذ عشرة أعوام أو ما يزيد عليها ولا زال بها إلى الآن متع الله المسلمين بحياته.

وله وجاهة وحرمة هنالك، وكان يحج كل عام ويرجع إلى المدينة المشرفة مدرساً للحديث بالمسجد النبوي، مبجلاً معظماً عند ملوكها، وعند السلطان العثماني وفي كل عام كان يصرف له جائزة سنية، ولما ختم كتاب الموطأ لإمامنا مالك ﵀ بالمسجد النبوي بالمدينة المشرفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بلا انقضاء ولا انصرام، ثم أنشده الشيخ العلامة الأديب أبو عبد الله السيد محمد بن سعيد بن السيد محمد أمين بن علي أمين المدني، ﵀ قصيدة طنانة طويلة تشتمل على نحو المائة والعشرين بيتاً ضمنها مدح ختمه، ومدح الجناب النبوي وآله وأصحابه الكرام، واسترسل في مدح صاحب الترجمة والإمام مالك بما ستراه قال طيب الله ثراه:

حَـدِّثْ بِمَـا صَـحَّ مَرْفُوعـاً مِـنَ الْخَبَـرِ ... عَـنْ مُرْسَـلِ حَـسَنِ الآثَـارِ والـسِّيَرِ
فَـرْدِ الْكَمـالِ ومَـشْهُورِ الْجَمَـالِ وَمَـوْ ... صُـولِ النَّـوَالِ عَـزِيزِ الْقَـدْرِ والْخَطَـرِ
وَاذْكُـرْ شَـمَائِلَهُ الـغُرَّا لِنَفْعِـكَ إِذْ ... مَدِيحُـهُ فَـاضَ بِـالآيَاتِ والـسُّوَرِ
واتْـرُكْ دِيَـارَكَ واخْتَـرْ ذَا الْجِـوَارِ ولا ... تَخْتَـرْ عَلَـى خَيْـرَةِ الْمُخْتَـارِ مِـنْ مُـضَرِ
وَاقْـصِدْ زِيَـارَتَهُ تَـغْنَمْ بِـشَارَتَهُ ... لِلزَّائِـرِينَ ولا تَـسْأَمْ مِـنَ الـسَّفَرِ
وَقِـفْ بِـأَعْتَابِهِ وانْـزِلْ بِـسَاحَتِهِ ... فَإِنَّـهُ الـسَّنَدُ الْـعَالِي لِمُنْكَـسِرِ
وَقُـلْ أَتَـيْتُ غَـرِيبَ الـدَّارِ مُنْقَطِعـاً ... ضَـعِيفَ جِـسْمٍ عَلِيـلَ الْقَلْـبِ ذَا ضَـرَرِ
وَاحْرِصْ إِذَا أَنْتَ جَاوَرْتَ الْحَبِيبَ عَلَى ... حُـسْنِ التَّـأَدُّبِ فِـي الآصَـالِ والْبُكَـرِ
وَابْـذُلِ الْـجُهْدَ فِـي إِكْـرَامِ عِتْرَتِـهِ ... ونَـصْرِ سُنَّـتِهِ الْغَـرَّاءِ تُنْتَـصَرِ
وَاشْـكُرْ لِـمَوْلاكَ مَـا أَوْلاكَ مِـنْ نِعَـمٍ ... وإِنْ بُلِيـتَ بِـضِيقِ الْـعَيْشِ فَاصْـطَبِرِ
فَـذَاكَ فِـي جَـنْبِ مَـا أُولِيتَـهُ جَلَـلٌ ... وعَـنْ قَرِيـبٍ تَـرَى صَـفْواً بِـلا كَـدَرِ
فَـإِنَّمَا أَنْـتَ جَـارٌ لِـلَّذِي انْتَعَلَـتْ ... بِـهِ أُولُـو الْعَـزْمِ فَـارْجُ النَّفْـعَ وانْتَظِـرِ

إلى أن قال في أواخرها:

فَكَـانَ أَوَّلَ مَـنْ وَطَّـا مُوطَّـأَهُ ... حَبْـرُ الْعُلُـومِ وبَحْـرُ الْجُـودِ والْفَخَـرِ
الْمُرْتَـضَى مَـالِكٌ بـنُ الْمُرْتَـضَى أَنَـسٍ ... بْـنِ الْمُرْتَـضَى مَالِـكٍ ذِي الْمَجْـدِ والْخَيَـرِ

إِمَـامُ طَـيْبَةَ مَـنْ طَـابَتْ إقَـامَتُهُ ... بِـهَا فَـحَازَ فُـنُونَ الْعِلْـمِ مِـنْ صِـغَرِ
وَهُـوَ الْمُـشَارُ إِلَيْـهِ فِـي الْحَـدِيثِ بِعَـا ... لِـمِ الْـمَدِينَةِ قَـوْلاً غَـيْرَ مُـنْتَكَرِ
لَـوْ لَـمْ يُخَلِّـفْ سِـوَى ذَاكَ الْكِتَـابِ كَفَـى ... فَـكَيْفَ وهُـوَ إِمَـامُ النَّقْـلِ والنَّظَـرِ
رَوَتْ مَـشَايِخُهُ عَـنْهُ وغَـيْرُهُمُ ... عِـلْمَ الْـكِتَابِ وعِلْـمَ الْفِقْـهِ والأَثَـرِ
وَلَـمْ يَـزَلْ شَـائِعاً فِـي النَّـاسِ مَذْهَبُـهُ ... مُسْتَمْـسِكاً بِـعُرَاهُ كُـلُّ مُـدَّكِرِ
لا سِـيَّمَا الْغَـرُّ أَهْـلُ الْغَـرْبِ مَـنْ ظَهَـرَتْ ... أَنْـوَارُهُمْ فَـرَآهَا كُـلُّ ذِي بَـصَرِ
قَـوْمٌ عَـنَاهُمْ إِمَـامُ الْمُرْسَـلِينَ بِـ (لا ... تَـزَالُ طَـائِفَةٌ) نَـصّاً وَلَـمْ يُـشِرِ
لَـهُمْ بِحَـضْرَتِهِ قُـرْبٌ وإِنْ بَعِـدُوا ... لِـقُرْبِ أَصْـلِهِمْ مِـنْ هـذِهِ الْعُـصُرِ
فَـمَالِكٌ دَوْحَـةٌ فِـي شَـرْقِهِ غُرِسَـتْ ... وهُـمْ فُـرُوعٌ لَـهَا فِـي ذَلِـكَ الْقُطُـرِ
يَـأْوِي إِلَـى ظِـلِّهِمْ مَـنْ رَامَ مَذْهَبَـهُ ... ويَـقْتَدِي بِـهِمُ فِـي الْعِلْـمِ كُـلُّ سَـرِي
فَـلَمْ يَـزَالُوا نُـجُومَ الاهْـتِدَاءِ إِلَـى ... أَنْ أَظْـهَرَ اللهُ شَـمْسَ الـدِّينِ لِلْبَـشَرِ
مُـحَمَّدُ الاسْـمِ والأَوْصَـافِ طَيِّبُهَـا ... مُـطَهَّرُ الْـقَلْبِ مِـنْ كِبْـرٍ ومِـنْ وَغَـرِ
ابْـنُ مُـحَمَّدٍ الـدَّقَّاقِ مَـنْ وَرِثَ الْ ... مَـجْدَ الْـمُؤَثَّلَ مِـنْ آبَـائِهِ الْغُـرَرِ
الْـكَامِلُ الـزَّمِرُ بـنُ الْكَامِـلِ الزَّمِـرِ ... بْـنِ الْـكَامِلِ الزَّمِـرِ بـن الْكَامِـلِ الزَّمِـرِ
شَـيْخٌ مَـلِيٌّ إِلَـى الأَلْـطَافِ جَانِبُـهُ ... وإِنْ أَتَـوْا بِـعَظِيمِ الـذَّنْبِ يُغْتَفَـرِ
يَـدُلُّ نُـورُ مُـحَيَّاهُ ونُـضْرَتُهُ ... عَلَـى كَمَـالِ هُـدًى بِالْقَلْـبِ مُسْتَـشْرِي[1]
مَـنْ يَـتَّقِ اللهَ يُـصْلِحْ سِـرَّهُ فَتَـرَى ... آثَـارَ أَسْـرَارِهِ بِـظَاهِرِ الْبَـشَرِ
تَـدْنُو إِلَـيْهِ قُـطُوفُ الْـعِلْمِ يَانِعَـةً ... فَـيَجْتَنِيهَا بِـلا كَـلٍّ ولا سَـهَرِ
إِذَا تَكَـلَّمَ فِـي تَـقْرِيرِ نَـازِلَةٍ ... أَبْـدَى مِـنَ الـصَّدْرِ مَـا يُغْنِـي عَـنِ الزُّبُـرِ
عُـلُومُهُ مِـنْ إِلَـهِ الْـعَرْشِ مَوْهِبَـةٌ ... فَـكَيْفَ يَـسْرِي سُـرَاهُ نَاقِـلُ الـسِّيَرِ

وبقي مسترسلا في مدحه والثناء عليه، إلى أن قال في ختام القصيدة:

أَيَـا نَـبِيَّ الْهُـدَى يَـا مَـنْ مَكَارِمُـهُ ... عَمَّـتْ فَلَـيْسَ لَهَـا فِـي الْجُـودِ مِـنْ خَطَـرِ
هَـذَا مُـحَمَّدٌ الـدَّقَّاقُ قَـدْ حَـسُنَتْ ... فِـينَا إِقَـامَتُهُ بِالنُّـصْحِ وَالْيُـسْرِ

---

(1) في (ح 1) (مستبشر)، ولا يستقيم بها وزن البيت.

فَامْنُنْ عَلَيْهِ بِمَا يَرْجُوهُ مِنْكَ فَمَنْ ... يَرْجُ الْكَرِيمَ يَفُزْ بِالْخَيْرِ والْحَبَرِ
وَاخْتِمْ بِحُسْنِ خِتَامٍ لِلْجَمِيعِ وكُنْ ... يَا خَاتِمَ الرُّسْلِ مَنْجَا كُلِّ مُحْتَضِرِ
صَلَّى عَلَيْكَ مَعَ التَّسْلِيمِ خَالِقُنَا ... يَا مَنْ هُوَ الآيَةُ الْكُبْرَى لِمُعْتَبِرِ
وَالآلِ والصَّحْبِ والأَتْبَاعِ كُلِّهِمُ ... مَا سُرَّ سِرُّكَ فِي الأَرْوَاحِ وَالصُّوَرِ"(1)

انتهى من فهرسة الحافي باختصار كثير، وتصرف في التعبير.

ومن شعره مخاطبا لصهره الفقيه القاضي مرين المتقدم لما كان مريضاً قوله من قصيدة:

إِذَا أَعْيَى عِلاجُكَ كُلَّ آسٍ ... يَرُومُ بِطِبِّهِ يَوْماً شِفَاكَ
أَقُولُ لِسَيِّدِي وحَبِيبِ قَلْبِي ... سَقَطْتَ عَلَى الْخَبِيرِ بِمَا دَهَاكَ
طَبِيبٌ بِالْعِلاجِ غَدَا خَبِيراً ... بِهِمَّتِهِ يُدَاوِي مَا هُنَاكَ
هُوَ الْقُطْبُ ابْنُ عَاشِرٍ الْجُزَيْرِي ... إِذَا نَادَيْتَهُ لَبَّى نِدَاكَ
فَلُذْ بِجَنَابِهِ واقْصِدْ حِمَاهُ ... تَجِدْ غَوْثاً مُزِيلاً مَا عَرَاكَ
فَمَا بَيْنَ الْمَسَرَّةِ والتَّدَاوِي ... سِوَى أَنْ تَقْصِدَنْهُ وأَنْ يَرَاكَ

ومن شعره أيضاً قوله في مدح قصيدة شعرية لصهره القاضي مرين السابق:

لَقَدْ تَرَكَتْنِي هَائِماً فَزِعاً أَصْبُو ... وأَذْكَتْ جِمَارَ الشَّوْقِ عِنْدِي فَلَمْ تَخْبُ
وَأَبْدَتْ مِنَ الأَشْوَاقِ مَا كَانَ كَامِناً ... وأَضْحَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَجْرِي لَهَا سَكْبُ
جَوَاهِرُ نَظْمٍ رُصِّعَتْ بِمَحَاسِنٍ ... وغُرُّ قَوَافٍ دُونَهَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ
مُكَمَّلَةُ الْمَغْنَى مُرَوْنَقَةُ الْحُلَى ... عَلَى لَفْظِهَا مِنْ كُلِّ مَا حُلَلٍ ثَوْبُ
وَكَيْفَ وقَدْ أَبْدَاهَا فِكْرُ مُحَمَّدٍ ... رَضِيعُ الْمَعَالِي مَنْ بِهِ يَسْهُلُ الْخَطْبُ
رَئِيسُ الْعُلُومِ وَالآدَابِ بِأَسْرِهَا ... رَفِيعُ الْعِمَادِ خَصَّهُ بِالْعُلا الرَّبُّ
لَهُ قَدَمٌ فِي الْعِزِّ والْمَجْدِ ثَابِتٌ ... وتَدْرِيسُ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ لَهُ دَأْبُ
فَلا زَالَ فِي عِزٍّ مَنِيعٍ ورِفْعَةٍ ... ولاهَمَّهُ رَيْبٌ ولا أَمَّهُ نُكْبُ

* [54] القاضي محمد بن محمد مرينو(2)

هو القاضي أبو عبد الله مُحَمَّد (فتحاً) ابن القاضي السابق محمد (ضماً) بن مُحَمَّد

(1) انظر: فهرسة أبي العباس أحمد بن عاشر الحافي السلوي، مخطوط الخزانة العامة: 1421ك.

(2) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف، ص: 11، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 93.

(فتحاً) بن أحمد مرينو الأندلسي، الرباطي.

كان رَحِمَهُ اللهُ بهذا الثغر من خاصة الفقهاء، وأخصَّ الوجهاء، مقتفياً أثر والده في التحلي بحلية الفضلاء والنبلاء، أخذ عن ولي نعمته القاضي المذكور، وعن عمه عامل الرباط الأديب السيد أحمد حجي مرينو، وذكره جامع ديوان شعر والده[1] محلى بأوصاف جليلة تسفر عن مكانة سامية في العلم والفضل.

أما ترشيحه للمنصب القضائي فقد ألم به مؤرخ الرباط أبو عبد الله الضعيف في تاريخه للدولة العلوية، فأخبر أن ترشيحه للقضاء كان بأمر عامة الرباطيين، وذلك في عشري ربيع الأول عام ستة وخمسين بعد المائة والألف[2]، ولما تعرض لذكر دولة مولاي المستضيء قال ما معناه أنه لما امتنع أهل الرباط من مبايعته عيَّن السيد المكي ابن الشاذلي الشرقاوي والياً عليهم وأسندوا إليه أمرهم، فكان من جملة ما فعله أن أخَّر القاضي محمداً مرينو، وولى عليهم القاضي محمداً كراشكو الرباطي، وذلك بثالث رجب عام ستة وخمسين ومائة وألف. اهـ[3].

ولم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث.

*** [55] القاضي محمد كراشكو (كان حياً 1163هـ)[4]**

هو القاضي أبو عبد الله محمد كراشكو، بتقديم الشين المعجمة على الكاف، وربما قيل كراكشو، بتقديم الكاف وهو الجاري على الألسنة الآن، واللفظ من الأوضاع الأندلسية[5]، والبيت من البيوتات الرباطية التي كانت معروفة بالعلم والفضل.

ولعل المترجم هو المذكور في فهرسة الحفيد العكاري من جملة الآخذين عن جده سيدي علي، وقد وصفه بالديانة وصفاء السريرة والصداقة في الود، وحلاه بالفقيه العدل المسن، المشار إليه في علم الميزان. اهـ[6].

وعليه يكون والد صاحب الترجمة هو سيدي أبو يعزى كراشكو الشهير بالكرامات

---

(1) في (ح1): (شعره).

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 261.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 261 وقد كتبت فيه (كراشكو) هكذا (كراكش).

(4) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف، ص: 11، ومخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 18/أ، ومجالس الانبساط، لدينيه، ص 105.

(5) في المطبوع من تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 261: (كراكش).

(6) انظر: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة: 18/أ.

والخوارق.

كان له ﷺ موقع جليل في قلوب أهل بلده، والكل كان يلتمس بركته وفضله، وناهيك أنَّ ممن كان يعتقده ويحدث بما يشاهده عنه شيخ الرباط وقته سيدي علي العكاري المذكور، فمما ذكره الحفيد صاحب الفهرسة في حق المترجم هو من باب قولهم:

وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ[1]

ولم أقف على تاريخ وفاته، ولكنه [كان][2] لا يزال حياً عام ثلاثة وستين ومائة وألف، تاريخ إجازة وقفت على شكل المترجم فيها عاطفاً بالمثلية على العلامة المفتي سيدي أحمد التلمساني فيما أجاز به بعض علماء سلا قدس الله روح الجميع.

*** [56] محمد بن الخضر حفيد أبي الشكاوى (المتوفى سنة 1180هـ)[3]**

هو الشيخ أبو عبد الله سيدي محمد بن الخضر الشريف الحسني، الإدريسي، حفيد أبي الشكاوى، صاحب الضريح بشالة.

كان من العلماء الأدباء المحاضرين ذوي الإجادة في النظم على اختلاف أنواعه، ما بين قصائد موزونة، وأزجال معربة وملحونة، وموشحات ذات أصوات وأنماط، تزري بجواهر الأسماط.

ذكره الضعيف الرباطي في تاريخه، وحلاه بالفقيه الأديب وقال: إنه مات رحمه الله عام ثمانين ومائة وألف[4].

ومن شعره قوله من قصيدة في رثاء ومدح الشيخ العكاري قدس سره:

سَمَا فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ عَنْ كَوْكَبِ الْبَدْرِ ... ثَنَاؤُكَ يَا شَيْخَ الْجَهَابِذَةِ الْغُرِّ

وَهَبَّ نَسِيمٌ مِنْ نَسِيمَةِ عَرْفِهِ ... فَأَحْيَا بِهِ رَوْضَ الْمَدَائِحِ فِي الْفِكْرِ

يُذَكِّرُنِي عَهْدَ الصَّبَابَةِ والصِّبَا ... كَأَنَّ هَوَى لَيْلَى تَرَنَّمَ فِي صَدْرِي

وَحَرَّكَ سَاكِنَ الْفُؤَادِ حَنِينُهُ ... وثَارَ بِحُبِّهَا ثَمِيلاً مِنَ السُّكْرِ

---

(1) هذا عجز بيت مشهور ترد فيه الأسماء الخمسة بالحركات القصيرة على لغة النقص فيها وهو:

بِأَبِهِ اقْتَدَى عَدِيٌّ فِي الْكَرَم ... وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ

(2) ما بين المعكوفين زيادة يقتضيها السياق.

(3) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 24.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 319.

يُغَنِّيـــي هَمْـــساً بِالْحُـــسَيْنِ[1] مُوَافِقـــاً ... بِنَغْمَتِـــهِ الْحَـــسْنَا حَـــدِيثَهَا فِـــي الـــسِّرِّ
فَيَـــا حُـــسْنَهَا إِذَا مَـــا تُنَـــاجِي نَـــدِيمَهَا ... ويُـــسْدِلُ سُـــجْفَ اللَّيْـــلِ مُنْعَـــرُ الـــسِّتْرِ
تُعَـــاطِي سُـــلافَةَ الْحَـــدِيثِ خَلِيلَهَـــا ... بِكَـــأْسِ خَفِـــيّ الْمَـــزْجِ مِـــنْ حَبَـــبِ النَّثْـــرِ
وَتُـــشْفِي غَلِيـــلَ الـــصَّبِّ مِمَّـــا أَمَـــضَّهُ ... بِرَشْـــفِ رَحِيـــقٍ شَـــابَهُ شَـــنَبُ الثَّغْـــرِ
فَمَـــا أَشْـــبَهَ الْيَـــوْمَ الْعَتِيـــدَ بِأَمْـــسِنَا ... إِذاً كَـــانَ رُكْنَـــاً فِـــي سُـــرُورٍ وفِـــي يُـــسْرِ
فَحَـــسْبِي مِـــنَ الأَيَّـــامِ مَـــا قَـــدْ قَـــضيته ... وحَـــسْبُ اللَّيَـــالِي إِذْ عُـــرِفْنَ عَلَـــى الغـــدر
وَإِنِّـــي عَلَـــى غَـــيْظِ الزَّمَـــانِ وجـــوره ... تَخَلَّـــصْتُ مِـــنْ ظُلْـــمِ الـــصَّبَابَةِ وَالهجـــر
بِمَـــدْحِكَ يَـــا مُحْيِـــي الْمَـــذَاهِبِ بعـــدما ... تَـــرَاءَتْ لَـــدَى الإِهْمَـــالِ فِـــي رَوْضَـــةِ النـــشر
تَجَـــرَّدَتَ لِلـــدِّينِ الْمُحَمَّـــدِي مُعْلِنـــاً ... ونُـــودِيَ بِـــالرَّفْعِ ارْتِقَـــاءً عَلَـــى الْكَـــسْرِ
وَنخْـــتَ بِثَغْـــرِ الْعُـــدْوَتَيْنِ مُـــبَجَّلاً ... وَحُيِّيـــتَ بِالإِقْبَـــالِ شُـــكْراً وبِالْبِـــشْرِ
وَأَرْخَـــتْ تَـــدَلُّلاً بِـــذَيْلِ مُحَبَّـــرٍ إِلَيْـــكَ ... رِبَـــاطُ الْفَـــتْحِ كَالْعَـــانِسِ الْبِكْـــرِ
وَقُمْـــتَ لَهَـــا فَـــوْقَ الْمَنَـــابِرِ خَاطِبـــاً ... و فُـــزْتَ بِهَـــا بِكْـــراً عَرُوســـاً عَلَـــى الْبِـــرِّ
وَأَصْـــدَقْتَهَا كُـــلَّ الْعُلُـــومِ تَبَرُّعـــاً ... وأَنْقَـــذْتَهَا التَّفْـــسِيرَ عَـــنْ مُحْكَـــمِ الـــذِّكْرِ
وَقَلَّـــدْتَهَا عِقْـــدَ الْحَـــدِيثِ بِجِيـــدِهَا ... مُفَـــصَّلَ بَهْجَـــةِ الْجُمَـــانِ عَلَـــى النَّحْـــرِ
وَأَصَّـــلْتَ أَصْـــلاً لِلأُصُـــولِ مُوَصِّـــلاً ... فُرُوعَـــهُ بِالنَّقْـــلِ الْمُوَصَّـــلِ بِـــالْخَبَرِ
وَأَفْقَهْـــتَ مَـــنْ لَـــمْ يَفْقَـــهِ الفِقْـــهَ عَقْلُـــهُ ... وحَلَّيْـــتَ بِالتَّوْحِيـــدِ حِلْيَـــةَ ذَا الثَّغْـــرِ
لِنَحْـــوِكَ يَنْحُـــو طَالِـــبُ النَّحْـــوِ رَاغِبـــاً ... وزَيْـــدٌ لَـــدَى الإِعْـــرَابِ يَـــسْمُو عَلَـــى عَمْـــرِو
وَبَيَّنْـــتَ مِـــنْ بَـــوْنِ الْبَيَـــانِ غَوَامِـــضاً ... تَـــوَارَتْ مَعَانِيهَـــا الرَّقِيقَـــةُ لِلْمُقْـــرِي
تَمَنْطَقْـــتَ بِـــالتَّحْرِيرِ وَزْنـــاً لِمَنْطِـــقٍ ... وقَـــدْتَ قَـــضَايَاهُ الْغَرِيبَـــةَ لِلْغُمْـــرِ
وَأَبْـــدَعْتَ فِـــي بَحْـــرِ الْعَـــرُوضِ وعَرْضِـــهِ ... سَـــبِيلاً لَـــدَى الأَوْزَانِ فِـــي نَـــشْأَةِ الْحَبْـــرِ
وَصَـــافَيْتَ صَـــفْوَةَ التَّـــصَوُّفِ إِذْ صَـــفَا إِلَيْـــكَ ... بِـــذِي الأَوْصَـــافِ فِـــي الْمَـــشْرَبِ الْغَمْـــرِ
وَأَجْرَيْـــتَ دُولابـــاً عَلَـــى الْهَيْئَـــةِ الَّتِـــي ... دَوَائِـــرُ أَفْـــلاكِ الزَّمَـــانِ بِـــهِ تَجْـــرِي
وَقَـــانُونُ بُقْـــرَاطَ الْحَكِيـــمِ نَفَحْتَـــهُ ... وأَشْـــرَحْتَ بِالتَّـــشْرِيحِ سُـــقْمَ ذَوِي الـــضُّرِّ

(1) كذا في (ح1) و(ح)، ولعلها (الحنين).

إلى أن قال في الختام:

وَخَتْمُ الثَّنَاءِ لا يُحَاطُ بِهِ أَمَا ... عَلِمْتَ بِأَنَّ الرَّوْضَ كَمْ لَهُ مِنْ نَوْرِ
وَلَكِنْ نَظَمْتُ فِي سُلَيْكٍ نَفَائِساً ... تُحَلَّى بِهَا الأَلْحَانُ فِي حِلْيَةِ الشِّعْرِ
وَقَدَّمْتُهَا بِكْراً إِلَيْهِ هَدِيَّةً ... وزَهْرُ القَبُولِ يَانِعٌ مُثْمِرُ الأَجْرِ
وَأَرْجُو مُكَافَأَةَ المَدِيحِ بِتَوْبَةٍ ... وأَمْنٍ وإِخْلاصٍ بِخَاتِمَةِ الأَمْرِ

*** [57] محمد بن القائد حجي مرينو**[1]

أديب من أدباء الرباط، وأحد فضلائها، قرأ على والده المذكور، ثم عن عمه القاضي الكبير السيد محمد بن محمد مرينو، ولا يعرف في ترجمته سوى هذا القدر.

*** [58] محمد بن العروصي مرينو**

الفقيه العدل، وقفت على ذكره ببعض التركات، محلى بتحلية الفقهاء ولم أقف له على ترجمة.

*** [59] محمد بن أحمد بن الطيب مرينو (كان حياً 1201هـ)**

الفقيه العدل، الموثق، رفيق العلامة سيدي العربي عاشور، وقفت على بعض الرسوم من إنشائه وبخطه الرائق بتاريخ أواسط ذي القعدة عام 1201هـ وهو أخو السيد المعطي الموقت الشهير.

*** [60] محمد بن عبد الرفيع الشرقوي**[2] **(المتوفى سنة 1202هـ)**

هو صاحب الضريح أمام ضريح سيدي فرج، كان من المرابطين المشار إليهم بالولاية والصلاح، ينتسب إلى الشيخ سيدي محمد الشرقي ولم يزل السادة الشرقيون بالرباط يتصرفون في ضريحه إلى اليوم.

وجاء في تاريخ وفاته من تاريخ الضعيف الرباطي ما نصه: "توفي المرابط سيدي محمد بن عبد الرفيع الشرقاوي برباط الفتح يوم الخميس قبل طلوع الشمس سابع صفر الخير عام 1202هـ اثنين ومائتين وألف، وصلى عليه سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي، ودفن بعد الظهر وبنيت له قبة على ضريحه[3].

---

(1) لم أقف على من ترجمه وتاليه غير المصنف ﷺ.
(2) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 66.
(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 358.

* [61] السلطان سيدي محمد بن عبد الله (المتوفى سنة 1204هـ)[1]

دفين الرباط، واسطة عقد الدولة العلوية الشريفة، وتاج إمارتها، وفخر الأمة الإسلامية، في القيام بأعباء دينها وخلافتها، وناهيك بسلطان هادنه ملوك الإفرنج وهاداه ملوك آل عثمان، قال أبو عبد الله الضعيف الرباطي في تاريخه:

"هو أمير المؤمنين أبو عبد الله سيدي محمد ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الله ابن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل ابن الشريف بن علي بن محمد بن علي بن يوسف ابن مولانا علي الشريف بن الحسن بن محمد ابن مولانا الحسن القادم بن القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن القاسم ابن الإمام محمد النفس الزكية، الملقب، المهدي ابن سيدنا عبد الله الكامل ابن سيدنا الحسن المثنى ابن سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء البتول، بنت مولانا رسول الله ﷺ، وبويع إمامنا وعمدتنا الهمام السلطان الأسعد أمير المؤمنين أبو عبد الله سيدي محمد ضحوة الأربعاء رابع ربيع النبوي عام إحدى وسبعين ومائة وألف 1171هـ، المذكور في جامع الكتبيين بحمراء مراكش، وهو واقف في ظل شجرة نبتت في صحن الجامع المذكور من أشجار اللرنج[2].

مولده بمكناسة الزيتون سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، وكان أيده الله قد حج وهو صغير وذلك أن جدته والدة أبيه وهي السيدة الجليلة العظيمة القدر خناثة بنت كبير قومها وعميدهم الشيخ بكار، الْتَمَسَتْ مِنْ ولدها السلطان مولانا عبد الله السفر للمشرق بقصد الحج عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف، فأجابها لذلك وهيأ لها جميع ما تحتاجه بها أولاه مولاه، مما يناسب مقام علاه، ووجه معها ولده مولانا المنصور بالله المؤيد الموفق أمير المؤمنين أبا عبد الله سيدي محمد فحج معها، فكان في هذه السنة حجته، وحمدت في كل وجهة حركة وجهته وسيرته، وقد أنعم الله على المغرب بمولانا سيدي محمد، هو سلطانه، وأشرق في جميع أقطاره بحمد الله يمنه وأمانه، أدام الله للمسلمين وجوده، وأصحب النصر عساكره وجنوده، فهو أعز الله أمره من ذوي السياسة والرياسة، فالحمد الله على ما جمع سيدنا نصره الله من

---

(1) انظر ترجمته في: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 293 وما بعدها وفيه تفصيل لأحداثه، والاستقصا، للسلاوي: 4/ 91، والدرر الفاخرة، لابن زيدان، ص: 55، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان أيضاً: 3/ 148.

(2) في تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف 1/ 298: (اللورانج).

محامد الأوصاف التي لا تحصى، فهو نصره الله وأيده في العلم بمصالح المملكة بحر لا يجارى، في تحقيق أمور السياسة لا يبارى، وقد جمع من الدراية ما تقف الأفاضل دونه، وتود رؤوس الملوك أن تكونه، فكملت بذلك منة الله على العباد، وأصلحت به أقطار وآفاق البلاد، مع ما فيه من فرط الحلم والخير المشهود وراثة عن الآباء والجدود، نسأل الله أن يديم علينا وجوده، آمين.

وفيه يقول كاتبه الأديب الفقيه الأريب العروضي سيدي محمد سكيرج:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْبَحْرَ فِي الْجُودِ آيَةً ... ومِنْ جُودِهِ الدُّرُّ النَّفِيسُ الْمُقَلَّدُ

سَأَلْتُهُ مَنْ فِي النَّاسِ عَلَّمَكَ النَّدَا ... فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدُ

أمه حرة، صفته أسمر اللون، تام القد، أقنى الأنف، للتمام شعر لحيته، عريض الأكتاف، واسع المنكبين، شثن الكفين، صبيح الوجه، كريم اللقاء، شديد الصفح، حسن العفو، فصيحاً، بليغاً، أديباً، حليماً، متواضعاً، شفيقاً، كريماً، جواداً، عالماً بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام، له تآليف كالفتوحات الإلهية[1] وغيرها.

كثير الصدقات، راعياً لأوقاته، مكرماً للصلحاء، موقراً لهم، مرفعاً للعلماء مقرباً لهم، لا يستغني عنهم ساعة، ولا يتحدث إلا معهم، محباً في الطلبة، حج وهو ابن عشر سنين، وتخلف بمراكش وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبويع وهو ابن ثمان وثلاثين سنة.

وزيره الأعظم الشهير ولد عمه مولاي إدريس ابن المنتصر، وحاجبه الشريف ابن عمه مولاي علي بن الفضيل.

كُتَّابه: الفقيه أبو محمد عبد الله ذو المسوك، قاضيه بمراكش الفقيه السيد عبد العزيز البعيدلي السكتاني، المراكشي، وقاضيه برباط الفتح السيد المهدي مرين الأندلسي، وبمدينة سلا القاضي السيد محمد زنيبر، وبمكناسة الفقيه السيد أبي القاسم العمير، وبفاس القاضي السيد عبد القادر بو خريص.

شعراؤه الفقيه الأديب الفصيح الأريب الماهر شاعر الزمان وفصيح الأوان أبو العباس أحمد ابن العلامة الفقيه الوجيه السيد محمد الونان[2] والفقيه الأديب الماهر الشاعر أبو

---

(1) هو كتاب: "الفتوحات الإلهية في أحاديث خير البرية" أو "الفتوحات الإلهية فيما اجتمع من الأحاديث النبوية التي تشفى بها القلوب الصدية"، توجد منه نسخة بخزانة المعهد الإسلامي الحبسية بتطوان، تحت رقم (923)، وأخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1408د) وثالثة تحت رقم (54 ق) في خزانة مسجد مولاي عبد الله الشريف بوزان.

(2) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن محمد الحميري، المعروف بابن الونان الشمقمق، شاعر من أهل فاس مولده ووفاته بها، كان أسلافه من سكان توات في الصحراء ثم انتقلوا إلى فاس، وكان له ولأبيه اتصال بالمولى محمد ابن عبد الله، وهو ناظم

عبد الله السيد محمد سكيرج، وغيرهما[1]، أطباؤه الفقيه الحاذق عبد الوهاب أدراق[2] الأديب وغيره.

قائده بمراكش الحاج أحساين المراكشي[3]، أرباب دولته القائد المختار الزراري والقائد علال الزراري، والقائد محمد العبدي، والقائد ناصر المحياوي العبدي، والقائد عبد الرحمن بن بناصر العبدي، وقائد مشوره القائد محمد بن عمران الرحماني، وباشته على دكالة[4] السيد محمد بن أحمد الدكالي، وعامله بالشياظمة القائد محمد وبلا الشيظمي، وأخيه السيد أحمد.

وعامله بتارودانت[5] القائد الشيخ النجاري وعامله بتدلا ولد الراضي الورديغي، وعلى سوس عبد الرحمن الزفريتي، والباشا عبد النبي المنبهي، وعلى تامسنا عمر بن بوسلهام المزاجي، وقائده بالرباط العربي المستيري، وعلى سلا القائد عبد الحق فنيش، وعلى الغرب القائد الهاشمي السفياني، والقائد الحبيب المالكي.

وحين بويع أيده الله بنصره في رابع ربيع النبوي بمراكش بجامع الكتبيين تحت ظل الشجرة النابتة في صحنه وهي اللرنجة المذكورة.

واجتمعت عليه أهل مراكش بأشرافهم وفقهائهم وعلمائهم وأعيانهم وطلبتهم وعوامهم وكبرائهم، عزوه في أبيه المرحوم، بكرم الله، وهنوه بالخلافة.

وفرق الأموال على الضعفاء والمساكين، والشرفاء والعلماء، وكذلك أيضاً لما بويع

=

الشمقمقية وهي 275 بيتا فيها الغث والسمين، مدح بها أمير المؤمنين عبد الله بن إسماعيل العلوي، اشتهرت وشرحها جماعة. انظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 3/ 344 والأعلام، للزركلي: 1/ 243، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 2/ 156.

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 300.

(2) هو: عبد الوهاب بن أحمد الفاسي، المعروف بأدراق، طبيب، فقيه، أديب، ناظم، ناثر، عارف بالنحو واللغة والشعر، من تصانيفه: تعليق على النزهة لداود الأنطاكي، أرجوزة ذيل بها أرجوزة ابن سينا في الطب. انظر ترجمته في: الإتحاف، لابن زيدان: 5/ 407، وسلوة الأنفاس، للكتاني 2/ 39، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 6/ 216.

(3) لعل (احساين) هو: حسين بن (المترجم) محمد بن عبد الله العلوي. انظر: الإعلام، للسملالي: 3/ 211.

(4) دكالة: منطقة سهلية واسعة ما بين نهر أم الربيع شمالاً ووادي تانسيفت جنوباً. وأطلقت التسمية على كل من المنطقة وسكانها، فقد أطلق ابن خلدون اسم دكالة على قبائل مصمودة السهل مرة، وعلى الإقليم مرة أخرى. انظر: العبر، لابن خلدون: 6/ 426، ومعلمة المغرب: 12/ 4052.

(5) تارودانت: إحدى دوائر عمالة أكادير تحتوي على عدة جماعات، وكانت في الستينات من هذا القرن الرابع عشر الهجري عاصمة سوس قبل أن تنتقل عاصمة الإقليم إلى أكادير. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 125.

بمحروسة فاس أمنها الله بعد دفن أبيه من الغد خرجت جماعة من أعيان شرفاء فاس وعلمائها ووجوه رؤسائها وكبرائها مستصحبين رسم البيعة الشريفة، فوفدوا عليه حضرة مراكش المحروسة بالله فأكرمهم وبسط عليهم الإنعام، ولم يكن ملك من ملوك المغرب يجود أكثر منه بالطعام، وأجازهم بجوائز جليلة مصحوبة بغاية الإكرام، فرجعوا إلى فاس في غاية الفرح والاستبشار.

وراقب الناس قدومهم مراقبة الأهلة والشهور والأقمار، واشتاقوا لرؤية الخليفة مولانا المنصور بالله أعظم الاشتياق، وطال على الجميع منهم أمد التلاق، وورد على رباط الفتح حرسه الله فتلقوه بالهدايا.

وخرج إليه أهل سلا كذلك، ففرح بهم وأكرمهم وعظمهم وفرق المال على الشرفاء والعلماء والطلبة والمساكين والضعفاء أجمعين من أهل العدوتين.

وكان يوم دخوله لرباط الفتح عيداً مذكوراً، ويوماً مشهوراً، فدخل القصبة، وخرجت الأنفاض من بساتينها، ومن بساتين سلا، وكان يوم عيد عند الصبيان، والعقلاء، ثم قدم على المنجرة التي ينشؤون فيها السفن، وطلع في سفينة قبل أن تعوم، وصار يرمي للناس من أعلاها الدراهم والدنانير، والناس تلتقط عموماً وخصوصاً.

ثم قدم أيده الله على حضرة مكناسة الزيتون فلما وصل خبر قدومه لفاس أمنها الله خرج للقائه منها جم غفير، وجمع حفيل، قوي كثير من الشرفاء والعلماء ووجوه أهل فاس، وصحبهم السعد واليمن ما لا يحيط به قياس، فكان لقيهم معه بمحروسة مكناسة، فأسدى من الرضا والإحسان ما لا يعبر عنه لسان، فأكمل له برضاه الفرح والسرور، وما منهم إلا وجهه من ذلك يتهلل وينور، فأضافهم وأحسن، ضيافتهم ثلاثة أيام، كما سُنَّة جده ﷺ، ووالى عليهم من أنواع الخيرات والطعام ما لا يحيط به لسان، ولا تحصيه أقلام، ثم أذن لهم بالرجوع، ثم ورد بعد ذلك على فاس، وكان يوم دخوله لها يوماً عظيماً.

ومشهده مشهد مبارك كريم، وأقام بها أدام الله نصره والناس من آفاق المغرب يأتون إليه بالهدايا مذعنين طائعين تائبين من أنواع الخطايا، يحضرون حضرته العلية.

ولا زال يكرم كل من حضر لملاقاته، ويخص العلماء بالمجالسة والمفاوضة في العلم، بعد إطعام الجميع من أنواع الأطعمة الرفيعة المنتخبة، وهو في ذلك كله يحض على الخير، ويأمر به ويؤسس المصالح العامة من أمور الخلافة التامة.

ثم لما أحس منه أهل فاس الرجوع إلى مراكش، خرجوا إليه راغبين، وحضروا لديه في

جم غفير، وتوجهوا إليه بقلبهم وقالبهم، وقدم الشرفاء والعلماء فمثلوا بين يديه ورغبوه طالبين منه الإقامة في أرضهم اغتباطاً به ومحبة في جانبه، فأجابهم أيده الله بأنه لا سبيل إلى الإقامة في أرض واحدة، ولا بد من الإقامة في كل بلدة ليتيسر لكل من أهلها الاتصال بملاقاته بها عسى أن يعرض موجب شكاية، أو رفع خصاصة، لا سيما من لم يقدر على السفر، تسهيلاً على رعيته ورفقاً بهم، وشفقة عليهم، جعل الله له ذلك من الذخائر عند الله ومتع المسلمين دائماً بمحبته ورضاه، فحمد الله جميع من حضر ذلك الموقف العظيم، لما رأوه من صلاح نظره وشفقته.

ثم بالقرب من ذلك دخل فاس وشرفها بقدومه على حين غفلة من أهلها فزار مولانا إدريس نفع الله به، وزار سيدي عبد القادر الفاسي، وواصل الشرفاء والعلماء والفقهاء وسائر الطلبة والقراء بمال فرقه من ارتضاه من ولاته عليهم، ولم يبق واحد من هذه الأجناس إلا نال منه.

ثم جمع علماء أهل فاس واستدعاهم لمجلسه الشريف، قرب داره وباحثهم وتذاكر معهم في مسائل من أنواع العلوم، وأوصاهم، ثم رجع لمراكش أمنها الله، وبقي بها مدة ثم أتى مكناسة في عام اثنين وسبعين ومائة وألف 1172هـ وأقام بها مدة بعد أن وفد على رباط سلا، فوجد الرايس محمد عواد مانطه السلاوي، والرايس محمد عواد المعروف بقنديل السلاوي، والرايس العربي المستيري الرباطي، أتوا بسفينة مغنومة من جنس السويد، ففرح السلطان بها وأعطى الرياس لكل واحد سلاح من الذهب مثل السيف والخنجار ومكحلة وكسوة وأعطى للبحرية أيضاً.

ثم سافر القائد العربي المستيري في الحين فغنم اثنين من السفن واحدة من جنس البرطغين[1]، والثانية من جنس السويد.

وفي سنة إحدى وسبعين أمر بإنشاء سفينة الكوار[2]، ثم أمر بإنشاء سفينة الرايس العربي حكم الرباطي، ولما أتى مكناسة استقر بها أياماً، فكان يشتّي بها، وفي الربيع يذهب لمراكش، وهكذا دأبه، أصلح الله به وعلى يديه الذهاب والإياب ما بين فاس ومكناس ومراكش[3].

---

(1) في المطبوع من تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: (البرطقيز).

(2) في (ح1): (الكدار)، والمثبت موافق للمطبوع من تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف.

(3) ما بين المعكوفتين ساقطة من (ح).

ولم يزل أيده الله يتابع الخيرات، ويزيد في مواساة الضعفاء والفقراء والمساكين، وأهل العاهات، وذوي الحاجات في بيوتهم من كل من يظن به الحاجة، ويبحث عن كل من يظن به الخير فيعامله.

وهو حفظه الله وأدام تأييده إلى الآن به ذلك أعانه الله على ما يعانيه من مصالح الدين والدنيا.

وأعظم من هذا كله ما فيه من الوجهة للجهاد وجمع آلاته وجميع ما يحتاج إليه من عدة وعدد، قد جمع من ذلك ما لم يتفق لأحد ممن تقدمه، وسخر الله له السفن في البحر من أهل سلا ورباط الفتح وغيرهما.

وسخر الله له أجناس الروم فيما يأمرهم بالإتيان من شيء من ذلك إلا بادروا لامتثاله مسرعين، وقاموا بين يديه سامعين وله مطيعين، مع علمه بجميع ما هو من المصالح العامة والخاصة.

ولما أحسَّ أكرمه الله برضاه وأدام نصره وعلاه، من الكفار المعتمرين بالبريجة[1] البلدة المعروفة بساحل البحر قرب آزمور الإذاية لرعيته، توجه إليها، بعزمه وعنايته، وحاصرها بالجيوش التي لا قبل لهم بها، ورماها بالكور والبنب، فلم يلبث إلا أن أخرجهم منها أذلة وهم صاغرون، وهدمها فهي الآن تسمى المهدومة على أمره، وهو الذي سماها بذلك، نصره الله وأيده وأعانه، ووفقه وسدده، فاستولى عليها لما فتحها في السابع والعشرين من رمضان المعظم عام اثنين وثمانين ومائة وألف، وقطع منها عبدة الأوثان والأصنام، وصارت بحمد الله مقراً لأهل الإيمان والإسلام، فكانت له أيده الله من المزايا العظيمة والمفاخر الجليلة الجسيمة بعد أن كانت متمنعة جداً، حار فيها الأولون.

ولم يزل حفظه الله مجمعاً على الجهاد وقاصداً إخراج الكفرة من الغرب من كل البلاد متع الله المسلمين برضاه، [وأدام لهم بوجوده عافيته، ووفى الجميع بكل ما يحبه ويرضاه][2]، وأصلح أيده الله المسجد الأعظم من مدينة مكناسة الزيتون، أمنها الله المتهدم بالزلزلة التي تقدم ذكرها، وبنى صومعته، كما كانت أو أحسن مما كانت، وبنى المسجد الجامع بالروي،

(1) البريجة: بلدة كان اسمها القديم مازكان أو برج الشيخ، كانت تحت نير الإسبان ثم تخلوا عنها للبرتغال إلى أن أخرجهم منها السلطان محمد بن عبد الله سنة 1182هـ وسماها المهدومة ثم سميت بعد ذلك الجديدة وهو الاسم الذي تعرف به اليوم.
انظر: الحلل البهيجة في فتح البريجة، لابن سليمان المراكشي، مخطوط الخزانة الحسنية تحت رقم (6997).

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

المعد للخطبة ومدرسة وصومعة بمكناسة أيضاً وبنى قبة بضريح سيدي محمد بن عيسى، وبنى قبة سيدي سعيد بوعثمان، وبنى بفاس العتيق مدرسة باب الجيسة[1]، والجامع والصومعة والفندق التي بإزائها.

وزاد في مسجد الشرابليين وأقام فيه الجمعة، وهي تقام فيه إلى الآن، وبنى أيضاً قبة سيدي علي بن حرزهم، وقبة سيدي عبد الله التاودي.

وأمر بتجليز[2] مولاي إدريس، وبنى بمدينة تازه مدرسة أيضاً جيدة، بجامعها وصومعته وبنى بمراكش دار البديع وبنى قبة سيدي عبد الله الغزواني، وسيدي عبد العزيز التباع، وقبة سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وقبة سيدي أبي العباس السبتي، وغيرهم، وبنى مدينة الصويرة[3]، ومدينة العرائش، وبنى برباط الفتح القصبة الكبيرة جددها بعد الهدم وبنى بها البستيون المعروف ببرج خنزيرة، وبستيوناً آخر المقابل لسلا، وبنى برج السراط[4] وصقالة ابن عيشة، وجدد قصبة مولانا الرشيد، وبنى بيت المال بالقصبة الكبيرة بالرباط، وأتى بالماء الجاري من عين عتيق، وبنى جامع السنة في وسط أگدال، ومساجد أخر معه وبنى باب الرواح وبنى باب الحديد المقابل لداره، وبنى داره بأكدال برباط الفتح، وبنى ما فسد من قنطرة سبو[5] بجملته، وغير ذلك.

---

(1) باب الجيسة أو باب عجيسة نسبة الى الأمير عجيسة بن دوناس المغراوى، أحد ملوك زناته فى القرن الخامس الهجري، ثم أسقط الناس حرف العين من عجيسة وجعلوا الألف واللام عوضاً عنها؛ فقالوا: باب الجيسة كما هو معروف. انظر: روض القرطاس، لابن أبي زرع، ص: 42.

(2) الجَلْز: الطيّ واللّيّ، وكلّ عقد عقدته حتى يَستدير فقد جَلَزْتَه، والجَلْزُ والجِلازُ العَقَب المشدود في طرف السوط. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 5/ 322 مادة (جلز).

(3) الصويرة: ميناء ومدينة كانت في الأصل جزيرة ثم اتصلت بالشاطئ، ويفصل المدينة عن الداخل حاجز من الكثبان الرملية، وقد أنشأها السلطان العلوي محمد بن عبد الله لتكون ميناء بالقرب من عاصمته مرَّاكش، وهي تضم تضم جماعات تمنار وأيت ظلطن، وأقرمود، وأيداد، وكرض، والمرامر والتوابت وتاكاط وأيت داود، وإيمكراد، والكريمات، وتكناقة وغيرها. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 297، وجغرافية المدن المغربية، لحسان عوض، ص: 56.

(4) من أهم الأبراج التي أقيمت للدفاع عن الشاطئ، يبعد عن مصب أبي رقراق وبني فوق صخرة في الشمال الغربي من مقبرة العلو، وتوجد عليه كتابة تؤكد أنه بني عام 1189هـ. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 306.

(5) سبو: هو ثاني أنهار المغرب أهمية بعد نهر أم الربيع، ينبع ماؤه من الأطلس المتوسط ويسير متعرجا متحنشا في اتجاه غربي شمالي غربي، ثم في اتجاه جنوبي حتى يصب في المحيط الأطلسي عند قرية المهدية، وتمده روافد قوية منها وادي يناون، ووادي اللبن، ووادي ورغة، ووادي بهت، وهو يحاذي فاس من الجهة الشرقية، وقنطرة سبو ابتدئ بناؤها في الخامس عشر من شهر جمادى الثانية سنة 1080هـ. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 149.

والصحيح والله أعلم أنه توفي يوم الأحد الخامس والعشرين من رجب المذكور بين وادي الشراط ووادي يكم، في عين الحمارة رَحِمَهُ اللَّهُ، وحملوه إلى داره في القبة التي دفن بها ليلة الاثنين، وفي الليل حمل قادوس المال الذي كان معه، وأدخله للرباط ودسَّه عند بعض أهل الرباط، وفي صبيحة يوم الاثنين انتشر خبر موته في الرباط وفي سلا.

وكان صاحب السلطان وهو محمد بن عياد الدغمي، دخل على السلطان فوجده ميتاً، فسلَّ من إصبع يده اليسرى خاتماً عليه حجرة نفيسة، وركب على فرس من خيل گادة السلطان وخرج هارباً لقبلية الدغمة لإخوانه؛ فالتقى بالصباح واردين بالهدية من خيل عتاق ونياق؛ فأخبرهم بموت السلطان فانقلبوا راجعين فوجدوا قافلة من إبل الشاوية حاملين الزرع أتوا به للرباط فأغاروا على إبل الشاوية، وتركوا الزرع مطروحاً على الأرض ومروا لإخوانهم بتلماغت.

وأما أهل الرباط وسلا، فاجتمعوا بالفقهاء والعلماء والشرفاء والطلبة، وطلعوا لدار السلطان وأخذوا في حفر قبره وغسلوه وكفنوه، وصلى عليه الفقيه سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي مع الفقهاء، والعلماء، ودفن رَحِمَهُ اللَّهُ، عشية يوم الاثنين السادس والعشرين من رجب عام أربعة ومائتين وألف، انتهى من تاريخ الضعيف باختصار.

*** [62] محمد المسناوي مرينو الأندلسي[1] (المتوفى سنة 1207هـ)**

معدل الرباط، وموقت جامعه الأعظم، الشيخ الفقيه، الفرضي، المؤرخ، المعجم، الحيسوبي.

كذا وقفت على تحليته، وهو من أجل تلامذة شيخ الرباط أبي العباس الغربي الكبير، أخذ عنه علوماً جمة، ولازمه في الأخذ مدة مديدة، إلى أن صار معدوداً من الأئمة.

وكان مولعاً بالتقييد، جامعاً بين الطريف والتليد، ولا سيما في علم التاريخ، وناهيك بتاريخه في حوادث الدولة العلوية، الذي رتبه على مقتضى حدوثها بحسب الشهور والأعوام، وهو الذي ينقل عنه في تاريخه أبو عبد الله الضعيف الرباطي.

وله مؤلف آخر في تقدير فرض النفقات وضعه بعمل الرموز والأرقام، مرتباً على أطوار حياة المنفق عليهم، إلى تقاييد أخرى في علم الفلك وغيره.

وكان المترجم في الدولة الثالثة للمولى عبد الله متوظفاً بمشرع الرملة، أخبر بذلك عن

---

(1) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لعبد السلام ابن سودة: 1/ 74، والأعلام، للزركلي: 7/ 97.

نفسه فقال: "كنت بمشرع الرملة حين بويع السلطان مولانا زين العابدين بها، قال وفي تلك السنة كان ابتداء الوباء بمشرع الرملة، فلما رأيت ذلك انتقلت منها لمقري برباط الفتح، حرسه الله"(1). انتهى بنقل الضعيف.

وقال في موضع آخر:

"وفي سنة 1152هـ كان الفقيه المؤرخ الحاج المسناوي مرينو الرباطي الأندلسي، بمشرع الرملة، وكانت بيعة أمير المؤمنين السلطان الإمام مولانا عبد الله ابن السلطان الإمام الهمام، مولانا إسماعيل ابن الشريف الحسني، في رقاب الناس من يوم ولي أولاً سنة إحدى وأربعين ومائة وألف، إلى هذا العهد الذي ولاه الله، وذلك في اليوم الخامس عشر من ذي القعدة من عام 1152هـ وهي البيعة الثالثة.هـ(2).

وكان بعد هذا مكلفاً برصد الأوقات بالجامع الأعظم في الرباط كما أخبر بذلك عن نفسه في تاريخ حوادث عام 1161هـ، قال:

"إنه في ليلة السبت أول يوم من رجب عام التاريخ المذكور انقض نجم عظيم في ناحية المغرب، أضاءت منه الآفاق وذلك وقت العشاء، وكنا في ملازمة درس الفقيه السيد أحمد بن عبد الله الغربي، أبقاه الله في الزاوية الناصرية، نقرأ عليه شفاء عياض نفع الله به، وكنت أرصد الأوقات بالمسجد الأعظم برباط الفتح أمنه الله"(3). انتهى كلامه بنقل الضعيف أيضاً.

ثم عين في تاريخ 1174هـ من بين العدول في خراج المرسى على يد رئيسها الحاج عبد الرحمن برگاش، ولم يزل هكذا متقلبا من وظيف إلى وظيف مرموقا بعين التكريم والتشريف إلى أن توفي بمقره من الرباط عام 1207هـ، رضوان الله عليه.

*** [63] محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل السجلماسي الفيلالي، العيشاوي، نسبة إلى أمه عائشة، البجعدي، المدعو الرباطي الشريف الحسني (المتوفى سنة 1214هـ)(4)**

خاتمة الفقهاء المجتهدين، والعلم الشهير من أئمة الدين، كان فرد وقته علماً وفقهاً واجتهاداً ونسكاً وورعاً، ودرساً وإفتاءً، وكان يأخذ على الفتوى موزونة فقط، أي ربع درهم، ومن زاده شيئاً يرده عليه، ولا يقبله، وإنما ساغ له أخذ ما ذكر لأنه كان لا يأخذ شيئاً

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 273.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 231.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 270.

(4) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 6/ 155، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 92، والأعلام، للزركلي: 7/ 8.

من بيت المال كما حكاه الشيخ أبو السعود الكتاني في رحلته البربرية.

قال: وبلغ مبلغاً عظيماً في العلم من غير كثرة قراءة إلا نظرة شيخه سيدي المعطي بن صالح إنه كان له فيه اعتقاد كبير.

ولما كلفه السلطان بأعمال الركاب للرباط بقصد إقراء العلم به امتثل وأنشد قصائد يتشوق بها لرؤية الشيخ منها قصيدته التي أولها:

إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ يَا رِجَالَ أَبِي الْجَعْدِ...إلخ

إلى أن رده الله إلى أبي الجعد؛ فبقي هناك إلى أن توفي بها ودفن خلف قبر الشيخ سيدي المعطي، كما كان يؤمل من الله. اهـ.

وصرح الشيخ أبو إسحاق التادلي الرباطي في بعض إجازاته أن المترجم صلى بالشيخ سيدي المعطي عشرين سنة وإنما دعي الرباطي لكونه استوطن الرباط مدة مديدة، حتى صار ينسب إليه.

وكانت سكناه بالدويرة الركنية التي أمام حمام القصري، ويوجد ببعض الوثائق المكتوبة على كتب الأحباس التي حبَّسها السلطان سيدي محمد بن عبد الله على ثغر الرباط لينتفع بها من هو أهل لها أنه يشترط أن تكون تلك الكتب على يد صاحب الترجمة ما دام مقيما بالثغر المذكور.

وأخذ عنه فيه جماعة منهم أديب الرباط أبو عبد الله السيد محمد بن التهامي بن عمرو، ومفتيه الفقيه السيد المكي البناني، ومؤرخه السيد محمد بن عبد السلام الضعيف وغيرهم.

ومن أعظم تلامذة المترجم فخر سلاطين المغرب وعالمهم السلطان أبو الربيع كما ذكره أبو القاسم الزياني في كتابه "جمهرة التيجان وفهرسة اللؤلؤ والياقوت والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ مولانا سليمان"(1)، قال عند عد شيوخه ما نصه:

"الحادي عشر شيخه الكبير، وأستاذه الشهير، فقيه الأقدمين، وقدوة المهتدين، سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي أصلاً، التادلي نزيل رباط الفتح، أخذ عنه علوما جمة وأجازه إجازة عامة". اهـ.

وذكر بعد هذا نص إجازته للسلطان وهي: "الحمد لله الذي جعل الصلاة على حبيبه

---

(1) هو كتاب: "جوهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في الملوك العلويين وأشياخ مولانا سليمان"، لأبي القاسم بن أحمد الزياني، الفاسي، المؤرخ الكاتب وزير الدولة المغربية وسفيرها. انظر: فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 313.

دلائل الخيرات، وقراءة حديثه طلائع المسرات، وبعد، فقد أمرني مولانا الإمام العدل الهمام المؤيد بنور التوفيق السالك في سيرته الحسناء أقوم طريق، السلطان ابن السلطان أمير المؤمنين سيدنا ومولانا سليمان ابن سيدنا محمد ابن أمير المؤمنين مولانا عبد الله أعلى الله مآثره، وأبقى على مر الزمان مفاخره، أن أجيزه في قراءة دلائل الخيرات، وفي كتب الحديث المتداولة النيرات، فقلت مستعيناً بالله، أجزت سيدنا نصره الله في جميع ما ذكر، على وفق ما به أمر، أما قراءة دلائل الخيرات فبطرق أقربها وأجلها رواية شيخنا العلامة أحمد سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي الفلالي، عن الولي الصالح العارف بالله سيدي العربي التلمساني دفين مصر، عن النبي ﷺ يقظةً ومناماً، كما ذكر لنا عنه شيخنا المذكور قال لي: وهو الورد الذي كان يُلَقِّن أصحابه بشرط المواظبة عليه أو على ما تيسَّر منه كل يوم، ولو ثلاث ورقات عند عروض شغل، وأما كتب الأحاديث الشهيرة فبرواية شيخنا التي هي في فهرسته مسطورة، إجازة تامة.

وأسأل الله تعالى القوي المعين، أن يفتح على سيدنا المنصور في ذلك كله المفتح المبين، وينيله كل ما أراد ويصلح به البلاد والعباد، والمرغوب من سيدنا الإمام أن يدعو لعبده بحسن الختام، والسلام، وكتب في السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة اثني عشر ومائتين وألف، خديم بيت النبوة محمد بن أبي القاسم الفلالي، كان الله له". اهـ.

ومن أجل تلامذته أيضاً الشيخ سيدي عمر بن المكي الشرقي، وسيدي العربي بن المعطي بن صالح الشرقي، وسيدي العربي الدمناتي، وسيدي العربي بن سودة.

وأما شيوخه فمن أجلهم سيدي المعطي بن صالح السابق ذكره، وأبو العباس الهلالي، وأبو الحسن علي بن رحال المعداني، وأبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن إلى غير هولاء من شيوخه.

ويكفي في فضله وعظم مكانته ما ذكره في "أوضح المسالك وأسهل المراقي"[1] في ترجمة العلامة الشيخ التاودي بن سودة رحمه الله من أنه أي الشيخ التاودي المذكور حاز رياسة فاس والمغرب كله، قال: "ولا أعلم أحداً الآن ممن ينتمي للعلم بالمغرب إلا وله عليه منة التعليم، إما بواسطة وإما بغير واسطة، وإمّا بهما معاً إلا العلامة المتفنن سيدي محمد بن قاسم الفلالي

(1) هو كتاب: "أوضح المسالك وأسهل المراقي إلى إبريز الشيخ عبد الباقي"، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد الرهوني، نشأ وتعلم بفاس وكانت أكثر إقامته بوزان، وفيها توفي سنة 1230هـ والكتاب المذكور حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل في الفقه وقد طبع مع الشرح في ثمانية أجزاء.

القاطن الآن بزاوية سيدي المعطي بن الصالح". اهـ.

ومن تآليفه شرحه الحفيل العجيب للعمل الفاسي الذي أكثر فيه من محرر النقول، ومستهل الطريق به لمن يريد الوصول وبلوغ المأمول، وقد رأيت بخط بعض تلاميذه من أهل الرباط وهو أبو عبد الله الضعيف المتقدم الذكر ما مضمنه:

"صليت يوم الخميس السابع والعشرين من ربيع النبوي عام ثلاث ومائتين وألف صلاة الظهر في الجامع الكبير، مع شيخنا الفقيه أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي فسألته عن شرحه على العمل الفاسي هل رآه الفقيه العميري، فقال لي سمع به فبعث إليه فلم يساعدني الحال إلى أن وفد إلى أبي الجعد، فلما التقيت معه طلب مني الشرح المذكور، يبيت عنده ليلة، ومن الغد يسافر فأعطيته له وبات عنده، والغد أقام لأجله نهاراً ينظر فيه، وعند العصر ذهبت إليه فوجدته أمامه منشوراً، ثم أجازني وقال: والله إن كنت قريباً مني فلا نبرم حكماً إلا واستشرت معك فيه، والله والله والله ثلاثاً". اهـ[1].

ومنها شرحه لنظمه الكبير لما جرى به العمل مطلقاً، أي في أي بلد، ويقال له العمل المطلق وهو مطبوع[2]، ومنها نظمه العجيب في التصريف المسمى مبلغ الآمال[3]، وشرحه عليه المسمى مفتاح الأقفال ومزيل الإشكال عما تضمنه مبلغ الآمال من تصريف الأفعال[4]، ومنها كتاب اليواقيت الثمينة في أصول مذهب عالم المدينة[5]، ثم مؤلف له في الشفق ونوازل فقهية حافلة في مجلد ضخم جمعها بعض تلامذته، وفي نوازل تلميذه الفقيه السيد المكي البناني الرباطي يوجد ذكر لكثير من فتاويه الفقهية، كما يوجد بعضها في حواشي التحفة والنوازل الصغرى والكبرى لشيخنا مفتي الديار المغربية سيدي المهدي الوزاني، الفاسي رحم الله الجميع.

---

(1) لم أقف على عبارة الضعيف كما ذكرها المصنف في "تاريخ الدولة السعيدة" فلعلها من مقيداته في مؤلف آخر لم نقف عليه، خاصة وأن بوجندار ﷺ عقب عليها بقوله: (من خطه).

(2) الشرح المذكور هو: "فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد" شرح فيه المصنف منظومته فيما جرى العمل به مطلقاً عند المالكية، ونسخ المنظومة وشرحها كثيرة في المغرب لا تخلو منها خزانة عامة أو خاصة.

(3) هي أرجوزة: "مبلغ الآمال لطالبي التصريف في الأفعال" توجد منها نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (517 د) وأخرى تحت رقم (1857د) بالخزانة العامة بالرباط.

(4) هو كتاب: "مفتاح الأقفال ومزيل الإشكال عما تضمنه مبلغ الآمال في تصريف الأفعال"، توجد منه نسختان مخطوطتان تحت رقمي (287 د) و(949د) بالخزانة العامة، وثالثة بالخزانة الحبسية التابعة للمجلس العلمي الإقليمي لولاية الدار البيضاء تحت رقم (و: 55).

(5) هو كتاب: "اليواقيت الثمينة فيما انتمى لعالم المدينة" وهو نظم طويل في الأشباه والنظائر الفقهية.

وللمترجم ذكر في فهرسة الكوهن والروضة المقصودة لأبي الربيع الحوات وتاريخ الدولة العلوية لأبي عبد الله الضعيف الرباطي، ومما أفاده هذا الأخير أن صاحب الترجمة كان يوجد في الرباط قائماً بالتدريس ونشر العلم أواخر القرن الثاني عشر وأوائل الثالث عشر، وأنه ختم بالرباط كتاب الفتوحات الإلهية تأليف السلطان سيدي محمد بن عبد الله عام 1201هـ، يوم الخميس متم جمادى الثانية، وابتدأ البخاري يوم الاثنين رابع رجب الفرد عامه[1]، وابتدأ سرد البخاري المرة الثانية يوم الجمعة الثالث رجب عام 1204هـ[2]، وختم مرشد ابن عاشر[3] في الثاني عشر من رمضان العام المذكور، وفيه وقف على ختم البخاري وذكر الضعيف في سبب خروجه من الرباط، أن صهره سيدي العربي بن المعطي طلب من السلطان إخراجه منه وأن يأمره بالسكنى في بجعد فأجابه السلطان وكتب للفقيه ابن أبي القاسم أن يقوم بالرباط وأن يأتي لبجعد بعياله ليسكن فيه، وأمر عبد الله بركاش أن يدفع للفقيه مائة مثقال، وكان تاريخ ورود كتاب السلطان مع القاوزي يوم السبت التاسع عشر من شوال عام 1204هـ.

قال: وكان الفقيه لا يريد الخروج من الرباط، ثم طالبناه إتمام الزقاقية، وقد كان قطعها خوفاً من أمير المؤمنين سيدي محمد رَحِمَهُ اللهُ، لأنه قطع قراءة خليل وغيره، فبدأ الفقيه المذكور إتمام الزقاقية يوم الأحد المتم عشرين من شوال، انتهى كلامه[4].

وبعد هذا التاريخ كان انتقال صاحب الترجمة من الرباط إلى بجعد حيث كانت وفاته بالوباء هناك ليلة الأربعاء السابع والعشرين من رمضان عام 1214، سقى الله ثراه.

ومن آثاره بالرباط فتح الجليل الصمد في شرح التكميل والمعتمد، المعروف بالعمل المطلق، والمدعو بالعمل الرباطي، لكون نظمه كان بالرباط، وهو النظم الذي أشرنا إليه آنفاً، من بين تآليفه ومن شعره قوله متوسلا بأهل بدر:

الْحَمْدُ للهِ مُجِيبُ الدَّاعِي ... وَمُذْهِبُ الأَسْقَامِ والأَوْجَاعِ
وَمُجْزِلُ الْخَيْرَاتِ والإِحْسَانِ ... ومُكْثِرُ الْفَضْلِ والامْتِنَانِ

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 356.

(2) المصدر السابق: 1/ 371.

(3) المصدر السابق: 1/ 386.

(4) انظر: المصدر السابق: 1/ 389.

ثُمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ السَّرْمَدِي   عَلَى الرَّسُولِ الْمُصطَفَى مُحَمَّدِ
وَآلِهِ وصَحْبِهِ الْكِرامِ   مَا دَامَ ذُو الْجَلالِ والإِكْرَامِ
وَبَعْدُ لَمَّا لاحَتِ الأَهْوَا لِي   فَكَثُرَتْ مِنْ أَجْلِهَا أَهْوَالِي
وَصِرْتُ مِنْ هَمِّي وشُغْلِ بَالِي   بِأَوْكَدِ الأُمُورِ لا أُبَالِي
رَأَيْتُ أَنِّي لَيْسَ لِي إلا اللَّجَا   لِمَنْ بِهِ مِنِّي عَلَقْتُ الرَّجَا

وهي طويلة تشتمل على نحو الثلاثمائة، وله أيضاً:

رَفَعْتُ أُمُورِي لِرَبٍّ رَحِيمْ   عَطُوفٍ رَؤُوفٍ غَفُورٍ حَلِيمْ
عَسَاهُ يُفَرِّجُ لِي كُرْبَتِي   ويَكْشِفُ مِمَّا بِصَدْرِي مُقِيمْ
وَيَرْفِقُ بِي ويَرَى حَالَتِي   ويَرْحَمُنِي فَهْوَ بَرٌّ رَحِيمْ
وَيَرْحَمُ أَهْلِي بِعَوْدِي لَهُمْ   بِوَجْهٍ طَلِيقٍ وثَغْرٍ بَسِيمْ
وَيَسْمَحُ لِي ولَهُمْ بِاللُّقَا   فَإِنَّ الْبِعَادَ عَذَابٌ أَلِيمْ
وَيَجْمَعُ شَمْلِي بِهِمْ عَاجِلاً   ويُرْجِعُنِي لِمَكَانِي الْقَدِيمْ
فَمَا مَنْ يُعَامِلُنِي بِالرِّضَا   سِوَاهُ عَلَى سُوءِ فِعْلِي الذَّمِيمْ
لَقَدْ طَالَمَا عِشْتُ فِي نِعْمَةِ الْـ   ـخُمُولِ عَلَى مَنْهَجٍ مُسْتَقِيمْ
إِلَى أَنْ عَرَانِي مِنَ الأَمْرِ مَا   يُحَيِّرُ عَقْلَ الْفَطِينِ الْفَهِيمْ
غَدَاةَ نَوَيْتُ النَّوَى ضَحْوَةً   ووَدَّعَنِي الْخِلُّ وهْوَ كَظِيمْ
وَأَسْلَمَنِي لِنُفُوذِ الْقَضَا   وأَهْلِي وكُلُّ وَلِيٍّ حَمِيمْ
فَصِرْتُ بِمَا اكْتَسَبَتْهُ يَدِي   مِنَ الذَّنْبِ فِي كُلِّ وَادٍ أَهِيمْ
وَغُرِّبْتُ عَنْ وَطَنِي زَمَناً   فَقَلْبِي عَلِيلٌ وجِسْمِي سَقِيمْ
وَلَمَّا رَمَانِي زَمَانِي بِمَا   يُشِيبُ مِنَ الْكَرْبِ رَأْسَ الْفَطِيمْ
تَلَقَّيْتُهُ بِجَمِيلِ الرِّضَا   مَعَ الصَّبْرِ إِذْ هُوَ سَيْفٌ صَرِيمْ
وَقُلْتُ لِنَفْسِيَ لا تَجْذَعِي   لِهَوْلِ الْخُطُوبِ الْمُلِمِّ الأَلِيمْ
وَلا تَرْتَجِي الْعَفْوَ مِنْ غَيْرِ مَنْ   عَلَيَّ لَهُ كُلُّ فَضْلٍ عَمِيمْ
هُوَ اللهُ مِنْ وَصْفِهِ أَنَّهُ حَلِيمٌ   رَفِيقٌ بِحَالِي عَلِيمْ
يُصِيبُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ   فَسُبْحَانَهُ مِنْ عَزِيزٍ حَكِيمْ

عَلَيْهِ اعْتَمَدْتُ إِلَيْهِ اسْتَنَدْ ... تُ فِي كَشْفِ ظُلْمَةِ لَيْلِي الْبَهِيمْ
وَأَيْقَنْتُ أَنْ لَيْسَ يَنْفَعُنِي ... سِوَى الابْتِهَالِ لِرَبِّي الْكَرِيمْ
فَوَجَّهْتُ وَجْهِي لَهُ مُخْلِصاً ... إِلَيْهِ الدُّعَاءَ بِقَلْبٍ سَلِيمْ
وَقُلْتُ إِلَهِي اسْتَجِبْ دَعْوَتِي ... فَأَنْتَ الْمُجِيبُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمْ
لَقَدْ مَسَّنِي الضُّرُّ رَبِّي وأَنْـ ... ـتَ أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ عَبْدٍ رَحِيمْ
فَصُنْ عَبْرَتِي وَأَقِلْ عَثْرَتِي ... وقَصِّرْ مَدَى غَيْبَتِي يَا كَرِيمْ
وَخُذْ بِيَدِي واصْرِفَنْ كَمَدِي ... فَقَدْ أَوْهَنَ الْهَمُّ الْعَظْمَ[1] الرَّمِيمْ
وَخِفْتُ الْهَلاكَ فَأَنْعِمْ عَلَى ... بَنِيَّ بِإِحْيَاءِ رَوْضِي الْحَشِيمْ
وَأَنْعِشْ حَيَاتِي بِرُؤْيَتِهِمْ ... فَلا عَيْشَ لِي دُونَهُمْ يَسْتَقِيمْ
وَبَرِّدْ بِهِمْ جَوَّ نَارِ الْهَوَى ... عَنِ الْقَلْبِ فَهْيَ كَنَارِ الْجَحِيمْ
وَقَدِّرْ إِلَيَّ الرُّجُوعَ لَهُمْ ... بِأَمْنٍ وعَافِيَةٍ لا تَرِيمْ
ورِزْقٍ حَلالٍ نَعِيشُ بِهِ ... هَنِيٍّ ونَحْنُ كَعِقْدٍ نَظِيمْ
وَمَهِّلْ لِسُلْطَانِنَا الْمُلْكَ كَيْ ... تُصَانَ دِمَانَا بِهِ والْحَرِيمْ
وَوَفِّقْهُ لِلْخَيْرِ وارْحَمْ بِهِ ... ضَعِيفاً ومِسْكِينَا ثُمَّ الْيَتِيمْ
وَقُدْ واهْدِ وَاجْمَعْ إِلَيْهِ الْقُلُوبْ ... بحُبٍّ صَحِيحٍ ووُدٍّ صَمِيمْ
وَهَيِّئْ بِخِدْمَتِهِ سَائِرَ الرَّ ... عِيَّةِ مَخْدُومِهَا والْخَدِيمْ

* [64] السيد محمد بن مسعود الشياظمي[2]

تلميذ سيدي محمد بن عبد العزيز الهلالي، وشيخ سيدي أحمد بن الطاهر[3] المترجم سابقًا، وأحد أصحاب سيدي المعطي بن صالح صاحب الذخيرة.

ولا أعرف في ترجمته سوى هذا القدر، استفدته من ثبت القاضي أبي عبد الله البريبري لمَّا أجرى ذكره فيه على أنه من شيوخ العلم في الرباط الذين قرأ عليهم سيدي أحمد بن الطاهر المذكور، أحد مشايخ والده القاضي أبي زيد البريبري رحم الله الجميع.

---

(1) كذا في (ح1)، ولا يستقيم به وزن البيت ولو قال: (فقد أوهن الهم عظمي الرميم) لاستقام الوزن.

(2) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 61.

(3) انظر ترجمته برقم (23) ص: 65.

* [65] القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الغربي[1] (المتوفى سنة 1218هـ)

هو القاضي أبو عبد الله محمد ابن العلامة الإمام السيد أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي، الدكالي، ثم الرباطي، ذكره سيدي سليمان الحوات من جملة من أخذ عن الشيخ بناني وحلاَّه بقوله: "العلامة الحجة الدهقان الحافظ، قاضي رباط الفتح أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام الراوية الصالح أحمد بن عبد الله الغربي، الدكالي، المحتد الرباطي المنشأ والمولد، أيدني الله وإياه بالتقوى وصدق الوجهة في السر والنجوى" انتهى بلفظه.

كان المترجم من جهابذة العلماء الحاملين راية التدريس والإفتاء، وقد علمت أنه ممن تداول بالرباط خطة القضاء، كما أنه في آخر عمره ولي على دكالة، كان السلطان مولاي سليمان أمره بالذهاب إليها مع رفيقه الفقيه المير السلاوي، برسم أن يعملا عليها أربعة عمال الأرباع، وذلك أواخر ذي الحجة عام أربعة عشر ومائتين وألف، ثم ولاه عليها قاضياً آخر السنة التي بعدها، وجلس للحكم بها أول عام ستة عشر ومائتين حسبما في تاريخ أبي عبد الله الضعيف[2].

كان في أول أمره من خواص العلماء الملازمين لمجلس السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذين كانوا يقرؤون معه الحديث ويؤلفون له طبق إشارته، وعلى مقتضى ما كان يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق، كمسند الإمام أحمد ومسند أبي حنفية وغيرهما كما في كتاب الاستقصا وتاريخ الجيش العرمرم، لأكنسوس وعلى قدر هذه الألفة التي كانت بينه وبين السلطان سيدي محمد كان من الأنفة بينه وبين السلطان مولاي سليمان حتى إنه مراراً هم بالبطش به، وفي المرة الأخيرة كتب بكتاب خاص لأهل الرباط في شأنه، تُلِيَ على منبر المسجد الأعظم فإذا مضمنه التهديد عليه بالنفي من الرباط، والأمر بملازمة داره، ومنعه من الخروج والتدريس والإفتاء، وإعطاء الإذن لعامل الرباط القائد السيد المكي بركاش ليفتك به إن لم يمتثل إلى أن تَشفَّعَ فيه العامل المذكور، وحضرا معاً لدى السلطان بفاس، عند ذلك عفا عنه وصفح وكلفه بالذهاب لدكالة مع الفقيه المير كما ذكرنا.

والحاصل أن صاحب الترجمة كان من أجلِّ علماء الرباط، ومن مفاخرهم، وخزانة كتبه وكتب والده كانت عديمة النظير، وكان يضرب بها المثل في الرباط، بل في المغرب، على ما

---

(1) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف، ص: 23، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 98. وقد ذكره السملالي في ترجمة السلطان محمد بن عبد الله العلوي وأشار إلى أنه كان من مستشاريه العلماء، وحلاه بقوله: العلامة الحجة. انظر: الإعلام، للسملالي: 6/ 116.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 583.

يذكر، ولكنها اليوم ويا للأسف قد هبت عليها رياح الضياع، ولعبت بها أيدي الأيام، وفرقتها شذر مذر.

وقد جلس المترجم للقضاء في مجلس الأحكام بالرباط يوم السبت تاسع وعشرين شعبان عام تسعة من القرن الثالث عشر، ثم أخر في السادس والعشرين من جمادى الثانية عام أربعة عشر، كما في تاريخ أبي عبد الله الضعيف الرباطي[1].

توفي رَحِمَهُ اللهُ بعد رجوعه من دكالة عام ثمانية عشر ومائتين وألف، ودفن مع والده المقدس بزاويتهم الشهيرة بالنسبة إليهم، التي أدار ديرها وشيد قبتها الرئيس الشهير السيد المعطي بريطل، على ما يقال. وهي التي بإزاء ضريح ولي الله مولاي إبراهيم الشريف، صارت اليوم مكتبة للصبيان، يتعلمون فيه القرآن، وفي رثائه قال تلميذه العلامة الأديب الشهير ابن عمرو:

بِمَا شِئْتَ حَدِّثْ عَنْ فَظَاعَةِ ذَا الْخَطْبِ ... وَسَلْسِلْ نَثِيرَ الدَّمْعِ كَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ
وَثَابِرْ عَلَى التَّأْبِينِ تُوَفِّي حُقُوقَ مَنْ ... يُرَاعَى لَهُ حَقُّ الصَّدَاقَةِ وَالْحُبِّ
وَرَوِّيَنْ أَقْطَارَ الأَبَاطِحِ وَالرُّبَا ... بِقَطْرِ دُمُوعٍ رَاسِيَاتٍ عَلَى السُّحْبِ
فَلا عُتْبَ فِي سَحِّ الدُّمُوعِ لِفَقْدِ مَنْ ... طَوَى وَلَمْ يَطْوِ لِخِلٍّ عَلَى عُتْبِ
وَصَارَ لِعَفْوِ اللهِ أَكْرَمَ صَائِرٍ ... تَقِيَّ نَقِيَّ السَّوْمِ مِنْ دَنَسِ الْعُتْبِ
أَتَتْهُ عَلَى فَجَا سِهَامُ مَنِيَّةٍ ... تُصِيبُ مَرَامِيهَا عَلَى الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ
إِذَا ذُرِفَتْ مِنَّا الشُّؤُونُ لِفَقْدِهِ ... تَوَهَّجَتِ الأَشْوَاقُ فِي دَاخِلِ الْقَلْبِ
لَكَ اللهُ مِنْ قَلْبٍ تَكَاثَرَ هَمُّهُ ... وَحَفَّتْ بِهِ الأَتْرَاحُ فِي كُلِّ مَا أَوْبِ
يُكَابِدُ أَهْوَالاً يَضِيقُ بِبَعْضِهَا ... رَحِيبُ الْفَضَا فَضْلاً عَنِ الصَّدْرِ وَالْجَيْبِ
أَبَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ حَبْراً مُهَذَّباً ... يُعَادِلُ أَلْفاً فِي غِنَائِهِ أَوْ يُرْبِي
أُصِيبَ بِهِ الإِسْلامُ طُرّاً وَلَمْ يَدَعْ ... بِذَا الْقُطْرِ مِنْ كُفْوٍ مُوَازٍ وَلا تِرْبِ
وَذَاكَ أَبُو عَبْدِ الإِلَهِ مُحَمَّدٌ ... سَلِيلُ أَبِي الْعَبَّاسِ ذِي الثَّنَاءِ الْغَرْبِي
أَخُو الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ وَالْحِلْمِ وَالتُّقَى ... وَذُو الْفَضْلِ وَالإِفْضَالِ وَالدَّرْءِ وَالْجَلْبِ
لَقَدْ أَغْمَدَتْ مِنْهُ الْمَنُونُ مُسْنَداً ... صَقِيلاً حُسَاماً فِي الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 462.

نَفِيسٌ مِنْ أَعْلاقِ الذَّخَائِرِ مُنْتَقَى — يَرُوقُ أَخَا الْهَيْجَاءِ فِي السِّلْمِ والْحَرْبِ
فَكَمْ غَامِضٍ أَعْيَا الْعُقُولَ عِلاجُهُ — جَلاهُ بِفَهْمٍ ثَاقِبٍ مَاضِيَ الْغَرْبِ
وَكَمْ وَجِمٍ وَافَاهُ فِي قَدِّ كُرْبَةٍ — وسَرَّحَهُ فَوْراً وأَسْرَعَ بِالإِرْبِ
وَكَمْ سَائِلٍ وقَدْ أَنَاخَ بِبَابِهِ — فَأَزْأَبَ مِنْهُ الشِّعْبَ فِي الْحِينِ بِالشَّكْبِ
وَكَمْ طَالِبٍ عِلْماً تَوَجَّهَ مُقْرِئاً — فَآبَ قَرِيرَ الْعَيْنِ مُلْتَئِمَ الشِّعْبِ
يَؤُمُّ نَزِيحُ الدَّارِ مَجْلِسَ دَرْسِهِ — فَيَرْجِعُ مَسْلُوَّ الرِّطَابِ وعَنْ قُرْبِ
فَيَا لَكَ مِنْ حَبْرٍ أَدِيبٍ مُهَذَّبٍ — فَسِيحِ مَجَالِ الْفِكْرِ فِي الْمُشْكِلِ الصَّعْبِ
عَهِدْتُكَ مَا بَيْنَ الأَرَائِكِ وَاثِباً — فَمَا لَكَ فِي الأَجْدَاثِ أَمْسَيْتَ ذَا وَثْبِ
أُنَادِي إِزَاءَ الْقَبْرِ بِاسْمِكَ هَاتِفاً — فَلَبِّ رَعَاكَ اللهُ دَاعِيكُمُ لَبِّ
فَيَا وَاحِدَ الأَوْحَادِ مَا لَكَ سَاكِتاً — كَأَنَّكَ عَنْ سِرِّ الْغَوَامِضِ لَمْ تُنْبِ
وَيَا مُنْتَهَى الْقُصَّادِ مَا لَكَ مُعْرِضاً — كَأَنَّكَ لَمْ يُلْمِمْ بِسَاحِكَ مِنْ رَكْبِ
لِيُهْنِيكَ ذَا الْبَيْتِ الْجَدِيدِ تَحُلُّهُ — سَعِيداً مُؤَمَّناً مِنَ الرَّوْعِ والرُّعْبِ
تُوَافِيكَ بِالرُّضْوَانِ فِيهِ مَلائِكٌ — وتَلْقَاكَ بِالْغُفْرَانِ فِي الْمَنْزِلِ الرَّحْبِ
أَقُولُ لِلَحْدٍ كَنَّهُ كَيْفَ كَنَّهُ — وفِي صَدْرِهِ بَحْرٌ مِنَ الْعِلْمِ واللُّبِّ
وَفِي بُرْدِهِ اللَّيْثُ الْهَصُورُ مُلَفَّعٌ — وفِي فَمِهِ الْعَضْبُ الْمُفَلِّلُ لِلْعَضْبِ
فَكَمْ فَلَّ مِنْ غَرْبٍ بِسَيْفِ يَرَاعِهِ — وكَمْ ضَرَّ مِنْ خِبٍّ وكَمْ سَرَّ مِنْ حِبِّ
فَلِلَّهِ مَا ضَمَّ الضَّرِيحُ ومَا حَوَى — مِنَ الْعِلْمِ والْعِرْفَانِ والْفَخْرِ والْحَسَبِ
وَمَا لَقِيَ الأَحْبَابُ يَوْمَ فِرَاقِهِ — مِنَ الْبَثِّ والأَحْزَانِ والثُّكْلِ والتَّبِّ
فَوَا أَسَفِي لِلْعِلْمِ أَجْدَبَتْ أَرْضُهُ — وكَانَتْ قُبَيْلَ الْيَوْمِ فِي غَايَةِ الْخَصْبِ
شَرِبْتُ أَبَا عَبْدِ الإِلَهِ سَبِيئَةً — تُدَارُ عَلَى الأَحْيَاءِ سِرْباً عَلَى سِرْبِ
عَجِبْتُ لِوُرَّادِ الْمَنُونِ تَسَابَقُوا — إِلَى وِرْدِهِ سَبْقَ الْمُهَطَّبَةِ الْقَبِّ[1]

---

(1) القب هو: الخَرْقُ الذي في وَسَط البَكَرة من البئر، وقيل: هو الخشبة التي فوق أسنان المَحالة، وقيل: هو الخَشَبَةُ المَثْقوبة التي تدور في المِحْوَر، وقيل: القَبُّ الخَشَبة التي في وَسَط البَكَرة وفوقها أسنان من خشب. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 1/ 657، مادة (قبب).

وَمَــا اسْــتَعْذَبَتْ طَبْعــاً مَذَاقَــةَ شُــرْبِهِ ... ومَـا انْـفَكَّتِ الْـوُرَّادُ فِيـهِ عَـنِ الْعَـبِّ[1]
وَلَــمْ تُعِــبُ الـسُّبَّاقُ يَوْمــاً شَــرَابَهُ ... فَـمِنْ أَيْـنَ لِـلُّحَاقِ عَـذْلٌ عَـنِ الشُّرْبِ
تَـسَاوَى الْحَقِيـرُ النَّـذْلُ فِـيهِمْ وذُو الثَّـنَا ... فَـلا فَـرْقَ بَـيْنَ النَّقَـدِ والأُسْـدِ الغُلْـبِ[2]
فَلَوْ كَانَ حَـيٌّ فِـي الأَنَـامِ مُخَلَّـداً سَـلِمْتَ ... ولَـمْ يَنْـشَبْ بِـكَ الْحَتْـفُ مِـنْ خِلْـبِ
نَجَـوْتَ بِمَـا يُثْنِـي عَلَيْـكَ ذَوُو النُّهَـى ... لَـوَ أَنَّ الـثَّنَاءَ الْـحَقَّ يُنْجِـي مِـنَ النَّحْـبِ
ذَهَبْـتَ وعَـرْفُ الْفَـضْلِ بَعْـدَكَ فَـائِحٌ ... فَـوْوحٌ فَتِيـتُ الْمِـسْكِ والْمَنْـدَلِ الرَّطْـبِ
فَكُنْـتَ وأَنْـتَ الْمَيِّـتُ حَـيًّاً مُـبَجَّلاً ... وضِـدُّهُ فِـي الأَحْـيَاءِ مَـيِّتٌ بِـلا رَيْـبِ
بِحَقِّـكَ حَـبِّرْنِي لِمَـنْ تُـورِثُ الْعُـلا ... وقَـدْ حُـزْتَهَا بِـالإِرْثِ حَقّـاً وبِالْكَـسْبِ
لَقَـدْ ثَكَلَـتْ مِنْـكَ الْفَتَـاوَى مُـحَقِّقاً ... يُجِيـدُ إِذَا يُـمْلِي ويُحْـسِنُ فِـي الْكَتْـبِ
فَمَـنْ لِلْفَتَـاوَى الغُـرِّ يَـرْقُمُ طِـرْسَهَا ... بِمَـشْهُورِ أَقْـوَالِ الأَئِـمَّةِ فِـي الْكُتُـبِ
وَمَـنْ لِعَـوِيصِ الْعِلْـمِ يُظْهِـرُ سِـرَّهُ ... ويَرْفَـعُ عَـنْ مُعَـزَّاهُ مُنْـسَدِلَ الْحُجْـبِ[3]
فَـصَبْراً بَنِـي الْغَرْبِـيِّ صَـبْرَ ذَوِي النُّهَـى ... فَـإِنَّ جَمِيـلَ الـصَّبْرِ يُحْمَـدُ فِـي الْعُقْـبِ
وَقُومُــوا بِأَعْبَــاءِ الــشَّرِيعَةِ بَــعْدَهُ ... تَفُـوزُوا بِرِضْـوَانِ الْكَـرِيمِ مَـدَى الْحِقْـبِ
فَــلا كَــانَ يَوْمُــهُ الْكَرِيــهُ سَــمَاعُهُ ... فَـكَمْ خَـانَ مِـنْ صَـبْرٍ لَدَيْـهِ ومِـنْ لُـبِّ
وَكَــادَتْ لَــهُ الأَفْــلاكُ تَــهْوِي تَأَسُّــفاً ... وتَـنْقَضُّ فِـي الأَحْـلاكِ مُـشْرِقَةَ الـشُّهْبِ
فَلَـوْ كَـانَ بِـالْوِرْقِ الـصَّوَادِحِ مَـا دَهَـا ... لَـعَاقَ مُـغَنَّاهَا عَـنِ النَّـوْحِ والنَّـدْبِ
عَلَيْـهِ سَــلامُ اللهِ مَــا هَــبَّتِ الــصَّبَا ... وحَـيَّا الْحَيَـا الْغَرْبِـيُّ لِلـشَّرْقِ والْغَـرْبِ
وَأَزْكَـى صَـلاةِ اللهِ ثُـمَّ سَـلامِهِ عَـلَى ... سَـيِّدِ الْكَـوْنَيْنِ والْعُجْـمِ والْعَــرْبِ
مُحَمَّــدِ الْمُخْتَــارِ مِــنْ آلِ هَــاشِمٍ ... وأَزْوَاجِــهِ طُــرًّا وَآلِــهِ والــصَّحْبِ

---

(1) العَبُّ هو: شُرْبُ الماء من غير مَصٍّ، وقيل: أن يَشْرَبَ الماءَ ولا يَتَنَفَّس. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 1/ 572، مادة (عبب).

(2) النَقَدُ بالتحريك: جِنْس من الغَنَم قِصار الأَرْجُل قِباح الوُجوه، ويقال: هو أَذَلُّ من النقَد. وأُنْشِدَ:

رُبَّ عَـــديمٍ أَعَـــزُّ مِـــنْ أَسَـــد ... ورُبَّ مُثْـــرٍ أَذَلُّ مِـــنْ نَقَـــد

انظر: لسان العرب، لابن منظور: 3/ 425، مادة (نقد).

(3) مُعزَّاه أي: منقوله، وما عُزِي في نقله إلى مصدره، ويشير إلى معرفة أماكن النقل وإن أخفى ذلك ناقلها.

* [66] القاضي أبو عبد الله ابن سعيد الفلالي[1]

هو القاضي أبو عبد الله السيد محمد بن سعيد بن اليسع الفلالي، الرباطي، كان رحمه الله، نقادة في الفقه، ومن قادة الفقهاء في وقته لازم الإفتاء بالرباط نحو العشرين سنة، وكانت فتواه مطلوبة ولها نفوذ تام بالعدوتين وغيرهما، وأخبرنا صاحبنا أبو عبد الله الدكالي أنه عثر بسلا على عدة فتاوى من فتاويه كلها في غاية التحرير والتحبير، ومما قيدته عنه منقولاً من كناشة بعض المؤرخين الرباطيين أن القاضي الفلالي المترجم والقاضي عبد الله البنان والقاضي محمد الغربي، الآتي ذكرهما كانوا جميعاً يتناوبون قضاء الرباط، واحداً بعد واحد، لكل واحد منهم ثلاثة أشهر ثم يتنازل للآخر وهلم جراً. ورأيت من كلام الضعيف الرباطي ما يفيد من أن صاحب الترجمة في بعض ولايته على الرباط إنما بقي نحو الشهرين فقط، وذلك بعد إعفاء القاضي الغربي المتقدم، ولي أواخر جمادى الثانية وعزل أوائل رمضان من عام أربعة عشر ومائتين وألف[2] ولم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث.

* [67] القاضي أبو عبد الله التلمساني[3]

هو القاضي أبو عبد الله محمد ابن العلامة الإمام سيدي أحمد ابن القاضي التلمساني الرباطي.

نشأ بالرباط راتعاً في مراتع العلم، قائماً بما أسند إليه من الرياسة الدينية من إمامة وخطابة وشهادة، وإفتاء، وقضاء.

وقفت على عدة رسوم مكتوبة بقلمه، وعلى خطابات بالأعمال وبأعمال الأعمال مع البعض من فتاويه، والكل بإمضائه وشكله، وكان من أمثل العدول في نعته، وأفضل القضاة في وقته، وبيته بيت علم ودين وولاية وصلاح، وناهيك بوالده العارف الإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة، سيدي أبي العباس التلمساني صاحب الزاوية التلمسانية بالرباط، ولم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث.

* [68] القاضي محمد بن المهدي مرينو[4] (المتوفى سنة 1229هـ)

أحد قضاة الرباط الذين أغفلت ذكرهم في كتابي تعطير البساط، وكانت توليته باتفاق

---

(1) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف، ص: 15.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 324.

(3) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف، ص: 20، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 101.

(4) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 112.

أهل الحل والعقد من الرباطيين إثر وفاة والده القاضي أبي عيسى مرينو عام 1188[1]، كما جاء في تاريخ الضعيف، وأخبر أن وفاته كانت يوم السبت تاسع وعشري جمادى الثانية عام 1229هـ[2].

*** [69] محمد بن أحمد باينه الأندلسي[3] (المتوفى سنة 1230هـ)**

وقفت على تحليته بالأخ العلامة في جملة تقايد بخط الأديب ابن عمرو، ويستفاد من تاريخ الضعيف أنه كان من أرباب المناصب والمراتب، تقلب في عدة خطط كخطة الكتابة والعدالة والقهرمانية، بمرسى الرباط في عهد السلطان أبي الربيع، ومما جاء في حقه من التاريخ المذكور أن السلطان وجه إليه بتاريخ يوم الثلاثاء 19 صفر عام 1227هـ يأمره بتعيينه في الكتابة معه، وملازمته من الصبح إلى العصر، وكان قبل هذا التاريخ من عدول المرسى مع القائد عشعاش[4]. اهـ.

وجاء في حقه أيضاً أن السلطان بتاريخ ثاني ربيع الأول عام 1229هـ وجه كتاباً في غرض الاسترعاء على قواد العدوتين حتى لا يجعلوا خلائف عنهم مع تكليف المترجم بمراقبة من يجعل منهم خليفة ليشهد بذلك[5]، وكانت وفاته يوم الأحد متم ثلاثين من ربيع الأول عام 1230هـ.

*** [70] الحاج محمد بن الطيب بوجيدة بن جلون[6]**

أحد أجلاء بيت أولاد ابن جلون، وأصلهم من فاس ثم استوطنوا الرباط منذ قرون.

وللمترجم ذكر في تاريخ الضعيف في عدة من الحوادث الرباطية، ومما أفاده أنه كان من عدول مرسى الرباط ومن خطباء جامع القصبة، وأنه خطب مرة بالسلطان أبي الربيع فلم يرضه وانتقد عليه مد صوته على اللام من ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾، في الفاتحة، فوق القدر الطبيعي ثم

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 328.

(2) المصدر السابق نفسه: 2/ 711.

(3) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 114، وذكره الضُّعَيِّف في الجزء الثاني من تاريخه، ص:687، و706، وقد رسم فيه بالألف الواقفة هكذا (باينا).

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 687.

(5) المصدر السابق نفسه: 2/ 706.

(6) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية ص: 143، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 114. وقد ورد ذكر المترجم في عدة أماكن من تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف في الجزء الثاني بالصفحات 680 و681 و683 و684 و708 و725.

عين خطيباً بالجامع السليماني عن أمر الوزير السلطاني بدلاً من الخطيب السيد التهامي متجنوش، الذي كان عين قبله من قبل القاضي ولم يرض ذلك الوزير وكان أيام استخدامه للمرسى امتحن بالسجن في جملة أمنائها وعدولها من سلا والرباط إلى أن سرحوا بعد حين.

وفي آخر عمره تولى خطابة المسجد الأعظم بالرباط، إلا أنه ما لبث أن نفذت لغيره فاشتكى على السلطان فأقره على ما كان يقبضه من الراتب عن ذلك جبراً لخاطره، وبقيت الخطبة بيد الغير لكن إذا كانت العبرة بذلك الراتب فلا ضير، كان رحمه الله من العلماء الفضلاء أصالةً ووراثة، ومن الخطباء الأدباء وناهيك بخطيب المساجد الثلاثة.

قرأ العلم في الرباط عن مشيخته ولا سيما القاضي أبو العباس الحكموي، كما حكاه الأديب ابن عمرو في فهرسته، وقد حلاه بالفقيه العلامة الأديب الزكي الدراكة الأوحد ذي الشمائل الباهرة الألباب، والنسبة النافعة إذا ما انقطعت الأسباب. اهـ.

وكانت وفاته يوم الأربعاء السابع من ذي القعدة عام 1230هـ.

وممن رثاه بعد وفاته الأديب ابن عمرو المذكور وذلك بقصيدة عصماء هي وحدها كافية في الدلالة على ترجمته الشمَّاء، لما تضمنته من الصفات الكريمة الغراء، والشمائل الطيبة الزهراء، وكان نظمه لها في ليلة العشرين من ذي القعدة عامه، وإليك نظامه:

إنْ عَزَّ مِنْ خُلْدِ سُكَّانِ الْحَشَا وَطَرٌ ... فَلْيُسْعِدِ الدَّمْعَ فِي تِذْرَافِهِ الْمَطَرُ

أَوْ خَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ حَشْوُ الثَّرَى جَلَدٌ ... أَوْ غَابَ عَنْ أُفْقِي مِنْ بَيْنِهِمْ قَمَرُ

أَوْ أُخْرِسَ اللَّسْنَ عَنْ مُعْتَادِ مُنْطَلِقٍ ... حَتَّى تَحَيَّرَتِ الأَلْبَابُ والْفِكَرُ

أَوِ انْثَنَى غُصْنُ سُؤْلٍ مَاسَ مُزْدَهِياً ... بِوَصْلِهِمْ فَلَحَاهُ الْوِرْدُ والصَّدَرُ

أَوِ انْطَوَى مِنْ بِسَاطِ الْعِلْمِ رَوْنَقُهُ ... أَوِ ازْدَهَتْ فِئَةٌ بِالْجَهْلِ تُعْتَجَرُ

أَوْ غَاضَ بَحْرُ وَفَاءٍ لا تُكَدِّرُهُ ... تِلْكَ الدِّلاءُ فَمَا بَرُّوا وَلا قَدَرُوا

أَوْ أَظْلَمَ الْجَوُّ مِنْ فُقْدَانِ شَمْسِهِمُ ... فَأَصْبَحَ الْكَوْنُ طُرّاً وهْوَ مُعْتَكِرُ

أَوْ شَقَّ قَلْبِي مُصَابٌ مَا دُهِيتُ بِهِ ... قَبْلاً فَمَا فِي لَذِيذِ الْعَيْشِ مُنْتَظَرُ

أَوْ هَيَّمَ الصَّبَّ بَيْنَ النَّاسِ بُعْدُهُمُ ... فَمَا إِلَى حُجَّةٍ فِي الشَّجْوِ يَفْتَقِرُ

أَوْ أَفْصَمَ السَّيْلَ دَمْعٌ لا يُكَفْكِفُهُ ... ولا يَكَادُ عَلَى الأَحْبَابِ مُصْطَبِرُ

فَكَيْفَ صَبْرِي رَعَاكَ اللهُ بَعْدَ فَتًى ... غَدَا بِهِ كَبِدِي واللهِ يَنْفَطِرُ
أَجْرَى الدُّمُوعَ دَماً نَعَمْ وحُقَّ لَهَا ... فَهَا أَخَادِيدُهَا فِي الْخَدِّ تُسْتَطَرُ
لَكِنَّهَا لا تُؤَدِّي بَعْضَ وَاجِبِهِ ... فَلَمْ يَزَلْ عَلَماً بِالْفَضْلِ يَنْفَجِرُ
جَلَّ الأَسَى يَا ابْنَ جَلُّونَ فَجَلَّلَ مِنْ ... أَقْطَارِ قَلْبِي فَهَلْ يَصْفُو لَهُ الْكَدَرُ
صَدْرُ الصُّدُورِ تَاجُ الْمَاجِدِينَ إِذَا ... عُدُّوا ومَنْ هُمْ لِمَيِّسِ الْمُعْضِلِ الْوُزُرُ
مَا شِئْتَ مِنْ أَدَبٍ غَضٍّ ومِنْ شِيَمٍ ... لَمْ تُحْصِ عِدَّتَهُنَّ الأَنْجُمُ الزُّهُرُ
وَمِنْ عُلُومٍ ومِنْ فَضْلٍ ومِنْ نَسَبٍ ... لَهُ ازْدِهَاءٌ بِخَيْرِ الرُّسْلِ مُفْتَخِرُ
وَمِنْ قِيَامٍ بِأَيْتَامٍ وأَرْمَلَةٍ ... ومُعْتَفٍ مَسَّهُ مِنْ فَقْرِهِ ضَرَرُ
وَمِنْ عَفَافٍ ومِنْ صِدْقٍ ومِنْ كَرَمٍ ... ومِنْ سَلامَةِ صَدْرٍ أَصْلُهَا غَرَرُ
وَمِنْ مَتَانَةِ دِينٍ لَيْسَ يَبْطِرُهَا ... قِيلُ الأَرَاذِلِ إِنْ كَادُوا وإِنْ بَطَرُوا
وَمِنْ بُرُورٍ بِآبَاءٍ ومَشْيَخَةٍ ... ومِنْ رِعَايَةِ مَنْ يَرْعَى ومَنْ يَذَرُ
وَمِنْ وَفَاءٍ وإِغْضَاءٍ ومَرْحَمَةٍ ... ومِنْ تَحَمُّلِ كُلِّ حَمْلُهُ خَطِرُ
كَلِمَةٌ صَدَعَ الْجَمُّ الْغَفِيرُ بِهَا ... نَعَمْ وصَدَّقَ فِيهَا الْمُخْبِرَ الْخَبَرُ
بَلْ أَجْمَعَ النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ ومِنْ عُرْبٍ ... ومِنْ صَدِيقٍ وذِي حِقْدٍ بِهِ كَدَرُ
صَبْراً عَلَيْهِ عِبَادَ اللهِ إِنَّ لَنَا ... لأُسْوَةً فِي رَسُولِ اللهِ تُدَّخَرُ
نَعَمْ لَنَا خَلَفٌ فِي اللهِ مِنْهُ فَمَا ... يُفْنِي الإِلَهُ ومَا يُبْقِي ومَا يَذَرُ
لأَبْكِيَنَّ بِهِ الدُّرَّ النَّفِيسَ ... ومَا يُغْنِي بُكَاءٌ بِدَمْعٍ دُونَهُ الدُّرَرُ
سُقْياً لأَرْضٍ حَوَتْ أَوْصَالَ جُثَّتِهِ ... واخْضَرَّ مِنْ حَوْلِهِنَّ التُّرْبُ والْمَدَرُ
وَبَاكَرَتْهُ الْغَوَادِي وهْيَ مُغْدِقَةٌ ... ورَاوَحَتْهُ الأَمَانِي الْغُرُّ تَبْتَدِرُ
فَأَسْأَلُ اللهَ غُفْرَاناً وعَافِيَةً ... لَهُ ورَوْحاً بِهِ الرَّيْحَانُ يَنْتَشِرُ
مَا حَرَّكَتْ شَجَنَ الْمُضْنَى مُكَمَّنَةٌ ... مِنْ زَفْرَةٍ بِسَوَادِ الْقَلْبِ تَسْتَعِرُ(1)

---

(1) الكُمُون: هو الخفاء، ويقال: حُزْنٌ مُكْتَمِنٌ في القلب: مُخْتَفٍ، والكُمْنَةُ حُمْرة تَبقى في العين من رَمَدٍ يُساء علاجُه فتُكْمَن فهي مَكْمونة. انظر: لسان العرب: 13/ 359، مادة (كمن).

❊ [71] **محمد بن عبد السلام الضُّعَيِّف مؤرخ الرباط الشهير[1] (المتوفى سنة 1236هـ تقريباً)**

ولد بالرباط عام خمسة وستين ومائة وألف، ونشأ نشأة علمية متردداً في طلب العلم، على كثير من الديار المغربية، بل كان رحالة جوالة، لا يقرُّ له قرار في مزاولة الأسفار، والتنقل كثيرًا بين الرباط ووزَّان ومكناس وفاس وطنجة، وتطوان.

وكانت له مشاركة في عدة فنون حتى الشعر والموسيقى، وبرز في التاريخ وجلّ قراءته بالرباط على الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي، شارح العمل الفاسي، وبتطوان في مدرسة وقاش على الفقيه السيد عبد الرحمن الحايك، وبفاس في مدرسة مولاي رشيد وكلية القرويين على جماعة من الشيوخ كسيدي عبد القادر بن شقرون، والشيخ الطيب بن كيران، والحاج محمد بنيس، وسيدي علي بن أويس.

وكانت له عناية بشد الرحلة لزيارة الأولياء المشاهير كمولانا إدريس ومولانا عبد السلام بن مشيش، ومولاي بوشعيب، ومولاي بوسلهام، وسيدي عبد الله بن ياسين، وغيرهم رضوان الله عنهم، وكان كثير المحبة والتعظيم لآل البيت الكريم، خصوصاً السادة الوزانيين.

وأخذ عن سيدي علي بن يوسف الدرعي بالرباط لما ورد لمكناس على السلطان المولى سليمان، واجتمع مع سيدي علي بن ريسون وأخذ عنه.

وله قصيدة شعرية في مدح الجناب النبوي، سماها روضة العشاق، وأخرى في مدح الشيخ مولاي ابن شعيب وقصائد كثيرة ما بين موزونة وملحونة.

وكان له اعتناء بالنساخة وبالتقييد خصوصاً فيما يرجع لتاريخ الحوادث الوقتية، والوقائع الدهرية، وناهيك بتاريخه الضعيف المشهور بلقبه فإنه ما ترك شاذة ولا فاذة رآها أو سمعها إلا وقيدها مع صدق اللهجة والتحري في النقل، فما شئت من مواعظ مبكية، ومن خرافات مضحكة ملهية، وما شئت من فوائد تاريخية، وفرائد أدبية بيد أنه تارة يسطرها بقلم كالسحر في البيان، وتارة ككلام النائم في الهذيان، كأنه يراعي مقام الخاصة فيخاطبهم

---

(1) يشتمل كتابه "تاريخ الدولة العلوية السعيدة" على أوفى ترجمة له كما سيذكر المصنف رحمه الله؛ فقد ذكر فيه شيوخه ورحلاته ومصاهرته ومن عاصره وما عاصره من أحداث. انظر ترجمته أيضاً في: شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، ص: 381، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 182، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى، لعبد السلام ابن سودة: 1/ 137، ومؤرخو الشرفاء، لليفي بروفنسال، ص: 213.

بفصيح الكلام، ثم يراعي مقام العامة فيخاطبهم بكلام العوام.

ومن أشرف على ترجمة الرجل وعلم مزاولته لقراءة علم النحو، استبعد كل البعد كون ما يصدر منه من اللحن في ذلك الكتاب، موكله عن جهل بعلمي النحو والإعراب، فلعله راعى ما ذكرنا من المقامين، لأن التاريخ هو علم كل من الفريقين.

وإن كان القصد من كتب التاريخ هو الفائدة التاريخية الأثرية لا الفائدة اللغوية الأدبية، فالإعراب حينئذ إنما هو جمال وشرط كمال، هذا ما لاح لي في الاعتذار عن ذلك الكتاب، خلافاً لمن فوّق نحوه سهام النقد والعتاب، وحسبك شفيعا فيه ما انطوى عليه من الحوادث والفوائد التاريخية التي لا يوجد لها ذكر في غيره من الكتب، التي ألفت في الدولة العلوية، مع صدق اللهجة والتحري في النقل، والتبري مما يخالف النص والعقل.

وقد أتى مؤلفه رحمه الله على تاريخ الدولة وحوادثها من لدن نشأتها إلى حوادث عام 1233هـ، أواخر أيام السلطان المولى سليمان ولعل في هذا التاريخ كانت وفاته، ولا أدري هل كانت بالرباط أو بفاس أو في غيرهما.

ولكن نسخة كتابه المذكور بقيت بخط مؤلفه بفاس، إما بالخزانة المولوية وإما بالمكتبة[1] القَروينية، إلى أن ظفر بها من طريق الاختلاف بعض السادة من أهل فاس، وتركها في تركته ولا داعي لتسميته، فاتصلنا بها وأخذنا منها عدة نسخ، ما بلي ثوب جدتها ولا اتسخ.

ومن أجلِّ ما استفدناه من الكتاب ترجمة صاحبه الضعيف، فقد أتى على ترجمة نفسه بين حوادث تاريخية، بذكر نسبته ومصاهرته وقراءته ومشيخته، ورحلاته إلى غير ذلك من متعلقاته، وقد رأيت أن أثبت هنا من كلامه على سبيل التذييل ما يدل على ما شرحناه من فضل الرجل إذا احتاج النهار إلى دليل.

قال في كتابه المذكور: "وفي رجب عام 1158هـ أوصى الأديب الأريب أخو والدنا وهو السيد بوعز بن أحمد الملقب الضعيف على بنيه وتوفي رحمه الله بدار ابن فارس بالرباط بالوباء، وفي 26 من ذي الحجة وقعت المصاهرة بين والدنا رحمه الله وبين أولاد الفقيه السيد محمد طالب الرباطي الأندلسي رحم الله الجميع من العام المذكور[2].

وفي سنة 1165هـ ازداد مؤلف هذا التأليف وهو عبيد ربه تعالى محمد بن عبد

---

(1) في (ح): (بالمطبعة).

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 267.

السلام بن أحمد بن محمد الرباطي اللقب الضعيف غفر الله له ولوالديه والمسلمين أجمعين في زمن الصيف في أواخر ذي الحجة الحرام والله أعلم، مدينة رباط الفتح، أمنه الله[1].

وفي شوال سنة 1168هـ ازداد أخونا أحمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباطي رحمه الله الملقب الضعيف[2].

وفي سنة 1172هـ ازداد أخونا الهاشمي أبقاه الله وأدامه[3].

وفي منسلخ شوال عام 1174هـ، وقعت المصاهرة بيننا وبين المرابط الخير السيد أبي عنان الشرقاوي رحمه الله[4].

وفي يوم السبت الثاني والعشرين من جمادى الأولى توفي المرابط الخير السيد عبد السلام بن أحمد بن محمد الضعيف الرباطي، والد مؤلف هذا التاريخ[5].

وفي سنة 1183هـ خرجت من رباط سلا بقصد زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش نفع الله به، فمررت على زاوية وزان حرسها الله، ولما رجعنا من زيارة مولانا عبد السلام وجدت سيدي أحمد بن الطيب مارا لزيارة سيدي علي بن أحمد بصرصر، فمررنا معه وزرناه ومنه رجعت لرباط الفتح أمنه الله[6].

وفي رجب الفرد الحرام من العام 1189هـ، خرجت لمراكش في فصل الخريف وصمت بها رمضان بقصد الزيارة، وحين قدمنا عليها وجدنا الحرب بين الرحامنا[7] ومسفيوه[8]، وطلع لهم ابن عمران فكسروه، ومات منهم خلق كثير[9].

---

(1) المصدر السابق: 1/ 274.

(2) المصدر السابق: 1/ 283.

(3) المصدر السابق: 1/ 310.

(4) المصدر السابق: 1/ 312.

(5) المصدر السابق: 1/ 321.

(6) المصدر السابق: 1/ 323.

(7) إحدى دوائر عمالة مراكش تضم جماعات: ابن جرير، والجعافرة، وأولاد عبوا، والصخور؛ وهم عشيرة من الجبورية من قبائل البلقاء. يقال أن جدهم قدم من طرابلس. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 228، ومعلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، وقد رسمت بالتاء (الرحامنة)، ص: 206.

(8) قبيلة بربرية استقرت بالواجهة الشمالية الغربية للأطلس الكبير وتوجد مواطنها بين قبيلتي سكتانة غربًا وكلاوة شرقًا أي في منطقة وريكة الحالية. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 228.

(9) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 329.

وفي شوال خرجت من مراكش لرباط الفتح، بعد أن أقمنا أياماً بسانية الرتما ببلاد السوالم، قرب عين السبع[1]، بدار مولاي الأمير ثم قدمت منها على الرباط مع الفقيه السيد محمد سكيرج الفاسي رحمه الله[2].

وفي سنة 1190هـ خرجت لناحية ابني گرف[3]، مسافراً، وفيها التقيت بسيدي التهامي بن الحسني ثم زرت مولاي عبد السلام بن مشيش، وبلغت لشفشاون ومررت لتطوان، ودخلت طنجة ثم رجعت لوزان، ثم خرجت لبني مساره[4] مع سيدي علي بن أحمد ثم رجعت إلى وزان، ومنه إلى الرباط، بعد أن التقيت بسيدي علي بن ريسون بتازروت، وكان العامل على طنجة القائد محمد وبلا الشياظمي.

في سنة 1191هـ تحاورت مع عبد الله برگاش وذلك أني توسلت فيه بقصيدة فمكنها منه مولانا الأمير عفا الله عنا وعنه ثم خرجت مع صهرنا الكاتب السيد الطاهر الحصيني رحمه الله لأولاد برجان، ثم مررت لوزان، فزرت مع سيدي أحمد بن الطيب مولانا بوسلهام وسيدي علي بوغالب وسيدي علي بصرصر، ثم خرجنا لفاس فمكثت فيه نحو العام، ثم رجعت لرباط الفتح[5].

وفي سنة 1193هـ أنشأت قصيدتي في مدح المختار ﷺ وهي "روضة العشاق"، وفيها ركبت في البحر من سلا بقصد زيارة سيدي أبي شعيب نفع الله به، فنزلت في المهدومة[6]، ووجدت بها الحاج المكي بركاش، وعمر مرين واقفين على الشعير، ثم بت بها ليلة وسرت

---

(1) مكان بالقرب من حلق المعمورة وهي المهدية كمن فيه جيش أهل فاس الذين هبوا للمشاركة في غزوة الحلق الكبرى فقتلوا ستمائة من العدو وتقاعس آنذاك أهل الأندلس بسلا من صنع السلاليم للعياشي تواطؤوا مع العدو بالمهدية حيث أمدوهم بالسلاح ضد العياشي فأفتى بقتالهم كل من العربي الفاسي وعبد الواحد بن عاشر.. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 318.

(2) المصدر السابق: 1/ 330.

(3) الذي في تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: بني كرفط، وهي: إحدى جماعات دائرة أصيلا، عمالة تطوان؛ من قراها الصخرة وأورموت والصفصاف ودشرة الواد. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:114.

(4) بني مسارة قبيلة من جملة مدنها وزان في جبل الريحان، من بطونها وقراها "عين بوتيلا"، و"الأحوازة"، و"عين بقرة"، و"بني مستار"، و"وزان"، و"أزمورن" و"تلمسون"، ومناتة وحجر بني عيش والقيطون. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 34.

(5) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 332.

(6) المهدومة: أو البريجة تقدم التعريف بها .

منها لزمور فصمت به رمضان، وأنشأت قصيدة بها مدحت سيدي أبا شعيب نفع الله به، ثم أتيت في البر للرباط وذلك لما أصابنا من هول البحر وفراتنه، وقد نجانا الله من الغريق بفضله سبحانه[1].

وفي جمادى الأولى عام 1196هـ خرجت من الرباط بقصد زيارة وزان، ثم وردت على القائد الهاشمي السفياني وهو بداره، التي بكرت فبت عنده نحو الليلتين، وسرت لوزان، فأقمت به إلى أن ورد سيدي علي من مراكش في أواخر جمادى المذكور[2].

وفي أواخر ذي الحجة متم عام 1196هـ خرجت لتطوان حرسها الله مع الشرفاء من وزان، وأقمت بها مدة، نقرأ العلم[3].

وفي يوم الاثنين خامس وعشري صفر الخير عام 1198 ختمنا الألفية على الفقيه القاضي أبي زيد عبد الرحمن الحائك بتطوان.

في عشية يوم الأربعاء الموفي عشرين من ذي القعدة الحرام ختمت الأزهري على التصريح بالكتابة، في مدرسة الوقاش[4].

وفي ذي الحجة عام 1198هـ خرجت من تطوان بقصد زيارة الوالدة بالرباط مع الوالد رحمهما الله، وفرغت من شرح صفي الدين الحلِّي، على قصيدته في علم البديع التي أول مطلعها:

إِنْ جِئْتَ سَلْعاً فَسَلْ عَنْ جِيرَةِ الْعِلَمِ ... واقْرَا السَّلامَ عَلَى عُرْبٍ بِذِي سَلَمِ

يوم الأربعاء الرابع والعشرين من محرم الحرام عام 1204هـ[5].

وابتدأنا قراءة الألفية على شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي القاسم السلجماسي برباط الفتح، يوم الأحد الرابع من صفر الخير من العام 1201هـ بعد أن ختم البخاري يوم الاثنين ثامن وعشري محرم الحرام من العام، وكان ابتداؤه يوم الاثنين الرابع من رجب عام 1201هـ[6].

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 338 و339.

(2) المصدر السابق: 1/ 342.

(3) المصد السابق: 1/ 344.

(4) مدرسة وجامع لوقاش بالغرسة الكبيرة بتطوان. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 348.

(5) المصدر السابق: 1/ 354.

(6) المصدر السابق: 1/ 355.

وفي صبيحة يوم الأحد 21 من ربيع الثاني عام 1202هـ توفي الحاج عيسى بن أحمد الضعيف رحمه الله.

وفي يوم الأربعاء 12 جمادى تصاهرت مع أولاد الحاج عبد النبي بعل، وفي يوم الخميس 27 من الشهر المذكور دخلت بالزوجة عام 1202هـ في أيام الحسوم[1].

وفي صبيحة يوم الاثنين 19 شوال 1203هـ ابتدأنا قراءة لامية الزقاق على شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن أبي القاسم السجلماسي برباط الفتح أبقاه الله، وفي يوم الثلاثاء السادس عشر من جمادى الأولى خرج سيدي الحسني بن التهامي مع ولد عمه سيدي المكي بن عبد الله بن الحسني، وخرج معهما الفقيه السيد محمد بن جلون من وزان لرباط الفتح، فطلبوا مني أن نأتي معهم للرباط، فتأخرت عن الإتيان معهم للرباط، لأني كنت أريد القراءة بفاس، ثم إنهم دخلوا الرباط يوم السبت الموفي عشرين من جمادى الأولى[2].

وفي آخر شعبان 1209هـ حين كنا بوزان، وورد علينا الشريف سيدي عبدالله بن محمد بن عبد القادر الذي كان بالدار البيضاء، أخذنا أياماً من الزهو والسرور بالقشريين مع الشرفاء، أولاد سيدي محمد بن العربي جاد علينا الدهر بالزمان والمكان والإخوان، بعثنا لفاس وراء الشاب عبد السلام الجابري فأتى إلينا بعوده وكان معنا الشريف سيدي هاشم التطواني الربياني، وكان المعلم موسى بن أبي جمعة الرباطي الشبايبي والشاب الشريف سيدي محمد بن الحسن الفاسي، ورفيقه الشاب السيد علال بن مولود الفاسي، والشاب أبي العباس التطواني، صاحب القرط، فصرنا[3] بالآلة ليالي شعبان وليالي رمضان وشوال، فسبحان مبدل الأوقات ومحيي العظام الرفات، والأمر لله من قبل ومن بعد[4].

وفي يوم الاثنين 13 من ذي القعدة عام 1209 خرجت من وزان لفاس لطلب العلم، ووافق اليوم الموفي عشرين من أبريل فدخلت فاس البالي، وذلك يوم الأربعاء 15 من ذي القعدة المذكور عند الزوال، وفي الغد جلست في مجلس الفقيه العلامة سيدي عبد القادر بن شقرون رحمه الله.

وفي التاسع عشر من ذي القعدة اشتريت بيتاً بمدرسة مولاي رشيد وبت به ليلة

---

(1) المصدر السابق: 1/ 359.

(2) المصدر السابق: 1/ 366.

(3) في تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف 2/ 462-: (فصهرنا).

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 2/ 462.

الأربعاء 22 منه[1].

وفي يوم الجمعة 19 صفر 1211هـ ختمنا التلخيص على السيد الطيب ابن كيران[2].

وفي أول يوم من جمادى الثانية 1211 التقيت بسيدي الحسني التهامي الشريف بن الحسني الوزاني بقرب جامع القرويين بباب السفر بعد صلاة الجمعة، وفي يوم الثلاثاء 12 جمادى الثانية 1211هـ ختمنا الألفية على سيدي علي بن أويس رحمه الله[3].

وفي يوم الخميس 13 من جمادى عام 1218هـ ختمت النصف الأول من الهواري على ألفية ابن مالك، بالكتابة، ووافق اليوم المذكور 20 [من غشت][4] وفرغت من تأليف سيدي سعيد بن عبد المنعم يوم الأحد الثالث من رمضان عام 18 ووافق ستة من دجنبر[5].

وفي يوم السبت عشرين ربيع الأول أخبرنا الفقيه السيد محمد بن جلون في مجلس الفقيه السيد أحمد الحكموي بالجامع الكبير أن الناظر الحاج العربي ملين والحاج محمد بن الطيب بوجيدة تجاوزا عني في كراء الحانوت استعانة على القراءة.

وفي يوم الأربعاء في الثاني من ربيع الثاني أرسل إلي القائد وهو الحاج محمد السويسي على أن نسافر في البحر من العرايش نركب مع الرايس المعطي أفلريش، أو مع الرايس الجلاني المزميري لأن السلطان نصره الله نص على أن يركب في كل سفينة عدل من عدول طلبة الرباط، فامتنعت وكنت وجدت عند القائد المذكور محمد بن أبي العباس الكراري على أن يمشي لسفر البحر فامتنع أيضاً، وفي هذا اليوم بعث لي أيضاً القاضي مرين، فاعتذرت له، فقبل عذري لأن السفن كانت بالعرايش ذاهبة للإسكندرية، لتأتي بولد السلطان وهو مولاي إبراهيم ابن السلطان مولانا سليمان نصره الله، ثم إن قائد السلطان أرسل عدلين، وهما العربي بوعل، والتهامي [من][6] سردنا[7] مرين، بالرغم على أنفسهما، فلما وصل العرائش سمح لهما وزير السلطان وهو محمد السلاوي وردهما للرباط.

---

(1) المصدر السابق: 2/ 467.

(2) المصدر السابق: 2/ 497.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 502.

(4) ما بين المعكوفتين يقابله بياض في (ح1) قدر كلمة، وسقط من (ح)، والمثبت من تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف.

(5) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 610.

(6) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح).

(7) كذا في (ح1) و(ح) وبالمطبوع من تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف (أسردنا).

وفي يوم الجمعة رمضان 1227هـ ابتدأت تكميل الأزهري المعرب على الألفية[1].

وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الأول المذكور 1228هـ التقيت بسيدي علي بن ريسون بدار ابن عائشة بالرباط، مع ولده سيدي محمد وسيدي عبد الله وفي هذا اليوم قطعت معه لسلا في فلوكة، وقطع معنا سيدي التهامي بن علي كان نازلاً بالرمل، ووافق من مارس وفي الغد توادعت معه، وكان ذكرني بأسماء من أسماء الله تعالى، وفي يوم الأحد في 12 ربيع الثاني 1229هـ خرجنا من رباط الفتح لزيارة مولاي عبد الله بن ياسين، مع الطلبة، وهم الحاج محمد بوجيدة، والفقيه السيد محمد بن جلون، وصالح الحكموي، ومحمد بن التهامي بن عمرو، والعربي الغربي، والعربي بن الشني الحصيني، ومن أهل سلا السيد أحمد بن خضراء، فبتنا بسيدي يحيى على وادي يكم، وفي الغد بتنا على القرب من وادي كريفلا.

وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الثاني المذكور بتنا بمولاي عبد الله بن ياسين.

وفي يوم الخميس السادس عشر من ربيع الثاني زرنا وتوادعنا مع السيد، ورجعنا بالسلامة للرباط"[2].

وهذا ملخص ما حكاه الضعيف عن نفسه في تاريخه الحفيل، ولم يذكر من شعره ولا أمداحه التي أشار إليها شيئاً، ثم وقفت من ذلك على ما كتبه على ظهر نسخة من المختصر خطية عتيقة كانت له أيام التعاطي يقول فيها: (ومن خطه نقلت) الحمد لله ضلت لكاتبه نسخة المختصر يوم ختمه على شيخنا سيدي عبد القادر بن شقرون، سقطت بعلاقها وغمدها وقد حضر الختم جميع طلبة فاس، فقلت حزناً عليها وأسفاً:

ضَلَّ عَقْلِي حِينَ ضَلَّتْ نُسْخَتِي ... فِي ازْدِحَامِ يَوْمِ خَتْمِ الْمُخْتَصَرْ
تُحْفَةٌ تَسْحِرُ مَنْ أَبْصَرَهَا ... حَوَتِ الْمَتْنَ وحُفَّتْ بِالطُّرَرْ
لَيْتَنِي غِمْدٌ[3] لَهَا إِذْ ضَمَّهَا ... أَوْ كَسِفْرٍ حَارِسٍ تِلْكَ الصُّوَرْ
كَقِلادِ السَّيْفِ كَانَتْ صُحْبَتِي ... ومَعِي إِنْ كُنْتُ بَدْواً وحَضَرْ
وَاعْتِقَادِي أَنَّنِي أَلْزَمُهَا ... مُدَّةَ الْعُمْرِ فَأَنْسَانِي الْقَدَرْ
مَنْ يُفَارِقْهُ خَلِيلٌ سَاعَةً ... فَهْوَ ذُو وَجْدٍ ودَمْعٍ وسَهَرْ

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 695.

(2) انظر تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف:2/ 708.

(3) في (ح1): (غمداً) وهو تصحيف.

لا تَــسَلْ إذْ جَــاءَ مَــنْ بَــشَّرَنِي أَنَّ شَخْـصاً حَازَهَــا مِمَّــنْ حَــضَرْ

وكتب أيضاً ما نصه ولشيخنا سيدي عبد القادر بن شقرون رَحِمَهُ اللهُ لما كان بسجلماسة:

فَــيَا لَــيْتَ شِــعْرِي هَــلْ أَبِيــتَنَّ لَيْلَــةً بَــفَاسٍ وشَــمْلِيَ الْــمُبَدَّدِ جُــمِّعَا

وَهَــلْ أَرَى[1] مِــنْ تِلْــكَ الــشَّمَائِلِ بُرْهَــةٍ وهَــلْ نَــاظِرِي يُمْــسِي بِكُــمْ مُتَمَتِّعَــا

ولكاتبه محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي:

أَلا لَــيْتَ شِــعْرِي هَــلْ أَبِيــتَنَّ لَيْلَــةً بِــرَوْضِ رِبَــاطِ الْفَــتْحِ أُمْــسِي مُنَعَّمَــا

فَمَــا شِــئْتُ مِــنْ رَوْحٍ ورَيْحَــانِ جَنَّــةٍ عَــلَى أَنَّــهُ أَعْلَــى الْمَــدَائِنِ أَنْجُمَــا

كذا رأيت هذا بخطه سوى البيت الأخير من البيتين وقع فيه كسر فتلافيته بالجبر، والبيتان له ولشيخه جاريان على أسلوب ما نحاه كثير من الأدباء في معارضة البيتين المشهورين المنسوبين لسيدنا بلال يتشوق بهما إلى مكة المشرفة، وها هما مسك ختام هذه الترجمة المفوفة:

أَلا لَيْــتَ شِــعْرِي هَــلْ أَبِيــتَنَّ لَيْلَــةً بِــوَادٍ وحَــوْلِي إِذْخَــرٌ وجَلِيــلُ

وَهَــلْ أَرِدَنْ يَوْمــاً مِيَــاهَ مَجَنَّــةٍ وهَــلْ يَبْــدُوَنْ لِــي شَــامَةٌ وطَفِيــلُ

* [72] محمد بن عبد الرحمن برق الليل[2] (المتوفى سنة 1234هـ)

الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي الفلالي نجاراً، الرباطي نشأة ودارا، المدعو برق الليل، العلامة المدرس، العدل الموثق، رأيت من آثاره الحوالة القديمة للأحباس الكبرى الرباطية استهلها بقوله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا بمعونة الله تعالى وتوفيقه تقييد ما اقتضاه الأمر المولوي الشريف المطاع الإمام السلطاني السليماني الهاشمي الحسني العلوي العلي بالله تعالى، أيد الله بتوفيقه وتأييده أنصاره، وأنار في سماء المجد والإقبال أقماره، من عامله بمحروس رباط الفتح، وسلا وقاها الله من مكايد المعتدين، ونظم أهلها في صمت المهتدين، بفضله، الفقيه الأستاذ السيد الغازي بن المدني الشاوي المزمزمي من الناظر في أوقاف الرباط حرسه الله وإحصائها

---

(1) في (ح1): (أر).

(2) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 124.

وتحديدها وجمعها مترجمة على أصناف في أبواب مختصة بها مرتبة، على ما يضبطها مبوبة، على مسطرة ما تضمنته حوالة جده الإمام فخر الملوك، ويتيمة عقود السلوك أبي النصر مولانا إسماعيل قدس الله بفضله ثراه، المؤرخة بعام اثني عشر بعد إحدى عشرة مائة قبل تاريخ هذه.هـ.

وكان ترتيب هذه الحوالة في عهد ناظر الرباط إذ ذاك الفقيه السيد الحاج العربي بن بناصر ملين تاريخ أواخر ربيع الثاني عام 1223هـ. وهي كما قلنا من عمل المترجم، وبتوقيعه وشكله، عاطفا عليه الأديب ابن عمرو والفقيه السيد المكي البناني بمثله.

وكان صاحب الترجمة من خواص الأديب ابن عمرو المذكور، حتى إنه كثيرًا ما يحليه بالأخ العلامة، ويستفاد من بعض الرسوم أنه امتحن بالسجن أيام قاضي الرباط يوسف البوعناني، سجنه لتبذيره حانوت أبيه، وتضييعها على نفسه وعلى إخوته الذين كانوا إلى نظره. اهـ.

وكان من القائمين بأعباء التدريس ونشر العلم، رأيت في ذلك ظهيراً سليمانياً يكلفه بتدريس العلم في الجامع الكبير، وينفذ له راتباً شهريا لمؤونته وكسوته من أوقاف الرباط، وتاريخ الظهير 18 محرم عام 1234هـ.

ومما يدل على أنه كان مشمولا بعناية المخزن، ما جاء في ظهير رحماني بتاريخ ربيع الثاني عام 1240هـ من تنفيذ السلطان لأولاده بعد وفاته مؤونة شهرية من أوقاف سلا، إعانة لهم على يتمهم وفقرهم، وكانت وفاته في رمضان المعظم عام 1234هـ أربعة وثلاثين ومائتين وألف.

*** [73] محمد بن محمد بن جلون قاضي الرباط[1] (المتوفى سنة 1234هـ)**

أحد القضاة الوعاة الجامعين بين سمة المحدثين وأريحية الأدباء، وصفة النحاة، تخرَّج على مشايخ الرباط وسافر في طلب العلم إلى فاس، ومراكش، ووزان، ورحل للمشرق فحج وزار وأخذ واستفاد، وكان من خواص الأديب ابن عمرو، ذكر هذا في فهرسته من جملة من أخذ عن شيخه القاضي أبي العباس الحكموي، وحلاه بالفقيه العلامة السري الأسمى النزيه الأوحد، إلخ.

ويستفاد من تاريخ الضعيف أن المترجم كان من المستخدمين بمرسى الرباط، إلى أن

(1) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف، ص: 28، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 124.

أخره عنها الوزير السيد محمد السلاوي، كما كان في عهد الناظر السيد العربي ملين أحد عدول المنجرة الحبسية والخطباء بالجامع السليماني، وامتحن مع الناظر والعدول وأمناء المرسى وعدولها للعهد المذكور بسبب تهمة ألحقت بساحة الجميع وكان السلطان مولاي سليمان يحبه ويجله كثيرًا حتى إنه لما وقع له ما وقع مع أهل الرباط في قضية القائد عشعاش الشهيرة[1] غضب على كل الرباطيين، ما عدا المترجم فكان عند قدومه للرباط سنة 1230هـ استدعاه في جملتهم ووبخهم على فعلهم، ووبخ قاضيهم السيد عبد القادر مرينو، ثم سأل عن صاحب الترجمة وأجلسه على اليمين وأخذ يلاطفه ويكلمه بلطف ولين، ومن الغد أرسل إليه مع الفقيه السيد الطيب بسير بكتاب يوليه فيه قضاء الرباط، بدل القاضي المذكور.

وفي عهده بنيت مقصورة الأحكام الجديدة قرب جامع النخلة، وهو أول قاضي جلس للحكم فيها يفصل بين الخصوم، ويخاطب على الرسوم، وكان كثيراً ما ينوب عنه لموجبه الأديب ابن عمرو، المتقدم الذكر، بل كان له خير معين في الأحكام، يرجع إليه دائماً عند النقض والإبرام، كما عرف ذلك من ترجمته، وجاء في حق المترجم من تاريخ الضعيف أنه في يوم الجمعة ثاني عشر شوال عام عشرين ومائتين وألف ختم البخاري وحضر مجلسه المولى إبراهيم العلوي ابن السلطان أبي الربيع قدس سره. اهـ.

وعثرت في بعض المقيدات بخط بعض المعتنين بالتقييد على ما نصه: توفي الفقيه القاضي في حينه سيدي محمد بن جلون يوم الأربعاء الثاني عشر من شوال سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف، وبلغ في صحيح الإمام البخاري إلى باب: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾ [آل عمران: ٩٣]، ولم يبق إلى ختمه إلا نحو أربعة عشر بابا، فصدف ببلدنا رباط الفتح الشيخ الصالح العارف بالله تعالى سيدي عمر ابن مولانا المكي ﷺ، فطولب بإكمال سيدي البخاري، وسرد تلك الأبواب الباقية، فحضر مع طائفة من أهل البلد فيهم طلبة العلم وغيرهم وحضرت معهم في ذلك المجلس فسرد السيد المذكور ﷺ تلك الأبواب، وختم ختم الله لنا بالحسنى وذلك قرب العصر من يوم الجمعة الموالية للتاريخ المذكور في المحل الذي كان يسرد فيه من الجامع الأعظم. انتهى بحروفه.

ومن شعر المترجم ما وقفت عليه في جملة مساجلة شعرية جرت بينه وبين بعض أدباء

---

(1) انظر ذكر فتنة القائد عشعاش واجتماع الخرازين من أهل الرباط بالجامع الكبير عليه ومحاولة قتله ثم ردهم السلطان وعزله في تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 729.

العدوتين أنشؤوها في ضريح سيدي عبد الله بن ياسين عند زيارة ووقفت عليها بخط الأديب ابن عمرو في كناشته، وهذا ما خطه برشيق يراعته، وأنيق عبارته، قال: هذا وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الثاني عام 1229هـ منَّ الله تعالى علينا وله الحمد سبحانه بزيارة الشيخ العارف بالله القائم بدينه ومحيي سنة نبيه محمد ﷺ أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن ياسين ﷺ، ونفعنا ببركاته، صحبة جماعة من الإخوان السادات الفقهاء الأعيان، بلغ الله قصد الجميع بمنه، فقال أخونا العلامة أبو[1] محمد صالح ابن شيخنا النحرير سيدي أحمد الحكمي ما نصه:

جِئْنَاكَ جِئْنَاكَ نَشْكُو يَا ابْنَ يَاسِينَا ... فَكُنْ مِنَ الضُّرِّ بَيْتَ الْفَضْلِ آسِينَا

فقال كاتبه محمد بن التهامي غفر الله له بمنه:

مَا زِلْتَ تُسْقَى كُؤُوسَ الْفَضْلِ مُتْرَعَةً ... وقَدْ أَتَيْنَا لِكَيْ نَكُونَ حَاسِينَا

فقال الأخ العلامة السيد أحمد بن خضراء السلوي:

فَأَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ أَضْحُوا لِزَائِرِهِمْ ... بِكُلِّ مَا أَمَّلُوا فَوْراً مُوَاسِينَا

فقال الأخ العلامة السيد الحاج محمد بن محمد بن جلون:

وَمَنْ يَؤُمُّكَ نَالَ السُّؤْلَ أَجْمَعَهُ ... فَلا تَكُنْ بِبُلُوغِ السُّؤْلِ نَاسِينَا

فقال الأخ الصالح الحكمي المذكور:

وَقَدْ أَتَاكَ ضِعَافٌ عَزُّهُمْ شَرَكٌ ... عَسَى يَعُودُونَ بَعْدَ الْعُزِي كَاسِينَا

فقال كاتبه محمد بن التهامي المذكور أمنه الله:

وَكُلُّ خَلْقٍ لَهُ مَأْوَى يَلُوذُ بِهِ ... لَكِنَّ أَبْوَابَكُمْ قُدْماً مَرَاسِينَا

فقال الأخ السيد أحمد بن محمد بن خضراء المذكور:

رُحْمَاكَ رُحْمَاكَ يَا بَدْراً سَمَا شَرَفاً ... لِمَنْ تَلا ضَارِعاً طَهَ ويَاسِينَا

فقال السيد الحاج محمد بن جلون المذكور:

وَاضْرَعْ إِلَى اللهِ فِي الْمَأْمُولِ عَنْ عَجَلٍ ... لِكَيْ يَصِيرَ الْعِدَى بِذَاكَ خَاصِينَا

فقال كاتبه محمد بن التهامي المذكور أمنه الله:

شَفِيعُنَا لَكَ خَيْرُ الْخَلْقِ مِنْ مُضَرٍ ... مَنْ أُوتِيَ الذِّكْرَ فَضْلاً والطَّوَاسِينَا

---

(1) في (ح): (ابن).

وَمَــنْ تَــلاهُ عَلَــى الــنَّهْجِ الْقَــوِيمِ لَــهُ عَــــزْمٌ يَــــلِينُ لَــــهُ بِــــاللهِ قَاسِـــينَا

فقال الأخ السيد أحمد بن خضراء المذكور:

صَــلَّى عَلَيْــهِ إِلَــهُ الْعَــرْشِ مَــا افْتَخَــرَتْ أَعْـــلامُ أُمِّ الْـــقُرَى بِـــهِ عَلَـــى سِـــينَا

***[74] الحاج محمد بن إبراهيم فرج[1]**

قائد الرباط وناظره، ومفتيه، وأحد مشايخه في العلم، ومدرسيه، حسبك أن من تلامذته مفتي الرباط الفقيه السيد المكي البناني كما يأتي، وقد جاء ذكره في تاريخ الضعيف مكررا، وأخبر أنه امتحن في عهد مولاي اليزيد وضيق عليه في جملة أولاد فرج، وجماعة من أهل الرباط، قبضوا لاتهامهم بمال قادوس[2]، وزير السلطان سيدي محمد بن عبد الله والقضية مبسوطة لديه بين حوادث عام 1205هـ[3]، وقال في حوادث 1211هـ، أن المترجم كان في التاريخ المذكور مع القاضي أبي عبد الله الغربي بمكناس، في جملة طلبة الرباط الذين عيدوا هناك مع السلطان[4].

ثم أخبر بتوليه نظارة أحباس الرباط عام 1226هـ، ثم قيادة الرباط عام 1230هـ، لكن نيابة عن الباشا العربي بن بلال الذي كان قائده في هذا التاريخ بعدما تعصب الفوضى من أهل الرباط على قائدهم الحاج عبد الرحمن عشعاش التطواني، ثم استقل المترجم بقيادة الرباط عام 1231هـ.

قال الضعيف: وفي يوم الخميس سابع ربيع الثاني عام 1231هـ بعث السلطان للقاضي مع ابن عمه أحمد بن الطاهر وناظر الأحباس وهو محمد فرج وعشرة من الطبجية، وعشرة من البحرية، وأعطى للقاضي زربية وأخرى لابن عمه، وفرق عليهم مالاً وصلهم به وقال السلطان لأهل الرباط: ها أنا قضَّيت عليكم الفقيه ابن جلون، وقيدت عليكم فرج، فالقائد يحكم عليكم والقاضي ينفذ الأحكام، ومن عصى فالبحرية والطبجية يأخذون بيد القاضي حتى ينفذ فيه حكم الشرع. انتهى المراد[5].

---

(1) أنظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 143، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 101.

(2) هو: العربي قادوس، وزير السلطان محمد بن عبد الله السجلماسي العلوي، أصله أعجمي، كان شديد الذكاء والفطنة امتحن أيام المولى يزيد. انظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان:3/ 336، والإعلام، للسملالي: 9/ 216.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 394 وما بعدها.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 498.

(5) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 739.

ومِمن أجرى ذكر المترجم الفقيه السيد المكي البناني في نوازله بعدما حلاه بشيخنا العلامة وذكر له في نازلة[1] رفع الذميين بناءاتهم على دور المسلمين فتوى قال فيها:

"من المقرر المعلوم من مذهب مالك وأصحابه وأن الضرر يجب قطعه لحديث: «لا ضرر ولا ضرار»[2]. وهل رفع البناء إن لم يكن فيه أذى تكشف من الضرر الذي يحكم على محدثه بقطعه؟

قولان: المشهور لا، وعليه عول في المختصر وهو مذهب المدونة، فيبقى النظر في نازلة السؤال في بنيان أهل الذمة ورفع بنائهم هل هم كالمسلمين؟ وهو مقتضى قول ابن عرفة في باب الجهاد: أن قول الطرطوشي يمنعون من إعلاء بنيانهم أي الذميين على بناء المسلمين، وفي المساواة قولان، ولو اشتروها عالية أقروا عليها - إنما نقله عن الشافعية كالمصوب له. اهـ.

فظاهره أن النصوص التي في المذهب أبقوها على إطلاقها وعمومها، بل نقل عنه جواز ما إذا اكترى الذمي علواً أو اشتراه والأسفل للمسلمين محتجاً بسكنى أبي أيوب الأنصاري فوق منزل النبي ﷺ وعورض في ذلك أو أنهم ليسوا كالمسلمين وهو نقل القرطبي في تفسيره عن ابن خويزمنداد[3] ما نصه: "لا يترك أهل الذمة أن يحدثوا ما لم يكن ولا يزيدوا في البنيان سعة ولا ارتفاعاً". اهـ[4].

فقوله: ولا ارتفاعاً نص في أنهم لا يحدثون ارتفاعاً أبداً على بنائهم القديم، وفي البرزلي ما يوافقه فإن كان فيه أذى منع اتفاقاً، وهو قول المدونة، ومنع أي رفع البنيان من الضرر، هذا والواجب على القاضي سدده الله أن يذهب بعدوله ومن له خبرة بوجوه الضرر من فضلاء المسلمين وأهل الدين المتين حتى يعاينوا ذلك، ويمنع ما فيه التباهي على المسلمين، والعلم عند رب العالمين. انتهى ببعض اختصار، ونقلتها هنا دلالة على ترجمة الرجل وإنما الرجال بالآثار.

---

(1) في (ح): (تاريخ).

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه عن عبادة بن الصامت، في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره: 2/ 784، رقم (2340)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة 3/ 48: هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع.

وأخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس: 1/ 313، رقم (2867)، وابن ماجه: 2/ 784، رقم (2341)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة 3/ 48: هذا إسناد فيه جابر (يعني الجعفي) وقد اتهم.

(3) هو: محمد بن أحمد بن عبد الله، البغدادي، المالكي، الشهير بابن خويز منداد، اختلف في كنيته، فقيل: أبو بكر وقيل: أبو عبد الله. انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، لعياض: 7/ 77، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 101.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي: 12/ 70.

* [75] محمد بن التهامي بن عمرو (المتوفى سنة 1243هـ)[1]

أديب الرباط الكبير، بل أديب عصره ونادرة مصره، وأعجوبة دهره، علماً وعملاً وفضلاً وأدباً، وروايةً وسنداً، ومحتداً ونسباً، ينتهي نسبه من قبل والده إلى الأنصار، أصحاب المشاهد والمواقف مع رسول الله ﷺ، ومن قبل والدته إلى القاضي الشريف أبي مهدي سيدي عيسى الغبريني التونسي[2]، رفيق الإمام ابن عرفة وشيخه، فهو الأوسي أباً، الأندلسي نجاراً، الحسني أماً، الرباطي داراً.

ولد ونشأ بالرباط متعاطيا العلم على مشايخه كالقاضي أبي العباس الحكمي، والقاضي أبي زيد السرايري، والقاضي أبي عبد الله الغربي، وقرأ بسلا على الفقيه السيد عبد السلام حركات[3]، وبوزان على الشيخ سيدي محمد الرهوني[4]، وبتطوان على الشيخ الجنوي، والعلامة الورزاني، وبفاس على سيدي عبد الواحد الفاسي، وسيدي أحمد التاودي، وسيدي عبد القادر بن شقرون، وسيدي محمد بنيس، وغيرهم.

ولما رحل عام وفاته إلى الحج وطلب العلم الشريف في تلك البقاع المقدسة، اجتاز بأرض تونس الخضراء وتلاقى بجماعة من علمائها، فأخذوا عنه وأخذ عنهم، كما جاء في رحلته إجازة كل منهم، ومن أجلهم الشيخ أبو إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي[5]، والشيخ

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد التهامي بن محمد بن عمرو، وانظر ترجمته في: فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 279، والإعلام، للسملالي: 6/ 202، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 148، وشجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، ص: 382، والأعلام، للزركلي: 7/ 299، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 11/ 202.

(2) هو: أبو مهدي، عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني، التونسي، القاضي الفقيه، المتوفى سنة 815هـ. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 1/ 333، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 243.

(3) هو: أبو محمد، عبد السلام بن عبد الله حركات، السلاوي، من أعلام علماء سلا وأعيانها ممن تصدر بها للتدريس والتأليف والإفتاء له منالتصانيف شرح على منظومة ابن ناصر الدرعي في التوحيد، و"مذاكرة الفضلاء المشاهر في وجوب تغيير المناكر". انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 153.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الرهوني، الفقيه، المتوفى سنة 1230هـ له حاشية كبيرة على مختصر الشيخ خليل وله أيضاً: "أوضح المسالك وأسهل المراقي إلى سبك إبريز الشيخ عبد الباقي"، و"التحصن والمنعة ممن اعتقد أن السنة بدعة". انظر ترجمته في: الاستقصا، للناصري: 3/ 129، وهدية العارفين، للبغدادي: 2/ 357، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 9/ 20.

(5) هو: أبو اسحاق، إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد بن إبراهيم الطرابلسي الأصل، الرياحي، التونسي، له حاشية على شرح الفاكهي لقطر الندى في النحو، وديوان خطب. انظر ترجمته في: فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 328، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 42.

محمد بيرم، وسيدي محمد المحجوب، والشيخ مصطفى بيرم، وسيدي محمد بيرم[1] الصغير، والشيخ محمد بن الخوجه، والسيد أحمد الأبي، وسيدي محمد الشاذلي، إلى غير هؤلاء ممن جاء ذكرهم في رحلته، والباقي في فهرسته.

ولكن عمدته هو شيخ الرباط القاضي أبو العباس أحمد الحكمي، تلميذ الشيخ البناني، أخذ عنه عن الشيخ البناني المذكور عن شيخه سيدي محمد بن عبد السلام البناني، عن سيدي محمد بن عبد القادر عن العارف بالله عن الإمام محمد بن قاسم القصار عن الولي سيدي رضوان بن عبد الله الجنوي، عن سيدي عبد الرحمن بن علي سقين السفياني، القصري عن شيخ الإسلام زكريا عن ابن حجر عن شيوخه.

وهذا ما أخذ: الموطأ والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي والدارمي وتصانيف العراقي، وتآليف النووي، ومصنفات ابن مالك، والتلخيص، والاتصال بمولاي عبد القادر. اهـ.

كذا حكاه في فهرسته المشار إليها.

أقول[2]: ويتصل سندي بالمترجم من طريق محدث المغرب ومسنده الشيخ أبي الإسعاد سيدي عبد الحي الكتاني[3]، حياه الله وبياه فأروي جميع مرويات صاحب الترجمة عن الشيخ أبي الإسعاد المذكور عن الأستاذ محمد المكي بن عزوز التونسي[4] عن شيخ الإسلام أحمد بن الخوجه[5] عن الشيخين إبراهيم الرياحي ومحمد بيرم الرابع، كلاهما عنه.

وأروي الصحيح والموطأ من طريق أبي الإسعاد أيضاً عن الشيخ عمر ابن الشيخ

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بيرم الرابع، محدث، مؤرخ، أديب تونسي، توفي سنة 1278هـ من آثاره: "تراجم خطباء الحنفية"، و"الجواهر السنية في شعر المتأخرين". انظر ترجمته في: الأعلام، للزركلي: 7/ 300، وهدية العارفين، للبغدادي: 2/ 376.

(2) القائل هو المصنف رحمه الله، وقد تقدمت ترجمة الكتاني في المقدمة.

(3) انظر طرق إسناد الكتاني لمرويات المترجم في فهرس الفهارس: 1/ 279 وما بعدها.

(4) هو: محمد المكي بن مصطفى بن محمد بن عزوز، البرجي، محدث، مسند، مؤرخ، فقيه، أصولي، فرضي. انظر ترجمته في: فهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 229، والإعلام، للزركلي: 7/ 330.

(5) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن الخوجة، من شيوخ تونس وعلمائها، ولي قضاء الحنفية، ثم الفتوى، من آثاره: كشف اللثام عن محاسن الإسلام، وعدة رسائل في موضوعات مختلفة، توفي سنة 1313هـ. انظر ترجمته في: الأعلام، للزركلي: 1/ 235.

التونسي[1] عن محمد الشريف[2] نقيب الأشراف بتونس عن محمد بيرم الرابع عن ابن التهامي المذكور بأسانيده المذكورة في رحلته المشرقية، وفهرسته المغربية.

قال جامعها: "والعجب ثم العجب أن المؤلف ابن التهامي رحمه الله قرأ على عدة من الفحول من المشايخ بالرباط وسلا وفاس وزاوية وزان وتطوان ولم يذكر فيها وقفنا عليه من الفهرسة أحداً منهم سوى الحكمي رحمه الله ومن أخذ عنهم من المشايخ فالله أعلم، عند من بقي تمام هذه الفهرسة[3] اهـ.

ثم قال في حقه: "ولما قضى الله سبحانه بالوفاة على مشايخ هذا الشيخ ابن التهامي المذكور، استقل هو رحمه الله بحمل راية العلم ونشره بالعدوتين، وتصدر لنشر العلم بالتدريس والإفتاء على الأمور المعضلات بالرسوم وتواردت عليه طلبة العلم من كل ناحية من أقطار المغرب وكان صدراً في ذلك، مع وجود جماعة من فحول العلماء في وقته، وكان رحمه الله يرجع إليه في الأمور المهمات، ومن ذلك ما وقع ذات يوم في حكم من الأحكام صدر بالرباط، وكان رحمه الله هو المباشر لكتبه، وتعضيده بنصوص الأئمة ثم إن الخصم لصاحب هذا الحكم أخذ نسخة وتوجه بها لفاس، وكان القاضي بها إذ ذاك هو الفقيه السيد العباس ابن السيد أحمد بن التاودي بن سودة المذكور، فكتب على ذلك الحكم بالفساد فأخذ منه صاحبه نسخة ورجع بها إلى كاتب الحكم الفقيه ابن التهامي المذكور فأعاد الكتابة عليه مرة ثانية، وجلب النصوص بما لا مزيد عليه في بيان المسألة وتحقيقها، وترافع الخصمان معاً للحضرة العالية بالله لمولانا سليمان رحم الله الجميع بمنه فلما تصفح المسألة وأعطاها حقها من التأمل أحضر العلماء بمراكش وفاوضهم في ذلك، وكتب بخطه رحمه الله ما نصه:

" الحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، الحق أحق أن يقال، والحق هو ما

---

(1) هو: أبو حفص، عمر بن أحمد المعروف بابن الشيخ، فاضل، من أهل بلد رأس الجبل، له رسائل في مسائل من العلوم الشرعية. انظر ترجمته في: فهرس الفهارس، للكتاني:2/ 768.

(2) هو: محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، أديب، تُولي القضاء والفتيا ونقابة الاشراف بتونس، المتوفى سنة 1284هـ انظر ترجمته في: هدية العارفين، للبغدادي: 2/ 378، والأعلام، للزركلي: 7/ 43.

(3) لم أقف على جامع تلك الفهرسة والرحلة ويذكر عن الكتاني الأنف الذكر قوله: وقد وقفت على فهرسة المترجم، ورحلته الحجازية، وكناشته، وديوان شعره، والفهرسة في كراريس مبعثرة مفرقة أيادي سبأ، ولو تمت وأخرجت لكانت مفخرة للرباط والرباطيين، فإن الرجل كان يتيمة عقدهم ونادرة صقعهم، ولكنهم ضيعوه، والأمر لله من قبل ومن بعد. انظر: فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 281.

كتبه في المسألة أهل الرباط بهذا أقول ولو أفتى به سحنون[1]، هم رجال ونحن رجال، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]، فنأمر الواقف عليه من عمالنا أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه والسلام.

وكتبه سليمان بن محمد بن عبد الله، كان الله له". اهـ.

ودام هذا الشيخ ابن التهامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صدرًا في تدريس العلم، والتقدم فيما ذكر من الإفتاء في الأمور المعضلات، وكان كثير المطالعة في كتب الفقه والنوازل والأحكام، واللغة والعروض والشعر في مدح النبي ﷺ آناء الليل وأطراف النهار، لا يفتر عن المدح وتلفيق الشعر فيه منذ ملك الملكة فيه إلى أن قضى الله عليه بالوفاة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ طلق الوجه بشاشاً حسن الخلق ضاحكاً سائر دهره كثير الخير للفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، وتأنيس الغريب، وتسلية المحزون وتنفيس كربة المهموم وتفقد ذوي الحقوق وبذل الميسور من الطعام والدراهم... وغير ذلك. لا يكترث لشدّة ولا يهتم لنائبة واثقًا بالله تعالى محسنًا ظنه به سبحانه، لا يبيت في غالب أيامه وطول حياته إلا متوكّلاً على ربه في نفقة غده ولو دخل عليه ما دخل من فتوحات ربه، تاليا في ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، فذلك هو الموجب لعدم ادخاره لغده.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ من حسن خلقه على جلالته يداعب ويسلي ويحسّن ما قلَّ من الخير ويعظمه ويشكر الصنيع وينزل الناس منازلهم، ويجلّ أهل البيت والعلماء وحملة القرآن والمشايخ المسنين من هذه الأمة المحمدية، ويسعى في الصلح بين ذات البين، ويذهب بنفسه بعد جمعه لجماعات من أهل الخير والصلاح والدين.

---

(1) هو: أبو سعيد، عبد السلام بن سعيد التنوخي، الملقب باسم طائر حديد الذهن بالمغرب يسمونه سحنونَ لحدة ذهنه وذكائه، المتوفى سنة 240هـ قرأ على ابن القاسم، وابن وهب وأشهب ثم انتهت إليه الرياسة في العلم بالمغرب، وله... "المدونة" أصل المذهب وعمدته، وهي في الأصل أسئلة سألها أسد بن الفرات لابن القاسم، وهي المعروفة بالأسدية، فلما ارتحل سحنون بها عرضها على ابن القاسم، فأصلح فيها كثيراً، وأسقط، ثم رتبها سحنون، وبوبها، واحتج لكثير من مسائلها بالآثار من مروياته. انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، لعياض: 4/ 45، والديباج، لابن فرحون: 2/ 30، ومقدمة المدونة، ص: 11 و12، طبعة السعادة 1323هـ، وشجرة النور، لمخلوف، ص:1/ 69، وطبقات الفقهاء، للشيرازي، ص: 156، وعلماء إفريقية للخشني، ص: 296، والأنساب، للسمعاني: 1/ 197، والفهرست، لابن خير، ص: 240، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 3/ 180، والبيان المغرب: 1/ 109، ومعالم الإيمان: 2/ 77، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 12/ 63.

وكان رحمه الله يتولى قضاء حاجة المحتاجين من النسوة الأيامى وغيرهم من العجائز العاجزات، وربما منعته حاجة من حوائج المتعلقين به فيأتي البيوت من أبوابها ويكلف من أهّله الله لقضائها، ولو بالكتابة إلى الإمام، وقد درج على ما كان عليه شيخه المذكور من إطعام الواردين عليه بالليل والنهار، ولا يؤخر القرى كيفما تيسرت، إمَّا من الدار إن وجدت وإلا اشتريت من السوق لحينه بما يبهت الناظرين في كلٍّ وقت.

ويطعم في العسر واليسر والضيق والسعة خصوصا طلبة العلم الشريف من أهل العدوتين، وخصوصا علماء الآفاق كعلماء فاس ومكناسة الزيتون ومراكش الحمراء وسجلماسة والمرابطين والأشراف وعلماء المشرق وعلماء الشناگيط أهل الصحاري وأطراف السودان، فكلّ من ورد من هؤلاء العلماء فلا يسأل إلا عنه ولا ينزله إلا عنده، ولا يبذل المجهود في قراه إلا هو رحمه الله وتقبّل منه.

وكان رحمه الله واسع الصدر في تحمل إذاية الخلق خاصّةً وعامة جواداً مفضالاً متلافاً لما يفتح به عليه، لا يبقي ولا يذر، كثير الصنائع والمعروف، ولا يطوي عن أحدٍ بشره ولا يعنّف مسيئاً، ولا يرى منه شراً، ولا يضمر له مكروهاً.

مجلسه في التدريس مجلس علم وفهم وحفظ وبحث وتحقيق، تروقك عبارته وتهديك إشارته، وفي خطابة الجمعة لا تسمع أفصح منه، ولا أحسن عبارة ولا إنشاء من تلفيقه.

وقد انتفع به والحمد لله جماعة من علماء الحاضرة والبادية، وقد كان خلَّفه شيخه الحكمي المذكور في أحكام القضاء أيام ولايته إياها، فيحكم بمحضره ومحضر جماعة من الأعلام تلامذة الشيخ الحكمي المذكور، فيستحسن الجميع له ذلك، وربما وجب تسجيل حكم ما يحكم به في بعض القضايا يطلبه أحد الخصمين في ذلك، فيتصدى لذلك ويعضّده بنصوص الأئمة في مظانّها ولما قضى الله على شيخه المذكور بالوفاة رحمه الله خوطب في جملةٍ من أمثاله بتولية القضاء فأبى من ذلك وامتنع رحمه الله إلا أنه كان كل متولٍّ يتولى خطة القضاء ينبيه في الأحكام، ويستشيره في النقض والإبرام، لطول باعه، ورقم بنانه خصوصاً الفقيه القاضي السيّد محمد بن جلون.

وكان جمعه جمع الفضلاء الأعلام كالفقيه القاضي السيّد محمد بن جلّون المذكور وابن عمّه الفقيه السيّد الحاج محمد، والفقيه السيّد العربي ابن شيخه سيدي محمد الغربي المذكور، والفقيه السيّد صالح ابن شيخه السيّد أحمد الحكمي المذكور، والفقيه الشريف الكاتب الحيسوبي مولاي أحمد الرفاعي، والفقيه الكاتب الحيسوبي مولاي الطيب الزياتي والفقيه

العلامة السيّد المكي بناني، والفقيه السيّد الطيب بسير، والفقيه العلامة سيدي الحفيان الشرقي وغيرهم من الفقهاء والعوام المسنين أصحاب الشيخ سيدي محمد بن ناصر ممن أخذوا بالسنة بأوفر نصيب، وجماعة من علماء أهل سلا منهم:

الفقيه السيد أحمد بن خضراء[1]، والفقيه الأديب شارح قافية الونان الشمقمق سيدي محمد بن أحمد ابن الفقيه الجريري، والفقيه صاحب النوازل والأحكام السيّد عبد السلام بن عبد الله حركات.

والفقيه العلامة ذو المحبة التامة الخطيب الناسك السيّد محمد ابن الفقيه البركة السيّد مَحمد بنعيسى السلوي رحم الله الجميع.

وقد كان رحمه الله مع هؤلاء الجمع من الأفاضل في عيشٍ رغيد، ومصافاة وحسن الطوية، وطلاقة الوجه وبشاشته، وخلوص النية مع الخاصّ والعامّ منذ توفي شيخه رحمه الله عام 1226هـ المذكور آنفاً إلى أن توفي السلطان مولانا سليمان رحمه الله وتولى بعده السلطان مولانا عبد الرحمن، وكان هو المتولي لكتب بيعته من إنشائه وتلفيقه حسبما ذكر ذلك آنفاً، حرفاً حرفاً، وآذنت الشبيبة منه بالتولي، واقتضى المشيب التعلق بالفضائل والتحلي، وتلا قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]، لبى دعوته سبحانه وأزمع بالرحلة إلى بيت الله الحرام، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام قاصداً أداء فريضة الحج وملاقاة الأعلام والأخذ عنهم، أينما كان، وأخذ بمعونة الله في تهييئ أسباب ذلك حتى أكمل الله مرغوبه في ذلك بعد أن قدم قبل هذا زيارة والده لضريح الولي الصالح سيدي مگدول بثغر الصويرة وتطوف زائراً صلحاء أحوازها، وتوجه بعد ذلك لمراكش فزار صلحاءها، ورجع للرباط، وكتب في خروجه من الرباط لحج بيت الله الحرام بخطه ما نصه:

"الحمد لله رب العالمين، وهو ثقتي وبه أستعين، لا رب غيره، لا إله إلا هو الملك الحق المبين، اللهم صل على سيدنا محمد وأزواجه وذرياته صلاة وسلاماً يملآن الوجود، وتفيض بهما علينا شآبيب البركات والجود، ونأمن بهما طوارق العوائق، ودوارق البوائق، ونستفتح بهما باب عفوك وعافيتك فيفتح، ونكرع بهما في حياض مراضيك ونسرح، ما هطل ركام، وانتفع أوام، وصل اللهم ببركاتك الطيبة، ورحماتك الصيبة، ضريحه الأنور الأمين، ووال

---

(1) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن خضراء، السلاوي، أديب، فقيه كان ملازما للتدريس بزاوية الشيخ ابن ناصر رحمه الله، توفي سنة 1236هـ. انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 156.

عليه إفضالك أبد الآباد، يا رب العالمين، وخُصَّ اللهم بآلائكَ المتوالية، ورضاك في كل قاصية ودانية، آل خير آل وصحابته الفائزين، في الحال والمآل، وعمنا ببركاتهم في المقام والترحال، وكن لنا ولجميع المسلمين بفضلك في كل حال، آمين.

هذا ويقول كاتبه العبد المقصر البائس الفقير، الجاهل الحقير، مرتكب عظائم الأوزار، المترامي على باب مولاه، الحليم، الكريم، الستار محمد بن محمد التهامي بن محمد بن عمرو بن قاسم الأوسي أباً، الحسني أماً، الرباطي غفر الله له:

إني لما آذنت الشبيبة بالتولي واقتضى المشيب التعلق بالفضائل والتحلي، ولم أزل منكمشا على غي الصبا، ولاقتناص سواد البطالة منتصباً، وسمعت واعظ الله يدعو: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لبيت دعوته، وأزمعت الرحلة إلى بيت الله الحرام، قاصداً أداء فريضة الحج، وطلب العلم حيث كنت، فأخذت بمعونة الله في تهيئة أسباب ذلك، حتى تكاملت الأدوات ولله الحمد، وهو القوي المعين، فخرجت من بلدي رباط الفتح وسلا حرسها الله تعالى بمنه، ضحى يوم الثلاثاء عاشر ربيع النبوي الأنور، على مشرفه أزكى الصلاة والسلام، من عام ثلاثة وأربعين ومائتين وألف، أحسن الله ختامها، ومعي ولدي الطالب السيد محمد وقريبي الطالب التهامي ابن شقيقي السيد الهاشمي، كان الله للجميع بكرمه، بعد أن ودعت في لوعة تنهال لها صم الصخور سواد عيني وسويداء قلبي والدتي الشريفة الكَرِيمة السيدة آمنة بنت المبرور المقدس السيد الحاج عبد القادر بن الحاج سعيد الشريف الشرشاني، الرباطي، أحد حفدة العلامة الإمام الأوحد القاضي أبي مهدي سيدي عيسى الغبريني التونسي، رفيق ابن عرفة وشيخه رحمهما الله، ونفعنا الله ببركاتهما- ودعتها رضي الله عنها والعبرات تجري سحابًا، والشجون تغري ببث الوجد اكتئاباً وانتحابا، فلم ترع بمثل توديع هؤلاء البنين، ولا تجرعت قبل مثلها غصة تثير الزفير والأنين، ودَعَتْ حفظها الله لنا بالحفظ واللطف والتيسير والفتح وضمَّتْ إلى الدعاء حسن الترضي، معلنة صراحة بالإذن لنا في هذه الوجهة المباركة، ففارقتها كما يعلم الله بقلب خافق، وشجو مرافق، وتصبر غير موافق، ثم عطفت إلى أهلي وبني وذوي رحمي، وصليت ببيتي ركعتي السفر بسورتي الإخلاص، واستودعتهم الله وأودعونا إياه، فإن الله سبحانه إذا استودع شيئاً حفظه.

ثم خرجنا من دارنا فشيعنا منها إلى المرساة بالبحر من العلماء والفضلاء وأهل المحبة ما ضاق بها الفضاء تقبل الله منهم ونفعنا ببركاتهم، وجاءت الزوارق المؤدية إلى السفينة التي استخرت الله تعالى في ركوبها، وودعنا هنالك الأخوة والأحباب والأصحاب والأهل

والجيران، وكان مشهداً حافلاً حضره من لا يأخذهم عد ولا يجمعهم ضبط، من سادتنا الفقهاء الأعلام، والصلحاء والفضلاء والطلبة والمتعلمين، وأهل الخير في غمار المسلمين، بارك الله فيهم، ثم رجع كل مودع فعاد وقرأنا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، ثم زاد في التشييع أخونا الفقيه العلامة الأثير الأستاذ الخطير الفاضل الماجد، محيي مهج المكارم وبهجة الصدور في أعيان الأكابر، القاضي أبو محمد صالح ابن شيخنا العلامة النحرير، المجلى في حلبة التقدم والتحرير، أبي العباس أحمد بن أحمد الحكمي، أمَّنه الله، فركب معنا الزورق إلى أن وصلنا السفينة فودع بقلب مصدع، ودمع هامل، ووجد كامل، وأنشدني إذ ذاك حفظه الله بديهة:

تَــــرَكْتَنِي مُـــــفْرَداً غَرِيبـــــاً   فَـــلا تُـــضِعْ وَاجِـــبَ ادِّكَـــارِي

(انتهى كلام جامع رحلته وفهرسته).

وممن ترجم له أيضاً صاحبنا الأستاذ العضو النائب بالمحكمة العليا الفقيه السيد محمد السايح الرباطي، قال في كتابه المنتخبات العبقرية[1]، بعد ذكر اسم المترجم ونسبته الطينية، ما نصه:

"ومن الخليق بالاعتبار أنه شارك ابن الونان في نسبه، ويلزم من ذلك المشاركة له في افتخاره بملوك اليمن، وما كان لهم من الآثار وبالأنصار، وما كان لهم من المشاهد والمواقف مع رسول الله ﷺ، حيث يقول ابن الونان في ذلك:

سَـــلِ ابْـــنَ خَلْـــدُونَ عَلَيْنَـــا فَلَنَـــا   بِـــيَمَنٍ مَـــآثِرُ لَـــمْ تُـــمْحَقِ
وَسَـــلْ سُـــلَيْمَانَ الْكُلاعِـــيَّ كَـــمْ لَنَـــا   مِـــنْ خَـــبَرٍ بِخَيْبَـــرَ وَالْخَنْـــدَقِ

فقد زاحمه في موجوده وجدوده، وفي محصوله وأصوله، وهذا من غريب الاتفاق.

ولد ونشأ برباط الفتح، وتلقى عن جلة من أهل العدوتين وغيرهم، فمن أهل الرباط الإمام العلامة، المفتي أبو العباس الحكمي، ومن أهل سلا الفقيه المفتي السيد عبد السلام حركات، ومن غيرهم الإمام حافظ المذهب المالكي الشيخ أبو عبد الله محمد الرهوني، قدس الله أرواحهم.

---

(1) هو كتاب: المنتخبات العبقرية لطالب الثانوية، لمحمد بن عبد السلام السائح المتوفى سنة 1367هـ ترجم فيه لعدد من أعلام المغرب، وقد طبع بمطبعة الجريدة الرسمية سنة 1920 م. انظر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة: 1/ 271، والأعلام، للزركلي: 6/ 207.

ونبغ في فنون الأدب، وصناعتي النظم والنثر، حتى أصبح نسيج وحده، وصدر أدباء مصره وعصره، ورزق من جودة القريحة وصفائها وتدفق الفكرة وانبثاقها، ما بهر به وظهر، وترامى صيته واشتهر، وأشعت أشعة فكره إلى معاني الشعر ومغازيه، فتناولها من عقر مواقعها وأكنها بجنابه، واستخدمها بين يديه، فأصبحت تتبارى في السبق لإشارة بنانه.

وبالجملة، فما أحراه بقول البديع في وصف زهير، يذيب الشعر والشعر يذيبه، ويدعو القول والسحر يجيبه، وناهيك بهمة رجل انبرى لمعارضة ابن الونان، لما ألقى قافيته البديعة للميدان وقال:

مَـنْ كَـانَ يَرْجُـو مِـنْ سِـوَايَ مِثْلَهَـا رَجَـا مِـنَ الْقِرْبَـةِ رَشْـحَ الْعَـرَقِ

فانبرى لمعارضته قرن يفخر ويصول ولا كالحباب بن المنذر يوم يقول: "أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب"[1].

فتجاولا في اللغة والغريب، وتسابقا في المدح والنسيب، واقتفى كل منهما قافية القاف، وبان أن كلاً عن صاحبه قاف، بيد أن الناظم رحمه الله حاز السبق المبين بمدح خير العالمين ﷺ، وشرف وكرم، وإن قصرت به خطى اليراعة عما أبدع ابن الونان من روائع الحكم، ونوابغ الأمثال، وصبها على قوالب جيد الصناعة، وأما قافيته فقد أكثر فيها من الغريب، وتوخى الوقوع على حافر ابن الونان، والطبع على غراره في عدة أساليب وفنون ومن ذلك أنه شبب في مستهلها بذكر الفلوات الموحشة المترامية الأرجاء، والأوصاف البديعة للأينق، وأن الحادي أبى إلا أن يذرعها عبثاً، ويقذف فيها بتلك الأينق من غير إبقاء عليها، ولا رأفة، وأسهب في التنوع في تأنيبه، والتلطف في عتبه وتثريبه، ثم انتقل إلى التغزل بذكر أوصاف الحسن في النساء، وغيرهن ثم إلى فن الحماسة والعرامة والافتخار، ووصف أدوات الحرب والخيل، ثم تخلص إلى المقصود الأعظم من مدح محمد بن عبد الله ﷺ، فمدحه ومدح الصحابة الكرام، واستشفع به عليه السلام، وشكا إليه ما مسه من الوصب والضنا، والفاقة وما لقي من أهل زمانه، مما ليس لحمله طاقة، ومن دقائقها التي ترقص وتطرب أنه لما تخلص إلى

(1) هو: أبو عمر، الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي ثم السلمي، قال ابن سعد وغيره: شهد بدراً ،وهو الذي قال يوم السقيفة أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب .اهـ. انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد: 3/ 567، وسيرة ابن هشام : 2/ 660، والروض الأنف ، للسهيلي: 4/ 448، والإصابة، لابن حجر: 2/ 10.

مدحه ﷺ تخلص من وعر تلك الألفاظ الوحشية الموحشة، إلى ألفاظ ناصعة تذوب لطفاً وعذوبة، فكأن انشقاق فجر الأوصاف المحمدية والشمائل النبوية أفاض عليها من أنواره، وكساها من حلل جماله، فتلألأت أنوارها، وابتسمت ثغورها، وهذا مما ينبئ عن فصاحته وحسن ذوقه وأصالة أدبه، توفي بالحجاز سنة 1243هـ.

يقول في مستهلها[1]:

مَسَحْتُ فِي الإِدْلاجِ كُلَّ خَيْفَقِ ... يَرَّاءَ سَبْسَبٍ يَبَابٍ سَمْلَقِ[2]

أَوْجَفْتُ كُلَّ مُطَهَّمٍ سَمَهْدَدٍ ... مَتْنٍ دَمُوسٍ وَاسِعِ الْمُخْتَرَقِ[3]

يَغْتَالُ غِيلانَ الْفَلا مِنْ سَنَدٍ ... شَنَاظُهُ مُسْتَمْسِكٌ بِالأُفُقِ[4]

وَسُقْتُ كُلَّ عَيْطَمُوسٍ عَيْهَلِ ... عَيْرَانَةٍ قَوْدَاءَ ذَاتِ شَمَقِ[5]

لَهِقَةٍ حَرْفٍ وَكُوفٍ شَوْدَحٍ ... عَكْفَاءَ عَنْدَلٍ لِكَاكٍ دَيْفَقِ[6]

---

(1) توجد نسخة خطية من هذه القصيدة تحفظ تحت رقم (2241/ 3د) بالخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع، وقد شرحها محمد بن عبد السلام السائح وسمى شرحه: "سوق المهر إلى قافية ابن عمرو" وهو مطبوع بالرباط. انظر: فهرس المخطوطات العربية بالرباط: 5/ 70، برقم (3899).

(2) خَيْفَق: ريح سريعة، ويرَّاء: أي شديدة، وسملق: نبات صحراوي، وكل هذه صفات للصحراء التي قطعها. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 10/ 80 مادة (خفق)، و10/ 159 مادة (سلق)، و5/ 294 مادة (يرر).

(3) وجفت الدابة: أي أسرعت، وأوجفتها حثثتها على سرعة السير، والمُطَهَّمُ من الناس والخيل: الحَسَنُ التامُّ، وفرسٌ مُطَهَّم قليلُ لَحْم الوَجْه، والسَّمَهْدَدُ: الكثيرُ اللَّحْمِ الجَسِيمُ من الإبلِ، والدِّماسُ كل ما غَطَّاك، ودَمَسْت الشيء غطيته، والدَّمَسُ ما غُطِّي ويريد بمتن دابته أنه مغطىً بالشعر الكثيف، والمخترق: الممر، والبعير الأَخْرَقُ هو الذي يقع مَنْسِمه بالأرض قبل خُفِّه. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 12/ 372، مادة (طهم)، و9/ 352، مادة (وجف)، و6/ 87 مادة (دمس)، و10/ 73 مادة (خرق)، وتاج العروس، للزبيدي: 8/ 215، مادة (سمهد).

(4) شَنَاظِي الجبالِ أعاليها وأطرافُها ونواحيها انظر: لسان العرب، لابن منظور: 7/ 446، مادة (شنظ).

(5) العيطموس العيهل: الناقة الفتية القوية لا تستقر نزقاً، والعيرانة الناقة النشيطة السريعة، والقوداء: الطويلة العنق والظهر، وذات شمق أي ذات نشاط وخفة.انظر: لسان العرب، لابن منظور: 4/ 620، مادة (عير)، و3/ 370، مادة (قود)، و10/ 186، مادة (شمق)، وتاج العروس، للزبيدي: 30/ 79 مادة (عيهل).

(6) الناقة اللهقة: البيضاء بغير بريق، وناقة حرف أي مهزولة شبهت بحرف كتابة لدقتها وهُزالها، وكُوف: أي غزيرة اللبن، وشودح: أي طويلة على وجه الأرض، وعندل: أي ضخمة الرأس، ولُكِّيَّة ولِكاكٌ شديدة اللحم مَرْمية به رمياً. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 10/ 322، مادة (لهق)، و9/ 41، مادة (حرف) و9/ 362، مادة (وكف)، و2/ 497، مادة (شدح)، و11/ 479، مادة (عندل).

ومنها:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللهِ ويَا شَمْسَ الضُّحَى فِي مَغْرِبٍ ومَشْرِقِ
يَا خَاتِمَ الرُّسْلِ وسَيِّدَ الْوَرَى يَا بَهْجَةَ الْكَوْنِ ونُورَ الْحَدَقِ
وَيَا زَعِيماً بِالشَّفَاعَةِ إِذَا نَبَذَهَا كُلُّ رَسُولٍ مُشْفِقِ
يَا سَاقِياً أُمَّتَهُ مِنْ حَوْضِهِ فَلَيْسَ يَظْمَا فَتًى مِنْهُ سُقِي
يَا وَزَرَ الْمَذْعُورِ يَا بَحْرَ الْعَطَا يَا نُصْرَةَ الْمُلْتَهِبِ الْمُخْتَنِقِ
وَيَا عَظِيمَ الْجَاهِ عِنْدَ رَبِّهِ يَا رَحْمَةَ اللهِ انْبَرَتْ فِي طَلَقِ
يَا مَعْدِنَ الْفَضْلِ ويَا كَنْزَ الْغِنَي ويَا مُفَكِّكَ إِسَارَ الْمُوثَقِ
ويَا مَلاذَ الْمُنْضَوِي يَا سَنَدِي يَا وَزَرِي مِنْ عَدُوٍّ مُبْرِقِ
يَا مَطْمَحَ النَّظَرِ[1] يَا نُورَ الدُّجَى ويَا خَلاصَ كُلِّ جَانٍ مُرْهَقِ
يَا نِعْمَةَ اللهِ عَلَى الْخَلْقِ ويَا أَوْفَى الْوَرَى بِذِمَّةٍ ومَوْثِقِ
ويَا مُجِيرَ الْمُسْتَجِيرِ كَرَماً ويَا غِنَى الْمُبْتَئِسِ الْمُرْتَفِقِ
ويَا جَوَاداً بِالرَّغَائِبِ إِذَا ضَنَّ الأَمَاجِدُ بِبَذْلِ الرَّوْذَقِ[2]
وَيَا خَلِيقاً بِالْمَكَارِمِ إِذَا عَزَّ تَطَلُّبُ الْعَقُوقِ الأَبْلَقِ
وَيَا عَزِيزاً جَارُهُ مُمْتَنِعاً مِنْ كَيْدِ كُلِّ كَاشِحٍ وتَيِّقِ
يَا غَايَةَ الْقَصْدِ ومَضْمُونَ الْمُنَى يَا نُجْحَ سُؤْلِ الْقَاصِدِ الْمُغْرِقِ
وَيَا مُحَكَّماً بِإِذْنِ رَبِّهِ فِي مُلْكِهِ بِكُلِّ فَضْلٍ مُغْدَقِ
هَذَا عُبَيْدُكَ الْعَقُوقُ مُشْفِياً عَلَى شَفاً مُصَفَّداً لِلْعُنُقِ
قَدْ شَدَّدَ الْخَطْبُ خِنَاقَهُ فَمَا بِهِ حِرَاكٌ رَابِضاً بِمَوْبِقِ
يَصْرُخُ زَاهِداً بِبَابِكَ فَلا يَخْشَى وحَاشَاكَ انْتِهَارَ الْفَيْتَقِ[3]

(1) كذا في (ح 1)، و(ح) ويستقيم الوزن بكلمة (الأنظار).

(2) الرَّوَاذق: ما طُبِخَ من لحْمٍ وخُلِطَ بأخلاطِه، وهو مُعَربٌ، واحدته رَوْذَق. انظر: المحيط في اللغة، للصاحب بن عباد، باب القاف والذال.

(3) الفيتق: هو البواب، وقيل: النجار، وقيل: الحداد، والمراد: حاشاك من أن ينتهر بوابك من ببابك يطلب السؤال. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 10/ 296، مادة (فتق).

فِـي هَـصَبٍ مِـنْ نَصَبٍ ووَصَبِ وشَصَبٍ ولَصَبٍ وعَـوَقِ[1]
يَـزجُو امْـتِنَانَكَ فَخُذْ بِيَدِهِ فِـيمَا عَرَاهُ مِنْ مُصَابٍ فَيْهَـقِ[2]

انتهى من المنتخبات مع بعض اختصار.

ومما يحكى في سبب نظمه لتلك المعارضة أنه أصيب بداء النقرس في مفاصله، ولم ينفع فيه علاج إلى أن جاءته يوماً امرأة تسأل عنه، وعن مرضه، وأخبرته أنها رأت في المنام رجلاً يقول لها: أرشدي فلاناً لمدح السلطان، تعني سيدي محمد بن عبد الله، فذاك دواؤه، ولما قص الرؤيا على بعض أهل العلم قال له: عليك بالتعلق بالجناب النبوي، فذاك المراد؛ ونظم القصيدة المعارضة المذكورة، فكانت سبب شفائه، ويقال أنه لما وصل إلى قوله فيها: "فالحمد لله الذي جعلها"، وقف ولم يستطع الزيادة، فرأى النبي ﷺ في المنام فقال له: أين وصلت في قصيدتك؟ فأخبره، فقال له: وما لك لم تختمه؟

فقال: لم أجد له تمامًا.

فقال له: تممه بهذا: بحلة من مدحكم ونمرق.

هكذا ثبت عن ابن عمرو المذكور، بل حكاه عن نفسه في بعض مقيداته، ولا يرد على هذا الإتمام: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]، وأن هذا مجرد منام لا تنطبق عليه أحكام ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ﴾ [يوسف: ٤٤] قال جامع ديوانه[3] عند ذكرها: "ولما أنشأ الشيخ العلامة سيدي محمد بن التهامي المذكور قصيدته القافيَّة المذكورة التي عارض بها أرجوزة الأديب السيد أحمد الونان التواتي أصلاً، الفاسي الدار، في الصلاة على النبي ﷺ، وشاع خبره عند العلماء والأدباء بالمغرب، وتطايرت الركبان بنسخ منها إلى العلماء بالمغرب، وعدى خبرها ونسخها إلى المشرق كالقيروان وتونس والإسكندرية ومصر ومكة زادها الله تعظيماً وتشريفا، وبيروت الشام، والجزائر، وأجازه عليها نظماً ونثراً علماء العدوتين وعلماء فاس وعلماء سجلماسة وعلماء درعة، وعلماء مراكش الحمراء، وعلماء زاوية أبي جعد، وعلماء آزمور، وفحول العلماء من دكالة والشاوية وعلماء وزان والجبل، وعلماء تطوان وطنجة

(1) الهصب: الفرار، والشصب: العيش الشديد الشاق، واللصب التصاق الجلد باللحم من الهزال، والعوق: حركة أبي الجوع، انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي: 1/ 184، مادة (هصب) و1/ 130، مادة (شصب)، و1/ 172 مادة (لصب).

(2) الفيهق: من كل شيء هو الواسع. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 10/ 313، مادة (فهق).

(3) هو محمد بن عبد السلام السائح الرباطي المتوفى سنة 1367هـ، انظر ترجمته في: انظر ترجمته في : إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 516، وسل النصال، لابن سودة :ص133، ومجلة دعوة الحق، العدد الثاني من محرم 1395هـ.

وزرهون، ومكناسة الزيتون، وذكر جميع هذه الإجازات يطول جداً، وغرضنا هو الاختصار، فلنختصر على ما أجازه به الفقيه العلامة النحرير نابغة الزمان ونادرة الأوان سيدي محمد ابن العلامة سيدي أحمد الفقيه الجريري، شارح قصيدة الونان المذكور، السلوي داراً ومنشأ، ونص ما أجازه به: "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، حمداً لمن أكرم من شاء بما شاء من الإنشاء والإبداع، وجعل لسانه مترجماً عما ضمته الأحشاء، وكنته الأضلاع من الاعتقادات، وفنون الآداب، والصلاة والسلام المستمران على الدوام على سيد العرب والعجم، أفضل من مدح في الكتاب الكريم بما أوتي من الخلق العظيم، حالتي الرضى والغضب، نبي الرأفة والرحمة، القائل: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً»[1] وإلى مدحه به ندب، وعلى آله الأطهار، وصحبه القادة الأبرار، صلاة وسلاما ينجيان من العطب، هذا وقد أطلعني الأخ في الله الأوفى، والمحب من أجله الأصفى، الفقيه الأريب النبيل، باقعة بقعته[2]، وشاة أدباء رقعته، الجامع بين المعرفة والتحصيل والعارضة الكاملة واللسن والنظم المتقن والنثر الحسن الجملة منهما والتفصيل طود الأدب السامي، بل بحره الطامي، وغيثه الهامي، أبو عبد الله محمد بن التهامي الفاضل النبيه الأصيل الرباطي الدار الأندلسي النجار، عامله الله بالجميل على هذه الأرجوزة، حول القافية، المتينة المعنى، المكينة القافية، المؤنقة الترتيل، المشتملة على مدح خير البرية، وتنسيق أوصافه السنية السلية، وفضله العميم الجزيل صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وعشيرته الأكرمين، وحزبه في كل حين، وجيل، صلاة نعدها ليوم المعاد، أنفع عدة وأرفع زاد، وأنفس ذخر جليل التي عارض بها أرجوزة الأديب المفلق الأريب المجيد المطيل حليف الإبداع والإتقان، أبي العباس أحمد الونان، الصحراوي القبيل، ربي مصر فاس، ورئيس أدبائه الأكياس، نعم الربي والنزيل المسماة: "بالديباج المخلق بالفخر لأمير المؤمنين وأبي الشمقمق" العديمة النظير والمثيل، وهي رافعة الحجاب، سافرة النقاب، في مهرقها الكافوري السقيم، وقد ودت الخدود أن تكون لها طرساً، والعيون السود نقساً، وطلب مني أنجح الله سعيه، وسدد بمنه رأيه، وكفاه القال والقيل، أن أكون بالنظر إليها والكتب بما ظهر عليها أوفى كفيف، فأجبت داعيه، ولبيت مناديه، قضاء لحق التأميل،

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه: 5/ 2276، برقم (5793)، عن أبي بن كعب.

(2) الباقعة: الذكي العارف الذي لا يفوته شيء، وهو من المجاز، تشبيهاً بطائر حذر محتال ينظر يمنة ويسرة إذا شرب، ولا يرد المشارب المحضورة خوف أن يحتال عليه ويصاد. انظر: تاج العروس، للزبيدي: 20/ 347، مادة (بقع).

وصرفت إليها همتي، واستعملت نظري وفكرت وتأملتها غير قليل، فإذا هي نزهة أفكار ومتعة أبصار إن شئت فقل خريدة فكر طنانة، أو جريدة سحر فتانة، أو روضة بيان تفتحت أزهارها، وتفتقت بالبدائع أنهارها، وتغنت على مُلْد أفنان براعتها أطيارها، ألفظاها تروق بفصاحتها السامع، وتقرظ بعزوبتها المسامع، وتأخذ بحسنها الجامع من القلوب بالمجامع، ومعانيها البيض مذانب بلاغتها لا تغيب، تطرب وتبهج، وتقلق وتزعج، وتوحش وتؤنس، وتطمع وتؤيس، وتضيق وتتسع، وتسهل وتمتنع، بقربها على المتأمل بعذوبتها، وبعدها على المتأول بصعوبتها، تمكنت قواعد مبناها وطابق لفظها معناها، فسلبت القلوب ببراعة الأسلوب، يا لها من سلوب، ذات حسن خلوب، عروض الشعر كسوتها القوافي، وحليها المعاني اللائقة الشوافي، فلو أنشدت بين العذيب وبارق، لقال رواة الشعر: يا حبذا الغرب.

وكيف لا وأبو عذرها، مُطلِع بدرها من فلك خدرها، نادرة زمانه، وواسطة عقد أقرانه، أخذ الأدب عن أهله، فأنجد في حَزنه، وغار في سهله، ونظمه معرب عن غزارة فضله، وجودة قريحته، ونبله:

مَوَاهِــبُ لَــمْ تَحْـتَـجْ لِتَعْلِـيمِ عَـالِمٍ ... حَبَــاهُ بِهَــا الــرَّحْمَنُ جَــلَّ جَلالُــهُ

لعمري لقد أطاعه شامس القريض وعاصيه، وأقبل إليه من أعالي صياصيه، ومكنه دانيه وقاصيه، من ذوائب نواصيه، ولقد اقتحم على ليوث غابه أغيالها، ماداً راحه إلى شماريخه الشامخة فنالها، بفكرة وقَّادة، وسجية منقادة، وفهم خارق للعادة، غني عن الإعادة، حتى صار الآن في عصره صدر أدباء مصره، لا يشق غباره، ولا تلحق آثاره.

وهذه الأرجوزة شاهدة بإجادته، صادحة بغزارة مادته، مثبتة له في ديوان فرسان الكلام وقادته، وفيمن حاد عن بنيات طريقه، وصار في جادته لم يقصر فيه باعه، ولا نَبَت عنه طباعه، بَذَّ فيه بُلغاء المطابيع، وَبَزَّ أكلة اليرابيع، ألقي إليه النظام، فضل الزمام فكرع في معين ما عليه غيره حام، بدون كلفة ولا ازدحام، فطال بين أربابه كل الطول، وصال وشن على عسكر القافات الغارة، وجرد النصال، وفي ذلك مخاطبا له قلت بعدما بفكري جلت وعلى غير الله ما توكلت:

حُلْــتَ بَــيْنَ أُولِــي الْقَــوَافِي بِقَــافِ ... أَنْــتَ فِــيهِ لِــنَهْجِ وَنَّــانَ قَــافِ

طِــرْتَ فِــي أُفْقِــهِ فَحَلَّقْــتَ جِــدًّا ... بِـــقُدَامَى مَـــوْفُورَةٍ وخَـــوَافِ

فَاقْتَنَــصْتَ الْقَافَــاتِ أَيَّ اقْتِنَــاصٍ ... مُــلْحِقاً بَادِيهَــا بِمَــا هُــوَ خَــافِ

لَـــمْ تَــــزَلْ رَاوِيـــاً لأَبْـــدَعِ شِـــعْرٍ فَاعِــــلٍ بِالأَلْبَـــابِ فِعــْـلَ الـــشُّلافِ
جَمَعَـــتْ أَشْـــتَاتَ الْمَحَاسِـــنِ فِيـــهِ فِـــي بَـــدِيعِ التَّـــشْبِيهِ والأَوْصَــافِ
سَـــالِمٌ مِـــنْ شَـــيْنِ الإِجَــازَةِ نَـــاجٍ مِـــنْ عُيُـــوبِ الإِكْفَـــاءِ والإِصْـــرَافِ
ذُو نَـــسِيبٍ لِـــكُلِّ طَبْـــعٍ نَـــسِيبٍ ومَـــدِيحٍ مُؤَنَّـــقِ[1] الـــسَّبْكِ صَـــافِ
سُـــقْتَهُ مَـــسَاقَ الأَعَارِيـــبِ حَتَّـــى خِـــلْتُهُ مُنْـــشِئاً بِـــسَفْحٍ لِـــصَافِ
بَـــيْنَ شِـــيحٍ وخَـــزَّمٍ وخُزَامَـــى وعَـــــرَارٍ وأَرْسُـــــمٍ وأَثَـــــافِ
كَـــمْ جِـــنَاسٍ أَوْدَعْتَـــهُ وطِبَـــاقٍ طِـــبْقَ لَـــفْظٍ كَـــافٍ بِمَعْنَـــاهُ وَافِ
صَـــيَّرَ الْوَحْـــشِيَّ الْغَـــوِيصَ دَمِيثـــاً آنِـــساً لائِـــقاً لِرَصْـــفِ الْقَـــوَافِ
وَإِذَا سَـــــمَتْهُ الـــــرُّوَاةُ بِـــــنَقْدٍ وَجَـــدُوهُ عَـــنْ نَقْـــدِهِمْ ذَا تَجَـــافِ
عَـــنْهُ تَـــنْبُو يَـــدُ الْمُثَقَّـــفِ قَـــسْراً إِذْ قَـــنَاهُ غَـــنِيَّةٌ عَـــنْ تَـــقَافِ
مِـــنْهُ عَـــنَتْ لَـــنَا حَدِيقَـــةُ زَهْـــرٍ بَـــاسِمِ الـــثَّغْرِ خَـــاضِلٍ مِتْنَـــافِ
طَـــيْرُهَا صَـــادِحٌ عَلَـــى فَـــنَنِ طِـــرْسٍ بِـــفُنُونٍ مِـــنَ الْـــمَغَانِي لِطَـــافِ
مُـــشْرِقَاتٌ فَـــاقَتْ بَهَـــاءً ونُـــوراً سَـــاطِعٌ نُـــورُهَا بِـــكُلِّ شِـــرَافِ
يَـــا لَـــهَا مِـــنْ حَدِيقَـــةٍ ذَاتِ نَـــوْرٍ وقُـــطُوفٍ لَـــمْ تُبْتَـــذَلْ بِاقْتِطَـــافِ
بَلَغَـــتْ فِـــي التَّهْـــذِيبِ أَقْـــصَى مَـــدَاهُ وكَـــفَى تَـــصْرِيحِي بِـــهِ واعْتِـــرَافِ
وَسَـــــلامٌ مِـــــنِّي عَـــــلَيْكَ مَدِيـــــدٌ يَـــرْتَقِي عَـــرْفُهُ إِلَـــى أَنْـــفِ قَـــافِ

نسأل الله الكريم، ذا الفضل العظيم، أن يبقيه لأعلام القريض رافعاً وعن حوزته مدافعاً، ولأخلاق البلاغة راضعاً، وبأمداح خير البرية صادعاً.

آمِـــينَ آمِـــينَ لا أَرْضَـــى بِوَاحِـــدَةٍ حَتَّـــى أُضِـــيفَ إِلَيْهَـــا أَلْـــفَ آمِينَـــا

والسلام التام الطيب المبارك العام، على من يقف عليه من مُمليه عبد ربه وأسير ذنبه محمد بن أحمد الجريري، الشهير بابن الفقيه جعله الله ممن يراقبه ويتقيه، ولطف به.

وأجازه أيضا على هذه القافية الشيخ الصالح مولانا أبو حفص عمر ابن مولانا المكي ابن الشيخ مولانا المعطي ابن الصالح الشرقي العمري الفاروقي رحمه الله بقوله:

---

(1) الأَنَقُ: الإعجابُ بالشيء، وإنه لأَنِيقٌ مؤنَّقٌ لما أعجبَك حُسْنه. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 10/ 9، مادة (أنق).

هَـــذِي فُـــتُوحٌ هـــيِّئَتْ فِـــي أَزَلٍ ثُـــمَّ بَـــدَتْ فِـــي عِلْيَـــةٍ مِـــنْ رَوْنَـــقِ
أَكْـــرِمْ بِـــهَا مِـــنْ حُلَّـــةٍ فِـــي نَـــسَقٍ أَبْـــهَى وأَسْـــنَى مِـــنْ حُلِـــيِّ الْعُنُـــقِ
قَـــدْ صَـــاغَهَا الأَرْضَـــى الثَّـــرِيُّ الأَلْمَعِـــي ذُو الأَدَبِ الْغَـــضِّ الـــشَّهِيِّ الْمُـــورِقِ
رَقَّـــتْ وفَـــاقَتْ غَـــيْرَهَا لأَنَّهَـــا فِـــي مَـــدْحِ خَيْـــرِ الْخَلْـــقِ زَاكِـــي الْخُلُـــقِ
صَـــلَّى عَـــلَيْهِ اللهُ مَـــا حَيَّـــى الْحَيَـــا مُـــخْلَوْلِكَ الـــرَّبْعِ بِـــسَيْلٍ مُغْـــدِقِ

وكتب له يوماً الفقيه العلامة الوزير الأديب السيد محمد بن إدريس بما نصه:

نَظَمْـتَ مِـنَ الأَشْـعَارِ مَـا أَعْجَـزَ الْـوَرَى فَـــقُلِّدَهَا الـــرُّوَاةُ مِـــثْلَ التَّمَـــائِمِ
فَـــمِنْ مُـــصْقِعٍ مِـــنْ شَـــأْوِهَا مُتَقَـــاعِسٍ ومِـــنْ حَـــافِظٍ فِـــي حُـــسْنِ مَغْنَـــاكَ حَـــائِمِ
مَـــلَكْتَ عَنَـــانَ الْقَـــوْلِ غَيْـــرَ مُعَـــارَضٍ وفُـــزْتَ بِأَبْكَـــارِ الْمَعَـــانِي الْكَـــرَائِمِ
كَـــأَنَّكَ أَعْـــطَتْكَ الْبِحَـــارُ فَرِيـــدَهَا وبَـــابِلُ سِـــحْرَ اللَّفْـــظِ عِنْـــدَ الْعَـــزَائِمِ
وَأُعْطِيـــتَ أَسْـــبَابَ الـــسَّمَا فَتَنَاوَلَـــتْ يَـــدَاكَ الـــثُّرَيَّا قَـــاعِداً غَيْـــرَ قَـــائِمِ

وكتب له الفقيه الشريف مولاي أحمد الرفاعي الرباطي بما نصه:

لَمَّـــا رَكِبْـــتَ مِـــنَ الْـــعَلْيَاءِ ذَرْوَتَـــهَا والْمَجْـــدِ قُنَّتَـــهُ هَـــامَ الْـــوَرَى فِيـــكَ
وَصِرْتَ تَخْطُو السُّهَى والشَّمْسَ فِي شَرَفٍ فَـــازْدَادَ غَيْظـــاً لِمَـــا أُوْلِيـــتَ جَافِيـــكَ
لا زَالَ مَجْـــدُكَ عَـــيْنُ الْـــعِزِّ تَـــحْرُسُهُ والـــسَّعْدُ يَخْدُمُـــهُ واللهُ كَافِيـــكَ

* [76] محمد بن الرئيس أبي الحسن علي التريكي(1)

هو رياضي الرباط العارف الكبير بالعلوم الهندسية والرياضية، الموقت الشهير صاحب التقاييد الجليلة، كما وجدت بخط يده مرقومة بالخط الكوفي في الأسطرلاب، وأعمال الجيب وغيرها.

ومن أوضاعه مثال سماه "الشكل الكوري"، وشكل عجيب شامل لسائر الزوايا والخطوط وأشكال الهندسة مما لم تشمله أصول إقليدس وتهذيب الطوسي، ومنها ربع مجيب، وضعه للإمام العارف أبي الحسن علي ابن مولانا أحمد ابن مولانا الطيب ﷺ، وهو ربع متقن الصنعة محكم العمل، نقش فيه أبياتاً من إنشاء الأديب ابن عمرو تتضمن تاريخ وضعه واسم من صنع له وصاحب صنعه وهي:

(1) لم أقف على ترجمة له في ما بين يدي من مصادر.

تَـــمَلَّكَنِي إِمَـــامُ الْعَـــصْرِ حَقّـــاً عَلِـــيٌّ نَجْـــلُ أَحْمَـــدَ ذِي الثَّبَـــاتِ
أَجَـــادَ مُحَمَّـــدُ التُّرْكِـــيُّ صُـــنْعِي فَلِـــي فَـــضْلٌ عَلَـــى مَـــاضٍ وآتِ
أَمَـــا أَبْـــصَرْتَ تَـــارِيخِي بِرَمْـــزٍ أُعَلِّـــمُ كُـــلَّ أَوْقَـــاتِ الـــصَّلاةِ(1)

* [77] الحاج محمد جديره الكبير(2)

أحد فقهاء الرباط ومشايخه المدرسين، وعدوله الموثقين.

وهو أكبر أولاد جديره المعروفين بالنسك، والقيام بمراسم الدين.

وبيتهم من أفضل البيوتات الأندلسية سمتاً وجلالة، لم يزل منذ عهد قديم يحمل على كاهله أعباء خطة التوثيق والعدالة، سيما أثناء القرن الماضي، وأوائل القرن الحاضر، فقد رأيت عدة أنكحة وتركات محررة بأقلامهم، ولم نذكرهم لعدم الوقوف على تراجمهم.

وهذا المترجم وإن كان أكبرهم فهو ممن أغفل التاريخ خبرهم، فلا نعرف تاريخ حياته ولا وقت رحلته للحرمين الشريفين، أو عام وفاته ولم نقف إلا على ذكره في كناشة تلميذه مفتي الرباط الفقيه السيد المكي البناني، وقد حلاه شيخنا الفقيه العلامة ونقل عنه من خطه مكتوباً بهامش الزرقاني لدى قول المختصر: (وتعرية الحيوان) لخ، ما نصه: في ابن عرفة عن نوازل الشعبي أنه إن باع له خابية ليعمل فيها الزيت، وقال إنها صحيحة وهو يعلم أنها مكسورة فلا شيء عليه، بخلاف الإجارة". فانظره مع ما للزرقاني، والله أعلم.

انتهى لفظ ما وجد مكتوباً بخط من ذكر، أشار بقوله فانظره مع ما للزرقاني إلى قوله في المحل المذكور فانظر هل البيع كالإجارة لظلم البائع، فهو حق بالحمل عليه فيجتمع عليه رد السلعة وغرم ثمنها، وما أتلفه أم لا. انتهى من الكناشة المذكورة.

* [78] محمد بن علي دنية(3)

هو أبو عبد الله مَحَمَد (فتحاً) بن علي دنية الرباطي، أخو العلامة أبي العباس أحمد دنية مفتي الرباط.

(1) ثم كتب بعد ذلك تحت كلمة أعلم (141)، وتحت كلمة كل (50) وتحت كلمة أوقات (508)، وتحت كلمة الصلاة (522)، ثم كتب تحت الجميع مجموعه 1221 وهو التاريخ المشار إليه بالشطر الأخير بحساب الجمل.

(2) ذكر دنية في مجالس الانبساط عدداً من أولاد اقديرة منهم أبو محمد اقديرة، ص: 183، وأبو عبد الله ابن الحاج محمد اقديرة، ص: 252، والحاج محمد بن عبد الله اقديرة، ص: 253، وأبو عبد الله محمد بن مَحمد بن اقديرة، ص: 266، وأظن الأخير هو نفسه مترجَمنا وقد ذكر رحلته للمشرق والحج، ووفاته سنة 1323هـ.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص259.

كان من أهل العلم والفضل المغرمين بالذكر، والصلاة على النبي ﷺ، وألَّف في ذلك تأليفاً على نسق دلائل الخيرات سماه: "كنز الخيرات وأنوار الفتوحات في الصلاة على صاحب الفتوحات[1].

* [79] **محمد بن عبد الرحمن البطاوري**[2]

أديب الرباط وشاعره المقتدر، الشريف السيد محمد بن عبد الرحمن الشرشالي، نسبة إلى شرشال[3]، من بلاد إفريقية، ثم الرباطي ويدعى البطاوري.

ذكره الأديب ابن عمرو من تلامذة شيخه أبي العباس الحكمي، وحلاه بقوله: "قريبنا الشاب الفقيه العلامة الأديب أبو عبد الله محمد الشرشالي الحسني"هـ.

وكان رحمه الله، ذا خط رائق، ونظم فائق، معتنياً بالتقييد، رأيت بخطه كثيراً من التقاييد، منها قصيدة للشيخ ابن أبي القاسم السجلماسي يقول في حقها، ولشيخ شيوخنا.. إلخ.

ونقلت من خطه أيضا هذه القصيدة الرائية الطنانة موطئاً لها بما نصه: "ولما حضرنا بالحضرة العلية، في الليلة المولدية المولوية من عام أحد وثلاثين ومائتين وألف، توجهت للحبيب المصطفى ودخلت في زمرة مادحيه وكفى، فقلت:

قَدْ أَقْبَلَ السَّعْدُ واسْتَوَتْ زَوَاهِرُهُ ... وخَيَّمَ الْيُمْنُ وازْدَهَتْ أَزَاهِرُهُ

وَبَشَّرَتْ بِمُنَى الأَرْوَاحِ رِيحُ صَباً ... تُعَطِّرُ الأُفْقَ بِالشَّذَى بَشَائِرُهُ

فَانْعَمْ فَثَغْرُ رَبِيعِ الْقَلْبِ مُبْتَسِمٌ ... عَنْ دُرَّةِ الْكَوْنِ مَنْ جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ

أَصْلُ الْوُجُودِ ومِرْآةُ الشُّهُودِ ومَنْـ ... ـبَعُ السُّعُودِ فَلا تُحْصَى مَآثِرُهُ

جَمٌّ مَحَامِدُهُ شُمٌّ مَقَاصِدُهُ ... رُشْدٌ مَوَارِدُهُ يُسْرٌ مَصَادِرُهُ

هَادِي الأَنَامِ إِلَى الْهُدَى ومُنْقِذُهُمْ ... مِنَ الرَّدَى ومُفِيدُ مَنْ يُصَادِرُهُ

(1) لم أقف على من ذكر هذا المصنف فيما بين يدي من مصادر، كذا لم يسمه دنية في المجالس وأشار إلى أن المترجم له مؤلف على نسق دلائل الخيرات.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص:166.

(3) شرشال: مدينة قديمة تقع على البحر المتوسط غرب مدينة الجزائر في سهل منيجة الخصيب، أسسها الفنيقيون في القرن الرابع قبل الميلاد وسموها "بول" وفي العهد الروماني سميت: "قيصارية" أو "شرشال" وخاصة أثناء التدخل العسكري الفرنسي في مدينة لجزائر سنة 1093هـ. انظر: الروض المعطار، ص: 340.

إلى أن قال:

وَمِـــنْ كَــمَالاتِهِ تَــجْدِيدُ مِلَّتِــهِ ... فِـي كُـلِّ عَـصْرٍ فَـلا تَخْلُـو أَوَامِـرُهُ
فَـأَطْلَعَ اللهُ شَـمْسَ الـدِّينِ فِـي زَمَـنٍ ... بِـهِ الإِمَـامُ أَبُـو الـرَّبِيعِ آمِـرُهُ
ظِـلُّ الأَمَـانِ ونُخْبَـةُ الأَنَـامِ ومَـنْ ... لِـلْغَيِّ والـرُّشْدِ طَاوِيـهِ ونَاشِـرُهُ
بَحْـرُ الْعُلُـومِ وعُنْـصُرِ الْفُهُـومِ ومَـرْ ... كَـزُ الْحُلُـومِ لِكَـسْرِ الـدِّينِ جَـابِرُهُ
إِلَـى الْهُـدَى جَـامِعٌ ولِلـرَّدَى دَافِـعٌ ... ولِـلْعِدَى قَـامِعٌ واللهُ نَـاصِرُهُ
يَـدْعُو إِلَـى اللهِ وهُـوَ فِـي بَـصِيرَتِهِ ... مُـؤَيَّدٌ وحُـسَامُ الْـحَقِّ شَـاهِرُهُ
حَـازَ الْخِلافَـةَ حَقَّـاً وهُـوَ مُجْتَهِـدٌ ... فَـمَا تَـوَانَى ولا حُـلَّتْ مَـآزِرُهُ
حَتَّـى اسْـتَقَامَ عِمَـادُ الـدِّينِ وارْتَفَعَـتْ ... أَعْـلامُهُ وبَـدَا لِـلرُّشْدِ زَاهِـرُهُ
يَـا مَـنْ سَـمَا لِـسَمَا عِرْفَانِـهِ فَغَـدَا ... أَوَائِـلُ الأَمْـرِ عِـنْدَهُ أَوَاخِـرُهُ
لأَنْـتَ لِلْعَـالَمِ الـسِّفْلِيِّ بَـدْرُ هُـدَى ... وأَنْـتَ لِـلْعَالِمِ الْـعُلْوِيِّ نَـاظِرُهُ
وَالـنَّاسُ فِـي حُلَـلِ الْهَنَـاءِ رَافِلَـةٌ ... بِبِـشْرِ دَاعِـي الْمُنَـى الْمَيْمُـونِ طَـائِرُه
فَـاهْنَأْ بِأَفْـضَلِ لَـيْلَةٍ وأَفْخَرِهَـا ... بِـفَخْرِهَا وَارِدُ الْـمُنَى وصَـادِرُهُ
وَدُمْ خَـلِيفَتَهُ بِـمَا لَـدَيْكَ بِـهِ ... دِيـنٌ وطِـينٌ وبَـاطِنٌ وظَـاهِرُهُ
وَاجْـبُرْ بِفَـضْلِكَ لائِـذاً أَضَـرَّ بِـهِ ... صَـرْفُ الزَّمَـانِ فَأَمْـسَى وهُـوَ كَاسِـرُهُ
أَلْـقَى الْـقِيَادَ مُـيَمِّماً بِـوِجْهَتِهِ ... وَجْـهَ النَّبِـيِّ وقَـدْ صَـفَتْ سَـرَائِرُهُ
لا زَالَ صَـوْبَ صَـلاةِ اللهِ مُنْـسَجِماً ... يَؤُمُّـهُ رَائِـحٌ مِـنْهُ وَبَـاكِرُهُ
وَالنَّـصْرُ والْفَـتْحُ والْهَنَـا لِـسَيِّدِنَا ... والْـحَمْدُ لِـلهِ بَـدْؤُهُ وَآخِـرُ

ومن مآثره العلمية: شرحه على لامية العرب[1]، ذكر في ديباجته أنه لخصه من طرر الأديب ابن عمرو مقتطفة من شرح الماغوسي[2] عليها حسبما أخبر عنه شيخنا القاضي أبو

---

(1) القصيدة المشهورة لشمس بن مالك الملقب بالشنفرى الأزدي، شاعر جاهلي قحطاني من الصعاليك، له أشعار في الفخر والحماسة أشهرها لاميته المعروفة بلامية العرب، وأولها:

أقِيمُـوا بَنِـي أُمِـي صُـدُورِ مطـيّكُم ... فَـإني إلـى قَـوْمٍ سِـوَاكُم لأمْيَـلُ

وهي في ثمانية وستين بيتاً، لها شروح عديدة منها: شرح الخطيب التبريزي، والزمخشري، والعكبري، والبطاوري وغيرهم. انظر: جامع الشروح والحواشي، لعبد الله حبشي: 3/ 1760، والأعلام، للزركلي: 7/ 110.

(2) هو: كتاب "إتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب" لأبي جمعة، سعيد بن مسعود الماغوسي، المتوفى سنة 1015هـ =

حامد في طالعة شرحه: هامية الطرب بشرح لامية العرب[1]، قائلاً: وكنت في بداية الطلب عنيت بحفظها، وتفهم معنى لفظها، وكان وقع بيدي شرح عليها لبعض سلفنا، وهو عم والدنا، يعني به صاحب الترجمة، فلم يلبث أن طارت به من يدي عنقاء مغرب ولم أدرِ أبالمشرق وقع أم بالغرب،.. إلى آخر كلامه.

أقول قد وقفت على أول هذا الشرح المعجب، فرأيت معناه يطرب، ومبناه يعرب، دَبَّجَهُ يراع مؤلفه بما يشهد له بالتقدم في الأدب، وتوجه بما يفخر به في كل منتدى ومنتدب، ولو لم يكن من مآثره الأدبية سوى تلك القصيدة الرائية المولدية، لكان كافياً في الدلالة على علو قدره، وتفوقه في الأدب ما بين نظمه ونثره، توفي رَحِمَهُ اللهُ أواسط المائة الثالثة بعد الألف.

*** [80] القاضي محمد بن العربي عاشور (المتوفى في حدود سنة 1260هـ)[2]**

هو القاضي السيد مَحْمَد (فتحاً) بن العربي بن محمد بن أحمد بن علي الرشي[3] المعروف بعاشور الأندلسي، محتداً الرباطي مولداً.

كان رَحِمَهُ اللهُ من أكابر العلماء المدرسين المفتين ذوي المشاركة في كثير من الفنون العلمية.

أخذ عن مشايخ الرباط في وقته، كصهره القاضي ابن العروصي المتقدم، والقاضي أبي عبد الله الغربي، وغيرهما.

ووقفت له على تأليف ينسب إليه في تزييف العوائد التي تقام بمراكش أيام عاشوراء، ألفه للسلطان أبي الربيع، قال في طالعته[4]:

"هذا وإن هذه رسالة حفيلة بالنصيحة، والهداية كفيلة، نهج لي طريقتها، وكشف لي حقيقتها سيدنا الإمام الأوحد أمير المؤمنين ابن مولانا محمد أبقاه الله عمدة للدين وقامعاً لأهل البدع المعتدين، وبعضها في رد ما اشتهر بمراكش ليلة عاشوراء من أمور أحدثوها وسموها الإفراجة، تشتمل على مناكر هي لهدم بنائها وخلعها محتاجة، وذلك كتشبه الرجال =

توجد منه نسخ خطية بالخزانة الحسنية، تحت أرقام (153 - 431 - 907 - 1038 - 1363 - 1914 - 2013 - 6648 - 11319). انظر: جامع الشروح والحواشي، لعبد الله الحبشي: 3/ 1762.

(1) ذكر هذا الشرح ابن سودة، في سل النصال، ص: 80، والزركلي في الأعلام: 7/ 110.

(2) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف رحمه الله، ص: 29، والإعلام، للسملالي: 6/ 297، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 166.

(3) ضبطها السملالي في الإعلام: 6/ 297 بضم الراء المهملة وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ثم ياء.

(4) توجد للرسالة المذكورة نسختان مخطوطتان محفوظتان في الخزانة الحسنية تحت رقمي (12452) و(12584) بعنوان رسالة في بدع عاشوراء بمراكش.

بالنساء، وتشبه الرجال باليهود، وكالمحاكاة لأناس معينين من قبيلة أو من بلد، وكاتخاذ الصور وضرب الرجال آلات اللهو من أجوالات[1] ومزامير وغيرها، وأخذهم بذلك أموالاً من غير طيب نفس أهلها، بل يعطونهم حماية للعرض وتوقياً من الضرب والشتم، وسائر أنواع الإذايات، وكأخذ الكراء على تدوير الصبيان، وغيرهم بالنواعير وما ينشأ عن ذلك من الضرر والجراحات.." إلى آخر كلامه.

كان رحمه الله من العلماء العاملين والقضاة الناسكين، متحلياً بحلية العلم والفضل، متحريا طريق الإنصاف والعدل، تداول قضاء الرباط ومراكش إلا أن ولايته بالرباط لم تكن من قبل السلطان على ما نقل عن الأديب ابن عمرو الرباطي، ونص الغرض من كلامه، أنه في يوم الأحد السابع من ربيع الثاني عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف تعصب الفوضى من أهل الرباط فأخروا الفقيه السيد عبد القادر مرينو[2] عن القضاء، ومنعوه الحكم بين الناس وكان واليا عليهم بتولية مولانا أمير المؤمنين أبي الربيع رحمه الله، ثم في عشية الأربعاء بعده يليه قدموا السيد محمد عاشور.اهـ.

لكن أخبرني حفيد المترجم الفقيه العدل السيد الحاج محمد عاشور، أن ظهير توليته موجود لديهم، فلعله بعدما ولي من قبل أهل البلد أقره السلطان بذلك الظهير، ومع هذا فلم تكن ولايته بالرباط إلا بضعة أشهر، لما كان عليه رحمه الله من الشدة والصرامة في الأحكام، ومما يحكى في صرامته أنه جاء إليه الوزير ابن إدريس لداره متشفعاً في إرجاع عدل عزله عن الشهادة، فلم يشفعه، قال له: كيف أرده أنا والشرع عزله؟

قيل وهذه القضية هي التي كانت سبب تأخيره عن قضاء الرباط، نعم، بعد ذلك أسند إليه قضاء مراكش، فمكث فيه نحو الخمسة عشر عاماً، وكان هو قاضي الجماعة يحكم بمقصورتي المواسين وابن يوسف كما في كتاب الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، لحبيبنا العلامة المؤرخ أبي الفضل السيد عباس بن إبراهيم المراكشي[3]، قال:

---

(1) الأجوال أو الأكوال من أدوات الطرب بالمغرب، وشكلها مستطيل من فخار أجوف يتسع من أسفل ويضيق من أعلى، يجلد وينقر حسب ترتيب معروف وتتنوع أسماؤه حسب حجمه وزخرفه. (نقلا عن محقق الإعلام بتصرف). انظر: الإعلام، للسملالي بتحقيق عبد الوهاب بنمنصور: 6/ 298.

(2) هو: أبو محمد، عبد القادر بن المهدي مرينو الأندلسي. انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف رحمه الله، ص: 27.

(3) هو: عباس بن محمد بن محمد بن إبراهيم السملالي، المراكشي، القاضي، الفقيه، المؤرخ، المتوفى سنة 1378هـ له مؤلفات عديدة منها: "الإمتاع بحكم الإقطاع"، والأجوبة الفقهية مع الأحكام المسجلة في أربعة أجزاء، و"الإعلام بمن حل مراكش

"وكانت فيه حدة، سجن العلامة سيدي محمد السليطين(1)، حيث كان يفتي بنقد أحكامه ويعترض عليه فيها، ووقع بينهما لجاج ومنعه من الإفتاء، ثم سرحه السلطان مولاي عبد الرحمن في الحين، وكان لا يقبل من العدول إلا المبرزين، واختار منهم جماعة قليلة، وعزل غيرهم واقتصر عليهم، وصاروا يعرفون بالعدول العاشوريين.

ولما جاء العلامة سيدي الطالب ابن الحاج قاضياً بعده ألزمه السلطان الاقتصار عليهم لشهرتهم بالعدالة والتبريز، وانتصابهم على التمييز"(2). انتهى بتصرف.

وكان وفاته بمراكش في حدود الستين والمائتين والألف، ودفن خارجه بضريح سيدي عمارة قرب دار المخزن ثمة.

ومما وقفت عليه من الأمداح في جانب صاحب الترجمة، قصيدة ملوكية للأديب الشريف مولاي عبد الواحد ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله قدس الله سره، وإليك البعض من أبياتها:

حَلَلْنَا رِبَاطَ الْفَتْحِ بِالْفَتْحِ والْهَنَا ... وبِالطَّائِرِ الْمَيْمُونِ والسَّعْدِ وَالبِشْرِ
شَرِبْنَا فَطِبْنَا قَهْوَةً مَدَنِيَّةً ... مُكَلَّلَةً لَكِنْ بِتَاجٍ مِنَ الدُّرِّ
بِكَأْسِ أَبِي الْعَلْيَا مُحَمَّدٍ مَنْ لَهُ الْـ ... ـمَزَايَا الَّتِي جَلَّتْ عَنِ الْكَمِّ وَالحَصْرِ
إِمَامٌ تَقِيٌّ والزُّهْدُ والْعِلْمُ دَأْبُهُ ... ويَعْلَمُ عِلْمَ الأُفْقِ وَالنَّجْمِ وَالْقَطْرِ
هُوَ الْجَهْبَذُ النِّحْرِيرُ خَيْرُ مُشَارِكٍ ... رِبَاطُ سَلا جَرَّتْ بِهِ الذَّيْلَ مِنْ فخْرِ
فَمَنْ أَمَّهُ يَوْماً لأَخْذِ كَرِيمَةٍ ... يَجُودُ بِهَا فِي الْحِينِ بَاسِمَةَ الثَّغْرِ
هَنِيئاً لَنَا بِالطُّودِ يَا سَعْدَنَا بِهِ ... سَقَانَا كُؤُوساً مِنْ مُعَتَّقَةِ الْخَمْرِ
وَلَكِنَّهَا لا غَوْلَ فِيهَا ولا بِهَا ... مُلامٌ ولا إِثْمٌ يُخَافُ مِنَ السُّكْرِ
جَزَاهُ إِلَهُ الْعَرْشِ عَنَّا كَرَامَةً ... وَخَلَّدَهُ فِي الصَّالِحَاتِ مَدَى الدَّهْرِ

= وأغمات من الأعلام" في عشرة أجزاء. انظر ترجمته في: مقدمة كتابه الإعلام، بقلم محققه عبد الوهاب بن منصور، وسل النصال، لابن سودة، ص:173، والإعلام، للزركلي: 3/ 265.

(1) السليطين لقبٌ لقب به المؤرخون المسلمون الفونسو السابع كما ذكر ذلك الأستاذ عبد الوهاب بن منصور أثناء تحقيقه للأنيس المطرب ويبدو أن اللقب بجذوره الأندلسية وافد على المغرب ولم أقف على ذكر صاحبه المشار إليه. انظر الأنيس المطرب، لابن أبي زرع بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، ص:252.

(2) انظر: الإعلام، للسملالي: 6/ 297.

* [81] سيدي محمد الحفيان الشرقاوي (المتوفى سنة 1256هـ)(1)

العلامة الأستاذ، المقرئ، المشارك، المحدث، الصوفي سيدي مُحَمَّد (بالفتح)، المدعو الحفيان، آل الشيخ الكبير والقطب الشهير سيدي محمد الشرقي، كان رحمه الله من أهل أواسط المائة الثالثة بعد الألف وممن انتهت إليهم الرياسة في علوم التجويد والقراءات، وبه يتصل سندي للقرآن العظيم من طريق شيخنا أبي السعود الكتاني عن علامة سلا الفقيه السيد عبد الله بن خضراء السلوي، عن الشيخين الأستاذين السلويين أبي عبد الله محمد بن الجيلاني الشرقاوي، وأبي محمد عبد السلام الحصيني، كلاهما عن صاحب الترجمة، إلا أن الفقيه السيد عبد الله المذكور صرح بعدم وقوفه على سند المترجم، وفي البغية للولي الصالح سيدي العربي بن السائح(2) عند ذكر ترجمته أنه أخذ القراءات وأحكامها عن ابن عمه الولي الصالح الزاهد الورع الأستاذ المبرز سيدي محمد بن عبد السلام الشرقي، دفين روضة القطب الأكبر سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وكان أخذه عنه بمراكش لما ارتحل من بلده إليها بقصد قراءة العلم، قال في البغية: وسمع بها شيئا من الحديث ثم رحل إلى فاس فأقام بها مدة وقرأ بها على غير واحد من مشايخها، وفي هذه المدة لقي الشيخ رضي الله عنه وأخذ عنه ورده وصحبه وانتفع بصحبته نفعا ظاهرا. انتهى المراد. وبذلك ترجمه صاحبنا الفقيه الأديب السيد أحمد سكيرج الفاسي في كتابه: "كشف الحجاب"(3)، وزاد في تحليته وصفه بالمقدم الفاضل والولي الكامل، والبحر الزاخر، والطود الباهر، ذي المناقب الشهيرة، والكرامات الكثيرة، وأنشد فيه قول منية المريد(4):

---

(1) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 6/ 188، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 217، وذكر أن وفاته سنة 1276هـ.

(2) هو كتاب: "بغية المستفيد في شرح منظومة منية المريد" وهي قصيدة للشيخ أحمد التيجاني المتوفى سنة 1260هـ شرحها العربي بن السائح المتوفى سنة 1309هـ وطبع الشرح بمصر سنة 1308هـ.

(3) هو كتاب: "رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب"، لأبي العباس، أحمد ابن الحاج العياشي سكيرج، الأنصاري، قاضي مدينة سطات المتوفى سنة 1363هـ ويقع في أربعة أسفار طبع منها اثنان على الحروف بتطوان. انظر: دليل مؤرخ المغرب، لابن سودة: 1/ 265، ومعجم المطبوعات 2/ 1395، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 13/ 365.

(4) منية المريد منظومة، لأبي العباس، التيجاني أحمد بن بابا، الشنقيطي المغربي المالكي المتوفي سنة 1260هـ في التصوف ومدح الشيخ التيجاني وأصحابه استهلها بقوله:

قال ابن بابا العلوي نسبه ... المغربي المالكي مذهبه

توجد منها نسخة في مكتبة عبد الله كنون تحت رقم (10457)، وقد طبعت مع شرحها للعربي بن السائح في مصر سنة =

والعمـــــري الـــــسيد الحفيـــــان ذي العلـــم والـــصلاح والعرفـــان

وبعدما نقل كلام صاحب البغية في حقه قال:

"وإنما لم يبسط في البغية ترجمته لأنه من عائلته وقرابته، وبسط الكلام فيه يؤدي إلى التزكية فتنكب بسط كرامته قصداً للخمول، لكن بسطها بعض البسط في كناشته فقال ضمن ترجمته: ومما أوصى به أولاده سيدنا الجليل البركة الأثيل العالم النحرير، والعلم الشهير، فريد الأوان وعين الأعيان، أبو المآثر سيدي محمد الحفيان، نجل السيد الأجل البركة المبجل سيدي الشرقي أنعم نسباً، والأجعيداني نشأة، التيجاني طريقة، المحمدي حقيقة، هذه الوصية تركها لهم ببعض كتبه بخط يده، ومنه كتبت وهي:

"الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، أولادنا كافة: مُحَمَّد (فتحاً)، والعربي، ومحمد (ضماً)، والطاهر، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإني أستودعكم الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة، واعلموا أن كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة وأن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون، وهو معكم أينما كنتم والله عليم بذات الصدور، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء يعلم ما تسرون وما تعلنون، ويجزي كل نفس بما تسعى، فلا يصدنكم عن ذكر الله ومراقبته أحد، فإن ذلك سبيل الردى وأوصيكم بتقوى الله والاقتفاء لسنة رسول الله وطلب العلم ولو بالصين، ومحبة أهل الله وأهل بيته، وتعظيمهم في الظاهر والباطن، ومجانبة أهل المعاصي واجتنابهم فيما لا يرضاه الله ورسوله، ومحبة أهل بيت الرسول وتعظيم العلا، والرقة على المسكين والفقراء والسعي في الخير على كل حال، أحذركم معصية الله ومخالفة كتابه وسنة نبيه، لأن من تمسك بهما نجا، ونال من الله من كل خير ما رجا، وأوصيكم بالأمر بالمعروف وارتكابه، والنهي عن المنكر واجتنابه، وقيام الليل بما شاء الله من القرآن، سيما في الثلث الأخير منه فإن فيه نزول الحق على ما يليق به إلى سماء الدنيا، هل من داع فأستجيب له، وقلة الكلام إلا ما فيه قرب لله تعالى من قراءة وتعليم علم، وذكر له في الخلوات والجلوات، وراقبوا مولاكم الذي يعلم السر وأخفى، وكونوا ألفة بينكم ولا تنازعوا فتفشلوا، وليوقر الكبير، وليرحم الصغير، واسعوا في مرضاة الله ما أمكنكم من برٍّ والدة وأختها، وصلوا أرحامكم، وأفشوا السلام على كل أحد، ولا تخالطوا إلا من يزيدكم علمه، ويدعوكم إلى

=

1308هـ. انظر: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 398، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 2/ 410.

الآخرة فعله، ولتفقدوا هذه الوصية، فعسى الله أن يجعل فيها خيراً لكم، اعملوا بأمر الله ونهيه، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، وقال جل من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: 70، 71]، وأستودعكم الله دنيا وأخرى، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين والسلام، وقيده محمد الحفيان لطف الله به ".

وكانت وفاة هذا السيد المذكور برباط الفتح ليلة الجمعة العاشر من رمضان سنة 1256هـ، ودفن بالزاوية المعطوية ضجيع والديه المرحومين رحمهم الله تعالى بمنه وكرمه.

وكان من الخاصة من أصحاب سيدنا ومولانا أحمد التجاني الحسني ﷺ هو ووالده السيد الشرقي المذكور، وكانت له المحبة العظيمة والمودة الجسيمة في كل من له قرب من الشيخ حسي أو معنوي وكان يلهج بالشيخ دائماً وبأخباره ويحكي ما شاهده من مناقبه وأسراره ويحض على محبته بأقواله وأفعاله ويذكر ما عاينه من غريب كراماته ومن أحواله.

ولقد دخلت عليه في يوم عيد الأضحى أنا وجماعة من أصحاب الشيخ ﷺ نهنيه ونطلب منه صالح الدعاء؛ فأكرمنا غاية الإكرام وأقبل علينا كل الإقبال، فلما أردنا أن ننصرف وطلبنا منه الفاتحة، قال لنا بعد أن رفع يديه بقراءة الفاتحة: "عليكم بالثبوت في طريق الشيخ عضُّوا عليها بالنواجذ فوالله ما رأيت على وجه الأرض أفضل منه".

ثم قرأ لنا الفاتحة وانصرفنا فرحين مسرورين رحمه الله تعالى وأجزل كرامته.

ولما مر بمكناسة الزيتون كنت أتردد عليه كثيراً في تلك المرة فوقع في قلبي ذات يوم أن أتأخر عنه يوماً أو يومين فلما عزمت على ذلك أتاني بعض الأحباب مما لا يمكنني إلا مساعدته وقد أراد ملاقاته وطلب مني أن أسير معه إليه فلما دخلنا قال لي وأنا داخل قبل أن أصل إليه: يا فلان أتريد أن تعمل معنا بحديث: «زُرْ غِباً تَزْدَدْ حُباً»[1] إنك لا تحتاج إلى ذلك معنا وإن الحديث مقيد عندهم بغير الخصوص لما في حديث عائشة رضي الله عنها: «كان

(1) أخرجه عن حبيب بن مسلمة: الحاكم في المستدرك: 3/ 390، برقم (5477)، والطبراني في المعجم الكبير: 4/ 21، برقم (3535)، وفي الأوسط: 3/ 248، برقم (3052)، وفي الصغير: 1/ 187، برقم (296). قال الهيثمي في مجمع الزوائد 8/ 175: فيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف.

وأخرجه عن أبي هريرة الطيالسي في مسنده: 1/ 330، برقم (2535)، والطبراني في المعجم الأوسط: 2/ 210، برقم (1754). وقوله "غبًا": أي يومًا بعد يوم.

رسول الله ﷺ يتردد إلينا.. »إلخ[1] فعند ذلك لازمته إلى أن سافر رحمه الله". انتهى من خطه بواسطة.

* [82] محمد بن أبي إسحاق الناصري[2]

أحد الفضلاء المرابطين بالرباط، تمسك بمسكة قليلة من العلوم المتداولة، ولكنه تصدى لعلم التعديل والتنجيم، وانصرفت همته لمزاولة علم الخواص فتمهر في علم الأوفاق، وسر الحرف وصار يشار إليه في ذلك بالبنان والطرف.

قيل وإليه ينسب درب سيدي أبي إسحاق بالرباط وكانت وفاته أواسط القرن المنصرم.

* [83] الحاج محمد لزارو (المتوفى سنة 1267هـ)[3]

الشيخ المربي، الذاكر الخاشع الصوفي،كان شاذلي الطريق، أخذها عن الشيخ سيدي الغازي بن العربي بالصحراء، وهي التي كان يلقنها لتلامذته الذين أخذوا عنه بالرباط، وكان قوي الحال، عظيم النورانية، مهاباً جداً، وممن كان يشهد له بالفضل عصريه الشيخ أبو بكر البناني، وكذلك ولده الشيخ سيدي فتح الله يحدث بكثير من أحواله ومناقبه، وقد أجرى ذكره في ترجمة والده من كتابه الإتحاف[4].

ولما توفي المترجم دفن بدار كانت وهبت لشيخه المذكور، وهي التي قبالة حمام القصري، صيرها بعض أولاد العوفير مسجداً تقام فيه الصلوات، أغدق الله على الجميع شآبيب الرحمات.

* [84] محمد بن علي البطاوري (كان حياً في 1280هـ)[5]

الفقيه العالم الخطيب السيد محمد بن علي البطاوري، من علماء الرباط وأفاضلها، المنسوبين، تولى الخطبة بعد والده بالمسجد السليماني، وكان مؤدباً عالماً عاملاً، متمسكاً

---

(1) ذكر السيوطي في اللمع في أسباب ورود الحديث، ص:66: عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة، فتبعته ثم خرج من بيت أم سلمة؛ فتبعته فالتفت إلي ثم قال يا أبا هريرة: " زر غبا تزدد حبا ".اهـ. ورواه الخطيب عن عائشة في تاريخ بغداد (10/ 182) في ترجمة عبد الله بن وهبان بغير قصة.

(2) لم أقف على ذكره فيما بين يدي من مصادر.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 171، وأثنى عليه بقوله: كعبة الصلاح ومعدن السؤدد والفلاح... أبو عبد الله محمد بن عبد القادر لزارو.

(4) هو كتاب: إتحاف أهل العناية الربانية في الطريقة الشاذلية، لأبي الفضل فتح الله بن أبي بكر البناني المتوفى سنة 1353هـ وقد طبع بمطبعة السعادة في مصر سنة 1321هـ انظر: معجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 589، والأعلام، للزركلي: 5/ 135.

(5) لم أقف على ذكره فيما بين يدي من مصادر.

بالطريقة الوزانية.

وفي حدود السبعين والمائتين والألف صاهر العلامة القاضي السيد الطيب بسِّير، فعقد على بنته المصونة، ومنها كان ولده فخر الرباط وشيخ الجماعة به القاضي أبو حامد البطاوري الشهير[1]:

وَلا غَــزْوَ فِــي دُرٍّ بَــدَا مِــنْ مَقَــرِّهِ ... ولا عَجَــبٌ فَالــدُّرُّ مِــنْ مَعْــدِنِ الــدُّرِّ

وكانت وفاة المترجم بعد الثمانين والمائتين والألف.

وما مات حتى أجاز ولده بالقرآن العظيم، والطريقة الوزانية، وغيرهما من مروياته، أغدق الله عليه رضوانه، وأمطره صيب رحماته، آمين. ونقلت من خط شيخنا أبي حامد المذكور ما نصه:

"الحمد لله وحده، قرأت القرآن العظيم على والدي رحمه الله تعالى، سيدي محمد بن علي بن عبد الرحمن ينتهي النسب إلى سيدنا سليمان بن عبد الله أبي الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه كما هو محفوظ عند سلفنا رحمهم الله تعالى.

وسيدنا سليمان المذكور هو شقيق مولانا إدريس الأكبر، أمهما عاتكة بنت عبد الملك المخزومية، كان بعثه أخوه سيدنا محمد المعروف بالنفس الزكية حين بايعه أهل الحجاز داعياً للبيعة، ولما اتصل به قَتْلُ أخيه صار إلى بلاد النوبة ثم إلى بلاد السودان، ثم خرج إلى زرب إفريقية ثم صار إلى تلمسان[2] من بلاد المغرب، فنزلها واستوطنها، وذلك في أيام أخيه مولانا إدريس فكان له بها أولاد كثيرون، فكل حسني هناك من نسل سيدنا سليمان بن عبد الله بن الحسن، ثم انتقل بعض أولاده إلى شرشال، من بلاد إفريقية، ومنهم سلفنا، ولذلك يوجد في بعض رسومنا الشرشالي، نسبة إلى بلد شرشال، ولا أحفظ اسم أول من أتى إلى رباط الفتح، من أجدادنا ولا تاريخ ذلك. (انتهى بلفظه).

وكنت سألته عن نسبه فأخبرني بأنه يوجد في بعض رسوم أسلافه وكانت إذ ذاك تحت

---

(1) هو أبو حامد، محمد المكي بن محمد بن علي البطاوري تقدم الكلام عليه في المقدمة بين شيوخ المصنف.

(2) تلمسان: قال ياقوت: بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة كانت في الأصل مدينتين متجاورتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت واسم القديمة أكادير فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر. انظر: معجم البلدان، لياقوت: 2/ 44.

يد عمه المرحوم الفقيه السيد التهامي البطاوري، أخي صاحب الترجمة، ثم وقفت عليه في كناشة قاضي الرباط الفقيه السيد أحمد بنان، ترجم به الفقيه السيد التهامي، المذكور فقال:

نسب الفقيه السيد التهامي بن الفقيه سيدي علي المعروف بالبطاوري، رأيت في صداق والدة الفقيه السيد التهامي الزكوي، الذي أحد شهيديه جدنا الفقيه السيد أحمد بن الطيب بن عمرو أنه لما حض المولى سبحانه على النكاح وورد فيه قوله ﷺ: «تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم»[1]. بادر نادرة العصر، وبادرة المكارم بحمل راية النصر، فقيه الأدباء وأديب الفقهاء، ذو الشمائل العاطرة والفضائل الماطرة، بهجة محافل السيادة، ومركز راية المجد والإجادة، مولانا أبي الحسن علي بن الطالب المتوله الصالح صاحب الإشارات الربانية، أبي زيد مولاي عبد الرحمن ابن البركة السيد الحاج أحمد ابن مولانا الحاج سعيد الشريف الشرشالي، نسبة، منشأه شرشال، ثم الغبريني نسباً، إلى جدهم العلامة الإمام صاحب التحقيق ذي البركات الشهيرة أبي مهدي سيدي عيسى الغبريني رحمه الله، عصري الإمام ابن عرفة، ومفتيه أيام ولايته جاءته يوماً فتوى لابن عرفه تخالف فتواه فقال: "ما خالفته حياً فلا أخالفه ميتاً". وهو رحمه الله صاحب الجواب الحفيل في مسألة الوصية كما في المعيار وغيره، وهو شيخ ابن ناجي رحمهم الله بمنه. (انتهى المقصود منه).

قال ناقله القاضي أبو العباس البناني: "وكانت والدة الجد شرشالية، فلذلك كان عارفاً بالنسب المذكور رحم الله الجميع بمنه". انتهى من خطه مباشرة.

وقد تقدم ما يوافقه ويؤيده في ترجمة نسابة الرباط الأديب ابن عمرو لأن أمه شرشالية أيضا. ومدينة شرشال هذه هي مدينة على ساحل البحر المتوسط، قرب الجزائر، بنيت في عهد الرومان، بل كانت قاعدة دولتهم، ولا تزال آثارهم بها تشهد بضخامة ملكهم وعظيم سطوتهم، حسبما نص على ذلك كتاب المسالك[2].

* [85] الحاج محمد بن العربي الدلائي (المتوفى سنة 1285هـ)[3]

الشيخ المربي، الشهير العارف الكبير أبو عبد الله السيد الحاج محمد بن العربي بن

---

(1) أخرجه الديلمي عن ابن عمر بنحو هذا اللفظ في مسند الفردوس (2/ 130، رقم 2663).

(2) لعل المقصود كتاب "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" لخيرالدين التونسي الجركسي كما أشير لذلك بحاشية (ح1) وتوجد منه نسخة خطية بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (11394).

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 191، والاستقصا، للناصري: 3/ 121، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 241، والأعلام، للزركلي: 6/ 265.

محمد بن العربي الرباطي البيضاوي الدلائي المجاطي، سليل السادات الدلائيين القادمين إلى فاس على عهد السلطان مولاي رشيد أخي السلطان مولاي إسماعيل، ولا زالوا بفاس إلى أن انتقل جده المذكور الشيخ محمد بن العربي إلى الرباط واستقر به، وكان ولياً صالحاً متبركاً به مشهوراً بقراءة الجن عليه، ونشأ حفيده المترجم بالرباط متعاطياً للعلم تارة وللتجارة بسوق العطارين أخرى.

ثم انتقل إلى الدار البيضاء فاستقر بها آخر حياته، وبنى بها زاويته، وجلس لتربية المريدين وإرشاد السالكين، وكان أخذه هو عن الشيخ العارف الشهير [مولاي العربي الدرقاوي الحسني ثم عن الشيخ الكبير][1] سيدي محمد الحراق.

ومن أعظم تلامذته بالرباط الشيخ سيدي أحمد بن عاشر الحداد المترجم سابقاً[2]، وهو مشيد أركان الطريقة الحراقية بالرباط بعد المترجم الذي هو مؤسسها، وله فيها كلام حسن، وأناشيد جارية على أسلوب كلام القوم، كما أن له شعراً كثيراً، على الطريقة الأدبية، وكله منحط عن درجة الإجادة، لا يشفع فيها إلا كون جله في مدح سيد السادة.

ومن تآليفه تويلف لطيف سماه فتح الأنوار في بيان ما يعين على مدح النبي المختار، وهو تأليف نظير كناش الحائك في فن الموسيقى، بيَّن فيه صنعة المديح بذكر الطبوع والألحان الشعرية، والأناشيد والنغمات العروضية، وكان بودي أن أنقل منه هنا ما يصلح دليلا على ترجمته، ولكنه لم يحضرني فاكتفيت عن الزيادة بما يحيط بالعنق من القلادة[3].

أما من ذكر المترجم من المؤرخين فالشيخ أبو العباس الناصري، في استقصائه، والشيخ سيدي فتح الله البناني في طبقاته، والشريف سيدي العربي التهامي الوزاني في معجمه الموسوم: "بلوغ المنى والآمال فيمن لقيته من المشايخ وأهل الفضل والكمال"، وهذا كلام الشريف المذكور في حق المترجم من معجمه المسطور، قال:

"ومن المشايخ العظام الذين لقيتهم الشيخ البركة، ولي الله تعالى السيد الحاج محمد بن العربي، الدلائي نسباً، الحراقي طريقة، كان هذا السيد شيخاً جليل القدر، أخذ عن الشيخ سيدي محمد الحراق في حياته، وكان صادق الأخذ عنه، فأذن له وأخرجه للمشيخة، وكذلك

---

(1) ما بين المعكوفتين يقابله بياض في (ح1)، والمثبت من هامش (ح).

(2) تقدمت ترجمته برقم (33)، ص: 253.

(3) ذكر ابن سودة في إتحاف المطالع أن للمترجم مصنفاً في ترجمة شيخه الحراق المذكور في مجلدين سماه "النور اللامع البراق في ترجمة الشيخ محمد الحراق". انظر: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 181.

عن الشيخ سيدي العربي فكان ممن فتح الله عليهم في السر والعلانية، وكان غريقا في الأمداح لمولانا رسول الله ﷺ، يحب آل البيت محبة عظيمة، وكان أولاً ساكناً بالرباط ثم انتقل إلى الدار البيضاء وجعل بها زاويته المعروفة وصار يعمر بها حلق الذكر، ويندب الناس إلى معرفة الله تبارك وتعالى وذلك في أيام ولاية القائد الطالب الأرضى السيد محمد بن إدريس الأودي، الجراري رحمه الله، لم يكن بالدار البيضاء في ذلك الوقت إلا المسجد العتيق، وهو المجاور لدار المخزن، وكانت العجول تقيل به وإن أقيمت به الجمعة لم تكمل فيه ما تقوم به الجمعة، وكانت خالية قفرة[1] ليس بها أكثر من العشرين داراً.

وكان الوحش تصادفه بداخلها والخيل تلعب بوسطها، ولما نزل بها القائد السيد محمد الجراري كان يحرث الزرع والبحاير بداخلها ولم تكن دار للنصارى إلا دار جريول[2].

ولو لم يكن من حسنات هذا الشيخ إلا دلالته القائد المذكور على بناء على هذا المسجد والحمام لكفاه رحمه الله تعالى.

وكل ما رأيت في الدار البيضاء حسنا من أمور السنة فله فيه اليد الطولى ولو كتبت سيرته ما وسعه هذا؛ فلما نزل بها هذا السيد وكان القائد المذكور مساعداً له خصوصاً في الأمور المتعلقة بالدين فكان يأمره أن يندب الناس للصلاة ولو بالسجن[3] فيفعل؛ فصار المسجد يعمر حتى ضاق بالناس؛ فأمره السيد أن يكتب للسلطان مولاي عبد الرحمن أن يساعد في بناء مسجد وحمام لأن الدار البيضاء لم يكن فيها إلا حماماً بأسطوان دار ابن عمار لا يسع اثنين والمباشرة له أمة بداخل الدار؛ فكتب العامل المذكور فساعد على بناء المسجد والحمام، وهو المسجد الذي بالسوق والحمام الذي به أيضا.

وأخذ هذا السيد في إصلاح الزوايا التي هناك اليوم لأنها كانت قديمة متلاشية ". انتهى باختصار.

وفي الطبقات الفتحية بعدما أشار إلى استيطانه الدار البيضاء قال: "إنه تزوج به وهناك أسس زاويته الشهيرة في البقعة التي كانت وهبت لشيخنا الحراق، وبقي يتردد على الرباط مسقط رأسه المرة بعد المرة، إلى أن توفي صبيحة يوم الجمعة الخامس عشر من شوال عام 1285هـ، ودفن بركن الصحن الأول عن يمين المستقبل، داخل قبة الزاوية المذكورة.

---

(1) في (ح): (منفرة). (2) في (ح): (فريول). (3) في (ح): (باسجن).

وترك ولداً صالحاً منعزلاً عن الناس ينتسب للعلم والفضل وهو وارث سره من بعده السيد عبد السلام بن محمد العربي، المتوفى ليلة الجمعة السابع عشر من شوال العام العاشر من القرن الحاضر، ودفن مع والده رحمه الله ".انتهى بتصرف.

ومثله بأخصر منه في كتاب الاستقصا فليراجع في تاريخ حوادث العام المذكور[1].

أما شعره فقد قلنا أنه كثير يوجد بعضه في كنانيش الأمداح، ومنه قصيدته في مدح شيخه الحراق يقول في مستهلها:

قَدْ أَصْبَحَ الْكَوْنُ فِي حُسْنٍ وإِشْرَاقِ ... واخْضَرَّ رَوْضُ الْقُلُوبِ مِنْ سَنَى السَّاقِ

إلى أن قال:

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِكَهْفٍ قَدْ حَلَلْتَ بِهِ ... غَوْثُ النَّدَى مُثْمِرُ الأَغْصَانِ والسَّاقِ
طُودُ السَّعَادَةِ والْحُسْنِ الَّتِي سَبَقَتْ ... نَجْلُ الرَّسُولِ سَمِيُّ الْقَدْرِ حَرَّاقِ

ومنه قصيدتان في مدح الفقيه السيد أحمد دنية الرباطي، أنشأ إحداهما بمناسبة ختمه للصحيح، والأخرى عند ختمه لمختصر أبي الضياء خليل وهذا مطلع الأولى:

بَدَا فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ والسَّعْدُ طَالِعُ ... وأَسْفَرَ عَنْ وَجْهِ السَّعَادَةِ سَاطِعُ
وَحَيَّا مُحَيَّا الْقَوْمِ عُرْفُ بِشَارَةٍ ... تُشَنِّفُ أَسْمَاعاً فَهَلْ أَنْتَ سَامِعُ
وَأَصْبَحَ حَادِي الشَّوْقِ يَحْدُو كَسَائِقٍ ... يَسُوقُ بِسَاقِ الْعَزْمِ مَنْ هُوَ وَالِعُ
فَمَا يَنْتَهِي سَيْراً ولا كَفَّ رَاجِياً ... وِصَالَ الَّذِي يَهْوَاهُ والصَّبُّ طَامِعُ

إلا أن قال في ختامها:

أَلا يَا أَبَا الْعَبَّاسِ نِلْتَ تَكَرُّماً ... فَفَرْعُكَ مَوْصُولٌ وغُصْنُكَ يَانِعُ
وَأَمْلِ عَلَى سمعِ الْمُحِبِّينَ جَهْرَةً ... حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ فَالْكُلُّ خَاضِعُ

انتهى.

وقال في مطلع الثانية:

خَلِيلِيَ حَدِّثْنِي حَدِيثَ أَحِبَّتِي ... فَذِكْرُهُمُ أُنْسٌ لأَهْلِ الْمَحَبَّةِ
فَكَمْ سَمِعَتْ أُذْنَايَ عَنْهُمْ[2] بَشَائِراً ... وكَمْ جَادَ بِالسُّلْوَانِ مَحْضَ الْمَوَدَّةِ

(1) انظر: الاستقصا، للناصري: 3/ 121.

(2) في (ح): (عنكم).

وَلَـــمَّا طَلَبْـــتُ قُـــرْبَهُمْ ووِصَـــالَهُمْ تَـــيَقَّنْتُ أَنَّ الْـــعِلْمَ بَـــابُ الأَدِلَّـــةِ
فَـــلِلْعِلْمِ أَعْـــلامٌ تَـــجِلُّ صِـــفَاتُهَا ولِـــلْعِلْمِ أَسْـــرَارٌ لِحِفْـــظِ الـــسَّرِيرَةِ

انتهى.

* [86] سيدي محمد بن المجذوب الزناتي[1] (المتوفى سنة 1289هـ)

الولي الصالح العلامة الناسك، كان من أهل الكرامة والاستقامة، نقلت عنه كرامات شتى، وكان يتعاطى العلم وربما درس وأفتى.

أخبرني شيخي مفتي الرباط السيد الجيلاني بن إبراهيم أنه وقف على بعض الانتقادات بخط يده على الرهوني، الأمر الذي يدل على أنه كان نقادة في الفقه.

وكانت وفاته في ضحوة يوم الجمعة 24 شعبان الأبرك عام 1289هـ وصلي عليه بالمسجد الأعظم، ودفن ببيت سكناه، وهو الأول عن يمين الداخل بالدار المعروفة له بالدورة وهي المعروفة اليوم بدار أولاد العتابي أصهار المترجم.

* [87] الأستاذ السيد محمد متجنوش (المتوفى سنة 1290هـ)[2]

أخو شيخنا الأستاذ السيد المهدي متجنوش الأندلسي نجاراً الرباطي نشأة وداراً.

سألت شيخنا المذكور عن ترجمة أخيه المترجم فذكر أنه كان أستاذاً مفرداً في علم القراءة، وكانت له خبرة بالعلوم خصوصاً الحساب والتنجيم، وانتهت إليه الرئاسة في علم التجويد، حتى قيل يوم وفاته مات علم القراءة في هذا اليوم.

وممن كان يشهد له بذلك أستاذ الرباط القاضي أبو عبد الله البريبري، قرأ في الرباط على قاضيه السيد محمد بن إبراهيم والشيخ أبي إسحاق التادلي، والفقيه السيد الهاشمي الضرير، وقرأ في قبيلة المذاكرة على الأستاذ السيد المعطي ابن زائدة، ورحل إلى فاس فأخذ عن عدة من الشيوخ أجلهم الشيخ الحاج محمد جنون الكبير، وبعد رجوعه تصدى للتدريس ونشر معارفه.

ومن أجل من قرأ عليه شقيقه السيد المهدي، أخذ عنه النحو والتوقيت والقراءات، وعلم التجويد وكان لا يحفظ التركيب، بل كانت قراءته بالإفراد، لا بالإرداف[3]، ولذلك

---

(1) هذه الترجمة ساقطة من (ح1)، والمترجم مذكور في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 194، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 249، وفي المطبوع منه: (الزياني).

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 195، وذكر أن وفاته 1291هـ وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 252.

(3) الإرداف: عند أهل اللغة نوع من أنواع البديع التي تشبه الكناية وهو أن يريد المتكلم معنى ولا يعبر عنه بلفظ موضوع له ولا بدلالة الإشارة بل بلفظ يرادفه، وللإرداف معنى آخر عند أهل القرآت وهو الجمع في الأداء بين أكثر من قارئ دفعة =

قال شقيقه المذكور: "يا ليت الناس سمعوا قراءته، خصوصاً اليوم الذي صارت عندهم قراءة القرآن مسخرة".

وكانت وفاته بين العشائين ليلة الخميس الثاني والعشرين من شوال عام تسعين ومائتين وألف وعمره، واحد وثلاثون عاماً [1].

*** [88] محمد بن صالح الشيخ الصالح (المتوفى سنة 1290هـ)**

جاء ذكره في الطبقات الفتحية من بين تلامذة الشيخ أبي بكر البناني، وذكر أنه كان عدلاً، خيراً، فقيهاً علامة، صوفياً، فهامة، جاداً، مجتهداً، مواظباً على الذكر والتلاوة، معتكفاً على النساخة وقراءة العلم، إلى أن توفي في حدود التسعين بعد المائتين والألف، ودفن بالزاوية البنانية، ضجيع شيخه المذكور.

*** [89] محمد لُبريس الضرير (المتوفى سنة 1294هـ)[2]**

وبه عرف إذ كان مكفوف البصر، ولكنه مفتوح البصيرة، وكان فقيهاً أديباً، نحوياً، معقولياً، حافظاً للمتون العلمية حفظاً متقناً.

قرأ بالرباط على الفقيه السيد أحمد دنية، ثم على ولده القاضي أبي الحسن وامتدح الأول بقصيدة شعرية، كنت قد وقفت عليها ولم تحضرني الآن.

ومن تلامذته شيخنا بركة الرباط ومفتيه الفقيه المرحوم سيدي الجيلاني بن إبراهيم، والفقيه الشريف سيدي محمد بن الحسني وغيرهما.

كان رحمه الله إماماً بمسجد أبي العباس المعروف بجامع الجنائز، وهو الذي بُني وصار زاوية كتانية في عهد التاجر المرحوم السيد الحاج أحمد القباج، الرباطي ثم الكتاني طريقة.

وفي المسجد المذكور كان المترجم قائماً بالتدريس، وبث معارفه لمن يقصده من طلبة

واحدة، وأوفاه ما يتم فيه الجمع بين القراء السبعة المشهورين أو بين القراء العشرة أجمعين، وله أصول وقواعد ذكرها أبو الحسن علي بن سليمان القرطبي الفاسي (توفي 730هـ في كتابه "ترتيب الأداء وبيان الجمع في الإقراء" وقد صنف في كيفية الأداء بهذه الطريقة كثير من متأخري القراء لبيان أماكن الوقوف مع عدم الإخلال بالنظم القرآني ومراعاة تلك الصناعة كما بين القيجاطي في منظومة له وأبو زيد المنجرة في تعليق له سماه "نزهة الناظر والسامع في إتقان الأداء والإرداف الجامع" وهو مخطوط بالخزانة الحسنية تحت (رقم 6948). انظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: 2/ 131، وإعجاز القرآن، لمحمد بن الطيب الباقلاني: 1/ 71، وقراءة الإمام نافع عند المغاربة، لحميتو: 3/ 5.

(1) انفرد المصنف رحمه الله بين من ترجم له بذكر عمره عند وفاته، ولم أقف عليه عند غيره.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 197، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 260.

الرباط وغيرهم، وكان شديد التمسك بالديانة، ملازماً للصلاة في أوقاتها إلى أن لقي ربه في حدود عام 1295هـ(1).

*** [90] محمد بن عبد الرحمن التادلي (المتوفى سنة 1296هـ)(2)**

نسبة إلى قصبة تادلة، ثم الودغري، الرباطي، الملقب بولي الله لخيارته ونسكه، كان أستاذاً، أديباً، مؤدباً، وهو أستاذ الوزير أحمد بن موسى، وأول مشايخ شيخنا القاضي أبي حامد البطاوري، أخذ عنه النحو والتصريف، وهو ممن فضله غني عن التعريف، وكان مع ذلك خفيف الروح سهل الأخلاق، لين الجانب، لا تمل مجالسته، ولا تطرح مطارحته، وكان له ولوع تام بادخار الكتب الغريبة، والبحث عنها مع التغالي في اقتنائها، وهصر أثمارها واجتنائها، إلى أن توفي رحمه الله عام ألف ومائتين وستة وتسعين 1296هـ.

*** [91] القاضي أبو عبد الله ابن إبراهيم (المتوفى سنة 1297هـ)(3)**

هو القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المدعو ابّزار، بتشديد الباء المكسورة، وبه يعرف، كان رحمه الله إماماً جليلا في الفقه والإفتاء، آية من آيات الله في الحفظ والإملاء، ذا همة عالية لا ترضى بالدون وجلالة لا تسام بالهون، مشار إليه بالمشاركة في كثير من الفنون، خصوصاً الحديث والسير والمعاملة والفرائض والتوثيق والحساب بين جبر ومقابلة.

كان خطيباً مصقعا، مفتياً سميدعا، ومؤلفا جامعاً، ومدرسا نافعاً، شرح البردة بشرح حفيل وقعت على طرف منه، وكتب ختما على الألفية، وحواشي على ميارة الكبير لا زالت طررا بالهوامش وأخرى على الخرشي كذلك وجمع ديوان خطب وآخر في التوثيق، وعلى المسطرة التي سطرها العمل اليوم بهذا الثغر.

وأما فتاويه فحدث عنها ولا حرج، ولو جمعت لجاءت مجلداً، أخذ عن جدنا القاضي بسير، ثم عن قريبنا الخطيب السيد المكي بوجندار، وتعاطى التدريس فأخذ عنه الكثير من شيوخنا الكبار، ولم تزل الألسنة رطبة بالثناء على فضله وشهامته، وورعه واستقامته، لاهجة بذكر عدالته، ومتين ديانته، وما مات في الحقيقة من ترك الذكر الحسن عند فقده، إنما المرء حديث من بعده.

---

(1) ذكر دنية وابن سودة أن وفاة المترجم كانت في سنة 1294هـ وهو ما أدرجناه عند رأس الترجمة، لأن المصنف رحمه الله ذكر هذا التاريخ تقريبياً كما بين بقوله: (في حدود).

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص:199، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 270.

(3) انظر ترجمته في: تعطير البساط، للمصنف، ص: 38، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 204.

ومن تنزل لترجمة صاحب الترجمة تلميذه الشريف سيدي العربي الوزان، في معجم شيوخه قال ما ملخصه:

"ومنهم الفقيه العلامة المحقق الخطيب الحافظ القاضي الورع الزاهد الناسك السيد محمد بن إبراهيم، كان كثير الزيارة لنا، ولما تولى خطة القضاء لم يتحول عن عادته معنا، وكنت أحضر مجلسه لسرد الإمام البخاري ﷺ، وعجزت بعض الأيام فأتاني وسألني عن سبب تخلفي عن المجلس، فقلت له: إن المسجد بعيد، وأنا لا أقدر على أن أمشي على رجلي، واستحي أن أمشي لقراءة حديث رسول الله ﷺ راكباً، فقال لي: ألم تعلم قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ فامش إلى حلق الذكر كيفما استطعت، ماشياً أو راكباً، فصرت لا أتخلف عن مجلسه إلا إذا كان عذر من سفر أو مرض أو نحوهما.

وكان هذا الفقيه يواصل الضعفاء والمساكين، وكان تأخذه الشفقة على الفقراء من المسلمين، وكان يعتقد الخير في أهله، ويصمم على ذلك، وينظر فيهم بعين الكمال، ولا ينتقد عليهم، ولا ينكر أحوالهم، بل يلتمس لهم مخارج على أية حالة كانوا وخصوصاً منهم آل البيت، حضرت عنده بعض الأيام، فأتاه شريف وهو شارب الخمر، ووقف عنده في باب المقصورة، فأعطاه دريهمات فاستزاد فزاده، وبش في وجهه، وأراد الأعوان أن يدفعوه فنهاهم، حتى توجه مجبور الخاطر.

وهذه كانت عادته مع المجاذيب، وذلك الشريف كان يعد من المجاذيب، وقد رأيت شريفاً غيره، تعرض له بالطريق وهو على غير حاله، غائب عن حسه في الظاهر، يعلم منه أنه شارب الخمر، فصار الفقيه صاحب الترجمة يدافعه بالتي هي أحسن، حتى توجه عن طيب نفس، ولما توجه صار الفقيه يثني عنه وينوه بقدره، ويعد له كرامات.

وهذا الفقيه السيد محمد بن إبراهيم كان حسن السيرة، ذا بشاشة وكثيراً ما كان يصلح بين الناس في أحكامه إن أمكن ذلك بوجه حسن، ويقضي بالصلح الذي سماه الله خيراً، وكان الناس يحبونه ويثنون عليه خيراً، وكان له باع طويل في علم الفرائض والوثائق.

وكان السلطان سيدي محمد يعتني به، وجهه لقضايا كانت بينه وبين الأجناس بطنجة ليفصلها مع بعض العلماء، فكانت له اليد البيضاء في ذلك، وكذلك السلطان مولانا الحسن رحمه الله كان عنده بمنزلة كريمة، يرفع إليه القضايا من فاس، ومراكش، فيفصلها". انتهى.

توفي رحمه الله يوم السبت الثاني عشر شوال الأبرك، عام سبعة وتسعين ومائتين وألف 1297هـ ودفن بالزاوية القاسمية من الرباط، ومن آثاره هذه الوصية الجامعة، التي كتبها

لنصح بعض نوابه بالدار البيضاء يقول فيها بعد أسطر الافتتاح:

"وبعد فإن الوصية في المكانة من الدين، وردت في الكتاب المبين، وحديث سيد المرسلين، قال مولانا وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ وقال تعالى في كتابه المكنون: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وقال من له الخلق والأمر: ﴿وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ﴾.

وفي الحديث: «الْـمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»[1].

وقال الشيخ الرباني والعارف الصمداني، إمام الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة، سيدي أحمد بن ناصر في بعض رسائله: أوصيكم وإياي بتقوى الله في السر والعلانية، والرجوع إلى الله في كل قاصية، ودانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، ولم تزل الوصية من شأن الأخيار والصلحاء الأبرار، قال جل جلاله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولتعلم أن من استرعي رعية فيجب عليه حفظها وصيانتها وحياطتها، والذب عنها، والقيام بأمر الله فيها، قال الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته..»[2] الحديث.

وقال: «من استرعي رعية ولم يحطها بنصيحة لم يرح رائحة الجنة»[3].

ولا مرية أن القضاء خطة شريفة، ومكانة من الدين عظيمة منيفة، به بعثت الرسل، وبه قامت السموات والأرض، وجعله الرسول ﷺ من النعم التي يباح التحاسد عليها، قال: «لا حسد إلا في اثنتين..»إلى أن قال: «وآخر آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[4]. والقضاء بالعدل من فضائل الأعمال، قال سيد الأرسال: «سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل...»[5] الحديث.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المظالم، باب نصر المظلوم: 2/ 863، برقم (2314)، ومسلم في صحيحه، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم: 4/ 1999، برقم (2585)، كلاهما عن أبي موسى الأشعري.

(2) جزء من حديث ابن عمر المتفق عليه ، أخرجه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الجمعة في القرى والمدن2/ 848 ، برقم (2278) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الجَائِرِ ..3/ 1459 ، برقم (1829).

(3) أخرج أحمد في مسنده بنحو هذا اللفظ (5/ 25 ، رقم 20306) .

(4) متفق عليه أخرجه البخاري ، كتاب الزكاة، باب إنفاق المال في حقه (6/ 2737 ، رقم 7091) ، ومسلم ، كتاب الصلاة، بَاب فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ وَيُعَلِّمُهُ (1/ 558 ، رقم 815) .

(5) جزء من الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب

وقال سبحانه: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، وقال مولانا رسول الله ﷺ: «المقسطون على منابر من نور يوم القيامة..»[1] الحديث.

والميل فيه عن الحق عظيم، قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ القاسطون الجائرون، وقال سبحانه: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾... الآية، فعليك يا ولدي بالعدل في الأحكام، ومراقبة الملك العلام، وإنصاف المظلومين من الظلام، ولا تخش من ملامة اللوام، وكن جلداً في الحق، أوجبه على من وجب عليه، وأدره على من دار عليه، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، وفي الحديث: «**إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه...**»[2] الحديث.

وعليك بحماية جانب الحق سبحانه، وإياك والمخالفة، ولو في شيء ما، فإذا جلس الخصمان بين يديك، فسوِّ بينهما في النظر والكلام، والقعود والقيام، وتأمل كلام كل منهما على التمام والكمال، فإذا استوعبته وفهمت المراد قطعاً، فتطلب النص في عين النازلة (الزقاق):

وَفِكْرَكَ فَرِّغْ..... لخ

واستعن بربك واسأله المعونة وطالع كتب العمل واجتهد كل الاجتهاد، فبذلك يحصل المراد.

ولا تهملن أمر العدول، فعليك بالنظر فيهم والسؤال عن أحوالهم، ومن كان أهلاً للعدالة أقررته، ومن كانت فيه جرحة أهملته وعزلته، ومرهم التحري والاحتياط، والتثبت في الشهادة ومطالعة الوثائق، كوثائق ابن عرضون، وتحسين خطوطهم، وتقييد الشهادات بزمامهم، والمبادرة بكتابتها، والرفق في الأجرة والإجمال في طلبها، وحذرهم من الشهادة بما هو مخالف للشريعة المطهرة، فإن ذلك داعياً للفتن، ومن الشهادة بالزور، وهو الشهادة بما لم

=

نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه معلق فى المساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» البخارى، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين1/ 234، برقم (629)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة2/ 715، برقم (1031).

(1) أخرجه ابن حبان بنحو هذا اللفظ (10/ 336، رقم 4484).

(2) وتتمة الحديث «...وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» متفق عليه من حديث عائشة، أخرجه البخارى، كتاب المغازي، باب مَقَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ زَمَنَ الْفَتْحِ 6/ 2491، برقم (6406)، ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره.. 3/ 1315، برقم (1688).

يعلم، ولو كان في نفس الأمر، كذلك...(الزقاق):

وَإِيَّــاكَ لَفْظــاً ذَا اشْــتِرَاكٍ وأَنْ تَــرَى لِمَــا لَــمْ تُــحَقِّقْ كَــاتِباً ومُعَــوِّلاً

عَـنِ الظَّـنِّ بَـلْ كَالـشَّمْسِ فَاكْتُـبْ وأَدِّيَـنْ وإِيَّــاكَ حَــقَّ النَّــاسِ إِيَّــاكَ فَاعْــدِلا

.. وتوعد من صدر منه بعظيم العقوبة.

وليكن لك اهتمام واهتبال بأمر النكاح لعظم أمره، فاختر له عدلين خيرين عارفين بأموره، ولا تهمل عقود السبب في تزويج من لا أبا لها، أو لها أب غائب.

(الزقاق):

كَـذَا الـسَّبَبُ اكْتُبَنْ قُبَيْـلَ نِكَـاحِ الْبِكْـرِ إِلا الَّتِـي لَهَـا أَبٌ عُلِـمَ حَـيٌّ بِـلا غَيْبَـةٍ فَـلا

واعتن بولاية النكاح وإياك والتساهل فيها.

(الشيخ خليل): وقدم ابن فابنه.. إلخ

وكذلك عقار اليتيم لا بد في بيعه من إثبات موجباته، وهذه لمحات أشرنا بها عليك، جعلها الله سبباً للفتح بمنه وكرمه". انتهى من خطه بواسطة.

*** [92] محمد بن أحمد بن الجناوي(1) (المتوفى سنة 1310هـ)**

أحد العدول الموثقين والخطباء المرشدين، في عهد القاضي ابن إبراهيم، وكان كثيراً ما ينوب عنه بالزاوية الناصرية، وكان رجلاً حافظاً، تاليا لكتاب الله تعالى، لا يفتر لسانه عن الذكر والتلاوة، أو سرد المتون العلمية، التي كان يحفظها عن ظاهر قلب مثل المختصر والرسالة والعاصمية والزقاقية، وغيرها من مصنفات الأمهات، وكانت وفاته أوائل هذه المائة.

*** [93] الحاج محمد الخلطي(2) (المتوفى سنة 1302هـ)**

الشيخ العارف المربي، تلميذ الشيخ الكبير سيدي أبي بكر البناني، وأول مجيز في الطريق لولده الشيخ سيدي فتح الله.

قال صاحب كتاب الفتح الرباني في حق المترجم:

"كان إماماً جليلا ديناً فاضلاً، جامعاً بين علمي الظاهر والباطن، له باع طويل فيهما، أما

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 234، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 318.

(2) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 288 والخُلط قبائل عربية بالمغرب، وذكر ابن خلدون أن الخلط اندثرت في عهده، وقد ظل بعضهم في بسيط الغرب قرب القصر الكبير وهم الذين قتلوا المجاهد محمد العياشي. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:187.

علم الظاهر فكان متفننا للواجب عيناً منه، وأما علم الباطن فكان به بحراً لا ساحل له، وكان يعجز الفحول عن المذاكرة حتى كانوا يقولون له يكفينا في مناقب شيخك سيدي أبي بكر بناني كونك تلميذاً له ".

وكان ﷺ على قدم التجريد ولبس المرقعة، حتى لقي الله تعالى زاهداً في الدنيا، قانعاً باليسير منها، حسن الأخلاق التي عليها، مدار طريق الصوفية متواضعاً، لا يأنف من مجالسة الدراويش، ويرضى بالدون من المجلس، ولا يتظاهر بأبهة، ولا أنانية، وهو أول مجيز لسيدنا الشيخ يعني سيدي فتح الله المذكور، بلبس الخرقة وغيرها من وظائف الطريق، وكان إذا أجازه بشيء من ذلك، يقول له: إنما كان عندنا من سيدنا والدك على سبيل الأمانة لك، وكان يلازمه جداً، خلوة وجلوة، وله رسائل عجيبة مذكور بعضها في الطبقات.

وتوفي في صفر الخير عام 1302هـ اثنين وثلاثمائة وألف رحمه الله رحمة واسعة.

*** [94] الحاج محمد بن يعقوب[1] (المتوفى سنة 1306هـ)**

أحد علماء الرباط المتثمين للخضوع والخشوع، والذكر والفكر، والتظاهر بمظاهر الخيارة، والنسك والصلاح، ولكثرة صلاحه كان يدعى بالقطب، وربما ادعى النسب، ولكن وجد بخط أبي إسحاق التادلي ما يفيد ذلك.

وكان مختاري الطريقة، ومقدم الزاوية المختارية بالرباط، حيث دفن بعد وفاته تاريخ ليلة الخميس محرم الحرام عام 1306.

*** [95] الوزير أبو عبد الله محمد بن عزوز[2] (المتوفى سنة 1309هـ)**

شيخ السلطان المقدس مولاي الحسن، ووزيره في عهد خلافته بمراكش، ولم يزل كذلك طول مدة ولايته هناك إلى أن وَلِيَ الخلافة الكبرى، فعينه من صدور الكتاب بالصدارة العظمى، وكان من فقهاء الأدباء، وأدباء الفقهاء، ومن أهل الفكاهة والأريحة، والنزاهة، وكان السلطان كثيراً ما يرافقه ويخالطه ويداعبه، ويباسطه، وكان مع ذلك معظم القدر عنده، وربما قبل يده.

وكانت وفاته قرب العام العاشر من القرن الحاضر.

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 214، وكناه بأبي عبد الله، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 301.

(2) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 7/ 88، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 229، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 313، وفيها أن وفاته كانت في سنة 1309هـ.

ومن آثاره مساجلة شعرية ضمن مراسلة نثرية جرت بينه وبين الشيخ أبي العباس الناصري، صاحب الاستقصا، قال الناصري في فصل بقية أخبار ابن الخطيب بسلا ما نصه:

وأقول على ذكر سلا، فقد كتب إلي وأنا بمراكش حرسها الله الأخ في الله الفقيه الأديب المحاضر أبو عبد الله محمد بن عزوز الرباطي أصلاً المراكشي داراً، بطاقة يقول فيها ما نصه:

"الحمد لله وحده، السيد الأخ الذي ثوب إخائه ما اتسخ، الفقيه العلامة اللابس من أسلحة العلوم الدرع واللامة، أبا العباس سيدي أحمد الناصري، سلام عليك سلام زكي العرف رائح الصرف، وبعد: فقد اشتقنا إلى لذيذ مذاكرتكم، وحلو فكاهاتكم، والآن نحب من السيادة أن تشرفونا بنقل قدمكم وتكرمونا، بطلعتكم السعيدة بكرة غد إن شاء الله وعلى المحبة والسلام، في فاتح رجب الفرد سنة أربعة وتسعين ومائتين وألف، وألحق بأسفلها ما نصه:

سَلا الْبَحْرَ مَا بَحْرٌ بُنِيتَ بِشَطِّهِ ... كَبَحْرِ عُلُومٍ فِيكَ أُنْشِئَ صَالِحَا
فَهَذَا هُوَ الْفَيَّاضُ بِالْعِلْمِ وَالتُّقَى ... وَذَاكَ هُوَ الْفَيَّاضُ بِالْمَاءِ مَالِحَا

ولم ندر هل البيتان له، أو تمثل بهما، وعلى كل حال فما قاله حفظه الله إنما حمله عليه حسن نيته، وصفاء طويته، وأما المكتوب إليه بهما، فلا والله لا علم ولا تقى إلا أن يتغمدنا الله برحمته".

ثم إني أجبته بنثر تركته للاختصار ووصلته بأبيات أقول فيها ما نصه:

بَعَثْتَ أَبَا عَبْدَ الإِلَهِ مَدَائِحاً ... هِيَ الدُّرُّ حُسْناً وَالشُّذُورُ لَوَائِحَا
فَنَبَّهْتَ فِكْراً طَالَمَا بَاتَ نَائِماً ... وَرَوَّضْتَ ذِهْناً طَالَمَا ظَلَّ جَامِحَا
وَشَيَّدْتَ مِنْ ذِكْرِي وَقَدْ كَانَ خَامِلاً ... وَهَيَّجْتَ مِنْ قَلْبِي الشَّجِيِّ الْقَرَائِحَا
وَطَوَّقْتَنِي النُّعْمَى بِتَقْرِيظِكَ الَّذِي ... بِهِ ظَلَّ مَجْدِي لِلنُّجُومِ مُصَافِحَا
وَإِلا فَمَا قَدْرِي وَإِنْ جَدَّ جِدُّهُ ... وَمَا قِيمَتِي لَوْ لَمْ تَكُنْ لِي مَادِحَا
فَأَنْتَ أَدِيبُ الْعَصْرِ حَقّاً وَمَنْ غَدَا ... لَعَمْرِي لأَبْوَابِ الْمَعَارِفِ فَاتِحَا
فَخُذْ مِنْ أَخِيكَ الْعِيَّ وَاسْتُرْ عُيُوبَهُ ... وَسَامِحْ فَظَنِّي أَنْ تَكُونَ مُسَامِحَا
فَوَصْفُكَ يُعْيِي كُلَّ أَشْدَقَ بَارِعٍ ... وَلَوْ ظَلَّ فِي بَحْرِ الْبَلاغَةِ سَابِحَا
فَلَقِيتَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ كُلَّ كَرَامَةٍ ... وَوُقِيتَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ الطَّوَائِحَا
وَلا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ طَوْعَكَ خَادِماً ... عُلاكَ وَطَرْفُ السَّعْدِ نَحْوَكَ طَامِحَا[1]

(1) انظر: نص الرسالة والأبيات في: الاستقصا، للناصري: 2/ 22.

* [96] الحاج محمد بن الغازي الكبير[1] (المتوفى سنة 1313هـ)

به عرف أحد شبلي الفقيه السيد أحمد بن الغازي الأكبر وإمام المسجد الأعظم وخطيبه، وواعظه من بعده وهو أخو الفقيه البركة السيد محمد بن الغازي الصغير إمام المسجد الأعظم وخطيبه الحالي.

كان صاحب الترجمة رجلاً فاضلا عالماً عاملاً، مشاراً إليه بالخيارة والنسك والولاية والصلاح.

وكان محاضراً بحاثاً عن الأخبار والتراجم، جماعا للفهارس والمعاجم، وهو جامع فهرسة الحفيد العكاري ومطلع بدرها من فلك خدرها.

وكان له ولوع تام بالبحث عن تراجم أولياء الرباط وغيرهم.

وألف في ذلك كتاباً جامعاً، هبت عليه مع الأسف رياح الضياع، فلم نقف منه إلا على البعض في أوراق متلاشية الرقاع، وهي التي كشفنا هنا عن وجهها القناع.

ومما جاء في حقه من كناشة قاضي الرباط الفقيه السيد أحمد بناني رحمه الله ما نصه:

وفي الساعة العاشرة من يوم الأحد خامس صفر الخير عام 1313هـ توفي أخونا في الله وحبيبنا من أجله الفقيه الجليل الولي الصالح سيدي الحاج محمد بن الغازي الكبير، وصلي عليه بعد صلاة الظهر في روضة العلو من الحضرة الرباطية وبها دفن قرب روضة والده وعمه رحم الله الجميع بمنه، آمين.

ورأيت في ليلة الاثنين الموالي ليوم موته في المنام بعدما خطر في خاطري عند النوم أني أراه كأني في جهة ضريح الولي سيدي محمد الغازي، نفعنا الله ببركته، إلا أن الذي أمام الضريح وسعة كبيرة وليس أمامه هذه الديار الموجودة في وقته، ورأيت الفقيه المذكور بطرف تلك الوسعة لابساً لكسائه وفي رأسه عمامة وشاشية، وفي يده كراسة وأمامه شخصان، وعنده ضوء وهو يسرد عليهما من تلك الكراسة، غير رافع صوته، فقلت: لا زال على شغله كما كان يعظ الناس في الدنيا، فكذلك يعظهم في الآخرة.

وبعدما أخبرت سيدنا الفقيه القاضي أبا عبد الله سيدي محمد التهامي بهذه الرؤيا أخبرني بأنه رأى له رؤيا فيها بشارة في يوم الجمعة قبل وفاته بيومين، وهي أنه رأى في يده مكتوبا من المدينة من بعض المجاورين بها، وأخبره الذي جاء به أن مما كتب في الكتاب أن

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 244، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 329.

البعض من أهل الرباط وقع له القبول من النبي ﷺ بسبب الصلاة على النبي ﷺ أو بسبب كثرة الصلاة على النبي ﷺ، وذلك بعد أن شرع في قراءة الكتاب وقرأ مطلعه قبل أن يستوعب ما بداخله، فلما استيقظ وقع في قلبه أن ذلك البعض المقبول هو الفقيه ابن الغازي المذكور رحمه الله ولاشك عندي في ذلك، فإنه كان كثير الصلاة على النبي ﷺ، رحمه الله وحشرنا في زمرته آمين.

* [97] **محمد جديرة الصغير (المتوفى سنة 1315هـ)**(1)

الفقيه العلامة المدرس النقاد صاحب الذهن الوقاد، السيد محمد ابن الفقيه العدل السيد عبد الله أقديرة المثري الشهير آل الفقيه السيد الحاج محمد جديرة الكبير، وأنت بترجمته خبير.

أخذ المترجم عن مشايخ وقته فتخرج عن الشيخ أبي إسحاق التادلي، وتفقه عن القاضي أبي الحسن دنية، وكانت له مشاركة في علوم شتى، وربما درس وأفتى، وكان يميل للفقه كثيرًا، وينوه بدروس شيخه أبي الحسن المذكور في الفقه، ويقول إنه ما رأى مثله في تحرير بناني والزرقاني، وعلى منواله كان ينسج في دروسه للمختصر وغيره.

وممن كان يحضر عليه أخوه المقدم الفقيه العدل السيد عبد السلام وشيخنا القاضي أبو عبد الله الرندي وجماعة.

وكان يؤم بالأوقات الليلية بمسجد سيدي الحسن المسكيني. توفي عام 1314هـ.

* [98] **محمد بن أحمد الرغاي (المتوفى سنة 1315هـ)**(2)

الأديب المؤدب، أحد مشايخ شيخنا القاضي أبي حامد البطاوري،

أتم عليه قراءة القرآن العظيم بعد والده، وأخذ عنه الحساب وبعض علوم الآداب، ولما سألته عنه كتب لي في ترجمته ولعل ذلك نقله من فهرسته فقال: "كان والده من فقهاء الرباط، وعدولها المتصدرين للشهادة، بين الناس، وكان خطيباً بالمسجد السليماني، وولده المترجم له شاعر مطبوع، وأديب ممتع المجالسة، ذو حظ وافر من اللغة، يكاد أن يكون كتاب القاموس محفوظا له، سألته مراراً عن عدة ألفاظ فأجاب بأن هذه مما أغفله صاحب القاموس وتارة يقول ليس لهذه ذكر في القاموس.

وكان من ذكاء الذهن وتوقد الخاطر على جانب عظيم، انتسخ كثيرًا من الكتب الكبار

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 252، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 337.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 247، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 338، والأعلام، للزركلي: 6/ 21.

كنفح الطيب، ووفيات الأعيان، وتاريخ ابن خلدون، وغيرها مراراً عديدة، وانتسخ الإحياء للغزالي، وانتسخ نسخاً من شرح الغرناطي على الحازمية، ونسخة من معاهد التنصيص، وكان يبيع من ذلك ما طلب منه بالثمن الغالي، خصوصاً لجانب المخزن ولمن كانت فيه أهلية من الوزراء والأمراء، وما من كتاب انتسخه إلا كان مستحضرا لجلِّ ما اشتمل عليه إن لم نقل على كله، وأما ما يشتمل عليه من الشعر فهو محفوظ عنده قطعاً، بحيث إذا سمع بيتاً يقول هذا من قصيدة فلان، ذكرها صاحب النفح مثلاً في الباب الفلاني.

وكان المترجم مليح النادرة، كل هذا مع عفة وصيانة ووقار ونزاهة وديانة، يقرئ القرآن العظيم بهمة عالية، وإذا تكلف فقير ممن له ولد يقرأ عليه، فإنه بعدما يسرح له الصبيان على المتعارف يرد على الولد ما أتى به ليوصله لوالده، ويؤكد عليه ألا يخبر أحداً.

ويعلم كل من يقرأ عليه الخط ويقرئهم جميع الأمهات، أي متون العلوم المتداولة.

وكتب عدة مجاميع بخط يده ولا زالت إلى الآن فيها من المتون ما لا يوجد نظيره ضبطاً وصحةً كالشاطبية ومنية ابن غازي ومختصر الشيخ خليل، وغير ذلك.

وكان في فن الحساب نسيج وحده، وكنت أشاهد كثيرًا من كبار الطلبة يأتون إليه للأخذ عنه في ذلك الفن.

ومن غريب أمره أنه لم يكن مارس شيئاً من مجالس العلم حسبما كان يخبر عن نفسه ويخبر عنه الغير بذلك، سوى مجلس سيدي العربي بن السائح في البردة، فإنه كان ملازما له نعم كان له أخلاء من نجباء الطلبة، فكان له معهم مسامرات متصلة، مثل شيخنا سيدي عبد الرحمن لبريس وأخيه السيد عبد القادر، وشيخنا سيدي محمد الورديغي، فقلَّما مر ليلة لا يجتمعون فيها عند واحد منهم، ويتذاكرون فيما قرؤوه ودرسوه من المسائل العلمية فشاركهم فيها كأنه قرأ معهم، وإذا استشكل مسألة توجه إليها بقلبه وقالبه، وقيدها وتتبع مظانها، وقيد ما للناس فيها، وتفهم ذلك بجد واجتهاد، وعرض ما حصله على رفقائه المذكورين؟

وما كان أعرفه بمظان المهمات من المسائل، وباصطلاحات كتاب القاموس زيادة على ما هو متعارف من ذلك بين العلماء.

وكان يستخرج بعض ذلك بذكائه من تتبع كلامه، وربما تسمع منه السطرين والثلاثة من عبارة القاموس باللفظ وذلك كثير منه.

وكان له في أوائل أمره خزانة متوسطة مشتملة على كل حسن وغريب، وجلها بخط يده، وكان له اعتناء تام بمقابلة ما يستنسخه وإصلاح ما عسى أن يوجد فيه من الغلط،

فلذلك لا يوجد كتاب بخطه إلا في غاية الصحة.

ثم لما بسطت عليه الدنيا توجه لجمع الكتب، فكان يكلف من يكتب له بمصر والشام بل ولبلاد الهند، فيأتيه من ذلك العدد الكثير، حتى صارت خزانته يضرب بها المثل.

وبعد وفاته رحمه الله بيع البعض من كتبه، فلا تجد أحداً من الطلبة إلا وعنده منها عدد، وأنفسها وأحسنها وأكثرها كله في خزانة بعض علماء الرباط تملكه بالشراء ووجه بعضها للبلدان.

وكانت كتبه متميزة بتجليد خاص على نسق واحد، كان استحضرها حيث كان بفاس في بعض الخدمات السلطانية، واتخذ عدة من المجلدين معه في منزله هناك مدة مديدة، إلى أن أتم أمرها وفق ما أراد، فتميزت بذلك عن غيرها بحيث أول ما يرى كتابه يقال: هذا من كتب الفقيه الرغاي، لأنه يكتب على كل منها اسم الكتاب بخطه المشهور.

وكان له معرفة تامة بتجويد القرآن العظيم، يتقن ذلك إتقانا، وله معرفة بفن الأوفاق، وسر الحرف، أخذ ذلك عن الفقيه السيد الطاهر ضاكة، كما أخذ عنه طرفاً صالحًا من علم التنجيم، فكان في هذه العلوم فريد عصره.

وكان يتقن عمل الجدول المثيني، وكان صاحب مفاكهات ودعابات مع الوقار التام لا سيما في المجالس المختلطة، على أنه كان يميل إلى العزلة، وعدم المخالطة إلا لخاصته كالمذكورين قبل.

وأما شعره فهو السحر الحلال، والعذب الزلال، إلا أنه ويا للأسف فاتنا تقييد الكثير منه لأن أغلبه مقاطيع.

وأعرف له قصيدة بديعة أنشأها في ختم السلطان المقدس مولاي الحسن صحيح البخاري برباط الفتح أول قدمة قدم الرباط، وأخرى في مدح بعض العلماء من هذه الحضرة عند ختمة الصحيح أيضاً.

وله قصيدة أخرى يمدح الولي الصالح سيدي الحسن بن سعيد، صاحب المقام الشهير بالرباط، وذلك عندما بهته بعض أعدائه يريد الحط من قدره، فكان في ذلك رفعته ومطلعها:

لَمَّا تَضَايَقَتِ الأُمُورُ وسَدَّدَتْ ... غِيَرُ الزَّمَانِ سِهَامَهَا لِسُعُودِي
وَخَفَتْ بُرُوقُ الأَزْمِ بَعْدَ خُفُوتِهَا ... ودَنَتْ بِأَدٍّ خَلْفَهَا ووَئِيدِ
أَنْزَلْتُ آمَالِي بِخَيْرِ مُنَاجِدِ ... وأَجَلِّ مُعْتَمَدٍ وخَيْرِ عَمِيدِ

إلى أن قال:

وَافَــاكَ ذُو كَــرْبٍ يَبُــثُّ شَــكَاتَهُ   فَــأَصِخْ لَــهُ وأَنِلْــهُ أَوْفَــرَ جُــودِ

ومن شعره في عدلين عزلا بأمر سلطاني لموجب قصيدة مطلعها:

خَــلِيلَيَّ صَــبْراً لا وَفَــاءَ لِــذَا الــدَّهْرِ   ولا مَهْــرَبٌ مِمَّــا قَــضَى قَاصِــمُ الظَّهْــرِ

إلى قوله:

هَــنِيئاً مَــرِيئاً مِــلْتُمَا وأَرَحْــتُمَا   نُــفُوسًا تَقَــضَّتْ فِــي التَّعَــسُّفِ والْقَهْــرِ

وَوُقِــتَ مَــا كَــانَ يُقْــضَى فَوَاتِــاً   خُصُوصاً صَلاةَ اللَّيْلِ والْعَصْرِ والظُّهْرِ

وله في جماعة من العدول مع بعض من كان يروم ولاية القضاء، قصيدة مطلعها:

دُنْيَاكَ يَا مَغْرُورُ قَلَّ وَفَاؤُهَا

وهي نحو الثمانين بيتاً منها قوله:

يَــا أَيُّــهَا الأَغْــمَارُ خَــافُوا رَبَّكُــمْ   وذَرُوا الــشَّهَادَةَ فَالْخُــشُوعُ سَــرَاؤُهَا

ومنها يصفهم بجمع الحطام وملازمتهم لدكاكين الشهادة واجتماع الناس عليهم

إِنْ أَصْــبَحُوا فَتَــرَى الْخَلائِــقَ كَالــدِّبَا   أَوْ بَــيَّتُوا تَغْــشَاهُمُ بَيْــضَاؤُهَا

ومنها يصفهم بالخشوع والخضوع رياء:

كُلٌّ يُرَى مُخَضْوِضِعاً مُخَقْوَقِفَا

ومنها قوله فيمن كان يروم القضاء:

يَــا أَيُّهَــا الْــقَلَطِيُّ[1] عَجْــزُكَ ظَــاهِرٌ   خَــلِّ الرِّيَاسَــةَ فَــالأَرِيبُ كِفَاؤُهَــا

تَبْغِي الْقَضَاءَ عَلَى الضَّلالِ ولَمْ تَخَفْ   يُقْــضَى عَلَيْــكَ كَمَــا قَــضَى عُظَمَاؤُهَــا

ومن جملة أبياتها:

أَسَــفاً عَلَــى تِلْــكَ الْمَــسَاجِدِ أَقْفَــرَتْ   واكْــتَنَّ فِــي أَكْنَافِهَــا قُرَّاؤُهَــا

أَسَــفاً عَلَــى تِلْــكَ الْمَنَــابِرِ إِذْ شَــكَتْ   عَــيَّ الَّــذِي يَرْقَــى بِهَــا خَرْفَاؤُهَــا

هذا ما علق بالذهن منها لكوني لم أكن قيدتها، ولا تمكنت من نظرها كما ينبغي، لأنه كان يخفيها، وإنما ظفرت بكناشه لحظة فعلق ذلك بالحفظ.

(1) القَلَطِيُّ: القصير المجتمع من الناس، والقَلَطُ: الدَّمامةُ. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 7/ 385، مادة (قلط).

وكتب يوماً لصديقه الورديغي المتقدم:

وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ لِحَاجَةٍ فَاجْعَلْ طَرِيقَكَ نَحْوَنَا كَيْ تُخْبَرَا

هَذِي الْعَجَائِبُ والْغَرَائِبُ قَدْ بَدَتْ فَأَصِخْ لَهَا كَيْ تَسْتَفِيقَ مِنَ الْكَرَى

وله تخميس على القطعة المشهورة (الله قل) أوله:

يَا غَافِلا سَمِعَ النِّدَاءَ فَمَا ارْعَوَى وبِرَأْسِهِ عَرْشُ الْمَشِيبِ قَدِ اسْتَوَى

وَمُؤَمِّلاً والْعُمْرُ مِنْهُ قَدِ انْطَوَى

(اللهَ قُلْ وذَرِ الْوُجُودَ ومَا حَوَى إِنْ كُنْتَ مُرْتَاداً بُلُوغَ كَمَالِ)

أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي الَّذِي أَمَّلْتَهُ

هذا ما بقي بالبال منه.

وله تخميس على أبيات ابن سهل:

يَا غَزَالاً بِالْحِمَى مَا أَجْمَلَكْ

لم يبق في بالي منه إلا قوله:

أَنْتَ فِي الْحُسْنِ مَلِيكٌ أَمْ مَلَكْ

وكان الطالب السيد التهامي التونسي من أصحابه يتعاطى بيع الخضر، ويحضر بعض مجالس العلم، فأتاه ذات يوم بقرعة وفجلة من أكبر ما يكون قاصدا مباسطته بذلك، فقال له: قف، وكتب له بطاقة بها:

للهِ دَرُّ التُّهَامِيُّ الَّذِي شَهِدَتْ بِبَذْلِ كَفَّيْهِ أَصْحَابُ الأَبَاطِيلِ

أَهْدَى لَنَا فِجْلَةً مَا إِنْ لَهَا شَبَهٌ قَدْ أَفْرَطَتْ فِي اعْوِجَاجِ الرَّأْسِ والطُّولِ

وَقَرْعَةً مِنْ عَظِيمِ مَا يُبَاشِرُهُ طَعْماً ولَوْناً يَفُوقُ كُلَّ تَمْثِيلِ

لَوْ صِيغَ مِنْ شَطْرِهَا فُلْكٌ لَحَلَّ بِهِ أَلْفٌ مِنَ الْقَوْمِ فِي وُسْعٍ وتَظْلِيلِ

أَوْ وُزِنَتْ رَجَحَتْ مَشْتًى بِخُصْيَتِهِ والْعَكْسُ عِنْدَ هَيَاجِ الْحَرِّ والْقِيلِ

وانتسخ في بعض السنين نسخ متعددة من شرح الشيخ خالد الأزهري على الآجرومية، وجعلها على نسق واحد، حتى كأنها مطبوعة، وأثبت في آخر كل منها قصيدة لامية يمدح بها الشرح وفضله على غيره من الشروح، لسبب اقتضى عنده ذلك. اهـ.

وقال مشيرا إلى الأبيات المشهورة (لعمرك ما أهديت للحب).. إلخ:

عَجِبْتُ لِمَنْ أَبْدَى الصُّدُودَ بِلا عُذْرِ ولا سَبَبٍ مُفْضٍ إِلَى الْبَيْنِ والْهَجْرِ

وَقَـدْ كَـانَ يَرْعَـى الـوُدَّ مِنّـي ويَتَّقِـي مَـصَارِعَ آثَـارٍ تَـزُودُ عَـنِ الْبِـشْرِ
وَلا عِـلْمَ لِـي أَنّـي مَنَحْتُـهُ خَاتَمـاً ولا قَـلَماً مُـبْرَى ولا آلَـةً تَفْـرِي
نَـعَمْ مَـرَّةً قَـبَّلْتُ عَيْنَيْـهِ سَـاهِياً فَـكَانَتْ مَـجَازاً لِلْفِـرَاقِ ولَـمْ أَدْرِ

وكان ذلك بفاس وهو واقف بدكان بعض الوراقين فأجابه إذ ذاك الأديب العلامة أبو العباس البلغيثي بقوله:

فَـلَيْتَكَ لَمَّـا أَنْ قَـصَدْتَ لِعَيْنِـهِ عَـدَلْتَ إِلَـى خَدَّيْـهِ لَهْـبَ الْجَمْـرِ
وَلَكِـنَّ خِـذْنَ الْعِـشْقِ فَاقِـدٌ عَقْلَـهُ فَحُـقَّ لَـهُ عِنْـدِي قَبُـولٌ لِـذَا الْعُـذْرِ

وله مقصورة[1] مجونية عارض بها مقصورة علي بن عبد الواحد البغدادي المعروف بصريع [الدلاء وقتيل][2] الغواني[3]، وهي مجونية أيضاً مطلعها:

قَـلْقَلَ أَحْـشَائِي تَبَـارِيحُ الْجَـوَى وبَـانَ صَـبْرِي حِـينَ خَالَفْـتُ الأَسَـى
وَسَـوْفَ أُسْـلِي عِنْـدَكُمْ صَـبَابَتِي بِـحُمْقَةٍ يَعْجَـبُ مِنْهَـا مَـنْ رَوَى

ومنها:

مَـنْ مَـضَغَ الأَحْجَـارَ أَدْمَـى ضِرْسَـهُ والـضِّرْسُ لَـمْ يُخْلَـقْ لِتَلْيِـينِ الْحَـصَى
مَـنِ اشْـتَرَى الْخُبْـزَ تَعَـشَّى أَهْلُـهُ وبَـاتَ مَـنْ لَـمْ يَـشْتَرِ بِـلا عَـشَى

وهي نحو الخمسين بيتاً، وقد أشار إليها ابن خلكان صدر ترجمته[4]. ومقصورة الشيخ أبي عبد الله الرغاي المترجم له مطلعها:

مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ ذَا ثَـرْوَةٍ لَـيْسَ لَـهُ مَـالٌ ومَـنْ لَـمْ يَـسْتَلِفْ فَمَـا قَـضَى
مَـنْ كَـانَ ذَا عَـيْنٍ فَـسَمِّهِ أَعْـوَرَا فَـإِنْ شَـكَا فَقْـدَهُمَا فَهْـوَ الْعَمَـى
مَـنْ وَقَعَـتْ عَلَـى قَفَـاهُ صَـخْرَةٌ عَـظِيمَةٌ هَـدَّتْ قُـوَاهُ وانْحَنَـى

---

(1) المقصورة هي القصيدة المقفاة بألف مقصورة.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح1).

(3) هو: أبو الحسن، علي بن عبد الواحد البغدادي، الفقيه، الشاعر. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان، لابن خلكان: 3/ 383.

(4) قال ابن خلكان: له قصيدة في المجون ختمها ببيت لو لم يكن له في الجد سواه لبلغ به درجة الفضل وأحرز معه قصب السبق وهو قوله:

مَـنْ فاتـهُ العلـم وأخطـاه الغنـى فـذاك والكلـب علـى حـال سَـوا

انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: 3/ 384.

مَــنْ شَــرِبَ الــسُّمَّ ومَــاتَ فَلْــيَكُنْ جَــزَاؤُهُ الــدَّفْنُ ولَــوْ عِنْــدَ الْمِــسَا

ثم قال:

مَــــنْ فَــــتَحَ اللهُ غُــــلافَ قَلْبِـــهِ رَأَى الْــــبَعِيرَ لا يُــــشَابِهُ الْقَطَــــا
وَإِنْ رَأَيْــتَ الْفَحْــلَ يَغْــدُو قَاصِــداً بَــــقَرَةً فَــــقُلْ لَــــهُ يَــــا حَبَّــــذَا

ثم قال:

وَالأَكْـــلُ فِــي شَــهْرِ الــصِّيَامِ جَــائِزٌ بَعْـــدَ الْغُــرُوبِ حِكْمَــةٌ لِمَــنْ دَرَى

ثم قال:

لا تَــعْتَرِضْ عَلَــى امْــرِئٍ قَــامَ إِلَــى مِــــحْرَابِهِ فَــــصَلَّى فِــــيهِ ودَعَــــا
فَــــقَدْ يَبُــــولُ الْكَلْــــبُ وهُــــوَ رَافِــــعٌ رِجْــــلاً لَــــهُ ولا يُــــرَى فِيمَــــا عَــــدَا
وَقَــدْ يَعِــيشُ الْمَــرْءُ دَهْــراً وهُــوَ فِــي خَــــيَاتِهِ يَــــأْكُلُ صُــــبْحاً ومِــــسَى
لا تَــغْتَرِرْ بِــمَا دَعَــى أَصْــحَابَهُ لِــــدَارِهِ فَــــاسْتَبَقُوا حِرْصــــاً عَلَــــى

ثم قال:

كَــمْ أَكْلَــةٍ يَأْكُلُهَــا الْمَــرْءُ عَلَــى مَــــائِدَةٍ فِيهَــــا دَجَــــاجٌ وشِــــوَا

وهي طويلة تنيف على المائة بيت كلها على هذا النسق. اهـ.

توفي رحمه الله تعالى عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بالناصرية من رباط الفتح، هذه ترجمته من غير إفراط ولا تفريط، وهو أستاذي عليه قرأت القرآن العظيم بعد والدي رحمه الله تعالى ورحم الجميع". انتهى من خطه أبقاه الله.

ومن شعر المترجم قوله في مدح ابن آجروم والشيخ خالد الأزهري:

يَــا طَالِــبَ النَّحْــوِ فَاجْهَــدَنْ لِتَحْصِيلِ مَــا حَــصَّلَهُ مَــنْ لَــهُ عَــزْمٌ وتَأْمِيــلُ
دُونَــكَ مَــتْنُ الإِمَــامِ الْفَــذِّ مَــنْ وَلِعَــتْ بِــهِ الأَفَــاضِلُ جِــيلاً بَعْــدَهُ جِيــلُ
بَــحْرُ الْعُلُــومِ الْخِضَــمُّ الــشَّهْمُ جَامِعُهَــا قُــطْبُ الــنُّحَاةِ ابْــنُ آجُــرُّومَ قِنْــدِيلُ
لِلَّــــهِ دَرُّهُ مَــــا أَحْــــلَى عِــــبَارَتَهُ لَــهَا عَلَــى الْقَــوْلِ تَــرْجِيحٌ وتَفْــضِيلُ
لَــهَا شُــرُوحٌ بِــلا حَــصْرٍ ولَــيْسَ لِمَــا أَتَــى بِــهِ خَــالِدٌ فِــي الْوَضْــعِ تَمْثِيــلُ
كَــمْ قَــدْ تَعَاطَــاهُ مِــنْ كَهْــلٍ ومِــنْ حَــدَثٍ فَــظَلَّ كُــلٌّ لَــهُ عِــلْمٌ وتَحْــصِيلُ
يَــا لَــهُ شَــرْحاً مُفِيــداً لَــنْ يُــضَاهَى لَــهُ فِــي الــشَّرْقِ والْغَــرْبِ تَعْظِيــمٌ وتَنْوِيــلُ

ذَاعَ وضَاعَ فَضَاعَ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الشُّرُوحِ وذَا مَا مِنْهُ تَبْدِيلُ
أَتَى بِهِ الْعَالِمُ النِّحْرِيرُ حُجَّتُنَا كَهْفُ الأَنَامِ لَهُ فِي الْجُودِ تَخْوِيلُ
ذَاكَ ابْنُ عَبْدِ الإِلَهِ الأَزْهَرِيُّ الَّذِي عَنَتْ لِقِبْلَتِهِ الشُّمُّ الْبَهَالِيلُ
بَلِغٌ فَصِيحٌ ومُصْقِعٌ وتَغْلِمَةٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ لَهُ صِيتٌ وتَرْتِيلُ
لَمْ تُبْقِ قَوْلاً لِجَاحِدٍ بَلاغَتُهُ وهَلْ تُقَامُ مَعَ الْحَقِّ الأَبَاطِيلُ
أَتَى بِمَا أَعْجَزَ الأُولَى تَقَدَّمَهُ وهَلْ تُنِيرُ مَعَ الصُّبْحِ الْقَنَادِيلُ
جَلَّتْ تَصَانِيفُهُ فَلا عِدَادَ لَهَا ولا عَدِيدَ وهَلْ تُحْصَى الْبَرَاغِيلُ[1]
جَزَاهُ عَنَّا إِلَهُ الْعَرْشِ مَكْرُمَةً ونَالَهُ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ تَظْلِيلُ
بِجَاهِ أَحْمَدَ بَدْءِ الْكَوْنِ خَاتِمِهِ لَهُ مِنَ اللهِ تَعْظِيمٌ وتَبْجِيلُ

وله أيضاً مخاطباً للفقيه أبي العباس سيدي أحمد بناني في غرض يعلم بالوقوف على كلامه قال:

يَا أَيُّهَا الْحَبْرُ وابْنُ الأَكْرَمِينَ ومَنْ أَضْحَتْ فَصَاحَتُهُ تُزْرِي بِسَحْبَانِ
أَشْكُو إِلَيْكَ الَّذِي أَلْقَاهُ مِنْ مَلأٍ قَدْ أَصْبَحُوا بَيْنَ جَوْعَانٍ وعَطْشَانِ
هَذَا إِمَامُ الْمُصَلِّينَ خَطِيبُهُمْ بِالْجَامِعِ الأَعْظَمِ الْمُرْتَفِعِ الشَّانِ
وَابْنُ الأَمِينِ الأَبَرِ ابْنِ الأَمِينِ الرِّضَى أَعْنِي أَبَا الْحَسَنِ الْمَغْزِي لِتَطْوَانِ
غَرَّهُمَا لِنُفُوذِ الأَمْرِ بَطْنُهُمَا والْبَطْنُ يُصْلِي الْفَتَى الْغِرَّ بِنِيرَانِ
أَتَاهُمَا رَجُلٌ يَرْجُو نَوَالَهُمَا إِمَّا بِعُرْفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانِ
فَاسْتَطْعَمَاهُ فَأَبْدَى مِنْ بَشَاشَتِهِ مِنْ بَعْدِ ذُلٍّ وإِلْحَاحٍ وإِذْعَانِ
وَسَارَا مِنْ فَرَحٍ عَدْواً يَقُودُهُمَا حُكْمُ الْقَضَاءِ الْمُبِيرُ كُلَّ عَجْلانِ
حَتَّى إِذَا بَلَغَا النُّزُلَ الَّذِي قَصَدَا وحَقَّقَا الظَّنَّ تَحْقِيقاً بِإِمْعَانِ
نَادَاهُمَا مَرْحَبَا أَهْلاً وسَهْلاً لَقَدْ حَلَلْتُمَا دَارَةً خُصَّتْ بِضِيفَانِ
ثُمَّ أَتَى بِالَّذِي تَرْنُو الْعُيُونُ لَهُ صِينِيَّةٍ حَفَّ رُكْنَيْهَا الْجَدِيدَانِ
ثُمَّ خَلِيعٍ أُدَامٍ[2] وَسْطَ آنِيَةٍ هَامُ السَّلاحِفِ تَطْفُو فَوْقَ غُدْرَانِ

(1) البراغيل: جمع برغيل وهي القرية أو البلاد بين الريف والبر. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 11/ 51، مادة (برغل).

(2) الخليع: لحم الجدي، والأدام والأدم: ما يؤتدم به مع الخبز. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 12/ 8، 8/ 76، مادة (أدم) و(خلع).

مِنْ كُلِّ رَطْبٍ سَرِيعِ الْمَضْغِ مُخْتَضَمٍ وآخَــرُ لا يُــرَى قَــضْماً بِأَسْــنَانِ
مَــعْ أَبْــرَكِ الْــخُبْزِ يَــابِسٍ وأَحْمَــرِهِ مُــشَقَّقٍ قَــدْ عَــفَا مِــنْ عَهْــدِ طُوفَــانِ
وَعَــزَّزَ الْــكُلَّ بِــالْهِنْدِيِّ مُعْتَــذِراً آلَآنَــا الْمُقَــصِّرُ والْفَــضْلُ لِإِخْــوَانِ
وَكَانَ مَا كَانَ فِي وَسْطِ الْفِرَاشِ عَلَى رَأْيِ الْــعِيَانِ ولَــمْ أَنْــطِقْ بِبُهْتَــانِ
لِــلهِ أَكْــلاً وشُــرْباً مَــا أُحَيْلاهُمَــا لَــوْلا امْــتِزَاجُهُمَا بِــبَوْلِ صِــبْيَانِ

فأجابه أبو العباس بقوله:

يَــا أَيُّهَــا الْعَلَــمُ الأَسْمَى ومَــنْ ثَبَتَــتْ لَــهُ الْمَقَامَــاتُ فِــي عُجْــمٍ وعُرْبَــانِ
شَــكَوْتَ لِــي ذَا الَّــذِي لَقِيــتَ مِــنْ مَــلإٍ قَــدْ أَصْــبَحُوا بَــيْنَ ذِي رَجًــى وتُكْــلانِ
يُــولُونَ فَــضْلَهُمْ وَفِــيَ بِوَعْــدِهِمْ وحَــاشَ أَنْ يُوعَــدُوا إِيعَــادَ إِخْــزَانِ
آتَــاهُمْ رَجُــلٌ مُسْتَــصْرِخٌ بِهِــمُ أُهَــيْلَ فَــضْلٍ أَجِيبُــوا عَبْــدَ إِحْسَانِ
نَــجْلِي سَــقِيمٌ وقَــدْ أَعْيَــتْ مَذَاهِبُــهُ وضَــاقَ ذَرْعــاً بِمَــا يُقَاسِــي مِــنْ جَــانِ
فَلْتَمْنَحُــوا عَــاجِلاً شَــرِيفَ نَظْــرَتِكُمْ ولا تَــضِنُّوا بِهَــا فِــي ذَاتِ رَحْمَــانِ
عَسَى الإِلَــهُ الْكَرِيمُ يَرْضَــى رَغْبَتَكُمْ(1) فَــيُبْدِلَنْ عُــسْراً بِــطُولِ سُــلْوَانِ
فَــانْتَدَبَ الْــقَوْمُ إِسْــعَافاً لِمَطْلَبِــهِ حَــاشَاهُمُ أَنْ يَــرَوْا رَدّاً لِإِنْــسَانِ
مُــسْتَنْجِزِينَ مَــثُوبَةَ الْــعِيَادَةِ مَــعْ إِجَــابَةِ الــدَّاعِ مِــنْ نَــوَّالٍ مَنَّــانِ
أَعْــظِمْ بِــهَا زَوْرَةً فِــي اللهِ خَالِــصَةً ويَــا لَــهَا وَصْــلَةً حُفَّــتْ بِرِضْــوَانِ
حَــتَّى إِذَا بَــلَغُوا نُــزْلَ دَاعِــيهِمْ هَــبَّتْ عَــلَى نَجْلِــهِ نِــسْمَةُ رَيْحَــانِ
وَاسْــتَنْكَرَتْ نَفْــسُهُ مِــنْ طُــولِ رَقْدَتِــهِ وقَــامَ بَــعْدَ الإِيَــاسِ مِنْــذُ أَزْمَــانِ
أَعْــجِبْ بِمَقْــدِمِهِمْ مَــا كَــانَ أَبْرَكَــهُ لَــكِنْ لِــهُمْ لَــيْسَ ذَا أَوَّلَ بُرْهَــانِ
ثُــمَّ انْــتَحَوْا رَبْعَــهُ فِــي عِــزِّ مَكْرُمَــةٍ ومِــنْ فِــرَاشٍ سَــمَوْا مَــشِيدَ أَرْكَــانِ
وَطَــابَ مَجْلِــسُهُمْ بِعَــرْفِ ذِكْــرِهِمُ يَــا حُسْنَ ذَا الْمَجْلِسِ الْمُرْتَفِعِ الشَّانِ
وَقُــدِّمَتْ لَــهُمْ صِــبْيَةٌ عَجِبَــتْ مِــنْ نَــظْمِ أَكْوَابِهَــا عُقُــودُ عِقْيَــانِ
بِــصَدْرِهَا حَــكَمٌ يُــسْقِي نَــدِيمَهُمُ رَاحَ الْــمَوَدَّةِ بَــلْ مُــدَامَ عِرْفَــانِ

(1) كذا في الأصل، ولا يستقيم معها الوزن.

ثُـمَّ خَـلِيعُ قِـرَى أَجَـادَ صَـانِعُهُ ... ولَـمْ يَطُـلْ عَهْـدُهُ بَـلْ جَـا بِحَـدْثَانِ

كَـأَنَّمَا الـذَّهَبُ الإِبْرِيـزُ شَـحْمَتُهُ ... أَوْ أَنَّ لَـوْنَ الـعَقِيقِ لَـوْنُ لُحْمَـانِ

مَـا حَـاضِرٌ وَقْتَـهُ مِـنْ خُبْـزِ إِنْعَامِـهِ ... أَهْـلُ الـعَطَايَا كَمَـا قَـدْ جَـا بِتِبْيَـانِ

فَـاسْتَعْظَمُوا نِـعْمَةَ اللهِ واعْتَبَـرُوا ... مِـنْ غَيْـرِ أَنْ يَـسِمُوا أَكْـلاً بِنُقْـصَانِ

وَبَـعْدَمَا فَـرَغُوا بِـالْعُودِ خَبَّـرَهُمْ ... لِلَّـهِ دَرُّ مَـكَانٍ فِـيهِ طِـيبَانِ

هَـذَا الَّـذِي ثَبَتَـتْ عِنْـدِي رِوَايَتُـهُ ... وغَـيْرُهُ بَـاطِلٌ ونَـوْعُ هَـذْيَانِ

فَـقَرَّ عَيْنـاً وطِـبْ نَفْـساً ولا تَـرَيَنْ ... بِـعَيْنِ مَنْقَـصَةٍ صَـدِيقَ خِـلانِ

واسْـتَغْفِرِ اللهَ مِـمَّا جَنَيْـتَ بِـهِ ... حَيْـثُ وُسِـمْتَ بِجَوْعَـانٍ وعَطْـشَانِ

وَقُـلْ إِذَا مَـا لَقِيـتَ الْقَـوْمَ مُعْتَـذِراً ... عُـذْرِي ضِـيَافَتِكُمْ وطُـولُ حِرْمَـانِ

*[99] محمد بن احمد بن علي دِنية (المتوفى سنة 1316هـ)[1]

الفقيه العلامة الأديب الخطيب المصقع من أعيان علماء الرباط وأجلاء المدرسين بها، قرأ على والده أبي العباس وأخيه القاضي أبي الحسن، وتعاطى بعد ذلك خطة التجارة مدة مديدة ثم تصدر للشهادة بطلب من القاضي ابن إبراهيم، واشتغل بالتدريس، فدرس كثيرًا من المتون العلمية.

حضر عليه شيخنا القاضي أبو حامد في دروسه لتوحيد المرشد المعين[2]، بشرح الشيخ الطيب بن كيران[3]، وكان يسرد البخاري في الأشهر الثلاثة بالمسجد الأعظم.

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 253، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 339.

(2) "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" هو نظم في العقيدة الأشعرية والفقه على طريقة الإمام مالك، وبعض جوانب السلوك الصوفي، لأبي محمد، عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري، الأندلسي أصلاً، الفاسي داراً، المتوفى سنة 1040هـ وهو فقيه أصولي متكلم، من كبار العلماء العاملين من أهل الورع والعبادة، من مصنفاته: "الإعلان بتكميل مورد الظمآن في كيفية رسم القرآن"، و"الجمع بين أصول الدين وفروعه"، و"شرح مختصر الشيخ خليل في الفروع"، و"فتح المنان المروي بمورد الظمآن" - ولدينا منه نسخة خطية -، و". انظر ترجمته في: مقدمة الدر الثمين، لتلميذه ميارة، ص: 4، واليواقيت الثمينة، للأزهري: 1/ 230، وخلاصة الأثر، 3/ 96، شجرة النور، لمخلوف، ص: 299.

(3) هو أبو عبد الله، محمد بن الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام بن كيران الفاسي، المتوفى سنة 1227هـ درس بفاس، على جلة أعلامها، وأخذ عنه أبو عبد الله الزريولي، وأحمد بن عجيبة، والسلطان المولى سليمان، من تصانيفه: شرح على المرشد المعين، وله نسخة خطية بالخزانة المحجوبية، كما في فهارسها، ص 161، رقم 25" وله نسخة خطية بحوزتنا بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، وغير ذلك من التصانيف العديدة. انظر ترجمته في: الاستقصاء، للسلاوي:8/ 121، والسلوة، للكتاني:3/ 2، والأعلام، للزركلي:6/ 47.

ومن كان يحضر عليه شيخنا العلامة الأديب أبو العباس جسُّوس، وصهرنا العارف بالله تعالى الشيخ فتح الله، وغيرهما.

وكان رحمه الله ذا سمت حسن، وفهم مصيب، وخط بارع، وهمة عالية، ورسوخ تام، وله مع المخزن خدمات بفاس، وفي بعض المراسي، وكثيراً ما كان يستخدم رفيقاً للعلامة الشهير السيد عبد الله بن خضراء السلاوي.

ومن شعره ما أنشأه عند ختم شقيقه وشيخه أبي الحسن لألفية ابن مالك عام 1274هـ فقال:

خَلِيلِيَّ سَنَا بَرْقِ السَّعَادَةِ قِبْلَتِي ... وغَابَ الدَّرَارِي لَمَّا لَيْلَى تَرَقَّتِ

فَضَاءَتْ بِنُورِ اللهِ والنُّورُ سَاطِعٌ ... وأَشْرَقَتِ الأَكْوَانُ مِنَّا بِنَظْرَةِ

وَسَارَتْ وسَعْدُ اللهِ يَنْشُرُ طَيَّهَا ... فَتَنْشُرُ بِالأَزْهَارِ أَيْنَمَا حَلَّتِ

إلى أن قال:

كَمَا قَدْ سَمَى بِالعِلْمِ والمَجْدِ كَوْكَبٌ ... ولاحَتْ لَهُ الأَنْوَارُ صُبْحاً بِطَلْعَةِ

وَذَا كَنْزُ أَسْرَارِ البَلاغَةِ شَيْخُنَا ... أَبُو الْحَسَنِ الأَسْنَى الْفَتَى عَلِي دِنْيَةِ

سَمَوْتَ بِأَنْوَارٍ وعِلْمٍ ولَمْ تَزَلْ ... يَتِيمَةَ عِقْدِ الدُّرِّ بَيْنَ الأَحِبَّةِ

وَسُدْتَ بِتَدْرِيسٍ فَنِلْتَ بِهِ الْمُنَى ... وقَرَّتْ بِكَ الأَعْيَانُ أَبْشِرْ بِعِزَّةِ

وَهَذَا لِسَانُ الْحَالِ يَتْلُو مُكَرِّراً ... هَنِيئاً هَنِيئاً يَا سَلِيلَ الأَجِلَّةِ

توفي رحمه الله أول يوم من المحرم الحرام فاتح عام ألف وثلاثمائة وستة عشر.

واحتُفل بجنازته احتفالاً شائقاً، حضره كل من في العدوتين من أهل العلم والفضل، وتقدم للصلاة عليه شقيقه وشيخه أبو الحسن المذكور، ودفن بالزاوية المختارية من هذه الحضرة الرباطية، لا زالت عليه رحمات الله وبركاته متوالية آمين.

* [100] محمد بن عبد الله بريبش (المتوفى سنة 1316هـ)(1)

سيبويه عصره وشيخ النحاة في مصره، تخرج عنه في العربية كثير من مشايخنا لأنه كان مع مشاركته في كثير من الفنون لا يتعاطى في الغالب إلا درس الأجرومية والألفية مطبقاً على قواعدهما نصوص الفريدة والكافية التي كان يستحضرها استحضارًا، وكان في ذلك لا يجارى.

وقد سألت عنه شيخنا القاضي أبا عبد الله الراندي، فقال أنه ما رأى أعرف منه

(1) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 340 وسماه محمد بن عبد الله بُريس، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 258.

بالتوجيهات النحوية ومذاهبها، حتى المذاهب الشاذة، وما فيها من الخلاف القائم بين أصحابها.

وكانت وفاته في عشري ذي القعدة الحرام عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، وصلى عليه سيدي أبو القاسم الدباغ نزيل المدينة المنورة، بمقبرة العلو، ودفن بضريح سيدي الحسن المسكيني رضوان الله عليه، ولم يتزوج قط، فتوفي وهو عزب.

*** [101] محمد بن عبد الله الشريف العلمي (المتوفى سنة 1318هـ)[1]**

الفقيه العلامة الكاتب الأبرع تلميذ الشيخ أبي بكر البناني كما في الطبقات، وأخبرني بعض حفدته أنه قرأ بفاس على الفقيه المرنيسي[2] الشهير لازمه مدة إلى أن صاهره، ولما نبغ في الإنشاء انتدبه عامل فاس السيد الجيلاني بن حمو للكتابة معه وسافر صحبته إلى طنجة أيام ولايته عليها.

ثم بعد ذلك انتدبه السلطان المقدس مولاي الحسن للكتابة معه أيام الوزير موسى، ولم يزل كذلك إلى أن توفي بالرباط مسقط رأسه سنة ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، ودفن ضجيع شيخه بالزاوية البنانية رحمه الله.

*** [102] محمد بن علي بن الطيب بن الجناوي[3] (المتوفى سنة 1325هـ)**

قاضي الدار البيضاء نيابة عن قاضي الرباط الفقيه أبي عبد الله لبريبري الآتي، وأصله من الرباط ثم استوطن البيضاء بقصد القيام بمراسم الدين من قضاء وإمامة ووعظ وخطابة إلى أن توفي بها قبيل الاحتلال.

وممن ذكر والده أبا الحسن من المؤرخين صاحب الاستقصا على أنه كان من المستخدمين مع السلطان المولى عبد الرحمن، قال في صحيفة 196 عند كلامه على حوادث وجدة[4]: ثم

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 259.

(2) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي المرنيسي، الفاسي، فقيه علامة مشارك في كثير من الفنون غلب عليه علم العربية، حتى صار مشاراً إليه فيه في الأقطار المغربية، توفي سنة 1277هـ. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني: 1/ 292، وشجرة النور، لمخلوف، ص:402.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 271.

(4) منطقة تشمل أربع دوائر وجماعات حضرية وقروية، بناها زيري بن عطية سنة 384هـ بعد أن استقام له الأمر فاتخذها قاعدة ملكه لأنها واسطة وثغر لعمالتي المغربين الأقصى والأوسط حيث انبسط سلطانه آنذاك، ثم هدمها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني بعد انتصاره في معركة ايسلي سنة 670هـ على يغمراسن بن زيان. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:372.

عقد السلطان لابن عمه المولى المأمون ابن الشريف على كتيبة من الجند، ووجهها إلى ناحية وجدة وعززه بالفقيه أبي الحسن علي بن الجناوي من أعيان رباط الفتح[1]، فانظره.

* [103] محمد بن أحمد سباطه (المتوفى سنة 1325هـ)[2]

تلميذ الشيخ سيدي فتح الله البناني وكاتب سره، ومخرج تآليفه ومقرظها بجواهر نثره وشعره، بل ومترجمه بكتابه الفتح الرباني التعريف بالشيخ سيدي فتح الله ابن الشيخ سيدي أبي بكر البناني[3].

كان رَحِمَهُ اللهُ عالمًا عاملاً دينًا فاضلاً أديباً، لوذعياً شاعراً صوفياً مستغرقاً جل أوقاته في طاعة مولاه، وحسبك أنه شاب نشأ في عبادة الله، إلى أن توفي في الدار البيضاء عام 1325، ودفن بالزاوية الفتحية هناك، سقى الله ثراه.

ومن شعره قوله من قصيدة سماها تحفة الأحباب في الحض على سلوك نهج الصواب:

يَا هَائِماً فِي الْوَرَى قَدْ زُجَّ فِي الْعِلَلِ ... قَدْ خَامَرَتْ عَقْلَهُ الأَوْهَامُ بِالأَمَلِ
إِلَى مَتَى أَنْتَ لِلأَيَّامِ تُتْلِفُهَا ... والرَّكْبُ مُرْتَحِلٌ والْوَقْتُ ذُو عَجَلِ
مَهْلاً عَلَيْكَ فَدَعْ عَنْكَ الْفُضُولَ وسِرْ ... ولا تَرُدَّ رِدَاءَ الْجُبْنِ والْكَسَلِ
طَالِعْ كَلاماً لأَهْلِ اللهِ تُشْفَ بِهِ ... مِنَ الصُّدُودِ ولِلْوَصِيَّةِ امْتَثِلِ
وَسِرْ عَلَى سَنَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ مَضَوْا ... واتْبَعْ مَنَاهِجَهُمْ بِالْجِدِّ والْوَجَلِ
وَاحْفَظْ شَرِيعَتَكَ الْغَرَّاءَ مُمْتَثِلاً ... أَمْرَ الرَّسُولِ ولِلْمَنْهِيِّ لا تَمِلِ
فَالشَّرْعُ حَدَّ حُدُوداً ثُمَّ بَيَّنَهَا ... وَرَغَّبَ الْكُلَّ تَرْهِيباً مِنَ الْوَحَلِ
وارْقُبْ خَوَاطِرَ نَفْسٍ تُغْرِي صَاحِبَهَا ... بِالنُّصْحِ مُشْفِقَةً وكَمْ مِنَ الْحِيَلِ
وَخَالِفَنْهَا ولا تَرْكَنْ لِزُخْرُفِهَا ... واتَّهِمَنْ نُصْحَهَا فَالسُّمُّ فِي الْعَسَلِ
وَعَامِلِ الْخَلْقَ بِالإِحْسَانِ تَنْجُ ولا ... تَصْحَبْ سِوَى رَجُلٍ يُرْشِدْكَ فِي الْعَمَلِ
وَاتْرُكْ مُرَادَكَ لِلْفَعَّالِ يَفْعَلُ مَا ... يُرِيدُ تَحْظَ بِمَا تَرْجُوهُ مِنْ أَمَلِ
وَاقْنَعْ وكُنْ وَاثِقاً بِاللهِ مُتَّكِلاً ... عَلَى الْكَفِيلِ بِذِي الأَرْزَاقِ فِي الأَزَلِ

---

(1) انظر: الاستقصا، للناصري: 3/ 50.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 271، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 373، ومعجم المؤلفين، لعمر كحالة: 8/ 262.

(3) انظر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة: 1/ 237.

وَاجْـعَلْ هُـمُومَكَ هَمّـاً وَاحِـداً أَبَـداً ... وهِـمَّةً هَـمُّهَا فِـي الْعِلْـمِ والْعَمَـلِ
تَـدَرَّعِ الـصِّدْقَ فِـي الأَنْفَـاسِ سَـائِرِهَا ... واضْـرَعْ ضَـرَاعَةَ مُـضْطَرٍّ ومُبْتَهِـلِ
وَاحْـرِصْ عَلَـى طَلَـبِ الْعُلُـومِ مُجْتَهِـداً ... عَـسَاكَ تَـظْفَرُ بِـالْعَلْيَاءِ مِـنْ قُلَـلِ

ومن شعره أيضًا قوله في مطلع قصيدة:

سَـعْدُ الْـهَنَاءِ بِـأُفْقِ الْعِـزِّ قَـدْ طَلَـعَ ... بِـالْفَتْحِ مُـقْتَرِناً بِـالْيُمْنِ مُـدَّرِعَا
الْبَـسْطُ خَـالَفَهُ والْقَـبْضُ خَالَفَـهُ ... والـنَّحْسُ أَدْبَـرَ مَكْـسُوفاً ومُنْـصَدِعَا
وَأَقْـبَلَتْ دَوْلَـةُ الأَفْـرَاحِ زَاهِيَـةً ... والـشَّمْلُ بَعْـدَ افْتِـرَاقٍ صَـارَ مُجْتَمِعَـا
حَـيْثُ الْبَـشَائِرُ أَعْلَمَـتْ بِمَقْـدِمِ مَـنْ ... وُدِّي لَـهُمْ بِـصَمِيمِ الْقَلْـبِ قَـدْ زُرِعَـا
وَبَـشَّرَتْ بِـاقْتِرَابِهِمْ ووَصْـلِهِمْ ... أَهْـلَ الْغَـرَامِ وهُـمْ بِالْحُـبِّ قَـدْ وَلِعَـا
هُـمُ الأَحِـبَّةُ لا أَسْـلُو بِـغَيْرِهِمْ ... لا زَالَ بَـحْرُهُمْ بِـالْفَتْحِ مُتَّـسِعَا
قَـوْمٌ أَنَـالَهُمُ الـرَّحْمَنُ مَـنْزِلَةً ... أَمْسَى بِهَـا ذِكْـرُهُمْ فِـي الْكَـوْنِ مُرْتَفِعَـا

وقوله مطلع أخرى:

أَلا قُـلْ لِـصَبٍّ صَـارَ يَـصْبُو إِلَـى نُعْـمِ ... أَجَهْـلاً تَـرُومُ الْوَصْـلَ جَهْـراً بِـلا كَـتْمِ
أَلَـيْسَ الْهَـوَى بَحْـراً وأَنْـتَ مُخَـاطِراً ... بِنَفْـسِكَ فِـيهِ لَـمْ تَخَـفْ أَلَـمَ اللَّـوْمِ
أَمِنْ حُسْنِ ذَاتِ الْحَيِّ دَاخَلَكَ[1] الأَسَى ... وصِـرْتَ قَرِيـرَ الْعَيْنِ تَـشْكُو نَـوَى الْقَـوْمِ

* [104] القاضي أبو عبد الله لبريبري (المتوفى سنة 1326هـ)[2]

هو القاضي أبو عبد الله محمد ابن القاضي أبي زيد البريبري.

كان رَحِمَهُ اللهُ من خاصة الفقهاء، ونقاد الأساتذة والنبلاء، وبيته بيت مروءة وحسب ونسب ونزاهة ومأوى العلم والعمل والفضل، والجد والوجاهة، انقطع للعلم الشريف منذ حداثته، فقضى منه حق لبانته.

ومن أجلّ من أخذ عنه والده القاضي أبو زيد، قرأ عليه المختصر والرسالة وغيرهم من كتب الفقه، كما أخذ عنه الحديث والنحو، والتصريف والتلخيص، حسبما حكاه عن نفسه في إجازة أجاز بها العلامة المحدث الشريف سيدي عبد الحي الكتاني.

---

(1) في (ح): (زاملك).

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن البريبري. انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 288، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 377، والأعلام، للزركلي: 6/ 199.

وكان له رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشاركة حسنة في كثير من العلوم، خصوصًا الفقه والحديث والنحو والقراءات، وتوجيهها، وكان متخلقًا بكمال الليونة، متحلياً بأشرف الخلال والخصال، منقطعاً منعزلاً لا يخالط أحداً، ولا يخرج من منزله في الغالب إلا لصلاة الجمعة أو حضور جنازة فاضل.

ولهذا لم يكن له مزيد عناية بالتدريس كغيره من علماء وقته ومعاصريه، حيث إن ذلك يدعو ولا بد لخلطة موافيه ومعاشريه.

وممن أخذ عنه القاضي أبو العباس البناني، القاضي الشريف أبو حامد البطاوري، والعلامة أبو العباس جَسُّوس، ولو لم يكن من مفاخره سوى أخذ هؤلاء الجهابذة الأفاضل عنه لكان كافياً.

وكانت وفاته ليلة الأحد ثالث عشر جمادى الأولى عامة ستة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودُفن مع أبيه بزاوية حنصالة، التي بجوار داره بالرباط.

ومن آثاره العلمية إجازته للشريف الحسني سيدي محمد بن خليفة المدني[1]، ضمنها مشيخة والده وأسانيده في العلوم على العموم، وسماها تحفة ودود بمقصد محمود، وإليك منها الغرض المقصود، قال: الحمد لله الذي رفع الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات، وزكى حملة شرع حبيبه ﷺ بصحيح نياتهم وحسن طوياتهم، وأحاطهم بروضات الجنات والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات، وقطب فلك المجادات، خير من اقتبس من نوره العلماء، النبي الأمي أعلم من أسند عنه الرواة والحكماء، وعلى آله وأصحابه نجوم الاقتداء ومصابيح الاهتداء، الذين فازوا بالحظ الأوفر الأوفى من دعوته التي دعاها، حيث قال عليه الصلاة والسلام: **«نضَّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها»**[2] ورضي الله تعالى عن ساداتنا التابعين وتابع التابعين والأئمة المجتهدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد، فإن سيدنا الإمام العالم العلامة الهمام حسنة الليالي والأيام مدرس العلم بالروضة الشريفة،

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن خليفة المدني، المسعودي، المتوفى سنة 1313هـ أصله من تونس من أولاد الرقاع، فقيه أديب مسند رحال، واسع الإطلاع، رحل إلى المدينة ثم مصر والقيروان والجزائر وغيرها. وأخذ عن أعلام وأسند عنهم. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 416، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 380.

(2) أخرجه الترمذي: 5/ 33، برقم (2656) من حديث زيد بن ثابت وقال: حديث حسن، وبنحوه عن ابن مسعود: 5/ 34، برقم (2657)، وقال: حسن صحيح. وأخرج ابن حبان حديث ابن مسعود: 1/ 268، برقم (66)، والبيهقي في شعب الإيمان 2/ 274، برقم (1738).

سيدي محمد بن الخليفة الشريف المسعودي الإدريسي، من وددته هذا الزمان جليسي وأنيسي، الذي أذكرنا بعيون علومه وفوائده الجامعة، الإمام المسعودي، أحد أعلام المائة الرابعة، لما ورد لهذه الحضرة – حضرة رباط الفتح – بعد أن فسح له العلماء في مجالسهم أقطار الأرض أي فسح، رام من هذا العبد الضعيف المتوكل على مولاه البر اللطيف، محمد بن عبد الرحمن عاملهما الله بالفضل والإحسان أن تكون له منه إجازة مع أن بيني وبين محلتها مفازة، فقدمت رجلاً وأخرت أخرى، وقلت: أنى لمثلي أن يجيز بحراً، وأذكرني قول من قال في نظير هذه السبيل المجازة:

لَكَ الْحُسْنَى أَجِزْنِي أَوْ أَجِزْنِي ... فَمِثْلُكَ مَنْ أَجَارَ مَنِ اسْتَجَارَ

هذا مع اتساع روايته وشهادة جمع من العلماء بدرايته، ثم بلغني عنه شدة رغبة في هذا الأمر، وأنه لا يروج عنده فيه عذر، فتوسمت أن مراده التقاط جواهر إذ هو في نظامها حاذق ماهر، فأسعفت مراده مكرهاً لا بطلاً، وأرجو من المولى الكريم أن لا آتي فيما فعلت خطلاً، وبالله حولي واعتصامي وقوتي وما لي إلا ستره متجللاً، فيا رب أنت الله حسبي وعدتي عليك اعتمادي ضارعًا متوكلاً، فأقول متبرئاً من القوة والحول، معتمدًا على ذي المنة والطول:

إتحاف مودود بمقصد محمود

قرأت على سيدي ووالدي العالم العلامة الإمام أحد قضاة العدل السراة الكرام، معدن التفضل والإحسان سيدي عبد الرحمن ابن سيدنا [وسندنا ووسيلتنا إلى ربنا الغيث الهامي ذي المقام السامي سيدي ومولاي أحمد بن التهامي][1]، أحد أعلام الأمة المشارك في علوم جمة، كالحديث والتفسير واللغة وغير ذلك، الذي اختار المدينة المنورة منزلاً واتخذها موئلاً، ولم يبغِ بها بدلاً، ولا عنها حولاً، إلى أن توفي بها، فدفن بالبقيع في جوار المصطفى، وكفى بهذا عزاً وشرفاً، وأذن لي سيدنا الوالد في الإفادة على العموم، فانجلت بذلك الهموم، ثم أذن لي في قراءة الصحيحين والرسالة ومختصر الشيخ خليل، وغير ذلك على الخصوص، فاعتضد المفهوم بالمنصوص. اهـ.

ثم عد بعد هذا مشايخ والده بالرباط وفاس وغيرهما، وذكر أسانيدهم في العلوم على اختلافها".

إلى أن قال: "وإذ منَّ الله تعالى بتيسير نشر هذه الأسانيد فأقول، راجياً من الله نيل

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح1).

المقصود، ومنتهى السول:

قد أجزت للسيد الإمام العلامة الهمام الماجد الغطريف السيد الشريف سيدي محمد ابن الخليفة، ذي المقام السني والمرتبة العليا المنيفة، أن يروي عني كل ما تجوز لي روايته عن هؤلاء الأئمة بمقتضى أخذي عن سيدنا الوالد، قدَّس الله تعالى سره، وبحكم الإذن منه لي في الإفادة، أكرمنا الله جميعاً بالحسنى والزيادة.

وأذنت لسيدي الشيخ المذكور أن يحدث عن هؤلاء المذكورين الشيوخ أهل الثبات والرسوخ بالأسانيد المذكورة وغيرها مما صح عنه في أثباتهم وإجازاتهم.

وقد أخل كثير من الأئمة على ما ذكر من الأثبات والإجازات في مثل هذا المقام، فلنا أسوة بأولئك الأعلام.

هذا وإن الإجازة ليست بشرط في تعاطي إفادة العلوم العقلية والنقلية، وإنما يشترط في ذلك وجود الأهلية، إلا أنها أصل أقسام التحمل، ولا يخفى ما لأصحابها من التجمل، مع أن أهلية المفيد ربما جهلها المستفيد، والإجازة تقرب إلى ذلك المقصد، وتدني الأقصى الشريد من بيت القصيد.

ثم لا يخفى عليك أيها الحبيب العلامة الأريب ما عمله غالباً أهل الوقت من الإقدام على قراءة الحديث من غير تحصيل لأدواته، ولا أخذٍ عن أهله - وبعضهم يعتمد على إجازة شيخه، مع أن الاعتماد في ذلك على إجازة الشيوخ مجردة عن تحصيل ما لا مندوحة عنه من الأدوات، ومعرفة مصطلح الحديث - أهل هذا الشأن اغتراراً وجهالة لتعليق المجيز ذلك على الشرط المعتبر عند أهل الأثر، وبالضرورة انتفاء المشروط بانتفاء شرطه، وقد أومأ الراجز المُصْطَلَحِيُّ(1) إلى شيء من ذلك بقوله:

وَإِنَّمَا نَسْتَحْسِنُ الإِجَازَهْ ... مِنْ عَالِمٍ بِهَا ومَنْ أَجَازَهْ
طَالِبُ عِلْمٍ والْوَلِيدُ ذَا ذُكِرْ ... عَنْ مَالِكٍ شَرْطاً وعَنْ ابْنِ عُمَرْ
أَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّهَا لا تُقْبَلُ ... إلا لِمَاهِرٍ ومَا لا يُشْكِلُ

(1) يريد الإمام الحافظ العراقي أبا الفضل، عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي، المصري، الشافعي، المتوفى سنة 806هـ اخذ عن جماعة من العلماء، من مؤلفاته: "نظم الدرر السنية في السيرة الزكية"، "الباعث على الخلاص من حوادث القصاص"، منظومة تفسير غريب القرآن، ألفية في علوم الحديث، و"المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار" انظر ترجمته في: أنباء الغمر، لابن حجر: 5/ 170، وطبقات الشافعية، لابن شهبة: 4/ 29.

فينبغي لمن أوتي الحكمة أن يكون ضنينًا بها عن غير أهلها.

وفي كلام الإمام سفيان الثوري، والإمام الشافعي، والإمام الغزالي، إرشاد إلى هذا المعنى، وله من الشهرة ما كفى وأغنى.

هذا وقد وقفت على فائدة لطيفة ذكرها الإمام النووي، في أول شرحه على صحيح مسلم، رأيت أن أثبتها هنا لمناسبتها ونصها:

قال الشيخ الإمام أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله: اعلم أن الرواية بالأسانيد المتصلة ليس المقصود منها في عصرنا وكثير من الأعصار قبله إثبات ما يروى، إذ لا يخلو إسناد منها عن شيخ لا يدري ما يرويه، ولا يضبط ما في كتابه ضبطاً يصلح لأن يعتمد عليه في ثبوته، وإنما المقصود إبقاء سلسلة الإسناد التي خصت بها هذه الأمة زادها الله تعالى كرامة، وإذا كان كذلك فسبيل من أراد الاحتجاج بحديث من مسلم وأشباهه أن ينقله من أصل مقابل على يدي ثقتين بأصول صحيحة متعددة مروية، بروايات متنوعة، ليحصل له بذلك - مع اشتهار هذه الكتب وبعدها عن أن تقصد بالتبديل والتحريف - الثقة بما اشتملت عليه تلك الأصول المتبقية، فقد تكثر تلك الأصول المقابل بها كثرة تتنزل منزلة التواتر، ومنزلة الاستفاضة.

هذا كلام الشيخ، وهذا الذي قاله محمول على الاستحباب والاستظهار، وإلا فلا يشترط تعداد الأصول والروايات، فإن الأصل المعتمد يكفي وتكفي المقابلة به، والله أعلم[1]. انتهى كلام النووي.

ويؤيده مع زيادة فائدة جواب الإمام ابن لب[2] فإنه سئل الأستاذ أبو سعيد بن لب عن إجازة الشيوخ لمن سألها منهم وطلبها وها هنا من ينكرها ويدعي أن لا فائدة لها، فأجاب:

إن كان المتكلم في الإجازة للرواية، فإن الرواية هي أصل الدين والمنهج القويم، فالرسول ﷺ يروي عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل.

كِتَابُ اللهِ أَفْضَلُ كُلِّ قِيلِ رَوَاهُ مُحَمَّدٌ عَنْ جُبْرَئِيلِ

(1) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ط2، دار إحياء التراث العربي 1392هـ: 1/ 14.

(2) هو: أبو سعيد، فرج بن قاسم بن أحمد بن لب، الثعلبي الغرناطي، شيخ الأندلس، الفقيه ولي الخطابة بجامع غرناطة. له كتاب في " الباء الموحدة " وقصيدة لامية، وشرحها، وأرجوزة في " الالغاز النحوية . انظر ترجمته في: الديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 220، وشذرات الذهب، لابن العماد: 6/ 280، وبغية الوعاة، للسيوطي، ص: 372، كشف الظنون، لحاجي خليفة، ص: 1348، إيضاح المكنون، للبغدادي: 2/ 155.

عَـنِ اللَّـوْحِ الْمُحِـيطِ[1] فَكُـلُّ عِلْـمٍ   عَـنِ الْقَلَـمِ الرَّفِيـعِ عَـنِ الْجَلِيـلِ

وهكذا سنته ﷺ لأنها من عند الله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾، ولا يصح أن ينذر به بعض الصحابة إلى بعد الرواية، فلذلك بلغ الأمة بعد تباعد المدة، ولولا الرواية لتعطلت الشريعة وضلت الخليقة، ولم تتم على من يأتي من الناس حجة، وقال ﷺ: «بلغوا عني..»[2]، وقال: «ليبلغ الشاهد الغائب»[3]، وما تواتر ما عُلم تَواتُره من علوم الأمة إلا بتكرر الرواية، وتكررها على مر الأزمنة. وما علم أن الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله، وأن أحد الصحيحين للبخاري ومسلم إلا بالرواية، ولولا هي لم يكن لنا وثوق بشيء من ذلك، وهكذا سائر الكتب المؤلفة، والفتاوى المسيرة، لكن شرطها في الكتب التصحيح والضبط، وقد أهمل في هذه الأزمنة بكساد سوق العلم واقتصار أهله، فصارت فائدة الرواية عند إهمال هذا الشرط إنما حفظ الرسوم المجملة دون المسائل التفصيلية، إلا ما خصصته الرواية وعينته بشرطها، فتكون الرواية فيه على كمالها، وهي في القرآن الحمد لله تعالى على نهجها القويم، وصراطها المستقيم، وتواترها في الحديث كما في القديم إلى بركة الانتهاء إلى المقام العلي الأعظم، والانتظام في السلك النبوي الأفخم، إذا يقول القارئ والمحدث: أروي عن شيخي فلان؛ إلى أن يقول: عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن رب العزة، وحسبك بهذا شرفاً تتعلق به لذوي الآمال آمال، وتبذل في تعاطيه الأموال[4]، ويكفي هذا القدر من الكلام، فإنه إن طال يقصر عن شرف هذا المقام، والله تعالى أعلم[5].اهـ.

وفي هذا القدر كفاية، وإن [لم يف بالغاية، وفوق كل ذي علم عليم، ومنتهى العلم إلى

---

(1) في (ح1): (المحفوظ)، والتصويب من (ح).

(2) هو حديث: " بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ". أخرجه البخاري في الصحيح، باب ما ذكر عن بني اسرائيل: 3/ 1275، برقم (3274)، وأحمد في المسند: 2/ 159، برقم (6486)، والترمذي: 5/ 40، رقم (2669)، وابن حبان: 14/ 149، برقم 6256).

(3) هو جزء من خطبة الوداع المتفق عليها، أخرج حديثها البخاري كتاب العلم، باب لِيُبَلِّغْ الْعِلْمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ: 5/ 2110، برقم (5230) ومسلم في كتاب: الحج، باب تحريم مكة: 3/ 1305، برقم (1679).

(4) في الأصل: (في الأقوال)، والتصويب من المعيار.

(5) انظر: المعيار المعرب والجامع المغرب لفتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: 11/ 15 و16.

الله العظيم][1] الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونسأل الله تعالى أن يعلم جهلنا وينفعنا وإياك بما علمنا، ويعيننا على القيام بحقه تعالى فيما كلفنا، وإليه أرغب أن يجعل جميع استعدادنا لمعادنا، وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إليه زلفى ويحظينا.

والمطلوب من حبيبنا أن لا ينسانا من صالح دعواته في خلواته وجلواته، وفي أوقات الإجابة وأماكنها خصوصاً في المدينة المنورة العطرة المعطرة، وعند الروضة الشريفة المعظمة المكرمة التي هي روض من رياض الجنة، ومعدن الجود والكرم والمنة، وأن تسأل لي تيسير الوصول إلى حضرة الرسول التي هي منتهى القصد وغاية السول، وإلى الله تعالى أرغب أن يتغمدنا برحمته، وأن يجمعنا في مستقر رحمته ودار رضوانه وكرامته، وأن يختم لجميعنا بالحسنى، ويجود علينا بالمقر الأسنى، إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، آمين آمين آمين بجاه سيدنا محمد عين الرحمة الصادق الأمين خاتم النبيين وإمام المرسلين.

قال كاتبه محمد بن عبد الرحمن: كان الفراغ منه في السادس من شعبان الأبرك، عام سبعة وثلاثمائة وألف من هجرة من له العزة والشرف، صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم، اللهم صلِّ صلاة كاملة وسلم سلامًا تاماً على نبي تنحلُّ به العقد وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب، وحسن الخواتم، وعلى آله وصحبه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين". (انتهى).

ولما وقف على هذه الإجازة الأديب السيد الغالي ابن سليمان قرظها بما صورته: "لما طالعت هذه الإجازة السنية والأسانيد الرفيعة العلية، وجدتها جامعة لنكات التلويح والتصريح، والقاضي مستند لعلمه في التعديل والتجريح، قرظت عليها وقلت بيتين فردين يدلان على ما في الضمير بالأثر والعين:

سَجَّلْتُ حُكْمَكَ بِالإِجَازَةِ فَاغْتَدَى ... مِنْكَ الْقَضَاءُ مُخَاطِباً لِمُحَمَّدِ
أَنْتُمْ وإِنَّا[2] إِنْ أَجَزْتُمْ فَمَرْحَباً ... بِإِجَازَةٍ جَاءَتْ بِفَضْلِ مُحَمَّدِ

وكتبه أسير ذنبه، الغالي بن سليمان، كان الله له، أمين.

(1) ما بين المعكوفتين ساقط من (ح1).
(2) في (ح): (واختم).

***[105] أبو عبد الله السيد محمد فرج (المتوفى سنة 1330هـ)[1]**

قاضي الدار البيضاء نيابة عن القاضي البريبري السابق بتاريخ 1310هـ، وكان قبل التاريخ المذكور من عدول الرباط متصدرًا للشهادة، كما كان من الكتاب المخزنيين بتاريخ 1302هـ، وذلك بدار عديل وفي بنيقة[2] الصائر المخزني بمراكش، وفي خراج مرسى العرائش وغيرها.

كان رَحِمَهُ اللهُ من علماء وقته، مفردًا في نعته، عزيز النظير في ورعه ونسكه ووسمه وسمته.

وكان مع تقلبه في خدمته متوكلاً في معيشته لا يدخر لغد ولا يقبل هدية من أحد، يقنع بمرتبه عن طلب الزيادة، وربما تنازل عن أجرته في الشهادة.

وكانت قراءته في الرباط على الفقيه السيد البدوي السرايري ومن كان في طبقته، وهذا ما أحفظ في ترجمته.

وكانت وفاته في 26 قعدة عام 1330هـ، ودفن بالزاوية الحراقية، تاركاً خلفه ذرية صالحة منهم الفقيه العدل السيد عبد الواحد فرْج، المتوفى سنة 1331هـ والفقيه الموثق البركة الناسك، السيد عبد القادر فرج، أبقى الله بركته.

***[106] محمد بن عمر بن أحمد دنية (المتوفى سنة 1331هـ)[3]**

شيخنا العلامة المشارك المؤلف الناظم الناثر، نشأ بالرباط متعاطياً العلم الشريف، ساعياً في تحصيله، وجل تعاطيه كان على الشيخ أبي إسحاق التادلي وشيخنا القاضي أبي حامد البطاوري، وصهرنا العلامة زين العابدين البناني، ورحل إلى فاس فأخذ عن كثير من علماء القرويين.

واستجاز العلامة المحدث الشريف سيدي محمد بن جعفر الكتاني، فأجازه بسنده في البخاري وغيره، وأخذ الطريقة الدرقاوية عن والده المقدم الصوفي السيد عمر دنية، المتوفى بعده بنحو العشر سنين، ثم تصدر للتدريس، فقرأ عليه جل المتعاطين من أقراننا النبغاء.

---

(1) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 392، وسماه محمد بن عبد القادر فرج.

(2) تطلق البنيقة على مكتب الوزير، والأصل فيها أن تطلق على الرقعة التي تزاد في الثوب أو الكيس ليتسع، وسبب تسمية مكتب الوزير بها أن كل وزير مغربي كان يحمل مستنداته إلى المجلس الوزاري داخل رقعة من حرير. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 119.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 306، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 403، والأعلام، للزركلي: 6/ 318.

وقد قرأت عليه الكثير من عبارة المختصر[1]، وجل الفن الأول من تلخيص القزويني[2]، ونظم الشيخ الطيب في البيان، ومنظومة القادري في المنطق بشرحه عليها بالإشارة والعبارة، وأوائل المرشد المعين، وحضرت في تدريسه للشمائل والهمزية، والألفية، واللامية، والكل كان يقرأه قراءة تحقيق وتحرير لما شغف لي رحمه الله من التظاهر مظهر المحققين في مجالسه ودروسه والسلوك مسلك المحررين في كتاباته وطروسه، وأعظم شاهد على ما قلناه مؤلفاته المجلوة على منصات التبريز المرصعة من جواهر البيان بما يزري بالذهب الإبريز، وهي مؤلفات كثيرة منها ختمه على الألفية المشتمل على عشرة علوم، الذي أوله: "نحمدك يا من شرح عروض ذوي اللغى نحو الشعور بمنك لبديع معاني بيانه، وخط لهم معالم محاضرات الهدى بإنشاء المشتق من قبضته بمحض امتنانه.." إلخ، وهو في كراستين.

ومنها حاشيته على شرح شيخه أبي إسحاق لرسالته في البيان[3]، أولها: "حمداً لمن جعل كملة أصفيائه مفاتيح تلخيص الصراط المستقيم، وأبان لهم بديع المعاني، فكانوا من الفائزين بسعد هذا الدين القويم.. ". إلخ، في نحو عشرة كراريس.

ومنها شرحه البديع الفائق العجيب الشكل، الذي جمع فيه بين انسجام العبارة وغريب النقول، وأضاف إليه الشرح بالإشارة لمنظومة مختصرة من القادرية لمؤلفها في مبادئ المنطق أوله: "إن أصدق الحجج وأنتج البراهين وسلم الهداية ومقدمة الدين اقتران موضوعات النعم ومحمولاتها بالحمد لله رب العالمين.. إلخ ". في نحو ثلاثة كراريس.

ومنها تقييده في كيفية انصراف الإمام من الصلاة بعد التسليم على اليسار أو على اليمين، أوله: "نحمدك يا من يداه مبسوطتان وكلتا يديه يمين.." في نحو كراستين.

ومنها تقييده في تحقيق المناط في الصلاة على الجنازة بعد الغروب وقبل صلاة المغرب، في نحو عشرة كراريس، أوله قوله: "إليك اللهم أضرع من تحريف الغالين وانتحال المبطلين.. "إلخ.

---

(1) يريد المختصر الخليلي في الفقه.

(2) هو: كتاب "تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني جلال الدين المتوفى سنة 739هـ اختصر فيه كتاب "مفتاح العلوم في البلاغة" للسكاكي المتوفى سنة 666هـ. قال في كشف الظنون: "مفتاح العلوم" أعظم ما صنف في علم البلاغة نفعاً ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل، فصنف هذا التلخيص متضمناً ما فيه من القواعد ورتب ترتيباً أقرب تناولاً من ترتيبه وأضاف إلى ذلك فوائد من عنده" اهـ. وهو كتاب مشهور متداول طبع مراراً ومراراً بالهند ومصر وغيرها. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 473.

(3) الرسالة المشار إليها هي رسالة "تحرير العبارة في تقرير الاستعارة" لأبي إسحاق التادلي.

ومنها ختمه على الأجرومية الكبير في نحو عشرة كراريس، أوله: "حمدًا لمن ليس لآخريته اختتام، ولا يسام بقاؤه بغاية ولا تمام.. " إلخ، واختصره في كراستين.

ومنها شرحه المسمى بالأضواء اللامعة من مشكاة الصلاة الجامعة، وهو في نحو اثني عشر كراساً، أوله:"الحمد لله رب العالمين.." إلخ.

ومنها تقييد لطيف في شرح البيتين المشهورين(1):

شَقِيقُكَ غُيِّبَ فِي لَحْدِهِ ... وتَطْلُعُ يَا بَدْرُ مِنْ بَعْدِهِ؟
فَهَلا خَسَفْتَ وكَانَ الْخُسُو ... فُ لِبَاسَ الْحِدَادِ عَلَى فَقْدِهِ

ثم رسالة في حياة الأنبياء، ثم مولد نبوي، ثم أرجوزة أَتَّائية في المجون إلى ما له من القصائد والمقطعات الشعرية استحضرت الآن منها جوابه لي عن قطعة شعرية خاطبته بها حين ابتدائي القراءة عليه، وهي:

إمَاماً عِلْمُهُ الْبَحْرُ الْمَدِيدُ ... ورَأْيُهُ فِي النُّهَى الرَّأْيُ السَّدِيدُ
لَقَدْ وَافَاكَ تِلْمِيذٌ وَفِيٌّ ... وَفَاءٌ مَا لَهُ فِينَا مَزِيدُ
يَطِيرُ إِلَيْكَ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقٍ ... عَسَى مِنْ بَحْرِ عِلْمِكَ يَسْتَفِيدُ

فأجابني بقوله:

أَدِيباً شِعْرُهُ الدُّرُّ النَّضِيدُ ... أَتَيْتَ كَمَا أَتَانَا الْيَوْمَ عِيدُ
أَلَسْتَ تَرَى قُدُومَكَ فِي سُعودٍ ... بَلَى والدَّهْرُ يُبْدِئُهُ يُعِيدُ
أَصَبْتُمْ دَرْسَنَا فِي طَرْفِ سَهْلٍ ... وقَابَلَ سَعْدَكَ الشَّهْرُ السَّعِيدُ

ومما اتفق لي معه من المساجلات ما ساجلني به في يوم نزهة، حيث قال:

وَاصِلْ صَبُوحَكَ بِالْمَقِيلْ ... واشْرَبْ إِلَى وَقْتِ الأَصِيلْ

فقلت:

وَدَع التَّفَكُّرَ مَا عَدَا ... فِي الْكَأْسِ كَأْسِ الزَّنْجَبِيلْ

(1) البيتان لابن الحداد القيسي، وهو أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان القيسي، شاعر أندلسي، أصله من وادي آش، سكن المرية واختص بالمعتصم ابن صمادح، فأكثر في مدحه، له ديوان شعر كبير مرتب على حروف المعجم، وله كتاب "المستنبط في العروض". انظر ترجمته في: التكملة، لابن الأبار، ص: 133، والذخيرة، لابن بسام: 2/ 201 في القسم الأول، وفيه مختارات من شعره، ونفح الطيب، للمقري: 7/ 26، والأعلام، للزركلي: 5/ 315.

فقال:

مِـــنْ ذِي قَـــوَامٍ مُهَفْهَـــفٍ ... يَـــصْبُو بِـــهِ الْكِفْـــلُ الْكَفِيـــلُ

فقلت:

لَـــوْ مَـــالَ فِينَـــا وانْثَنَـــى ... كُـــلُّ الْقُلُـــوبِ لَـــهُ تَمِيـــلُ

فقال:

يُغْنِيـــكَ عَـــنْ وَرْدِ الرُّبَـــى ... بِـــالْوَرْدِ مِـــنْ خَـــدٍّ أَسِـــيلِ

فقلت:

وَعَـــنِ الظِّبَـــا وعَـــنِ الْمَهَـــا ... بِالْجِيـــدِ واللَّحْـــظِ الْكَحِيـــلِ

فقال:

يُنْـــسِيكَ مِـــنْ شَـــنَبِ الثُّغُـــو ... رِ وريقِهَـــا مَـــا السَّلْـــسَبِيلِ

فقلت:

وَالْـــكُلُّ يَـــشْهَدُ أَنَّـــهُ ... فِـــي الْحُـــسْنِ جَـــلَّ عَـــنِ الْمَثِيـــلِ

ومن شعره أيضًا ما أنشأه عند ختم شيخنا القاضي أبي حامد للألفية عام 1308هـ وهي قصيدة طويلة يقول في مطلعها:

أَبَـــدْرٌ بَـــدَا عَـــمَّ الْـــوُجُودَ ثَنَـــاؤُهُ ... أَزَاحَ عَـــنِ الأَكْـــوَانِ حُجْـــبَ الْغِوَايَـــةِ

أَبَـــارِقُ بَـــرْقٍ لاحَ بِـــالْغَوْرِ نُـــورُهُ ... وسَـــارَ مَـــعَ الرُّكْبَـــانِ مِـــنْ حَيْـــثُ سَـــارَتِ

أَسِـــرْحَانُ صُـــبْحٍ قَـــدْ تَـــبَلَّجَ ضَـــوْؤُهُ ... أَإِكْـــلِيلُ تِـــبْرٍ أَمْ أُصُـــولُ عَـــطِيَّةِ[1]

أَأَنْـــجُمُ سَـــعْدٍ فِـــي الثُّرَيَّـــا تَبَـــسَّمَتْ ... أَرَسْـــمٌ لِـــسُعْدَى أَمْ مَوَاهِـــبُ قُـــدْرَةِ

قَلائِـــدُ عِـــقْيَانٍ بِـــجِيدِ غَـــزَالَةٍ ... أَبُـــلْبُلُ أُنْـــسٍ أَمْ حَـــنِينُ سَـــجِيعَةِ

جُـــمَانَةُ سِـــلْكٍ أَمْ جَـــوَاهِرُ حِكْمَـــةٍ ... لآلِـــئُ دُرٍّ أَمْ سَوَابِـــغُ نِـــعْمَةِ

أَنِـــسْمَةُ صُـــبْحٍ أَمْ نَـــسِيمُ صَـــبًا أَتَـــى ... يُبَـــشِّرُ ذَا الْمُـــضْنَى بِـــزَوْرِ أَحِبَّـــةِ

أَمَـــا والَّـــذِي خَـــصَّ الْمَوَاهِـــبَ مَـــنْ يَـــشَا ... فَـــمَاذَا سِـــوَى تَلْخِـــيصِ خَـــتْمِ خُلاصَـــةِ

إلى أن قال:

فَـــيَا لَـــكَ مِـــنْ وَضْـــعٍ أَنِيـــقٍ مُـــذَلَّلٍ ... فَـــمَا رَدَّ قَـــطُّ الْمُـــسْتَفِيدَ بِخَيْبَـــةِ

(1) السرحان الذئب، ويُشَبَّهُ به ضوء الفجر الأول. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 2/ 478، مادة (سرح).

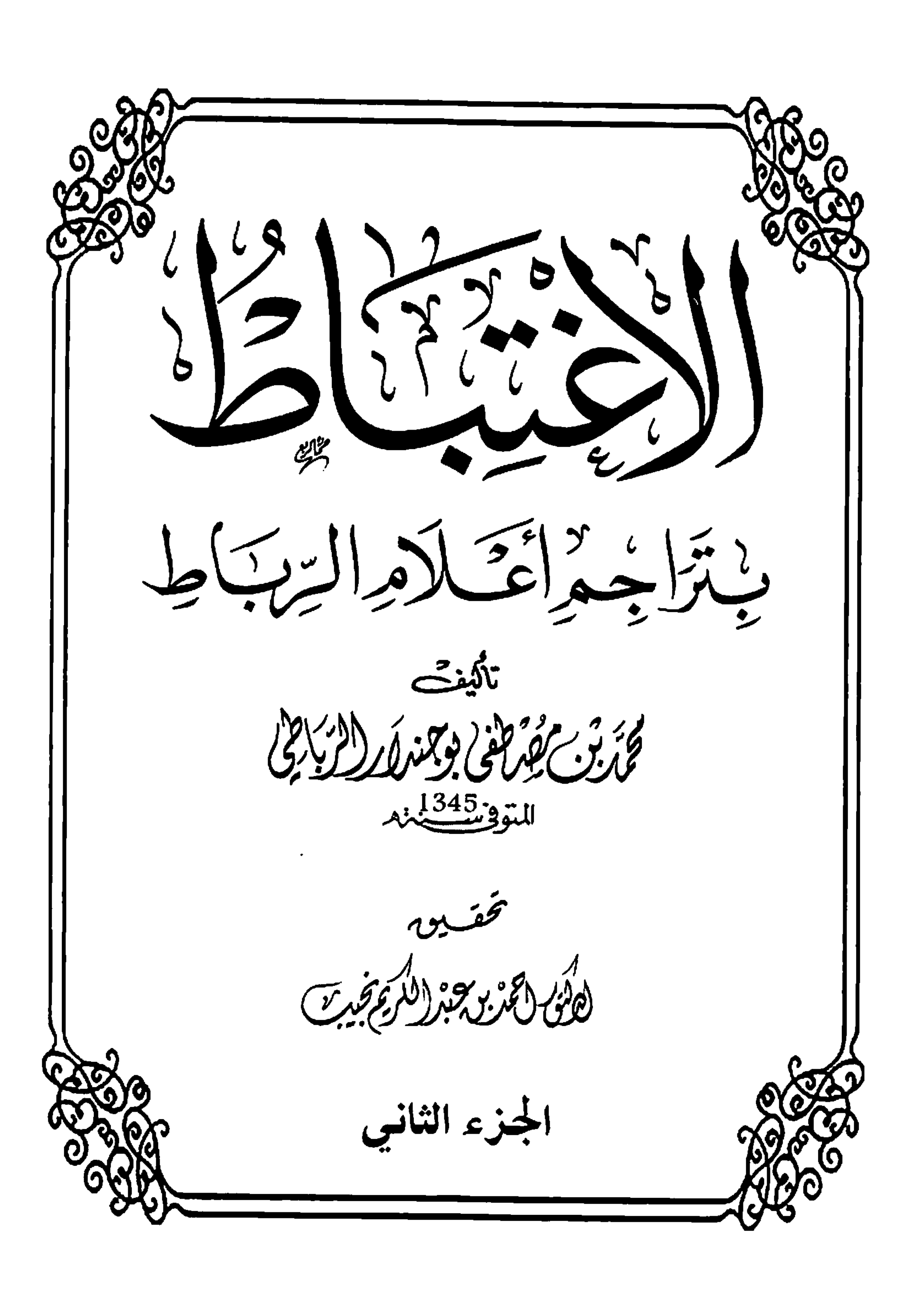
غَـزِيزٌ عَـطَاهَا سَـمْحَةٌ سِـيَّمَا إِذَا ... يُـدَارِسُهَا أُولُـو الْفُهُـومِ الـسَّدِيدَةِ
وَحَـسْبُكَ مَـا قَـدْ شِـمْتَهُ وشَـمَمْتَهُ ... بِمَجْلِسِ حَبْـرٍ قَـدْ سَـمَا كُـلَّ ذَرْوَةِ
جَنَـابٌ يَغَـارُ الْبَـدْرُ مِـنْ شَـمْسِ أُفْقِـهِ ... لِـطَلْعَتِهِ تَـعْنُو الْبُـدُورُ وخَـرَّتِ
جَنَـابٌ رَقَـى أَسْـمَى الْمَفَـاخِرِ إِذْ بَـدَا ... يَـنْظُمُ دُرًّا فِـي سُـلُوكِ عِبَـارَةِ
مُـحَمَّدٌ الْـمَكِّيُّ طَـابَ نِجَـارُهُ ... وصِـنْوُ رَسُـولِ اللهِ خَيْـرُ الْخَلِيقَـةِ
أَبَـانَ مَـعَ الإِحْكَـامِ كُـلَّ عَوِيـصَةٍ ... بِـأَوْضَحِ مَـعْنًى مَـعْ فَرِيـدِ بَرَاعَـةِ
كَـأَنَّ لُعَـابَ النَّحْـلِ يَنْبُـو عُذُوبَـةً ... بِـهِ يَـشْتَفِي الْوَلْهَـانُ مِـنْ كُـلِّ عِلَّـةِ

إلى غير هذا من القصائد والمقطعات، التي كان أطلعني عليها في بعض كنانيشه العلمية ولم تحضرني الآن.

ثم إنه في آخر حياته انتقل إلى الدار البيضاء، فاستوطنها برسم نشر العلم، فصادف بها رحمه الله من القبول والاهتبال والاعتبار ما طابت به سمعته وطار صيته في تلك الديار، واستمر بها إلى أن توفي في ربيع النبوي عام 1331هـ، وهناك كُفِّنَ واحتُفل بجنازته ثم حمل على متن الأتوموبيل إلى الرباط مسقط رأسه، ودفن بمقبرة سيدي الخطاب بعد الصلاة عليه في محفل مهيب حضره الجم الغفير من أهل العلم وأبناء جنسه، والذي تقدم للصلاة عليه هو شيخنا البركة المفتي السيد الجيلاني بن إبراهيم متع الله روحهما في جنات النعيم آمين.

تم الجزء الأول من كتاب الاغتباط، ويليه الجزء الثاني،

أوله: حرف الهمزة ذكر من اسمه إبراهيم.



الاغتباط بتراجم أعلام الرباط

تأليف

محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي

المتوفى سنة 1345

تحقيق

الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

بقية التراجم من كتاب الاغتباط بتراجم أعلام الرباط

لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن بوجندار الرباطي الدار رحمه الله.

حرف الهمزة:

ذكر من اسمه إبراهيم

* [107] القاضي أبو إسحاق الرندي الرباطي الوفاة[1]

نسبة إلى رندة[2] من بلاد الأندلس، وبها لقيه الرحالة أبو عبد الله ابن بطوطة[3]، يخطب بمسجدها ثم استدعي لولاية القضاء بالمغرب، فاخترمته المنية عند وصوله للرباط أواسط المائة الثامنة في عهد بني نجيل، وهو غير القاضي أبي محمد الرندي[4] قاضي سلا بتاريخ 1076هـ[5]

* [108] مولاي إبراهيم الشريف (المتوفى بعد سنة 1120هـ)[6]

هو مولاي إبراهيم بن سيدي قاسم العلمي المدعو بالشريف، وبالبهالي، بها يعرف دفين الرباط.

ويوجد في بعض الرسوم ما يدل على أنه من الشرفاء أولاد المريص[7] بمحروسة سلا،

---

(1) لم أقف على ذِكره، وقد أغفل المصنف رحمه الله ذكره في كتابه "تعطير البساط" لما ذكره من شرطه في أول كتابه وهو ذكر القضاء الذين تولوا القضاء في الرباط، انظر مقدمة تعطير البساط، بتحقيقنا، بمجلة قطر الندى الفصلية في عددها الأول.

(2) رندة: مدينة حصينة بأرض الأندلس من أعمال تاكرنا قديماً، بها نهر رندة، وهو نهر يتوارى في غار لا يرى جريه أميالاً، ثم يخرج إلى وجه الأرض ويجري، وبها نهر البرادة، وهو نهر يجري في أول الربيع إلى آخر الصيف، فإذا دخل الخريف ييبس إلى أول الربيع من القابل، وهو على فرسخين من رندة.انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحِميري، بتحقيق: إحسان عباس، الطبعة الثانية، نشر مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1980م، ومعجم البلدان، لياقوت: 3/ 73.

(3) ذكر ابن بطوطة في رحلته للأندلس لقياه لهذا الفقيه وسماه الشندرخ، وذكر أن وفاته كانت بسلا. انظر: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأمصار، لمحمد بن عبد الله اللواتي، بتحقيق الدكتور علي المنتصر الكتاني، طبعة مؤسسة الرسالة بيروت 1405هـ: 2/ 767.

(4) هو: أبو محمد، عبد السلام الرندي، السلوي، الفاسي، القاضي، الفقيه، كان من قضاة العدل، لا يخشى في الله لومة لائم، اختصر كتاب المعيار للونشريسي وغيره من الكتب، وولي قضاء زرهون. انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص:137.

(5) في الأصل رقم غير واضح والتصويب من حاشية الإتحاف، للدكالي، ص:137.

(6) انظر ترجمته في: مخطوط فهرسة العكاري، لوحة رقم: 97/ ب، ومنظومة "إتحاف أشرف الملا"، مخطوط الخزانة الحسنية تحت رقم (227) لوحة: (26/ أ)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 81، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 129، وذكر أن وفاته التقريبية بعد سنة 1120هـ.

(7) ذكر محقق الإتحاف أن أسرة المريصي قد انقرضت، وكانت قديماً معروفة بالجودة في صنع شموع المولد النبوي. انظر: الإتحاف

كان قاطناً بها ثم انتقل منها آخر عمره إلى الرباط، وبقي بها إلى أن توفي أواخر المائة الحادية عشرة، ودفن بمقبرة العلو[1] عند شاطئ البحر المحيط الغربي، قرب سيدي التركي في الموضع المجعول شكلاً مربعاً بالأشبار الذي بناه السلطان مولاي عبد الرحمن العلوي، وإلى الآن لا زال يعرف بمقبرة مولاي إبراهيم، ثم بعد مرور نحو ثلاثين سنة، نقل إلى ضريحه حيث هو الآن قرب المسجد الأعظم بين الزاويتين الأحمديتين التلمسانية والغربية، وأصله بيت لبعض أقاربه من الدار المجاورة له، فأخرجه من داره وزاده فيه من المحج قبلة وشرقاً[2]، فدفن في النصف الشرقي، وجعل النصف الغربي كمسجد بمحرابه كانت تقام فيه الصلوات الخمس، ويقرأ فيه الحزب صباحاً ومساءً حسبما تضمن ذلك ما في يد أقاربه من الظهاري والرسوم، منها كتاب بطابع السلطان مولاي إسماعيل بتاريخ 1128هـ يتضمن الأمر لبعض الولاة بالوقوف في حمل جنازته من قبره بالعلو إلى مدفنه الآن.

ويقال أنه وجد كما دفن حين نقله من غير تغيير، وليست بأول كرامة له، فقد تناقلت الألسنة ما هو في الغرابة بمكان، زيادة عن كونه كان يكاشف بالأمور المستقبلة، وعن غرابة شكله في الاستغراق والجذب حتى إنه كان يتعاطى أموراً تخالف ظاهر الشرع المقدس كشرب الدخان، والدخول على النساء من غير استئذان، وكثيراً ما كان يحدث بالعجائب والغرائب؛ فتقع مطابقة لما حدث به ولذا لم يكن يتعرض له معاصروه من أهل العلم، كالشيخ العكاري وأضرابه[3].

والتحقيق أنه ما تزوج قط ولا عقب وإنما عصبه أبناء أخيه سيدي محمد، وأما قولهم فيه أنه مولى البلد فهو من كلام العامة، ولعل أصل ذلك اشتهاره في البر بالولاية والصلاح وقصد الناس إياه بالزيارة والتبرك، وتكرر ذلك واستمر حتى أضيفت إليه البلد، كذا أفاده بعض المعتنين بالتقييد عند ذكر ترجمته.

ولشعراء الرباط أمداح كثيرة في التعلق بصاحب الترجمة منها قول الفقيه المرحوم أبي العباس السيد أحمد دنية، الرباطي عند زيارة ضريحه واستنشاق طيب ريحه:

الوجيز، للدكالي، بتحقيق مصطفى بوشعراء، ص:127.

(1) العلو: حي بالرباط والناحية المشرفة منه على المحيط هي عبارة عن مقبرة واسعة، وكان يسمى جبل الزعفران. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 316.

(2) القبلة: يقصد بها الناحية الجنوبية كما درج على ذلك أهل المغرب وغيرهم، وليس المقصود هنا قبلة الصلاة، وهذه العبارة غير منضبطة في الأصل وتصويبها من مجالس الانبساط، لدنية، ص: 82.

(3) انظر: البدور الضاوية، المعروف بفهرسة العكاري، لوحة: 99/ أ.

هَـــذَا ضَـــرِيحُ مُـــرَفَّعِ الأَقْـــدَارِ غَـــوْثِ الْـــبَرِيَّةِ رَافِـــعِ الأَقْـــدَارِ
مَـــوْلايَ إِبْـــرَاهِيمُ جِـــئْتُكَ زَائِـــراً عَـــارٍ بِـــبَابِكَ فَانْتَـــصِرْ لِـــلْعَارِي
مَـــا زَالَ مَـــوْلانَا الـــنَّبِيُّ مُحَمَّـــدٌ يُـــوصِي عَـــلَى إِحْـــسَانِنَا لِلْجَـــارِ
وَلأَنْـــتَ أَوْلَـــى مَـــنْ يَتَـــابِعُ قَوْلَـــهُ ويُـــجِيزُ دِيـــنَ الْجُـــودِ والإِيثَـــارِ
إِنَّ الْمَـــجَادَةَ فِـــيكُمْ مَـــوْرُوثَةٌ مِـــنْ إِرْثِ فَـــاطِمَةَ ابْـــنَةِ الْمُخْتَـــارِ
إِنْ لَـــمْ يُغِـــثْ آلُ الرَّسُـــولِ ورَهْطِـــهِ فَـــمَنِ الْـــمُغِيثُ سُـــلالَةَ الأَنْـــصَارِ
يَـــا شَـــيْخُ غَـــوْثاً إِنَّنِـــي بِـــكَ لائِـــذٌ وارْحَـــمْ رُحِمْـــتَ وقَـــضِّ لِـــي أَوْطَـــارِي
مُتَـــشَفِّعاً بِـــاللهِ ثُـــمَّ كِتَـــابِهِ ورَسُـــولِهِ وشُـــيُوخِكَ الأَبْـــرَارِ
وَعَـــلَيْكَ رِضْـــوَانُ الإِلَـــهِ[1] ورَحْمَـــةٌ تَغْـــشَى ضَـــرِيحَكَ مِـــنْ رَحِـــيمٍ بَـــارِي

*[109] إبراهيم بن سيدي إدريس العلمي[2]

ذكره حافظ الرباط أبو العباس الغربي، من جملة شيوخه المجيزين له إجازة بهذه الصلاة الشريفة، وهي: "اللهم صل على سيدنا محمد ومولانا محمد وشفعه فينا وأسألك بجاهه العظيم عندك ونعمتك عليه أن تملأ قلبي بحبك وحبه، وأن تزينني إليه ". وكتب تحتها ما نصه: "أجازني بهذه الصلاة الشريفة وأذن لي فيها سيدنا ومولانا وخليفة شيخنا الإمام ابن ناصر، سيدنا الإمام العارف بالله مولانا إبراهيم بن مولانا إدريس الشريف الحسني العلمي نجل القطب الكبير مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ وعنا به" . انتهى المراد بواسطة شيخنا سيدي عبد الحي الكتاني نقلاً من بعض كنانيشه، وكتب عليه ما نصه:

"كنت أظن أن إبراهيم هذا هو الولي المشهور في الرباط، بمولاي إبراهيم الشريف ضريحه مشهور قرب الجامع الكبير بينه وبين قبة الغربي، ثم ظهر لي من كثرة سؤال أهل العلم الذين بالرباط لقاضيه السابق أبي العباس أحمد بن محمد البناني أنه شخص آخر، لعله مدفون بروضة باب شالة[3] التي يخرج لها من الزاوية التلمسانية. انتهى كلامه.

---

(1) في الأصل: (الله) ولا يستقيم بها الوزن والتصويب من مجالس الانبساط.

(2) ترجم السملالي في الإعلام: 1/185 لإبراهيم بن إدريس الشريف، العلمي الحسني ولم يذكر سنة وفاته، ولم ينسبه إلى الرباط، ولعل من أجاز الغربي هو المترجم عند السملالي.

(3) روضة شالة: هي روضة مرينية أسسها أبو الحسن المريني، دفن بها كثير من الصالحين. انظر معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:281.

* [110] إبراهيم الحاج المجاور (كان حياً سنة 1189هـ)[1]

ذكره خاتمة الحفاظ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي التمكروتي[2] [في][3] رحلته المشرقية[4] وهي رحلة مفيدة للغاية تضاهي الرحلة العياشية[5]، وربما كانت أفيد منها من حيث المسائل الفقهية والفوائد العلمية، رأيته بخزانة شيخنا سيدي عبد الحي الكتاني بفاس عام.....[6] وله رحلة أخرى عام أحد عشر ومائتين وألف، ولما ذكر من لقيه من أمثل العلماء بالحرم الشريف، قال في حق صاحب الترجمة ما نصه:

" ومنهم مولانا إبراهيم المغربي الرباطي، أدخلنا بيته برواق سيدنا عثمان بقرب المسجد، وأحسن ضيافتنا بعسل مصفى، ونحن بسطح الرواق تجاه القبة نمتع بها الأحداق والحمام عليها في الكثرة كغوغاء الجراد خاشع خاضع لا يتحرك ".اهـ وكان هذا بتاريخ 1189هـ.

* [111] الشيخ إبراهيم التونسي نزيل الرباط (كان حياً سنة 1202هـ)[7]

في معجم الحافظ أبي الفيض الشيخ مرتضى الزبيدي المصري[8] ما نصه:

---

(1) لم أقف على ذكر له فيما بين يدي من مصادر.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير ابن محمد بن ناصر الدرعي التمكروتي المتوفى سنة 1239هـ، من علماء البيت الناصري، اشتهر بالفقه والحديث، واتساع الرواية. انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 5/ 189، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 4/ 145، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 843.

(3) في الأصل (و) والسياق يقتضي ما أثبتنا.

(4) لابن عبد السلام الناصري رحلتان حجازيتان كبرى وصغرى، وتوجد نسخة مخطوطة للكبرى في الخزانة الحسنية تحت رقم (5658)، وتوجد نسخة مخطوطة للصغرى بالخزانة العامة تحت رقم (121) وله مؤلفات أخرى جلها مخطوط وقد طبع منها كتاب "المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا" بتحقيق صديقنا الدكتور عبد المجيد خيالي.

(5) الرحلة العياشية أو "ماء الموائد"، لأبي سالم عبد الله بن أبي بكر العياشي، المتوفى سنة 1090هـ وهي رحلته من مراكش إلى مكة، وتعد من أعظم رحلات أهل المغرب العلمية، طبعت على الحجر بفاس سنة 1316هـ في جزءين، وقد اختصرها الشيخ أبو عبد الله، محمد بن الحسن بناني. انظر: دليل المؤرخ، لابن سودة: 2/ 363، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 6/ 112.

(6) كلمة غير مقروءة في الأصل، وقد ذكر الكتاني في فهرس الفهارس حيازته لهذه الرحلة الحجازية لابن عبد السلام الناصري، انظر: فهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 844.

(7) انظر ترجمته في: معجم شيوخ الزبيدي، مخطوط بمؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء تحت رقم (395).

(8) هو: أبو الفيض، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي، كان رحمه الله علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، أصله من واسط، ومولده بالهند، ومنشأه في زبيد باليمن، رحل إلى الحجاز، ثم أقام بمصر، وزاد اعتقاد الناس فيه حتى كان في أهل المغرب كثيرون يزعمون أن من حج ولم يزر الزبيدي لم يكن حجه كاملاً وتوفي سنة 1205هـ من مصنفاته "تاج العروس في شرح القاموس"، و"إتحاف السادة المتقين في شرح إحياء علوم الدين"، ومعجم شيوخه المشار إليه في النص وله نسخة مخطوطة في مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، تحت رقم (395). انظر ترجمته في:

"إبراهيم بن أحمد بن عاشر التونسي، نزيل رباط الفتح تجاه سلا، مقدم طريقة أبي يعزى[1]، مولى تاغية الشيخ، صالح المعتقد، ورد علينا مصر حاجاً في رمضان سنة 1202هـ مع ولده المختار، وولدي أخته محمد وعلي، فسمعوا مني أشياء وحضروا مجالسي وأحببتهم في الله، وأجزت لهم في أشياء بارك الله فيهم ".اهـ.

وقوله فيه: "مقدم طريقة أبي يعزى" لعل مراده مقدم ركب زواره، أو مقدم زاويته، وإلا فلا يحفظ للشيخ أبي يعزى طريقة قائمة بالمغرب.

وتاغية اسم البقعة التي فيها مدفن الشيخ أبي يعزى اليوم، ولا يعرف في حق المترجم سوى هذا القدر الذي استفدناه من ذلك المعجم، وهو مختصر بشيوخ مؤلفه وتلامذته مرتب على حروف المعجم، يوجد بمكتبة الشيخ عبد الحي الكتاني الجزء الأول منه في مجلد ضخم إلى حرف الميم، انتسخه من خط مؤلفه بالمدينة المنورة، ومكتبته منفردة به في المغرب، والله أعلم[2].

*** [112] الباشا إبراهيم بن محمد الأوراوي[3]**

نسبة إلى قبيلة بني أورى[4]، إحدى قبائل الشاوية[5] استوطن الرباط مع سلفه، وكان عالماً شهيراً وفقيهاً جليلاً، وكانت له وجاهة ورياسة بين قومه، ومكانة سامية لدى أمراء وقته، خلفه السلطان أبو الربيع مولانا سليمان، سنة 1226هـ بأمر الشاوية كلها، وما حواليها من أم الربيع[6] إلى الرباط – وكان له بمنزلة الخليفة في تلك الناحية فوض له فيها،

فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 398، وعجائب الآثار، للجبرتي: 2/ 196، والأعلام، للزركلي: 7/ 70.

(1) هو: أبو يعزى آل النور أو يلنور أو إيلانور – أي صاحب النور– بن ميمون. بن أبي بكر الإيلاني، وقيل: بن عبد الله وقيل: يللبخت بن عبد الرحمن، ويعزى اسم ابنه، ومعناه العزيز، وله مكانة سامية في قلوب المغاربة ويقوم أهل فاس بزيارته بعد عيد الفطر في جماعات. انظر ترجمته في: المعزى في مناقب أبي يعزى، لأبي العباس ابن أبي القاسم التادلي، مخطوط في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (63/ د)، والتشوف، للتادلي، ص:213، ووصف أفريقيا، لليون الإفريقي، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب، بيروت الطبعة الثانية، 1983، ص 205.

(2) تقدم أن لمعجم شيوخ الزبيدي نسخة خطية في مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، تحت رقم (395) ولا أدري هل هي النسخة الكتانية المشار إليها أعلاه أم غيرها.

(3) انظر طرفاً من أخباره في تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 2/ 666 و671: 674 و689 و696 و702.

(4) انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 63.

(5) الشاوية: قبائل رحل ممن معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر وسموا بذلك لقيامهم على الشاه والبقر، انظر: المصدر السابق، ص:284.

(6) أم الربيع: نهر يمر بمدينة أزمور قرب الجديدة، وقديماً كان التيار السريع لنهر أم الربيع يستغل لنقل خشب البلوط والأرز

وجمع له في الولاية عليها بين رياسة السيف والقلم.

وكان مقامه بدار المخزن بالدار البيضاء، واستمر على ولايته أيام مولانا عبد الرحمن، وكانت وفاته مقتولاً بضواحي الدار البيضاء، ثم بعدما دفن بمسجد دار المخزن هناك، نقله السلطان إلى الرباط بطلب من أهاليه.

هذا مضمن ما كتبه صديقنا أبو عبد الله الأوراوي[1] في حقه من مقالاته في عائلته العزوزية المنشورة بجريدة السعادة[2].

وانظره مع ما في تاريخ الضعيف، فقد أتى على أخباره في ولاياته مشيراً إلى جل حوادثه في حركاته وسكناته، فأفاد أنه في السنة المذكورة كان كاتباً مع الباشا الغازي الشاوي المزمزي[3]، ثم وجهه لقبيلة مزاب[4] كالقائد عليهم، فقبضوه إلى أن سرح بعد.

ولما قامت الشاوية على الباشا الغازي، فرَّ إلى حضرة السلطان مع كاتبه المترجم، فحصر السلطان الباشا الغازي عنده كالمسجون، وعين كاتبه المترجم عاملاً على الشاوية، وفوض له في ذلك إلا أن قبائل الشاوية اتفقوا عليه وتعاهدوا على قتله، ولم يرض بحكمه إلا قبيلة الشهاونة، فبقي متمنعاً بالدار البيضاء وكتب للسلطان بذلك، فأرسل إليها القائد محمد الزعري يأتي به إلى مكناس مقبوضاً، إلى أن سرح بعد حين، ووجهه السلطان مع أخيه مولاي موسى عامل درعة بعد أخبار طويلة وماجريات وحوادث ساقها الضعيف في حق المترجم بين حوادث عام 1226هـ إلى حوادث عام 1230هـ[5]، وإنما لم أنقلها برمتها رغبة في الاختصار وخشية الوقوع فيما وقع فيه قلم مؤرخنا مما يمس بكرامة صاحب الترجمة وكان بودي أن لو تجافى عن ذلك لو وفق[6].

والصنوبر إلى أزمور بمصب المحيط. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بن عبدالله، ص: 50.

(1) هو: أبو عبد الله، مَحمَد (بفتح الميمَيْن) بن محمد الأوراوي، المتوفى سنة 1350هـ. انظر ترجمته في: دليل المؤرخ، لابن سودة: 2/ 356، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 11/ 120.

(2) جريدة السعادة أنشأها المستعمر الفرنسي، وكانت تمثل حال بدايتها موقفه الفكري وتياره التغريبي، رأس تحريرها عبد الحفيظ الفاسي صاحب معجم الشيوخ المسمى برياض الجنة.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعيِّف: 2/ 666 و671: 674 و689 و696 و702.

(4) إحدى قبائل الشاوية وكان فيهم الأعشار. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 2/ 563.

(5) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 2/ 658 وما بعدها.

(6) المصدر السابق: 2/ 661.

*[113] إبراهيم بن محمد بن الطيب بن الجناوي (المتوفى سنة 1311هـ)[1]

من علماء الرباط الذين استوطنوا الدار البيضاء، بأمر مولوي للقيام بمراسم الدين، كالتدريس والشهادة، والخطابة، والقضاء وكانت ولايته القضاء بها نيابة عن قاضي الرباط ابن إبراهيم المتقدم الذكر، وتوفي عام 1311هـ.

وممن ترجم له تلميذه الشريف سيدي العربي الوزاني في معجم شيوخه، قال: "ومنهم الفقيه العدل العلامة المرابط السيد إبراهيم بن محمد بن الطيب ابن الولي الصالح سيدي محمد بن الجناوي الركراكي، دفين وادي أكريفلة[2] من زعير[3].

كان هذا الفقيه صديقي في عنفوان شبابي بإذن والدي رحمه الله، لأنه كان كاتباً معه، وكان يأمرني بمرافقته، ويأمره أن يطالع معي المرشد في التوحيد، ولما كان والدي يوجهني للأسفار الطوال كان يوجهه معي، وكان هذا الفقيه موسوماً بالخير، تابعاً لسنة أسلافه.

وكان ملازماً لمحبة هذه الدار التهامية، التي كان ربحتهم منها، لأن جده الأكبر المدفون بأكريفلة كان تلميذاً لسيدنا وشيخنا مولانا محمد بن عبد الله، ثم تلميذ للشيخ مولاي التهامي[4]، فهو الذي كمَّله وأمره أن يجعل زاوية ويقبل الزوار، والوراد، ويعطي الأوراد، فلم يقبل استحياءً من شيخه، فذهب إلى موضع ضريحه اليوم بأكريفلة، واختفى فيه، فكانت الأسد تعتكف عنده وتلوذ به، فقوي حاله، وطار صيته فصار الناس يقصدونه من أقطار البلدان، فذكر حاله بعضهم للشيخ سيدي مولاي التهامي، ومقصوده والله أعلم، أن يغير خاطره عليه، فأجابه الشيخ على البديهة بقوله:

ابْنُ الجنَاوي سَيِّدُ الرِّجَالِ ... قِنْدِيلُ أوْلِيَاءِ اللهِ
دايره زيت في الخلا ... وعامل تكلو في الله

انظر يا أخي أهل الكمال كيف حالهم مع تلامذتهم وكيف نظرتهم فيهم، وهذه سيرة

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 235، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 322. وقد ذكره عبد الحفيظ بن محمد الطاهر في "معجم الشيوخ" ص: 224 بين شيوخ العربي الوزاني.

(2) وادي أكريفلة وتكتب "كريفلت" أو "كريفلة" وهو الموضع الذي فيه قبر عبد الله بن ياسين المقتول سنة 451هـ. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 151.

(3) سيدي يحيى ازعير: إحدى جماعات أحواز الرباط. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 281.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن التهامي الوزاني، قاض من فضلاء فاس. عاش نحو 60 عاماً، قضاها في التدريس والإفتاء، توفي سنة 1311هـ. انظر ترجمته في: الأعلام، للزركلي: 6/ 65.

الكرماء لأن الكريم إذا وهبَ لا يَمُنّ، ممتثلين لقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وكان هذا الفقيه رَحِمَهُ اللهُ يدلني على الخير، يأمرني به ويجذبني بسياسته إلى حضور مجالس العلم، مع أني لا أحفظ القرآن، وكان في ذلك الزمان مشايخ العلم وأهل التدريس بالجامع الأعظم بالرباط، منهم الفقيه السيد المعطي الأوراوي الآتي ذكره بعد إن شاء الله تعالى.

وكان هذا الفقيه هو السارد أمامه، وكان يحضني على قراءة "دلائل الخيرات" مع صغر سني، ويلزمني ختمه كل يوم، لَمّا يكون معي في الأسفار، فحصلت لي عند ذلك بشارات ومرائي نطلب الله تعالى أن يجعلها حقاً بفضله وكرمه، لأنه هو الجواد الكريم المتفضل سبحانه. انتهى باختصار.

* [114] شيخ الرباط أبو إسحاق التادلي (المتوفى سنة 1311هـ)[1]

بل شيخ الشيوخ وإمام الأئمة وبقية السلف الصالح من هذه الأمة، خاتمة العلماء الفحول، وحامل لواء الفروع والأصول، مجدد المائة، وعمدة هذه الفلة، وفذلكة العلوم على العموم، حتى علوم الهيئة، القطب الجامع الولي الصالح الورع الناسك الخاشع، الشريف الحسني أبو إسحاق سيدي إبراهيم بن محمد بن عبد القادر بن محمد (ضمّاً) بن علي بن عبد الله من ذرية الولي الصالح سيدي جابر بن سليمان – دفين تادلا[2] وله فيها مزار مشهور معروف – ابن الحسن بن محمد (ضماً) بن المدني بن عبد العزيز بن علي بن عبد الله ـ من آل القطب الواضح سيدي علي بن عبد الله المعروف بجبار التلايف، دفين زاويته المشهورة بسجلماسة ـ بن عبد الجبار بن تميم بن هِزْمِر بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. أهـ. كذا وجد بخطه في ذكر نسبه.

ووجد بخط والده ما نص الغرض، في تاريخ ولادته، قال:

"كان انعقد النكاح بيني وبين الفقيه السيد صالح الحكموي رَحِمَهُ اللهُ على ابنته الطالبة السيدة عائشة في ذي الحجة متم عام 1234هـ، وكان الدخول ليلة الثلاثاء عشرين من الشهر

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 239، الإعلام، للسملالي: 1/ 191، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 332، والفكر السامي، للثعالبي الفاسي: 4/ 307، والأعلام، للزركلي: 1/ 71 ومقالة الكتور محمد المنوني في مجلة (تطوان) العدد السادس، سنة 1961م.

(2) تادلا: بسيط في قشتالة وكانت تسمى أيضاً دلا. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 124.

المذكور، وتزايد بنا معها أولاد منهم ولد اسمه إبراهيم، تزايد ليلة الأحد 28 من ذي الحجة عام 1242هـ".

وقد اتصلت حياته إلى ليلة الجمعة 18 حجة عام 1311هـ، وما مات حتى انتهت إليه رياسة العلم في عصره ولم يبق من يزاحمه أو يضاهيه بين أهل مصره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، وفوق كل ذي علم عليم.

أما في الرباط فليس فيه أحد إلا وله عليه منة التعليم، إما مباشرة، وإما بواسطة أو بهما، تلمذ له فيه حتى مشايخ العلم، وكانوا كثراً، اللهم إلا أفراداً قليلين، سولت لهم أنفسهم أمراً.

جمع ﷺ بين حفظ المتون واستحضار قواعد الفنون، وبين علوم المنقول والمعقول، والفروع والأصول، وكانت قراءته بفاس لازم شيوخها نحو خمس عشرة سنة، أخذ عنهم سائر العلوم الشرعية والأدبية، ثم ارتحل لمكناس، فقرأ منهاج ابن البناء في التعديل(1)، ثم رجع إلى الرباط، فقرأ علم الطب والتعديل.

ثم سافر للحمراء، فأخذ عن شيوخها، ثم ارتحل للمشرق مرتين، إحداهما سنة 1278هـ، وهناك قرأ الفقه في المذاهب الأربعة، وأخذ في كل مرة عن شيوخ مصر والحرمين الشريفين، وجاور بهما، ودرس علوماً كثيرة.

وقفل إلى بلاد الأجانب كبلاد أصبانيا، فقرأ فيها بعض العلوم الحديثة، وأخذ علم الجدول، وسر الحرف بجبل طارق، ثم رجع إلى المغرب فاستقرت به الدار، وألقى عصى التسيار ببلده رباط الفتح، واعتكف على التدريس بها أكثر من ثلاثين سنة في مجالس عديدة من خمسة إلى ثمانية، صباح مساء، وجلها كانت بتآليفه التي تبلغ مائة ونيفاً وعشرين مؤلفاً، ولكن غالبها لم يتم، قف على أسمائها مع ذكر مشيخته في كلمته التي كتبها في التعريف بنفسه في إجازاته، وهي كثيرة كالدرر النثيرة، تدل على أنه ممن شفع الدراية بالرواية، فاستجاز في البداية وأجاز في النهاية.

وكان من آثاره في هذا الباب إجازته العامة لكل من أدرك عصره بتاريخ 1303هـ، وكان حاله حال السلف الصالح حليف الزهد والفكر، والسمت والوقار، والمروءة

---

(1) هو كتاب: منهاج الطالب لتعديل الكواكب، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، المراكشي المعروف بابن البناء، المتوفى سنة 721هـ، رياضي فلكي باحث، نبغ في علوم شتى، له "حاشية على الكشاف" و"منتهى السول في علم الأصول".
انظر ترجمته في: جذوة الاقتباس، لابن القاضي المكناسي: 1/ 148، والإعلام، للسملالي: 1/ 375، والدرر الكامنة، لابن حجر: 1/ 278.

والاجتهاد، والإعراض عن جميع الأسباب، والاعتزال عن الناس.

وبالجملة فقد صافح الطروس وصافحته، وكافح الدروس وكافحته، رحَّال مع الرجال في كل مجال، وحلّ وانتقل، واستجاز وأجاز، واستفاد وأفاد، وألَّف وصنَّف، ونظم ونثر، وجدَّ واجتهد، وصام وقام، فكان خير من عمل بعلمه، وشمر عن ساق حزمه إلى أن أتته العزائم على قدر عزمه.

ولنكتف بهذه الكلمة الإجمالية في ترجمته فإنها طويلة الذيل، مديدة السيل، بسيطة النيل وافرة الكيل، تصدى لها كثير من تلامذته كشيخنا وارث سرِّه من بعده القاضي أبي حامد البطاوري في فهرسته، وصهرنا العارف بالله الشيخ سيدي فتح الله البناني، وشيخنا أديب الرباط أبي العباس جسوس في كناشته، والشريف الناسك سيدي محمد بن الحسني في بعض مقيداته، والفقيه الأستاذ السيد المهدي متجنوش في بعض مؤلفاته، والشريف الأصيل سيدي العربي التهامي الوزاني في معجم مشيخته، وقد أتى هذا الأخير على كثير من أحواله وأقواله ومناقبه ومواهبه وعناياته ومكاشفاته مما يطول بنا إيراده في هذه الترجمة.

نعم رأيت من الفائدة أن نثبت كلمته في ترجمة نفسه، فإنها بموصلات الصلات عائدة، قال في بعض مقيداته ما نصه:

"كاتبه هو إبراهيم بن محمد المغربي التادلي الرباطي المالكي الفقيه، العلامة المشارك في علوم شتى كالتفسير، وقرأ أوله بتفسير البيضاوي بفاس على شيخه إمام أهل المعقول السيد أحمد بناني[1]، وهو حي حينه، وقرأه بالحرمين الشريفين على أشياخ: كالشيخ جمال الهندي[2]، مفتي الحنفية بمكة المكرمة، والشيخ أحمد دحلان[3]، وهو حي حينه، وبالمدينة على أشياخ:

---

(1) هو: أحمد بن أحمد بناني كلا، ولد بفاس عام 1223هـ ودرس فيها على جماعة من أكابر علمائها، وكان ﷺ إماماً راتباً بالزاوية التيجانية الكبرى بفاس، توفي سنة 1306هـ. انظر ترجمته في: كشف الحجاب، لسكيرج، ص: 193، وشجرة النور الزكية، لمخلوف، ص: 430.

(2) هو: جمال بن عمر المكي، الحنفي، المفتي، رئيس المدرسين بمكة، المتوفى سنة 1284هـ من تصانيفه: "الفرج بعد الشدة في تاريخ جدة"، فضائل النصف من شعبان، و"نور الجمال على جواب السؤال" في الفتاوى. انظر ترجمته في: هدية العارفين، للبغدادي: الأعلام، للزركلي: 2/ 135، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 3/ 154.

(3) هو: أبو العباس، أحمد بن زيني دحلان المكي، الشافعي، مفتيهم بمكة، عرف بعدائه للدعوة السلفية، وله من المصنفات "الجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية"، و"خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام"، و"الدرر السنية في الرد على الوهابية"، و"تاريخ طبقات العلماء"، وغير ذلك من التآليف، توفي سنة 1304هـ. انظر ترجمته في: تحفة الرحمن في سيرة دحلان، لأبي بكر، شطا الدمياطي، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 390، والأعلام، للزركلي: 1/ 129.

كالشيخ العزب[1] والشيخ الدراج[2].

وكالحديث وقرأه بالمشرق والمغرب أيضاً على أشياخ، فقرأه بفاس على إمام المحدثين الشريف الحسني سيدي الوليد العراقي[3]، والفقيه سيدي محمد بن الحاج، والفقيه سيدي أحمد المرنيسي[4]، رحمهم الله والفقيه سيدي أحمد بناني المتقدم[5].

وبالحرمين الشريفين على أشياخ، كالشيخ جمال الهندي، والشيخ الصديق، والشيخ أحمد دحلان.

وبمصر على أشياخ كالشيخ عليش المالكي، وبالإسكندرية على أشياخ كالشيخ البناء، وأجازني بخط يده في كل ما رواه.

وكالفقه، وقراءة في المذاهب الأربع على أشياخها، وأجازوه في باقيها، فقرأ أولاً بفاس حرسها الله تعالى بلد مولانا إدريس ولازمه نحو خمس عشرة سنة عن شيوخه كخاتمة الفقهاء المالكية بفاس، سيدي محمد بن عبد الرحمن السجلماسي[6]، رحمه الله ونفعنا بهم، والفقيه المرنيسي[7]، وسيدي بدر الدين ومولانا عبد الهادي الشريف قاضي فاس، وفقيه تلمسان الولي الصالح سيدي الحاج الداودي، وابن السعد، والفقيه الكردودي وغيرهم.

وكأصول الفقه، وعمدتنا فيه خاتمة المجتهدين الولي الصالح الشريف الحسني سيدي عبد السلام بو غالب الفاسي[8]، ثم تلميذه سيدي أحمد بناني المتقدم.

---

(1) لعله محمد بن محمد العزب الدمياطي أحد المشايخ المجاورين بمكة ولم أقف في ما بين يدي من مصادر على من أفرد له ترجمة، وذُكر في عدد من الإجازات. انظر: فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 320، و2/ 786، ومعجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي، ص: 153.

(2) هو: أبو عبد الله الدراج التونسي المدني كما في معجم الشيوخ، للفاسي، ص: 185، ولم أقف في ما بين يدي من مصادر على ترجمة مفردة له.

(3) هو: أبو عبد الله محمد (الوليد) بن العربي العراقي المتوفى سنة 1265هـ،كان نادرة وقته في الحديث والبيان والأصول، وفريد عصره في علمي المعقول والمنقول. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 48.

(4) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي المرنيسي، الفاسي، فقيه علامة مشارك في كثير من الفنون غلب عليه علم العربية، حتى صار مشاراً إليه فيه في الأقطار المغربية، توفي سنة 1277هـ. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني: 1/ 292، وشجرة النور، لمخلوف، ص:402.

(5) هو: أحمد بناني كلا تقدم الكلام عليه.

(6) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن الحجرتي، الفيلالي، الفاسي، شيخ الجماعة في وقته، المتوفى سنة 1275هـ. انظر ترجمته في:سلوة الأنفاس، للكتاني: 2/ 282.

(7) تقدم التعريف به.

(8) هو: أبو غالب، عبد السلام بن الطائع الشريف، الإدريسي، الجوطي، العالم المشارك، مع القدم الراسخ في الورع والزهد =

ثم رحل للمشرق فقرأ الفقه المالكي على الشيخ حسين وغيره بمكة، والحنفي على الشيخ جمال الهندي وغيره، والشافعي على الشيخ المغراوي، وغيره.

والحنبلي على شيوخه، وكذا سائر العلوم الشرعية الاثنى عشر .

وقرأ العلوم العربية الاثنى عشر المشهورة على أشياخ: خاتمة النحويين وسيبويه وقته الشيخ أبي بكر بن الشيخ الطيب بن كيران[1] الفاسي إمام أهل التفسير والمعقول والمنقول في وقته.

ومنهم الشيخ المرنيسي وغيره قرأ عليهم النحو وغيره كالتصريف والعروض والبيان واللغة.

وقرأ بفاس وغيرها بعض علوم الفلسفة كالهند[2] على الشيخ أحمد الوداني[3] والحساب على السيد المكي الجنان[4]، والشريف الحسني سيدي العربي البرغيثي[5] وغيرهما والهيئة والتوقيت كالكرة والأسطرلاب والربع على الجنان المذكور.

وكالموسيقا على الشيخ حدّ بن جلون، وسيدي أرشد الجمال، والفقيه الصبان والمكي محروش وغيرهم.

وعلم الجدول فقرأ منظومة الجزنائي[6] بشرح الصبان المكناسي فيه.

وكالمنطق قرأ فيه مختصر السنوسي في المنطق والسلم بفاس ثم ارتحل لمكناس فقرأ المنهاج

= والدين المتين. أخذ عنه جماعة وانتفعوا به، توفي سنة 1290هـ. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 403.

(1) هو: أبو بكر بن الطيب بن كيران، العلامة الأكبر والفهامة الأبهر الفاضل النحرير المعروف بالإتقان والتحرير والفهم الرائق والحفظ الدافق. أخذ عن والده وغيره، توفي سنة 1267هـ. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 11، وشجرة النور، لمخلوف، ص:402 وفيه أن وفاته 1277هـ.

(2) كذا في الأصل والله أعلم بالصواب.

(3) هو: أحمد بن محمد الأمين بن الفضل الوداني، العباسي، اليعقوبي، المراكشي. انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 2/ 409.

(4) كذا في الأصل ولم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر.

(5) هو: أبو حامد، العربي بن أحمد البَلْغيثي، العلوي المتوفى سنة 1271هـ كان فقيهاً فرضياً حيسوبياً، نقيباً للأشراف العلويين في وقته، قاطناً بحومة زقاق الحجر من عدوة القرويين بفاس. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 158، والإعلام، للسملالي: 2/ 421.

(6) هي منظومة "الكوكب المنير في صناعة التوفيق والتكسير" لأبي حفص، عمر بن عبد العزيز بن يوسف الجزنائي، نسبة إلى قبيلة أجزناية من إقليم الريف، وقد شرحها ناظمها وتوجد نسخة خطية من الأرجوزة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2215/ د) ونسخ من الشرح بالخزانة نفسها تحت أرقام (2215/ 7 د، 2000/ 15 د، 2215/ 4 د، 2216/ 8 د). انظر ترجمة الجزنائي في: جذوة الاقتباس، لابن القاضي: 2/ 495.

في التعديل لابن البناء على الشريف لمراني ثم للرباط فقرأ فيه بعض علوم الطب والتعديل.

وارتحل لمراكش فقرأ بها أيضاً على شيوخها ثم للمشرق مرتين فأخذ في كل مرة عن شيوخه.

وجاور بالحرمين الشريفين سنة ودرس بهما علوماً كثيرة كالتفسير، والحديث، والفقه، وأصوله، وعلم التوقيت، والجدول، والمنطق، والنحو، وختم بالمدينة المنورة الهمزية، وبمكة المشرفة الشفاء والجوهرة والسلم، وأخذ من علم الجدول والحرف بجبل طارق عن شيخه الشريف الحسني التهامي.

وقرأ ببلاد النصارى كبلاد إصبانيا ثم رجع للمغرب فاستقر ببلده الرباط ولازم التدريس به أكثر من ثلاثين سنة في علوم كثيرة ومجالس عديدة من خمسة مجالس إلى ثمانية من قبل طلوع الشمس إلى مضي وقت العشاء مطالعة وتدريساً.

وله تآليف عديدة في فنون مفيدة كـالكافي على الجرُّومية[1] و"شرح لامية الأفعال"[2] و"شرح الجمل في الإعراب"[3] و"شرح الخزرجية في العروض"[4] و"حواش على المكودي" غير مخرجة بل بهامشه[5]، وحواش على التصريح كذلك وعلى المعرب والأزهري كذلك، وشرح التسهيل[6]، والكافية لابن مالك والفريدة لم يكمل، ورسالة في علم

---

(1) كتاب الكافي هو شرح على الآجرُّوميَّة اختصره في كتاب سماه "المختصر الشافي على الكافي" ولدينا نسخة خطية أصلية منه في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث).

(2) هو كتاب: الشافية لعلل الأعمال بشرح لامية الأفعال، توجد منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1620 د) وأخرى في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات).

(3) هو كتاب: بيان المراد لجُمَل المجراد، وهو شرح على المنظومة المسماة بلامية الجمل النحوية، لناظمها أبي عبد الله، محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفزاري، السلاوي، المعروف بابن المجراد، المتوفى سنة 778هـ ولدينا نسخة خطية أصلية منه في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات).

(4) هو كتاب: العصيرة الشافية البنفسجية على القصيدة الوافية الخزرجية (وهو شرح على منظومة الرامزة الشافية في علم العروض والقافية المعروفة اختصاراً باسم الخزرجية في العروض، وهي من نظم أبي محمد، عبد الله بن محمد الخزرجي، المالكي، الأندلسي، الإسكندري، المتوفى سنة 626هـ) توجد منه نسخة مخطوطة، برقم (1435 د) في الخزانة العامة بالرباط.

(5) هو: شرح أبي زيد، عبد الرحمن بن علي بن صالح، المكودي، المتوفى بفاس سنة 807هـ، على ألفية ابن مالك وقد طبع بمصر وغيرها عدة طبعات، ولدينا منه عدد من النسخ الأصلية بمكتبتنا الخاصة بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 152.

(6) هو كتاب: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لخصه أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك، جمال الدين، المعروف بابن مالك، إمام زمانه في العربية من مجموعته المسماة "بالفوائد" وهي كتاب جامع لمسائل النحو بحيث لا يفوت

الاشتقاق وشرحها لم يكمل ورسالة في البيان وشرحها، ورسالة في قواعد علم اللغة، وحواش على شرح ابن عاشر، وعلى مورد الظمآن في علم الرسم، وأخرى في علم الضبط، وأخرى في مخارج الحروف، وأخرى على الجعبري شارح الحرز[1]، وشرح الهمزية والبردة وبعض....[2].

وشرح السلم في المنطق[3]، وحاشية عليه، وحاشية على مختصر السنوسي في المنطق[4]، وأخرى على شرح الصغرى[5]، وشرح توحيد المرشد المعين، وحواش على المحلي وأخرى على عبد الصمد، وأخرى في علم الجدول، وأخرى على المواهب[6]، وأخرى على تفسير الجلالين، وأخرى على تفسير البيضاوي، وأخرى على شرح الأربعين النووية، وبعض شرح شمائل الترمذي، وبعض الزقاقية، وأخرى على شرح تكميل المنهاج لميارة، وحاشية على

ذكر مسألة من مسائله وقواعده ولذلك اعتنى العلماء به فصنفوا له شروحاً عديدة. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 406.

(1) هو: أبو محمد، إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، برهان الدين، الشافعي، الخليلي، المتوفى سنة 732هـ الإمام العالم، شيخ القراء، ولد بقلعة جعبر، واشتغل ببغداد، ثم قدم دمشق وأقام بها، وكتابه المشار إليه هو "كنز المعاني شرح حرز الأماني"، وهو شرح مفيد مشهور لمنظومة حرز الأماني في القراءات السبع المعروفة بالشاطبية. انظر: البداية والنهاية، لابن كثير: 14/ 160، والوافي في الوفيات، للصفدي: 1/ 744، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 646، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 7.

(2) بياض في الأصل بقدر كلمة.

(3) هو كتاب: القول المسلم في شرح نظم السلم المرونق في علم المنطق، لناظمه عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري، المتوفى سنة 983هـ توجد نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (517 د).

(4) مختصر السنوسي في المنطق، لأبي عبد الله، محمد بن يُوسُف بن عمر، السنوسي، له نسخة مخطوطة في الخزانة المحجوبية، وأخرى في خزانة الإمام علي بتارودانت، وثالثة ضمن مجموع برقم (738) في خزانة المخطوطات الحبسية بالزاوية الحمزاوية بإقليم الرشيدية، وقد تناوله بالشرح كثيرون منهم محمد بن الحسن البناني وقد طبع شرحه في فاس سنة 1302هـ. انظر: معجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 589.

(5) هو: أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، التلمساني، محدث، متكلم، منطقي، مقرئ، مشارك في بعض العلوم، من آثاره: شرح إيساغوجي في المنطق، وشرح قصيدة الحباك في الاسطرلاب، ورسائل عديدة في العقائد منها: أم البراهين المعروفة بالسنوسية الصغرى، وصغرى الصغرى، وحاشية على صحيح مسلم. توفي بتلمسان سنة 895هـ. انظر ترجمته في: دوحة الناشر، لابن عسكر، ص: 89، ونيل الابتهاج، للتنبكتي: 1/ 325، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 343، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1058.

(6) هو كتاب: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، المصري، شهاب الدين الشافعي، المتوفى بمصر سنة 923هـ وهو كتاب جليل القدر كثير النفع ليس له نظير في بابه رتبه على عشرة مقاصد في السيرة النبوية. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1896، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1511.

الخرشي كذلك، وحواش على رسالة ابن أبي زيد، وحواش على ملتقى الأبحر في فقه الحقيقة، وأخرى على المقدوري وشرحه في فقه الحقيقة أيضاً.

وشرح على الفرائض، وتحفة الأحباب في علم الحساب، وشرح الكرة في علم التوقيت، وشرح الاسطرلاب، ورسالة في استخراج مطالب التوقيت بحساب الجيب، وشرح روضة الأزهار في علم التوقيت لم يكمل، وحاشية على ابن الشاطر في علم التعديل، وأخرى على المنهاج في علم التعديل أيضا[1]، وحواش على الرخامة في التوقيت، ورسالة في علم البحر، وحواش على شرح الجزنائي في علم الجدول[2]، وأخرى في علم الرمل[3] ورسالة في الموسيقا، وحواش على شرح التفاهني في علم المساحة[4]، وأخرى على إقليدس في الهندسة ورسالة "إصابة الغرض في تدبير الصحة والمرض" في علم الطب[5]، وحاشية على الصفتي، وحاشية على شرح التاودي للتحفة، وحاشية على المصباح[6]، وحواش على الإتقان للسيوطي[7]، وشرح استعارات السمرقندي[8]، وحواش على الزرقاني شرح

---

(1) تقدم الكلام عنه.

(2) علم الجدول يستخدم لمعرفة المُغَيَّبَاتِ وهو عبارة عن مربع يكتب بداخله حروف رمزية إشارة إلى أسماء الله الحسنى أو أسماء كهنوتية كأسماء الجن وأسماء البروج وغيرها من الأسماء، وهو ضرب من ضروب الدجل.

(3) هو: علم يعرف به الاستدلال على الأمور بأشكال الرمل وهي اثني عشر شكلاً على عدد البروج وأكثر مسائل هذا الفن أمور تخمينية مبنية على التجارب فهم يزعمون أن كل واحد من البروج يقتضي حرفاً معيناً وشكلاً من أشكال الرمل فإذا سئل عن المطلوب فحينئذ يقتضي وقوع أوضاع البروج فيدل على أحكام مخصوصة مناسبة لأوضاع تلك البروج لكن المذكورات أمور أوهام ظنية وهذا العلم كسابقه ضرب من ضروب الدجل. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1586.

(4) علم المساحة هو أحد فروع علم الهندسة، ولم أقف على التفهني المشار إليه بالنص. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 14.

(5) مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، نقلاً عن الزركلي في الأعلام: 1/ 71.

(6) هو كتاب: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي، المقري الفيومي، المتوفى سنة 770هـ طبع في جزئين بالقاهرة 1302هـ وهو مرتب على حروف المعجم باعتبار الحرف الأول من الكلمات الواردة في الشرح الكبير للرافعي على كتاب الوجيز في فروع الفقه الشافعي للغزالي. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1710، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1467.

(7) هو كتاب: الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، السيوطي، المتوفى سنة 911هـ وهو من أجل آثاره وأفيدها، تناول فيه ثمانين نوعاً من علوم القرآن ليجعله مقدمة لتفسيره الكبير. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 70، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 1074.

(8) هو كتاب: الإشارات السعدية على الاستعارات السمرقندية (السمرقندية هي الرسالة الترشيحية، وتعرف برسالة

الموطأ[1]، وشرح المقنع في التوقيت، وحسان الحقائق والرقائق في حساب الدرج والدقائق[2].

وسفائن في تقاييد في علوم شتى، وحواش على المزهر للسيوطي في علم اللغة، وحواش على حاشية ابن غازي على الخلاصة[3]، وحواش على ميارة الصغير على المرشد المعين، وحواش على شرح الأربعين النووية.

وحواش على شرح الدسوقي على المغني، وأخرى على الإضاءة، وأخرى على شرح الشيخ الطيب بن كيران على المرشد[4]، وأخرى على ابن سلمون[5]، وأخرى على شرح الطوسي لإقليدس[6]، وأخرى على سيرة الحلبي[7]، وأخرى على ألفية العراقي في السيرة =

الاستعارات البلاغية لأبي القاسم الليثي السمرقندي)، توجد منه نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (1858/ 1 د).

(1) هو شرح موطأ الإمام مالك، للزرقاني، عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن محمد بن علوان، المتوفى سنة 1099هـ طبع بمصر وفاس طبعتين قديمتين 1280هـ و1310هـ وطبعته حديثاً دار الكتب العلمية. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1908، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 967.

(2) حسان الحقائق والدقائق في حساب الدرج والدقائق، توجد منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (2110/ 5 د).

(3) لم أقف على حواش لابن غازي على الخلاصة، ووجدت له كتاباً بعنوان "خلاصة التحصيل في القول في وصية التنزيل" مخطوطاً في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (8204).

(4) هو كتاب شرح المرشد المُعِين على الضروري من علوم الدين، لمحمد الطيب بن كيران الفاسي، المتوفى سنة 1227هـ. ولدينا نسخة خطية أصلية منه في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث)، وتوجد نسخة أخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم (502 د) وثالثة،تحت رقم (81 ك) بالخزانة الكتانية.

(5) لعلها حواش على كتاب: العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، لأبي القاسم، سلمون بن علي بن سلمون، الكناني، المتوفى سنة 767هـ أو على وثائق ابن سلمون، ولدينا نسخ خطية للكتابين في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث).

(6) هو تعريب لكتاب "هندسة إقليدس" اليوناني لمحمد بن حسن الطوسي نصير الدين، المتوفى ببغداد سنة 672هـ، وقد طبع الكتاب في روما سنة 1594 م تحت عنوان "تحرير أصول إقليدس" وطبع أيضاً في لندن سنة 1657م، وأيضاً في الأستانة سنة 1216هـ تحت عنوان "كتاب إقليدس"، وقد طبعت ستٍ من مقالاته مأخوذة عن ترجمة الطوسي في كلكته سنة 1824م. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 81، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1251.

(7) هو كتاب: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المعروف بالسيرة الحلبية، لعلي بن برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن علي بن عمر الحلبي، ثم القاهري، نور الدين، الشافعي، المتوفى سنة 1044هـ وهو مصنف مطول في سيرة الرسول ﷺ جمعه من "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في البدء والميعاد" المعروف بالسيرة الشامية لمحمد بن يوسف الدمشقي وزاد عليه، وقد طبع الكتاب في مصر سنة 1280هـ ثم في 1304هـ. انظر: هدية =

والاصطلاح، وحواش على شرح الإمام السنوسي في الطب، وحواش على كتاب الرحمة في الطب والحكمة، واختصار تأليف الشيخ سيدي محمد بن سيدي المختار الكنتي القادري ﷺ في المثلث خالي الوسط، واختصار المسالك في المهالك تأليف بعض وزراء تونس[1].

وتأليف في تفسير بعض اللغات كلغة الفرس والترك والفرانصيص واللنكليز والبربر.

وتأليف في بعض الأشربة كشراب سكنجبير، وشراب البنفسج.

وحواش على بعض الرسائل في النسبة الستينية، وأخرى على رسالة المارديني فيها، ورسالة في حساب الفرائض والتركات، ورسالة في الرياح على اصطلاح البحرية، وأخرى على حواشي البرغيثي على المنهاج[2]، وأخرى على حواشي مرين على المنهاج أيضا في التعديل، وحواش على نظم الزبير لابن رسلان في فقه الشافعية[3]، وأخرى على رسالة أبي شجاع في فقه الشافعية أيضاً وأخرى على دليل الطالب في فقه الحنفية، وأخرى على نظم التحفة لابن عاصم، وأخرى على نظم الزقاق، وأخرى على المراصد، وأخرى على نظم الفصيح.

ورسالة في علم طبوع الموسيقى الأربعة والعشرين، وأخرى على شرح دلائل الخيرات وشرح اليائية لابن الفارض في التصوف[4]، ورسائل في علم التاريخ وفي علم الدول كملوك =

العارفين، للبغدادي: 1/ 402، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 787.

(1) في الحاشية: بوخير الدين التونسي الذي صار وزيراً بالدولة التركية واسم تأليفه "نور المسالك في أحوال المهالك جزء ضخم".اهـ.

(2) هو: حاشية على "منهاج الطالب في تعديل الكواكب" لأبي العباس، أحمد بن محمد بن عثمان ابن البناء الأزدي المراكشي، وصاحب الحاشية هو البلغيثي أبوالعباس، أحمد بن علي بن محمد ابن أبي الغيث، الحسني العلوي اليوسفي البلغيثي، والد أبي حامد البلغيثي أحد مشايخ بوجندار، توجد نسخة مخطوطة من الحاشية في الخزانة الحسنية، تحت رقم (14061).

(3) لم أقف على هذا النظم وللبلقيني الشافعي سراج الدين عمر بن رسلان شرح لقواعد ابن عبد السلام سماه "فوائد الحسام – أو الفوائد الجسام – على قواعد ابن عبد السلام" وللبلقيني عبد الرحمن بن عمر بن رسلان نظم على مختصر ابن الحاجب، ولم أقف على شرح للزبير أو الزبيري له وإنما سمى هذا النظم بصفوة الزبد في الفقه. انظر: هدية العارفين، للبغدادي: 1/ 67، وكشف الظنون: 1/ 596.

(4) ولابن الفارض تائية مشهورة وهي القصيدة المسماة نظم السلوك واليائية أولها:

سائق الأظعان يطوي البيد طي ... منعما عرج على كثبان طي

شرحها السيوطي جلال الدين في كتاب سماه: "البرق الوامض في شرح يائية ابن الفارض" وتوجد منه نسخة بالخزانة الحسنية، تحت رقم (824)، وأخرى بمكتبة خسروبك بسرايفو تحت رقم (7606) ولم أقف على الشرح المذكور =

العباسيين وبني أمية وملوك بني عثمان وغيرهم، ورسالة في تعريف مشاهير بلاد العراق العرب والعجم وبلاد الأكراد، وأرض الروم والشام التي دخلها بعض أصحابنا من أهل بغداد.

واختصار تذكرة الأنطاكي[1] لم يكمل وتقاييد في علم الرموز واختصار صفوة من انتشر في أهل القرن الحادي عشر، واختصار تكميل الديباج للسوداني، واختصار جذوة الاقتباس في من حل من الظرفاء بفاس، واختصار كتاب الشيخ الحايك في علم الموسيقى، وحواش على نظم الهدية المقبولة في الطب، ورسالة في علم المدفع والمهراس من علم الطبجية، وحواش على سنن أبي داود.

وله نظم في فنون شتى وشرح على مختصر الشيخ خليل لم يكمل، وشرح على رسالة ابن أبي زيد لم يكمل أيضا، ورسالة في علم التوقيت، وحواش على شرح ابن زكري لفريدة السيوطي، وحواش على نظم الخلاصة، ورسالة في علم الوضع، وعلم الاشتقاق، لم تكمل.

ورسالة في علم الجغرافية وهو علم هيئة الأرض وأقاليمها، ورسالة على البوصلة في علم البحر، وأخرى تسمى "قلائد النحر في علم البحر". ورسالة في علم الجدول.

ومما يدل على إعراضه على الدنيا ما وجدته مقيداً بخطه على ظهر نسخة من شرح جسوس على الرسالة[2] ما نصه:

"الحمد لله وحده، وفي ليلة 27 من رمضان عام 1302هـ طلب مني السلطان مولاي الحسن، نصره الله وأصلحه، أن أحضر معهم بمسجده بالرباط على العادة عنده في تلك الليلة بواسطة قاضي الرباط حينه السيد أحمد ملين؛ فامتنعت واعتذرت له بأني غير صحيح ونويت أني غير صحيح لما يفعلونه من المظالم كالمكوس ثم أردت مصالحته فأرسلت له مائدتين من المخرقة والحلاوى التي تصنع بالرباط على يد ولدنا السيد الحاج محمد بركاش أصلحه الله، فقال: لابد أن أستأذنه في ذلك فأذن له وطلب مني أن أكتب بخط يدي بطاقة أرسلها مع

= المنسوب لأبي إسحاق التادلي.

(1) هو كتاب: تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب، لداوود بن عمر، الأنطاكي، الطبيب الحكيم المشارك في علوم شتى، المتوفى سنة 1008هـ انظر: خلاصة تحقيق الظنون، للصديقي، ص: 98، وشذرات الذهب، لابن العماد: 8/ 415، وخلاصة الأثر، للمحبي: 2/ 140 49، والبدر الطالع، للشوكاني: 1/ 246، وريحانة الألبا، للخفاجي، ص: 271.

(2) هو كتاب: شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لمحمد بن قاسم بن جسُّوس، المتوفى سنة 1182هـ ولدينا منه نسخة خطية أصلية بمكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث) وفي الخزانة الحسنية بالرباط تحت أرقام (6793 - 7399 - 9917). - مخطوط بمركز نجيبويه.

المائدتين ففعلت، ثم كتبت بطاقة أخاطب بها حاجبه السيد أحمد بن موسى؛ فقلت: وبعد يصلك مائدتين من الحلواء لسادتنا الشرفاء أولاد سيدنا نصره الله؛ فلما وصلت المائدتان فرح بهما السلطان وصادفه يريد الركوب للعيد مع القبائل بعد العصر فأدخلهما داره قبل ذهابه.

وقد كان السيد أحمد المذكور قبل ذلك طلب الإذن في زيارتنا؛ فأذن له ونزل قرب المسيد لدارنا عقب إرسال المائدتين مع الحاج محمد بركاش، فحكت لنا زوجتنا أنها رأته داخلا دارنا مكتفاً يديه ووقف بباب البيت حتى استأذن عليه الحاج محمد بركاش؛ فدخل وقبل يدي وترامى عليّ وهو خافض الرأس؛ ففرحت به وأكرمته، ثم جلس نحو نصف ساعة وهو ساكت وأنا أحادثه بكلام لين طيب فلما أراد الانصراف وضع بيدي ضيلونين ذهباً.

فقلت له: زيارتكم عندنا أن تُرغّبوا سيدنا نصره الله حتى يعطِّف الله قلبه لزوال المكس؛ فأجاب عنه سريعاً بأنه عازم على إزالته.

فقلت: بشرك الله بالخير.

ثم خرج وأعطى إمائي الثلاث ثلاث ريالات أصلحه الله آمين .

ثم سافر السلطان نصره الله من الرباط بعد قليل حتى وصل لمراكش فشرح الله صدره لزوال مكوس أبواب بلدان إيالته كلها.

وقدم كتابه يوم الأحد 13 من ربيع الأول عام 1303هـ بتسريح مكوس الأبواب وقرئ على المنبر بالمسجد الأعظم بالرباط فلم يبق لها في هذا التاريخ أثر تمم الله نعمته علينا بزوال باقي المكوس عن قريب آمين والحمد لله رب العالمين.

وقد كنت قبل تاريخ رمضان 1302هـ المذكور بنحو ست سنين لما زارنا بدارنا السيد محمد بركاش أغلظت له القول في المكْس وقلت له المكْس حرام نحو مرتين أو ثلاث بحال عظيم حتى همَّ بالخروج من حينه ثم أعقبته بكلام لين حين تذكرت قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] وذلك بمحضر ولده الحاج محمد فأثر ذلك فيهما ثم بعد نحو سنة أراد ولده المذكور السفر من الرباط لفاس عند السلطان المذكور وفقه الله فأكدت عليه مراراً في أن يكلم السلطان في إزالة المكوس إن تلاقى معه ولا يقصر في ذلك فامتثل........(1)

الأحد المذكور الذي قرئ فيه كتاب السلطان وأزيل فيه المكس نزل مطر غزير من

(1) في المخطوط بياض بمقدار نصف سطر.

السماء، وكذلك في الغد، والحمد لله ببركة طهارة الله لعباده من نجاسة المكوس بعدما كان الناس في وقفة عظيمة من قلة الأمطار". (انتهى بلفظه).

ومن فوائد صاحب الترجمة جوابه عن سؤال رفعه إليه شيخنا أبو العباس جسُّوس وهو في بدايته فكتب إليه بعد أسطر الافتتاح نطلب من سيدي بأكف التذلل والافتقار الجواب عن مسألة طالما تفكرت فيها وما نفع التفكر وسبحت في تيار عبابها فلم نحصل منها على دُرٍّ بل ولا على صدف، وهي ما نُسب للإمـام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي من قوله " ليس في الإمكان أبدع مما كان"[1].

فقد تصفحت ما قاله في المسألة صاحب الإبريز[2] فرأيته انتقد كل جواب ساقه عليها عروة عروة، فهل سيدي ما نقض به المذكور من الأدلة تسلموه أو ترضوا من تلك الأجوبة بعضها أو لكم في المسألة جواب؟ أو عقلتم عن سادات شيوخكم جوابا؟

أو ترضون ما أجاب به العلامة خاتمة المحققين سيدي الطيب بن كيران في شرحه للمرشد في مبحث الإرادة؟

أو ترضون ما أجاب به العلامة الطحاوي[3] في كتابه الذي ألفه في العقائد وغيرها فإنه

---

(1) شَنَّعَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلى الْغَزَالِيِّ فِي قَوْلِهِ: "لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ أَبْدَعُ مِمَّا كَانَ". وقِيلَ مَدْسُوسٌ عَلَيْهِ، وقيل أنه مأخوذ مِنْ قَوْلِ أَبِي طَالِب المكي: "اعْلَمْ يَقِينًا أَنَّ اللهَ لَوْ جَعَلَ الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِينَ عَلى عِلْمِ أَعْلَمِهِمْ بِهِ وعَقْلِ أَعْقَلِهِمْ عَنْهُ وحِكْمَةِ أَحْكَمِهِمْ عِنْدَهُ ثُمَّ زَادَ كُلَّ واحِدٍ مِنَ الخَلَائِقِ مِثْلَ عَدَدِ جَمِيعِهِمْ وأَضْعَافِهِ عِلْمًا وحِكْمَةً وعَقْلاً ثُمَّ كَشَفَ لَهُمْ العَوَاقِبَ، وأَطْلَعَهُمْ عَلى السَّرَائِرِ وأَعْلَمَهُمْ بَوَاطِنَ النِّعَمِ وعَرَّفَهُمْ دَقَائِقَ الْعُقُوبَاتِ وأَوْقَفَهُمْ عَلى خَفَايَا اللُّطْفِ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ دَبِّرُوا الْمُلْكَ بِمَا أَعْطَيْتُكُمْ مِنَ الْعُلُومِ والْعُقُولِ عَنْ مُشَاهَدَتِكُمْ عَوَاقِبَ الأُمُورِ ثُمَّ أَعَانَهُمْ عَلى ذَلِكَ وقَوَّاهُمْ لَهُ لَمَا زَادَ تَدْبِيرُهُمْ عَلى مَا نَرَاهُ مِنْ تَدْبِيرِ اللهِ تَعَالى مِنَ الْخَيْرِ والشَّرِّ والنَّفْعِ والضُّرِّ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ولا أَوْجَبَتْ الْعُقُولُ والْمُكَاشَفَاتُ ولا الْعُلُومُ والْمُشَاهَدَاتُ غَيْرَ هَذَا التَّدْبِيرِ، ولا قَضَتْ بِغَيْرِ هَذَا التَّقْدِيرِ الذِي نُعَانِيهِ ونَتَقَلَّبُ فِيهِ ولَكِنْ لا يُبْصِرُونَ ومَا يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ". انظر: قوت القلوب، لأبي طالب المكي: 2/ 40، وحاشية العطار على شرح المحلي على جمع الجوامع عند قول السبكي: (تقتضي صحة العلم).

(2) صاحب الإبريز هو: أحمد بن المبارك بن محمد بن علي، السجلماسي اللمطي، المتوفى سنة 1156هـ إمام متبحر أدرك الاجتهاد وله تآليف منها "الإبريز في مناقب الشيخ عبد العزيز " - أي أبا فارس عبد العزيز بن مسعود الدباغ، المتوفى سنة 1131هـ انتقدت عليه فيه أمور كما حرر فيه مسائل لا يستهان بها، وكتابه هذا في جزئين وهو محاورات في مواضيع عديدة جرت بينه وبين شيخه، وقد طبع في القاهرة سنة 1304هـ وأعيد طبعه مراراً. انظر: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 72، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 1009، والفكر السامي، للثعالبي: 2/ 122.

(3) كذا في الأصل ولم أعرف الطحاوي المعني بالعبارة، وهو -بلا شك- غير الطحاوي الحنفي أبي جعفر المتوفى سنة 321هـ؛ =

قال: "مراده - أي الغزالي - أن علم القدير الذي هو علم أزلي لما تعلق بوجود العالم على هذا الوجه امتنع أن يقع على ما هو أكمل وإلا لزم انقلاب العلم جهلا وهو محال "[1].

فمعنى ما خضنا به وقوله ليس في الإمكان أبدع مما كان نفي الإبداع بالنظر إلى تعلق العلم القديم بوجوده على هذا الوجه فلا يمكن تعلق القدرة بغيره وليس معناه نفي الإبداع لوقوف القدرة على ما وجد لاستحالته لكونه مستلزماً للعجزة أو هو مردود ببعض كلام صاحب الإبريز.

أو ترضون ما نقله مولانا الشيخ التاودي بن سودة في فهرسته عن شيخه العارف العيدروسي الحصري ولم ننقله لطول العهد به وقد كان بعض أصحابنا يرتضيه[2].

وبالجملة فليتفضل مولانا أعزه الله وبلغه من خير الدارين مناه ورجاه على هذا التخيل الضعيف بما يشفيه من داء جهله وسلمه بما له في المسألة من تحقيق علمه والله يبقي مولانا بدراً يستضاء به في غياهب الظلام ويرقى كلامه في أوج التحقيق حتى يكون هو الختام للكلام آمين.

وكتبه أحمد بن قاسم جسوس، أذاقه الله حلاوة التحقيق في 23 رجب الفرد الحرام من عام 1298هـ.

فأجابه عن ذلك بجواب راعى فيه إذ ذلك مقتضى حالته فلذلك قال في مخاطبته: " قول الإمام الغزالي رحمه الله ليس في الإمكان أبدع مما كان كما بالسؤال حوله هو بظاهره لا يصح لأنه يقتضي محالاً كالعجز فيجب تأويله وباب التأويل واسع يحتمل لمحامل كثيرة منها ما يرجع للظاهر كالجري على قواعد علم التوحيد وغيره من العلوم العقلية وعلى قواعد علم العربية وغيره من العلوم الشرعية ومنها ما يرجع للباطن كعلم الكشف والثاني ليس نحن من أهله، وأهله لا يتكلمون فيه بل يشتغلون بما هو أهم منه كالفكر والذكر والصلاة وتلاوة القرآن =

إذ لا يعقل أن يرد على الغزالي المتوفى بعده بقرنين على الأقل.

(1) النص المنقول يشبه نصاً للفخر الرازي في معرض الحديث عن الناسخ والمنسوخ. انظر: المحصول في علم الأصول لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي، فخر الدين، المتوفى سنة 606هـ بتحقيق: طه جابر فياض العلواني.

(2) نقل التاودي بن سودة جواب العيدروسي عن المسألة المذكورة فقال: " مولانا عز وجل قدير حكيم، وما كان هو مقتضى الحكمة كأنه يشير إلى الجواب بأن المراد نفي الإمكان العرضي لا الذاتي، وذلك أنه لما أراد سبحانه إيجاد هذا العالم على ما هو عليه وجب كونه كذلك، واستحال أن يكون على حالة أخرى فليس في الإمكان أبدع مما كان وهذا أحسن ما أجيب عنه ". وزاد فيه أنه مقتضى الحكمة. انظر: الفهرسة الصغرى، للتاودي بن سودة، ص:31

ويقولون أن الإنسان مطلقاً تصدر عنه مقالات ظاهرها منكر شرعاً بحيث لو تبدل حال قائله وراجع نفسه لأنكره كما قيل في قوله تعالى في سورة يوسف حكاية عن نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] فإن ظاهره مخالف لقواعد التوحيد من عصمة الأنبياء من الصغائر فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر فضلا عن الموت عليه لقول المرشد:

محال الكذب والمنهي.. إلخ[1].

فسؤال الوفاة على الإسلام ربما يقتضي بظاهره تجويز موت النبي على الكفر إذ الواجب كالمحال لا يسأل.

وقد أجيب عنه بأجوبة منها جواب السيوطي رحمه الله أنه صدر منه ذلك السؤال حال استيلاء الخوف عليه حتى ينسى ويدهش عن الواجب والمحال وهو والله أعلم أحسن الأجوبة كما أشار له الشهاب على الشفا[2] في فصل خوفه ﷺ.

وكما صدر من قول الحلاج رحمه الله: ما في الجبة إلا الله ونحو ذلك.

واللائق بالكامل أن ينظر في القول وفي قائله إن كان من أكابر العلماء والأولياء كالغزالي وصدر منه كلام ظاهره في بادي الرأي منكر عقلاً أو شرعاً وأن يجريه على حكم المتشابه في القرآن والحديث فيصرفه عن ظاهره إجماعاً ثم يقول على مذهب السلف الله أعلم بمراده.

وعلى مذهب الخلف يجريه على قواعد العربية أولاً ثم على قواعد العلوم الشرعية كالتوحيد وليجتهد غايته في تصحيحه ولا يبادر للإنكار فقد قالوا: اعتقد ولا تنتقد.

فإن كان فارغاً من تلك العلوم فليمسك عن الكلام خوف الوقوع في المحذور خصوصاً في مسألة كلامية فقد عدَّ الإمام السنوسي رحمه الله في شرح المقدمات من أوجه الشرك بل من أصول الكفر الجهل بالقواعد العقلية والجهل باللسان العربي فراجعه إن شئت لتكون على بصيرة في ذلك.

---

(1) يريد منظومة ابن عاشر المرشد المعين وتكملة البيت:

مُحَالٌ الْكَذِبُ وَالْمَنْهِيُّ ... كَعَدَمِ التَّبْلِيغِ يَا ذَكِيُّ

(2) هو كتاب: نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، المصري، الحنفي اللغوي الأديب، المتوفى سنة 1069هـ وهو من أحسن شروحه وأوفاها. انظر: خلاصة الاثر، للمحبي 1/ 331، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 280، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 160، وكشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 699.

وإذا رجعنا للقواعد العربية فنتكلم على مفردات هذا التركيب أولا ثم على مركباته إذ المفرد سابق طبعا على المركب.

ولأن الحكم على الشيء فرع تصوره لقول السلم:

وقدم الأول عند الوضع..إلخ

فتحتاج إلى استحضار قواعد العلوم العربية الاثنى عشر المشهورة أو جلها فتقول "ليس" فعل ماض حقيقة في نفي الحال وقد تكون للنفي المطلق مجازاً فلعل هذا الكلام صدر من الغزالي في حالة فنائه وقال في الحال ليس في الإمكان... الخ.

ويفهم منه أن في غير تلك الحال يكون في الإمكان أبدع منه، أو تقول هي للنفي مطلقاً فيجيء الإشكال المتقدم.

ثم تقول "الإمكان" مصدر أمكن الشيء جاز وهو عند المتكلمين ثلاثة أقسام كما أشار له الشيخ الطيب شيخ شيوخنا رحمهم الله عند قول المرشد: "وجائزاً ما قبل الأمرين.. "إلخ[1]

فجعلوا الإمكان الذي أتى ثلاثة أقسام، ثم تقول وهل المراد الإمكان العقلي أو العادي أو الشرعي كما ذكروه في تقسيم الحكم إلى ثلاثة أقسام؟

وأشار إليها في المرشد بقوله: " وحكمنا العقلي قضية .."إلخ[2]

ثم تقول "أبدع" اسم تفضيل من بدع وأبدع الله الخلق أوجدهم وخلقهم لا عن مثال واسم التفضيل يدل على المشاركة والزيادة على أصل الفعل وهل النفي مسلط على المقيد وهو أصل الفعل أو على القيد وهو الزيادة أو عليهما معاً ومما يتعلق بأبدع.

و"كان" مشترك بين معان فيكون تاماً وناقصاً ويكون بمعنى (صار) كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣] كما ذكروه في بحث كان؛ فأنت ترى في كل لفظ من الاحتمالات هذا باعتبار الألفاظ المذكورة.

---

(1) يشير إلى قول ابن عاشر:

وجَائِزاً مَا قَبِلَ الأَمْرَيْنِ سِمْ ... لِلضَّرُورِي وَالنَّظَرِي كُلٌّ قُسِمْ

انظر: المرشد المعين على الضروري من علوم الدين بشرح ميارة، ص:13.

(2) يشير لقول الناظم:

وحُكْمُنَا الْعَقْلِي قَضِيَّةٌ بِلا ... وَقْفٍ عَلَى عَادَةٍ أَوْ وَضْعٍ جَلا

انظر: المرشد المعين بشرح ميارة، ص:12.

فإذا جوزنا احتمال الحذف في الكلام أو أوجبناه اتسع الخرق على الراقع فقد يحتمل الحذف في أول الكلام أو في وسطه أو في آخره وقد يحتمل حذف مضاف أو مضاف فأكثر.

ولذا قال جمهور الأصوليين إن دلالة الألفاظ ولو ألفاظ القرآن ظنية لا تفيد اليقين والقطع إلا إذا انضم لها قرائن خارجة عن الألفاظ كما أشار له أول الكتاب الأول من جمع الجوامع بقوله:" وأن الأدلة النقلية لا تفيد اليقين إلا بانضمام تواتر أو غيره "(1).

وهذه المسألة من علم التوحيد المطلوب فيه القطع واليقين ولا يغني الظن فيه من الحق شيئا ثم تقول هل المراد فيمكن أحسن مما وجد في الماضي.

وأما في الحال فيمكن أو في الحال وأما في غيره فيمكن، أو في الاستقبال وأما في غيره فيمكن، أو لا يمكن أبدع مما سبق في العلم القديم، أو كان مجردة عن الزمان الله أعلم بالمراد.

وكتبته عن عجل في الحين وليس عندي مراد مظنة ذلك من كتب التوحيد والتصوف فلم أطالع شيئا سوى شرح الشيخ الطيب عند قول المرشد: "وجائز ما قبل الأمرين" . والله يلهمنا وإياكم الصواب والحكمة.

وإياك أن تعود للتعلق والبحث عن مثل هذا وأنت في حال البداية فإنه يضرك بل ارجع القهقرى لما يليق بحالك من الأهم فالأهم.

وكتبه إبراهيم بن محمد التادلي عفا الله عنه وعن المسلمين آمين".

ونختتم الترجمة بقصيدة في مدحته أنشأها شيخنا القاضي أبو حامد في مرثيته بعد وفاته التي كانت ليلة الجمعة 18 حجة عام 1311هـ كما تقدم.

وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً لبست فيه البلاد ثياب الحداد ودفن بدار سكناه بالبيت الذي كان يدرس به العلم عملاً بوصيته لأنه كان اتخذه محلاً للدفن في حياته.

وأول من دفن فيه ولد له ثم أحد تلامذته، وهو الطالب السيد المعطي بن الحاج المحجوبي بن سلامة الغَمْري أصلا ثم الرباطي رحمة الله عليه وهذا نص المرثية المشار إليها:

حُكْمُ الإِلَهِ بِذِي الْخَلِيقَةِ جَارِي ... تَفْنَى الْبَرِيَّةُ والْبَقَا لِلْبَارِي

(1) عبارة جمع الجوامع: " (والْحَقُّ أَنَّ الأدِلَّةَ النَّقْلِيَّةَ قَدْ تُفِيدُ الْيَقِينَ بِانْضِمَامِ تَوَاتُرٍ أَوْ غَيْرِهِ)، قال شارحه جلال الدين المحلي: (والْحَقُّ) كَمَا اخْتَارَهُ الإِمَامُ الرَّازِيُّ وغَيْرُهُ (أَنَّ الأدِلَّةَ النَّقْلِيَّةَ قَدْ تُفِيدُ الْيَقِينَ بِانْضِمَامِ تَوَاتُرٍ أَوْ غَيْرِهِ) مِنْ الْمُشَاهَدَةِ كَمَا فِي أَدِلَّةِ وُجُوبِ الصَّلاةِ ونَحْوِهَا فَإِنَّ الصَّحَابَةَ عَلِمُوا مَعَانِيَهَا الْمُرَادَةَ بِالْقَرَائِنِ الْمُشَاهَدَةِ ونَحْنُ عَلِمْنَاهَا بِوَاسِطَةِ نَقْلِ تِلْكَ الْقَرَائِنِ إِلَيْنَا تَوَاتُرًا فَانْدَفَعَ تَوْجِيهُ مَنْ أَطْلَقَ أَنَّهَا لا تُفِيدُ الْيَقِينَ بِانْتِفَاءِ الْعِلْمِ بِالْمُرَادِ مِنْهَا. اهـ من شرح جمع الجوامع، للمحلي: 1/ 100.

وَالْــحَيُّ مَــيْتٌ لَــوْ يَطُــولُ بَقَــاؤُهُ ... ورَحَــى الْــمَنُونِ تَــدُورُ بِالأَغْمَــارِ
لَــكِنْ مَــصَائِبُ ذَا الْمَنُــونِ تَفَاوَتَــتْ ... لا يَــسْتَوِي ذُو الْــعِلْمِ مَــعْ أَغْمَــارِ
أَوْدَى الإِمَــامُ أَبُــو الْمَعَــالِي شَــيْخُنَا الْـ ... ـمَــوْلَى أَبُــو إِسْــحَاقَ ذُو الأَسْــرَارِ
الْــعَالِمُ الْــعَلَمُ الْهُمَــامُ الْمُرْتَــضَى ... فَــخْرُ الــزَّمَانِ وزِيــنَةُ الأَبْــصَارِ
قَــدْ كَــانَ قِــسَّمَ دَهْــرَهُ مُتَعَبِّــداً ... مَــا بَــيْنَ نَــشْرِ الْعِلْــمِ والأَذْكَــارِ
أَحْــيَا بِــهِ الْــمَوْلَى عُلُومــاً جَمَّــةً ... ودَعَــاهُ مَــبْرُوراً لِــخَيْرِ جِــوَارِ
فَــالْعَيْنُ تَــبْكِي بِــالدِّمَا لِفِرَاقِــهِ ... والْــقَلْبُ مَــطْوِيٌّ عَلَــى الأَجْمَــارِ
تَبْكِــي الْمَجَــالِسُ والْمَــدَارِسُ فَقْــدَهُ ... أَسَــفاً عَــلَيْهِ بِــدَمْعِهَا الْمِــدْرَارِ
تَــبْكِي الْمَحَــابِرُ والــدَّفَاتِرُ والْيَــرَا ... عُ وذُو النَّبَاهَــةِ والنُّهَــى والْقَــارِي
مَــنْ لِــلْقَوَاعِدِ مُوضِــحاً إِشْــكَالَهَا ... مَــنْ لِــلْعُلُومِ مُــسَدِّدَ الأَنْــظَارِ
مَــنْ لِــلْفَوَائِدِ والْــفَرَائِدِ مُعْلِنــاً ... بِبَيَانِهَــا مِــنْ غَيْــرِ مَــا اسْتِــصْغَارِ
مَــنْ لِــلْبَيَانِ ولِلْمَعَــانِي والْكَــلا ... مِ ولِــلأُصُولِ ورُتْــبَةِ الــنُّظَّارِ
مَــنْ لِلْحَــدِيثِ ودَرْسِــهِ وعُلُومِــهِ ... وسِمَــاتِهِ ورِجَــالِهِ الأَبْــرَارِ
آهٍ عَــلَى تِــلْكَ الــدُّرُوسِ تَعَطَّلَــتْ ... أَعْــلامُهَا مِــنْ غَــيْرِ مَــا اسْــتِظْهَارِ
آهٍ عَــلَى تِــلْكَ الْمَبَــانِي قُوِّضَــتْ ... أَطْــنَابُهَا مِــنْ بَــعْدِ مَــا إِشْــهَارِ
آهٍ عَــلَى طَــوْدِ الْعُلُــومِ تَضَعْــضَعَتْ ... أَرْكَانُــهُ وعُبَــابُهَا الــتَّيَّارِ
فَــلَئِنْ يَــمُتْ فَــلَقَدْ بَقَــتْ آثَــارُهُ ... مَــا مَــاتَ حَــقّاً تَــارِكُ الآثَــارِ
اخْــتَارَهُ الْــمَوْلَى لِحَــضْرَةِ قُدْسِــهِ ... فَــسَرَى مِــنَ الــدُّنْيَا لِــدَارِ قَــرَارِ
سَــحَّتْ عَلَــى مَثْــوَاكَ جُــودُ غَمَامَــةٍ ... وسَــقَى ضَــرِيحَكَ صَــيِّبُ الأَنْــوَارِ
وَعَــلَيْكَ مِــنْ رَبِّ الْعَــوَالِمِ رَحْمَــةٌ ... تَغْــشَاكَ بِــالآصَالِ والأَبْــكَارِ

* [115] الحاج إبراهيم الجزولي الموسيقي (1325هـ)(1)

صاحب الصوت الرنان والصيت الطائر ابن المثري الشهير السيد محمد الجزولي وبه يعرف، من بيت أولاد لميرو الأندلسي.

(1) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 375.

كان المترجم أديباً فاضلاً يتعاطى التجارة ثم انصرفت همته إلى علم الموسيقى وصنعة النشيد والتلحين الصوتي فشغف بها حتى برع فيها براعة لم تعرف لغيره وصار المقدم في مجالس الأمداح النبوية إذا حضرها لا يتقدم عليه غيره إلى أن توفي عام 1325هـ، فقام مقامه في ذلك شقيقه مقدم الطريقة الحراقية السيد الحاج بوشعيب الجزولي.

*** [116] السيد الحاج بوشعيب الجزولي (1327هـ)[1]**

الرجل التقي الصالح الذاكر الخاشع المشهور بالمدح النبوي في محافل الأخيار ومجامع الأذكار إلى أن توفي عام 1327هـ.

ذكر من اسمه أبو بكر

*** [117] أبو بكر بن حافظ الرباط أبي العباس الغربي[2]**

وقفت على ذكره بتركة أولاد الغربي من بين أولاد الفقيه الحجة الإمام السيد أحمد الغربي حافظ الرباط وقد حُلِّيَ المترجم فيها بالفقيه العلامة، الأمر الذي يدل على أنه كان من أعلام الرباط مثل شقيقه العلامة السيد المعطي الآتي، وأخيه للأب القاضي أبي عبد الله الغربي المتقدم.

*** [118] الشيخ أبو بكر البناني (المتوفى سنة 1284هـ)[3]**

هو أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عبد السلام البناني، النفزي، الكندي، الرباطي الدار والمنشأ، الدباغي نسبة، الدرقوي طريقة، الشاذلي شريعة، الصوفي حقيقة، كذا نسب نفسه في بعض تقاييده، ومن خطه نقلت.

كان رحمه الله من أعاظم العلماء العاملين والشيوخ المربين الحاملين لواء الطريقة الجامعين بين الشريعة والحقيقة.

أخذ عن شيوخ وقته بالرباط ثم رحل إلى فاس فاشتغل بمدرسة الصفارين[4] سنين

---

(1) كان المترجم مدرجاً في سياق الترجمة السابقة في الأصل المنقول منه وقد قمنا بفصلها، وانظر ترجمة الحاج بوشعيب الجزولي في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 290.

(2) لم أقف على ذكره فيما بين يدي من مصادر.

(3) انظر ترجمته في: المجد الشامخ فيمن اجتمعت به من أعيان المشايخ، لأبي محمد فتح الله البناني، ولَدِ المترجَم، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 188، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 236، والإعلام، للسملالي: 2/ 222، والأعلام، للزركلي: 2/ 70، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 3/ 73.

(4) مدرسة الصفارين: هي مدرسة أسسها السلطان أبو يوسف يعقوب المريني، حوالي سنة 675هـ فسميت بالمدرسة اليعقوبية نسبة له، وأصبحت تعرف فيما بعد بمدرسة الصفارين. انظر: زهرة الآس، ص: 81.

عديدة يتعاطى العلم عن شيوخ القرويين إلى أن قضى من علوم المعقول والمنقول وطره ثم رد بجماع عزمه إلى علم التصوف والطريق فأسلم نفسه للعارف المربي الشهير السيد عبد الواحد الدباغ[1] وعلى يده لاحت أنوار العناية الإلهية وأدرك ما أدرك من المعارف والعوارف الحقانية؛ فعاد لمسقط رأسه وقد ملأ الوطاب علماً وأدباً وحكمةً حيث تصدى للإرشاد ونفع الأمة.

وبواسطته فتح الله على أقوامٍ في علمي الظاهر والباطن تكفل بذكرهم وتراجمهم فلذة كبده ووارث سرِّه من بعده العارف بالله تعالى الشيخ فتح الله البناني في طبقاته المسماة بـ "المجد الشامخ فيمن اجتمعت به من المشايخ"، وقد ألم فيها بكثير من مناقبه وأحواله وذكر أن تآليفه تنيف على الستين مؤلفاً كلها في غاية الإتقان والتنسيق والبراعة تدل أي دلالة على جلالة مؤلفها ورسوخ قدمه في العلوم على العموم.

ولعمري إن كل من راجع كتاباته على اختلافها وتنوع موضوعاتها ومشاربها يُكبِّر عجباً من براعته وقوة يراعته ويوقن أنه في كل مجال رجل من أعاظم الرجال، وقديما قيل: الرجال صناديق ومفاتيحها ألسنتها، والقلم أحد اللسانين.

وناهيك برسائله المطبوعة المسماة بـ "مدارج السلوك إلى مالك الملوك"[2] وكتاب الفصول المسمى بـ "بغية السالك وإرشاد الهالك"، وشرحه على الحكم العطائية المسمى بـ "الغيث المسجم في شرح الحكم"[3] في أربع مجلدات، و"الفتوحات القدسية في شرح القصيدة النقشبندية"[4] التي أولها:

مَــنْ ذَاقَ طَعْــمَ شَــرَابِ الْقَــوْمِ يَدْرِيــهِ ... ومَــــنْ دَرَاهُ غَـــدَاً بِـــالرُّوحِ يَـــشْرِيهِ

---

(1) هو: أبو محمد، عبد الواحد بن علال بن إدريس، الشريف الحسني الإدريسي؛ الشهير بالدباغ صوفي شهير من أعلام الطريقة الدرقاوية توفي سنة 1271هـ. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 291.

(2) هو كتاب: مدارج السلوك إلى ملك الملوك طبع بالقاهرة، 1329هـ وبهامشه كتاب: "عقد الدر واللآل في بيان فضل الفقر والفقراء وفضيلة السؤال". لابن المترجَم الشيخ فتح الله، وبآخره "الفتوحات الغيبية شرح الصلوات المشيشية" وشرح المترجم لأبيات ابن عربي التي أولها "تطهر بماء الغيب..". انظر: معجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 591.

(3) لم أقف على هذا الشرح للحكم.

(4) هذا مطلع قصيدة حال السلوك، لأبي المعالي: محمد بن عبد الدائم بن محمد بن سلامة، ناصر الدين، المعروف بابن بنت الميلق، الشاذلي المصري المتوفى سنة 797هـ شرحها محمد بن علان الصديقي الشافعي المتوفى بمكة سنة 1057هـ وطبعت مع الشرح في القاهرة سنة 1305هـ. انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 1/ 624، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 189، واكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لإداورد فنديك، ص: 135.

و"الفتوحات الغيبية في شرح الصلاة المشيشية"[1]، و"بلوغ الأمنية في شرح حديث إنما الأعمال بالنية" و"تحفة الملوك والممالك في شرح ألفية ابن مالك" شرح بالإشارة والفتح الوهبي في التعريف بشيخه مولاي عبد الواحد وشيخه مولاي العربي، وكتاب "الفصول الفاصلة في بيان الزاد والراحلة"، و"تحفة الملوك في قول الرسول لعلي أنت أخي وأنا أخوك"[2]، و"حديقة الأزهار في نتائج الصمت وما فيه من الأسرار" و"فتح المتعال في كشف آفات المنازل والأحكام" وشرح على نوابغ الزمخشري الشهيرة، وشرح على الأبيات الثلاث المنسوبة للحاتمي وهي:

تَطَهَّرْ بِمَاءِ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ ذَا سِرِّ ... وَإِلا تَيَمَّمْ بِالصَّعِيدِ أَوِ الصَّخْرِ
وَقَدِّمْ إِمَاماً كُنْتَ أَنْتَ إِمَامَهُ ... وصَلِّ صَلاةَ الظُّهْرِ فِي أَوَّلِ الْعَصْرِ
فَهَذِي صَلاةُ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ ... وإلا فَانْضَحْ لُجَّةَ الْبَرِّ بِالْبَحْرِ

وكتاب "الوصايا والنصائح" يشتمل على حكمه و"الطبقات" في ذكر شيوخه إلى غير هذا من المؤلفات والمصنفات.

ومن شعره قصيدته المسماة "هدية المريد"، مطلعها:

حَقِيقَةُ جَمْعِي فِي افْتِرَاقِي وهِمَّتِي ... تَمُدُّ جَمِيعَ الْكَوْنِ فِي الطَّيِّ والنَّشْرِ

وقصيدته اللامية المسماة بـ "الجوهرة في مدح من جاء بالحق وشهَّره"، ومطلعها:

قَدَّتْ فُؤَادِي ذَاتُ الْحُلْيِ والْحُلَلِ ... وتَيَمَّتْنِي بِبُعْدِ الرَّبْعِ والطَّلَلِ

ومن فوائده ما كتب به لبعض الفقهاء جواباً عن سؤال طويل حاصله السؤال عمّا يفهم من الحلول والاتحاد في كلام الصوفية مثل قول القائل:

أَنَا مَنْ أَهْوَى ومَنْ أَهْوَى أَنَا ... نَحْنُ رَوْحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا

---

(1) هي دعاء وصلوات شهيرة لأبي محمد، عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي، الإدريسي، الحسني، المولود في جبل العلم، بثغر تطوان، وقتله جماعة بعثهم رجل يدعى ابن أبي الطواجين المتنبئ الساحر الكتامي ودفن بقنة الجبل المذكور. انظر ترجمته في: طبقات الشاذلية، ص:58، وشرح محمد بن علي الخروبي للصلاة المشيشية مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (245د)، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 2/ 1553.

(2) أخرجه أحمد في "فضائل الصحابة: 2/ 597، رقم (1055): عن عمر بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً فقال: يا رسول الله، آخيت بين الناس وتركتني؟ قال: «ولم تراني تركتك؟ إنما تركتك لنفسي، أنت أخي، وأنا أخوك، فإن ذاكرك أحد فقل: أنا عبد الله وأخو رسوله، لا يدعيها بعد إلا كذاب» وأخرجه ابن حبان في الضعفاء المجروحين: 2/ 92، ترجمة عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفي.

فَإِذَا أَبْصَرْتَنَا أَبْصَرْتَهُ   وإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا

ونص الجواب بعد أسطر الافتتاح:

"اعلم أن أرْبَابَ الفناء في محبةِ الحَقِيقَةِ الأصْلِيَّة من أكَابر كُمَّل العَارِفِينَ لَمَّا تَزَكَّت نفُوسُهم من رِجْسِ الشَّهَوَات وتطهَّرت من مُتابعة الهَوَى وخَلُصَت أرْواحُهم من غيمِ الغَفلة، اشْتاقَ فؤادهم للوُرُودِ من مَاء الجَبَرُوت بعْدَ تبَخْتُرِهِم في رِيَاضِ المَلَكُوت وصَاروا من تلك الْـمَوَاجِدِ التي مُنِحُوا بِهَا فَضْلاً من الله ذاهِلِينَ عن رُؤيةِ وجُودهم برؤية مَعبُودِهم ووَالِهِينَ بشُهُودِ ذَاتِ سَيِّدِهم، فَبِسَبَبِ ذُهُولِهِم به هَامُوا وجْداً وطَرَباً واختلفَتْ عِبَاراتُ نَتَائِجِ أحْوَالِهِم، فقائل: سُبْحَانِي..، وقائل: أنا مَنْ أَهْوَى ومَنْ أَهْوَى أَنَا.. إلى غير ذلك.

ومِثْلُ هَذَا مَزَلَّةُ الأقْدَام فإن مَنْ لَيس لهُ قَدَمٌ راسِخٌ في التَّوْحِيدِ يظُنُّ الحلُولَ والاتّحادَ تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

وحَاصلُ مَا يُقَالُ أنَّ كَلامَ هَؤلاء السَّادَاتِ نشَأَ عَنْ ذَوْقٍ ووُجْدَان فَصَارَ كَلامُهُم بِمَنزلةِ المتَشَابِهِ مِن القرآن فطَائفة أمْسكَتْ عن الخَوْضِ فيه وقالت: هَذَا كَلامُ سُكْرٍ يُطْوَى ولا يُحْكَى، وطَائفة تكلَّمت فيه بفَتح بابِ التَّأويل.

وقالوا معنى قوله: أنا مَنْ أَهْوَى.. إلخ، من بَابِ حَذْفِ أَدَاةِ التَّشْبِيهِ أَيْ كَأَنِّي من أهوى، وقول القائل " سُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَاني " إمَّا أن يكُونَ جرى ذلك على لسانه في معرض الحكاية عن الله عز وجل وإما أن يكون قد شاهد كَمَالَ حظِّه من صِفَاتِ الْقُدُس وذلك لَمَّا تَرقَّى بالمعرفة على المَوْهُومَاتِ والْمَحْسُوسَاتِ بالْغَيْبَةِ عَنِ الحظُوظِ والشَّهَوَاتِ فأَخْبَرَ عن قُدُسِ نفْسِهِ فَقَالَ: " سُبْحَانِي مَا أَعْظَمَ شَانِي" وإمَّا أنْ يكُونَ هَذَا مِنْهُ في حَالِ سُكْرِهِ وغَلَبَةِ شُهُودِهِ والرُّجُوعِ إلى الصَّحْوِ يُوجِبُ حِفْظَ اللسان والوقوف مع حدود الشريعة فإذا جاوز العقل هذه التأويلات وسكن إلى الاتحاد قلنا له هذا المحال ولم تعرف الرجال بالحق بل عرفت الحق بالرجال، وهذا ما أعطاه الدليل العقلي لأهل العقل وإلا فثم أمور لا يمكن كشفها لخروجها عن دائرة العقل فمن ذاق عرف ومن لم يذق فلا حرج إذا سلم الأمر لأهله واعترف، فعليه أن يتلقاها بالقبول ويعترف بعجزه عن مدرك الفحول:

وَإِذَا لَـمْ تَـرَ الْهِـلالَ فَسَلِّمْ   لأُنَاسٍ رَأَوْهُ بِالأَبْصَارِ

على أنَّ هذه المَعَالِمَ والمَرَاقِي لا يُدْرِكُ حقائقها إلا السالِكُونَ وُجْدَاناً والْعُلَمَاءُ تَصْدِيقاً وإيماناً وهو توحيد الخواصِّ فَمَن قصَّر عنهُ فلا ينبغِي له أن يسْتَبْعِدَ الوُصُولَ لهذا المَقَامِ الكَرِيمِ

فَلَيْسَ بعزيز على الفتاح العليم فعليه القيام بحق الأسباب ومن الله رفع الحجاب ومن جد وجد، وبالجملة فاعلم يا فقيه أن هؤلاء السادات يجردون الوحدة لله تعالى على بساط التفريد ولا يرون للغير وجودا بل كل ما سوى الله مستهلك في عين التوحيد على الحقيقة، وهذا هو توحيد الخلاص وعقيدتهم منزهة عن الحلول والاتحاد والتشبيه والتعطيل لأنهم لم يثبتوا معه غيره ثبوتا حقيقيا حتى يعتقدوا حلوله واتحاده به وحيث ما وجدت الظرفية في كلامهم استحالت الاثنينية في مقامهم وافهم هذا من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:3] وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] .

وتأمل ذلك بنعمة الذوق تنفتح لك أبواب مغلقات وتحل به كثيرا من المشكلات وربك الفتاح". انتهى الجواب باختصار وحذف.

ومن إنشاءاته ما كاتب به أخاه الفقيه السيد التهامي البناني الآتي ذكره، ونص الكتاب بعد سطر الافتتاح:

"حمداً لمن وشَّح منطق البلغاء بجواهر المنطق وفصاحة البيان وحلى جيود غرثى الوشاح من بنات أفكارهم لآلي البلاغة والتبيان فَأَرْعَفُوا مَخَاطِمَ اليُرَاعَةِ وأرْهفوا مخادم البراعة وجابوا جياد فكرتهم في ميدان المعاني فأماطوا خمار عويصة المباني واقتحموا خوض لجة قاموس البديع فحلوا صحاح جوهره البديع، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المعجم بفصاحة لسان كل من انتمى إلى الفصاحة وادعى فخرا، القائل: «**إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا**»[1] وأفضل من نطق بفصل الخطاب وأكرم من حضر نادي الجواب، صلى الله عليه وسلم ما هب نسيم الصبا وفاح وهز أعطاف الرياحين والأرياح، وعلى آله وصحبه الذين أقاموا الدين وأشادوا مناره وأسسوا بنيانه ودعائمه بنصب الإمارة وجعلوا المروق عنها على النفاق أمارة، ما رنَّم الورق فنون ألحانه بالأفنان، وأمَّ ركبٌ وجَابَ وَهْدَ نجدٍ ومنعطف البان.

هذا وقد كنت قبل اليوم كتبت إليك كتاباً جواباً لما وجهته إلينا وأنبأتك فيه أن القريحة

---

(1) أخرجه البخاري مختصراً في صحيحه عن أبي بن كعب، في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه: 5/ 2276، برقم (5793).

وأخرجه بلفظه الطبراني في الكبير: 10/ 167، برقم (10345) عن عبد الله بن مسعود.

سالت بأبيات من أجلِّ ما سمعت من الأهوال، ووعدت بإرسالها إليك لكنها حين الكتب لم تكن كاملة، وما كان قصدي فيها إلا التأسي والتوجع لما حلَّ بكم.

لكن لما كنت في أثنائها طالعها بعض الأدباء فاستحسنها غاية الاستحسان وقال لي: إن مثل هذه القصيدة لا يصلح أن تقال إلا في أمير الوقت أو وزيره.

فقلت له: يا فلان إن دار النوال قد خرجت وما بقي للإنسان ما يقصد على أنني لست أهلا لخطاب ذلك المقام، إذ إنما أساجل بالمعنى من أجل القريحة.

فحث علي وأكد فقوى عزمي إلى ذلك وصرفت إليه عنان التوجه فجاءت بحمد الله رائقة المبنى غريبة الألفاظ والمعنى، فلما كملت قيدتها ووجهت بها إلى الممدوح وسألت منه الجمع به كما ستراه إن شاء الله فجاد به مع الخلوة وقال لي: أنت فلان؟ قلت: نعم. قال لي: أنشدك الله هل أنت القائل: قف بالمطي.. لخ؟ قلت: اللهم نعم. قال لي: اسأل ما تريد. قلت له: حسبي رؤيتك. فقال لي: ثم ماذا؟ قلت: ما لا يخفى عليك. فقال لي: يكون خيراً.

ثم بعد الغد أرسل إلي بعشرين مثقالاً واعتذر إليَّ، ثم طلب مني أن أكون معه من الكُتَّاب فاعتذرت له بأعذار من جملتها أنني قليل الجدوى فيما يطلبه مني وأنني قليل الأدب في تلك الحضرة وأنني لا زلت أطلب العلم فما قبل مني ذلك إلا بعد أن تعلقت بأذيال من له وجاهة فأقال عثرتي على شرط إن أردت السفر أعلمته فقلت نعم. وها أنا أخي أردت رسم ذلك ليكون تذكرة لنا لديكم فإننا لا ندري أيجمع الله الشمل أم لا وأرجوه أن يمن علينا به إنه على ما يشاء قدير وها أنا أكتب لك على كل بيت ما هم من غرابة لفظه، بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى، وإن عثرت على خطأ فسامحنا فإن الكمال لله تعالى. ثم أنشد القصيدة وهي:

قِــفْ بِــالْمَطِيِّ[1] رَعَــاكَ اللهُ مُهْـدِيهَا ... إِنْ جُـزْتَ نَجْـدَ رِبَـاطِ الْفَـتْحِ وابْكِيهَـا
وَهَــلْ سُـؤَالُ فَـتًى قَـدْ شَـاقَهُ وَطَـنٌ ... عَـنْ جِـيرَةٍ قَـدْ عَفَـتْ أَطْـلالُ نَادِيهَـا
وَسَــلْ عَــقِيقاً صَــفَا بِـصُفْرِ بَلْقَعِهَــا ... إِنْ شِـمْتَ سَـلْعَ النَّقَـا أَوْ خِلْـتَ بَانِيهَـا
وَعَــفِّرِ الْــخَدَّ واسْــمَعْ وُرْقَ أَيْكَتِهَــا ... بَــلابِلَ الــشَّوْقِ فَــهْيَ مِنْــكَ تُنْبِيهَـا
وَعَــطِّرِ الــرُّدْنَ مِــنْ عَــرْفِ الرِّبَــاعِ إِذَا ... وَصَــلْتَ ذَاكَ الْحِمَــى وحَــيِّ حَامِيهَـا

---

[1] في الأصل: (المثنى) وقد أثبتنا ما أثبتناه أعلاه استئناساً بآخر أبيات القصيدة وهو قوله:

مَــا أَنْــشَدَ الْــوُرْقُ بِــالْحُلالِ يَطْرِبُنَـا ... قِــفْ بِــالْمَطِيِّ رَعَــاكَ اللهُ مُهْــدِيهَا

وَاخْضَلَّ جَمِيمَهُ مِنْ مُزْنِ الْمَحَاجِرِ إِنْ ... حَلَلْتَ وَدَفْتَهَا[1] شَوْقاً ونَادِيهَا
يَا مَعْهَدَ الأُنْسِ يَا مَأْوَى السُّرُورِ وِيَا ... مَشْرِق شَمْسِ الْمُنَى وِيَا تَجَلِّيهَا
عَهِدْتُ وُرْقَ قِيَانِ الْيُمْنِ صَادِحَةً ... تُنْبِئُ بِالْبِشْرِ مَنْ أَتَى يُنَاجِيهَا
تَسْمُو الْمَنَابِرُ مِنْ أَيْكٍ وقَدْ سَفَرَتْ ... مِنْ خِدْرِهَا وسَفِيرُ الْجَذْلِ يُوحِيهَا
وَالرَّوْضُ يَخْضَلُّ والأَغْصَانُ مَائِسَةٌ ... والطَّلُّ يَنْظِمُ دُرّاً فِي تَرَاقِيهَا
وَالْيَوْمَ أَطْلالُهَا أَصْبَحْنَ مَاحِلَةً ... أَبْكِي عَلَيْهَا ومَا أَدْرِي أَسَامِيهَا
تَهْمِي لِفُرْقَتِهَا عَيْنَايَ وَا حَرَبَا ... تَشْكُو الظَّمَى غُلَّةً والدَّمْعُ سَاقِيهَا
كَمْ لَيْلَةٍ بِتُّهَا أُذْكِي الْهُمُومَ بِهَا ... حُزْناً وأَزْمَةُ زَنْدِ الْبَيْنِ تُذْكِيهَا
أَلا وحَقِّ نِكَالِ الْبَيْنِ إِنْ لَفَحَتْ ... نِيرَانُهُ وطَغَى بِالطَّعْنِ بَاغِيهَا
إِنْ لَمْ يُقَلِّصْ زَمَانُ الْهَجْرِ ذَيْلَهُ قَدْ ... فَقَأْتُ مُقْلَتَهُ بِالشُّهْبِ أُغْمِيهَا
بَلْ أَشْتَكِيهِ إِلَى حَامِي الذِّمَارِ ومَنْ ... لا زَالَ لِلْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ يَحْمِيهَا
مَنْ خَاضَ لُجَّةَ بَحْرِ الْجُودِ فَاقْتَنَصَتْ ... سَوَاعِدُ السَّعْدِ مِنْهُ قَهْراً آبِيهَا
مَا رُمْتُ مَدْحَهُ إِلا انْثَالَ شَارِدُهُ ... وأَصْبَحَ الدُّبْرُ بِالإِقْبَالِ رَاوِيهَا
بُشْرَاكَ قَلْبِي فَالإِسْعَادُ قَدْ سَفَرَتْ ... مُفْتَرَّةً وبَرِيقُ الْيُمْنِ يُغْشِيهَا
وَغُرَّةُ الدَّهْرِ والأَيَّامُ بَاسِمَةٌ ... وأَوْجُهُ الْبِشْرِ بِالأَقْيَالِ تُهْنِيهَا
انْبِذْ عَصَا السَّيْرِ قَدْ وَفَيْتَ سَاحِلَهُ ... واعْقِلْ رِحَالَكَ فَالإِدْلاجُ يُدْمِيهَا
وَانْشُدْ لَدَيْهِ بِصَوْتٍ مِنْكَ مُبْتَهِلاً ... بَيْتاً جَرَى مَثَلاً لِلْعَقْلِ تَنْبِيهَا
لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إِلا مَنْ يُكَابِدُهُ ... ولا الصَّبَابَةَ إِلا مَنْ يُعَانِيهَا
مَوْلايَ صُغْتُ مَعَانٍ لَسْتُ أُحْسِنُهَا ... لَوْلا مَدِيحُكَ كَادَ الْبَيْنُ يُفْنِيهَا
فَهَاكَ بِكْراً ومِنْ خِدْرِ الْجَمَالِ بَدَتْ ... زُفَّتْ إِلَيْكَ ولَيْسَ الْغَيْرُ يُفْضِيهَا
مِنْ فِكْرَةٍ قَدْ وَهَتْ خُيُولُ نُصْرَتِهَا ... فَغَادَرَتْ سَرْحَهَا والنَّجْمُ يَرْثِيهَا
وَاقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ أَمَّتْ رَكَائِبُهُ ... تُدْمِي مَنَاسِمُهَا تَزْجُو أَمَانِيهَا
حَسْبِي لَدَى الْعَرَبِي الْمُخْتَارِ رُؤْيَتُهُ ... مِنِّي سَلامٌ عَلَى الدُّنْيَا ومَا فِيهَا

---

(1) الوذفة: الرَّوْضة الناضرة. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 9/ 354، مادة (ودف).

أَبْــقَاكَ رَبِّــي لِــهَذَا الــدِّينِ تَنْــصُرُهُ يَـا ابْـنَ الْكِـرَامِ ومَـنْ قَـدْ سَـادَ تَنْوِيهَـا
وَدُمْ لِـــرَفْعِ لِـــوَاءِ الْـــمُلْكِ مُـــتَّئِداً تَـحْمِي الْـوِزَارَةَ قَـدْ أَمْـسَيْتَ حَامِيهَـا
مَــا أَنْــشَدَ الْــوُرْقُ بِــالْحُلاَلِ يُطْرِبُنَــا قِـــفْ بِـــالْمَطِيِّ رَعَـــاكَ اللهُ مُهْـــدِيهَا

فهذا ما سمحت به أفكارنا والعجب من رجل تغرب عن وطنه وأهله ومع ذلك يستلذ طعام الحلاوة وتنتج أفكاره تلك مع شدة القساوة؛ لكن من خرق حجاب الوهم استراح، قلص الله ظل هذه الغربة فقد طال وجمع شملنا على أتم مراد وأكمل حال.

ونحب منك أن تحافظ عليها من الضياع لأنني ما أوجه إليك بهذا الأمر إلا بقصد المحافظة عليه ولو قيدته بكناشك ما ضرَّ ولكان أحفظ، وقد علمت أن بمثل هذا المعنى ملئت الدواوين ودونك تجد الكاتب يقول: كتب إلينا فلان يوم كذا سنة ذا بهذه الأبيات وينشد ما كتب به إليه.

ولا تدري يا أخي ما يفعل بنا الدهر وقد كنت قبل اليوم بزمان نحو السنة وجهت إليك بقصيدة أخرى هائية مطلعها:

مَا لِلْمَعَاهِدِ مِنْ لَيْلَى أُلاَقِيهَا .. لخ

ولم تخبرني بوصولها إليك على أن القدماء كانوا إذا ظفرت أكفهم بمثل ذلك حلوه بسبائك إبريز أفكارهم ومالت به نفوسهم طرباً وإياك ثم إياك أن تقول: إن أخي اشتغل بما لا يعنيه من تعاطيه هذه الأحوال، فإنه يا أخي ما أخذ مني الأدب حقه ولا زلت متعاطيا للعلوم التي كنت بصددها وقد تقوَّى باعثي على الحديث النبوي وأما الفقه والنحو والبيان وغيره فقد أخذنا فيه الكفاية ما عدا علم الحساب فإن بضاعتي فيه مزجاة وأقول إذا كنت بداري قرأته إن شاء الله.

وأخبرك بأن الوزير طلب مني قصيدة ملحونة في أمة اسمها فارحة وقد شرعت فيها عفا الله عنا وعنه.

وإنما أطنبت في هذا الكتاب تلذذاً بخطابك وارتياحاً لمناجاتك وهو السر في جواب موسى حيث قال: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٨] والسلام. (انتهى ببعض اختصار)

توفي رَحِمَهُ اللهُ ضحوة يوم الأربعاء السابع عشر من جمادى الثانية سنة أربع وثمانين بعد المائتين والألف ودفن بزاويته الشهيرة المعروفة باسم الزاوية البنانية بالسويقة،كانت بقعة

خالية وهبت له أيام حياته وبنيت بعد وفاته، وضريحه داخلها معروف مقصود للزيارة والتبرك، سقاه الله من شآبيب الرحمات وطيب ثراه بطيب النسمات.

ذكر من اسمه أبو يعزى

* [119] الشيخ أبو يعزى كراشكو الأندلسي[1]

أحد رجال الخير والصلاح أهل الكرامات والمقامات والدلالة على الله بالأقوال والأفعال، كان في عصر الشيخ العكاري ومن خواص أصحابه، وكان الشيخ المذكور ممن يعتقده ويحدث بما يشاهد فيه من الخوارق[2]، ولو لم يكن من مفاخره سوى هذا لكفى، وقد تقدم ذكره في ترجمة ولده القاضي كراشكو بما فيه اكتفا.

* [120] أبو يعزى المسطاسي[3]

تلميذ الشيخ العكاري وأحد خاصته، وأصله من سلا ثم استوطن الرباط بقصد الأخذ عن الشيخ المذكور والانقطاع لخدمته، وهو أول من ألف في مناقبه وأخباره وترجمته كما جاء ذكر ذلك عند الحفيد العكاري في فهرسته[4].

* [121] أبو يعزى الدقاق[5]

أديب الرباط الفقيه السيد أبو يعزى ابن الفقيه العدل السيد محمد الدقاق الدغمي الأصل الرباطي الدار أخو العلامة المجاور السيد محمد بن محمد الدقاق المتقدم.

وقفت على ذكره في ديوان شيخه وصهره القاضي مرينو الكبير حيث ذكر أنه جامع الديوان من الإنشاء البديع ما يذعن له الحريري والبديع.

* [122] أبو يعزى بن مالك (المتوفى سنة 1245هـ)[6]

صاحب الضريح بباب الجديد[7]، أصله من زناتة وكان من أهل الحال والجذب

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 91، وقد رسمت فيه (كراشك) هكذا بدون واو.

(2) انظر البدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري: لوحة رقم 83/ أ.

(3) انظر ترجمته في: البدور الضاوية، للعكاري، لوحة رقم:17/ ب.

(4) انظر: المصدر السابق: لوحة رقم 94/ أ.

(5) لم أقف عليه في ما بين يدي من مصادر.

(6) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 154، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 146.

(7) باب الجديد من أعمال السلطان محمد بن عبد الله ويطلق عليه -كذلك- باب مراكش، جَدَّدَ بناءه في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي المولى محمد بن عبد الرحمن، ولهذا تسمى باب الجديد. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 306 و327.

والاستغراق.

تؤثر عنه كرامات تدل على أنه من أهل المقامات وأصل مقامه مقبرة كانت معدة للدفن ثم بناها وشيد عليه القبة المائلة للآن البعض من آل بلا فريج بسبب رؤية منامية رآها عند تأسيس الفندق الذي بجواره على ما قيل من جملة أخباره.

ذكر من اسمه إدريس

*** [123] سيدي إدريس**

به عرف بين أولياء الرباط الذين لا تعرف لهم ترجمة، وهو صاحب الضريح بالعلو.

*** [124] الحاج إدريس بن الوزير بن إدريس (المتوفى سنة 1296هـ)**(1)

هو الحاج إدريس بن الوزير الشهير أبي عبد الله محمد بن إدريس بن الحاج الزموري العمراوي، أديب أعجزت مفاخره كل ناقل فبرز على كل فاضل في جميع أنواع الفضائل والفواضل.

أصله من مراكش الحمراء وهو مسقط رأسه وللرباط كان مآله وهو مغرب شمسه.

ترجمه صاحبنا العلامة المؤرخ القاضي السيد عباس بن إبراهيم المراكشي وذكر أنه كان فقيهاً كاتباً أديباً بارعاً ناظماً ناثراً صاحب أخلاق حسنة وأفعال مستحسنة مقتصداً في أمور معيشته وأنه كان ينهى نساءه عن ترفيه أولاده ولا يتركهم يبالغون في الإسراف.

وكان عيبة سر الوزير أبي عمران(2) وجامع أسراره، ولما أفضت الخلافة للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن(3) وجهه سفيراً إلى أسبانيا مرة ومرة أخرى إلى فرنسا كما في الجيش العرمرم لأكنسوس، وسفارته إلى فرنسا خرج إليها من فاس في ثالث عشر ذي القعدة عام ستة وسبعين ومائتين وألف، وأقام بباريز اثنين وأربعين يوماً كتب فيها رحلة سماها تحفة الملك العزيز بمملكة باريز(4)، طبعت بفاس.

---

(1) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 3/ 22، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 267.

(2) هو: أبو عمران، موسى بن أحمد، المتوفى سنة 1296هـ. انظر ترجمته في الاستقصا، للسلاوي: 3/ 165.

(3) هو: محمد بن عبد الرحمن بن هشام، الحسني، من ملوك الدولة السجلماسية العلوية بالمغرب الاقصى، بويع في أوائل سنة 1276هـ. انظر ترجمته في: الاستقصا، للسلاوي: 4/ 211، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 3/ 366.

(4) هو كتاب: تحفة الملك العزيز بمملكة باريز توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة عبد الله كنون، تحت رقم (10549) وأخرى بالخزانة الحسنية تحت رقم (10275).

وهو الذي جمع ديوان والده للسلطان مولاي الحسن قدس سره[1]، وله هو من إنشائه قصائد طنانة مولدية سارت بفصاحتها وبلاغتها الركبان، منها قصيدة أنشأها بفاس عام أربعة وتسعين ومائتين وألف وأنشدت بين يدي السلطان المقدس يقول في مطلعها:

عَـــلامَةُ إِضْـــمَارِ الْـــمَحَبَّةِ لا تَـــخْفَى   ونَارُ هَوَى الْمَحْبُوبِ فِي الْقَلْبِ لا تُطفَى

وأخرى قالها عام خمسة وتسعين وأنشدت بين يدي السلطان بمراكش يقول في مطلعها:

يَـــا حَادِيـــاً يَقْطَـــعُ الـــسَّبَاسِبْ   يُنْـــشِدُ طَبْعـــاً مِـــنَ النَّـــسِيبْ

وهي طويلة تنيف على المائة جاءت على طريق التوشيح

وقال مطلع أخرى أيضا في المديح:

أَكَـــاتِمٌ أَنْـــتَ أَمْ هـــوَاكَ إِعْـــلانُ   وهَـــلْ يُفِيـــدُ الْهَـــوَى الْعُـــذْرِيَّ كِتْمَـــانُ

ومن شعره:

أُحِـــبُّ مِـــنَ الـــدُّنْيَا بَقَـــاءَ وَلِيـــدَةٍ   رَدَاح حَـــوَتْ مِـــنْ لُطفِهَـــا غَايَـــةَ الظُّـــرْفِ

يَـــطِيبُ بِهَـــا عَيْـــشِي وتَأْنَـــسُهَا نَفْـــسِي   ويَزْهُـــو بِهَـــا لُبِّـــي ويَلْهُـــو بِهَـــا طَرْفِـــي

ومما سار من شعر المترجم سير الشمس تخميسه لأبيات سيدي علي بن وفا[2] (عيدوا إلي الوصال عيدوا) وهو:

أَحِـــبَّتِي طَـــالَتِ الْـــعُهُودُ   رِقُّـــوا لِمُـــضْنًى بِكُـــمْ عَمِيـــدُ

لَيْسَ عَلَى ذَا الْجَفَا مَزِيدُ

(عِيـــدُوا إِلَـــيَّ الْوِصَـــالَ عِيـــدُوا   فَـــإِنَّ وَجْـــدِي بِكُـــمْ جَدِيـــدُ)

أُقْـــسِمُ بِالـــسَّبْعِ الْـــمَثَانِي   مَـــا بِـــفُؤَادِي سِـــوَاكُمْ ثَـــانِي

فَحَرِّكُوا رَنَّةَ الْمَثَانِي

(وَقَـــدْ بَـــدَا الْوَصْـــلُ والتَّـــدَانِي   فَـــالْقُرْبُ لِـــلْعَاشِقِينَ عِيـــدُ)

مُـــضْنًى ذَوُوهُ قَـــدْ أَوْحَـــشُوهُ   بِـــالْمَطْلِ والـــتِّيهِ أَعْطَـــشُوهُ

---

(1) هو: أبو علي، الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام، الحسني، السجلماسي، من ملوك الدولة السجلماسية بالمغرب، ولي الحكم سنة 1290هـ وتوفي سنة 1311هـ.انظر ترجمته في: الاستقصا، للسلاوي: 4/ 235، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 2/ 115.

(2) هو: أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن وفا القرشي، الأنصاري، السكندري الأصل، الشاذلي، المعروف بابن وفا، فقيه، صوفي، شاعر. انظر ترجمته في: الضوء اللامع، للسخاوي: 6/ 21، وشذرات الذهب، لابن العماد: 7/ 70.

فَدَارِكُوهُ وأَنْعِشُوهُ

(خُذُوا فُؤَادِي وفَتِّشُوهُ وقَلِّبُوهُ كَمَا تُرِيدُوا)

أَقْلَقَهُ بَعْدَكُمْ نَوَاكُمْ وهْوَ الْمَحَلُّ الَّذِي حَوَاكُمْ

مَا الْقَلْبُ فِيهِ سِوَى هَوَاكُمْ

(فَإِنْ وَجَدْتُمْ بِهِ سِوَاكُمْ عَلَيَّ زِيدُوا الْبِعَادَ زِيدُوا)

توفي بالرباط بنزلة صدرية نزلت به بعد موت الوزير السيد موسى وسفره مع الوزير السيد محمد بن العربي[1] ودفن بضريح سيدي فاتح أو مولاي إبراهيم في مشهد عظيم قلما رأى الرباطيون مثله في الحديث والقديم وذلك عام 1296هـ.

ومما قيل في رثائه قول بعض أدباء مراكش[2] من قصيدة لامية:

كَيْفَ لا والْمَنَايَا طَاشَتْ بِإِدْرِيـ ـسَ وغَالَتْهُ بَغْتَةً بِاغْتِيَالِ

هُوَ أَبْهَى مِنَ الرِّيَاضِ تَجَلَّتْ مِنْ زُهُورٍ ومِنْ بَنَاتِ الدَّوَالِي

هُوَ أَجْلَى مِنَ الْغَزَالَةِ صَحْواً قَدْ عَلا كَعْبُهُ بِجَاهٍ ومَالِ

أَيُّ وَجْهٍ تَحَكَّمَ التُّرْبُ فِيهِ بِالْبِلا وأَغْشَى بِذَاكَ الْجَمَالِ

أَيُّ بَدْرٍ تَوَارَى بِالْقَبْرِ عَنَّا وجَرَى النَّقْصُ فِيهِ بَعْدَ الْكَمَالِ

أَيُّ فَضْلٍ تَخَطَّفَتْهُ الْمَنَايَا أَيُّ مَجْدٍ هَوَى فَيَا لَلرِّجَالِ

أَيُّ جُودٍ ثَوَى بِلَحْدٍ مَضِيقٍ طَالَمَا سَحَّ مُزْنُهُ بِالتَّوَالِي

أَيُّ سَعْدٍ تَقَاصَرَ السَّعْدُ عَنْهُ أَيُّ صَبْرٍ جَلا بِغَيْرِ مِثَالِ

أَيُّ حِلْمٍ تَعَجَّبَ الطَّودُ مِنْهُ أَيُّ رَأْيٍ وعِفَّةٍ واحْتِمَالِ

يَا لَهَا هِمَّةٌ تَوَدُّ الثُّرَيَّا رَفْعَهَا إِذْ أَجَلَّهَا ذُو الْجَلالِ

---

(1) هو: محمد بن العربي بن المختار بن محمد بن عبد الملك الجامعي، الوزير، كان ﷺ فقيهاً نبيهاً، رئيساً، ترقى إلى وزارة الحرب في دولة السلطان محمد بن عبد الرحمن، وبايع ولده الحسن، فأقره على وزارة الحرب، وكان ذا سيرة حسنة. انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 7/ 214.

(2) هو: محمد بن أحمد الندرومي، المراكشي، المعروف بابن داني. انظر ترجمته في: الإعلام للسملالي: 3/ 35 حيث أورد القصيدة بطولها في ترجمته.

إلى أن قال:

يَـا عُيُـونَ الـسَّحَابِ صُـبِّي عَلَـى قَبْـ ـــرِهِ عِـــنْدَ الْبُكُـــورِ والآصَـــالِ
كَـــانَ غَيْـــثَ النَّـــدَا جَـــسِيمَ الْعَطَايَـــا وجَـــمِيلَ الثَّنَـــا حَمِيـــدَ الْخِـــصَالِ
يَـــا مَلِيـــكَ الْمُلُـــوكِ يَـــا رَبِّ فَـــاغْفِرْ ذَنْـــبَهُ وقِـــهِ مِـــنَ الأَهْـــوَالِ
وَصَـــلاةُ الإِلَـــهِ تَتْـــرَى عَلَـــى خَيْـــ ـــرِ الْـــوَرَى ظِلِّنَـــا وصَـــحْبٍ وَآلِ

حرف الباء

* [125] سيدي بومنينة دفين شالة[1]

صاحب الضريح الشهير بالجبل المنسوب إليه وهو سالمي من قبيلة السوالم[2] قيل أنه المذكور في تاريخ الضعيف باسم إدريس ولد بومنينة السالمي قتيل معركة عام 1205هـ بين الصباح والشاوية[3] قرب مكاز العدوتين بين الولجتين[4].

* [126] البدوي السرايري (المتوفى سنة 1295هـ)[5]

الفقيه العلامة المدرس الخطيب المحاضر في المجالس بما يروق المجالس.

تخرج عن صهره الفقيه السيد المكي البناني مفتي الرباط الشهير ورحل إلى فاس فأخذ هناك عن مشايخ القرويين واتصل برجال المخزن فكانت له كلمة نفوذ وسمعة طيبة ووجاهة مرموقة بعين النزاهة.

وكان جميلاً في خلقه وخلقه متجملاً في هيئته وبيئته ذا همة شماء تطاول السماء، وكان الخطيب بالجامع السليماني والمدرس به وبجامع عطية.

ومن تلامذته السيد عبد الله ملين وكان القارئ بين يديه في سائر دروسه والشريف سيدي العربي التهامي الوزاني وهو ممن نوه به في كتاباته وطروسه غير أنه قال: إن عبارته في التدريس معقصة لا تفي بمطلوب وإن مذاكرته أفضل من تدريسه . اهـ.

ويقال أنه في آخر عمره تشوف للقضاء وبينما كان ينتظر وصول الإذن له إذ نزل به القضاء فاخترمته المنية قبل إدراك تلك الأمنية بعدما أصيب بإقعاد قابله بالرضا والصبر والشكر إلى أن لقي رب العباد في جمادى الأولى عام 1295هـ.

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 63.

(2) السوالم إحدى دوائر برشيد بإقليم سطات. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص:275.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 383، وقد ذكر دنية أنه عثر في بعض التقاييد على أن اسم المترجم علي وعليه فيكون المذكور غير إدريس المذكور في تاريخ الضعيف.

(4) الولجة: كلمة تطلق بالمغرب على سهل قرب نهر مثل ولجة سلا وولجة الرباط. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 374.

(5) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 263، وأعلام المغرب العربي، لعبد الوهاب بنمنصور: 7/ 436 وفيها أن اسمه أحمد، فكان الأولى أن يكون بين تراجم الجزء الأول، أما نسبة السرايري فهي اسم لقبيلة بالحسيمة، وتنسب لصنهاجة وإليها تنسب عائلات السرايري في سلا والرباط. انظر: معلمة المدن والقبائل، ص: 265.

ذكر من اسمه بنعيسى

* [127] بنعيسى بن مسعود اطريدانو (1335هـ)[1]

الفقيه العلامة الناسك، أخذ عن مشايخ الرباط ولازم الشيخ أبا إسحاق التادلي فقرأ عليه جل العلوم المتداولة، وكان يشار إليه أيام الطلب بالإدراك والاطلاع وربما سأل الشيخ في مجلس الدروس وباحثه.

وكان الشيخ المذكور يحبه ويجله حتى أنه اختاره عند وفاته للإيصاء على أولاده.

ولما استقل تصدر للتدريس ثم للشهادة وكان يتنسك كثيرا ويتظاهر بمظاهر الخير والصلاح يعتني بزيارة أولياء الله الصالحين سواء الأحياء والأموات ولا يفتر عن التحديث بحكاياتهم وسرد ما لهم من المناقب والكرامات.

وكم له من إجازات في الأذكار والصلوات، وكانت له عناية بمطالعة كتب التصوف خصوصاً الفتوحات للحاتمي[2].

وكان ممن يقول بحياة الخضر وربما ادعى الاجتماع به[3] !! وله اعتقاد كبير في أرباب الأحوال من أهل الجذب والسلوك، وكان مع ذلك يتطارح على أعتاب الملوك، فاستخدم في العهد الحسني والعزيزي والحفيظي في عدة خطط مخزنية كخطة القهرمانية في بعض المراسي المغربية ثم تولى في العهد اليوسفي نظارة الأحباس الكبرى بالرباط إلى أن توفي في ثامن رمضان عام 1335هـ، ودفن بالزاوية الرحمانية ما برحت رحمة الله عليه متوالية.

* [128] بنعيسى غزي المذكوري (المتوفى سنة 1337هـ)[4]

نسبة إلى قبيلة المذاكرة[5]، استوطن الرباط وبه قرأ عن جل شيوخنا ولا سيما شيخنا القاضي أبو حامد إلى أن بلغ في العلم أشده ونبغ وملك رشده.

---

(1) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 7/ 216، وهو فيه: مَحَمّد (بفتح الميمين) بن عيسى بن أحمد بن مسعود الرباطي يعرف بطريدانو، وقد أطال في ترجمته وذكر صداقته له، وعلى هذا كان على المصنف رحمه الله الإتيان به في الجزء الأول عند ذكر من اسمه محمد. وانظر: ترجمته أيضا في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 316 وكناه بأبي الفضل، وفي إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 417.

(2) يريد الفتوحات المكية لمحيي الدين ابن عربي المتوفى 638هـ.

(3) انظر: الإعلام، للسملالي: 7/ 217.

(4) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 423، وسماه بنعيسى غازي.

(5) المذاكرة: قبيلة تقيم جنوبي الدار البيضاء انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 337.

وكان آية في الذكاء وذهنه جوهرة في غاية الصفاء شارك في عدة فنون وتحلى جيده من عقود جوهرها المكنون.

كم حاضرته فحاضرني بما عهد فيه من الفصاحة واللسن وكم جادلته فجادلني بالتي هي أحسن، فكنا تارة نكون كفرسي رهان وتارة تقصر بي خطاي عن مجاراته في الميدان. وكثيرا ما كنت أستعد ساعة محاضرته فأرى منه ما يدهشني في حالي رويته وبديهته، ولولا أن الدهر كان يميل به للخمول ويقف أمامه في كل مأمول لكان له شأن في عالم الظهور، ولهلاله مصير إلى كمال البدور.

وكانت وفاته قتيلاً ضحية عربة سيارة داسته عام 1337هـ طيب الله ثراه.

* **[129] سيدي برزوق.**

* **[130] وسيدي أبو الأنوار.**

من بقايا حرف الباء والهمزة كلاهما ممن لا تعرف ترجمتهم بين أولياء الرباط وإنما حفظت أسماؤهم بما بني عليها من المشاهد.

فهذا صاحب المقام بدرب النجار وذاك صاحب الضريح بباب الجديد إزاء معامل الفخار.

وعلى كل حال فالبناء عليهما مما يدل على أنهما كانا من أعلام الرباط ذوي المجد والفخار.

حرف التاء

*[131] تميم بن زيري اليفرني أمير شالة ودفينها[1] (المتوفى سنة 429هـ)

هو أبو الكمال تميم بن زيري بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرني، نسبة إلى بني يفرن قبيلة من زناتة، لم تزل تنازع الدولة المغراوية التي كانت تملك المغرب تحت نظر الأمويين بالأندلس إلى أن استولت على مقاطعة شالة وتادلة وما والاها من البلاد بعد تقلص ظل المغراويين عنها بعد سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، ثم لما كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة كان الأمير على بني يفرن أبا[2] الكمال صاحب الترجمة، فزحف إلى فاس وكانت تحت ملك حمامة بن المعز بن عطية المغراوي إذ ذاك وكان له فيها من الظهور ما هو معروف في التاريخ إلى أن أصابته عين الكمال بمنازعة أبي الكمال فتقدم إليه في قبائل بني يفرن ومن انضاف إليهم من زناتة.

وبرز حمامة في جموع مغراوة ومن إليهم، فكانت بينهم حرب شديدة أجلت عن هزيمة حمامة واستيلاء تميم على فاس وأعمال المغرب مدة خمس سنين، وقيل سبع سنين، ثم لحق ببلده ومقر ملكه شالة وأقام بها إلى أن توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

وكان رَحِمَهُ اللهُ صلباً في دينه مستقيماً فيه مولعاً بجهاد برغواطة، كان يغزوهم مرتين في السنة إلى أن توفي. وبعدما دفن كان يسمع من قبره تكبير وتشهد، فنبشوا قبره فألفوه لم يتغير منه شيء.

ثم رآه بعض قرابته في النوم فقال له: ما هذا التكبير والتشهد الذي سمعناه من قبرك؟ قال: تلك الملائكة، وكَّلهم الله بقبري يكبرون ويهللون ويسبحون، ويكون ثواب ذلك لي إلى يوم القيامة. قال: وبم نلت ذلك؟ قال: بجهاد برغواطة.

حكي هذا الخبر في القرطاس[3]، والعلم لله، وهو على كل شيء قدير.

---

(1) انظر ترجمته في: الأنيس المطرب، لابن أبي زرع الفاسي، ص: 138، والاستقصا، للناصري: 1/ 202.

(2) كذا في الأصل والله أعلم بالصواب.

(3) انظر المصدر السابق نفسه (الأنيس).

ذكر من اسمه التهامي

* [132] القاضي التهامي بن عمرو[1] (المتوفى سنة 1195هـ)

هو القاضي أبو المكارم السيد التهامي بن محمد بن عمرو بن قاسم الأوسي ثم الرباطي.

تفقه عن مشايخ الرباط في وقته ورحل إلى فاس فأخذ عن الشيخ البناني ومن كان في طبقته، ولذا عده أبو الربيع الحوات من تلامذة الشيخ المذكور وحلاه بقوله: الحبر الدراك النبيل السمح الوقور الحفيل أبا المجد التهامي بن عمرو، به عرف، الأندلسي الرباطي... إلخ.

ولما قفل إلى مسقط رأسه أكب على التدريس والتقييد، وتولى خطبة الجامع العتيق (مسجد القصبة) إلى أن انتدبه السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فكان مقرباً محبوباً لديه من جملة علماء مجلسه العلمي، وهو الذي أمره بتأليف تعليقه على أحاديث الأربعين النووية كما أخبرني بذلك البعض، قال: ويوجد هذا المؤلف إلى الآن بالخزانة السلطانية بالرباط. اهـ.

وأخيراً أسند إليه قضاء ثغر الصويرة، فمكث بها قاضياً إلى أن توفي سنة خمس وتسعين بالمثناة أولاً ومائة وألف.

ودفن بضريح الولي الصالح سيدي مگدول بالثغر المذكور، وخلف ذرية صالحة من بعده أجلهم أديب الرباط الشهير صاحب المعارضة والعارضة، وقد تقدمت ترجمته العريضة الواسعة.

* [133] القاضي التهامي المكناسي دفين الرباط (1249هـ)[2]

هو محمد التهامي ابن الولي الصالح سيدي حمادي بن عبد الواحد الحمادي المكناسي، به شهر، الفاسي. هو أبو الفتح الفقيه العلامة المشارك قاضي مراكش.

أخذ عن سيدي أحمد بن تو وطبقته، وأخذ عنه أئمة القرن المنصرم كالأخوين سيدي محمد بن حمدون بن الحاج، والقاضي سيدي الطالب، وكتب لهما إجازة عقب استدعاء قدماه له، إلا أنه لم يذكر لهما فيها شيوخه. وكالأخوين القاضي أبي عيسى المهدي بن الطالب بن سودة وهو عمدته من شيوخه، وأبي حفص عمر[3]... النسب أيضاً.

وأخذ عنه أيضاً القاضي البريبري الكبير، قرأ عليه الحديث وكان هو القارئ بين يديه.

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 115، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 51.

(2) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 6/ 228، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 152 .

(3) كذا في الأصل ولعل ههنا سقطاً.

وكانت وفاته بالرباط منصرفاً إلى فاس من مراكش 11 صفر سنة 1249هـ كما في وفيات تلميذه الشيخ عبد الكبير المجذوب الفاسي دفين شالة.

ومما قاله في حقه أنه كان ولي قضاء مكناسة الزيتون ثم بعد ذلك بمراكش ثم اصطفاه أمير المؤمنين للقراءة معه سفراً وحضراً، ثم وجهه بين يديه لفاس فعاجلته المنية بثغر رباط الفتح، وبها دفن بدويرة زاوية سيدي أحمد بن ناصر.هـ

*** [134] المولى التهامي الوزاني[1]**

ذكره الشريف سيدي العربي التهامي الوزاني في معجمه الموسوم " بلوغ المنى والآمال فيمن لقيته من المشايخ أهل الفضل والكمال"، قال: فأولهم خالنا الشريف ذو القدر المنيف الفقيه العالم العلامة ذو الأخلاق الحسنة والسيرة المستحسنة، صاحب القدر السامي سيدي ومولاي التهامي ابن مولانا إبراهيم بن أحمد بن عبد الجليل بن إبراهيم ابن شيخ المشايخ البحر الطامي والكوكب السامي الغوث الأكبر سيدي ومولاي التهامي، أفاض الله علينا من بركاتهم وأروانا من شرب مواردهم، آمين.

وكان هذا الشريف سيدي التهامي المذكور ممن يشار له بالخير والفضل والصلاح.

وكانت له اليد الطولى في العلم، وكان له مجلس حافل بمولاي المكي بن محمد بن عبد القادر دفين الدورة بمدينة رباط الفتح، لما يأتي من وزان لزيارة أهله، لأنه كان متأهلاً بوزان وبها خُلق وربي، وبعد ذلك تأهل بالرباط ببنت المقدم الشريف العلمي السيد أحمد أفلال السيدة فاطمة رحمهم الله أجمعين، أهلته أخته والدتنا.

وكان هذا الشريف يحضر عليه بعض أكابر العلماء، منهم الفقيه السيد محمد بناني، والفقيه السيد الحاج عبد السلام الزبيدي، والفقيه السيد مَحمد ملين، والفقيه ابن جينوش، والفقيه السيد المكي الأزرق، والمحتسب الفقيه السيد محمد الزكي، رحمهم الله.

وكان يعجبه الطرب ويعتني بأربابه، وكنت إذ ذاك صغير السن أجاوز العشر سنين، فكان رحمه الله لما يجيء وقت فطوره يوجه عليَّ من المكتب لنفطر معه، فلما أدخل عليه نجد أمامه بعض الكتب من الفقه والأدب، لأنه كان معتنياً بالأدب.

وكان يدرس الرسالة، فكان رحمه الله يناولني كتب الأدب ويأمرني بمطالعتها[2]، فمنها

---

(1) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 7/ 222.

(2) في الأصل: (مطالعتهم).

"نفح الطيب" و"نظم الدرر والعقيان"[1] و"الحبائك"[2]، وأكثر ما كان يناولني "تحفة الأريب في الحكم" لسيدي يوسف الفاسي[3]، ويأخذ في المطالعة معي فيها حتى صرت أحفظ الجل من حِكَمها، رحمه الله تعالى، فكان يدخل علينا صهره المقدم سيدي محمد بن أحمد أفلال ويقول له: يا سيدي إن مطالعة هذا الصبي للكتب تتلفه عن قراءة القرآن.

فيقول له: أنت هو التالف، فإن المطالعة تفتح البصيرة وتُحد الأذهان وتكشف له عن المعاني ويتدرب بها لقراءة المكاتب، فكان الأمر كما أخبر به ﷺ؛ فكان هذا السيد الجليل هو أول مشايخ العلم الذين أخذت عنهم مطالعة الكتب واقتحام لجة بحرها، وصعود سهلها ووعرها، مع أنه لا طاقة لي بذلك إلا التشبه بالسادات الكرام، لأن التشبه بالكرام ربح.

* [135] التهامي بن محمد بن عبد الله البناني (1300هـ)[4]

أحد فقهاء الرباط ومشاهير المدرسين بها، تفقه عليه شيخنا مفتي الرباط المرحوم السيد الجيلاني بن إبراهيم، كما أخبرني بذلك، وكان يثني كثيراً على علمه وفضله.

وممن ترجمه صهرنا العارف بالله تعالى الشيخ سيدي فتح الله البناني في طبقاته، وذكر أنه أخو أبيه للأب، وأن وفاته كانت في محرم الحرام عام ثلاثمائة وألف ودفن عند رجل أخيه المشار إليه بالزاوية البنانية.

* [136] الحاج التهامي بن علي البطاوري (1325هـ)[5]

عالم وجيه وموثق ضابط وأستاذ حيسوبي ومدرس فرضي.

---

(1) هو كتاب: نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان، لأبي عبد الله، محمد بن أبي محمد عبد الجليل الأموي، المعروف بالتنسي، المتوفى سنة 899هـ وقد طبع القسم الأول منه بعناية أحد المستشرقين في باريس سنة 1852م ومنه عدة نسخ مخطوطة بالخزانة الحسنية تحت أرقام (1072 - 2634 - 5210 - 5528 - 8402 - 12187). انظر: معجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 643، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة: 1/ 168.

(2) هو كتاب: الحبائك في أخبار الملائك، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين، المتوفى سنة 911هـ توجد منه عدة نسخ مخطوطة بالخزانة الحسنية أرقامها كالآتي: (829 - 3950 - 6643 - 11749 - 13353).

(3) كذا في الأصل وإنما يعرف كتاب: تحفة الأريب ونزهة اللبيب، لأبي مدين، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي، وفيه حكم ونوادر فاس وقد طبع مختصر له ومعه ترجمة لاتينية بعناية أحد المستشرقين وله نسخ كثيرة بالمغرب، بالخزانة الحسنية وحدها أكثر من عشرين نسخة وهذه بعض أرقامها (742 - 1218 - 1609 - 1714 - 2733 - 2734 - 2960 - 3369 - 4808 - 4902 - 4934).

(4) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 208، إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 279.

(5) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 271، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 375.

ترجمه صهره قاضي الرباط المرحوم السيد أحمد بناني بذكر نسبه في كناشته، وقد تقدم ذلك في ترجمة أخيه أبي عبد الله البطاوري، وذكر لي شيخنا القاضي أبو حامد أنه كان من المدرسين، قرأ عليه كثيراً من المتون العلمية، ولم أدركه يتعاطى التدريس، وإنما أدركت تعاطيه للشهادة وعاينت ملازمته للمسجد الأعظم في الأوقات الخمس خصوصاً الأوقات الليلية.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ أنموذج الفضل وعنوانه، ومثال الكمال والوقار والديانة والجد والصرامة والرزانة، ولم تزل حاله هي حاله إلى أن آذنت شمسه بالمغيب، فدعاه داعي الفلاح لحج بيت الله الحرام، فتوجه لتلك البقاع المقدسة، وفي وجهته هذه بعدما حج وزار.

توفي بطنجة عند قفوله عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف، قدس الله روحه في دار السلام، وحيَّى ضريحه بتحيات الإسلام. آمين.

حرف الجيم

*** [137] الجيلاني بن العربي الغربي (المتوفى سنة 1296هـ)[1]**

من علماء الرباط ومدرسيها، قرأ على والده العلامة العربي حفيد حافظ الرباط أبي العباس الغربي الشهير.

كان صاحب الترجمة من خيار العدول وأفاضل الموثقين المشار إليهم بالحفظ والضبط والاستحضار خصوصاً لنصوص المختصر الخليلي وما تضمنته من المسائل الفقهية.

ولم يزل مقتفياً أثر أسلافه الكرام في التحلي بحلية العلم والفضل إلى أن توفي رابع ربيع النبوي عام ستة وتسعين ومائتين وألف.

*** [138] الجيلاني بن إبراهيم. بركة الرباط ومفتيه (المتوفى سنة 1336هـ)[2]**

هو الفقيه السيد الجيلاني بن أحمد بن إبراهيم، شيخنا مفتي الرباط الخبير وعالمه الكبير وبركته الشهير.

كان رحمه الله ركناً عظيماً من أركان العلم بالرباط ومن أعظم فحوله، وقاموساً محيطاً بقواعد المذهب وأصوله، ومصباحاً مرشداً في أحكام الفقه وأبوابه وفصوله، يرجع إليه دائماً عند النقض والإبرام ويستعان به في عظيم المسائل والمسائل العظام.

وكان يستحضر كثيراً ما تضمنته كتب الأحكام والنوازل، ويحاضر بذلك في المجالس والمحافل، يحفظ مختصر خليل حفظاً محكماً ويحل ما كان من عويصه مقفلاً مبهماً.

ولد رحمه الله في حدود الستين من القرن المنصرم، ونشأ بالرباط متعاطياً العلم الشريف على مشايخ بلدته كالفقيه السيد أحمد دنية وولده القاضي أبي الحسن وشيخ الجماعة أبي إسحاق التادلي والفقيه السيد التهامي البناني.

ورحل إلى فاس مرتين برسم طلب العلم، فمكث مدة مديدة أخذ فيها عن الفقيه السيد الحاج عمر ابن سودة[3] وشقيقه الحاج أحمد، والفقيه سي المهدي بن الحاج[4] وشقيقه سيدي

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 199، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 266، وسماه الجيلالي.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 317، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 419، والأعلام، للزركلي: 2/ 149.

(3) هو: عمر بن الطالب ابن سودة المتوفى سنة 1285هـ. انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 241.

(4) هو: محمد المهدي بن الطالب ابن سودة المري، المتوفى سنة 1294هـ.

أحمد صاحب الحاشية على الألفية[1] والفقيه المرنيسي (عمّر حتى جاوز المائة) والفقيه السيد محمد المكناسي، ومولاي عبد المالك الفلالي الضرير[2]، والفقيه گنون صاحب "الاختصار"[3] والقاضي مولاي محمد الفلالي وسيدي قاسم القادري والفقيه المقري المدعو بالزمخشري، والفقيه بناني كلا والفقيه أبي عبد الواحد بن سودة والفقيه السيد أحمد السلوي التطواني و.....[4].

ثم رجع لمسقط رأسه فتصدى للتدريس والإقراء وتصدر للشهادة والإفتاء، وختم عدة فنون وجملة وافرة من المتون من أجلها المختصر الخليلي، افتتحه مرتين وختمه في الأولى مع من كان يحضر عليه من وجهاء شيوخنا كما كان يحضر عليه في الثانية جل النبغاء من أقراننا إلى أن وصل للإجازة.

وحضرت عليه بالجامع الأعظم في كثير من الأبواب إلى أن جاوزت معه باب الشركة.

وكنت في صغري حضرت عليه في ألفية مسرودة بالزاوية القادرية ولم يتفق لي الحضور عليه سوى في هذا.

ومن أجلِّ من تخرج عنه صهرنا العلامة سيدي زين العابدين البناني، وأخوه العارف بالله تعالى الشيخ فتح الله وشيخنا العلامة القاضي السيد محمد الرندي وشيخنا العلامة سيدي محمد بن عمر دنية وغيرهم.

وخلَّف عدة تقاييد مفيدة منها فتاويه المتكاثرة التي لو جمعت لجاءت في أجزاء عديدة، وخَتم على المختصر، وتقييد في الطلاق البائن والرجعي رد فيه على ما كتبه شيخنا مفتي فاس الشريف سيدي المهدي الوزاني، ثم حواش لا تزال طرراً بهامش شرح الدردير على المختصر،

---

(1) هو: أحمد بن الطالب بن سودة، تقدم ذكره، وانظر ذكر هؤلاء الأعلام في الإعلام، للسملالي: 3/ 221.

(2) هو: عبد المالك بن محمد العلوي الضرير من خيرة علماء فاس، أخذ العلم عن جماعة من فقهاء المدينة المنورة، توفي سنة 1318هـ انظر ترجمته في: الروض النضير في الإعلام بأحوال مولاي عبد الملك الضرير؛ في مجلد وسط، لعمر بن عبد السلام، العلوي المتوفى سنة 1350هـ وكشف الحجاب، للعلامة سكيرج، ص: 234.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن المدني گنون، ولد بفاس، ودرس العلم على أكابر علمائها كالوليد العراقي، والطالب ابن الحاج، وأحمد المرنيسي وغيرهم، وله ﷺ تآليف كثيرة أشهرها اختصار على حاشية الرهوني على بناني على خليل، وكتاب "التسلية والسلوان لمن ابتلي بالإذاية والبهتان"، و"نصيحة النذير العريان في التحذير من أهل الغيبة والنميمة والبهتان"، وغيرها، توفي سنة 1302هـ انظر ترجمته في: النبوغ المغربي، لعبد الله كنون: 1/ 297، ومعجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي: 1/ 167، والأعلام، للزركلي: 7/ 94.

(4) بياض في الأصل قدر سطر ونصف.

وربما كان يسرد علينا بعضها في مجلس الدرس.

وكان في درسه سريع الإملاء، لا يتحمل البحث ولا الإلقاء. إذا جرى في مجال الكلام وانسخب كان كأنما ينحدر من صبب لما كان عليه من الحفظ والاقتدار وغزارة المادة واتساع العارضة والاستحضار.

ولم يزل دؤوباً على بث العلم ونشره معطراً بلده بطيب نشره إلى أن بعثه المخزن مستخدماً بمرسى آسفي بصفة عدل، وذلك في حدود العشرين من هذه المائة، ثم قلده خطة القضاء بثغر العرائش عام ستة وعشرين، فقام في كلتا الوظيفتين أتم قيام، وجرى على ما عهد منه من كرامة النفس نفس الكرام، ولا جرم فقد كان مثال الفضل وعنوانه وتمثال المروءة والنسك والديانة، وكان ذا همة شماء ونفس أبية لا تطاولها السماء، يزينه ما جبل عليه من صفاء الباطن وطهارة السريرة مع ما حلّي به من سمة الخير والشيبة المنيرة، إلى غير هذا من حميد الخصال وجميل الأوصاف والخلال.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الساعة الخامسة صبيحة يوم الخميس ثالث جمادى الأولى عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح أبي الأنوار في محفل مهيب حضره الجم الغفير من العلماء والأعيان وذوي الحيثيات.

وتقدم للصلاة عليه شيخنا العلامة الوزير الشيخ شعيب الدكالي[1]، سقى الله بوابل الرحمة ضريحه وروّح في جنات النعيم روحه، آمين.

وقد رثاه بعض الأفاضل من الشعراء بقصيدة يقول في أوائلها:

اللهُ أَكْبَرُ سَارَتِ الأَعْلامُ ... وبِسَيْرِهِمْ حَلَّتْ بِنَا الآلامُ
وَاسْتَحْكَمَتْ نَارُ التَّلَهُّفِ فِي الْحَشَا ... أَسَفاً وقَدْ هَامَ الأَنَامُ ونَامُوا
وَبَكَتْ عُيُونُ الدَّهْرِ فَقْدَ فَقِيهِنَا ... ذَاكَ الْجِيلانِي الْمُرْتَضَى الْقَوَّامُ
رُكْنُ الشَّرِيعَةِ مِسْكُهَا وخِتَامُهَا ... عَلَمُ الْعُلُومِ ولَيْثُهَا الْمِقْدَامُ

(1) هو: أبو شعيب بن عبد الرحمن الصديقي، الدكالي، من عشيرة الصديقات بقاف معقودة، من أولاد عمرو إحدى قبائل دكالة، وزير من العلماء الأدباء، قال الزركلي: وهو أول من أحيا الروح السلفية من المتأخرين، في المغرب، وقال ابن سودة: آخر حفاظ المغرب ومحدثيه، تعلم في القرويين، ورحل إلى مصر سنة 1314هـ فجاور في الأزهر نحو ست سنوات، وبعد عودته ولي القضاء بمراكش ثم وزارة العدلية سنة 1330هـ ثم استعفى وانقطع للتدريس في مدينة الرباط إلى أن توفي سنة 1357هـ. انظر ترجمته في: سل النصال، لابن سودة، ص: 82، ومعجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي: 2/ 141، والأعلام، للزركلي: 3/ 167.

قَــدْ كَــانَ كَنْــزاً فِــي حِجَــابٍ صَــيِّنٍ كَــالدُّرِّ فِــي صَــدَفٍ عَلَيْــهِ خِتَــامُ
قَــطَعَ الْمَــسَافَةَ فِــي مُــسَامَرَةِ الْعُلُــو مِ ولَــــمْ يَــــفُتْهُ تَــــهَجُّدٌ وقِــــيَامُ
حَــبْرٌ إِذَا مَــا رُمْــتَ مِنْــهُ مَعَارِفــاً وَافَــاكَ مِــنْ أَسْــنَى الْكَمَــالِ كَــلامُ
قُــلْ فِــيهِ مَــدْحاً مَــا تَــشَاءُ فَإِنَّــهُ بَــدْرٌ كَــسَتْهُ فَــضَائِلٌ وتَــمَامُ

حرف الحاء

* [139] الشيخ حسونة القصري (المتوفى سنة 1199هـ)(1)

قال في "اليواقيت الثمينة": أصل هذا الشيخ من الرباط بالمغرب الأقصى، وفد إلى تونس بقصد التجارة، وكان عالماً فقيهاً خيراً حسن المحاضرة، زكي النفس، عالي الهمة، وكان له محل بالربع في تونس لوضع سلعه على اختلافها؛ فكان يأتي لجامع الزيتونة(2) صباحاً ويقرئ درسين احتساباً، وبعدهما يذهب لموضع سلعه كأعيان التجار، ورغب الطالبون في دروسه وانتفعوا بعلومه، ولما جعل الباشا علي باي الحسيني(3) مرتباً للمدرسين نظم في سلكهم، ولما بعث له مكتوب المرتب امتنع من قبوله فأحضره لديه وقال له: لِمَ لَمْ ترغب في مرتب بلادنا وأنت الآن من أعيانها؟ فقال له: لم أرغب عن البلاد بدليل أني اخترتها، وقد جلت في الآفاق لكن الله أغناني وله الشكر بما يسره على يدي من الربح في التجارة، فلا يسوغ لي والحالة هذه أخذ الأجرة على العلم، فإني أبث العلم لله خالصاً، فاعطِ ذلك لمن هو أحوج منا؛ فاستحسن حاله وعظمت منزلته عنده، ولم يزل على خير في تجارته الرابحة وأعماله الصالحة إلى أن توفي سنة تسع وتسعين ومائة وألف، رحمه الله تعالى. اهـ.

ذكر من اسمه الحسن

* [140] سيدي الحسن بن سعيد افرّان(4)

به شهر كما في فهرسة العكاري وفهرسة الحاقي.

قيل أنه شياظمي من قبيلة الشياظمة، وربما دل عليه تصرف أولاد الشياظمي في ضريحه وقيامهم به.

ووصفه الشيخ أبو بكر البناني بالشريف السملالي في رسالته الثالثة والعشرين من

(1) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 59، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 1054.

(2) مسجد تونس الكبير وأقدم المساجد في المغرب العربي وقد اختلف في تاريخ بنائه ومن بناه، فينسب بناؤه تارة إلى حسان بن النعمان المتوفى سنة 84هـ وتارة إلى عبد الله بن الحجاب المتوفى سنة 144هـ. انظر: تاريخ جامع الزيتونة، لمحمد الحشايشي، الطبعة الأولى، 1980م تونس، وجامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، للطاهر المعموري، الطبعة الأولى، بيروت، 1980م.

(3) هو: أبو الحسن، علي بن حسين بن علي تركي، أمير تونس، عني بالحديث والفقه، بويع سنة 1172هـ بعد وفاة أخيه محمد باي، حارب الفرنسيين، ثم صالحهم وحسنت سيرته، ولما شاخ عهد بإدارة الأعمال إلى ابنه حمودة باي، توفي سنة 1196هـ. انظر ترجمته في: الأعلام، للزركلي: 4/ 281.

(4) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 68، وقد ورد ذكره في فهرسة العكاري، ص: 69.

رسائله المسماة بـ "مدارج السلوك " عند ذكر فضل من ظهرت كرامته على زائره وجربت إجابة الدعاء عند ضريحه من أولياء الرباط، قال: ".. كالشيخ سيدي الحسن بن سعيد الشريف السملالي صاحب الأحوال المرضية والمقامات السنية " إلى أن قال: " هؤلاء كلهم قد ظهر فضل الله على زائرهم والإنكار لكرامتهم مكابرة وجحد للضرورة ". اهـ.

ولا يزال ضريحه حتى اليوم مقصوداً معظماً مزاراً ولا سيما عند إقامة مواسم الأمداح فيه كل خميس.

وممن عنى من العلماء الأئمة بزيارة صاحب الترجمة والتنويه بمقاماته وكراماته الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي شارح العمل الفاسي.

ويقال أنه كان كثيراً ما يقصده عند نظم عمله الرباطي الموسوم بالعمل المطلق.

وكم له من مديح في ذلك الضريح، وقفت على بعضه ولم يحضرني الآن، وإنما حضرني قول العارف بالله السيد الحاج محمد بن العربي الدلائي الرباطي، وهي قصيدة طويلة توجد في كناش المديح يقول فيها:

يَا سُقَاةَ الْحَيِّ مِنْ حَيٍّ حَمِيدْ ... أَنْتُمُ الْقَصْدُ فَهَلْ قَصْدِي حَمِيدْ
أَصْبَحَ الثَّغْرُ بِكُمْ مُبْتَسِماً ... عَنْ ضَرِيحٍ لِحَسَنِ بنِ سَعِيدْ
حَسَنٌ اسْماً وفِعْلاً وسَمِيٌّ ... بَلْ سَعِيدٌ فِي الْوَرَى أَيُّ سَعِيدْ
ذُو جَلالٍ وجَمَالٍ وعُلا ... وكَمَالٍ فِي الْمَعَالِي ومَزِيدْ
خُصَّ بِالْمَدْحِ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى ... رَبْعُهُ يُلْفَى بِهِ مَوْسِمُ عِيدْ
وَتَرَى الْمُدَّاحَ مِنْ إِقْبَالِهِ ... فِي سَنَا وثَنَاءٍ ونَشِيدْ

وللوزير ابن إدريس قصيدة أيضاً في مدح المترجم يقول في أوائلها:

إِذَا الدَّهْرُ آنَسْتُ مِنْهُ الْجَفَا ... وقَابَلَنِي بِالَّذِي لا أُرِيدْ
وَبَانَ الْوَلِيُّ وخَابَ الصَّفِيُّ ... وبَانَ الْوَفِيُّ وجَارَ الْعَنِيدْ
لَجَأْتُ إِلَى بَابِ مَوْلَى لَهُ ... عَلَى عِزِّهِ رَحْمَةٌ بِالْعَبِيدْ
وَقَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ لَهُ ... شَفَاعَةَ كُلِّ وَلِيٍّ حَمِيدْ
وَقَدْ جِئْتُهُ سَائِلاً فَضْلَهُ ... بِقُطْبِ الْعُلَى الْحَسَنِ بنِ سَعِيدْ
وَلِيٌّ صَفِيٌّ لَهُ عَزْمَةٌ ... تُلِينُ الشَّدِيدَ وتُدْنِي الْبَعِيدْ

وَقَــدْرٌ عَـــظِيمٌ وجَــاهٌ رَفِيـــعٌ   وفَـــضْلٌ عَــرِيضُ الْمَعَــالِي مَدِيــدْ

إلى أن قال:

فَــيَا لَــهُ حَــسَنٌ فَالُــهُ فِــي اسْـمِهِ   سَــأَلْنَاكَ إِحْــسَانَكَ الْمُــسْتَفِيدْ

فَــوَالِ الْجَمِيـــلَ وأَوْلِ الْجَــزِيلَ   وأَعْـــطِ التَّزِيـــلَ حَبَــاكَ الْعَتِيــدْ

* [141] سيدي الحسن الإمام(1)

به يعرف وضريحه بشالة شمال قبة سيدي يحيى قريبا منها.

كان إماماً بالمسجد الأعظم بالرباط، فاشتهر بذلك، وهو من جرثومة نسبة سيدي علي بورحى، ومن حفدة سيدي أحمد الشريف المترجم سابقاً، قاله الفقيه ابن الغازي الكبير؛ فيما يوجد في تاريخه في أولياء الرباط.

* [142] سيدي الحسن المسكيني(2)

قال ابن الغازي المذكور: " هو الولي الصالح القطب الواضح بغية القُصّاد، وطود الراسخين الأطواد، العارف الرباني الورع الصمداني أبو علي سيدي الحسن المسكيني، أخبرني نقيب الأشراف العلويين مولانا عبد الله بن المأمون العلوي الإسماعيلي أن بعض أسلافه الكرام كان ورد للرباط صحبة نائب السلطان الهمام أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله العلوي، فذهب ذلك البعض لزيارة سيدي الحسن المذكور، وهو بقيد الحياة، فأخبر سيدي الحسن زائره بأن أمه محتضرة بمراكش، فعجّل الأوبةَ ورجع فوجد أمه كما أخبر". انتهى كلام ابن الغازي بلفظه.

* [143] القاضي أبو علي الحسن الغربي (كان حيا سنة 1193هـ)(3)

هو القاضي أبو علي السيد الحسن ابن العلامة الإمام السيد أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي نسبة إلى غربية دكالة، فهو الدكالي أصلا الرباطي منشأً وداراً، وجدّه عبد الله المذكور هو أول من جاء إلى الرباط، فهو جد عائلة أولاد الغربي بهذا الثغر، وهي من البيوتات الشهيرة بالفضل والعلم والعرفان، وناهيك ببيت آهل بالعلم مدة تنيف عن القرنين حتى

---

(1) لم اقف له على ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(2) لم أقف عليه وما تيسر لي الاطلاع على كتاب ابن غازي المذكور.

(3) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 14، وتاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 324، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 113.

الآن، ولو لم يكن من مفاخر هذا البيت سوى والد صاحب الترجمة أبي العباس الغربي الحافظ الراوية المسند الحجة المحدث الرحالة الشهير لكان كافياً، وهو عمدة المترجم، لازمه في القراءة والأخذ رواية ودراية في كثيرٍ من العلوم العقلية والنقلية من عربية ومنطق وبيان وأصول وفقه وتفسير وحديث، وقرأ عليه الصحيحين وكتاب الموطأ أربع مرات قراءة تحقيق، وكتاب الشفا مراتٍ عديدة، كما حكى ذلك كله في إجازة عامّةٍ أجازه بها، وحلاّه فيها بولدنا الفقيه النجيب الدراك الأريب اللوذعي الأديب السيد الحسن.. إلخ.

ولما رحل المترجم للمشرق سنة ستٍ وسبعين ومائةٍ وألف أخذ عن شيوخ مصر والحرمين الشريفين، واستجاز أبا الحسن السندي المدني[1] وأبا عبد الله محمد الحفناوي[2] وأبا عبد الله بن أبي بكر الإطرابلسي، الملقب بالسوداني[3] وغيرهم، وكلهم أجازوه إجازات حفيلة في سائر مروياتهم من معقول ومنقول، خصوصاً الجامعين وباقي الكتب الست الحديثية وكتب الأثر والأسانيد، ووصفوه بأوصاف سامية، أطالوا وأطابوا فيها مما دلّ على شفوف قدره وشرف مكانته في العلم والأدب والفضل، وتولى القضاء بالرباط ولم تطل مدة ولايته، وإنما دامت بضعة أشهر حتى رجب عام ستةٍ وثمانين، ولم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث.

*** [144] القاضي أبو علي الحسن بن فارس (المتوفى سنة 1259هـ)[4]**

الشريف الحسني الفاضلي ثم الرباطي، استوطن الرباط مدة، تولى فيها قضاءه عام اثنين وأربعين ومائتين وألف، وكان ينوب عنه فيه الفقيه السيد أحمد بن المختار الغربي كما وقفت على ذلك ببعض الرسوم تاريخ أوائل ربيع النبوي من العام المذكور، ورأيت في غيرها كثيراً من خطابات المترجم، ولفظ شكله فيها الحسن بن فارس أحسن الله عاقبته، وتلقيت عن

---

(1) هو: أبو الحسن، محمد بن صادق السندي ثم المدني، الملقب بالصغير، ولد بالسند، وأخذ عن علمائها، ثم ارتحل إلى الحجاز، وسكن المدينة، وأخذ الحديث عن علماء الحرمين، وتوفي بالمدينة سنة 1187هـ انظر ترجمته في: فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 103، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 10/ 76.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن سالم الحفناوي أو الحفني، شيخ الأزهر، إمام شهير، من آثاره حاشية على شرح العزيزي على جامع السيوطي الصغير، وأخرى على فرائض الشنشوري، وغيرها، توفي سنة 1181هـ. انظر ترجمته في: الفكر السامي، للثعالبي: 2/ 182.

(3) لم أقف على ترجمته في ما بين يدي من مصادر.

(4) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 32، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 2/ 418، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 174، وذكر أن وفاته رابع ربيع الأول.

شيخنا العلامة القاضي الفاضل أبي حامد أن المترجم ممن تداول خطة القضاء مع القاضي أبي محمد صالح الحكموي والقاضي السيد الطيب بسير بعدما كان متقلداً بخطة الكتابة مع سلطان وقته، والظن أن صاحب الترجمة هو المذكور آخر الجزء الثاني من سلوة الأنفاس، ونصّه: " ومنهم الفقيه الأجلّ العالم العلامة الأفضل قاضي فاس الجديد أبو علي سيدي الحسن بن فارس، كان رَحِمَهُ اللهُ من أهل العلم والفقه والدين بهذه الحضرة، يعني حضرة فاس، قال وولاه السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام العلوي قضاء فاس الجديد "[1]. فانظره، توفي رَحِمَهُ اللهُ يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع النبوي عام تسعة وخمسين ومائتين وألف على ما في السلوة.

* [145] الحسن بن محمد بن التهامي بن عمرو[2] (المتوفى سنة 1272هـ)

من فقهاء الرباط ووجهاء المدرسين ونبهاء العدول المبرزين الموثقين، ولد رَحِمَهُ اللهُ عام ستة وثلاثين ومائتين وألف، أي: قبل وفاة والده بنحو سبع سنين، ولصغره لم تكن قراءته عليه وإنما كانت على الغير من معاصريه، نعم ما مات والده المذكور حتى أجازه في سائر مروياته مقروءاته ومسموعاته من كتب الحديث والفقه واللغة والأذكار والأوراد وشرك معه فيها أخويه السيّد محمد والسيّد عبد الواحد وبنيهم جميعاً، ثم بني عمهم السيد الهاشمي الطلبة السيّد التهامي والمكي وأبو بكر وعمر وعثمان، وهذا بعدما خصّ صاحب الترجمة بتلقين بعض الصلوات فقال: إني لقنت بحمد الله ولدي الحسن أحسن الله عاقبة الجميع بمنه هذه الصلاة المباركة وهي: اللهم صل على سيدنا محمد وأزواجه وذرياته.." فسردها ثم كتبها بمحضري في قرطاس أصلحه الله بكرمه وأذنت له فيها ذكراً وتلقينا، وأخبرته بسندي فيها وذلك أني أخذتها بتطوان تلقياً عن البركة السيّد الطيب بن الفقيه السيّد عبد الكريم بن زاكور التطاواني قال: أمرنا شيخنا العارف بالله الدال عليه سيدي عبد الوهاب التازي رَحِمَهُ اللهُ أن أكتبها في ابتداء الكتابة، وقال لي: إن النبي ﷺ أمره بها، فبحقّ ذلك أذنت لولدي المذكور إذنا تاما ". انتهى ملخصاً.

وكان تاريخ هذه الإجازة في الليلة الثانية من شهر ربيع النبوي عام ثلاثة وأربعين ومائتين وألف، أي عام وفاة المجيز، وكانت وفاة المترجَم بالطاعون قرب صلاة الظهر من

---

(1) انظر: سلوة الأنفاس، للكتاني: 2/ 418.

(2) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 208.

يوم الخميس فاتح جمادى الثانية عام اثنين وسبعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية التهامية بالرباط، سقى الله ضريح الجميع.

*** [146] السلطان مولاي الحسن (المتوفى سنة 1311هـ)[1]**

والد جلالة السلطان الحالي، أدام الله نصره، وزين بالمكرمات عصره

والمترجَم هو السلطان المولى حسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي، تسلطن إثر وفاة أبيه بمراكش عام تسعين ومائتين وألف وذلك لما توفر فيه من شروط الإمامة وتكامل فيه من النجدة والشهامة والزعامة، ولما اتصف به من الفضل والدين وسائر خصال الخير وأسباب اليقين.

ولأن والده رحمه الله كان استخلفه في حياته، وألقى عليه بجميع مهماته، فنهض بأعبائها وتقلب من معاني السعادة في ظلالها وأفيائها.

قال أبو عبد الله أكنسوس لما استخلف المولى الحسن حفظه الله لم تشغله شئون الخلافة المترادفة آناء الليل وأطراف النهار ولا ما في قصوره السلطانية من الحدائق والأزهار عن وظائف الدين وأسباب اليقين من نوافل الخير من صلاة وصيام وتلاوة كما حدثني بذلك بعض بطانته، وأنه يجد لها في خلاته لذة وحلاوة. انتهى

ثم إنه ما لبث بعد أن بويع البيعة العامة أن قام لتدويخ قبائل المغرب من عرب وبربر، ففي كلّ وقت وحين له غزوة لناحية من النواحي لم يهنأ قط من الحركة لتمهيد الأقطار وقمع الثوّار، بل كانت حركاته وغزواته في مرآها أشبه شيء بسلسلة متتابعة الحلقات أو كالحلقة المفرغة التي لا يدرى أين طرفاها ومع ذلك ففي عهده تأكدت المواصلة بدول أوربا، وعظمت التجارة وكثرت الأموال بين الناس، فتأنقوا في المصانع والأبنية وبلغ أهل المغرب في الرفاهية مبلغاً لم يبلغه أسلافهم، وكانت تلك الأيام على ما فيها من كثرة الغزوات والحركات كلها خيرات ومبرات وبركات لم يكدر صفوها إلا تسرب قوم من التجار للمناصب السامية والمراتب العالية؛ فارتفعت منزلتهم ونفذت كلمتهم وصار بيدهم الحل والعقد والأخذ والرد ولكنهم لسوء تصرفهم أوقعوا بالدولة الوقعة الأخيرة، وأصابوها بالأزمة الخطيرة.

---

(1) انظر ترجمته في: الاستقصا، للناصري: 3/ 128، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 2/ 115، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 235، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 322.

وبقي الأمر يتزايد إلى أن اضطرت الدول لتقديم اقتراحاتهم في شأن إقامة ميزان العدل والمساواة في الحقوق وبث النظام الوقتي من إصلاح الطرقات وتسهيل المواصلات، فكان السلطان المولى حسن يدافع عن ذلك بالتي هي أحسن إلى أن توفي وهو بتادلة في بعض حركاته ثالث ذي الحجة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف وحمل في تابوته إلى رباط الفتح حيث دفن ضجيع جده السلطان سيدي محمد بن عبد الله عليه رحمة الله؛ فخلفه السلطان مولاي عبد العزيز[1] إلى أن قلع عام (1326هـ) ثم السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى أن تنازل عن الملك عام (1330) ثم السلطان الحالي مولانا يوسف أبّد الله أيامه وأيّد بنوده وأعلامه.

وكل هؤلاء الملوك أخوة من أبناء صاحب الترجمة ولست بصدد ذكر ما جرى في دولهم الثلاث من الماجريات التاريخية والأحداث

قَدْ كَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظُنَّ خَيْراً ولا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ

*** [147] الحسن الشافعي (المتوفى سنة 1315هـ)[2]**

الفقيه البركة المدرس أبو على الحسن بن المكي الشافعي النسب وبه اشتهر، الشاوي أصلاً ثم الرباطي داراً.

قرأ على الشيخ أبي إسحاق ونسخ جل تآليفه وقيد عنه طرراً لا تزال بهوامش كتبه شاهدة بما كان له من الولوع والإنكباب على الدرس والتقييد إلى أن توفي حوالي عام 1315هـ.

---

(1) هو: أبو فارس، عبد العزيز بن الحسن بن محمد الحسني، العلوي، سلطان مراكش وابن سلطانها بويع بعد وفاة أبيه سنة 1311هـ فأنشأ داراً للآثار بفاس، وهو أول من أدخل نور الكهرباء إليها، نزل عن الملك سنة 1326هـ. انظر ترجمته في: الدرر الفاخرة، لابن زيدان، ص: 111، والاستقصا، للناصري:4/ 278.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 247، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 338.

حرف الخاء

*** [148] سيدي الخطاب**

صاحب الضريح خارج باب العلو بالمقبرة المنسوبة إليه ويقال أنه أحد أجداد سيدي الشاذلي آل سيدي محمد الشرقي والله أعلم.

حرف الزاي

*** [149] سيدي زيتون**

دفين عرصة السيدة للا هنو، من أولياء الرباط الذين لا تعرف لهم ترجمة ويقال أنه كان خديم السيدة المذكورة وأنه وارث سرها من بعدها ولا أتحققه.

*** [150] زين العابدين البناني (المتوفى سنة 1310هـ)[1]**

الفقيه العلامة الحافظ الناقد المشارك الدراك، ولد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة سبع وسبعين ومائتين وألف ونشأ بالرباط راتعاً في مراتع العلم الشريف فقرأ على كثير من شيوخ العدوتين كالشيخ أبي إسحاق التادلي، والفقيه السيد أحمد بناني، والقاضي السيد عبد الله ابن خضراء السلاوي[2]، وشيخنا سيدي الجيلاني بن إبراهيم، وشيخنا سيدي أحمد بن موسى السلاوي[3]، وغيرهم.

ويحكى عنه في إبان الطلب أنه كان صباح مساء مكباً على اقتناص أوابد العلوم وشوارد الفهوم مستغرقاً أوقاته في البحث والمطالعة والحفظ والمراجعة، ولم يزل دؤوباً على التعاطي سحابة ليله ويومه حتى أتته العزائم على قدر عزمه المتقدم فتناول جل العلوم المتداولة درساً وتعليماً وتعاطاها تلقيناً وتفهيماً خصوصاً النحو والتصريف والبيان والفقه والحديث والسير، فقد كانت له فيها دروس تشد لها الرحال ومجالس كانت على صغر سنه معدودة من مجالس فحول الرجال وناهيك أن جل جهابذة أشياخنا من ثديه ارتضعوا وبمعلوماته الغزيرة انتفعوا كأخيه العارف بالله تعالى الشيخ فتح الله البناني والقاضي أبي عبد الله الرندي والقاضي

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 232، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 316، وسماه (محمد زين العابدين)، وعلى ذلك فحقه أن يترجم في الجزء الأول.

(2) هو: عبد الله بن هاشم بن خضراء السلاوي، فقيه، صوفي، ولد بسلا وبها حفظ القرآن، وبعض المتون، ثم توجه للمشرق، فأخذ عن جماعة من علماء مصر والحجاز. وعين قاضياً بمراكش ثم بفاس، توفي سنة 1324هـ انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 139، والإعلام، للسملالي: 8/ 346.

(3) هو: أحمد بن موسى المعساسي، الحسناوي، السلاوي، انظر ترجمته في: جواهر الكمال، للكانوني، ص:35.

أبي زيد السيد عبد الرحمن بريطل، والعلامة المرحوم السيد محمد بن عمر دنية والأديب المحقق السيد التهامي الغربي وغيرهم.

ولم تزل ألسنتهم جميعا رطبة بالثناء على معارفه الجمة والتنويه بمجالسه مجالس الفحول من الأئمة إلى أخلاق وشمائل كأزهار الخمائل، ونفس أبية شماء وجلالة سامية ما طاولتها سماء إلى سودد ضم تالده إلى طارفه، ومجد ارتدى منه بأجمل مطارفه، ولا غرو فإنه ليس في أسلافه الكرام إلا إمام أو ابن إمام رحم الله السلف وبارك في الخلف، ولا بدع في در بدا من مقره، ولا عجب فالدر من معدن الدر، وفي آخر عمره شخص إلى فاس وحضر على الفقيه ابن التهامي الوزاني الشهير في دروسه للمختصر كما حضر مجلس سيدي جعفر الكتاني[1] للجامع الصحيح بالزاوية الكتانية ولا يحفظ من آثار أقلامه سوى بعض الختمات قيدها عند ختمه لبعض المتون العلمية مع شريح على مقامة المفاخرة بين السيف والقلم لابن نباتة[2]، وحواش على الهمزية كان شرع في كتابتها أيام درسه لها، وربما نثر ونظم، ولما أجازه الشيخ خليفة المدني[3] بأسانيده كتب له تحتها هذا البيت:

ذَا سَـــنَدِي فَـــإِنْ قَبِلْـــتَ حَبَّـــذَا ... أَوْ لَـمْ يُنَاسِـبْ خَلْـفَ ظَهْـرِكَ انْبُـذَا

فكتب المترجم تحته ما نصه:

فَـــقُلْتُ قَـــبِلْتُ فَيَـــا حَبَّـــذَا ... وهَيْهَـــاتَ وهَيْهَـــاتَ أَنْ يُنْبَـــذَا
عَـــلَى أَنَّنِـــي لَـــسْتُ أَهْـــلاً لِـــذَا ... وأَنَّـــى لِـــمِثْلِي يُقَـــالُ كَـــذَا
وَلَكِـــنْ نَظَـــرْتُمْ بِعَـــيْنِ الرِّضَـــى ... فَـــصَارَ الْعَبِيـــدُ بِكُـــمْ أَهْـــلَ ذَا
أَدَامَ الإِلَـــهُ سَـــنَا بَـــذْرِكُمْ ... وأَبْعَـــدَ عَـــنْكُمْ جَمِيـــعَ الأَذَى

---

(1) هو: أبو المواهب، جعفر بن إدريس الكتاني، الحسني، الإدريسي، العالم، الفقيه، المحدث، النسابة، المتوفى بفاس سنة 1323هـ. انظر ترجمته في: معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي: 1/ 173، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 131.

(2) هو: أبو الفضائل، وأبو الفتح، وأبو بكر، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامي، المصري، المعروف بابن نباتة، أديب، مؤرخ، أصله من ميافارقين، توفي سنة 768هـ. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة، لابن حجر: 4/ 216، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي: 11/ 95، وحسن المحاضرة، السيوطي، ص: 329.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن خليفة المدني، الفقيه الأديب المسند الرحال، أصله من تونس، ويعرف أهله فيها بأولاد الرقاع، رحل في صغره إلى المدينة وأقام بها، ثم رحل إلى مصر والجزائر وفاس ومراكش والصويرة وآسفي والرباط ومكناس، روى عن مؤلفي زمانه مؤلفاتهم، كالشيخ رحمة الله الهندي صاحب " إظهار الحق "، والنازلي صاحب " خزينة الأسرار"، توفي سنة 1313هـ. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 415، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 380.

ورأيت من شعره قصيدة يهنيء بها صهره العلامة القاضي السيد علي دنية الرباطي يقول في أوائلها:

سَلامُ اللهِ ذِي الْعَرْشِ الْعَلِيِّ ... مَعَ الْبَرَكَاتِ والْخَيْرِ الْوَفِيِّ
عَلَى الْحَبْرِ السَّمَيْذَعِ ذِي الْمَزَايَا ... أَخِي التَّدْقِيقِ والْعَقْلِ الذَّكِيِّ
أَسَاسِ الْعِلْمِ قَامُوسِ الْمَعَانِي ... ومِصْبَاحِ الْهُدَى الْعَلَمِ السَّمِيِّ
مَحَلِّ أَبِي ومُعْتَمَدِي وصِهْرِي ... ومُسْتَنَدِي أَبِي حَسَنٍ عَلِيِّ
أَبَحْرَ الْعِلْمِ يَا بَدْرَ الْمَعَالِي ... إِمَامَ الدِّينِ ذَا الْقَدْرِ السَّنِيِّ
لِيَهْنَكَ سَيِّدِي وحَبِيبَ قَلْبِي ... قُدُومَ الْعِيدِ بِالْبِشْرِ الْهَنِيِّ
أَدَامَ اللهُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ... مَعَ الْحِفْظِ الْعَمِيمِ السَّرْمَدِيِّ

... إلخ، ولعل هذه القصيدة بعثها إلى صهره المذكور أيام كان مستخدماً بثغر آسفي عام سبعة من هذا القرن، وبعد قفوله من وجهته هذه بمدة أصيب بداء الاستسقاء، وبه كانت وفاته في يوم الثلاثاء ثامن وعشرِ جمادى الثانية سنة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بلصق قبر والده بزاويتهم الشهيرة، سقى الله ضريحه وجعل في أعالي الفردوس غبوقه وصبوحه، آمين.

ومن آثاره ما وقفت عليه بخطه كالتعليق على شرح الخرشي عند افتتاحه لدرس المختصر بالشرح المذكور، ونص ذلك:

الحمد لله الذي شرح صدر من أراد به خيراً للتفقه في الدين، وقيض لحمل أعباء الشريعة المطهرة من اصطفاه من جهابذة الأئمة الهادين المهتدين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد أشرف الخلائق عُجماً وعُرباً، وأفضل من بيَّنَ الطرائق وأوضح الحقائق فعمت دعوته العالمين شرقاً وغرباً، وبين لأمته المرحومة حلال الدين وحرامه، وأصَّل قواعده المحكمة وشيَّد أعلامه، وعلى آله البررة الكرام، وصحابته الذين بهم حمى الله بيضة الإسلام، وانجلت عن بصائر المؤمنين بوجودهم غياهب الجهل وسحائب[1] الظلام، والرضى عن ساداتنا العلماء الأخيار المتصدين بقلبهم وقالبهم لنشر شريعة النبي المختار، القائمين بنصرة الدين والذب عن حريمه آناء الليل وأطراف النهار. أما بعد، فإن علم الفقه من أفضل ما أنفقت فيه نفائس الأعمار، وأجل ما أجيلت في تفهيمه وتفهمه جياد

(1) في (ح1) (سجائف).

الأفكار، إذ هو المقصود بعد إفراد المعبود من الإرسال، والمتكفل ببيان الحرام من الحلال، خصوصاً فقه عالم المدينة الذي كل إمام من أنوار علومه اقتبس، إمام الأئمة أبي عبد الله إمامنا مالك بن أنس.

ومن أحسن ما ألف في ذلك وبين فيه ما به الفتوى في مذهبه الواضح المسالك مختصر الشيخ العلامة الجليل أبي المودة وأبي الضياء سيدنا ومولانا خليل. وقد وضع الناس عليه قديماً وحديثاً شروحاً عديدة وحواشي موضحة نافعة مفيدة ألا وممن شرحه أولاً وثانياً، ولم يكن في نصح الأمة متكاسلاً ولا متوانياً إمام أهل زمانه، وفريد عصره وأوانه، شيخ المالكية مشرقاً ومغرباً، وأشهرهم جلالة ومنصباً، ولي الله الذي لم يزل طول عمره يذيع العلوم ويفشي، أبو عبد الله سيدي ومولاي محمد بن عبد الله بن علي الخرشي.

ولما كان شرحه الثاني الصغير من الشهرة بمكان، ولم تزل فحول العلماء عاكفين على قراءته وإقرائه في كل زمان، وآثار النفع والتحصيل عليهم لائحة لا يختلف فيها اثنان، وشرح الله بمنه صدري لقراءة المختصر المذكور، والوقوف على ما وضعه عليه فقهاؤنا الأئمة البدور، تاقت نفسي إلى هذا الشرح المبارك العظيم المتكفل بكل خير عميم لوجوه تذكر وأسباب تسطر، منها ما تقدم قريباً ومنها وهو أهمها إسعاف طلبة جماعة الإخوان الجادين في طلب العلم ابتغاء وجه الرحمن، إذ في إسعافهم إن شاء الله خير الدنيا والدين، وتحريك بواطنهم لتحصيل ما راموه من فرائد فوائد ذلك المختصر المكين، ومنها اغتنام بركة هذا الشرح العجيب، والتعرض عند قراءته لنفحات الله القريب المجيب، إذ كان وضعه له بإذن من سيد البشر حسبما نقله في ترجمته صاحب صفوة ما انتشر[1]، ومنها كون مؤلفه - رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه - من جملة رجال سندنا الفقهي الذي أجازنا به شيخنا الفقيه الأجل النزيه الأكمل الشريف الحسني سيدي ومولاي محمد بن خليفة المدني.

ونص الإجازة: " وأجزت لك أيها المحب في أن تروي عني الفقه المالكي كما رويتُه عن عدة من المشايخ العظام، ومن أجلهم العالم الهمام نخبة الأساتيذ الجهابذة الكرام من هو بالفضل مشهور، سيدي علي ابن الحاج موسى المذكور[2]، يعني في السند قبله، وهو يرويه

---

(1) انظر: صفوة من انتشر، للإفراني، ص: 343.

(2) هو: أبو الحسن، عليّ بن أحمد بن موسى، الجزائري. انظر: فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 137.

عن شيخه العلامة الصالح سيدي محمد بن هني المجَّاجي[1] رواية ودراية مشافهة، وهو قد أخذه كذلك عن الشيخين المحققين الحافظين، أحدهما شيخ الجماعة وقاضي القضاة المالكية بالجزائر كان سيدي عواد دفين روضة الإمام الثعالبي عليهما من الله سحائب الرحمة والرضوان، والثاني العلامة الدراكة السيد محمد بن أبي علي الجزائري، وكلاهما أجازه في ذلك كما أجازه أيضاً العلامة الشهير بمصر، فريد الأوان والعصر الشيخ سيدي محمد الأمير الصغير عن والده العلامة الطود الكبير مولانا الشيخ الأمير صاحب التآليف العديدة والشمائل الكريمة الفريدة عن العلامة الشيخ سيدي علي الصعيدي العدوي[2] عن الشيخ محمد السلموني[3] عن العلامة البركة الشيخ محمد الخرشي[4]، عن العلامة الشيخ علي الأجهوري[5]، عن العلامة الشيخ البنوفري[6]، عن العلامة الشيخ عبد الرحمن

---

(1) هو: محمد بن هني، المعروف بالمجاجي (نسبة إلى مجاجة، بلدة في المغرب)، المتوفى بتونس سنة 1265هـ ذكره الكتاني في فهرس الفهارس: 1/ 137، و2/ 1028.

(2) هو: علي بن أحمد بن مكرم الله الصعيدي، العدوي، الأزهري، الشهير بالصعيدي، فقيه، محدث، أصولي، متكلم، منطقي، ولد ببني عدي بأسيوط، وتوفي في القاهرة سنة 1189هـ. انظر ترجمته في: عجائب الآثار، للجبرتي: 1/ 414، وسلك الدرر، للمرادي: 3/ 206، والخطط التوفيقية، لعلي مبارك: 9/ 94، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 115.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحيم بن محمد السلموني الازهري، المالكي، المتوفى بعد 1173هـ أحد تلامذة الخرشي، وهو شيخ العدوي، من آثاره: " كوكب الإشراق فيما يجب للواحد الخلاق" في العقيدة و"شرح غزيرة المعاني جيدة المباني" وهو شرح على خطبة شرح العلامة محمد السنوسي على أم البراهين، انظرترجمته في: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 318، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 10/ 160.

(4) هو أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن علي الخرشي، أو الخراشي، نسبة لقرية يقال لها أبو خراش بالبحيرة بمصر، من أخذ عن الشيخ علي الأجهوري، وهو أول من تولى مشيخة الأزهر، من تصانيفه شرحين على خليل، كبير وصغير و"منتهى الرغبة في حل ألفاظ النخبة"لابن حجر. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 317، والأعلام، للزركلي: 2/ 303، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 820.

(5) هو: أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علي الأجهوري (بضم الهمزة وسكون الجيم)، المتوفى سنة 1066هـ شيخ المالكية في عصره بالقاهرة، أخذ عن الشمس الرملي، والبدر الكرخي، أخذ عنه الشمس البابلي، والنور الشبراملسي، والشهاب العجمي، له ثلاثة شروح على خليل، وحاشية على شرح التتائي على الرسالة، انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 303، وخلاصة الأثر، للمحبي: 3/ 157، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 782، والأعلام، للزركلي: 5/ 167.

(6) هو: محمد بن سلامة البنوفري، المالكي، المصري، المتوفى سنة 998هـ قيل عنه أنه كان يقرأ المختصر في أربعة أشهر ويرابط أربعة أشهر ويحج في أربعة أشهر.. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 294، لقط الفرائد، لابن القاضي، ص:322، الكواكب السائرة، للغزي:3/ 82.

الأجهوري[1] عن شمس الدين اللقاني[2] عن الشيخ علي السنهوري[3] عن الشيخ البساطي، عن الشيخ بهرام[4] عن الشيخ خليل بن إسحاق مؤلف المختصر وغيره، عن الشيخ عبد الله المنوفي[5] عن الشيخ طاهر بن علي النويري[6] عن الشيخ حسين[7] عن الشيخ أبي العباس

---

(1) هو: أبو عبد الرحمن بن علي الأجهوري، المصري، الفقيه، المتوفى سنة 957هـ أخذ عن الشهاب الفيشي، والشمس اللقاني، وأخيه ناصر الدين، وأخذ عنه البدر القرافي، وغيره. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 1/ 288، وتوشيح الديباج، للقرافي، ص: 99.

(2) هو: محمد بن حسن بن علي بن عبد الرحمن اللقاني، شمس الدين، المصري، الفقيه، أخذ عن الملا علي وغيره، وجلس لإقراء العلوم بالجامع الأزهر قرابة من ستين سنة، أخذ عنه البدر القرافي، وأخرج له طررا على نسخته من التوضيح فجاءت في مجلدين كما ذكر في التوشيح. انظر ترجمته في: توشيح الديباج، للقرافي، ص: 187، ونيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 277 .

(3) هو: أبو الحسن، علي بن عبد الله السنهوري، المصري، الفقيه، الضرير، نور الدين، المتوفى سنة 889هـ قال البدر القرافي: ولد بنطوبس وانتقل إلى سنهور من قرى مصر، فحفظ القرآن، ثم تحول إلى القاهرة، فقطن الجامع الأزهر، وحفظ الشاطبيتين، وألفية النحو، وابن الحاجب الأصلي، وشرح العضد، والرسالة، وابن الحاجب الفرعي إلا كراساً من آخره، وأخذ الفقه عن الزين طاهر المختصر، وثلثي ابن الحاجب، وقطعة من المدونة، وكذا أخذ الفقه أيضاً عن الزيني عبادة، وسمع عليه ابن الجلاب، والمختصر، والرسالة، والكثير من ابن الحاجب... صار بأخرة شيخ المالكية وازدحم عليه الفضلاء حتى صارت حلقته بعيد الثمانين من أجل حلق دروس العلم. أهـ. وممن أخذ عنه الشيخ زروق، وغيره. انظر ترجمته في: الضوء اللامع، للسخاوي: 5/ 249، وتوشيح الديباج، للقرافي، ص: 114، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 258، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 7/ 138.

(4) هو: أبو البقاء، بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض بن عمر السلمي، الدَّميري، القاهري المصري، المالكي، تاج الدين، المتوفى سنة 805هـ .انظر ترجمته في: توشيح الديباج، للقرافي، ص: 62، وكفاية المحتاج، للتنبكتي: 1/ 177، ونيل الابتهاج، له أيضاً: 1/ 160، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 344، والضوء اللامع، للسخاوي: 3/ 19، وإنباء الغمر، لابن حجر: 5/ 98، وحسن المحاضرة، للسيوطي: 1/ 383.

(5) هو: أبو محمد، عبد الله بن محمد بن سليمان المنوفي، المغربي أصلاً، المتوفى سنة 749هـ تفقه بالشرف الزواوي، وجمال الدين الأقفهسي، وابن الحاج الفاسي، وغيرهم وبه تفقه خليل بن إسحاق الجندي وذكر مناقبه في مؤلف. انظر ترجمته في: مناقب المنوفي، لخليل نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم(763)، وتوشيح الديباج، للقرافي، ص: 93، والدرر الكامنة، لابن حجر: 3/ 97، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 205 .

(6) هو: أبو الحسن، طاهر بن علي بن محمد النويري، المصري، الأزهري، المالكي، زين الدين، المتوفى سنة 856هـ تفقه بالجمال الأقفهسي، والشهاب الصنهاجي، وبالزين عبادة، والبساطي، ولازمه حتى أذن له، أخذ عنه النور السنهوري، والسخاوي وقال: قل أن ترى الأعين في معناه مثله. أهـ. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 242، والضوء اللامع، للسخاوي: 4/ 5 .

(7) هو: أبو علي، حسين بن علي بن سبع البوصيري القاهري، شرف الدين وبدر الدين، الفقيه المالكي، المتوفى سنة 838هـ قال السخاوي: عرض على مغلطاي، وكان يذكر أنه حضر مجلس الشيخ خليل صاحب المختصر وبهرام وأبي عبد الله بن مرزوق وأنه بحث على ابن هلال السكندري مختصر ابن الحاجب الفرعي وأنه سمع السيرة لابن هشام مرتين أحداهما بقراءة الغماري والأخرى بقراءة العراقي على الجمال بن نباتة، وكذا سمع على المحب الخلاطي جل الدارقطني.أهـ . انظر

أحمد بن عمر بن علي بن هلال[1] عن فخر الدين ابن المِخْلَطَة[2]، عن أبي حفص عمر بن فراج الكِندي[3]، عن الشيخ أبي محمد عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري[4] عن محمد بن الوليد بن خلف الطرطوشي[5] عن أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي[6] عن مكي القيسي =

ترجمته في: إنباء الغمر، لابن حجر: 8/ 362، وشذرات الذهب، لابن العماد: 7/ 227.

(1) هو: أبو العباس، أحمد بن عمر بن علي بن هلال الربعي-نسبة لربيعة الفرس- السكندري، المتوفى بدمشق سنة 795هـ، تفقه بابن المخلطة، وأبي عبد الله المنوفي، وبه تفقه له شرح على "جامع الأمهات" لابن الحاجب، ونظم "ناضرة العين". انظر ترجمته في: الديباج، لابن فرحون: 1/ 83، والفكر السامي، للحجوي: 1/ 80.

(2) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله الإسكندري، المالكي، فخر الدين، ابن المخلطة، المتوفى سنة 795هـ اشتغل ومهر في الفقه والعربية وسمع من يحيى بن محمد الصنهاجي، والمزي، والذهبي، وغيرهم، وتفقه على عمر بن فراج، وغيره، قال ابن فرحون: له تآليف عديدة منه شرح ابن الحاجب الفقهي في ثمانية أسفار كبار وكان قد شرحه شرحاً مطولا ثم تركه فلم يكمله لطوله، وله على مختصر بن الحاجب الأصلي شرحان، وله شرح على كفاية ابن الحاجب في العربية لم يكمله، وله تأليف مستقل على الاشكال الاربعة التي في مختصر ابن الحاجب الاصلي سماه "رفع الإشكال عما في المختصر من الإشكال" وله تفسير آية الكرسي أتى فيه بفوائد كثيرة، ولقيته بدمشق في سنة اثنين وتسعين. أهـ. انظر ترجمته في: الديباج، لابن فرحون: 1/ 82، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 223.

(3) هو: أبو حفص، عمر بن فراج الكندي، الأسكندري كان من أعلام العلماء والأئمة والمتفننين الفضلاء اخذ عن أعلام منهم الناصر الإبياري عن ابن الحاجب عن أبي محمد عبد الكريم ابن عطاء الله وعنه أئمة منهم القاضي فخر الدين بن المخلطة. لم أقف على وفاته.

(4) هو: أبو محمد، عبد الكريم بن عطاء الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد ابن عيسى بن الحسين الجذامي، السكندري، رشيد الدين، المتوفى سنة 664هـ عالم، جليل، كان إماماً في الفقه، والأصول، والعربية،رافق ابن الحاجب في الأخذ عن الأبياري وبه تفقه، ومن تصانيفه: "البيان والتقريب في شرح التهذيب" في نحو سبع مجلدات، واختصر التهذيب، ومفصل الزمخشري وغير ذلك. انظر ترجمته في: الديباج، لابن فرحون: 2/ 43، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 167، وتاريخ الإسلام، للذهبي: 49/ 176، وحسن المحاضرة، للسيوطي: 1/ 456.

(5) هو: أبو بكر، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، المعروف بالطرطوشي وبابن أبي رندقة، المتوفى سنة 520هـ بالإسكندرية، صحب أبا الوليد الباجي ورحل للمشرق ودخل بغداد، وسمع من أبي بكر الشاشي، وأبي محمد الجرجاني، وعنه أخذ أبو الطاهر إسماعيل بن مكي، وسند صاحب "الطراز"، والأقليشي، ومحمد بن مسلم المازري، والقاضي عياض بالإجازة، له تآليف منها: "سراج الملوك"، و"مختصر تفسير الثعالبي"، و"شرح رسالة ابن أبي زيد"، وكتاب "برّ الوالدين". انظر ترجمته في: الديباج،لابن فرحون: 2/ 244، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 124، والأنساب، للسمعاني: 8/ 235، والمغرب، للمراكشي: 2/ 424، والتقييد، لابن نقطة، ص: 117، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 19/ 490.

(6) هو: أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعدون بن أيوب بن وارث التجيبي،الأندلسي، الباجي، القاضي، المتوفى سنة 474هـ من أسرة ترجع أصولها إلى بَطَلْيوس، ثم انتقلت إلى باجه بالأندلس، ثم سكنوا قرطبة أخذ عن ابن الرحوي، وأبي الأصبغ ابن أبي درهم، وأبي محمد مكي بن أبي طالب، وأبي شاكر القبري، والقاضي يونس بن مغيث، وتفقه بالقاضي أبي الطيب الطبري، والقاضي أبي عبد الله الصيمري، وأبي الفضل بن عمروس، وغيرهم، رحل إلى المشرق سنة 426هـ وأخذ عن =

الأندلسي[1] عن ابن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة، عن الشيخ محمد بن اللَّباد[2] عن الإمام سحنون عن الإمام ابن القاسم عن الإمام مالك بن أنس" رضي الله عن الجميع وعنا بهم، آمين (انتهى)[3].

ولتعلموا معاشر الإخوان منحني الله وإياكم أسرار العرفان أن مجلسنا هذا مجلس مذاكرة وتشقيق لا مجلس تحقيق وتدقيق، إذ لست من فرسان ذلك الميدان ولا نسبة بيني وبين أهل ذاك الشان، بل القصور مسكني والفتور وطني، فما كان من صواب فمن الله العلي العظيم، وما كان غير ذلك فمن عقلي الفاتر وفهمي السقيم.

أقول قولي هذا والله عند لسان كل قائل سائلاً منه جل جلاله أن يأخذ بيدنا أخذ الكرام عليه في الأواخر والأوائل، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

ومن آثاره أيضاً أسانيده التي رواها عن شيخه أبي إسحاق التادلي، وهذا نص ما كتب في ذلك: " الحمد لله تقييد ما أجازني به شيخنا سيدي إبراهيم التادلي أطال الله بقاءه بعد

= جماعة من مصر والعراق والشام، ثم عاد إلى وطنه بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جم، وولي قضاء أماكن، وصنف تصانيف كثيرة منها "المنتقى" في شرح الموطأ انتقاه من شرح كبير له سماه "الاستيفاء"، واختصر المنتقى بكتاب سماه "الإيماء" و"المقتبس في علم مالك بن أنس" لم يتم، واختصار، وشرح للمدونة لم يتم، وفي الحديث: "اختلاف الموطآت"، و"التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح"، وغيرها من التصانيف. انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، لعياض: 4/ 802، والديباج، لابن فرحون: 1/ 197، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 120، ومعجم الأدباء، لياقوت: 11/ 246، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 2/ 408، وسير أعلام النبلاء، للذهبي:18/ 535.: .

(1) (2) هو: أبو محمد، مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي، القيرواني، القرطبي، المتوفى سنة 437هـ له تصانيف منها: "الإيضاح في الناسخ والمنسوخ " و" العمدة في غريب القرآن " و" التبصرة في القراءات السبع ". انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار، للذهبي: 1/ 316، وغاية النهاية، لابن الجزري: 2/ 309، والديباج المذهب، لابن فرحون: 2/ 342، وبغية الملتمس، للضبي، ص: 469.

(2) هو: أبو بكر، محمد بن محمد بن وشاح اللخمي- مولاهم- الإفريقي، المعروف بابن اللباد. المتوفى سنة 333هـ، فقيه علامة، تفقه على يحيى بن عمر، وعليه عول، وكان من بحور العلم، وتخرج به أئمة منهم أبو محمد بن أبي زيد، وقد امتحن وضرب وسجن،ومنعه بنو عبيد من الإقراء والفتيا إلى أن توفي، صنف " عصمة الأنبياء "، و" كتاب الطهارة " و" مناقب مالك ". انظر ترجمته في: المدارك، لعياض:5/ 286، والديباج، لابن فرحون: 2/ 196،وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 84.

(3) قلت: وهذا سند مضطرب، فلا أخذ للمنوفي المتوفى سنة 749هـ من النويري المتوفى سنة 856هـ، وأصله ما عند القرافي عندما ذكر سنده إلى خليل، ونقل عن الشمس اللقاني قوله: وعسر اتصال طريق الشيخ أبي عبد الله المنوفي بالإمام (يعني مالك).. أهـ. ثم ذكر اتصال سنده بمالك عن طريق السنهوري عن طريق النويري؛ وهو الموجود في فهرسة الأمير وهو ما لفق هنا على هذه الصورة، وانظر: التوشيح، للقرافي،ص: 79، وفهرسة الأمير: (مخطوط الأزهرية بأرقام 21498، و60494، و53058).

استدعائي ذلك منه:

ونص الاستدعاء: الحمد لله الذي أوضح سبل الهداية وبين معالم الدين، وفتح أقفال قلوب الصديقين لافتضاض أبكار المعاني، فكشفوا عنها القناع بأحسن عبارة وأكمل تبيين، فسبحانه من إله من استند إليه حقاً في ذروة الكمال ارتقى، ومن اعتمد عليه في سره ونجواه أمن من دَرَكِ الشقاء.

والصلاة والسلام على ترجمان الحق وسفير حضرة الوجوب والإمكان، وسر جوهرة التكوين المنطوية في صدفة الأكوان، سيدنا ومولانا محمد خير البرية وأشرف بني عدنان، وعلى آله وأصحابه شموس الهدى وأقمار الهداية المشيدين منار الدين بعد أن حموا ذماره عن أصحاب الغواية، والرضى عن ساداتنا العلماء مصابيح الدين ونجوم الاهتدا، ما دعا لله داع وإلى سواء الطريق هدى.

أما بعد، فليتفضل سيدنا وسندنا، وقدوتنا ومرشدنا، ووسيلتنا إلى ربنا، الحبر الهمام، وشيخ الجماعة والإسلام، الولي الصالح، الورع الناصح، ينبوع الحكم والعلوم، وبحرها الدافق الزخار، وحامل لواء المذهبية على نهج البررة الأخيار، من ألقت إليه أشتات العلوم كل زمام، فالناس على نهجه سالكون، وبه مقتدون، وهو الإمام ذو الشمائل المحمدية، والقدم الشاذلي أبو إسحاق سيدنا ومولانا إبراهيم التادلي، أكرمنا الله والمسلمين بحفظه وبقائه، ومتع أهل العلم بدروسه النفاعة، وإقرائه بالإجازة لهذا العُبَيْد الجاهل الضعيف الذي قطع عمره في البطالة والتسويف، الواقف ببابكم راجياً نيل الأماني، زين العابدين ابن أبي بكر بن محمد بناني، وهو وإن لم يكن لما رامه أهلاً؛ فلتقبلوه مَنّاً منكم وفضلاً، كي تهب عليه نفحاتكم البهية الباهرة، ويستوجب من الله بذلك رضوانه الأكبر في درجات الآخرة، ويرتفع باستناده إليكم قدره الخسيس، وكيف لا وأنتم القوم لا يشقى بهم الجليس، أجازكم الله بأنفس الذخائر وأسناها، وأكبر المعارف في حضرة التقريب وأسماها وأطال بكم النفع للخاصة والعامة من أهل الإسلام بجاه سيد الوجود المبعوث رحمة للأنام، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

بَقِيتَ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ ... وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلُ

فكتب بخط يده الشريفة ما نصه:

الحمد لله الذي من استند إليه وصل، ومن انقطع إليه اتصل، حمداً يصح به ضعيف إيماننا، ويحسن به منكر أعمالنا، والصلاة والسلام على السيد السند الذي اسمه في الأرض

محمد وفي السماء أحمد، وعلى آله إلى الأبد، بلا حصر ولا عدد. أما بعد، فلما كان السند والإجازة أمرهما مُحَتَّمٌ متبوع، ومن لا سند له فهو مقطوع، وقد قيل إن السند كالسيف للقاتل أو كالسلم للصاعد من سافل، وأن الخالي عن الإسناد كالدعيّ إلى الآباء والأجداد، وأن طالب العلم بلا سند كمغترف من ماء بلا مدد. ولو كان السند بالإجازة التي هي من أقل وجوه أخذ الحديث إفادة، وبها يخرج من وعيد حديث «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار»[1] والإجماع المشار له بقول الألفية أولها:

قُلْـــتُ ولابْـــنِ خَيْـــرِ امْتِنَـــاعُ   نَقْـــلِ سِـــوَى مَرْوِيِّـــهِ إِجْمَـــاعُ[2]

وبها يصح أن يقول في البخاري وغيره من كتب الحديث: وبه إليه قال: حدثنا فلان.. إلخ. الذي لا بد منه في ابتداء كل سند لحديث كما أشار له في الألفية أيضاً، فإن لم يقل وبه إليه قال: حدثنا، بل قال أولاً: حدثنا فلان، كما يفعله الجهلة كان كاذباً؛ التمس مني بعض طلبتنا وهو الشاب الأنجب الحيي الأحسب السيد زين العابدين بن الفقيه العلامة السيد أبي بكر البناني وفقه الله لكل خير وسدده، أن أجيزه بسندي الموصل للبخاري وغيره، ظناً منه أني أهل لذلك، فأجبته على حسن ظنه، وإن كنت لست من أهل تلك المسالك، رغبةً في أن يتصل برسول الله ﷺ، وحرصاً على بقاء السند الذي هو من خصائص هذه الأمة، كما بينه في المقصد الرابع في الخصائص من المواهب، وامتثالاً لحديث «ليبلغ الشاهد الغائب»[3]؛ فأقول أني أجزته وغيره من جميع طلبتنا، بل كل من وقف عليه بجميع مروياتي، كما أجازنا بذلك أشياخنا شرقاً وغرباً رضي الله عنهم، ومتعنا ببركاتهم ورضاهم، آمين- عن أشياخهم، وهلم جرا إلى رسول الله ﷺ، فمنهم شيخنا خاتمة المحدثين والمحققين في المعقول والمنقول الشريف سيدي الوليد العراقي الفاسي رحمه الله وشيخنا خاتمة أئمة المعقول السيد أحمد بناني الفاسي، وقال لي لما شيعني عند السفر من فاس للرباط: أجزتك مشافهة كما أجازني شيخنا سيدي الوليد المذكور مشافهة.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ: 1/ 52، برقم (107)، ومسلم في صحيحه، في باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ: 1/ 10، برقم (3).

(2) انظر ألفية العراقي في علوم الحديث، والبيتان السابقان لهذا البيت هما:

وَأَخْـــذُ مَـــتْنٍ مِـــنْ كِتَـــابٍ لِعَمَـــلْ   وَاحْتِجَـــاجٍ حَيْـــثُ سَـــاغَ قَـــدْ جَعَـــلْ

عَـــرْضاً لَـــهُ عَلَـــى أُصُـــولٍ يُـــشْتَرَطْ .   وَقَـــالَ يَحْيَـــى النَّـــوَوِي أَصْـــلٌ فَقَـــطْ

(3) تقدم تخريج هذا الحديث.

ومنهم شيخنا الشيخ حسين بن إبراهيم الأزهري ثم المكي مفتي المالكية وشيخهم بمكة[1] عن شيخه الشيخ إبراهيم الباجوري[2] عن محمد الأمير[3] بأسانيده المذكورة في فهرسته المشهورة[4].

ومنهم شيخنا الولي الصالح السيد الحاج محمد بن دَح الزموري[5]، أجازني بمكة عن شيخه سيدي عمر بن المكي بن المعطي بن الصالح صاحب (الذخيرة)[6] عن السيد شمهروش قاضي الجانّ عن النبي ﷺ، ولا سند أعلى من هذا السند اليوم في الدنيا كلها.

ومنهم شيخنا السيد أحمد دحلان المكي صاحب السيرة المشهورة وفقه الله، ومتع المسلمين بحياته، وهو مفتي الشافعية وشيخهم اليوم بمكة، حضرت مجلسه في مسلم وأبي داود وغيرهما.

ومنهم الشيخ جمال الهندي مفتي الحنفية وشيخهم بمكة اليوم، أيضاً حضرت مجالسه مراراً في التفسير، والحديث، والفقه الحنفي، وهو رجل طويل أشيب، كان ﷺ إذا مررت

---

(1) هو: حسين بن إبراهيم بن حسين الأزهري، المكي، مفتي المالكية، المتوفي 1292هـ من تصانيفه: "شرح مولد أحمد الدردير" وله نسخة خطية بمكتبة مكة المكرمة تحت رقم (154) تصوف، و" شفاء السقم وجلاء الظلم على متن الحكم" تحت رقم (82) تصوف بنفس المكتبة، وبالمغرب نسخة خطية للأخير بخزانة ابن يوسف بمراكش، تحت رقم (39)، و"قرة العين في فتاوي الحسين" مجموع فتاويه في مكتبة مكة المكرمة، تحت رقم (48) فتاوى.

(2) هو: إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، الشافعي، شيخ الجامع الأزهر، ولد في الباجور، إحدى قرى المنوفية، له من المصنفات " تحفة البشر على مولد ابن حجر"، و"التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية" في الفرائض، و"تحفة المريد على جوهرة التوحيد". انظر ترجمته في: حلية البشر في تاريخ أبناء القرن الحادي عشر، للبيطار: 1/ 5، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 1/ 84.

(3) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد السنباوي، المالكي، المعروف بالأمير الصغير، المتوفى بعد 1245هـ يروي عن والده المعروف بالأمير الكبير، له حاشية على شرح الملوي على السمرقندية، ومسلسل عاشوراء، وللأخير عدد من النسخ الخطية منها في جامعة محمد بن سعود، تحت رقم (1270) وأخرى بدار الكتب المصرية تحت رقم (49) تيمورية، وثالثة في الأزهرية تحت رقم (872)، ورابعة بمكتبة أبي العباس المرسي تحت رقم (1079) تصوف.انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 364، وفهرس الفهارس، للكتاني:2/ 663، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 11/ 193.

(4) فهرسة الأمير الصغير لها عدد من النسخ الخطية بالمكتبة الأزهرية تحت أرقام: (21498، و60494، و53058)، وانظر أيضاً: فهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 663.

(5) هو: محمد بن أحمد بن دح الأزموري، المراكشي، الفقيه الأديب. انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 6/ 317.

(6) هو: المعطي بن الصالح، الشرقي، التادلي، المتوفى سنة 1180هـ صاحب كتاب "ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج" وهو مطبوع. انظر ترجمته في: انظر ترجمته في: نشر المثاني،للقادري: 4/ 174، والتقاط الدرر، للقادري أيضاً، ص: 446، وطبقات الحضيكي: 2/ 383، والإعلام، للسملالي: 9/ 399.

عليه بالمسجد الحرام بمكة وهو جالس قام وقبل يدي، فكان يشق عَلَيَّ ذلك وأطاوعه ابتغاء مرضاته، وغيرهم من الشيوخ كثير لا أقدر على إحصائهم، منهم شيخ المالكية بجامع الأزهر بمصر السيد عليش رَحِمَهُ اللهُ، حضرت مجلسه مراراً وطلب مني النزول عنده في داره فبت ليلة عنده وكان من عباد الله الصالحين.

ومنهم شيخ المحدثين بالإسكندرية الشيخ البناء، حضرت مجلسه مراراً في حديث البخاري، وعلى المُجاز في ذلك بتقوى الله العظيم، وأن لا ينسانا من الدعاء الصالح، وكتبه عبد ربه: إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات، آمين في أواخر ذي الحجة الحرام عام 1303هـ". انتهى من خطه حفظه الله آمين.

قلت: ولما ناولني الشيخ هذه الإجازة قال لي مشافهة: أجزتك بجميع مروياتي، وزودني دعاء الخير، وقد قال العراقي في ألفية المصطلح:

وَاللَّفْظَ إِنْ تُجِزْ بِكَتْبٍ أَحْسَنُ أَوْ دُونَ لَفْظٍ فَانْوِ وهْوَ أَدْوَنُ

انظر شرح الشيخ زكرياء[1]، ثم أقول: لا شك أن من جملة مرويات هذا الشيخ صحيح البخاري، وقد حضرت مجلسه فيه وقرأت عليه ما يزيد على ثلثه، والباقي بقراءة غيري وأنا أسمع مع إمساك النسخة، وكذا موطأ الإمام مالك رحمه الله بقراءة الغير أيضاً من أوله إلى آخره، وكذا شمائل الترمذي حضرت مجلس درسه عليها بشرحه العجيب إلى باب العيش، وها أنا أسأل الله المزيد من فضله.

ثم إن الشيخ رحمه الله اتكل في رفع سنده من طريق الشيخ الأمير كما ترى على ما في فهرسته المشهورة.

وقد بين رحمه الله بعض ذلك في إجازته التي كتبها لسيدي الهاشمي الحجوي حفظه الله بعد استدعائه ذلك منه، وها نصها:

"الحمد لله الذي من استند إليه وصل ومن انقطع إليه اتصل، حمداً يصح به ضعيف إيماننا ويحسن به منكر أعمالنا، وأصلي وأسلم على السيد السند الذي اسمه في الأرض محمد

(1) هو كتاب: فتح الباقي بشرح ألفية العراقي، لأبي يحيى، زكريا بن محمد بن زكريا، السنيكي المصري الشافعي الأنصاري، زين الدين قاضي القضاة المتوفى سنة 926هـ وقد طبع مراراً ولدينا منه ثلاث نسخ خطية بمكتبتنا الخاصة بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث. انظر: هدية العارفين، للبغدادي: 1/ 196.

وفي السماء أحمد، وعلى آله إلى الأبد بلا حصر ولا عدد، أما بعد، فلما كان السند والإجازة أمرهما محتم متبوع ومن لا سند له فهو مقطوع، وقد قيل أن السند كالسيف للقاتل، أو كالسُّلم للصاعد من سافل، وأن الخالي عن الإسناد كالدعيّ إلى الآباء والأجداد، وأن طالب العلم بلا سند، كمغترف من ماء بلا مدد. التمس مني بعض طلبتنا وهو الطالب الألمعي الفطن اللوذعي السيد الهاشمي بن محمد الحجوي الرباطي أن أجيزه بسنده الموصل للإمام البخاري وغيره فأجبته لذلك وإن كنت لست من أهل تلك المسالك رغبة في أن يتصل برسول الله ﷺ ثم بحبل الله تعالى وقوته وامتثالاً للحديث «**ليبلغ الشاهد الغائب**» و«**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس**»[1]؛ فأقول: إني أجزته وغيره من جميع طلبتنا وكل من وقف عليه كما أجازنا أشياخنا بالمشرق والمغرب رحم الله جميعهم ورضي عنهم ومتعنا برضاهم.

فمنهم شيخنا خاتمة المحدثين والمحققين في المعقول والمنقول الشريف سيدي الوليد العراقي وشيخنا إمام أهل الحديث في القديم والحديث سيدي محمد بن الفقيه العلامة سيدي حمدون ابن الحاج وغيرهما من أهل فاس، كل عن هلال المغرب وبركته وحامل فتواه الشيخ التاودي بن سودة الفاسي رحمه الله تعالى.

ومنهم شيخنا الشيخ حسين بن إبراهيم الأزهري ثم المكي مفتي المالكية عن شيخه إبراهيم الباجوري عن محمد الأمير شيخ مصر في وقته عن العدوي عن محمد عقيلة المكي، قال: أرويه بأعلى سند يوجد في الدنيا عن الشيخ حسن بن علي العجمي عن الشيخ أحمد بن محمد العجلي اليمني عن الإمام يحيى بن مكرم الطبري قال أخبرنا الفقيه البرهان إبراهيم بن محمد صدقة الدمشقي وغيرهم عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني - وكان عمره مائة وأربعين سنة، وهو ممن اجتمع بالخضر عليه السلام - عن أبي عبد الرحمن محمد بن شاذبخت الفرغاني، عن الشيخ أحد[2] الأبدال، عن محمد بن يوسف الفربري[3]، عن الإمام أبي

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب: 3/ 1357، برقم (3498)، ومسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: 4/ 1872، برقم (2406).

(2) في الأصل (أحمد) وهو أبو لقمان، يحيى بن عمار بن مقبل شاهان الختلاني، توفي عن قرابة المائة وثلاثين عاماً. انظر: مخطوط فهرسة الأمير، بالمكتبة الأزهرية رقم (21498) لوحة 6/ أ.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن مَطَر بن صالح بن بِشْر الفَرَبْري، المتوفى سنة 320هـ وقد أشرف على التسعين. حدث بالجامع الصحيح عن البخاري، وأثبت روايات البخاري عن طريقه، وكان حافظاً ورعاً. ترجم في الأنساب، للسمعاني: 4/ 334، رقم (7820)، والإكمال، لابن ماكولا: 7/ 84، ومعجم البلدان، لياقوت: 4/ 245، ووفيات =

عبد الله البخاري قال: باب كيف كان بدء الوحي... إلخ[1].

ومنهم شيخنا الولي الصالح شيخ مشايخ مكة في عصره الشيخ صديق بن عبد الرحمن كمال المكي عن شيخه خاتمة المحققين في زمانه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج عن شيخه عبد الله بن هاشم عن صالح عن محمد سعيد المدني عن تاج الدين بن عبد المحسن القلعي عن حسن عن أبي الوفاء عن محمد النهرواني القطبي عن نور الدين الطاوسي عن الشيخ يوسف الهروي عن محمد الفارسي عن أحد الأبدال أبي لقمان عن محمد بن يوسف الفربري عن البخاري قال: باب كيف... إلخ.

وأعلى ما في البخاري الثلاثيات جمعها ابن حجر وغيره، وأطول أسانيده تسعة فيكون بيننا وبينه ﷺ من الوسائط من شيخنا الشيخ صديق المذكور باعتبار ثلاثيات البخاري نحو ثمانٍ عشرة فإن أردت الاتصال بابن سعادة[2] صاحب شيخ البخاري بالمغرب وصلتُ إلى الشيخ الأمير شيخ مصر المذكور بالسند المتقدم، ثم عن شيخ الأمير وهو الشيخ السقاط[3]، كما هو مبين في فهرسته، والسقاط عن محمد بن قاسم القصار[4] عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن[5] عن الشيخ زروق[6] عن =

الأعيان، لابن خلكان: 4/ 290، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 15/ 10.

(1) انظر: مخطوط فهرسة الأمير، لوحة 6/ أ.

(2) هو: أبو عمران، موسى بن سعادة البلنسي، مولى الناصر عبد الرحمن الأموي، المتوفى بعد سنة 522هـ سمع من أبي علي الصدفي، وكان صهره والملازم له، والقائم على أشغاله، وحج وسمع من أبي بكر الطرطوشي، وحدث عنه ابن أخيه أبو عبد الله بن سعادة. انظر ترجمته في: معجم أصحاب الصدفي، لابن الأبار، ص: 193.

(3) هو: أبو الحسن، علي بن محمد بن علي بن العربي السقاط، الفاسي، المتوفى سنة 1183هـ قال عنه المرادي في " سلك الدرر ": " كان فرداً من أفراد العالم فضلاً وعلماً وديانة وزهداً وولاية ". أخذ عن جماعة من العلماء منهم والده، والشهاب أحمد العربي بن الحاج الفاسي، وولده محمد، والبرهان إبراهيم بن موسى الفيومي، ومحمد بن عبد السلام البناني، ثم حج وجاور بمكة. انظر ترجمته في: سلك الدرر، للمرادي: 3/ 229، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 1006.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن قاسم القصار الغرناطي، أصلاً، الفاسي نشأةً وداراً، المتوفى سنة 1012هـ أخذ عن رضوان الجنوي، وخروف التونسي، وغيرهما، وأخذ عنه البوعناني، وغيره، له فهرسة جمعت رواياته في الفقه والحديث. انظر ترجمته في: في خلاصة الأثر: 4/ 121، ونشر المثاني، للقادري: 1/ 86، وصفوة من انتشر، للإفراني، ص: 16، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 965.

(5) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني، الأندلسي الأصل، الطرابلسي، المكي، المتوفى بعد سنة 944هـ أخذ الفقه عن محمد الفاسي، والسراج معمر، والنور السنهوري، وزروق، وعنه ولده الإمام الحطاب، انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 280.

(6) هو: أبو العباس، أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي، الفاسي، المعروف بزروق، المتوفى سنة 899هـ فاضل من أجلة =

ابن غازي[1] عن أبي عبد الله القوري[2] عن أبي عبد الله محمد الغساني المكناسي[3] عن القاضي أحمد بن محمد الخزرجي[4]، عن الطبري[5] ....

=

فقهاء المالكية، أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب كالإمام عبد الرحمن الثعالبي، والولي إبراهيم التازي، والمشدالي، والشيخ حلولو، والسراج الصغير، والرصاع، والحافظ السخاوي، والنور السنهوري، وغيرهم، وأخذ عنه جماعة من الأئمة كالشمس اللقاني، والعالم محمد بن عبد الرحمن الحطاب، والزين طاهر القسنطيني، وغيرهم، ومن تصانيفه: شرحان على الرسالة، وشرح الوغليسية، وشرحان على حزب البحر للشاذلي، وشرح الأسماء الحسنى، وكتاب "قواعد التصوف" وغير ذلك. انظر ترجمته في: توشيح الديباج، للقرافي، ص:38، ونيل الابتهاج، للتنبكتي: 1/ 138، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 267، ودوحة الناشر، لابن عسكر ص: 48، وجذوة الاقتباس، لابن القاضي: 1/ 128.

(1) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن غازي العثماني، المتوفى سنة 919هـ ونسبته إلى "أبي عثمان" وهي قبيلة من كتامة، نشأ بمكناسة الزيتون ثم ارتحل إلى فاس في طلب العلم نحو سنة ثمان وخمسين وثمانمائة، ولقي جماعة ذكر مشاهيرهم في فهرسته المسماة "التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد" ومن آثاره: "تفصيل الدرر" في رسم القرآن، وتفصيل الدرر في القراآت، ونظم نظائر رسالة القيرواني، و"إتحاف ذوي الاستحقاق" شرح لألفية ابن مالك، و"إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب"، وحاشية ذيل بها على الشرح الصغير وسماها "شفاء الغليل في حل مقفل خليل" ومن منن الله علينا أن وفقنا لتحقيق ونشر هذا الكتاب في دار نجيبويه للبرمجة وللدراسات والطباعة والنشر بمصر سنة 2007م.انظر ترجمته في: فهرسته، والروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، من تصنيفه، ص:71، ونيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 271، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 4/ 3، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 2/ 73.

(2) هو : أبو عبد الله، محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد القَوْري، اللخمي، المكناسي، المتوفى سنة 872هـ، أخذ عن موسى بن معطى العبدوسي، وعلي بن يوسف التلاجدوتي، وأبي عبد الله محمد بن يحيى بن جابر الغساني، وعنه ابن غازي، وغيره، وانظر ترجمته في: التعلل بذكر الإسناد، لابن غازي، ونيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 233، وشجرة النور، لمخلوف:1/ 261، ودرة الحجال، لابن القاضي المكناسي، ص: 279، والضوء اللامع، للسخاوي: 8/ 280 .

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني، المكناسي، المتوفى سنة 827هـ أخذ عنه ابنه، من مصنفاته "نظم رجال الحلية لأبي نعيم " و"منية العابر"، ونزهة الناظر" نظم في تاريخ مكناسة. انظر ترجمته في: الإتحاف، لابن زيدان: 3/ 590، دليل مؤرخ المغرب، لابن سودة: 1/ 462.

(4) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز البلنسي، الخزرجي، التونسي، القاضي، المتوفى سنة 693هـ فقيه محدث راوية متقن، أخذ عن جماعة منهم أبو بكر بن محرز، وأبو المطرف بن عميرة، وأبو الربيع الكلاعي، وأبو الحسن بن خيرة، وغيرهم، وأخذ عنه جماعة منهم الوادآشي، والغبريني، وأبو الحسن التجاني. انظر ترجمته في: الديباج، لابن فرحون: 1/ 76، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 199، والمنح البادية، للفاسي: 1/ 17.

(5) هنا تحويل في السند ولم يشر إليه ولا أدري أهو من نقل بوجندار أم ممن نقل عنه وذلك لأن الطبري المذكور من شيوخ ابن جابر الغساني، وانظر المنح البادية، للفاسي: 1/ 17، و18، وبرنامج الواد آشي، ص: 189، كما أن ابن الغماز من الراوين عن ابن خيرة كما مر في الحاشية السابقة. والطبري هو: أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري، المكي، الشافعي، رضي الدين، المتوفى سنة 722هـ إمام المقام بمكة سمع من شعيب الزعفراني، وابن الجميزي، وهو من شيوخ الذهبي ذكره في معجمه، ذكر عنه أنه كان يقول عمري ما رأيت يهودياً ولا نصرانياً؛ قيل لأنه لم يخرج من الحجاز. انظر ترجمته في: معجم شيوخ الذهبي، ص: 48، والبداية والنهاية، لابن كثير: 14/ 118، والوافي، للصفدي: 6/ 83.

عن ابن خيرة(1) عن عبد العزيز بن سعادة(2) عن أبي عبد الله بن سعادة(3) عن أبي علي الصدفي(4) عن الباجي(5) عن أبي ذر الهروي(6) عن شيوخه الثلاثة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه الحموي(7) بفتح الحاء والميم وكسر الواو السَرَخْسي بفتح السين والراء

---

(1) هو: أبو الحسن، علي بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن خيرة البلنسي، المقرئ، الخطيب، المتوفى سنة 633هـ روى عن أبي عبد الله بن سعادة، وعن أبي الخطاب بن واجب، وغيرهما من أهل المشرق، روى عنه ابن الأبار، وأبي العباس بن الغماز وهو آخر من روى عنه. انظر ترجمته في: السفر الخامس من الذيل والتكملة، لابن عبد الملك المراكشي، ص: 161، ومعرفة القراء، للذهبي: 2/ 458، وغاية النهاية، لابن الجزري: 1/ 520.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد العزيز بن سعادة الشاطبي، المتوفى سنة 614هـ إمام متقن ومقرئ مشهور. انظر ترجمته في: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري: 2/ 172، وشذرات الذهب، لابن العماد: 5/ 61.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن سعادة الشاطبي، المتوفى بشاطبة سنة 565هـ أو 566هـ تلميذ أبي علي الصدفي، أصله من بلنسية، ونشأ بمرسية وولي قضاءها. انظر ترجمته في: المعجم في أصحاب الصدفي، لابن الأبار، ص: 176، وبغية الملتمس ص 123، والديباج المذهب ص 381، وطبقات المفسرين للداودي ص 488، وشذرات الذهب 4/ 218، وشجرة النور 1/ 215-216، ومعجم المؤلفين 12/ 126، والأعلام، للزركلي: 7/ 149. .

(4) هو: أبو علي، حسين بن محمد بن فِيُّرَة بن حَيُّون بن سُكَّرَة الصَّدَفِيّ، الأندلسي، السرقسطي، المتوفى سنة 514هـ روى عن أبي الوليد الباجي، وخرج له القاضي عياض في مشيخته. انظر ترجمته في: الغنية (فهرس شيوخ عياض)، لعياض، ص: 129، وترتيب المدارك، له أيضاً: 8/ 193، والصلة، لابن بشكوال، ص: 131، وبغية الملتمس، للضبي، ص: 117.

(5) هو: أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعدون بن أيوب بن وارث التجيبي،الأندلسي، الباجي، القاضي، المتوفى سنة 474هـ من أسرة ترجع أصولها إلى بَطَلْيوس، ثم انتقلت إلى باجه بالأندلس، ثم سكنوا قرطبة أخذ عن ابن الرحوي، وأبي الأصبغ ابن أبي درهم، وأبي محمد مكي بن أبي طالب، وأبي شاكر القبري، والقاضي يونس بن مغيث، وتفقه بالقاضي أبي الطيب الطبري، والقاضي أبي عبد الله الصيمري، وأبي الفضل بن عمروس، وغيرهم، رحل إلى المشرق سنة 426هـ وأخذ عن جماعة من مصر والعراق والشام، ثم عاد إلى وطنه بعد ثلاث عشرة سنة بعلم جم، وولي قضاء أماكن، وصنف تصانيف كثيرة منها "المنتقى" في شرح الموطأ انتقاه من شرح كبير له سماه "الاستيفاء"، واختصر المنتقى بكتاب سماه "الإيماء" و"المقتبس في علم مالك بن أنس" لم يتم، واختصار، وشرح للمدونة لم يتم، وفي الحديث: "اختلاف الموطآت"، و"التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح"، وفي أصول الدين: "كتاب التسديد إلى معرفة طريق التوحيد"، وفي أصول الفقه: "أحكام الفصول في أحكام الأصول"، و"الإشارة في الأصول"، و"الحدود" وغيرها من التصانيف. انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، لعياض: 4/ 802، والديباج، لابن فرحون: 1/ 197، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 120، ومعجم الأدباء، لياقوت: 11/ 246، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 2/ 408، وسير أعلام النبلاء، للذهبي:18/ 535.

(6) هو: أبو ذر، عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير الهروي، المعروف ببلده بابن السماك، الأنصاري، الخراساني، المالكي، المتوفى سنة 434هـ حافظ مسند، روى الصحيح عن المستملي والحموي والكشميهني، سمع أبا الفضل بن خيرويه وعدة بهراة، وأبا الحسن الدارقطني، وأبا إسحاق المستملي ببلخ، وألف معجما لشيوخه، حدث عنه الباجي، وأبو عمران الفاسي، وغيرهما. انظر ترجمته في: ترتيب المدارك، لعياض: 4/ 696، وتاريخ بغداد، للخطيب: 11/ 141، والمنتظم، لابن الجوزي: 8/ 115، والكامل، لابن الأثير: 9/ 514، والعبر، للذهبي: 3/ 180.

(7) هو: أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن حمويه بن يوسف بن أعين السرخسي، الحموي، البوشنجي، الهروي، المتوفى سنة =

المهملتين وسكون الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة نسبة إلى سرخس مدينة من مدن خراسان، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن داود البلخي، المستملي[1]، وأبي الهيثم محمد بن المكي بن زُران - كغراب - المروزي الكُشْميهني بضم الكاف وكسر الميم وفتح الهاء، ويقال: الكشماهني بفتح الهاء وكسرها نسبة إلى كشماهن موضع في خراسان من أعمال مرو، والثلاثة عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر الفربري نسبة لفربر مدينة بينها وبين بخارى ثلاث مراحل عن أبي عبد الله البخاري رحمه الله تعالى قال باب كذا إلخ.

وفي "المنح البادية في الأسانيد العالية" لسيدي محمد الفاسي نقلاً عن أبي البركات أن رواية ابن سعادة أفضل من الروايات التي عند ابن حجر، وأن ابن حجر لم يعثر عليها وهي المعتمدة عندنا بالمغرب وأعلى أسانيد ابن حجر أن يكون بينه وبين البخاري سبع وسائط[2].

وأبو عمران موسى بن سعادة من أهل مرسية بلد بالأندلس، سمع من صهره أبي علي الصدفي وكانت بنته عند أبي علي ولازمه وأكثر عنه ورحل وحج وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه وسمعها على صهره أبي علي الصدفي وكانا أصلين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما، حكي أنهما سمعا من أبي علي نحو ستين مرة، وكان يتولى القيام بمؤن صهره أبي علي، وبما يحتاج إليه من دقيق الأشياء وجليلها وكان حياً سنة اثنين وعشرين وخمسمائة، وكان أحد الصلحاء والأجواد السمحاء يؤم الناس في صلاة الفريضة[3].

وكانت نسخته المذكورة أجل الأصول الموجودة بالمغرب من أحباس جامع القرويين بفاس، وحدث عنه ابن أخيه أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة[4].

= 381هـ محدث، ثقة، له رحلة، سمع من الفربري الصحيح بفربر ببلاد ما وراء النهر، وبسمرقند من أبي عمر السمرقندي الدارمي، وغيرهما من الرواة، روى عنه أبو ذر الهروي، وأبو يعقوب بن إسحاق القراب، ومحمد بن عبد الصمد الترابي المروزي، وغيرهم. انظر ترجمته في: التقييد، لابن نقطة، ص: 321، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 16/ 492.

(1) هو: أبو إسحاق، إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن داود البلخي، المستملي، المتوفى سنة 376هـ سمع البخاري من الفربري سنة أربع عشرة وثلاثمائة، وسمعه منه أبو ذر الهروي ببلخ في سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وقال عنه: كان من الثقات المتقنين ببلخ، طوف وسمع الكثير، وخرج لنفسه معجماً. أهـ انظر ترجمته في: التقييد، لابن نقطة،ص: 187، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: 16/ 492.

(2) انظر: التنويه والإشادة برواية ابن سعادة، لعبد الحي الكتاني، بتحقيق الدكتور عبد المجيد خيالي، من منشورات دار نجيبويه للطباعة والنشر.

(3) انظر: المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، لابن الأبار، ص: 193.

(4) انظر: التنويه والإشادة، للكتاني، ص: 63.

وأما أبو علي الصدفي فذكر ابن الأبار وغيره أنه فقد في غزوة من الغزوات سنة أربع عشرة سنة وخمسمائة[1]، وهو من أشياخ القاضي عياض وكثيراً ما يقول فيه القاضي الشهيد وهو المذكور أول شمائل الترمذي كما أشار له جَسّوس وأول شرحه للشمائل وهو القاضي أبو علي حسين بن محمد بن فيارة بن الصدفي الأندلسي قيل نسبة لصدف قرية من قرى القيروان.

ووجد بخط سيدي عبد الرحمن الفاسي ما نصه: "وقع في نسختنا من البخاري المنقولة من خط ابن سعادة في نسبة الصدفي بن فيارة وعند غيره ابن فيّرة وكذا وجدت فيارة مخفف الياء لا مشددتها بخط بعض الأصحاب وهو الجاري على ألسنتنا ". اهـ.

قاله وكتبه بخط يده: إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي عفا الله عنه وغفر ذنوبه وستر عيوبه، آمين، والحمد لله رب العالمين.

انتهت الإجازة المذكورة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

(1) انظر: الغنية، لعياض، ص:93، والتكملة، لابن الأبار: 1/ 36، ونفح الطيب، للمقري: 2/ 221.

حرف الطاء

* [151] الطالب البوعناني قاضي الرباط (كان حيا بعد 1120هـ)[1]

هو القاضي الشريف أبو عبد الله محمد الطالب ابن العلامة القاضي السيد عبد الواحد ابن العلامة المحدث الشهير سيدي محمد فتحا البوعناني الفاسي ثم المكناسي من أولاد أبي عنان البيت الشهير بالعلم والنسب وهو من البيوتات التي تعرض لذكرها النسابة سيدي إدريس الفضيلي في كتابه الدرر البهية قال: "وتقدمت لهم صدر الدولة العلوية ولايات خصوصاً خطة القضاء فقد تداولها عدد منهم وتصدوا للإفتاء والتدريس فركبوا السنام العالي وطلعوا أقماراً في فلك المعالي ". ولما ذكر أولاد سيدي عبد الواحد منهم ذكر المترجم وأشار لتوليته قضاء مكناسة الزيتون، ويدل له ما وقفت عليه من تحليته بقاضي الحضرة الإمامية الهاشمية ولم يعرج على خبر توليته بهذا الثغر ولكني وقفت على كثير من خطاباته والتسجيل عليه بالرباط مما دل على توليته الخطة ها هنا أيضاً وكانت وفاته بثغر تِطوان أواسط المائة الثانية بعد الألف تقريباً.

ذكر من اسمه الطاهر

* [152] الطاهر العزوزي المعروف بالأوراوي (كان حياً في 1118هـ)[2]

هو القاضي أبو عبد الله محمد الطاهر ابن الفقيه الحارثي العزوزي المعروف بالوراوي، ذكره الحفيد أبو الحسن العكاري في فهرسة جده من جملة الملتحقين بتلامذته المنتفعين بعلومه ومعارفه وصرح بمشاركته لهم في أخذ علم النحو عنه.

وبمثل هذا جاء ذكره في كتاب "الإتحاف الوجيز"[3] وزاد أنه تولى قضاء هذا الثغر الرباطي، ولم أقف على ما يشهد له، وإنما وقفت على ما يقضي بخلافه. نعم في الفهرسة المذكورة تحليته بالقاضي فلعله ولي قضاء غير هذا الثغر، ولذلك لم أترجمه في كتابي" تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط ".

وما ذكره صديقنا أبو عبد الله الأوراوي فيما كتبه في عائلته العزوزية من أن المترجم ولي

---

(1) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 9.

(2) انظر ترجمته في: البدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري، لوحة: 19/ أ، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 131، ومجالس الانبساط، لدنية: ص: 116.

(3) انظر: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 131.

قضاء الرباط سنة 1118هـ لا أصل له سوى ما في كتاب الإتحاف المتقدم وقد علمت ما فيه.

أما في التاريخ المذكور فالذي كان متولياً قضاء الرباط فيه هو القاضي أبو عبد الله مرينو حسبما في كثير من الرسوم يوجد فيها خطابه والتسجيل عليه والله أعلم.

*** [153] الطاهر بناني الكاتب[1] (المتوفى سنة 1230هـ تقريباً)**

الفقيه الأديب الكاتب الشهير السيد الحاج الطاهر بن الحسن البناني أحد سفراء السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان كثيراً ما يبعثه سفيراً عنه للدول الأجنبية في المهمات السياسية والأغراض المخزنية، وفي كتاب "الاستقصا" أن السلطان المذكور في سنة تسع وسبعين ومائة وألف بعثه باشدورا إلى صاحب اسطنبول السلطان مصطفى العثماني[2] وأصحبه هدية نفيسة فيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجواهر والياقوت ونفيس الأحجار وفيها أسياف محلاة بالذهب مرصعة بالياقوت المختلف الألوان وفيها حلي من عمل المغرب، فقبل ذلك السلطان العثماني وابتهج به ثم كافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب مدافع ومهاريس وبارود وإقامة كثيرة للمراكب القرصانية من كل ما تحتاج إليه[3].اهـ.

وكانت هذه السفارة من أجلِّ السفارات التي أكسبت المترجم شهرة وأطيب سمعة لدى رجال المخزن والسياسة وازداد شهرة في أيام السلطان المقدس مولاي سليمان.

وقد عثرت في بعض المقيدات أن السلطان مولاي سليمان لما عزم على توجه ولده المولى إبراهيم للحجاز برسم أداء فريضة الحج سنة 1227هـ اختار المترجم من بين كتّابه وأهل دائرته وكلفه بالذهاب في رفقته فحج معه وزار الحرمين الشريفين وانتهى إلى الشام ومصر والعراقين، ثم تقدم أمامه حين الرجوع وعرج على تونس الخضراء بأمر من المولى إبراهيم وتلاقى بالعلامة الأديب الشهير الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي، وعند مغادرته تونس أنشأ الشيخ المذكور قصيدته اللامية الشهيرة في كتب التاريخ كـ "الجيش العرمرم" وكتاب

---

(1) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 3/ 263، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 144، وفيه أن وفاته في حدود سنة 1230هـ وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 116.

(2) هو السلطان مصطفى خان الأول المولود سنة 1001هـ والمتولي السلطة لأربعة أشهر، بعد وفاة أخيه في سنة 1026هـ ثم عزله أرباب الدولة، وساعدهم الإنكشارية على ذلك وأقاموا مكانه عثمان خان الثاني سنة 1027هـ انظر: تاريخ الدولة العثمانية، لمحمد فريد.

(3) انظر: الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى، لأحمد الناصري: 3/ 25.

"الاستقصا " وكتاب " تعطير النواحي" وجعلها في مدح السلطان أبي الربيع وتهنئته بحج ولده ودفعها للمترجم فاصطحبها وسبق نجل السلطان في القدوم لطنجة ومنها توجه لفاس مبشراً بقدوم النجل الكريم ودفع القصيدة فقوبل وقوبلت بمزيد الحفاوة والإكرام وأنعم على المترجم في مقابلة سفارته وبشارته بصلة لها بال ونفذ له زيادة على ذلك مرتب خاص من أحباس الرباط.

ولم يزل رحمه الله مشمولاً برعاية المخزن وعنايته إلى أن توفي في حدود الثلاثين والمائتين والألف تقريباً.

*** [154] الطاهر بريطل (1282هـ)**[1]

الفقيه العلامة الخير المدرس العدل، كذا حلاه الشريف سيدي العربي التهامي في معجم شيوخه، وهو رفيق قريبنا الفقيه السيد المكي بوجندار في تعاطي الشهادة بالحانوت الكبرى منذ عهد شيخهما القاضي بسير، ولما ولي القاضي أبو زيد البُرَيْبري أخرهما معاً في جملة جماعة من العدول لموجب لا أدري عينه، ولكن فيما بلغنا يرجع لبعض الأغراض الشخصية سامح الله الجميع ثم ردهما بعد ذلك لما آنسه من اقتدارهما وتوقف مصلحة الخطة على مثلهما المتوفرة فيه شروط الكفاءة والمعرفة والنزاهة، واتصلت مدة المترجم في تعاطي الخطة مع التدريس بالمسجد الأعظم والخطبة به ثم بالزاوية الناصرية إلى ما بعد عام 1283هـ وفي حوالي هذا التاريخ كانت وفاته تقريباً.

*** [155] الطاهر ضاكة (المتوفى سنة 1295هـ)**[2]

من بيت أولاد ضاكة أحد البيوتات الأندلسية بالرباط.

كان المترجم رياضياً حيسوبياً فلكياً، أخذ ذلك عن شيخ الرباط في علوم الرياضة والتوقيت والتعديل الفقيه السيد المعطي مرينو.

وكان رجلاً ناسكاً منعزلاً عن الناس ملازماً دويرته[3] بدرب أجنين بالجزاء، وربما درس بها العلم.

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 187 وكناه بأبي الصفا ابريطل وذكر أن وفاته كانت في العاشر شعبان 1282هـ وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 232.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 198، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 264.

(3) الدوار والدويرة: القرية الصغيرة في لغة المغرب الدارجة اليوم.

وفي ظني أن الشيخ أبا حامد[1] أخبرني بقراءته عليه التفسير في داره وأنه كان عزباً لم يتزوج قط إلى أن توفي أواخر القرن المنصرم[2].

* [156] الطاهر لُبَرِيس[3] (المتوفى سنة 1297هـ)

ابن الفقيه السيد أحمد بن الطاهر لبريس الأندلسي من كُتَّاب الرباط وأدبائه وعدوله في عهد القاضيين لبريبري وابن إبراهيم.

واستخدم بمرسى الدار البيضاء وبعد ذلك انتدبه السلطان مولاي الحسن للكتابة مع أمين الأمناء السيد محمد التازي إلى أن توفي بفاس عام 1297هـ.

ذكر من اسمه الطيب

* [157] الطيب بن بوجيدة بن جلون[4] (المتوفى سنة 1230هـ)[5]

هو أبو عبد الله محمد الطيب ابن السيد الحاج أبي جيدة بن جلون الفاسي الأصل الرباطي الدار الفقيه العلامة العاكف على عبادة الله البركة الحسن المحدث المفضال.

ذكره الأديب ابن عمرو في فهرسته وحلاه بمثل ما ذكرنا وأفاد أنه كان من المعاصرين للعلامة أبي العباس الحكمي وأن حياته اتصلت إلى عام 1226هـ حتى إن أبا العباس المذكور لما حضرته الوفاة أوصى بأن الذي يصلي عليه بعد موته هو صاحب الترجمة، فكان الأمر كذلك.

* [158] مولاي الطيب الزياتي

الفقيه الكاتب الحيسوبي. كذا رأيت تحليته ببعض المقيدات ويستفاد منها أنه كان من الكتاب في عهد مولاي سليمان واتصلت حياته إلى تاريخ سلطنة المولى عبد الرحمن.

* [159] القاضي السيد الطيب بسّير (المتوفى سنة 1271هـ)[6]

هو القاضي السيد محمد الطيب بن إبراهيم بسّير (بسين مهملة مشددة) الأندلسي ثم

---

(1) يريد: البطاوري وقد تقدم التعريف به في المقدمة.

(2) ذكر دنية أن المترجم من مشايخ أبيه وأن وفاته كانت في الخامس من شعبان سنة 1295هـ. انظر: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 199.

(3) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 272.

(4) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 117، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 143.

(5) لم يذكر المصنف رحمه الله تاريخ وفاته، وقد ذكره ابن سودة ودنية أن وفاته كانت سنة 1230هـ.

(6) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 35، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 206، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 173.

الرباطي، وهو جدُّ القاضي البطاوري وجدُّ والديَّ من قبل أمِّهما.

وكان رحمه الله وحيدَ عصره علماً وعملاً ونسكاً وورعاً وقضاءً وإفتاءً، وفريدَ مصرِهِ في العلوم على العموم بين منقولها ومعقولها، والآداب بين منظومها ومنثورها.

له من ملح الأدب وغرره وجواهر البيان ودرره، ومن المسائل العلمية والفتاوى الفقهية ومن المنظومات الشعرية والقصائد النبوية والموشحات الغزلية ما لو جمع ذلك لجاء فهرسة من أعظم الفهاريس وديواناً من أجل الدواوين، وفي العزم إن ساعدنا الحال وشاء الله تعالى أن نجمع من ذلك ما يروق جمعه ويطيب أصله وفرعه.

أخذ المترجم عن الشيخ الرهوني والعلامة الغربي والقاضي ابن العروصي وغيرهم.

ولما استقل تصَدَّر للإفتاء والتدريس فكان ممن تخرج عنه قريبنا العلامة السيد المكي بوجندار والعلامة سي الطاهر بريطل وغيرهما.

ثم أسندت إليه خطة القضاء فتحمل أعباءها على أكمل ما يرام، لا تأخذه في الله لومة لوَّام ولا جرأة مقدام، ومكث فيها نحو الخمسين سنة تداول فيها قضاء الرباط ومكناسة الزيتون على سبيل النيابة تارة والاستقلال أخرى ولا يكاد يتفق مثل هذا إلا لرجل فسَحَ الله في أجله ومنحه من القبول والإقبال غاية أمله، وفي أثناء ذلك رحل إلى وزان فأقام لدى الشيخ سيدي علي بن أحمد الوزاني رضي الله عنه مدة، وهناك أخذ عن الشيخ الرهوني صاحب الحاشية وقرظها له من جملة المقرظين حسبما طبع ذلك كله.

ولنكتف بهذا القدر في ترجمة هذا الإمام حتى لا يقال مادح جده يقرئك السلام.

وكانت وفاته عام واحد وسبعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية التهامية المسامتة لضريح مولاي المكي بن محمد بمحج سيدي فاتح بالرباط.

ومن فرائد فوائده ما من خطه نقلت ونصه:

" الحمد لله الذي من انقطع إليه وصل ومن أوقف أموره وآماله ببابه نال فوق الأمل، والصلاة والسلام على نبيه المفضل وعلى آله وأصحابه المنحل بهم كل معضَل، وبعد، فهذا مسطور يشفي به صدرَه المسترشدُ الذي ساد، ويجدُ منه الحسود الذي اشتغل بالعناد، فتح بما فيه، مَن جعلنا محبين لكل شيخ نبيه، ببركاتهم نلنا، ففهمنا ما سطره الثقات، ورقمه في كتبهم أهل الهدى والثبات، أثار هذا بعض من انتمى إلى العلوم، وغريب النقول والفهوم، مريداً أن يطفئ نور الله بفيه، ويصطفي نفسه على كل فقيه، ويزعم التصدير فيها، وهو لا يدريها.

سمع اختيار بعض الثقات الفحول، فطر يوم الشك فظن أن ذلك منهم فضول، قائلاً:

إنهم خالفوا الحق الراجح، والقول الحق والطريق الواضح، فأصبح موقوذاً بقواعد وأصول، لا يسعه إلا الإذعان لما جاءت به هاتيك الأصول، وإن كان مثله لا يجاب، ويضرب عنه وعن الجواب بالحجاب، وسور ليس له باب، ويقال:

فَاحْذَرْ مُجَالَسَةَ الْحَسُودِ فَإِنَّمَا تَغْتَاظُ أَنْتَ فَيَسْتَفِيدُ فَيَجْحَدُ

لكن رأيت الذب عن العلماء الحفاظ الأمناء عن النقول والألفاظ من أوجب ما يسطره الكاتب ويرغب في تحصيله الراغب فقلت بالله مستعيناً راجياً أن يكون لي معيناً، ولا أبالي إذا حصلت له هذه الفريدة من فوائد لأنها لا تغنيه عما جهله من الفوائد.

أما ما اختاره الإمام المازري رحمه الله من الصوم في يوم الشك فذلك من الشهرة بمكان لا يخفى على كل ذي حبان[1] إلا أن فيه مبحثين أحدهما أن الأئمة تعقبوا كلام المازري بأنه رحمه الله قاس مسألة يوم الشك في كونه عاشر ذي الحجة فيحرم صومه، أو تاسعه فيستحب صومه، على أن المتوضئ يشك في إحدى غسلات العضو المطلوب فيه التثليث هل هي ثالثة فتستحب أم رابعة منهي عنها فتجتنب.

وهو قياس مشكل مع وجود الفارق، فإن الغسلة المذكورة عنده هي المعلومة الحكم المقيس عليها، وصوم ذلك اليوم هو المجهول الحكم المقيس مع وضوح الفرق، فإن المقيس مشكوك في كراهته وندبه، والمقيس الملحق مشكوك في ندبه وتحريمه.

وقد أجيب عنه بأجوبة كلها منظر فيها كما يوقف عليه في محالّه وعلى تسليم تخريج الخلاف المذكور وأن الفعل الدائر بين الندب والتحريم يختلف فيه بل ويترجح فعله كما نقل عن المازري فله مقابل أقوى منه جعل أصلاً يبنى عليه، وهو أن كل فعل دار بين الندب والتحريم يترك تقديماً للراجح على المرجوح كما قاله العلامة القرافي في "فروقه" ونصه: "متى دار فعل بين الندب والتحريم يترك تقديماً للراجح على المرجوح"[2]. وحكى عليه الإجماع عند تقرير بعض فروعه ولم ينازعه المحقق ابن الشاط[3]، في دعوى الإجماع، فإذا علم هذا فصوم يوم النحر حرام إجماعاً وصوم التاسع مندوب إجماعاً، ولما حصل الشك فقد دار الأمر

(1) نقل كلام المازري الشيخ خليل في مختصره ص: 14، والحطاب رحمه الله في شرحه على مختصر خليل: 1/ 267، والمواق في التاج والإكليل: 1/ 267، والدردير في الشرح الكبير: 1/ 104

(2) انظر الفرق السابع والخمسون، ونصه: (قَاعِدَةِ تَدَاخُلِ الْأَسْبَابِ وَبَيْنَ قَاعِدَةِ تَسَاقُطِهَا).

(3) هو: قاسم بن عبد الله بن محمد، المتوفى سنة 723هـ.

بين كونه مندوباً وكونه حراماً، وهو مما تعين تركه إجماعاً. والمنقول عن المازري من اختيار الصوم مع الشك مخالف لما حكى القرافي الإجماع على تركه.

كما أن الأصل المقيس عليه عند المازري وهو الغسلة المشكوك في كونها رابعة الراجح فيها الترك في المذهب وخارجه[1].

قال ابن ناجي[2] في شرح المدونة[3]: وهو الحق الذي أدرك عليه الفتوى من كل من لقيه.

ونقله الحطاب فقها مُسلَّماً[4] وهو الجاري على ما في الأصول من أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[5].

وفي السبكي وغيره: والنهي عن الأمر لشدة الطلب ولأنه يقتضي التكرار دون الأمر؛ فحينئذ الاختيار مخالف للقواعد الأصولية وللراجح في المقيس عليه فيجب الرجوع عنه.

ولهذا لم يرجح الشيخ خليل وشراحه أحد الاحتمالين على الآخر مراعاة للأصول ولمكان الإمام في اختياره[6]، ورجح بعضٌ الكراهة أخذاً بالوسط وسَلِمَ.

---

(1) وكلام المازري وأصله المقيس عليه كما قال الحطاب: يتخرج من قاعدة استصحاب الحال، ونصه: (قَالَ ابْنُ بَشِيرٍ فِي شَرْحِهِ عَلَى ابْنِ الجَلَّابِ قِيلَ: لَهُ مَا يَخْتَارُ مِنَ القَوْلَيْنِ، قَالَ الصَّوْمُ قِيلَ: لَهُ بِنَاءً عَلَى اسْتِصْحَابِ الحَالِ، قَالَ: نَعَمْ انْتَهَى. قَالَ فِي الشَّامِلِ (أي بهرام الدميري) فَقِيلَ: يَأْتِي بِأُخْرَى وَقِيلَ: لا وهُوَ الظَّاهِرُ انْتَهَى) انظر: مواهب الجليل: 1/ 267.

(2) هو: أبو الفضل، قاسم (وقيل: أبو القاسم) بن عيسى بن ناجي التنوخي، القيرواني، القاضي، المتوفى سنة 839هـ إمام فقيه حافظ للمذهب، تولى القضاء بجهات كثيرة من إفريقية كباجة وجربة وقابس وسوسة والمنستير والقيروان أخذ عن أئمة منهم ابن عرفة والبرزلي والأبي والوانُوغي والغبريني ومحمد بن عظوم، وغيرهم، وعنه حلولو وغيره، له شرح على الرسالة، وشرحان على المدونة كبير وصغير، وشرح على الجلاب. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 2/ 12، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 244، والأعلام، للزركلي: 5/ 179، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 8/ 110.

(3) شرح ابن ناجي المدونة شرحين صغير وكبير، وهو ما يطلق عليه الشرح الصيفي وهذه أرقام كلا من الشرحين في الخزانات المغربية، على أن الصغير قد طبع طبعة قديمة في مصر سنة 1307هـ، خزانة القرويين في فاس تحت أرقام (2511 و331 و332) وبالمكتبة العبدلية بجامع الزيتونة في تونس، تحت أرقام (938)، وفي دار الكتب الوطنيه تحت رقم(2511) و(2512).

(4) نقل الحطاب قول ابن ناجي (واخْتُلِفَ إذَا شَكَّ هَلْ هِيَ ثَالِثَةٌ أَوْ رَابِعَةٌ فَقِيلَ: إنَّهُ يَفْعَلُهَا كَرَكَعَاتِ الصَّلَاةِ، وقِيلَ: لَا لِتَرْجِيحِ السَّلَامَةِ مِنْ مَمْنُوعٍ عَلَى تَحْصِيلِ فَضِيلَةٍ) وقال – الحطاب – معقباً: (وهَذَا هُوَ الحَقُّ وبِهِ أَدْرَكْتُ كُلَّ مَنْ لَقِيتُ يُفْتِي). انظر: مواهب الجليل، للحطاب: 1/ 267.

(5) لأن ترك الصوم خشية الوقوع في المحرم مصلحة مقدمة على الصوم الذي قد يؤدي إلى مفسدة الوقوع في الحرام.

(6) نص خليل رحمه الله: (وإن شك في ثالثة ففي كراهتها وندبها قولان. قال (المازري): كشكه في صوم يوم عرفة. هل هو العيد؟) مختصر خليل، ص 14.

وأما إفتاء بعضِ الأعلام بعضَ خواصِّه بالفطر في ذلك اليوم لـمّا طلبوا منه ذلك مع ثبوت الشك فلا نكير عليه لقوة قول المخالف، وأخذه من الأحاديث ووجود الخلاف في المذهب ونصرة كثير من حفاظ مذهب مالك له، أما المخالف فقد أطبق الشافعي وكافة أصحابه أن المندوب والسنة والتطوع لا يجب شيء منها بالشروع إلا الحج[1]، وأن لمن شاء قطع ما ذكر بعد الشروع ولو لغير عذر، ولا يجب عليه القضاء، وأن مستندهم في ذلك نقل أهل الصحيح أحاديث كثيرة صريحة في ذلك كحديث أم هانئ[2]، وحديث عائشة[3] وغيرهما، من طرق عن مسلم وغيره. وقال أصحاب الشافعي لا خلاف عندهم في ذلك، وأدلة إمامنا كلها محتملة.

وقد قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أمكن الجمع بين الدليلين وجب المصير إليه إذا أمكن الجمع بين الدليلين. انتهى.

وما احتمل واختلف فيه لا تقوم به حجة، وقد قال جمع من حفاظ مذهب مالك أن أدلة الشافعية وغيرهم أظهر وأقوى مما استند إليه مالك.

قال ابن عبد السلام وغيره من شراح ابن الحاجب: مذهب الشافعي أقوى لمن أنصف وتأمل الأحاديث والآثار الواردة في ذلك.

وقد نقل بعضه الحطاب في حاشية المتن وأقره وحكى الحطاب عقبه عن القاضي ابن مسكين المالكي ما يشهد لهذا نصاً فانظره.

---

(1) قال النووي: (وأما إذا دخل في حج تطوع أو عمرة تطوع فإنه يلزمه إتمامها بلا خلاف، فإن أفسدهما لزمه المضي في فاسدهما، ويجب قضاؤهما بلا خلاف) المجموع: 6/ 220، وقال الشربيني من الشافعية: (ويجب القضاء اتفاقاً وإن كان نسكه تطوعاً لأنه يلزم بالشروع فيه فصار فرضاً بخلاف باقي العبادات) انظر مغني المحتاج: 1/ 523.

(2) حديث أم هانيء أخرجه الدارمي في كتاب الصوم، باب فيمن يصبح صائما تطوعاً ثم يفطر، برقم (1736)، ولفظه: لما كان يوم فتح مكة جاءت فاطمة فجلست عن يسار رسول الله ﷺ وأم هانئ عن يمينه قالت فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فناولته فشرب منه ثم ناوله أم هانئ فشربت منه ثم قالت يا رسول الله لقد أفطرت وكنت صائمة فقال لها: «أكنت تقضين شيئا» قالت: لا؛ قال: «فلا يضرك إن كان تطوعاً».

(3) أخرج مسلم من حديث عائشة في كتاب الصيام، باب جواز صوم النافلة بنية من النهار قبل الزوال وجواز فطر الصائم نفلاً بغير عذر برقم (1154)، أنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم: «يا عائشة ثم هل عندكم شيء قالت فقلت يا رسول الله ما عندنا شيء قال فإني صائم قالت فخرج رسول الله ﷺ فأهديت لنا هدية أو جاءنا زور، قالت: فلما رجع رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله أهديت لنا هدية أو جاءنا زور وقد خبأت لك شيئاً . قال: ما هو؟ قلت: حيس. قال: هاتيه؛ فجئت به فأكل ثم قال: قد كنت أصبحت صائماً».

فظهر أن إتمام الصوم ليس بواجب لنص ابن مسكين وأمره بالفطر، ولو كان واجباً ما أمره بالفطر. قال الحطاب: وإليه كان شيخنا يذهب ولم يرتض قول غيره. قال شيخ مشايخنا أبو العباس أحمد بن عبد الله الغربي: وهو الذي كان يرتضيه بعض مشايخنا، وسطره في بعض كتبه. انتهى من جواب للفقيه المذكور في هذه النازلة قلت سلّمنا.....[1]

الفطر أفتى بغير الراجح فلا درك عليه في ذلك ولا اعتراض لتضافر نصوص الأئمة ووفورها على جواز الفتوى بغير الراجح.

قال القرافي: يجوز تقليد المذاهب في النوازل.....[2] صفة تخالف الإجماع.

وقال أبو إسحاق الشاطبي: لا يعترض على الناس إن عملوا بغير الراجح، وربما يخالفني غيري في ذلك، وذلك لا يصدني عن القول به، ولي فيه أسوة، وقد كان ....[3] فائدة تدوين أقوال المذهب لعله يأتي مرجح لها وليعمل بها عند الحاجة إليها. اهـ.

ومثله لابن أبي جمرة، ولو فتشت نوازل المعيار والبرزلي وغيرهما لوجدت فيها من الأجوبة بغير المشهور ما يقف العدد ولا يأتي عليه إحصاء الحسبة ولا يعدونه والعرب بالباب وليس بينهم مجاب. اهـ.

وفي اختصار البرزلي عن سحنون قال: "الفتوى بغير المذهب لا ترد إلا إذا كانت شاذة".

وكفى بقول هذا الإمام الحجة حجة، فقد قيل أنه راهب هذه الأمة.

وقال القرافي وابن عبد السلام: من أتى شيئاً مختلفاً فيه يعتقد تحريمه أنكر عليه لانتهاكه الحرمة، وإن اعتقد تحليله لم ينكر عليه إلا أن يكون قول المحلل ضعيفاً. انتهى.

فإذا تقرر هذا وكان لا يعترض بقول خارج المذهب فكيف يعترض على من أفتى بقول في المذهب وإن كان مرجوحاً، فما بالك بمن أفتى بقول مساو أو راجح معتمد موافق للقواعد؟ فما الاعتراض عليه إلا محض مكابرة وعناد، وهذا كله واضح لمن تأمله بالإنصاف ولازم الحق وجانب الاعتساف، وبالجملة لو سكت من لا يعلم لقل الخلاف، والله أعلم ". اهـ.

---

(1) بياض في الأصل.

(2) بياض في الأصل.

(3) بياض في الأصل.

وأما شعره فمن توسلاته:

أَوْقَفْتُ آمَالِي عَلَى ذِي الْجَلالْ ... فَبَابُهُ الأَحْمَى مَحَطُّ الرِّحَالْ
مُسْتَرجِماً مُسْتَنْزِلاً فَضْلَ مَنْ ... عَمَّ الْبَرَايَا فَضْلُهُ والنَّوَالْ
مَنْ غَيْرُهُ يُرْجَى إِذَا أَزْمَةٌ ... حَلَّتْ ومَنْ يَقْصِدُهُ ذُو سُؤَالْ
نَادَيْتُهُ لا أَرْتَجِي غَيْرَهُ ... ولَيْسَ لِي إلا عَلَيْهِ اتِّكَالْ
يَا مَالِكَ الْمُلْكِ الْعَلِيَّ الَّذِي ... هُو اللَّطِيفُ الْبَرُّ فِي كُلِّ حَالْ
جَلَّتْ أَيَادِيكَ الَّتِي لَمْ تَزَلْ ... تُرَى عَلَى الأَزْمَانِ ذَاتُ انْهِمَالْ
يَا عَالِمَ الأَسْرَارِ مِنْ خَلْقِهِ ... يَا مَنْ تَعَالَى عِزُّهُ عَنْ مِثَالْ
بِسِرِّ آيِ الذِّكْرِ مَعْ أَهْلِهِ ... بِأَحْمَدَ الْمُخْتَارِ عَيْنِ الْكَمَالْ
امْنُنْ بِأَمْنٍ مُذْهِبٍ لِلرَّدَى ... فَصُنْعُكَ اللَّهُمَّ رَحْبُ الْمَجَالْ
أَيْنَ عَدَا عَادٍ وبَاغٍ فَمَا ... عَلَى حِمَى أَهْلِ الْعُلَى يُسْتَطَالْ
مَزِّقْ بِسَيْفِ الْقَهْرِ مَنْعَةَ مَنْ ... يُشِبُّ نِيرَانَ الْهَوَى والضَّلالْ
ضَيِّقْ بِهِمْ يَا قَادِرُ وارْمِهِمْ ... بِأَسْهُمٍ تُفْضِي بِهِمْ لِلْوَبَالْ
طِعَانُهَا فِي الصَّدْرِ مِنْهُمْ فَمَا ... يُقَالُ فَرْدٌ مِنْهُمْ قَدْ يُقَالْ
رَمَاهُمْ سَهْمُ الرَّدَى مُصْمِياً ... إلا مَنَ أَبْقَى مِنْهُمْ فِي نِكَالْ
رَأَوْا سِفَاهَ الرَّأْيِ مِنْهُمْ فَمَنْ ... يَغْتَرُّ بِالرَّبِّ الشَّدِيدِ الْمُحَالْ
إِذَا مِنْهُمْ ذُو الْبَطْشِ مِنْ بَطْشَةٍ ... فَجَاءَهُمْ حَتْفُ الظُّبَا والْعَوَالْ
ذَلُّوا وهَانُوا إِذْ بَغَوْا واعْتَدَوْا ... فَهَا هُمُ صَرْعَى بِحَدِّ النِّصَالْ
أَقْوَتْ دِيَارُ الْمُعْتَدِي مَا ارْتَدَى ... ثِيَابَ هَوْنٍ واكْتَسَى بِالْوَبَالْ
دَعَاهُ أَمْرُ رَبِّهِ فَاغْتَدَى ... وزَادَ فِي إِغْوَائِهِ واسْتَطَالْ
عَلَيْكَ يَا رَبِّ بِذَاكَ ولا ... تَدَعْهُ فِي إِمْهَالِهِ ذَا ضَلالْ
إِلَيْكَ أَشْكُو جَوْرَهُ سَائِلاً ... يَسِيرُ فِي هذِهِ والْمَآلْ
هَادِي الْوَرَى لِرُشْدِهِمْ أَحْمَدُ ... أَجَلُّ مَبْعُوثٍ بِأَسْنَى الْخِلالْ

ومن نبوياته:

يَا نِسْمَةً صَافَحَتْ بِالْمِسْكِ دَارِينَا ... هَبَّتْ لِتُحْيِيَ أَرْوَاحَ الْمُحِبِّينَ

لا تَبْرَحِي عَنْ حِمَى صَبٍّ يُشَوِّقُهُ نَسِيمُ حُبُّكِ تَحْرِيكاً وتَسْكِينَا
وَسَكِّنِي مِنْ فُؤَادِي بَعْضَ مُزْعِجِهِ وحَدِّثِي عَنْ أَحِبَّتِي وحَيِّينَا
زُورِي الْخَلِيَّ حَشَاهُ عَنْ سِوَاكِ ولا يَكُ التَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا
يَا سَارِيَ الْبَرْقِ هَلْ تُدْنِي مَحَبَّتَهَا إِلَى فُؤَادِي تَغَذَّى حُبُّهَا دَيْنَا
رَاضٍ وإِنْ بَخِلَتْ بِهَا لِعِزَّتِهَا فَحُبُّهَا لَيْسَ يَبْلَى وهُوَ يُبْلِينَا
أَلِلْمُحِبِّ اخْتِيَارٌ فِي مَحَبَّتِهِ وهَلْ يَمِيلُ إِلَى مَلامِ وَاشِينَا
قُلْ لِلْمُفَنِّدِ إِنْ أَبْدَى مَلامَتَهُ دَعِ الْمَلامَ فَإِنَّ اللَّوْمَ يُغْرِينَا
لا عَيْبَ فِي الْحُبِّ إِنْ صَحَّتْ شَوَاهِدُهُ حُبُّ الْحِسَانِ يُمِيتُنَا ويُحْيِينَا
عَيْنِي تُلاحِظُ سَلْمَى فِي مَقَاصِرِهَا فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا حُوراً ولا عِينَا
ظَلَّتْ تُفَوِّقُ أَسْهَامَ اللِّحَاظِ لَنَا ظَنَّتْ غَرَامِي بِهَا زُوراً وتَخْمِينَا
مَاسَتْ فَهَزَّتْ قَوَامَ السَّمْهَرِيِّ وقَدْ أَرَتْ مُحِبَّهَا مِنْ أَعْطَافِهَا لِينَا
سَمَا اشْتِيَاقِي إِلَى اعْتِنَاقِهَا شَغَفاً كَمَا سَمَا حُسْنُهَا وازْدَادَ تَبْيِينَا
يَا رَوْضَةَ الْحُسْنِ إِنْ مَرَّ الصَّبَا وسَرَى فَحَمِّلِيهِ شَذَا وَرْدٍ ونِسْرِينَا
عَسَاكِ تُحْيِي بِهِ قَلْبَ الْمَشُوقِ إِلَى مَعَالِمٍ مَلَكَتْ عِزّاً وتَمْكِينَا
طَابَتْ حَيَاتِي عِنْدَ ذِكْرِ طِيبِهَا بُشْرَى لِسَاكِنِهَا دُنْيَاهُ والدِّينَا
حَلُّوا بِطَيْبَةَ ذَاتِ الْفَضْلِ أَنَّ لَهُمْ إِذَا جَاوَرُوا الْمُصْطَفَى عِزّاً وتَأْمِينَا
مَنْ لِي بِزَوْرَتِهَا حَتَّى أَفُوزَ بِمَا يُحْيِي الْحَشَا ويُزِيلُ مَا يُغْنِينَا
يَا سَيِّدَ الرُّسْلِ يَا أَعْلَى الْوَرَى شَرَفاً يَا رَوْحَ أَرْوَاحِ أَشْبَاحِ الْمُحِبِّينَا
قَدْ أَثْقَلَتْنِي ذُنُوبٌ أَكْثَرَتْ وَجَلِي ولا وَجَدْتُ الَّذِي إِلَيْكَ يُدْنِينَا
فَجِئْتُ أُنْشِدُ أَمْدَاحِي لِتَقْبَلَنِي فَإِنَّ مَدْحَكَ خَيْرَ الْخَلْقِ يُغْنِينَا
مَا ضَلَّ مَنْ ظَلَّ مُنْشِداً مَدِيحَكُمُ حَاشَا تَرُدُّونَهُ إِذْ ذَاكَ مَحْزُونَا
أَلَسْتَ أَكْرَمَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمُ فَجِئْتُ بَابَ الْمَدِيحِ مِنْهُ تُغْنِينَا
لا سِيَّمَا مَدْحُكُمْ بِشَهْرِ مَوْلِدِكُمْ فَمَا أَرَى غَيْرَهُ يُدْنِي ويُسْلِينَا
شَهْرٌ عَلا فَضْلُهُ وجَلَّ مَنْصِبُهُ بَيْنَ الشُّهُورِ فَجَلَّ اللهُ مُعْطِينَا

فِـي لَـيْلَةِ الْـبَدْرِ مِـنْهُ لاحَ نُـورُكُمْ ... يَـا سَـعْدَ مَـنْ كَـانَ فِيهَـا فِـي الْمُـصَلِّينَا
يَـا لَـيْلَةً شَـرُفَتْ قَـدْراً ومَـنْزِلَةً ... بِـمَوْلِدِ الْمُـصْطَفَى خَـيْرِ الـنَّبِيِّينَا
لِـلَيْلَةِ الْـقَدْرِ مِـنْ أَنْـوَارِكُمْ شَـرَفٌ ... وأَنْـتِ بِالْمُـصْطَفَى أَعْـلَى لَـيَالِينَا
لَـوْ لَـمْ تَـكُنْ يَـا أَمِـينَ اللهِ خِيرَتَـهُ ... مِـنْ خَلْقِـهِ لَـمْ نَجِـدْ فِـي الْكَـوْنِ تَكْوِينَا
فَـأَنْتَ وَاسِـطَةُ الـتَّكْوِينِ عَـيْنُ هُـدَى ... وقَـدْ رَجَـوْنَاكَ تُـولِينَا وتَـهْدِينَا
مُؤَمِّـلِينَ بُـلُوغَ الـسُّؤْلِ أَجْـمَعَهُ ... مُسْتَـشْفِعِينَ بِـجَاهِكُمْ ورَاجِـينَا
يَـا رَبِّ شَـفِّعْهُ فِـي عَـبْدٍ دَعَـاكَ بِـهِ ... مُؤَمِّـلاً سَـتْرَكَ الْـجَمِيلَ تُـغْطِينَا
وَاشْـفِ السَّقَامَ الَّـذِي أَضْنَى وأَمْرَضَنِي ... فَـمَا سِـوَاكَ إِلَـهُ الْـعَرْشِ يُـشْفِينَا
وَاغْـفِرْ ذُنُـوباً قَـدِ اقْتَرَفْـتُ أَكْبَرَهَـا ... وامْـنُنْ بِـعَفْوٍ مِـنَ النِّيـرَانِ يُنْجِينَـا
وَاكْـبِتْ بُغَـاةَ عُـدَاةِ الـدِّينِ وارْمِهِـمُ ... بِـأَسْهُمِ الْـحَتْفِ واكْـسُ كُلَّهُـمْ هُوْنَـا
وَأَصْـلِحِ الأَهْـلَ والْـبَنِينَ كُـلَّهُمُ ... والْمُـسْلِمِينَ ومَـنْ يَـقُولُ آمِـينَا
وَاغْـفِرْ لأُمِّـيَ والآبَـاءِ أَجْـمَعِهِمْ ... والْمُـؤْمِنِينَ ونَجِّـنَا وأَهْـلِينَا
مُـصَلِّياً أَفْـضَلَ الـصَّلاةِ أَكْـمَلَهَا ... عَـلَى رَسُـولِكَ مَـنْ قَـدْ أَكْمَـلَ الـدِّينَا
وَآلِـهِ وعَـلَى الأَصْـحَابِ قَـاطِبَةً ... مَـا أَطْـرَبَ الْـعِيسَ نَـغْمَةُ الْمُغَنِّينَـا
وَمَـا تَبَـسَّمَ زَهْـرٌ وانْـجَلَى قَمَـرٌ ... ومَـا قَـرَا قَـارِئٌ طَـهَ ويَـاسِينَا

ومنها:

عَلَـى سَـيْرِي حُـدَاةَ الْعِـيسِ سِـيرُوا ... فَـإِنِّي مُـضْعَفٌ مُـضْنًى كَـسِيرُ
وَلا تُـزْجُوا مَـطَايَاكُمْ حَثِيثـاً ... فَـقَلْبِي مَـعْكُمْ أَبَـداً يَـسِيرُ
وَإِلا فَـاحْمِلُوا عَـنِّي سَـلاماً ... إِلَـى مَغْنًـى بِـهِ الْقَمَـرُ الْمُنِيـرُ
إِلَـى دَارِ الـنُّبُوءَةِ والْمَعَـالِي ... إِلَـى بَيْـتٍ بِـهِ الْهَـادِي الْبَـشِيرُ
إِلَـى تِلْـكَ الْقِبَـابِ وسَـاكِنِيهَا ... إِلَـى مَـنْ عِنْـدَهُمْ قَلْبِـي أَسِـيرُ
إِلَـى خَيْـرِ الْـوَرَى أَهْـدَى الْبَرَايَـا ... إِلَـى مَـنْ خَـصَّهُ الـرَّبُّ الْكَبِيـرُ
مُـحَمَّدٌ الـرَّسُولُ الْمُرْتَـضِيهِ ... رَسُـولاً رَبُّـنَا الْـحَيُّ الْقَـدِيرُ
مُـحَمَّدٌ الـتُّهَامِيُّ الْـمُعَلَّى ... نَـجِيُّ اللهِ صَـفْوَتُهُ الـنَّذِيرُ
مُحَمَّـدٌ الْهَـادِي الْمَهْـدِيُّ حَقّـاً ... عَـلَيْهِ تَـحِيَّةٌ مَـا لاحَ نُـورُ

ومنها:

أَيُكْرَمُ عَبْدٌ قَدْ تَمَلَّكَ قَلْبَهُ هَوَاكُمْ يَا آلَ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ
وَيُدْرِكُ مَا أَمْسَى يُؤَمِّلُ مِنْكُمُ فَيُصْبِحُ مَسْرُوراً بِعِزٍّ وَأَسْعَدِ
أَمَا أَنْتُمْ يَا سَادَةَ النَّاسِ كُلِّهِمْ كِرَامُ السَّجَايَا وَارِثُو النُّورِ الأَحْمَدِ
وَهَذَا عَلِيلٌ يَرْتَجِي بُرْءَ سُقْمِهِ فَمُنُّوا عَلَيْهِ بِالدَّوَاءِ الْمُؤَبَّدِ
وَلا تَطْرُدُونِي وارْحَمُونِي تَكَرُّماً فَأَنْتُمْ مَلاذِي واعْتِمَادِي ومَقْصِدِي

ومنها:

دَلائِلُ حُبِّ الْمُصْطَفَى حُبُّ آلِهِ فَوُدُّهُمْ نُورٌ بِهِ الْقَلْبُ يَرْشُدُ
فَيَا سَعْدَ مَنْ حَلَّى الْكَرِيمُ فُؤَادَهُ بِوُدِّهِمْ فَهْوَ الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ
فَلا تَعْدُوَنْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِمَادٌ وحِصْنٌ لِلسَّلامَةِ يَرْصُدُ
تَمَسَّكْ بِأَذْيَالِ الرَّسُولِ ولُذْ بِهِ تَنَلْ كُلَّ مَا تَرْجُو وتُهْدَى وتَسْعَدُ
عَلَيْهِ صَلاةُ اللهِ ثُمَّ سَلامُهُ وآلِهِ والأَصْحَابِ مَا رَنَّ مُنْشِدُ

ومنها:

أَنَا شَافِعِيٌّ فِي الصَّلاةِ عَلَيْكُمُ ومَا لِي سِوَاكُمْ شَافِعٌ عِنْدَ مَالِكِ
فَأَيُّ صَلاةٍ لِلَّذِي صَارَ تَارِكاً لَهَا فِي صَلاةٍ هَبْهُ مَذْهَبَ مَالِكِ
وَمَا لِيَ لا أَرْضَى بِمَا قَالَ شَافِعِي وعِنْدَهُ قَلْبِي والْحَشَا وهْوَ مَالِكِي
فَيَا خَيْرَ مَبْعُوثٍ بِخَيْرِ شَرِيعَةٍ وأَعْظَمَ بُرْهَانٍ لِعَبْدٍ ومَالِكِ
بِجَاهِكَ عِنْدَ اللهِ جِئْتُكَ سَائِلاً لِتَجْعَلَنِي عَبْداً وأَدْنَى الْمَمَالِكِ

ومنها:

مَحَبَّةُ آلِ الْمُصْطَفَى تُذْهِبُ الرَّدَى ومَدْحُهُمْ يَهْدِي الَّذِي يَبْتَغِي الْهُدَى
فَيَا غَافِلاً عَنْ حُبِّهِمْ ومَدِيحِهِمْ لَعَمْرِي وإِنَّ الْعُمْرَ مِنْكَ مَضَى سُدَى
تَلَذَّذْ بِمَدْحِ الْمُصْطَفَى وبِآلِهِ إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْظَى وتُهْدَى وتَسْعَدَا

ومنها:

يَا خَيْرَ مَنْ وَطَأَ الثَّرَى بِنِعَالِهِ وأَجَلَّ مَبْعُوثٍ وأَفْضَلَ مَنْ سَفَرْ
وَمَحَطَّ سِرِّ الْوَحْيِ أَزْكَى مُرْسَلٍ صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَا طَلَعَ الْقَمَرْ

ومن تخميساته:

مَـا اشْـتَدَّتِ الأَزَمَـاتُ أَوْ جَـا مُفْـزَعُ أَوْ جَـاءَ قَـلْبِي مُـكْرَبٌ أَوْ مُوْجَـع
إلا ونَادَى قَلْبِيَ الْمُتَخَشِّعُ
(يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ ويَسْمَعُ أَنْـتَ الْـمُعَدُّ لِـكُلِّ مَـا يُتَوَقَّـعُ)

كَـمْ كُـرْبَةٍ فَـرَّجْتَهَا مِـنْ أَصْـلِهَا ومَنَـنْتَ إِفْـضَالاً عَـلَيَّ بِـحَلِّهَا
فَكُفِيتُ أَمْرَ أَجَلِّهَا وأَقَلِّهَا
(يَـا مَـنْ يُـرَجَّى لِلـشَّدَائِدِ كُلِّهَـا يَـا مَـنْ إِلَيْـهِ الْمُـشْتَكَى والْمَفْـزَعُ)

فَـدَفَعْتَ عَـنِّي مِـنَّةً رَيْـبَ الـزَّمَنْ ووَقَـيْتَنِي مِـمَّا أَخَـافُ مِـنَ الْمِحَـنْ
وَأَنَلْتَنِي يَا مَالِكَ الْمُلْكِ الْمِنَنْ
(يَـا مَـنْ خَـزَائِنُ رِزْقِـهِ فِـي قَـوْلِ كُـنْ امْـنُنْ فَـإِنَّ الْخَيْـرَ عِنْـدَكَ أَجْمَـعُ)

وَإِذَا عَـرَتْنِي فِـي الـزَّمَانِ جَلِيلَـةٌ رَاعَـتْ ونَفْـسِي بِـالْمُخِيفِ عَلِيلَـةٌ
أَوْقَفْتَهَا فِي الْبَابِ وهْيَ ذَلِيلَةٌ
(مَـا لِـي سِوَى فَقْـرِي إِلَيْـكَ وَسِيلَةٌ فَـبِالافْتِقَارِ إِلَـيْكَ رَبِّ أَضْـرَعُ)

إِنْ حَـالَ بَـيْنَ حَـوَائِجٍ لِـي زَلَّـةٌ فَـالْحُكْمُ عَـدْلٌ والْـمَعَاصِي ذِلَّـةٌ
وَالْعَفْوُ فَضْلٌ والتَّوَجُّهُ خُلَّةٌ
(مَـا لِـي سِـوَى قَرْعِـي لِبَابِـكَ حِيلَـةٌ فَـإِذَا رُدِدْتُ فَـأَيَّ بَـابٍ أَقْـرَعُ)

مَـا غَـيْرُ رَبِّـي والْـمُحِيطُ بِعِلْمِـهِ لِـدِفَاعِ أَهْـوَالِ الـزَّمَانِ وهَـمِّهِ
وبُلُوغِ آمَالِي وغَايَةِ سَهْمِهِ
(ومَـنِ الَّـذِي أَدْعُـو وأَهْتِـفُ بِاسْـمِهِ إِنْ كَـانَ فَـضْلُكَ عَـنْ فَقِيرِكَ يُمْنَـعُ)

فَلَـقَدْ أَتَـيْتُكَ بِانْكِـسَارٍ دَاعِـيَا مُتَـضَرِّعاً أَرْجُـوكَ رَبِّـي وَافِـيَا
مِمَّا أَخَافُهُ يَا إِلَهِي وكَافِيَا
(حَـاشَا لِـمَجْدِكَ أَنْ تُقَـنِّطَ عَاصِـياً الْفَـضْلُ أَجْـزَلُ والْمَوَاهِـبُ أَوْسَـعُ)

ومن موشحاته:

مَـا أَحْـسَنَ اللِّـينَ فِـي الْقُـدُودِ والـسِّحْرَ فِـي الْعَـيْنِ والْفُتُـورْ

وَأَعْــذَبَ الْوَصْــلَ عَــنْ صُــدُودِ ... ورَشْــفَةَ الْخَمْــرِ فِــي الثُّغُــوز
فِــي ذَاكَ يَحْلُــو الْغَــرَامُ جَهْــراً ... وعَــادِلُ الــصَّبِّ مَــا عَــذَلْ
لَــوْ ذُقْــتَ كَــأْسَ الرَّحِيــقِ عُــذْراً ... مَــشْمُولَةً والرَّجَــا انْــسَدَلْ
أَبْــدَيْتَ لِلــشَّارِبِينَ عُــذْراً ... ولُــمْتَ مَــنْ مَــالَ لِلْعَــدَلْ
فَــارْتَحْ لِــرَاحٍ بِــرَاحِ غِيــدٍ ... حُــورٌ قُــصِرْنَ عَلَــى الْقُــصُوز
فَبَــسَمْنَ عَــنْ لُؤْلُــؤٍ نَــضِيدٍ ... عَــتَيْنَ عَــنْ جَــوْهَرِ النُّحُــوز
إِنْ مِــسْنَ يَوْمــاً هَــزَزْنَ رُمْحــاً ... فَــوْقَهُ شَــمْسٌ عَلَــى كَثِيــبْ
يُــسْدِلْنَ مِــنْ شَــعْرِهِنَّ جُنْحــاً ... يَــكَادُ أَنْ يَــسْتُرَ الْكَثِيــبْ
وَإِنْ رَنَــا لَــحْظُهُنَّ لَمْحــاً ... أَتَــيْنَ بِالــسَّاحِرِ الْعَجِيــبْ
يَــا طَالِــبَ الْعِــزِّ والــسُّعُودِ ... مُبْــتَغِياً رَبَّــةَ الْــخُدُوز
اجْمَــعْ مَــعَ الــشُّرْبِ نَقْــرَ عُــودٍ ... واسْــدِلْ عَلَــى سِــرِّكَ الــسُّتُوز

ومن غزلياته:

أَتَــى الْــعَاشِقِينَ الْحُــسْنُ مِنْــكَ مُجَــدَّداً ... فَــلَبَّى فُــؤَادِي فِــي هَــوَاكَ مُجَزْهِــدَا
مَــضَى عُمْــرُ لَــمْ يُكَلِّــفِ الْقَلْــبُ بِالْهَوَى ... فَلاحَــتْ لَــهُ أَنْــوَارُ حُــسْنِكَ فَاهْتَــدَى
وَمَــا حَــسَنٌ يَخْلُــو الْفُــؤَادُ مِــنَ الْهَــوَى ... ولا سِــيَّمَا قَــلْبٌ يُــحِبُّكَ أَسْــعِدَا
لَــحَى اللهُ مَــنْ أَمْــسَى يُفَنِّــدُ مُغْرَمــاً ... غَــدَا بَــشَراً بِالْــحُبِّ فِيــكَ مُعَرْبِــدَا
أَبَــحْتَ افْتِــضَاحِي فِــي مَحَبَّــةِ شَــادِنٍ ... أَحَــلَّ دِمَــاءَ الْــعَاشِقِينَ تَــعَمُّدَا
يَــمِيلُ إِلَــى هَــجْرِي ولَــوْ أَنَّــهُ دَرَى ... بِــفَرْطِ اشْــتِيَاقِي واكْــتِئَابِي تَــوَدَّدَا
أَبَــعْدَ عَــذَابِ الْــحُبِّ صَــدٌّ يَرُوعُنِــي ... أَلَــمْ تَــرَ أَلْــيَانِي(1) مِــنَ الــشَّوْقِ سُــهَّدَا
دَعِ الــصَّدَّ يَــا أَبْهَــى الْحِــسَانِ مَحَاسِــناً ... وأَغْــرَقَهُمْ مَــجْداً وجِــدًّا ومَحْتِــداً
رُعِيــتَ ولا رَاعَــتْكَ نَــائِبَةٌ أَمَــا ... عَــلِمْتَ الْجَفَــا أَضْــنَى وأَبْلَــى وأَوْجَــدَا
يَــقُولُونَ لِــي بَــعْدَ الْمَــشِيبِ صَــبَابَةٌ ... فَــقُلْتُ أَجَــلْ إِنَّ الْهَــوَى جَلَــبَ الْهُــدَى
سُــرُورٌ سَــرَتْ أَسْــرَارُهُ بِــسَرِيرَتِي ... لِــحُبِّ سَــلِيلِ الْمُــصْطَفَى مُتَــوَدِّدَا

(1) كذا في الأصل، ولعل صوابها أجفاني.

حَلا حُبُهُ لَوْ شِمْتَ بَارِقَ ثَغْرِهِ رَأَيْتَ بِهَا الدُّرَّ النَّضِيدَ مُقَلَّدَا
مُحَيَّاهُ فِيهَا جَنَّةٌ لِمُحِبِّهِ أَقَامَتْ بِهَا الأَنْوَارُ يَا حُسْنَ مَا بَدَا
بَدَا صُبحُ غُرَّاتِ الْجَبِينِ ونُورُهُ فَخَافَتْ عَلَيْهِ طُرَّةُ الْحُسْنِ حُسَّدَا
فَأَرْخَتْ عَلَيْهِ حُرَّساً مِنْ ذَوَائِبٍ تَدَلَّتْ كَحَيَّاتٍ تَشُوشُ مَنْ عَدَا
أُخِذْتُ أَسِيراً عِنْدَهُ وَلَوْ أَنَّنِي أَرَدْتُ فِكَاكاً مِنْهُ مَا خِلْتُ مُنْجِدَا
إِذَا مَا مَشَى هَزَّ الرُّدَيْنِيَّ قَدُّهُ فَكَيْفَ نَجَاتِي والرِّمَاحَ تَقَلَّدَا
وَوَفْرَتُهُ تَسْعَى لِنَهْبِ نُفُوسِ مَنْ تَرَجَّى وِصَالاً كَي يَفُوزَ وَيَسْعَدَا
أَيَا هَاجِراً صَبّاً أَحَبَّكَ صَادِقاً ولَمْ يَبْغِ يَا مَوْلايَ غَيْرَكَ سَيِّدَا
تَعَطَّفْ عَلَيَّ رَحْمَةً فَلَطَالَمَا أَرَقْتُ دُمُوعاً بَعْدَمَا صِرْتُ مُكَبَّدَا

ومنها:

ذَهَبُوا إِلَى تَفْضِيلِ حُسْنِكَ يَا رَشاً وَمَنِ الْمُفَضَّلِ فِي الْحِسَانِ سِوَاكَ
وَمَنِ الْمُشَارِكُ فِي مَحَاسِنِكَ الَّتِي أُولِيتَهَا سُبْحَانَ مَنْ أَوْلاكَ
أُفْرِدْتَ يَا فَرْدَ الْبَهَا لَحْظَ الْمَهَا بِعَجَائِبٍ جَاءَتْ بِهَا عَيْنَاكَ
أُلْبِسْتَ مِنْ حُلَلِ الْجَمَالِ مُلاءَةً فَغَدَتْ مَرَائِي الْحُسْنِ فِي مَرْآكَ
تَزْدَادُ حُسْناً والْفُؤَادُ بِحَالِهِ يَزْدَادُ شَوْقاً لا يَرُومُ فِكَاكَ
يَا مَالِكاً رُوحِي بِسَاعَةِ وَصْلِهِ إِنَّ الَّذِي أَوْلاكَ قَدْ وَلاَّكَ
وَلاكَ رُوحاً كُنْتُ أَطْلُبُ عِزَّهَا والْعِزُّ يَطْلُبُهَا بِيَوْمِ رِضَاكَ
فَلَقَدْ بَذَلْتُ عَزِيزَهَا وجَعَلْتُهَا مَبْذُولَةً مَا كَانَ ذَا لَوْلاكَ
إِنْ لَمْ تَصُنْهَا رَحْمَةً يَا سَيِّدِي شَمِتَ الْعِدَاةُ وقَالُوا مَا أَضْنَاكَ
إِنْ بُحْتُ طَابَ ولَذَّ فِيكَ تَهَتُّكِي والْحُبُّ يَعْذُبُ مُرُّهُ إِذْ ذَاكَ
لَكِنَّنِي أَطْوِي ضَمِيرَ سَرَائِرٍ وأُبِيحُ رُوحِي فِي اكْتِتَامِ هَوَاكَ

ومنها:

لاحَظَتْنِي بِسَاحِرِ الطَّرْفِ مِنْهَا فَغَدَوْتُ بِلَحْظِهَا مَسْحُورَا
وَأَرَتْنِي مِنَ الْقِنَاعِ مُنِيراً أَخْجَلَ الصُّبْحَ إِذْ بَدَا تَنْوِيرَا
رَقَّ مَعْنَى جَمَالِهَا وتَرَقَّى فَرَأَيْتُ لَدَيْهَا حُسْناً كَبِيرَا

خَـطَرَتْ تَـنْثَنِي اغْـتِدَالاً وعُجْبـاً مِـثْلَ مَـا حَـرَّكَ النَّـسِيمُ نَـضِيرَا
وَأَشَـارَتْ بِمِعْـصَمَيْهَا ونَـادَتْ مَـنْ يَـصِيدُ مِـنَ الظِّبَـاءِ الْغَرِيـرَا
لَـوْ رَشَـفْتَ مَرَاشِـفِي اللَّعْـسَ يَوْمـاً لَـسَقَتْكَ مِـنَ الـثَّنَايَا طَـهُورَا
حَـرَّمَتْ رَشْـفَهُ عَـلَيَّ وآلَـتْ حِلْـفَةً لا يُـرَى لَـهَا تَـكْفِيرَا
رَضِـيَتْ مُـهْجَتِي عَـذَابِي فَأَهْـدَتْ مُـقْلَتِي الـدَّمْعَ لُـؤْلُؤاً مَـنْثُورَا
مَـا لِـدَمْعِ الْمُحِـبِّ مَعْنًـى سِـوَى أَنَّـهُ يَأْتِـي مِـنَ الْـغَرَامِ خَـبِيرَا
يَفْـضَحُ الْمُـسْتَهَامَ إِنْ رَامَ كَـتْماً فَـتَرَى الـصَّبَّ هَـائِماً أَوْ أَسِـيرَا
لا جُـنَاحَ عَـلَى الْـمُحِبِّ إِذَا مَـا أَظْـهَرَ الْـحُبَّ فِـي الأَنَـامِ ظُهُـورَا
لَـذَّةُ الـصَّبِّ إِنْ أَبَـانَ هَـوَاهُ وأَمَـاطَ عَـنِ الْـحَيَاءِ الـسُّتُورَا
لَـسْتُ أَنْـسَى لُـوَيْلاتٍ سَـالِفَاتٍ كَـانَ أُنْـسِي بِـهَا لَـدَيَّ الـسُّرُورَا
لَيْـلَةَ ضَـمَّنَا الـزَّمَانُ وبِـتْنَا فِـي ارْتِـشَافِ الْكُـؤُوسِ نَهْـوَى الْمُـدِيرَا
وَتَـلَوْنَا مِـنَ الْـجَمَالِ حَـدِيثاً عَـنْ صِـحَاحِ الثُّغُـورِ يَـرْوِي دُهُـورا
شَـافَهَتْ شَـفَتِي صِـحَاحَهُ حِفْظـاً لأَحَادِيـثِ أَعْـجَزَتْ تَفْـسِيرَا
عَـلِمَتْ بَـانَةُ الـرِّيَاضِ اغْـتِنَاقاً مِـثْلَ مَـا حَـمَّلَتْهُ عَـنْهَا عَـبِيرَا
غَـادَةٌ غَـادَرَتْنِي بَـعْدَ وِصَـالٍ وَاصَـلَتْ هَـجْرَهَا زَمَـاناً كَبِيـرَا
لَـمْ أَهُـبَّ مِـنْ غَفْـوَةِ الْوَصْـلِ حَتَّـى جَـاءَنِي الْـهَجْرُ مِـنْ لَـدَيْهَا نَـذِيرَا
كَـذَبَ الْـقَائِلُونَ أَنِّـيَ أَسْـلُو إِنَّـهُ كَـانَ بِـالْفُؤَادِ بَـصِيرَا
لَـيْتَ شِـعْرِي وطَـالَ مِنْهَـا التَّجَنِّـي هَـلْ يَـعُودُ وِصَـالُهَا لِـي سَـمِيرَا

ومنها:

حَـرَّكَ الْوَجْـدُ فِـي هَـوَاكُمْ جُفُـونِي وعَـلَيْكُمْ عَـوَادٍ لِـي عَنَّفُـونِي
خَـلَّفُونِي فِـي الْحَـيِّ مَيْتـاً طَرِيحـاً وعَـلَى النَّـوْمِ بَعْـدَهُمْ حَلَّفُـونِي
كَـانَ ظَنِّـي رُجُـوعَهُمْ لِـي قَرِيبـاً انْقَـضَتْ مُـدَّتِي وخَابَـتْ ظُنُـونِي
إِنْ أَنَـا مِـتُّ فِـي هَـوَاهُمْ قَتِـيلاً بِـدُمُوعِي بِـحَقِّكُمْ غَـسِّلُونِي
وَلِـرَوْضِ الْعُـشَّاقِ سِـيرُوا بِنَعْـشِي فَـهُمْ جِـيرَتِي بِهِـمْ اتْبِعُـونِي
ثُـمَّ نَـادُوا الـصَّلاةَ هَـذَا مُحِـبٌّ مَـاتَ مَـا بَـيْنَ لَوْعَـةٍ وشُـجُونِ

وَاشْـرَحُوا لِلْـوَرَى قَـضِيَّةَ حَـالِي فَعَـسَى عِنْـدَ شَـرْحِهَا يَرْحَمُـونِي

ومنها:

أَبَحْتَ دَمِي رُحْمَاكَ يَا سَيِّدِي فَلَوْ أَبَـحْتَ دَوَا رُوحِـي يُزِيـلُ سَـقَامَهَا
دَعِ الْـقَلْبَ فِـي أَشْـوَاقِهِ مُتَقَلِّبَـاً بِـرُوحٍ تَـلَظَّتْ إِذْ أَطَلْـتَ هَيَامَهَـا
رُزِقْـتَ الـظَّنَا(1) لَمَّـا رُزِقْـتَ مَلاحَـةً فَـتِنْتَ بِـهَا لَـمَّا مَلَكْـتَ تَمَامَهَـا
يَـحِنُّ إِلَـى تِلْـكَ الرُّبُـوعِ ومَـنْ بِهَافُـؤَادٌ وعَـيْنٌ قَـدْ أَطَـرْتَ مَنَامَهَـا
سَـرَتْ نَـسَمَاتُ الـشَّوْقِ نَحْـوَ حِمَـاكُمْ فَــهَلْ بَلَّغَــتْ دَارَ الْحَبِيــبِ سَـلامَهَا

ومنها:

يَـا بَـدِيعَ الْجَمَـالِ مِـمَّ خُلِقْـتَ أَمِـنَ الـشَّمْسِ أَمْ مِـنَ النُّـورِ أَنْـتَ
خُـلِقَ الْمَـرْءُ مِـنْ حَمَـإٍ وطِـينٍ ومِــنَ النُّـورِ والْبَهَــاءِ خُلِقْــتَ
لَـسْتَ أَنْـتَ مِـنْ نَـسْلِ آدَمَ لَكِـنْ كَــانَ رَضْــوَانُ غَــافِلاً فَــسُرِقْتَ

ومنها:

أَخْـجَلَتْ كُـلَّ الْـوَرَى طَلْعَتُـهُ واسْـتَعَارَ الْـبَدْرُ مِنْـهُ شَـرَفَا
جَـلَّ مَـنْ أَعْطَـاكَ حُـسْناً سَـاحِراً ولِـحَاظاً وَرَنَـتْنِي شَـغَفَا
لا تَلُومُـوا مَـنْ هَـوَى صُـورَةَ مَـنْ فَـاقَ بَـدْرَ الـتِّمِّ حُـسْناً وصَـفَا

ومنها:

زَمَـانٌ أَنَـارَتْ مُـشْرِقَاتٌ شُمُوسُـهُ بِوَصْـلِ رَشـاً قَـدْ أَخْجَـلَ الْبَـدْرَنُورُهُ
رَشـاً قَـدْ سَـطَتْ أَلْحَاظُـهُ بِـسُيُوفِهَا ومَــزَّقَ قَــلْبِي واسْــتَتَمَّ سُــرُورُهُ
وَجِيـدٍ كَجِيـدِ الـرِّيمِ يَحْكِـي صَـفَاؤُهُ وحُــسْنُهُ بِــلَّوْراً فَقَلْبِــي أَسِــيرُهُ

ومن تشبيهاته:

وَلَـمَّا بَـدَا الْـوَرْدُ الْجَنِـيُّ كَأَنَّـهُ خُـدُودُ عَـذَارَى قَـدْ حَمَتْهَـا الـسَّوَالِفُ
أَتَـى بَـاسِماً ثَغْـرَ الأَقَـاحِ مُقَاوِمـاً فَقَالَـتْ خُـدُودُ الْـوَرْدِ هَـلْ لَـكَ سَالِفُ
فَـلَمْ يَـرَ إِلا أَنْ تَـنَثَّرَ عِـقْدُهُ يُـقَبِّلُ سَـاقَ الْـوَرْدِ والْعَقْـلُ تَـالِفُ

(1) كذا في الأصل.

ومنها:

كَــأَنَّمَا الزَّهْــرُ إِذْ بَــدَتْ مَحَاسِــنُهُ ... لِــعَيْنِ نَــاظِرِهِ فِــي نَاضِــرِ الْقُــضُبِ
أَنَامِــلُ صَــاغَهَا الــرَّحْمَنُ مِــنْ دُرَرٍ ... تَــضُمُّ كَفّــاً عَلَــى كَــأْسٍ مِــنَ الــذَّهَبِ

ومنها:

كَــأَنَّ الْــقَرَنْفُلَ لَمَّــا بَــدَا ... بِأَوْصَــافِهِ الْيَاسَــمِينُ الْجَنِــي
لآلِــئُ ثَــغْرِ الَّــذِي رَاقَنِــي ... بِمِــسْوَكِهِ الأَشْــنَبِ الْحَــسَنِ
وَخِلْــتُ اخْــضِرَاراً يَــدُورُ بِــهِ ... عِــذَاراً عَلَــى وِجْنَــةِ الْحُــسْنِ

ومنها:

انْظُــرْ إِلَــى الْبَحْــرِ فِــي أَمْوَاجِــهِ عَجَــبُ ... تَــأْتِي إِلَــى الــشَّطِّ أَحْيَانــاً وتَنْحَــرِفُ
كَــأَنَّهُ مَــلِكٌ جَــاءَتْ عَــسَاكِرُهُ ... تُــقَبِّلُ الأَرْضَ طَوْعــاً ثُــمَّ تَنْــصَرِفُ

ومن ملحه:

وَلَــمَّا رَآنِــي الْــعَاذِلُونَ مُــتَيَّماً ... غَــرِيماً بِــمَنْ نَهْــوَى وقَلْبِــيَ ذَاهِــبُ
رَثَــوْا لِــي وقَــالُوا كُنْــتَ بِــالأَمْسِ عَــاقِلاً ... أَصَــابَتْكَ عَــيْنٌ قُلْــتُ عَــيْنٌ وحَاجِــبُ

ومنها:

أَتَــانِي أَتَــانِي بِحِمْــلِ أَتَــايْ ... شَــرِبْتُهُ صَــيْفِي وزِدْتُ شِــتَايْ
قَــوَالِبُ سُــكَّرِهِ عَظُمَــتْ ... إِذَا مَــا رَأَيْتُهَــا قُلْــتُ الآيْ

ومن مساجلاته جواب عن بيتين بعثهما إليه بعض الأدباء بمكناسة الزيتون في 21 قعدة عام 1242 نصهما:

إِذَا مَــا سَــمَا يَوْمــاً أَخُــوكَ لِخُطَّــةٍ ... ولا سِــيَّمَا إِنْ كَانَــتِ الْخُطَّــةُ الْقَــضَا
فَحَــسْبُكَ مِــنْهُ عُــشْرُ عُــشْرِ وِدَادِهِ ... ولا تَرْتَجِــي مِنْــهُ الْــوِدَادَ الَّــذِي مَــضَى

ونص الجواب:

وِدَادُكَ فِــي وَسْــطِ الْفُــؤَادِ كُمُونُــهُ ... ومَــا حَــالَ عَمَّــا كَــانَ قَبْــلُ ومَــا انْقَــضَى
وَمَــا غَــيَّرَتْهُ والْــمُهَيْمِنُ خُطَّــةٌ ... ولا ثَــمَّ مَــا يُبْدِيــهِ دَهْــرِيَ مُبْغِــضَا
وَلَــكِنَّنِي أَخْــشَى وأُهْمِــلُ حَــالَتِي ... وأَحْــسَبُ خِلِّــي عَــنْ وِدَادِي مُعْرِضَــا
فَــهَبْ لِــي عُــذْراً فِــي الْجَــوَابِ فَــإِنَّنِي ... مُــحِبٌّ مُــحِقٌّ لا تَــرَانِي مُعْرِضَــا

هذا ما استحضرته له من الأشعار، وهي كما ترى كلها عالية غالية الأسعار، تزري بنفثات الإسحار ونفحات الأسحار، ولئن أطلنا فقد أطبنا، ولا غرو إذا استطبنا مقام مولانا الطيب، فطاب لنا المقام وطبنا.

خَرَجْنَا عَلَى أَنَّ الْمُقَامَ ثَلاثَةٌ فَطَابَ لَنَا حَتَّى أَقَمْنَا بِهَا شَهْرَا

حرف الميم

* [160] المختار بن علي المسفيوي الرباطي الوفاة (المتوفى سنة 1330هـ)[1]

كاتب الصدارة وربيب الوزارة، كان والده أبو الحسن وزير الشكاية في عهد المولى حسن، وفي أيامه تدرج المترجم إلى مدارج المعالي وزاحم أرباب المناصب العوالي إلى أن ترقى في العهد العزيزي إلى منصب الكاتب الأول بين كتاب الصدارة مع الصدر السيد فضول غريط رئيس الوزارة.

ولم يزل قائم الجاه وافر الحرمة في أرغد معيشة وأطيب نعمة إلى أن تسلطن مولاي يوسف، وكانت بينهما من روابط الود والإخاء ما ازداد به شفوفاً ونفوذاً في الكلمة ولكن ما لبث أن أصابته عين الكمال فاختلسته المنية وهو في الرباط عام 1330هـ فأثر وقع مصابه على النفوس لما كان عليه رحمه الله من مكارم الأخلاق وطيب الأعراق، والقلم البارع والاطلاع الواسع، والوجه الوسيم والثغر البسيم، وخفض الجناح وكثرة السماح، والميل لجانب الضعفاء وأهل الخير والصلاح.

وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، حضر جنازته أعيان العدوتين ورجال الأمتين إلى أن دفنوه بضريح مولاي المكي، لا زالت عيون سحائب الرحمات حول ضريحه تبكي.

ومن شعره ما كتب به وهو بمسقط رأسه مراكش الحمراء يهنئ المولى عبد الحفيظ عند الظفر بأبي حماره حسبما جاء نشره في جريدة السعادة الغراء، فقال من قصيدة عصماء:

غَـنَّى بِنَـصْرِكَ طَـائِرُ الإِسْـعَادِ ... مُتَـكَفِّلاً بِـسَعَادَةِ الأَبَـادِ
وَحَبَـاكَ رَبُّـكَ مِـنْ جَمِيـلِ صَـنِيعِهِ ... نَـصْراً عَـزِيزاً دَائِـمَ الإِمْـدَادِ
سَـرَّاءُ فَـتْحٍ فِـي الْعَـوَالِمِ قَـدْ سَرَتْ ... سَـرَيَانَ سِـرِّ الـرُّوحِ فِـي الأَجْـسَادِ

إلى أن قال:

دَهَـمَتْهُمْ خَيْـلُ الْـوَغَى بِـصَوَارِمٍ ... مَـسْلُولَةٍ لَـهُمُ مِـنَ الأَغْمَـادِ
لَحِقَـتْ بِهِـمْ مِثْـلُ الْجَـرَادِ جُمُوعُهَـا ... تَـقْفُوا مَـسِيرَهُمْ بِـكُلِّ بِـلادِ
قَبَـضَتْ زَعِـيمَهُمْ فَـسِيقَ مُـصَفَّداً ... واسْـتَأْصَلَتْ مُنْـهُ جُـذُورَ فَـسَادِ
جُـوزِي جَـزَاءَ الْمَـارِقِينَ وهَكَـذَا ... تُـجْزَى أَهَـالِي الْبَغْـيِ والإِلْحَـادِ

(1) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 7/ 232، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 300، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 393.

فَـاهْنَأْ أَمِيـرَ الْمُـؤْمِنِينَ بِفَـضْلِ مَـنْ ... قَـدْ خَـصَّكُمْ بِالْفَـضْلِ وَالإِسْـعَادِ

ومن شعره أيضاً قوله في مقصد مشجراً[1] باسم محمد:

مَـنَعُوا الْـحَبِيبَ مِـنَ الزِّيَـارَةِ بَعْـدَمَا ... قَـدْ كَـانَ عِـنْدِي نَـازِلاً وَمُخَيِّمَـا

حَسَدُوا الْمُحِـبَّ وَرَامُـوا عَنْـهُ تَـصَبُّرِي ... مَـعَ كَـوْنِ صَـبْرِي عَـنْ غَزَالِـي مُحَرَّمَـا

مَـا زِلْـتُ أَرْقُـبُ عَـوْدَةً لِوِصَـالِهِ ... تُـشْفِي الْـجَوَى وَتُزِيـلُ هَمّـاً مُؤْلِمَـا

دَأْبـاً أَحِـنُّ إِلَـى لَـذِيذِ لِـقَائِهِ ... وَيَـزِيدُنِي الـتِّذْكَارُ حُـزْناً دَائِـمَا

ذكر من اسمه مصطفى

* [161] مصطفى ابن القاضي عبد الرحمن لبريبري (المتوفى سنة 1318هـ)[2]

عالم عامل، وحصن حصين، وجبل راسخ في الثبات على دعائم الدين، وعلم مفرد في القيام بنوافل الخيرات وأسباب اليقين.

رأيت عدة رسائل متبادلة في غرض التعزية بوفاته بين أخيه القاضي أبي عبد الله لبريبري والفقيه السيد عبد الله بن خضراء السلاوي والقاضي السيد أحمد بناني، وكلها طافحة بالثناء عليه ووصفه بالعلم والفضل والنسك والسماح والورع والزهد والولاية والصلاح. وبمثل ذلك ترجمه الشيخ سيدي فتح الله البناني في "طبقاته"، وذكر أن وفاته كانت ليلة الاثنين ثامن وعشري جمادى الأولى عام 1318هـ.

* [162] مصطفى بن أحمد ملين[3] (المتوفى سنة 1325هـ)[4]

من أدباء الرباط وشعرائها. انصرفت همته لتعاطي الشعر فنبغ في صناعتيه ملحونه وموزونه.

أدركته وقد أصيب في آخر عمره بنوع شلل، فكان لا يمشي إلا راكباً؛ وكم له في غرض الاستشفاء بأهل الله من نشيد يزري بالدر النضديد، كقوله في الشيخ أبي بكر البناني من قصيدة:

انْـزِلْ بِـنَا يَـا مَـنْ يَـسُوقُ إِتَـانِي ... فَـلَقَدْ حَـلَلْتُ مَوَاضِـعَ الـسُّلْوَانِ

---

(1) التشجير: غرض بلاغي استخدمه كثيراً المتأخرون.

(2) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 348.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 272، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 374.

(4) لم يذكر المصنف رحمه الله تاريخ وفاته، وهو عند ابن سودة ودنية من وفيات سنة 1325هـ.

هَـذَا مَـقَامٌ قَـدْ تَـرَفَّعَ شَـأْنُهُ هَـذَا مَـقَامُ الْجُـودِ والإِحْـسَانِ
هَـذَا مَـقَامٌ قَـدْ تَـسَامَى ذِكْـرُهُ هَـذَا مَـقَامُ الـسِّرِّ والْبُرْهَـانِ
هَـذَا مَقَـامُ الْعَـارِفِ الْقَـرْمِ الَّـذِي عَـظُمَتْ لَـدَيْهِ مَوَاهِـبُ الـرَّحْمَنِ
شَـيْخُ الْمَـشَايِخِ ذِي الْمَـآثِرِ والْعُلَـى كَـهْفُ الْـمَلاذِ ومَـوْرِدُ الظَّمْـآنِ
أَعْـنِي أَبَـا بَـكْرٍ فَـرِيدَ زَمَانِـهِ بَـدْرَ الْـمَعَالِمِ سَـيِّدِي الْبَنَّـانِي

ومن شعره أيضاً قوله من قصيدة في مدح الشيخ سيدي فتح الله بمناسبة ختمه للبخاري:

مَوَاهِـبُ فَـتْحِ اللهِ أَهْـدَتْ لَنَـا الْبُـشْرَى هَنِيئـاً لِمَـنْ قَـدْ جَـاءَ يَـسْمَعُ أَوْ يَـقْرَا
هَـلُمَّ إِلَـى ذَا الْـمَجْلِسِ الأَزْهَـرِ الَّـذِي تَلُـوحُ بِـهِ أَنْوَارُخَـاتِمَةٍ غُـرَّا
يُـعَطِّرُهَا نَـشْرُ الْـحَدِيثِ يَـضُوعُ مِـنْ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ الْمُحْرِزِ الْفَضْلَ والْفَخْرَا
إِمَـامُ الـرُّوَاةِ الْـمَاجِدِينَ عَـمِيدُهُمْ وعُمْـدَتُهُمْ كُـلاً وقُـدْوَتُهُمْ طُـرَّا
فَـيَا فَـوْزَةً يَـا سَـعْدَ مَـنْ كَـانَ حَاضِـراً بِذَا الْخَتْمِ فِي ذَا الْمَجْلِسِ الْمُرْتَقِي قَدْرَا

*[163] ميمون بن خبازة (المتوفى سنة 637هـ)[1]

هو ميمون بن علي بن عبد الخالق الخطابي، نسبة إلى قبيلة من صنهاجة من أهل مدينة فاس؛ فهو الفاسي ثم الرباطي،استوطن في آخر عمره الرباط إلى أن توفي به سنة 637هـ ودفن بسلا المحروسة.

قال في جذوة الاقتباس[2]: "ويعرف بابن خبازة، نسبة إلى خاله الشاعر المشهور بابن خبازة "[3] . كان رحمه الله سريع البديهة، ناظماً ناثراً، مع الإجادة والتفنن في أساليب الكلام معرفة وإتقاناً في هزله وجده على اختلاف اللغات.

---

(1) كذا ورد ذكره فيمن اسمه مصطفى مستدركاً في حاشية (ح1) ص 339، وحقه التأخير إلى آخر تراجم الميم. انظر ترجمته في: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لابن القاضي المكناسي: 1/ 348، وأزهار الرياض، للمقري: 2/ 379، نشر إحياء التراث الإسلامي ط1، بالرباط، 1978 م، والأعلام، للزركلي: 7/ 341.

(2) هو كتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، لأحمد بن محمد ابن أبي العافية، المعروف بابن القاضي المكناسي المتوفى سنة 1012هـ طبع في جزئين بدار المنصور للطباعة 1973م بالرباط وهي طبعة مذيلة بهوامش تحقيق.

(3) انظر: جذوة الاقتباس، لابن القاضي: 1/ 348 .

ومن شعره قوله مطلع قصيدة نبوية:

حَقِيقٌ عَلَيْنَا أَنْ نُجِيبَ الْمَعَالِيَا ... لِتُقْنِيَ فِي مَدْحِ الْحَبِيبِ الْمَعَانِيَا
مَجَالِسُ أَرْبَابِ الْبَيَانِ صَوَارِمٌ ... مَضَارِبُهَا تُنْسِي السُّيُوفَ الْمَوَاضِيَا
لِنُطْلِعَ مِنْ أَمْدَاحِ أَحْمَدَ أَنْجُماً ... تَلُوحُ فَتَجْلُو مِنْ سَنَاهُ الدَّيَاجِيَا
كَوَاكِبُ إِيمَانٍ تُنِيرُ فَيَهْتَدِي ... بِأَضْوَائِهَا مَنْ بَاتَ بِالْجِدِّ سَارِيَا

وهي طويلة تشتمل على نحو المائة والخمسين بيتاً يقول في آخرها:

وَآيَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْعَدِّ كَثْرَةً ... فَمَا تَبْلُغُ الأَقْوَالُ مِنْهَا تَنَاهِيَا
وَأَعْظَمُهُ الْوَحْيُ الَّذِي خَصَّهُ بِهِ ... فَبَلَّغَ عَنْهُ آمِراً فِيهِ نَاهِيَا
تَضَمَّنَ أَحْكَامَ الْوُجُودِ بِأَسْرِهَا ... وعَمَّ الْقَضَايَا مُثْبِتاً فِيهِ نَافِيَا
وَأَخْبَرَ عَمَّا كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنٌ ... يَرَى مَاضِياً أَوْ مَا يَرَى بَعْدُ آتِيَا
وَوَافَقَ إِخْبَارَ النَّبِيِّينَ كُلِّهِمْ ... وتَمَّ بِالْغَايَاتِ مِنْهَا الْمَبَادِيَا
وَمَا كَتَبَتْ يُمْنَاهُ قَطُّ صَحِيفَةً ... ولا رُئِيَ يَوْماً لِلصَّحَائِفِ تَالِيَا
عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ لا زَالَ رَائِحاً ... عَلَيْهِ مَدَى الأَيَّامِ مِنَّا وغَادِيَا

وقد ذكر له في الجذوة غير هذا من الشعر الغالي السعر وصرح بوفاته برباط الفتح.

ذكر من اسمه المكي

*[164] مولاي المكي بن عبد القادر[1]

هو الولي الكبير البركة الخطير الشريف مولاي المكي بن محمد بن عبد القادر ابن الشيخ الكبير الشهير مولاي التهامي الوزاني ﷺ.

كان رَحِمَهُ اللهُ من ذوي الأحوال ومن الأكابر الكمال، وكان يقال له معوم السفن.

وأخبرني بعض السادات الوزانيين من قرابته أنه كان أوائل القرن الثالث عشر، وأن المحل الذي به ضريحه الآن بالدورة كان هو دار سكناه، ولما توفي دفن به، وبَنَتْهُ والدته بنت الحاج العربي ابن عبد الله اللوشي الأندلسي. ولم أقف على تاريخ وفاته. اهـ. ملخصاً من "عنوان الإسعاد والنجح "[2].

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 147.

(2) كتاب "عنوان الإسعاد والنجح الكفيل بذكر تراجم سادة رباط الفتح" هو كتاب: مجالس الانبساط بشرح تراجم أعلام الرباط، لمحمد بن علي بن أحمد دنية الرباطي المتوفى سنة 1358هـ.

* [165] مولاي المكي بن محمد (المتوفى سنة 1150هـ)(1)

هو الشيخ الإمام العلامة الهمام العارف الرباني والولي الصمداني الشريف الحسني العلمي مولانا المكي ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله الشريف اليملحي.

قال السيد البركة الخير سيدي عبد الله بن الطيب الشريف الوزاني في كتابه الذي سماه بـ "الروض المنيف في التعريف بأولاد مولاي عبد الله الشريف"(2) أثناء كلامه على أولاد سيدنا محمد ابن مولانا عبد الله ما نصه: "وأما شقيق مولاي العربي ابن مولاي محمد؛ فهو الفقيه الفهامة، صاحب القلم الفصيح، واللسان الصريح، فريد دهره، وأعجوبة عصره، الذي تعطر المغرب بمسكه الزكي، وافتخرت مدينة الرباط على غيرها بشذا روضه المسكي، أبو عبد الله سيدي ومولاي الحاج محمد المكي ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله الشريف ﷺ، فضريحه بالمدينة المذكورة -يعني الرباط- قبة فَخِيْمَة ومزارة عظيمة.

كان قيد حياته رحمه الله ورضي عنه ذا همة كبيرة، وشمر عن ساق الجد في بداية أمره صواماً قواماً كثير الانقطاع عن الناس، وكانت الخوارق تظهر على يديه إلى أن انتشر صيته، وبعد ذكره وعظم قدره عند الملوك وغيرهم، وقصده الناس من جميع الآفاق نفع الله به. اهـ.

وكان في العلوم ذا باع طويل، وخصوصاً علم الفقه والحديث. ولما حج أقام بمصر عدة سنين يفيد ويستفيد، وأجازه جمع من علمائها منهم الشيخ سيدي منصور المنوفي(3) بصحيح الإمام البخاري وغيره.اهـ.

ولما ورد من المشرق استوطن الرباط، وكانت سكناه بداره الملاصقة لضريحه غرباً، وقد أدخلت في هذه الأيام الأخيرة في مسجده لما زيد فيه لأجل إقامة الجمعة.اهـ.

ويقال أنه كان إحدى مصاهرة مع أولاد الرايسي من بيوتات الرباط إذ ذاك إلا أنه لم يبن

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 95، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى: 1/ 217، وفيه أن اسمه أبو عبد الله محمد المكي بن محمد ابن عبد الله الوزاني.

(2) ذكره محمد الكانوني في، جواهر الكمال في تراجم الرجال في أثناء ترجمته لأبي العلاء السيد إدريس بن التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف الوزاني الحسني: ص 83، وذكره كحالة في معجم المؤلفين:6/ 56 في ترجمته لمؤلفه عبد الله بن الطيب بن احمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الله الشريف الوزاني، الحسني.

(3) منصور بن علي بن زين العابدين المنوفي البصير، الشافعي، المتوفى سنة 1135هـ، فقيه، محدث، ناظم مشارك في العلوم العقلية والنقلية ولد بمنوف، ونشأ بها، وتوفي وقد جاوز التسعين، انظر ترجمته: عجائب الآثار، للجبرتي: 1/ 74، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 13/ 16.

بالزوجة، فلذلك اشتهر أنه لم يتزوج، والله تعالى أعلم بالحقيقة.

وكانت وفاته رضي الله تعالى عنه وأرضاه في يوم الثلاثاء تاسع شهر رمضان المعظم سنة خمسين ومائة وألف، وذلك في الدولة الثانية للسلطان الأفخم مولاي عبد الله ابن السلطان الأعظم مولاي إسماعيل العلوي قدس الله أرواحهم. ودفن رضي الله تعالى عنه بمسجده المجاور لدار سكناه. اهـ. ملخصاً من كتاب " الروض الفائح المسكي من طيب ذكر سيدنا ومولانا المكي "[1] لشيخنا القاضي الفاضل أبي حامد البطاوري حسّان المادحين للسادات آل وازان سيما صاحب الترجمة، فكم له فيه من أمداح عالية غالية، منها قوله:

سَرَتْ نَسَمَاتُ الرَّوْضِ مِنْ دُونِ مَا شَكِّ ... فَـأَزْرَى شَـذَاهَا بِـالْكِبَاءِ وبِالْمِـسْكِ
فَـطَابَتْ نُـفُوسُ الْـعَاشِقِينَ بِـطِيبِهَا ... ونَـظَّمَتِ الأَرْوَاحَ بِـالأُنْسِ فِـي سِـلْكِ
وَأَطْـرَبَتِ الأَجْـسَامَ شَـوقاً إِلَـى اللُّقَـا ... عَـلَى رَغْـمِ حُـسَّادٍ تَظَـاهَرْنَ بِالإِفْـكِ
عَـوَاذِلُ لُـوَّامٌ لِئَـامٌ أَذِلَّـةٌ ... أَصَـاغِرُ رُقْـبَانٌ خَـوَادِعُ بِالنُّـسْكِ
إِلَـى اللهِ أَشْـكُو مَـكْرَهُمْ ومِحَـالَهُمْ ... وأَضْـرَعُ فِـي حِفْظِي إِلَى مَالِكِ الْمُلْكِ
وَأَلْـجَأُ فِـي نَـيْلِ الْـمَرَامِ لِـسَيِّدِي ... وعُـمْدَتِيَ الْـمَوْلَى الْـوَلِيِّ بِـلا شَـكِّ
عِـمَادِيَ رُكْـنِيَ عُـدَّتِي عِنْـدَ شِـدَّتِي ... وحِـصْنِيَ مَـوْلانَا وسَـيِّدِنَا الْمَكِّـي
فَـلِي مِـنْهُ بِـاسْمِي ذِمَّـةٍ أَحْتَمِـي بِهَـا ... وحَـاشَاهُ أَنْ يَرْضَـى بِـضَيْمِيَ أَوْ ضَـنْكِي
فَـكَيْفَ ومِـنْ بَـحْرِ الْـوَفَا نِجَـارُهُ ... فَـأَكْرِمْ بِـهِ مَلْجَـا ومَنْجَـى مِـنَ الْهُلْـكِ

إلى أن قال في ختامها:

دَخَـلْتُ حِـمَى مَـوْلايَ سَـيِّدِنَا الرِّضَـى ... وَلِـيُّ إِلَـهِ الْـعَالَمِينَ بِـلا شَـكِّ
هُـوَ الْـغَوْثُ عبـد الله جَـدُّكَ مَـنْ غَـدَا ... شَهِيرَ الْعُلا فِي الْعُرْبِ والْعُجْمِ والتُّرْكِ
كَـذَا الْمُرْتَـضَى الْمَـوْلَى أَبُـوكَ مُحَمَّـدٌ ... وصِنْوُكَ شَيْخُ الْوَقْتِ مِنْ غَيْرِ مَا دَرْكِ
هُـوَ الـسَّيِّدُ الْـمَوْلَى التُّهَـامِيُّ مَـنْ بِـهِ ... تُـنَادِي الْبَرَايَـا فِـي انْجِـلا الظُّلَـمِ الْحُلْـكِ
وَسَـيِّدُنَا الـصِّنْوُ الرِّضَـى الطَّيِّـبُ الَّـذِي ... تَـأَرَّجَتِ الأَرْجَـاءُ مِـنْ طِيبِـهِ الْمِـسْكِي
فَيَـا رَبِّ إِنِّـي مُـحْتَمٍ بِـحِمَاهُمُ ... جَـمِيعاً فَـأَقِنِي بِـجَاهِ الـنَّبِي الْمَكِّـي
مُحَـمَّدٌ الْـمُخْتَارُ أَفْـضَلُ مُـرْسَلٍ ... ومَنْ قَدْ رَقَى أَعْلَى الْعُلاءِ إِلَى الْحُبْكِ

(1) لم أقف عليه في ما بين يدي من فهارس خزانات ولا أظنه طبع.

عَـلَيْهِ صَـلاةُ اللهِ مَـا هَـبَّتِ الـصَّبَا وآلِـهِ مَـا غَـنَّى الْحَمَـامُ عَلَـى الأيْـكِ

ومن شعره فيه ما كتب بداخل دائرة قبته عند تجديد بنائها سنة 1329هـ وهو قوله مؤرخاً:

قُـبَّةُ الْـمَجْدِ والْمَكَـارِمِ رَاقَـتْ وسَـنَاهَا الْـوَهَّاجُ زَادَ كَـمَالا
ضَمَّـنَتْهَا عِنَـايَةٌ وفَـخَارٌ ووَقَـارٌ وهَيْـبَةٌ تَـتَوَالَى
وَحَـوَتْ حُـزمَةً وعِـزّاً ونُـوراً وجَـلالاً وبَهْـجَةً وجَمَـالا
أَشْـرفَتْ أشْـرَقَتْ وتَاهَـتْ وبَاهَـتْ وعَـلَتْ وغَلَـتْ وعَـزَّتْ مِثَـالا
وَازْدَهَـتْ فِـي سُمُوِّهَا حِـينَ لاحَـتْ كَـسَمَاءٍ نُجُـومُهَا تَـتَلالا
حَـلَّ فِـيهَا بَـدْرُ التَّمَـامِ بَـلِ الْبَـدْ رُ اكْتَـسَى مِـنْ سَـنَا سَـمَاهُ اكْتِمَـالا
بِـضْعَةُ الْمُـصْطَفَى وصَـفْوَةُ قَـوْمٍ طَـاوَلُوا الـشُّهْبَ رِفْعَـةٍ ومَجَـالا
آلُ يَـمْلَحَ زِيـنَةُ الْـغَرْبِ مِنَّـا مِـنَ الإلَـهِ سُـبْحَانَهُ وتَعَـالَى
زَيَّنَـتْ بِـالْمَقَامِ مَـا زَيَّـنَتْهُ عِـزُّهُ ثَـابِتٌ إلَـى الْعَـرْشِ طَـالا
ظَـلَّلَتْ كَـغَمَامَةٍ حَـوْلَ طَـوْدٍ شَـامِخٍ مَـجْدُهُ بِـهِ الثَّغْـرُ صَـالا
أَوْهِـيَ التَّـاجُ صِـيغَ أَفْخَـرَ صَـوْغٍ لِهُـمَامٍ هدِيَّـةٌ واحْـتِفَالا
شَـرَفُ الْبَيْـتِ زَادَهُ شَـرَفُ الْعِلْـمِ وفَيْـضُ الْـوِلايَةِ اسْـتِكْمَالا
حَمَـى قُطْـبِ الْفِخَـارِ سَـيِّدِنَا الْمَكِّـي كَـهْفُ الَّـذِي يَـلُوذُ ثِـمَالا
حَـضْرَةُ ابْـنِ مُحَمَّـدٍ نَجْـلُ مَـوْلا نَـا عبـد الله غَـوْثُنَا الْمِفْـضَالا
جَـنَّةُ جُـنَّةٍ وفَـخْرٌ وذُخْـرٌ رَوْضَـةٌ أيْـنَعَتْ وطَابَـتْ ظِـلالا
نَـاطِقُ الْـحَالِ كَـانَ يَهْتِـفُ قُـدْماً أَجْـزِنَ صُـنْعَهَا وشَـدُّهُ هِـلالا[1]

* [166] [أبو عبد الله المكي بناني (المتوفى سنة 1255هـ)][2].....

في ساقة جيشه أنه وجد آباءه ينتسبون إلى سيدنا جعفر بن أبي طالب، ولما لم يقف على ما

(1) وبحاشية الأصل أشار المؤلف بكلمات الشطر الأخير إلى مجموع التاريخ: (أجزن) 61، (صنعها) 186 و(شده) 1015 (هلالا) 67، ومجموعها بحسب الجمل يشير إلى سنة 1329هـ.

(2) ترجمة أبي عبد الله المكي بناني سقط منها من المخطوطة اسم المترجم ومطلعها إلى قوله: (في ساقة جيشه..) وهو ما اضطرنا إلى إثبات الاسم وما وجد من ترجمته والفصل بين ترجمته وترجمة المكي بن محمد السابقة.

يعتمده في ذلك، وإنما وقف على قول ابن عبد السلام التونسي وتلميذه ابن عرفة أنه يصعب إثبات نسب له ستمائة سنة ارتاب في انتسابه وتركه، ثم لما وقف على حديث التبرؤ من نسبٍ وإن دق كُفْر[1] رجع إلى تلك النسبة رجاء بركتها وخوفاً من الوقوع في ذلك الخطر، يعني كفر نعمة النسب وجحدها، ومن شكر النعم فقد قيدها بعقالها، ومن كفرها فقد سعى في زوالها.

على أنه يكفينا الاعتماد على قول صاحب الترجمة بالانتماء إلى هذه النسبة المكرمة، فقد كان في حفظه نعم الحجة. وقديماً قيل لمن لم يحفظ أن من حفظ حجة.

وكان رَحِمَهُ اللهُ من الورع والثقة والثبات بمكان الراسيات، وفي القيام بمراسم الدين وأسباب اليقين من عباد الله الصالحين الجادين المجدين في السلوك على منهاج السلف الصالح والأئمة المهتدين.

قرأ العلم بفاس على شيوخ القرويين في وقته، وكان في الرباط من الملازمين لقاضيه الشهير السيد الطيب بسير وهو عمدته وولي نعمته، حضر عليه في جل الفنون إلى أن تحلى جيده من عقود جوهره المكنون، وكان من عدوله المقربين وشهوده المبرزين، وربما ناب عنه في القضاء وتعاطى الإفتاء. وأخبرني بعض أنجاله أنه كان خوطب بالقضاء استقلالاً فامتنع تورعاً. ولم يزل قائماً بالخطة من عهد شيخه القاضي بسير إلى أن تولى القاضي أبو زيد البريبري فأخره عن الشهادة هو ورفيقه الفقيه السيد الطاهر بريطل لسبب لا أدري عينه ولكنه ما لبث أن ردهما رعياً لمكانتهما في العلم والوجاهة، ولما توفرت فيهما من شروط الكفاءة والاقتدار والنزاهة؛ فلم يزل المترجم من أفراد العدول الموثقين إلى أن توفي في حدود الثمانين. وكان مع ذلك خطيباً بجامع ثمارة ومن أئمة الجامع السليماني، وخطبائه أيضاً. وبه كان يدرس العلم، فكانت له هناك دروس في مثلها، يقال لا عطر بعد عروس.

كما بلغنا عن جماعة من تلامذته كالقاضي أبي عبد الله بن إبراهيم والقاضي أبي العباس ملين والفقيه السيد أحمد بن الغازي والعلامة الصوفي السيد الحاج عمر عاشور، ولا سيما هذا الأخير فقد كان يثني الثناء الطيب على علمه وفضله، بل أخبرني نجل المترجم المشار إليه

(1) إشارة للحديث المرفوع عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «كفر بامرئ ادعاء نسب لا يعرفه أو جحده وإن دق» وقد أخرجه ابن ماجه 2/ 916، برقم (2744)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة3/ 150: هذا إسناد صحيح. والطبراني في الأوسط8/ 47، برقم (7919).

آنفاً أن السيد الحاج عمر عاشور ممن ترجم لوالده في بعض مقيداته، وأتى في بعض الرسوم على ذكر بعض صفاته، ولكنه يا للأسف لم يتوفق إذ ذاك للاحتفاظ على ما هناك. اهـ.

وأقول: وتلك عادة الكثيرين من البنين لا يشدون يد الضنين على مآثر آبائهم أو جدودهم الأولين، بل يتركونها لأيدي الدهر تلعب بها كما تشاء إلى أن تذهب أدراج الرياح بين الهباء والهواء، ومن علم أن الكل منه تعالى سلم الأمر للقضاء[1].

... ابن إبراهيم فرج والفقيه السيد الحاج محمد أقديره.

وبسلا عن الفقيه المير، والفقيه السيد عبد السلام حركات، وبوزان عن عالمه الوحيد الشيخ الرهوني.

وبفاس عن بركته الشيخ التاودي وأبي عبد الله بنيس وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الدكالي وغيرهم.

ثم تصدر للشهادة والإفتاء، وتصدى للتدريس والإقراء، وقيد تقاييد منها نوازله المتضمنة لكثير من فتاويه وفتاوى مشايخه ومعاصريه، وانتفع به وبعلومه جل المتعاطين في وقته.

وممن تخرج عنه صهره الفقيه السيد البدوي السرايري والفقيه السيد الهاشمي الزياني أحد مشايخ شيخنا القاضي أبي حامد.

وتولى رَحِمَهُ اللهُ الخطابة بالمسجد السليماني وكان خطيباً مصقعاً ومدرساً ممتعاً، ومحققاً محرراً وناظماً محبراً، تمسك في آخر عمره بالطريقة الدرقوية، أخذها عن الشريف المغربي البركة الجليل مولاي أحمد النجار أحد خواص المأذونين من تلامذة الشيخ مولاي العربي.

ويحكى عن المترجم لما حضرته الوفاة أوصى بأن يدفن بروضة العلو عند رجل شيخه مولاي أحمد المذكور، فكان الأمر كذلك.

وكانت وفاته عام خمسة وخمسين ومائتين وألف.

ومما وقفت عليه من شعره قوله:

لا تَـــعْبَأَنْ بِـــشَقَاشِقِ الْكَـــلامِ ولا ... تُـــصِخْ لَـــهَا أُذُنـــاً فَـــذَاكَ بُهْتَـــانُ

إِذْ جَـاءَ عَـــنْ عُمَـــرَ الْفَـــارُوقِ أَنَّ لَهَـــا ... شِـــبْهاً بِمَـــا قَـــدْ غَـــدَا يُلْقِيــهِ شَـــيْطَانُ

وقال على طريق اللغز:

بِـــرَبِّكَ أَخْبِرْنِـــي مَـــا وِرَاثَـــةُ جِـــدَّةٍ ... نَـــصِيفاً وثُلْـــثُ الْمَـــالِ لِـــلأُمِّ وَاجِـــبُ

(1) بياض بمقدار نصف صفحة بالمخطوط، وهو سقط مخل بالسياق، يحتاجه ما بعده.

فَمَا حَجَبَتْ أُمٌّ عَنِ الإِرْثِ أُمَّهَا ... ولا مَانِعَ تُنْفَى لَدَيْهِ الْمَطَالِبُ

وقال ناظماً لهذه المسائل التي تعرف من عرض الأبيات:

إنْ يَخْتَلِفْ مُدَّعٍ ومَنْ عَلَيْهِ ادُّعِي ... فَقَوْلُ مَنْ يُدَّعَى عَلَيْهِ مَقْبُولُ
إلا إِذَا الْمُدَّعِي أَتَى بِبَيِّنَةٍ ... حَدِيثُ هَادِي الْوَرَى بِذَاكَ مَنْقُولُ
إلا أَمِيناً وغَاصِباً ومُلْتَعِناً ... كَذَاكَ تَجْرِيحُ حَاكِمٍ وتَعْدِيلُ
وَفِي الْقَسَامَةِ يَخلِفُ الْوُلاةُ فَذِي ... خَمسٌ فَفِي نَظْمِهَا حِفْظٌ وتَسْهِيلُ

ومن شعره أيضاً هذه الأبيات الأدبية على ما بها من التسامح الشعري، قال:

بِاللهِ أَبْدِ جَوَابَ مَنْ يُنَاجِيكَا ... وطَوِّقَنْهُ جُمَاناً مِنْ لآلِيكَا
فَهَلْ رَأَيْتَ مَدَى الْحَيَاةِ فِي طَرَبٍ ... شُرباً كَشُرْبِ أَتَايٍ عَزَّ نَادِيكَا
الرَّاحُ يُسْأَمُ والأَتَايُ إِلْفُ فَطِنْ ... تَرَاهُ إِلا صَدِيقاً لا يُعَادِيكَا
عَبِيرُ عَرْفٍ مُخَتَّمٌ بِمِسْكٍ لَهُ ... لِسَانُ الْحَالِ إِلَى الإِجْلالِ دَاعِيكَا
كَفَى الأَتَايُ عُلاً عَلَى الطِّلا أَنَّه ... مَا فِيهِ غَوْلٌ وإِنَّ الرَّاحَ يُنْسِيكَا
تَخَالُ فِي الْكَأْسِ عَسْجَداً فَقَاقِعُهُ ... طَفَتْ فَخُذْهُ فَإِنَّ الْوَصْفَ يُنْبِيكَا
وَأَجْرِ مِنْ صَفْوِهِ نَهْراً عَلَيَّ فَمَا ... بِالْكَأْسِ مِنْ مُكْتَفَى فَاللهُ يَكْفِيكَا
وَاخْتَرْ لَدَى شُرْبِهِ حِزْباً ذَوِي كَرَمٍ ... تَنَالُ مِنْ عِلْمِهِمْ دِيناً يُنَجِّيكَا
وَاسْقِنِي مِنْ سَمَائِهِ غُيُوثاً فَهَا ... أَنَا بِبَابِكَ لِلأَتَايِ آتِيكَا

ووقفت من نثره على هذه الإجازة لبعض تلامذته، وأظنه الفقيه السيد البدوي السرايري، وهذا نصها:

الحمد لله حمداً لمن رفع الذين أوتوا العلم درجات، وخصّ من شاء بإيتاء الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي كثيراً من الخيرات، وصلاة وسلاماً تامين باقيين على أعلم من أسند عنه العلماء والرواة، وأكمل من اهتدى بهديه الهداة روح جسد الكونين وعين حياة الدارين، المتحقق بأعلى رتب العبودية والمتخلق بأخلاق المقامات الاصطفائية، وأشرق الأنبياء شمساً وأقواهم بالله أنساً، سيدنا ومولانا محمد، أشرف الخلق من كل غابر وآت، وعلى آله الأطهار السادات وصحابته الأخيار الثقات، وبعد: فإن أعلى ما وجه إليه الإنسان وجه القصد والابتغاء، وأولى ما صرف إليه عنان الاهتمام والاعتناء هو التحلي بحقائق العلوم، والتجمل

بتحصيل دقائق الفهوم، ومعلوم ما وردت به الآثار من فضل العلم ومتعاطيه، وشرف أهله، ومكانة ذويه.

ويكفي ما ثبت في الحديث من أن العلماء ورثة الأنبياء[1].

قال العلامة القسطلاني: وإذا كان لا رتبة فوق رتبة النبوة؛ فلا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة؛ ولما من المولى الكريم من فضله العميم على كاتبه المضطر إلى ما لديه من العفو والغفران المفتقر إلى ما عنده من الجود والإحسان، المذنب الجاني محمد المكي بن عبد الله البناني، باقتطاف شيء من أصول العلم وأفانينه، واستطلاع شموس وبدور من فروعه وقوانينه، متلقياً لها من أفواه الفحول، ومقتبساً لها من صدورٍ عُمِّرَت بالمعقول والمنقول، ساقتني الأقدار للتصدي للإقراء والإفادة، وإن كنت لم أنتقل على مبادئ الاستفادة. ثم كان ممن حط لديّ رحله، واقتبس مما عندي جملة، وباحثني في فنون، بما دل على أنه أوتي فهماً ثاقباً ونظراً سديداً صائباً. وفقه الله وألهمه ما فيه رضاه.

وقد طلب مني الإجازة فيما سمعه مني أو صحت روايته عني، على ما هو معروف بين الشيوخ وتلامذتهم، وقانون مقرر لطمأنينة أفئدتهم. فأجبت طلبته، وأنلته رغبته؛ إسعافاً لمتعطش مستجِيز، وإن لم أكن أهلاً أن أُجَاز فضلاً عن أن أُجِيز.

وقلت: قد أجزته فيما ذكر، وغيره من كل ما رويت أو دريت، إجازة تامة مطلقة عامة، بشرط التثبت والصدق، والإنصاف للحق، وأن يقول فيما لا يدريه لا أدري، فإنه حلية الصادق المتحري.

وَمَــنْ كَــانَ هَــوى أَنْ يُــرَى مُتَــصَدِّراً ... ويَــكْرَهُ لا أَدْرِي أُصِــيبَتْ مَقَاتِلُــهُ

وقد سئل إمامنا مالك عن ثمان وأربعين مسألة فقال في ثلثيها: لا أدري.

وقال ابن وهب: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك: (لا أدري) لفعلت[2].

وأوصيه بتقوى الله في سره وعلانيته ونجواه، فإن مفتاح العلوم العمل بما حصل منها،

---

(1) بعض حديث رواه الترمذي في سننه في كتاب العلم، باب فضل الفقه على العبادة: 5/ 48 برقم (2683) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر. وقال العلامة الألباني رحمه الله: حديث صحيح.

(2) ذكره أبو نعيم، في الحلية: 6/ 323 وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: 2/ 117.

فكان العمل مسبباً وسبباً، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

❊[167] المكي بن الهاشمي بن عمرو (1301هـ)[1]

العلامة الإمام البركة الناسك الورع الزاهد، أحد أبناء أخي الأديب ابن عمرو، المجازين من قبله بسائر مروياته ومسموعاته، حسبما تقدم ذكر ذلك في نص الإجازة.

أخذ عن الفقيه السيد المكي البناني والقاضي السيد الطيب بسير وغيرهما.

وأخذ عنه تلاميذ أجلّهم شيخنا القاضي أبو حامد، أخبرني أنه قرأ عليه بعض المتون في عدة فنون، وأنه كان رجلاً إخبارياً فقيهاً محدثاً صوفياً، وحسبك أنه بركة آل ابن عمرو، البيت الشهير بالعلم والفضل خلفاً عن سلف.

وقفت على ذكره في كتاب "المجد الطارف والتالد" للعلامة الأديب السيد الأمين الصحراوي، وهو كتاب تضمن خبر رحلة الأديب المذكور إلى فاس وغيرها من بلاد المغرب. ولما حل بالرباط أخبر بملاقاته المترجم وحلاه بأخينا في الله تعالى الرجل الصالح الزاهد الورع أخينا في الطريق المختارية القادرية، ونقل عنه من فوائده التاريخية ما يحكى من أن العلو الروضة الشهيرة بالرباط كان نُقل إليها ماتتا تابوت ـ بالتثنية ـ من أعلام المسلمين بالأندلس حين وقع فيها ما وقع من الاستيلاء والاحتلال، وتأسف جداً عن عدم وجود تاريخ يعرِّف بمثل هؤلاء، وبعلماء الرباط وأوليائه، ورجال شالة، وقال: هذه عادة علماء مغربنا، يميتون مآثر علمائهم، بخلاف أهل المشرق وعلماء الأندلس، ولو اعتنى علماء مغربنا هذا بمآثر من دخل فاساً ومراكش من علماء الأندلس وغيرها لكان من العلم والفائدة أمر جليل،... إلى آخر كلامه.

ونقل عن المترجم أيضاً أن جماعة من أعيان الرباط وصلوا مكة المشرفة برسم الحج، فسمعوا برجل في الحرم من سدنة البيت الحرام الشهير، اسمه عبد الله أوسي وهو من أعلام المسلمين ومن أهل الخير والصلاح، فقصدوا زيارته، فقال لهم حين وصلوه منوهاً بروضة العلو وأنها مزارة جليلة: نحن نشتهي زيارة جبل الزعفران. فقالوا: لا نعرفه فقال: هو الذي

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية ص:209، ونسبه فقال: السيد المكي ابن السيد الهاشمي ابن العلامة السيد التهامي ابن عمرو...إلخ، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 286.

تسمونه بالعلو. إلى غير هذا مما نقله عنه توفي رحمه الله يوم الأحد ثاني عشر صفر الخير عام واحد وثلاثمائة وألف.

ذكر من اسمه المعطي

*[168] المعطي مرينو الموقت الشهير (المتوفى سنة 1223هـ)[1]

موقت الإمامين سيدي محمد وابنه أبي الربيع، انتهت إليه رياسة التوقيت في وقته، وكان من أفاضل العدول وأماثل العلماء في وسمه وسمته، وكان مؤلفاً محرراً، راصداً مجدولاً مبتكراً، كتب في التوقيت كتاباً سماه " إرشاد الحائر"[2]، وآخر في تعديل الكواكب السبعة سماه " كنز الأسرار"، وآخر في أبعاد النيرات ورصدها ثم، مطلباً في المجيب، وتقاييد في جداول الأطوال والأوفاق، ومن الاسم إلى ابتكارات في عمل المزاول الرخامية وغيرها، ومن أجلّ تلامذته في علم الأوفاق وسر الحرف أبو العباس سيدي أحمد الرفاعي، كما ينقل عنه في شرح نظمه الموضوع في علم رسم الخط، وممن أجرى ذكره من المؤرخين أبو عبد الله الضعيف الرباطي، وأخبر أن وفاته كانت فجأة، فقال في حوادث عام 1223: توفي الفقيه المنجم الحيسوبي السيد المعطي بن الطيب مرينو يوم الجمعة 27 شوال من العام المذكور، وفي الغد دفن مات فجأة . أهـ[3].

وقفت من آثاره على هذه الفائدة:

قال: (فائدة) متى أردت وضع خط الزوال على الحيطان المنحرفة فاعلم أولاً انحراف الحائط عن دائرة نصف النهار، واستخرج ظله المبسوط واحفظه ثم ارسم خط الأفق على سطح ذلك الحائط، وأقم عليه خطاً على زوايا قائمة، فهو خط الزوال، ثم ابعد عن تقاطع الخطين من لحمة الانحراف بالظل المحفوظ على خط الأفق، فهو مركز الشخص وطوله، قدمه فأقمه في المركز قائم له على ذلك السطح على زوايا قائمة، فمتى وقع طرف ظل هذا الشخص على خط الزوال المرسوم على سطح ذلك الحائط المنحرف فهو وقت انتصاف النهار في بلدك، فاعلمه.

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 137، وإتحاف المطالع، لابن سودة 1/ 103.

(2) هو كتاب: "إرشاد الحائر إلى معرفة أوقات الصلاة بطريق الجيب والظل والسهم وفضل الدائر"، لمحمد المعطي مورينو، الأندلسي، توجد منه نسختان مخطوطتان في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1752/ 5د، 1752/ 9د).

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 642.

وكتب عبد الله سبحانه: محمد المعطي بن أحمد الطيب بن محمد بن محمد بن أحمد مرين الأندلسي، بثغر العرائش حماها الله بمنه، في يوم الأحد مفتتح رجب الفرد عام 1210هـ.

ومما وجد مقيداً منسوباً للمترجم هذه الأبيات خاطب بها تلميذه الرفاعي في استخراج المجهول.

وَهَبْتُ لَهُ ثُلْثاً مِنَ الْعُمْرِ كَامِلاً ورُبْعاً وسُدْساً ثُمَّ قَامَ فَأَعْرَضَا
فَقَالَ قَلِيلٌ قُلْتُ عِنْدِي زِيَادَةٌ فَزِدْتُ عَلَيْهِ نِصْفَ سُدْسِ الَّذِي مَضَى
فَخَلَّفَ لِي عِشْرِينَ عَاماً أَعِيشُهَا فَكَمْ كَانَ أَصْلُ الْعُمْرِ إِنْ كُنْتَ فَارِضاً

ثم وقفت عليها في ترجمة القاضي السيد حسن الشرفي السفاقصي[1] صحيفة 182 من كتاب " نزهة دائرة الأنظار في علم التاريخ والأخبار"[2]، ونسبها لبعض الأدباء من غير تعيين، ثم قال: هذا العمر مائة سنة وست سنين وثمانية أشهر، فلذا أجابه الشيخ القاضي المذكور من البحر والقافية والعروض، فقال:

وَهَبْتُ لَهُ سِتِّينَ عَاماً وثُلْثَهَا وسِتَّةَ أَعْوَامٍ وثُلْثَيْنِ فَارْتَضَى
وَلَوْ كُنْتُ ذَا حُبٍّ سَلِيمٍ وصَادِقٍ لَكُنْتُ إِلَيْهِ فِي الْجَمِيعِ مُفَوِّضاً

***[169] المعطي ابن القاضي المهدي مرينو[3]**

الفقيه العدل الموثق الضابط الشهير الذكر في كثير من الرسوم، يوجد فيها اسمه محلى بتحلية أهل العلم والفضل، ولعله المذكور في الاستقصا[4] من جملة المستخدمين والأمناء مع السلطان المولى سليمان، فانظره.

***[170] المعطي بن أحمد الغربي.**

وقفت على تحليته بالفقيه العلامة في تركة أولاد الغربي بين أولاد السيد أحمد، الحافظ الشهير، ولا أعرف في ترجمته سوى هذا القدر.

---

(1) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن حسن الشرفي، الصفاقسي، علامة فاضل إمام من بيت علم ومجد، توفي سنة 1195هـ. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 350.

(2) هو كتاب: "نزهة دائرة الأنظار في علم التاريخ والأخبار"، لأبي الثناء، محمود بن سعيد مقديش، الصفاقسي، المتوفى سنة 1228هـ طبع في مجلد، معظمه في صفاقس وعلمائها. انظر: الأعلام، للزركلي: 7/ 172.

(3) لم أقف على ذكره في ما بين يدي من مصادر.

(4) انظر: الاستقصا، للسلاوي، ص: 3/ 132.

* [171] المعطي العزوزي مفتي العدوتين (المتوفى سنة 1275هـ تقريباً)[1]

ابن الفقيه السيد محمد بن قاسم الشريف العزوزي، كذا في فهرسة الشريف الأصيل البركة السيد العربي التهامي الرباطي، عده من جملة مشايخه الذين أخذ عنهم بالرباط، وذكر أنه مفتي العدوتين بأمر السلطان المولى عبد الرحمن، ثم وصفه بالشرف وحسن السيرة والسمت، وكثرة الإنفاق والكرم والمشاركة في العلوم، والباع في التدريس، وامتلاء مجلسه بالتلامذة وانتفاع الكل بتقريراته لسلامة عبارته، إلى غير ذلك من صفاته، وذكر صديقنا أبو عبد الله الأوراوي في مقالته المنشورة في السعادة أن المترجم بعد ما أسند له المخزن خطة الإفتاء بالعدوتين استدعاه للخدمة بحضرته، ثم عينه قائداً على عدد من قبائل السلاوية سنة 1254، ثم عينه قاضياً على تارودنت[2] وأحوازها سنة 1260هـ.

قال: وكانت له مصاهرة مع السلطان مولاي سليمان والسلطان مولانا عبد الرحمن. اهـ.

وكانت وفاته بالطاعون في حدود 1275 تقريباً.

* [172] المعطي العزوزي الكاتب[3]

هو الفقيه الشهير المعطي ابن الفقيه السيد إبراهيم العزوزي المتقدم، من أعيان العدول ووجهاءهم، كذا وجدت تحليته بخط شيخنا أبي حامد، وزاد صديقنا كأنه كان عالماً مطلعاً متضلعاً متولياً خطة العدالة والإفتاء بالرباط، ثم استدعاه المخزن للخدمة بحضرته والانخراط في سلك كتبته، وكان ملحوظاً محظوظاً لدى السلطان سيدي محمد، لما كان له من المصاهرة مع جلالته، وكان كثيراً ما يسند إليه قضاء أمورٍ سياسية ومهمات مخزنية، ودام على هذه الحال إلى أن جاء السلطان مولاي الحسن، فأقره على خطته، وبقي معه مدة إلى أن توفي بمراكش في بعض حركاته معه، فاحتفل المخزن بجنازته وأمر بدفنه في ضريح أبي العباس[4].

* [173] المعطي بن عبد الله بن العربي الغربي (المتوفى سنة 1311هـ)[5]

مفتي الرباط العلامة المدرس الفقيه النوازلي العدل الموثق، تفقه عن شيوخ الرباط،

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 167، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 216.

(2) إحدى دوائر عمالة أكادير تحتوي على عدة جماعات منها: أركانة وإيداوزال وبيكودين وإيكلي وارزان إلخ. انظر معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 125.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية: ص 196.

(4) أبو العباس السبتي.. كذا في مجالس الانبساط ص: 196.

(5) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 324 .

وتصدى للشهادة والإفتاء، كما تصدى للتدريس والإقراء، وفي أيام ولاية القاضي أبي عبد الله البريبري توجه للدار البيضاء برسم النيابة عنه في القضاء، فمكث هناك مدة قائماً بوظيفة الأحكام القضائية وغيرها من الرياسات الدينية، ولما آذنت الشبيبة منه بالتولي أزمع على الرحيل بقصد أداء فريضة الحج، فحج وزار الحرمين الشريفين وعند قفوله فاجأه الأجل المحتوم، فتوفي بجدة في صفر الخير عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، ويحكى أنه كان آخر كلامه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، وبمجرد نطقه بالهاء من اسم الجلالة، فارقته الروح وختمت أنفاسه عليه رحمة الله.

ذكر من اسمه المفضل

* [174] المفضل بن الحفيان الشرقي(1)

آل سيدي محمد الشرقي الشهير، وقفت على تحليته بخط الأديب ابن عمرو بمحبنا الفقيه العلامة.

وذكر الضعيف في حوادث عام 1227هـ(2) من تاريخه أن السلطان أبا الربيع نفذ له خطبة الجامع الأعظم مع الإمامة بالليل والنهار بدل الإمامين السيد محمد البوعزاوي، والسيد محمد حكم. أهـ.

هذا ما عندي في ترجمته مع ما ذكره الضعيف في حوادث عام 1229(3) من قضية مصاهرته للسلطان فلتقف عليها هناك.

ذكر من اسمه المهدي

* [175] القاضي المهدي مرينو (المتوفى سنة 1188هـ)(4)

هو القاضي أبو عيسى السيد المهدي مرينو الأندلسي أصلاً الرباطي داراً، كان من العلماء العاملين والفضلاء الكاملين، رحل إلى أبي الجعد، وبه قرأ العلم، ومن أجلِّ من أخذ عنهم

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 148.

(2) انظر ذكر المترجم في: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 667 في حوادث عام 1226هـ و2/ 684 و687 في حوادث عام 1227هـ.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 705.

(4) انظر ترجمته في: تعطير البساط بتراجم قضاة الرباط: ص 288، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 37، وتاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 262.

هناك الولي الصالح السيد المعطي بن صالح، وهو المشير إليه بالرجوع لبلده عام 1156، فصادف بها الثورة الشهيرة في التاريخ وحصار مولاي المستضيء للرباط، فألقي القبض عليه، وامتحن بقيد من حديد إلى أن تحققت براءته بكونه كان غائباً عن البلد، وسلّمه الله تعالى ببركة شيخه المذكور[1] بعد ما كان السلطان المذكور يريد قتله بإغراء عامل سلا عبد الحق فنيش سامحه الله، ولما استخبره السلطان عن وجهته؟ أجاب بأنه كان منقطعاً بزاوية أبي الجعد[2] في طلب العلم الشريف، فقال له: اقرأ باب فرض الحج إلى آخره، فقرأ وأحسن، وكان سبب إطلاق سراحه وإشراق مصباحه، وتوفي عام ثمانية وثمانين[3].

* [176] الأستاذ المهدي متجنوش (المتوفى سنة 1344هـ)[4]

أستاذ الرباط وشيخه في القراءات وتوجيهها، والفرائض والحساب، والتعديل، والتوقيت، والتوثيق، والتصوف والأخلاق والآداب، وكم له في هذه الفنون من أراجيز وتعاليق وشروح ومتون كلها عيون، وفتون، أخذ القراءات وأحكامها عن أخيه الأستاذ السيد محمد متجنوش، والأستاذ مولاي علي الشرقوي الحسنوي، وتفقه على شيخ الرباط أبي إسحاق التادلي، وتصوف على شيخ سلا السيد محمد بن عبود، وشارك في باقي العلوم، عن القاضي أبي عبد الله بن إبراهيم، والفقيه السيد عبد الرحمن لبريس، والفقيه السيد الهاشمي الضرير، والفقيه السيد المكي بن عمرو، وغيرهم.

---

(1) هو الشيخ المعطي بن صالح كما صرح بذلك الضعيف في تاريخه: 1/ 262.

(2) زاوية من أشهر زوايا المغرب حظيت من العلماء والملوك بالإكبار والإعظام، وضمت أجداث الأكابر من رجالات العلم والتقوى وقد نقم السلطان محمد بن عبد الله عام 1200هـ على كبيرها الشيخ محمد العربي بن المعطي بن الصالح الشرقي فهدمها وطرد الغرباء الملتفين على آل الشيخ بها، ونقل المرابط أبا عبد الله وعشيرته إلى مراكش للسكنى بها، ثم أذن لهم المولى هشام لما بويع بالخلافة فعادوا إلى زاوية أبي الجعد، وكان الوشاة يمشون بالنميمة والدسيسة مما أدى بالسلطان المولى سليمان إلى نقل الشيخ الشرقي من جديد إلى فاس. انظر: معلمة المدن والقبائل، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 9.

(3) قال الضعيف في تاريخه 1/ 262: "ولما قدم للرباط وجده محصوراً فأتوا به لمولانا المستضيء فرمى عليه كبلاً حامياً من أثر النار حديداً فأثر في رجله اليمنى، ولا زال أثره برجله إلى أن مات ﷺ سنة ثمان وثمانين ومائة وألف في اليوم العاشر من رمضان، وبعد ذلك أراد قتله فأتوا به إليه فاعتذر له بأنه كان مسافراً للقراءة، وأن من طلبة العلم من أخبره بحفظه لمختصر خليل؛ فقال مولانا المستضيء: " اقرأ قوله باب فرض الحج ". فقال: " باب فرض الحج وسنته العمرة مرة وفي فوريته وتأخيره لخوف الفوات خلاف ". فأمر بإطلاقه وتسريحه، ووجهه لبلاده وذلك من بركة الشيخ المعطي بن صالح نفع الله به؛ لأنه هو الذي أمره بالقدوم على بلاده رباط الفتح أمنه الله".

(4) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 195، وسل النصال، لابن سودة، ص: 37، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 440 وذكر فيه أن اسمه محمد، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة: 2/ 161، والأعلام، للزركلي: 7/ 114.

ورحل إلى فاس ومكناس ومراكش وطنجة، وتلاقى واستجاز واستفاد وأفاد، وساح وتجرد، وجد واجتهد وراض نفسه وأدب وهذب، وصام وقام، وقطع رحلات عمره في الاشتغال بالتدريس والتأليف وتأديب الصبيان، وتعليمهم القرآن وتعاطي الشهادة، والقيام بمراسم العبادة، غير أن الدهر على عادته مع الأفاضل، طالما وقف أمام آماله وقوف المناضل، الأمر الذي حدى به إلى هجرة الرباط إلى طنجة مرة، وإلى سلا مرة أخرى، ولكن ما لبث أن عاد إلى مسقط رأسه رباط الفتح، قائلاً: لا هجرة بعد الفتح.

ومع كونه من المطرز القديم، فلم يكن من أنصار القديم لقدمه، بل كانت له آراء ومعارف واعتقادات توافق روح العصر الحاضر، إلا أنه كان كثيراً ما يشذ في أفكاره ومداركه، حتى عن المتقدمين فضلاً عن المتأخرين، ويشفع له حرية فكره وصراحة قوله، وهو ممن يقول: بعدم وجود مهدوية في الإسلام، وسُئل يوماً عن وجود المهدي، فقال لسائله: ما عليك إلا أن تصلي المغرب بزاوية سيدي علي بن عبد الرحمن وتجده هناك، يوري بنفسه على سبيل الدعابة، لأنه كان إماماً بالزاوية المذكورة، وكان رحمه الله كثير المداعبة والمفاكهة، لا تمل مجالسته، ولا تسام بريب مداعبته.

ولم يزل مرموقاً بعين التجلة والمكانة، موصوفاً بالخير والنسك والصمت والسمت والمروءة والديانة، إلى أن توفي عن سنين تناهز الثمانين، وكانت وفاته ليلة الأحد 15 ربيع الأول عام 1344هـ، ودفن بمقبرة سيدي الحسن بن سعيد إفران طيب الله ثراه بنسمات الرضوان.

حرف الصاد

* [177] صالح الحكموي قاضي الرباط (المتوفى سنة 1250هـ)[1]

هو القاضي أبو محمد السيد صالح ابن القاضي أبي العباس الحكموي المتقدم، تولى القضاء مراراً، وكان هو والقاضي بسير يتداولان قضاء الرباط مع قضاء مكناسة الزيتون نحو الستة أشهر أو العام، لكل واحد على عادة السلطان أبي الربيع في تولية القضاء لمدة قصيرة، ثم يأمر بالتبادل أو بالبدل.

وكان المترجم من الأئمة الفضلاء والقضاة النبلاء، ومن الشعراء المجيدين الآخذين بطرفي الجد والهزل، كما هو شأن أهل الأدب والفضل، وكان لا يطمس شكله في الرسوم، ومن أهل الصرامة في الأحكام على الخصوم، وكان من خواص أديب الرباط ابن عمرو الأوسي، وقعت بينهم مساجلات شعرية، ومراسلات نثرية، تعد في باب الأدب من قراضات الذهب، وقد ذكره الأديب المذكور في كثير من مقيداته، وحلاه بأوصاف جليلة وخلال جميلة، تسفر عن شفوف قدره، وسمو بدره.

وكانت وفاته عام خمسين ومائتين وألف، وهو تاريخ وفاة عصريه الفقيه السيد العربي الغربي الرباطي، رحم الله الجميع، ولنثبت هنا من شعره ما أنشده لشيخه سيدي عمر بن المكي ابن الشيخ المعطي ﷺ، لما ورد عليه زائراً، عام 1229 فقال:

وَافَتْكَ أظعانُ أَخْدَانٍ بِهِمْ وَصَبُ ... لا يَرْتَجُونَ مَدَى الأَيَّامِ إلاكَا
فَلْيَهْنَهَا حَمْلُهَا مَنْ أَمَّ سَاحَتَكُمْ ... ولْيَهْنِنَا أَنَّنَا جِئْنَا لِنَلْقَاكَا
وَلْيَهْنَ كُلُّ امْرِئٍ لَهُ بِنَا سَبَبٌ ... أَنَّا نُحِبُّكَ بَلْ نَشْتَاقُ مَغْنَاكَ

وأنشد في بعض ذوي الأغراض الواقعين في الأعراض:

الْفَضْلُ يَشْهَدُ بِالنَّجَاحِ لِقَاصِدِ ... بَابَ الْكَرِيمِ ويُظْهِرُ الإِسْعَادَ
وَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ إِضَاعَةِ سَائِلٍ ... يَرْجُو نَدَاهُ ويَأْمَلُ الإِمْدَادَ
فَانْظُرْ تَجِدْ رَبْعَ الْعِدَاةِ وَحَدَّهُمْ ... مُتَفَلِّلاً مُتَخَرِّباً قَدْ بَادَا
وَاضْرَعْ لِرَبِّكَ فِي إِبَادَةِ ذِي أَذَى ... قَدْ زَاغَ عَنْ نَهْجِ الصَّوَابِ وحَادَا

---

(1) وقع ذكره في تاريخ الضُعَيِّف: 2/ 694 فيمن حضر من أهل الرباط لمكناس لعزاء السلطان في أخيه عبد السلام؛ فقال: وصالح الحكماوي - هكذا بالمد - وورد ذكره في أماكن أخرى من التاريخ المذكور: 2/ 689، 703، 708، 723، وانظر ترجمته أيضاً في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 162، وذكره بين وفيات عام 1251هـ.

وَاضْـــرَعْ بِبَـــابِ اللهِ جَهْـــراً قَـــائِلاً أَشْـــكُو إِلَـــيْكَ إِلَـــهَنَا مَـــنْ كَـــادَا
فَافْـــصِمْ عُـــرَاهُ ونَجِّنَـــا مِـــنْ شَـــرِّهِ وأَذِقْـــــهُ ذُلاً سَـــــائِماً مُـــــزْتَادَا
وَأَرِحْ عِـــبَادَكَ والْـــبِلادَ فَـــإِنَّهُمْ يَـــزْجُونَ هُلْـــكَ فُوَيْـــسِقٍ قَـــدْ سَـــادَ
وَعَـدَا عَلَـى أَعْلَـى الْمَنَاصِـبِ ظَالِمـاً عَـــجَباً لِـــوَقْتٍ سَـــوَّدَ الأَوْغَـــادَ
لَكِـــنَّهُ عَـــمَّا قَـــرِيبٌ يُـــبْتَلَى بِمَـــصَائِبٍ فِـــي حَـــيْنِهِ تَتَمَـــادَى

فلما وقف عليها صديقه الأديب ابن عمرو راجعه بقوله:

أُوتِيـــتَ مِـــمَّا تَـــبْتَغِيهِ مُـــرَادَا وبَـــلَغْتَ مِـــنْ أَسْـــنَى الْمَـــرَامِ سَـــدَادَا
وَأَتَـــتْكَ رَاغِـــمَةَ الأُنُـــوفِ مَكَـــارِمٌ مَـــثْنَى تَـــصُوبُ لَـــدَيْكُمْ وفُـــرَادَى
فَابْـــشِرْ بِفَـــضْلِ اللهِ يَـــدْعُو ضَـــارِعاً جَـــاءَ الأَمَـــانُ يُبَـــشِّرُ الأَمْـــجَادَ
فَـــاظْفَرْ بِمَـــا تَرْجُـــوهُ مِـــنْ هُلْـــكِ الْعِـــدَا واجْعَـلْ إِلَهَـكَ فِـي الْخُطُـوبِ عِـمَادَا
فَـــلَقَدْ نَجَـــا مِـــنْ بَطْـــنِ حُـــوتٍ يُـــونُسُ لَـــمَّا دَعَـــاهُ وكَـــمْ أَجَـــابَ عِبَـــادَا
وَهُـــوَ الَّـــذِي مَـــا زَالَ يَهْمِـــي بِـــرُّهُ يَـــعْلُو الـــتُّلُولَ يُـــعَطِّرُ الأَوْهَـــادَ
وتَـــشَفَّعَنْ بِـــمُحَمَّدٍ وبِـــصَحْبِهِ صَـــلَّى عَـــلَيْهِ فِـــي عُـــلاهُ وزَادَ

ومن مساجلاته مع الأديب المذكور قوله:

غَـرَسْتَ فِـي رَوْضِ فِكْـرِي كُـلَّ يَانِعَـةٍ مِـنَ الْـمَكَارِمِ تَـسْبِي الْعَقْـلَ والنَّظَـرَ
وَحُـــزْتَ مِـــنِّي وِدَاداً عَـــزَّ مُـــدْرِكُهُ وصِرْتَ فِي الْعَيْنِ شَمْساً تُخْجِلُ الْقَمَرَ

فقال ابن عمرو:

وَحُـــقَّ بِالْقَلْـــبِ مَـــا بِـــالْعَيْنِ أَبْـــصَرَهُ مِـنَ الـشَّمَائِلِ لا تُـزْرِي بِـكَ النَّظَـرَ
وَجِيـدُ دَهْـرِكَ فِـي عِلْـمٍ وفِـي كَـرَمٍ وحُلْـيُ جِيـدِ الْعُـلا لا تُبْتَغَـى خَـطَرَا

فقال السيد صالح:

وَبَـيْتُ أُنْـسٍ لِعَـافٍ جَـلَّ مَطْلَبُـهُ وآب أُسْـدٍ بِـغَابٍ جَـهْرَةً مَـصَرَا
وَكَـمْ وكَـمْ مِـنْ مَزَايَـا لَـسْتُ أَحْـصُرُهَا ولَـوْ تَـطَلَّبَهُ الـنُّطِيقُ مَـا قَـدَرَا
وَقَـدْ كَفَـانِي أَنْ أَمْـسَيْتَ مُمْتَـدِحِي فَـخْراً وحَـسْبِي بِـهِ بَيْنَ الْـوَرَى وَطَـرَا
وَإِنْ عَـجِزْتُ فَـمَا بِالْعَهْـدِ مِـنْ قِـدَمٍ وإِنْ نَـسِيتُ فَـكَمْ نَـاسٍ بِكُـمْ ذُكَـرَا
وَإِنْ تَـأَخَّرْتُ فَـالتَّقْدِيمُ شَـأْنُكُمْ وإِنْ صَـغُرْتُ فَـإِنِّي مَـادِحُ الْكُـبَرَا

فقال ابن عمرو:

إِنِّـي لَتُعْجِبُنِي عَلْيَاكَ حَتَّى إِذَا ... قِيسَتْ بِمَنْ لِسَنَا آثَارِكَ أَثَرَا
أَرْبَتْ عَلَيْهَا وهَدَّتْ كُلَّ شَامِخَةٍ ... تَبْغِي لِحَاقاً ولَمْ تُلْحَقْ بِهِ أَثَرَا
اللهُ يُوْلِيكَ فَوْقَ السُّؤْلِ مُمْتَطِياً ... نُجُبَ السَّعَادَةِ والشَّانُونَ عَنْكَ وَرَا

ومن إنشاء الأديب المذكور، ما أنشده المترجم وقد دخل بيته فوجد فيه مجانة بديعة الشكل معربة عن الشهور والأيام والساعات، فقال في ذلك:

يَا صَالِحاً طَابَ فِي الأَخْيَارِ مَنْبَتُهُ ... وسَالِكاً كُلَّ فَجٍّ لِلْهُدَى سَلَكُوا
مَا زِلْتَ تَسْمُو إِلَى الْعَلْيَاءِ مُجْتَهِداً ... حَتَّى تَدَلَّى يَزُورُ بَيْتَكَ الْفَلَكُ

ولما احتفل المترجم بعقد نكاحه بتاريخ أواسط صفر الخير عام 1215، كان صديقه الأديب ابن عمرو أحد شهيديه، فأنشأ في ذلك هذا النكاح، العجيب الوضع، الغريب الصنع، فقال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي ... الْمُجْزِلِ الْخَيْرَ عَلَى الإِطْلاقِ
الْوَاحِدُ الْفَرْدُ الْمُهَيْمِنُ الصَّمَدْ ... أَجَلُّ مَنْ فِي كُلِّ قَصْدٍ يُعْتَمَدْ
نَحْمَدُهُ عَلَى جَزِيلِ كَرَمِهْ ... حَمْداً يُوَافِي مُتَوَالِي نِعَمِهْ
أَشْهَدُ أَنَّهُ الْمُقَدِّرُ الأَحَدْ ... الْمُتَعَالِي عَنْ وَزِيرٍ وَوَلَدْ
وَأَنَّ أَحْمَدَ أَجَلُّ مُرْسَلِ ... وسَيِّدُ الْخَلْقِ ونُورُ الْمُقَلِ
أَكْرَمُ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالإِيمَانِ ... وصَفْوَةُ الرَّحْمَنِ مِنْ عَدْنَانِ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا الْحَنَّانُ ... مُسَلِّماً مَا دَامَتِ الأَزْمَانُ
وَآلِهِ أُسْدِ الْوَغَى الأَكَارِمِ ... مَنْ فَتَقُوا مَغَالِقَ الْمَكَارِمِ
وَصَحْبِهِ مِنْ كُلِّ بَرٍّ نَاسِكْ ... بِعُرْوَةِ الدِّينِ الْقَوِيمِ مَاسِكْ
مَا اتَّبَعَتْ سُنَّتَهُ الأَكَابِرْ ... وصَعَدَتْ أَئِمَّتُهُ الْمَنَابِرْ
هَذَا وإِنَّ الْعَالِمَ الْعَلامَةْ ... قَاضِي الْقُضَاةِ الأَوْحَدَ الْفَهَّامَةْ
أَحْمَدَ نَجْلَ أَحْمَدَ الزَّكِي ... الْحَكْمِي الْمُنْتَمِي
وَالْمُرْتَضَى مُحَمَّدَ بنِ أَحْمَدَ ... أُورِيرَ يُعْرَفُ بِهَا عَلَى الْمَدَى
قَدْ عَقَدَ النِّكَاحَ بِالسَّعَادَةْ ... والْيُمْنِ والأُلْفَةِ والزِّيَادَةْ

وَالْخَيْرِ والْبِرِّ ونَيْلِ السُّولِ ... مُمْتَثِلِينَ قَوْلَةَ الرَّسُولِ
تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا فَإِنِّي ... مُكَاثِرٌ بِكُمْ فَخُذْهُ عَنِّي[1]
وَنَاهِجِينَ نَهْجَهُ الْقَوِيمَ ... وحَظَّهُ لِفِعْلِهِ تَعْلِيمَا
عَقْدُهُ الأَوَّلُ خَيْرُ عَقْدِ ... عَلَى ابْنِهِ دُرَّةِ كُلِّ عِقْدِ
أَبِي الْمَوَاهِبِ الْفَقِيهِ الأَمْجَدِ ... الْمُرْتَضَى الأَسْمَى الزَّكِيِّ الأَسْعَدِ
الْمَاجِدِ الْقَرْمِ الأَبَرِّ صَالِحِ ... الْمُقْتَفِي فِعَالَ كُلِّ صَالِحِ
وَعَقْدُ الثَّانِي عَلَى الْمَصُونَةْ ... ابْنَتِهِ الطَّاهِرَةِ الْمَيْمُونَةْ
ذَاتِ الْفِخَارِ وفَخِيمِ الْحَسَبِ ... وشَرَفِ الأَصْلِ وفَخْرِ النَّسَبِ
عَذْرَاءُ لَمْ يُعْقَدْ لَهَا نِكَاحُ ... مِنْ قَبْلِهِ إِذاً فَلا جُنَاحُ
وَعَقْداً عَلَى التَّوْفِيقِ قَدْ تَأَسَّسَا ... وبِجَمِيلِ اللُّطْفِ قَدْ تَأَنَّسَا
عَلَى صَدَاقٍ طَيِّبٍ مُبَاحِ ... مُشْتَرَطٍ فِي عُقْدَةِ النِّكَاحِ
جُمْلَتُهُ أَلْفَانِ مِنْ أَوَاقِ ... سِكِّيَّةٍ كَانَتْ عَلَى وِفَاقِ
قَبَضَ مِنْهُ الأَبُ نَقْداً عَدَدَا ... لِبِنْتِهِ عَلَى اعْتِرَافٍ قَدْ بَدَا
النِّصْفَ كَامِلاً ونِصْفَ النِّصْفِ ... وعُشْرَ الرُّبْعِ دُونَ خُلْفِ
وَكَانَ ذَاكَ فِي قِبَاءٍ أَحْمَرَا ... مِنَ الْحَرِيرِ سَاحِراً مَنْ نَظَرَا
مُطَوَّقاً مِنْ خَالِصِ الإِبْرِيزِ ... يُزْرِي بِنَسْجِ سَاكِنِي تَبْرِيزِ
وَفِي حِزَامٍ مِنْ حَرِيرٍ نُسِجَا ... وبِنُضَارٍ مَاهِرٍ قَدْ مُزِجَا
وَفِي خِمَارٍ أَصْفَرٍ بِزَيْنِ ... وفِي خَلاخِلَ مِنَ اللُّجَيْنِ
وَفِي نَفِيسِ عَسْجَدٍ قُرْطَيْنِ ... بَعْدَ تَقْوِيمٍ بِعَارِفَيْنِ
وَمَا بَقِيَ فَهْوَ عَلَى التَّمَامِ ... مُقَسَّطاً لَهَا عَلَى الأَعْوَامِ
نَكَحَهَا بِالأَمْنِ والأَمَانِ ... ومَا اقْتَضَتْهُ آيَةُ القُرْآنِ

(1) يشير إلى الحديث الشريف (تناكحوا تناسلوا أباهي بكم الأمم يوم القيامة) قال العجلوني في كشف الخفا (1/318): رواه عبد الرزاق والبيهقي عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً بلفظ تناكحوا تكثروا، فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، قال في المقاصد جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج أبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعا، تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، ولأحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الأوسط

فِي ذَاكَ مِنْ إِمْسَاكٍ أَوْ تَسْرِيح　　　وسُنَّةُ الرَّسُولِ بِالتَّصْرِيح

أَنْكَحَهُ جَبْراً أَبُوهَا الأَرْضَى　　　وحَضَّرَ الزَّوْجَ لَهَا وأَمْضَى

وَرَبُّنَا الْمَسْؤُولُ فِي التَّسْدِيدِ　　　والرِّفْقِ والتَّوْفِيقِ والتَّأْيِيدِ

وَالْحَمْلِ فِي مَحَامِلِ الرِّعَايَةِ　　　ونَيْلِ مَا قَدْ أَمَّلا مِنْ غَايَةِ

وَكَثْرَةُ الأَمْوَالِ والْبَنِينَ　　　فَقُلْ بِحَقِّ رَبِّنَا آمِينَا

وَأَشْهَدُوا إِذْ ذَاكَ شَاهِدَيْهِ　　　بِكُلِّ مَا قَدْ عَقَدُوا عَلَيْهِ

وَعَرَفُوا مِقْدَارَهُ وعُرِفُوا　　　وهُمْ عَلَى أَتَمِّ حَالٍ يُعْرَفُ

وَكَانَ ذَاكَ فِي أَوَاسِطِ صَفَرْ　　　سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ لِمَنْ نَظَرْ

مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ قَبْلَهَا ومَائَتَيْنِ　　　والْحَمْدُ لِلَّهِ بَدِيعِ النَّشْأَتَيْنِ

وَصَلَوَاتُ اللهِ بِالسَّلامِ　　　مَقْرُونَةً لِمِسْكَةِ الْخِتَامِ

حرف العين

* [178] عبد الحفيظ الفاسي (المتوفى سنة 1194هـ)(1)

أبو المعالي البركة الخطيب الفقيه السيد عبد الحفيظ ابن الشيخ أبي مدين ابن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي الرباطي الوفاة والمدفن، تولى الخطابة بعد والده للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، فكان يصحبه معه في أسفاره، وألف شرحاً مفيداً على عقيدة الرسالة في مجلد.

وممن ذكره من المؤرخين الشيخ عبد الكبير المجذوب الفاسي(2)، في وفياته، وحلاه بالفقيه العلامة الأجل الخطيب الواعظ المصقع، الأنبل، إلى أن قال: كان بالرباط بحضرة أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله خطيباً، فحضره أجله هناك، وتوفي ليلة الخميس 29 رمضان عام أربعة وتسعين ومائة وألف، ودفن بضريح الولي الصالح مولاي المكي بن محمد الوزاني، وهو مضاجع له من جهة القبلة رحمة الله عليه.

ذكر من اسمه عبد الرحمن

* [179] سيدي عبد الرحمن السائح

صاحب الضريح بمحج سيدي فاتح، ولا أعرف عنه إلا ما يقال من أنه من قدماء أولياء أهل الأندلس بالرباط، والله أعلم.

* [180] عبد الرحمن المجذوب مرينو(3)

الفقيه العدل الخطيب بالمسجد الأعظم الرباطي أحد معاصري الشيخ العكاري المذكورين في فهرسته من جملة الملحقين بتلامذته.

* [181] عبد الرحمن المريني

تلميذ حافظ الرباط سيدي أحمد الغربي، ولعله صاحب الضريح المعروف باسمه إزاء ضريح سيدي العربي بن السائح وكان من العدول، كما وقفت على شكله في عدة رسوم.

* [182] عبد الرحمن بن خليفة (المتوفى سنة 1200هـ)(4)

الصباحي الهداجي الفقيه الأستاذ العشري المتوفى ليلة الجمعة حادي عشر شعبان عام

---

(1) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 8/ 38، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 49.

(2) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 8/ 157.

(3) انظر ترجمته في: فهرسة العكاري، لوحة رقم: 19/أ.

(4) ترجمته في إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 60.

1200، وذلك بناحية الرباط حيث دفن باعويد الما، قرب وادي كريفلة، بأطراف تلماغت، قاله الضعيف الرباطي في تاريخه[1].

*** [183] عبد الرحمن بن مخلوف (المتوفى سنة 1251هـ)[2]**

الرباطي الوفاة، كذا وقفت على ذكره بين وفيات جماعة من العلماء أهل القرن الثالث عشر. مؤرخة وفاته بعام 1251.

*** [184] القاضي عبد الرحمن السرايري (المتوفى سنة 1207هـ)[3]**

هو القاضي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي السرايري الرباطي المنشأ والدار، الفقيه العلامة المحقق المفتي النوازلي.

أخذ عن شيوخ الرباط، في وقته ورحل إلى فاس، فتفقه عن الشيخ بناني والعلامة أبي حفص الفاسي، والشيخ التاودي، وغيرهم، وذكره سيدي سليمان الحوات من جملة تلامذة الشيخ بناني، وحلاه بقوله: الشهم العلامة الثبت الفهامة، الماهر المناظر الزكي أبو زيد... لخ.

تصدر للفتوى، فكان قلمه فيها لا يتجاوز الصواب، ورأيت جملة وافرة من فتاويه، كلها مسفرة عن باع طويل وعلم مديد، وغاية سامية، وشأو بعيد.

وكان رَحِمَهُ اللهُ ممن انتهت إليه الرئاسة، وتحمل أعباء الإفتاء والإرشاد والدراسة، وكان فصيح اللسان بديع التأليف، ألف تآليف منها الشرح على الزقاقية[4]، جمع فيه بين شرح شيخه أبي حفص الفاسي، وشرح ميارة، والتزم أن ينبه فيه على ما يظهر له من المخالفات والإشكالات، وعلى ما هو الصواب منهما عند مخالفتهما، مع ما يراه مناسباً للموضوع من الزيادات والإفادات، وكانت وفاته رَحِمَهُ اللهُ سنة سبع بالموحدة ثانياً، ومائتين وألف، وقبره معروف عليه بناء مقوس مستطيل كالحائط، وذلك بظاهر العلو بجوار ضريح السيدة للا عائشة اليابورية.

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 351.

(2) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 162، وذكر أنه من أولاد مخلوف المعروفين بفاس، كان من أصحاب جده المهدي ابن سودة.

(3) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 19، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 121، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 74.

(4) يريد منظومة: تحفة الحكام في مسائل التداعي والأحكام (المعروفة بلامية الزقاق في القضاء نسبة لناظمها أبي الحسن، علي بن قاسم بن محمد التجيبي، المعروف بالزقاق، الفاسي، المتوفى سنة 912هـ)، وقد طبعت مراراً، وعليها شروح كثيرة من أشهرها "تحفة الحذاق بشرح لامية الزقاق" لأبي حفص، عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف، الفاسي.

* [185] القاضي عبد الرحمن لبريبري (المتوفى سنة 1293هـ)[1]

هو القاضي أبو زيد عبد الرحمن ابن العلامة السيد أحمد بن التهامي البريبري السلاوي ثم الرباطي.

كان رحمه الله من العلماء الناسكين، ومن أمثل قضاة الوقت المتحرين للعدل، كذا حلاه صاحب الاستقصا[2]، وترجمه ولده القاضي أبو عبد الله في بعض إجازاته[3]، فذكر أنه أخذ بفاس عن عدة، فقرأ الفقه على ملحق الأحفاد بالأجداد، سيدي عبد السلام الأزمي[4]، من أوائل المختصر إلى الظهار، وعلى تلميذه أبي عبد الرحمن السجلماسي، وسيدي بدر الدين الحمومي[5]، والقاضي سيدي التهامي المكناسي دفين الرباط، وسيدي عبد القادر الكوهن[6] والتسولي[7] شارح التحفة[8].

---

(1) انظر ترجمته في تعطير البساط، ص: 36، والاستقصا، للناصري: 3/ 160، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 258، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 404.

(2) انظر: الاستقصا، للناصري: 3/ 161.

(3) الإجازة المشار إليها هي المسماة "إتحاف ودود بمقصد محمود"، وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة البريبري في الجزء الأول ص396.

(4) هو: أبو محمد، عبد السلام بن عبد الرحمن بن الطيب الأزمي- نسبة لأولاد أزم من صنهاجة- الحسني، السباعي، المتوفى سنة 1241هـ، قال السملالي: حامل راية المذهب ومفتي الديار المغربية حافظ مطلع نفاع أحيا الله به الفقه في المغرب ونفع به الجم الغفير من أهل وقته.أهـ. انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 8/ 485، والفكر السامي، للثعالبي: 2/ 131، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 20، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 139.

(5) في الأصل: (الجهومي) والمثبت من المطبوع من تعطير البساط وهو: أبو عبد الله، محمد بن الشاذلي بن أحمد بن الحسين الحمومي، بدر الدين المتوفى سنة 1266هـ. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 193، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 401.

(6) هو: أبو محمد، عبد القادر بن أحمد بن علي بن عبد القادر الفاسي، المعروف بالكوهن، المتوفى سنة 1254هـ. له " إمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والإسناد" انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 397.

(7) هو: أبو الحسن علي بن عبد السلام بن علي التسولي، الفاسي، القاضي، الملقب بمديدش، المتوفى سنة 1258هـ، أخذه عن الشيخ حمدون ابن الحاج، والمفتي أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الدكالي، وغيرهما، شرح تحفة الحكام لابن عاصم، مجلدان، و" شرح الشامل" لبهرام في عدة مجلدات، وحاشية على شرح التاودي للامية الزقاق، وجمع ورتب"وثائق الزياتي"، وله فتاوى وتقاييد، وغير ذلك.

(8) شرح التسولي على التحفة هو كتاب: "البهجة في شرح التحفة" وهو شرح على منظومة أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي الأندلسي، المتوفى سنة 829هـ والمسمى: "تحفة الحكام في نُكَت العقود وَالأحكام"، والمعروف اختصاراً بالعاصمية في القضاء، وقد طبعت بشرح التسولي عليها وبالحاشية كتاب "حلي المعاصم لبنات فكر ابن عاصم" لأبي عبد الله التاودي بن سودة. انظر: معجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 165.

وأخذ الحديث عن المكناسي المذكور، وكان قارئه بين يديه، وسيدي العربي الدمناتي، وكان قارئه في الصحيح أيضاً، وأخذ الأصول عن سيدي الوليد العراقي، وعنه أيضاً النحو والتصريف، وعن القاضي السيد العباس بن كيران[1]، وسيدي العربي الزرهوني، وسيدي عبد السلام بوغالب، والسيد علي قصارة وغيرهم.

ثم رجع للرباط فاعتكف على نشر العلم به، ودرس الفقه والحديث والنحو والتصريف وعلوم البلاغة وغيرها، ومن أجلّ من أخذ عنه فلذة كبده القاضي الفاضل أبو عبد الله البريبري المتقدم، وكانت وفاته عاشر شوال سنة ثلاثة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بزاوية حنصالة بالرباط، هكذا ترجمته في كتابي " تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط"، ثم وقفت على إجازة ولده القاضي أبي عبد الله لبريبيري المتقدم لسيدي محمد خليفة المدني، أتى فيها على مشيخة والده صاحب الترجمة زيادة على ما ذكرناه، فقال ما نصه: وقد أخذ سيدنا الوالد قدس الله تعالى سره عن جماعة من أكابر العلماء، هم كالبدر بين نجوم السماء، فأولهم جده للأم أبو العباس سيدي أحمد بن الطاهر، ولم تزل رياض علومه متباسمة الأزاهر، قرأ عليه القرآن العظيم وربع العبادات من مختصر الشيخ خليل، كان يكتبه له بخط يده وغير ذلك، ثم صار إلى رحمة الله طيب الله ثراه، فبقي بعده ما شاء الله، ثم وصل إلى فاس العاطرة الأنفاس لطلب العلم فأخذ عن علمائها، فمنهم ذو القدر السمي والنفس الزمزمي، سيدي عبد السلام اليزمي وتلميذه وخليفته على طلبة مجلسه، صاحب المجلس المنور المتلالي، سيدي محمد بن عبد الرحمن الفلالي، وأحد شراح "المرشد المعين"، والأئمة الهداة المهتدين، الشريف سيدي بدر الدين، ومن يصير جليسه، بحسن حديثه، لأهله ووطنه ناسي، سيدي التهامي بن حمادي المكناسي، ومن هو بحسن تحقيقه لمخالفه موهن، سيدي عبد القاهر الكوهن، ومن أطبق عليه على علمه وفضله البلدي والآفاقي، الشريف المجيد، سيدي الوليد بن العربي بن الوليد العراقي، ومن هو بتقريراته الرائقة في مجالسه آتي، الكاتب البارع سيدي العربي الدمناتي، والمشار إليه بالتحقيق في العلوم العقلية لكل طالب لها راغب، سيدي عبد السلام الشريف أبو راغب، ومن يولي طلبته بشاشة ونضارة، سيدي علي قصارة، ومن يضاهي بتحقيقه المزي والجيزي سيدي الأمين الزيزي الشريف العلوي، ومن غدا بحسن خلقه محبوباً

---

(1) هو: أبو الفضل، العباس بن كيران المكناسي، القاضي، المتوفى سنة 1271هـ. انظر ترجمته في: فهرسة أحمد بن محمد بن عبد السلام بناني، ص: 113 (طبعت تحت عنوان "ثلاث فهارس مغربية"، بتحقيق عبد الرحمن سعيدي).

للطلبة والجيران، العلامة سيدي العباس بن كيران، وأخذ بغير فاس عمن تخالُ ألفاظه في الدرس لحسنها لآلي، سيدي أحمد بن عبد الله الزناتي الفضالي، لقيه بالرباط،وأخذ عنه بها وبفضالة، قدس الله تعالى أسرارهم، ورضي عنهم وأرضاهم، وقد اغترف من زلالهم، وارتوى من سلسالهم، واكتفيت بذكرهم لاعتمادهم، وإن كان قد أخذ البعض عن غيرهم:

وَلَسْتُ قَطُّ بِمُسْتَوْفٍ مَنَاقِبَهُمْ ... وَلَوْ نَظَمْتُ لَهُمْ زُهْرَ النُّجُومِ حُلا

وما منهم إلا وكان لسيدنا الوالد عنده حظوة ومكانة مكينة.

وأجازه جماعة منهم كسيدي محمد عبد الرحمن، وسيدي التهامي المكناسي، وسيدي عبد القادر كوهن، وعمدته في الفقه الأربعة الأولون من أهل فاس، والشيخ الفضالي، وفي الحديث سيدي التهامي المكناسي، وسيدي الوليد العراقي، وسيدي العربي الدمناتي.

وقد أخذ الأئمة المذكورون عن جماعة من الأئمة، فأما سيدي أحمد بن الطاهر فمن شيوخه بالرباط سيدي محمد بن مسعود الشيظمي، أحد أصحاب سيدي المعطي صاحب "الذخيرة"[1]، أخذ عنه بالرباط، ثم رحل سيدي أحمد إلى حضرة فاس فأخذ عن علمائها، ومن شيوخ سيدي محمد الشيظمي، سيدي محمد بن عبد العزيز الهلالي.

وأما سيدي عبد السلام اليزمي، فأخذ عن إمام المغرب العالم العلامة ذي البركات والفتوحات أبي عبد الله سيدي محمد التاودي بن سودة المري، رضي الله تعالى عنه ونفعنا به.

حدثنا سيدي عبد السلام أنه لما قدم من وطنه إلى فاس وجد الشيخ التاودي قد أسنَّ فتمنى في نفسه أن لو أدركه في عنفوان قراءته لما رأى من تحقيقه حتى يشفي الغليل في الأخذ عنه، فرأى الشيخ التاودي في النوم، فقال له: اقرأ لا زلت حياً، قال: فعاش بعدها عشرين عاماً وحدث عنه أنه قال: هذه العوينات حفظناها في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر.

وأما الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن فعن سيدي عبد السلام اليزمي عن الشيخ التاودي، وأما الباقون ما عدا سيدي الوليد العراقي، فأراهم بجميعهم أدركوا الشيخ التاودي وأخذوا عنه فقد كان بالمنزلة الرفيعة من التقدم في العلوم صدراً في أصحابه، شيخ الجماعة بعدهم، وانتهى إليه الجد والاجتهاد في الدؤوب على التعليم والتصنيف.

وأما سيدي الوليد فعن جماعة منهم سيدي التهامي المكناسي، وسيدي عبد القادر كوهن

---

(1) هو كتاب: ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج، للمعطي بن صالح الشرقي، المتوفى سنة 1180هـ يوجد منه نسخة مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 2770/ك.

المذكوران في شيوخ سيدنا الوالد، ومنهم سيدي إدريس بن زيان العراقي(1)، وهو عن والده سيدي زيان وغيره، ومنهم سيدي الشيخ الطيب بن كيران، وسيدي محمد بن عمرو الزروالي، وسيدي أحمد بن التاودي، وهو قد أخذ عن والده. اهـ.

والحاصل أن المترجم كان من الشيوخ الوعاة ومن مفرد الثلاثة في القضاء، انتهت إليه الرياسة في وقته فلم يكن له ثانٍ في وسمه وسمته، غير أنه بلغت به الصرامة مبلغاً أفضى به إلى التسلط على كثير من معاصريه من علماء الرباط، ومدرسيه كالشيخ أبي بكر البناني، والقاضي أبي العباس دنية، والسيد المكي بوجندار، والسيد طاهر بريطل، والسيد عبد القادر بوعياد، والسيد المعطي الغربي والسيد الهاشمي الضرير، وجماعة آخرهم شيخ الرباط أبو إسحاق التادلي، فقد امتحنه بالسجن وطالما حال بينه وبين التدريس كبقية أولئك الجماعة، إلى أن كانوا يأتون بظهائر مخزنية فيتظاهرون بها ضده في سبيل ما هم بصدده من القيام بالمراسم الدينية، قابل الله جميعهم برحمته، وعامل كلا بحسب نيته. آمين .

*** [186] عبد الرحمن لبريس (المتوفى سنة 1307هـ)(2)**

أحد شيوخ شيخنا القاضي أبي حامد، وقد سألته عن ترجمته فكتب لي ما لفظ يراعته: "هو الفقيه العلامة النزيه المشارك اللغوي الأصولي المنطقي الفلكي المعدل الفرضي الحيسوبي العروضي...إلخ أبو زيد عبد الرحمن بن الوجيه المحتسب أبي محمد عبد الله لبريس الأندلسي الرباطي، قرأ أولاً بالرباط على شيخ الجماعة أبي إسحاق التادلي مدة أثناء أعوام السبعين بعد المائتين والألف، ثم توجه لفاس فمكث بها نحو أربع سنين، فقرأ الفقه على الفقيه كنون الكبير، وقرأ الحديث على سيدي قاسم القادري، والد سيدي محمد رحمه الله ثم رجع إلى الرباط، وقد امتلأ وطابه فاعتكف على الدرس مع تعاطي الأسباب في سوق البز، فدرس عقائد المرشد بشرح الشيخ الطيب بن كيران، وكان يحضره جماعة من طلبة ذلك الوقت، وقرأ الخلاصة والكل قراءة تحقيق، ثم صار يقرئ الشريف مولاي رشيد، وكان يلقبه الدماميني، ولم أكن في ذلك الوقت ممن يتعاطى مثل تلك الدروس، وإنما كنت أحضر مجالس شيخنا أبي إسحاق، إذ كان يربي بصغار المسائل، ثم دعي أبو زيد للخدمة السلطانية بمرسى الدار

(1) انظر ترجمته في: الفكر السامي، للثعالبي: 2/ 128، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 44، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 377.

(2) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 10/ 195، وسل النصال، ص: 110 تاريخ وفاته في أثناء ترجمته للمكي بن محمد البطاوري فعده ممن أخذ عنهم العلم فقال: وعن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله لُبَرِيس الرباطي المتوفى عام سبعة وثلاثمائة وألف، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 307.

البيضاء في أواخر دولة السلطان سيدي محمد بن الرحمن، فمكث بها ثلاث سنين متوالية، رافقه فيها العلامة أبو محمد بن خضراء السلاوي[1]، وهو الذي أخبرني بذلك، وبأنه في تلك المدة تحفظ مختصر الشيخ خليل حفظاً متقنا في اللوح مع مطالعة كل نصاب حتى حصّله حفظاً وفهما، وبعد انقضاء أمد الخدمة عاد للرباط وقت قضاء القاضي أبي عبد الله بن إبراهيم فانتدب للقراءة عليه بين يديه، فافتتح المختصر من ربع الزكاة بمسجد القبة، وكان يحضر مولاي رشيد وغيره من طلبة الوقت، وختمنا ذلك الربع إلا القليل منه، وفي خلال ذلك ختمنا الخلاصة إلا القليل منها، وختمنا صغرى السنوسي، والخزرجية، وختمنا الشفاء للقاضي عياض سرداً، وقرأنا الرسالة للإمام ابن أبي زيد بين العشاءين، والكلّ بالمسجد المذكور وكان طلب منه بعض صغار الطلبة من علية الرباط أن يقرأ معهم الآجرُّومِيَّة، فساعد لذلك بجامع دنية، وكنت القارئ في الجميع، وقرأنا ثلاثة أرباع التلخيص قراءة تحقيق بجامع القبة، ثم لما توفي القاضي ابن إبراهيم وانتصب القاضي أبو العباس ملين عيّنه نائباً في قضاء الدار البيضاء إذ كانت إذ ذاك مضافة للرباط، فمكث بها قاضياً عدلاً نزيهاً إلى أن توفي القاضي أبو العباس، وانتصب أبو عبد الله لبريري الثاني، فطلب أبو زيد من السلطان مولاي الحسن الإذن في الحج فأذن له، وتوجّه عام 1307 فحجّ وظهر فضله في مكّة واجتمع مع علمائها، وكانت وقعت بينهم مذاكرة في شأن يوم عرفة واختلفوا، فاستظهر عليهم بما لديه من علم التعديل فاعترفوا له، ولما تمّ حجّه توجّه للمدينة المنورة فوافته منيته قرب المدينة؛ فأقبر هناك قرب ضريح الإمام البرعي صاحب الأمداح[2].

وللمترجم حاشية على شرح الزموري على الخزرجية[3] رأيتها، وله شرح على السلم[4]

---

(1) انظر ترجمته في: سل النصال، لابن سودة، ص: 214، وأعلام الفكر المعاصر، لعبد الله الجراري: 2/ 326، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 139، والإعلام، للسملالي: 8/ 346 .

(2) هو: عبد الرحيم بن أحمد بن علي البرعي، الزبيدي، اليمني، المتوفى سنة 803هـ ونسبته إلى "بُرَعُ" كَزُفَرَ جَبل بِتِهَامَةَ، شاعر صوفي اشتهر بالأمداح النبوية، وله ديوان شعر مطبوع. انظر ترجمته في: هدية العارفين، للبغدادي: 1/ 559، والأعلام، للزركلي: 4/ 118.

(3) كتاب: الإشارة الجلية في حل رموز الخزرجية – وهو شرح على منظومة الرامزة الشافية في علم العروض والقافية المعروفة اختصاراً باسم الخزرجية في العروض، وهي من نظم أبي محمد، عبد الله بن محمد الخزرجي، المالكي، الأندلسي، الإسكندري، المتوفى سنة 626هـ) تأليف أبي القاسم، الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي، الزموري، المتوفى سنة 852هـ وله نسخة خطية بحوزتنا بمكتبة مركز نجيبويه للمخطوطات ضمن مجموع تحت رقم [مج57/ 5]

(4) منظومة أبي زيد، عبد الرحمن بن محمد الصغير الأخضري، المتوفى سنة 983هـ والمسماة: "السلم المرونق في المنطق".

اختصر فيه شرح الشيخ بناني، وله كتابة كثيرة على الخلاصة[1]، لم يرتب وله كتاب في الوثائق على نمط ابن عرضون[2]، وبالجملة فكان من أعيان علماء عصره مع الدين المتين، وهذا ما حضرني من ترجمته فاعذر. انتهى كلام شيخنا أبي حامد، متّعنا الله ببقائه.

(ذكر من اسمه عبد الرزاق)

* [187] عبد الرزاق بن عمر دنية (المتوفى سنة 1324هـ)[3]

أخو شيخنا أبي عبد الله دنية المتقدم، وأخص تلامذته في بدايته، ثم لازم الشيخ أبا حامد فتفقّه عنه وانتفع به واستجازه، وانتسخ جلّ تآليفه، وكان له شغف بالتقييد والمراجعة والبحث والمطالعة، وربما نظم ونثر وألّف وحرّر، وخلف من آثاره مكتبة علمية جامعة، أوقف بعضها على زاوية مولاي العربي بالرباط، والبعض الباقي أوصى بتوزيعه على نجباء طلبة الرباط، فكان الأمر كذلك لما توفي عام 1324، وهي مأثرة حسناء يخلدها له التاريخ، مسجلةً بقلم الشكر والثناء.

ذكر من اسمه عبد الكبير

* [188] عبد الكبير الفاسي (المتوفى سنة 1295هـ)[4]

دفين شالة الفقيه العلامة الخطيب المؤرخ الرحالة أبو المواهب عبد الكبير بن عبد الرحمن المجذوب بن عبد الحفيظ بن أبي مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف بن أبي الجد الفهري نسباً، الفاسي داراً ولقباً، الشلوي مدفناً، ولد رَحِمَهُ الله عام 1221هـ وأخذ عن شيوخ فاس وغيرهم، وشارك في عدة فنون كالفقه والحديث والتصوف والتاريخ، وألّف تاريخه المبتدأ من الهجرة إلى سنة 1262هـ اقتصر فيه على وفيات الأعيان وحوادث السنين[5]، وقفت عليه واستفدت منه وأشرت إليه في كتاب

(1) منظومة: الخلاصة النحوية (وهي: ألفية ابن مالك في النحو والصرف) نظم: محمد بن عبد الله بن محمد بن مالك الطائي، الأندلسي، المتوفى سنة 672هـ. مخطوط بمركز نجيبويه للمخطوطات [مج66/ 7].

(2) هو كتاب "اللائق لمتعلم الوثائق" لأبي العباس، أحمد بن الحسن بن يوسف بن محمد بن يحيى بن عرضون، الزجلي، المتوفى سنة 992هـ.

(3) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 258.

(4) انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 404، والإعلام، للسملالي: 10/ 158 ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 60، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 268، وذكره بين وفيات سنة 1296هـ وفي سل النصال، ص: 18 ذكر أن وفاته كانت في سنة 1298هـ.

(5) هو كتاب: تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين، يقع في نحو الأربعة أسفار، تكلم فيها من أول الهجرة إلى وقته =

"شالة وآثارها" المطبوع أخيراً إلا أنه وقع فيه غلط مطبعي في تعيين السنة المذكورة بتقديم عدد (6) على عدد (2)، فصار التاريخ هكذا (1226)، والحقيقة ما ذكرنا هنا من أنه (1262) وكانت وفاة المترجم بعد رجوعه من الحج وبعد تعريجه على مراكش أصيب بالهواء الأصفر[1] في طريقه بقصبة فضالة[2]، فحمل منها ودفن ضجيع سيدي يحيي بشالة، وذلك في عشية (28) رمضان عام (1295)، وقبره لا زال معروفاً معلما قبالة الداخل على الباب.

ذكر من اسمه عبد الله

* [189] عبد الله بن ياسين الفاتح الكبير دفين ناحية الرباط (المتوفى سنة 451هـ)[3]

عبد الله بن ياسين، وما أدراك ما عبد الله بن ياسين ! أكبر من دفن بهذه الناحية ناحية الرباط، بل أكبر من بالمغرب بعد الإمامين الإدريسيين الفاتحين الأكبرين، باعتبار أعماله وفتوحاته التي دوخ بها المغرب إلى أن صار يدين بتعاليم الإسلام بعد أن كاد يتقلص منه، وحسبك أنّه مؤسس تلك الدولة العظيمة التي هي من خير دول المغرب ديناً وهدياً، أعني بها دولة المرابطين التي قال عنها ابن العربي المعافري في "العارضة"[4] : "المرابطون قاموا بدعوة الحقّ ونصرة الدين، فلو لم يكن للمرابطين وسيلة ولا فضيلة إلا وقعة الزلاّقة التي أنسى ذكرها حروب الأوائل وحروب داحس مع بني وائل لكان ذلك من أعظم فخرهم ورابح متجرهم.." إلخ كلامه.

كان عبد الله بن ياسين في أوليته من طلبة العلم، ومن أهل الفضل والدين والورع، ذهب إلى الصحراء يقيم رسم الدين بإرشاد من شيخ القيروان أبي عمران الفاسي وبانتداب

=

وهي مرتبة على السنين وصل فيها إلى آخر حياته. وقد طبع بتحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق ضمن موسوعة أعلام المغرب، انظر: دليل مؤرخ للمغرب الأقصى، لابن سودة: 1/ 255.

(1) يقصد به الطاعون.

(2) فضالة: جزيرة يقال إنها جزيرة الصويرة أو صخرة بوسدرة بين السوس وإيفني، وقد لاحظت فرنسا صلاحية جزيرة فضالة ففكرت في احتلالها لأن القراصنة كانوا يجدون فيها ملجأ يأوون إليه انتظاراً للمد الذي يسمح لهم بالدخول إلى سلا، وهو أيضا بالنسبة إليهم مرصد مهم يراقبون منه ما يجرى في عرض البحر. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 227.

(3) انظر ترجمته في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض: ترجمة رقم 1474، والاستقصا، للناصري: 2/ 7، والمعسول، لمحمد المختار السوسي: 11/ 40، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 159.

(4) هو كتاب: عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذي، لأبي بكر، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، المعافري، الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، المعروف بابن العربي، العالم المشارك في الحديث والفقه والتفسير والأصول وغيرها، المتوفى سنة 543هـ. انظر: هدية العارفين، للبغدادي: 2/ 90.

من الأمير يحيي بن إبراهيم الكدالي القائم بأمر صنهاجة، والمتريس عليهم في حروبهم لأعدائهم، فلما وصل تلقاه أهل كدال ولمتونة بكلّ ترحاب، وتيمنوا به وبالغوا في إكرامه، ثم شرع يعلمهم القرآن العظيم، ويقيم لهم رسم الدين، ثم لما كانت قبائل البربر لجهلهم قد اعتادوا عوائد مخالفةً كل المخالفةِ لروح القرآن ابتدأ ينهاهم عن تلك العوائد، فلقي منهم أذناً صماءَ، ورفضوا تعاليم القرآن رفضا باتّاً لكي لا يخلعوا تلك العوائد التي انغرست في أذهانهم، فلما رأى عبد الله بن ياسين إعراضهم عنه واتباعهم لأهوائهم عزم على الرحيل عنهم إلى بلاد السودان الذين دخلوا في دين الإسلام يومئذ، فلم يتركه يحيي بن إبراهيم لذلك، وقال له: إنما أتيت لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي، وما عليّ فيمن ضلّ من قومي.

ثم أشار عليه أن يعتزلا العالم، وأن يذهبا إلى جزيرةٍ قريبةٍ هناك؛ ليتعبدا فيها، فوافق عبد الله بن ياسين على ذلك وذهب هو ويحيى بن إبراهيم ومعهما سبعة نفر من كدالة إلى تلك الجزيرة وابتنى فيها عبدالله بن ياسين رابطة (منها لقب مرابطين) هناك، وأقام في أصحابه يعبدون الله مدة ثلاثة أشهر، فتسامع الناس بهم، وأنهم اعتزلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار؛ فكثر الواردون عليهم والتوابون لديهم فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم إلى الخير، ويرغبهم في ثواب الله، ويحذرهم ألم عقابه حتى تمكن حبه من قلوبهم، فلم تمر عليه إلا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة، فسماهم المرابطين للزومهم رابطته، ولما آنس منهم التقوى ندبهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة، وقال لهم: (معشر المرابطين إنكم اليوم جمع كثير نحو ألف رجل، ولن يغلب ألف من قلة، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله وهداكم إلى صراطه المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم؛ بأن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر، وتجاهدوا في الله حقّ جهاده).

فقالوا: أيها الشيخ المبارك، مرنا بما شئت تجدنا سامعين لك مطيعين، ولو أمرتنا بقتل أبنائنا لفعلنا، فأمرهم بإرشاد عشائرهم وإرجاعهم عن غيهم، فوعظوهم فلم يتعظوا، وزجروهم فلم يزدجروا، فخرج إليهم عبد الله بن ياسين بنفسه ووعظهم وحذرهم فلم يسمعوا له كلاماً، فلما يئس منهم أمر أصحابه بجهادهم، فبدأ أولاً بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين، فانهزموا بين يديه، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وأسلم الباقون إسلاماً جديداً وحسنت أحوالهم، ثم سار إلى قبيلة لمتونة فنزل عليهم وقاتلهم حتى انتصر عليهم وأذعنوا إلى الطاعة، وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة، ثم سار إلى قبيلة مسوفة

فقاتلهم حتى أذعنوا له وبايعوه على ما بايعته لمتونة وكدالة، فلما رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا إلى التوبة والمبايعة وأقرُّوا له بالسمع والطاعة، فلما قوي أمر عبد الله بن ياسين أخذ في اشتراء السلاح وتجنيد الجنود لغزو القبائل، حتى ملك جميع بلاد الصحراء وذللها، وطار صيته في بلاد المغرب، ولما بلغ خبره أهل سجلماسة ودرعة اجتمعوا وكتبوا إليه كتاباً يرغبون إليه في الوصول إلى بلادهم ليطهرها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف من الأمراء، فلما وصل الكتاب إلى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأه عليهم واستشارهم فيما يجيب به، ففوضوا أمر ذلك إلى فطنته، وأظهروا إذعانهم وطاعتهم بأوامره، فدعا لهم بالخير وحضهم على الجهاد، وخرج بهم في (2) صفر سنة (447) هجرية في جيشٍ كثيفٍ من المرابطين، فسار حتى وصل إلى بلاد درعة، فطرد منها عامل مسعود بن وانودين الخزروني، واستولى عليها واتصل خبر تقدمه بمسعود، فجمع جيوشه وسار لقتاله، فالتقى الجمعان بين درعة وسجلماسة، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتل مسعود وانهزم جمعه، واستولى عبد الله بن ياسين على سجلماسة وأصلح شأنها، وغيّر ما وجد بها من المنكرات، وقطع المزامير وآلات اللهو، وأحرق الدور التي تباع فيها الخمور، وأزال المكوس وأسقط المغارم المخزنية، ومحا ما أوجب الكتاب والسنة محوه، استعمل على سجلماسة عاملاً من لمتونة، وعاد إلى الصحراء، ثم تحرك لفتح بلاد السوس، فزحف إليها، وغزا جرولة من قبائلها، وفتح مدينة ماسة وتاروادنت قاعدة بلاد السوس، وكان بها قوم من الرافضة فقاتلهم عبد الله بن ياسين حتى قبلوا مذهب السنة والجماعة ، ثم ارتحل عبد الله بن ياسين إلى بلاد المصامدة ففتحها بالسيف، واستولى عليها قوةً واقتداراً، ثم تقدم إلى بلاد قبائل برغواطة، واستولى عليها في وقائع كثيرة شهيرة في كتب التاريخ، وكان عبد الله بن ياسين أصيب في أثنائها بجراح أتت على روحه المقدسة عشية يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، ودفن بناحية الرباط في الموضع المعروف بكريفلة في الگارة؛ ولذلك يسميه زعير سيدي عبد الله مولى المگارة، وهي بتراب أولاد كثير سكان عمل الرباط بنحو ثلاثين كيلو متراً.

وكون عبد الله بن ياسين مدفون بكريفلة مجمعٌ عليه، ففي "المسالك والممالك" للبكري[1] عند ذكر لمتونة وكدالة، وسيرة عبد الله بن ياسين وغزواته ما نصّه: "وقتل

(1) هو كتاب: المسالك والممالك، لأبي عبيد، عبد الله بن عبد العزيز، البكري، الأندلسي، المتوفى سنة 487هـ انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: 2/ 1664.

ببرغواطة سنة (451) بموضع يسمى كريفلة، وعلى قبره اليوم مشهد مقصود ورابطة معمورة". اهـ.

ونحوه لابن خلدون في العبر[1]، والناصري في الاستقصا.. وغيرهم، وقال أبو القاسم الزياني في "الترجمان المعرب"[2] : " دفن على ربوة بوادي كريفلة، فقبره ظاهر يزار، وقفت عليه وزرته عام (1156) ". انتهى منه باللفظ، وضريحه في الربوة الموصوفة، عليه قبة تضعضعت أركانها، وخارت دعائمها، وبجوارها مسجد اندرس لم يبق إلا محرابه، وله مصفية ماء بها بناء ضخم مهول بعد العهد بمثله في المغرب، والمطلع عليه يظن لكبرها أنها تكفي قبيلة زعير كافّة؛ إلا أن مجاريها ومنافذها انطمست شأن كلّ بناءٍ قلّ ساكنوه وعدم متفقده، مع أنّ المقطوع به أنه بقية أطلال البناءات المرابطية التي كثيراً ما بحث النُّقّاب عن بقيتها في المغرب فلا يجدون لها أثراً، فهذا بناء المرابطين على ضريح مهديهم وممهد دولتهم فكيف يكون !!

تنبيه:

وقع لأبي الربيع الحوات في "الروضة المقصودة" في ترجمة دفين الرباط الشيخ الصالح البركة الرحال الجوال أبي محمد الحاجّ عبد الله بن ياسين الشاذلي طريقةً المتوفى سنة (1185) ما نصّه: "هو أبو محمد الحاجّ عبد الله بن عبد السلام بن ياسين، ينسب رهطه للإمام الصالح عبد الله بن ياسين المصمودي الجزولي المجاهد المذكور في دولة المرابطين من اللمتون، وهو المدفون في محلة المواسين من مراكش" . اهـ. منها، وهو غالط؛ فإن دفين مراكش عبد الله بن ياسين الدغوغي أخ الشيخ عبد الخالق الشهير ضريحه بأرض الوداية[3] قرب مراكش متأخر عن المترجم له هنا، وممن جزم بذلك المؤرخ الأديب محمد الأمين الصحراوي في كتابه : "المجد الطارف" في موضعين قال في أولها: "كان عبد الله بن ياسين الدغوغي من القرن

(1) هو كتاب: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد خلدون، الحضرمي، المتوفى سنة 808هـ وهو مطبوع متداول.

(2) هو كتاب: الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب، لأبي القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياني، المؤرخ، الرحالة، الوزير، المولود بفاس، والمتوفى بها سنة 1249هـ. انظر ترجمته في: اليواقيت الثمينة، للأزهري: 1/ 104، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 230، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 8/ 9، وللكتاب نسخة خطية، في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (10859).

(3) الأوداية: إحدى جماعات حوز مراكش. انظر: معلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 62.

السادس زمن الموحدين، وله حال وعلم وصلاح، وكذا أدرك صدراً من القرن السابع؛ لأن التادلي ذكره في "التشوف" استطراداً في ترجمة شيخه أبي محمد الجزولي، فقال في وصفه: "وأخذ عنه أبو محمد عبد الله بن ياسين فقيه المصامدة الآن"[1]، يعني وقت تأليفه للتشوف، وهو شرع فيه كما في طالعته سنة (617)هـ[2].

وقال محمد الأمين الصحراوي بعد ذلك عن عبد الله بن ياسين هذا: مات شهيداً مع الأمير أبي بكر اللمتوني في برغواطة، وذلك قبل بناء مراكش، وعلى مقامه اليوم قبة ببلاد الشاوية وهي برغواطة في القديم، وكثير من الناس يعتقد أنه عبد الله بن ياسين الذي بالمواسين المتقدم ذكره فاعلم ذلك.هـ كلامه، وقولهم: دفن ببرغواطة ومات ببرغواطة يعني في بلاد حكمهم، وكانت بلاد زعير تعدّ في القديم من تامسنا التي هي عاصمة برغواطة . فافهم، والله أعلم وأحكم.

*** [190] عبد الله بن أبي بكر بن زهر الطبيب (المتوفى سنة 602هـ)**

هو الأديب الطبيب ابن الطبيب ابن الطبيب ابن الطبيب أبو محمد عبد الله بن الوزير الحكيم أبي بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر الأندلسي ثم المغربي، ولد بمدينة أشبيلية سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ونشأ في حجر والده، وكان وزيراً حكيماً لم يكن في زمانه أعلم منه بمعرفة اللغة وعلوم الطب، ويوصف بأنه قد أكمل صناعة الطب والأدب وعانى عمل الشعر وأجاد فيه، وخدم الدولتين : دولة الملثمين، استمر في الخدمة مع أبيه في آخر دولتهم، ثم خدم الموحدين وهم بنو عبد المؤمن، فكان مع أبيه في خدمة عبد المؤمن، وفي أيامه مات أبوه وبقي هو في خدمته، ثم خدم لابنه أبي يعقوب يوسف، ثم لابنه يعقوب أبي يوسف الملقب بالمنصور ثم لابنه أبي عبد الله محمد الناصر، وفي أول دولته توفي أبو بكر بن زهر وذلك عام ستة وتسعين وخمسمائة، ولما توفي اتصل ولده المترجم بالملك الناصر الموحدي، فقام مقام والده في الخدمة، وكان جيّد الفطرة، حسن الرأي، جميل الصورة، مفرط الذكاء، محمود الطريقة، محبّاً للبس الفاخر، وكان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها والتحقيق لمعانيها.

واشتغل على والده، وأوقفه على كثيرٍ من أسرار علم هذه الصناعة وعملها، قرأ عليه

---

(1) انظر: التشوف، للتادلي، ص: 267.

(2) انظر: التشوف، للتادلي، ص: 41.

كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري[1]، وأتقن معرفته، وكان الخليفة الناصر يحترمه كثيراً ويعرف مقدار علمه ومعرفته، ولم يزل ينعم عليه ويحسن إليه إلى أن توفي برباط الفتح ودفن بها، كان متوجهاً إلى مراكش فاخترمه الأجل دونها، وذلك سنة اثنين وستمائة، ثم حمل من الموضع الذي دفن فيه إلى أشبيلية وبها دفن ثانياً، فكانت مدة حياته خمساً وعشرين سنة. قاله في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"[2].

*** [191] عبد الله اليابوري**

هو أبو عبد الله اليابوري، واسمه محمد؛ ولكنه اشتهر بكنيته أبي عبد الله، ولكثرة الاستعمال لم يبق يعرف إلا بعبد الله اليابوري، وأصله من يابورة إحدى مدن الأندلس، رحل منها إلى المغرب فجاء الرباط بعدما أخذ عن شيوخ التربية في وقته، وأسس زاوية لنفسه بقصد التربية والإرشاد، وهي الزاوية الغربية التي بشالة عن يسار الداخل من بابها الكبير، ومن أجلّ من أخذ عنه بها الإمام الشهير العارف سيدي أحمد بن عاشر دفين سلا، قال أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي في كتابه "السلسبيل العذب والمنهل الأحلى"[3] " أن الشيخ الكبير الشأن صاحب الكرامات والحالات الحسان أبا عبد الله اليابوري هو معروف القدر معلوم الحال أحد شيوخ التربية والمنتخبين الأعلام، وكان يسمي سيدي ابن عاشر بالشاب الأسعد الصالح، وكان يأمر أهل الفضل ممن يلتمس بركة بإيناسه والنظر في مصالحه وأسكنه خلوة في زاويته، وتسبب له في إقراء الأولاد القرآن، ولم يزل على بر واستحسان الشيخ أبي عبد الله لحاله إلى أن توفي الشيخ المذكور. انتهى المراد. وكانت وفاته أوائل القرن الثامن، وضريحه لا زال ماثلا بظاهر العلو بالرباط عليه قبة صغيرة مقصودة للتبرك، ومما كُتب عليها هذه الأبيات:

---

(1) هو كتاب: النبات، لأبي حنيفة، أحمد بن داود بن ونند، الدينوري، المتوفى سنة 282هـ وهو في ستة مجلدات كبار. انظر: معجم المؤلفين، لكحالة: 1/ 219.

(2) هو كتاب: عيون الأنباء في طبقات الاطباء، ذكر فيه مشاهير الأطباء والطبيعيين، ورتبه على الأقاليم التي هم منها أي ترتيباً جغرافياً. طبع في القاهرة في جزئين سنة 1300هـ باعتناء أغسطس مولر. وطبع أيضاً في مدينة غوتنغن سنة 1884م باعتناء المذكور مع شروح ألمانية، انظر: معجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 27.

(3) هو كتاب: السلسبيل العذب من المنهل الأحلى، المرفوع للخلافة العزيزية التي لا تزال مناقبها على ممر الدهور تتلى، في سلك من تحلى سلكهم الأربعين في جبل فاس ومكناس وسلا، لأبي عبد الله، محمد بن أبي بكر عبد المهيمن، الحضرمي، المتوفى سنة 787هـ. انظر: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة: 1/ 67، وقد نشر في مجلة معهد المخطوطات المجلد العاشر: 1/ 37.

هَــذِهِ الْــقُبَّةُ ضَــاءَتْ بَهْجَــةً وَتَــجَلَّتْ بِــسُرُورِ النَّــاظِرِينْ
كَــتَبَ الــسَّعْدُ عَلَــى أَبْوَابِهَــا ادْخُــلُوهَا بِــسَلَامٍ آمِــنِينْ
قَــدْ قَطَفْنَــا مِــنْ رِيَــاضِ الــصَّالِحِينَ مَــا اشْــتَهَيْنَا مِــنْ رِيَــاضِ الْيَاسَــمِينْ
وَكَــذَا مِــنْ كُــلِّ زَهْــرٍ عَــاطِرٍ قَــدْ لَقَطْنَــا مَــا يَــسُرُّ النَّــاظِرِينْ
فَــشَكَرْنَا مَــنْ حَبَانَــا فَــضْلَهُ وحَــمَدْنَا اللهَ رَبَّ الْعَــالَمِينْ
إِذْ تَــبَرَّكْنَا بِــعبد الله مَــنْ قَــدْ تَــسَمَّى باليَــابُورِيِّ الأَمِــينْ

ومن قصيدة للقاضي أبي عبد الله محمد بن محمد مرينو الرباطي، أنشأها في مدح صاحب الترجمة سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف يقول فيها:

إِذَا مَــا أُبْــتُ مِــنْ وَجْهِــي وَآبَــا رِفَــاقِي مِنْــهُ وانْقَلَبُــوا انْقِلابَــا
صَــرَخْتُ بِهِــمْ أُصَــيْحَابِي إِلَيْنَــا وُقُــوفاً ضَــارِعِينَ لِمَــا أَصَــابَا
لَــدَى مُغْنًــى تَــوَفَّرَتِ الــدَّوَاعِي لِــمَوْقِفِهِ فَــمَا أَشْــنَاهُ بَــابَا
ضَــرِيحٌ ضَــمَّ مِفْــضَالا هُمَامــاً عَــلَى الأَنْفَــاسِ يَــزْدَادُ اقْتِرَابَــا
تُــشَدُّ لَــهُ الرَّكَائِــبُ كُــلَّ حِــينِ وتَنْــسَكِبُ الــدُّمُوعُ بِــهِ انْــسِكَابَا
وَشَــيْخٌ كُلَّمَــا رُمْــتُ امْتِــدَاحاً لَــهُ مَــا إِنْ كَــشَفْتُ لَــهُ نِقَابَــا
وَفِــي كَــوْنِ ابْــنِ عَاشِــرٍ قَاطِنــاً فِــي سَــلا فَــزعاً لَــهُ يَعْلُــو جَنَابَــا

ومما أفادنيه الأستاذ الأكبر الشيخ أبو السعود والإقبال حياه الله وبياه أنه وقف من آثار المترجم في الخزانة العلمية بأبي الجعد على كتاب في الفقه جمع فيه صاحب الترجمة من المسائل الفقهية ما وقع عليه الاتفاق والإجماع في المذاهب الأربعة.

ومما ينسب له من الشعر قوله من قصيدةٍ يتشوق فيها إلى بلدته تدلّ على سمو مكانته في القريض وصنعته:

سَــلِ الْبَــرْقَ إِذْ يَلْتَــاحُ مِــنْ جَانِــبِ الْبَلْقَــا أَقرطَــي سُــلَيْمَى أَمْ فُــؤَادِي حَكَــى خَفْقَــا
وَلِــمْ أَرْسَــلَتْ تِلْــكَ الْغَمَامَــةُ دَمْعَهَــا أَرِيعَــتْ لِوَشْــكِ الْبَــيْنِ أَمْ ذَاقَــتِ الْعِــشْقَا
غَــرِيبٌ بِأَقْــصَى الْغَــرْبِ مُــزَّقَ قَلْبُــهُ فَــآوَتْ سَــلا فَرْقــاً ويَــابُورَةٌ فَرْقَــا
إِذَا مَــا بَكَــى أَوْ نَــاحَ لَــمْ يَلْــقَ مُــسْعِداً عَــلَى شَــجْوِهِ إِلا الْغَمَامَــةَ والْوَرْقَــا

إلى أن قال في مديحها:

حَـيَاءٌ يَـغُضُّ الـطَّرْفَ إلا عَـنِ الْعُلَـى وعِرْضٌ كَمَاءِ الْمُزْنِ فِي الثَّوْبِ بَلْ أَنْقَى
فَـضْلُ نَـمِيرِ الْمَـاءِ قَـدْ خَـضَّرَ الرُّبَـى وعَـدْلُ مُـنِيرِ الـنَّجْمِ قَـدْ نَـوَّرَ الأُفْقَـا
بَلَـغْتَ بِـنُعْمَاكَ الأَمَـانِيَ كُـلَّهَا فَـمَا بَـقِيَتْ أُمْـنِيَةٌ غَـيْرُ أَنْ تَـبْقَى

كذا وقفت على هذه الأبيات الشعرية في كتاب "المجد الطارف والتالد" لأبي عبد الله محمد الأمين الصحراوي المراكشي عند تعرضه لذكر رحلته بالرباط وزيارته لصاحب الترجمة فقال في حقّه ما نصّه: " وأما اليابوري فلم أجد من عرّف به بعد البحث الطويل سنين عديدة، سوى أني لقيت أوراقاً قديمة اتصلت بيدي من عند الأخ في الله تعالى سيدي إبراهيم النظيفي (1092)هـ رَحِمَهُ اللهُ المتوفى في مراكش في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين وألف فيها بعض قصيدة للإمام اليابوري وفي مطلعها من حسن النسيب والعذوبة ما لا مزيد عليه، ونصّ ما في الأوراق: " ولسيدي عبد الله اليابوري رضي الله عنه: سل البرق... إلى آخر الأبيات السابقة، ثم قال بعدها: هذا ما وجدته في تلك الأوراق بخطٍ قديم مضبوط، وليته كمّل هذه القصيدة ولم يترك منها بيتاً؛ لما فيها من حسن النسيب، والظاهر أن البيت الأخير ختم به القصيدة لحوزه براعة الختم، فهو كقول الشاعر:

بَقِيتَ بَقَـاءَ الـدَّهْرِ يَـا كَهْـفَ أَهْلِـهِ وهَـذَا دُعَـاءٌ لِلْبَرِيَّـةِ شَـامِلُ[1]

والله أعلم بهذا الممدوح، وظاهر هذا الأسلوب أنه من أمراء وقته، ويابورة بضم الباء: بلدة بالأندلس، خرج منها علماء، ولو لم يكن منها إلا هذا الإمام الجليل لكفى.

*** [192] عبد الله المعروف بسيدي مخلوف (أواسط المائة الثامنة)**

ترجمه أبو عبد الله الحضرمي فذكر أنه من أهل بادية سلا ومن أهل الصلاح والعبادة، وممن طار له ذكر في الاشتهار بالخير، وله صحبة مع سيدي أبي العباس ابن عاشر، ولقي غيره من أكابر السلويين، وله حالة معروفة وكرامة مشهورة، فمما حدث به بعض أصحابه قال: كان الشيخ أبو محمد معتكفا في العشر الأواخر من رمضان بجامع القرويين من فاس، وكنت إذ ذاك أخدمه وأهيئ له ما يحتاج إليه، وكان له في الوقت أهل وقرابة بموضع من ظاهر سلا، فبينما أنا جالس معه في الخلوة وإذا به قام بسرعة وصاح وضرب بيده واغتاظ غيظاً شديداً،

(1) البيت من الطويل، وينسب لأبي العلاء المعري، ولأبي الطيب المتنبي، ولم أقف عليه في ديوان أي منهما، والشاهد فيه حسن الانتهاء. انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي، ص: 460.

فلما سكن ما به تلطفت في سؤاله عن ذلك، فقال لي: إن فلاناً - وعين واحداً من جيرانه في البادية - قد استشرف الآن لينظر على زوجتي في بيتها، فصحت به ولطمته. قال: فأرخت ذلك اليوم وخصصت تلك الساعة وفحصت بعد ذلك عما أخبر به فو الله ما غادر شيئاً مما جرى، وقال لي ذلك الرجل لما سألته عن المسألة: نعم سمعت صياحه ورأيت يده لطمتني ولم أر شخصه.

وحكى بعض الموثوق بهم من أصحاب سيدي أبي العباس ابن عاشر وآخر مثله أنهما رأياه وقد جاز عشية من وادي سلا من هذه العدوة إلى تلك الأخرى من غير قارب في أسرع وقت، قالا: ولا علمنا كيف صنع هل مشى على الماء أو خطا خطوة من هذه العدوة، وانطوى له الفضاء، وله حظ من مراقبة الخوف وقمع الهوى، وقد قال الله عز وجلّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠]. انتهى الغرض بحروفه.

توفي بالرباط أواسط المائة الثامنة أيضاً ودفن بالهضبة المشهورة باسمه المطلة على وادي أبي رقراق، وبنيت على ضريحه قبة صغيرة مقصودة للزيارة؛ لكن الدهر الخؤون خان بها فتركها لأيدي الإهمال تلعب بها كما تشاء[1] ومن دخلها قضى كل العجب مما يرى، وسلّم الأمر للقضاء.

* [193] سيدي عبد الله الحويشي (المتوفى سنة 1300هـ)[2]

هو الولي الصالح الكوكب اللائح العارف بالله تعالى الغوث الرباني المكاشف الصمداني، قريب الصرخات، وصاحب الفتوحات، والمغيث عند الكربات أبو محمد، عبد الله بن عبد الله الحويشي، كذا حلاه صاحب كتاب: "دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ سيدي علي بن عبد الرحمن"[3]. وقال سيدي أحمد بن عبد القادر في اختصار "ممتع الأسماع" في حقِّ صاحب الترجمة أنه كان رجلاً كبير السن ينتسب للسيد علي بن عبد الرحمن، وقد رأيته سنة اثنين وتسعين يعني بعد الألف، وعلى وجهه أمارة المسكنة، مات برباط الفتح ودفن بها، وقال الحفيد العكاري في حقّه: "هو الشيخ الصالح البركة الناسك

(1) يوجد في الأصل إحالة ولا شيء بالحاشية.

(2) انظر ترجمته في: البدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري: لوحة رقم: 87/ ب، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 84.

(3) هو كتاب: دوحة البستان ونزهة الإخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمن، لمحمد بن علي المنالي، الزبادي، المتوفى سنة 1209هـ صنفه في مناقب شيخه علي بن عبد الرحمن الدرعي، وله نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (390/ د) وأخرى في الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم (13964). انظر: معجم المؤلفين، لكحالة: 11/ 119.

السالك، أخذ طريقته عن شيخه الإمام حسنة الليالي والأيام سيدي علي بن عبد الرحمن الدرعي دفين جبل دير تادلا عن أبي عبد الله الداوزغتي الدادسي عن قطب زمانه أبي بكر الدلائي، وطريقته هذه جزولية شاذلية تلقاها عن شيخه المذكور، وكان يلقنها إلى أن توفي"[1]. انتهى.

وكانت وفاته كما في كتاب الدوحة ليلة الجمعة الرابع عشر من صفر الخير عام ثلاث مائة وألف، ولم يزل قبره وضريحه معروفاً مقصوداً للزيارة والتبرك بإزاء زاوية شيخه المذكور.

* [194] القاضي الدرعي[2]

هو القاضي أبو محمد سيدي عبد الله الدرعي الرباطي، كان من خواص الشيخ العكاري الملازمين له، وكان كثيراً ما يرجع إليه المشكلات، ويتردد إليه في حلّ العويصات من المسائل والمعضلات. كذا ذكره في الفهرسة، وألف تآليف منها شرح على العاصمية، يوجد بخزانة الدار العلية على ما قيل.

* [195] عبد الله المؤذن[3]

الفقيه الأديب الواعظ المجود أبو محمد بن علي المؤذن الشريف الحسني العلمي، أحد تلامذة الشيخ العكاري، وممن اشتهر بمعرفة التجويد كما في فهرسة الحفيد.

* [196] عبد الله الحمير (كان حياً عام 1121هـ)[4]

الفقيه العلامة الخطيب العدل الشيخ البركة المسن أبو محمد عبد الله بن محمد المحرزي الحمير، بضم الحاء، وبه يعرف كما في الفهرسة العكارية، جاء ذكره من جملة الملحقين بتلامذة الشيخ العكاري، وكان من أهل شالة، وله مراسلة مع الشيخ سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي، كما في "نزهة الناظر"[5] لسيدي أحمد المذكور يقول فيها: " من عبد الله تعالى وأقلّ عبيده وأحوجهم إليه عبد الله بن محمد الحمير إلى المحبّ الحبيب الفقير الشهير أبي العباس

---

(1) انظر: البدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري: لوحة رقم: 87/ ب.

(2) انظر ترجمته في: البدور الضاوية، المعروف بفهرسة العكاري، لوحة رقم: 13/ أ، ومجالس الانبساط، لدنية، ص:90.

(3) انظر ترجمته في المصدر السابق: لوحة رقم: 11/أ.

(4) انظر ترجمته في: فهرسة العكاري، ص: 38.

(5) هو كتاب: نزهة الناظر وبهجة الغصن الناضر، لأبي العباس، أحمد بن عبد القادر التستاوتي، المتوفى سنة 1129هـ انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة: 2/ 415.

سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي أمدنا الله وإياكم بمحبته، وجعلنا في زمرة أهل معرفته، سلام عليكم ومن بكم وإليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أمّا بعد: قد كنت حال قدومك لشالة المعظمة بالله للتعزية في صهرك... " إلى آخرها، وكان صدور هذه الرسالة عند عام (1121).

*** [197] عبد الله بن الطيب جسوس (كان حياً 1150)**

من علماء الرباط ووجهاء بيت آل جسوس البيت الشهير بالعلم والفضل خلفاً عن سلف في كثيرٍ من حواضر المغرب؛ ولا سيما بفاس، ومنه أهل المترجم، انتقل والده الطيب مع أخيه الفقيه السيد عبد العزيز لما وقعت لابن قاسم جسوس القضية الشهيرة في التاريخ، وكان المترجم من وجهاء العدول الموثقين في عهد قاضي الرباط السيد المهدي مرينو، كان رفيقه في تعاطي الشهادة الفقيه العدل السيد بوعزّ ابن القاضي البكري، ووقفت على رسم شهادة بشراء الفقيه الحجّة سيدي أحمد بن عبد الله الغربي لدار أولاد الغربي الشهيرة قرب جامع النخلة بالرباط، والرسم مكتوب بخط العلامة السيّد الهاشمي شكلانط الأندلسي، وبشكله أولاً ثم عطف عليه المترجم بشكله ثانياً، وذلك بتاريخ آخر رجب عام ثمانية وخمسين ومائة وألف.

*** [198] الحاج عبد الله بن عبد السلام بن ياسين الرحالة (المتوفى سنة 1185هـ)[1]**

أحد مشايخ الشيخ التاودي كما للحوات في " الروضة المقصودة " لدى ذكر شيوخ التاودي قال: "ومنهم الشيخ الصالح البركة المؤمن[2] في السكون والحركة المسن الرحالة الجوّال، أخو الأمداد والمكارم والأفضال، أبو محمد الحاجّ عبد الله بن عبد السلام بن ياسين، ينسب رهطه للفقيه الإمام الصالح الساعي في مصالح الإسلام السيّد عبد الله بن ياسين المصمودي العلامة المشهور والمجاهد المذكور في دولة المرابطين من لمتونة، وصاحب الوقائع الشهيرة في ذلك، وكان من الشهرة بمكان لا يحتاج معه إلى تعريف وبيان".[3]

كان صاحب الترجمة شيخاً[4] حسن الأخلاق متمسكاً بالسنة في عامة أفعاله على الإطلاق، حجّ مراراً وزار ولقي جماعة من الأشياخ الأبرار، وناهيك بالشيخ الإمام شمس

---

(1) انظر ترجمته في: الروضة المقصودة، لحوات: 2/ 555، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 32 .

(2) في الأصل (الموفق)، والمثبت من الروضة لحوات.

(3) انظر: الروضة المقصودة، لحوات: 2/ 555.

(4) في الأصل (شيخنا) والتصويب من الروضة. انظر المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

الملة والإسلام المشاهد النبي عليه الصلاة والسلام في اليقظة والمنام أبي حامد العربي التلمساني نزيل مصر نفع الله به.

وكان صاحب الترجمة من لدن عنفوان الشباب، وهو يطلب شيخاً يوصله إلى معرفة رب الأرباب، حتى نودي بالأمر في الأخذ عن الولي السالك أبي عبد الله محمد الفقيه المصمودي...[1] زاويته [بالعيون][2] من فاس المحروسة فأخذ عنه وانتفع به وبعد موته.

أخذ أيضاً عن الولي الشيخ السني أبي العباس أحمد بن ناصر الدرعي ﷺ وكان [آخر من تأخر][3] من أصحابه وأولهم في الفضل والدين.

رأيت الشيخ أسند عنه في بعض الإجازات " دلائل الخيرات "، "والحزب الكبير" أيضاً وبردة المديح للبوصيري.

وكانت وفاته سنة خمس وثمانين ومائة وألف بثغر رباط الفتح بعد أن كان يتردد بالسكنى فيما بينه وبين مراكش وفاس؛ لما رمى من يده عصى التسيار ولزم المغرب دار القرار رحمه الله ورضي عنه. انتهى من " الروضة " بحذف[4].

* [199] عبد الله البناني قاضي الرباط (المتوفى سنة 1220هـ)[5]

هو القاضي أبو محمد عبد الله ابن الفقيه أبي عبد الله محمد[6] ابن الفقيه السيد عبد السلام البناني الفاسي أصلاً الرباطي منشأ وداراً، الفقيه العلامة المفتي النوازلي أحد أفراد العائلة البنانية الشهيرة في سائر حواضر المغرب بالعلم والمجد خلفاً عن سلف.

وجدّ المترجم هو أول من جاء إلى الرباط من هذه العائلة بعثه السلطان مولاي إسماعيل برسم الإقراء ونشر العلم بالرباط كما في طبقات حفيده العارف بالله الشيخ فتح الله. وبالجملة فصاحب الترجمة ممن غذي بلبان أسلافه الكرام فارتدى بأردية العلم والفضل وكان من قضاة العدل، وتصدر للشهادة والإفتاء في الأحكام، فكان من حملة الأقلام، بل

---

(1) أشار محقق الروضة إلى وجود بتر في النسخ المعتمدة قدره كلمة ويظهر من اختلال السياق.

(2) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل والتصويب من الروضة.

(3) بياض في الأصل، والمثبت من الروضة.

(4) انظر: الروضة المقصودة، حوات: 2/ 554 و555.

(5) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص:299، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 137، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 101، وذكر أن وفاته كانت في 1220هـ.

(6) ضبطه دنية (محمد) بفتح الميمين "مَحْمَد". انظر: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 137.

كان الشاهد المبرز والمفتي المتميز والمدرس الأروع، والكاتب الأبرع والخطيب الأبدع، ولم يقض رحمه الله من هذه الدار نحبه ووطره حتى خلف ذرية صالحة اقتفت في الفضل مسلكه وأثره، ولا غرو في فضل ورثته الأحفاد عن الآباء والأجداد، ولم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث ولكن اتصلت حياته إلى حدود العشرين من القرن الثالث بعد الألف.

* [200] عبد الله ملين (المتوفى سنة 1307هـ)(1)

الفقيه البركة المدرس المؤدب الخطيب السيد عبد الله بن أحمد ملين، عالم فاضل مؤدب بالمكتب المسامت لجامع عطية، وبهذا الجامع كان يدرس بعض المتون العلمية. لازم الفقيه السيد البدوي السرايري مدة مديدة يتعاطى عليه، وكان في سائر دروسه هو القارئ بين يديه إلى أن توفي شيخه المذكور فاستقل بعده بالتدريس، وتولى الخطبة مكانه بجامع مولاي سليمان، وكان رحمه الله مثال الديانة والورع وتمثال الزهد والفضل متحرياً أكل الحلال ولبس الحلال، متحلياً بأكمل الخصال وأفضل الخلال.

وكانت وفاته عام سبعة من هذا القرن، وخلّف ذرية صالحة من بعده كولده الفقيه العدل المفضال السيد أحمد ملين المتوفى يوم الأربعاء ثاني صفر الخير عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف، وولده حبيبنا بل أخينا العلامة المدرس السيد محمد ملين، وهو اليوم خطيب الزاوية الناصرية وناظر الأحباس الكبرى بالرباط سدده الله وأبقاه وأدام في أوج المجد ارتقاه، آمين.

* [201] عبد الله بن محمد التادلي (المتوفى سنة 1332هـ)(2)

تلميذ الولي الصالح سيدي العربي بن السائح، أحد الخواص المأذونين من قبله بوظائف الطريق الأحمدية التجانية، وكم له فيها وفي الشيخ سيدي أحمد وشيخه سيدي العربي المذكور من مديح وقول فصيح، وكان رحمه الله أديباً صوفيا مطلعاً على كتب القوم متأدباً بآدابها سيما بآداب طريقته، فقد كان متمسكاً بأهدابها متنسكاً متشبعاً بكلام الخاصة من أربابها، جالسته وحاضرته فإذا مجلسه مجلس وعظ ونصح ومحاضرته محاضرة فتح ونجح، ووقفت من آثاره على أرجوزة في علم البديع نظم بها أنواع المحسنات التي استقرأها صفي الدين وأوصلها إلى مائة ونيف وخمسين يقول في مطلعها:

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 219، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 307.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 320، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 419.

عِلْـمُ الْبَـدِيعِ حُـصِرَتْ أَقْـسَامُهُ   ونُـشِرَتْ بَـيْنَ الْـوَرَى أَعْلامُـهُ
أَوْصَـلَهَا الْحَلِـيُّ صَـفِيُّ الـدِّينِ   لِعَـدَدٍ فِـي الرَّمْـزِ ذِي تَمْكِـينِ

ولد رحمه الله في ثاني عشر ربيع الثاني عام 1266هـ وتوفي في عاشر جمادى الثانية عام 1336هـ.

*[202] عبد الله بن العربي التهامي الوزاني (المتوفى سنة 1338هـ)[1]

دوحة الشرف، وذروة المجد العالية الشُّرف، شريف يملحي، وعالم أديب أريحي، ذو وجهٍ وسيم، وثغرٍ بسيم، وخلقٍ يزري بلطف النسيم إلى جود وسخاءٍ ونعمة وثراء وهمة شماء تطاول السماء إلى وقارٍ وسمت وفخارٍ وأناةٍ ورزانةٍ، وديانة في غاية المتانة، ودعابةٍ وفكاهة ملحوظة بعين الحرمة والنزاهة.

أخذ عن الشيخ أبي إسحاق التادلي وتأدب عن القاضي الفاضل أبي حامد البطاوري، وكانت جلّ قراءته عليه، واستجازه فأجازه، وأوضح له في العلم طريقه ومجازه، حقيقته ومجازه إلى أن استقلّ علماً وفهماً وتعاطى الإنشاء نثراً ونظماً، وكم له من خدمات وأسفار ورحلات ! إلى أن أصيب بإقعاد في آخر حياته بسبب داء عصبي أعيا الأطباء علاجه؛ فكان سبب وفاته في شهر ربيع عام (1338هـ)، وإليك ما كتبته جريدة السعادة في منعاه، طيّب الله ثراه وأخصب مرعاه، قالت: " خطبٌ جسيم ورزء عظيم، في صبيحة الأمس انهدم ركن عظيم من أركان بيت الشرفاء الوزانيين، واندك طودٌ شامخ من نخبة علماء الدين العاملين، فشقت جيوب، وسكبت دموع؛ ولكن لم يكن كلّ ذلك واقياً من وقوع ما لابد منه، أو دافعاً للأجل المحتم، نعم أنشبت المنية أظفارها بسليل بيت الشرف والمجد الفقيه العلامة المحقق مولاي عبد الله الوزاني بن شيبة الحمد، الشريف البركة المزار مولاي العربي الوزاني أحد أقطاب العائلة الوزانية بالعاصمة.

ولقد كان الفقيه المأسوف عليه مصاباً بداء عضال حارت فيه عقول نطس الأطباء ولم ينفع في علاجه أي دواء، فألزم فقيدنا الفراش مدة مديدة كان خلالها رحمه الله أحسن من ابتلي فصبر إلى أن ختمت أنفاسه الكريمة صبيحة الأمس ولم يكن خبر موته ينتشر في المدينة حتى هرع أعيانها ووجهاؤها على اختلاف طبقاتهم وحيثياتهم، ثم لما بلغ صداه للدوائر المخزنية جاء بعد صلاة الجمعة ذوو السعادة الوزراء الكرام وسيادة الحاجب السلطاني وباشا المدينة

(1) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 425.

لحضور الجنازة، فصلي على الفقيد بجامع مولاي المكي وأقبر بالزاوية التهامية المجاورة لداره تغمده الله سبحانه بالرضى والرضوان وأسكنه فسيح الجنان جوار جده خير ولد عدنان.

وإن جريدة السعادة لمشاركة لذوي الفقيد في هذا المصاب الجلل الذي لا شك أن يشارك فيه جميع إخواننا المسلمين سكان الإيالة الشريفة نظراً لما كان الفقيد المنعم عليه متحلياً به من الأخلاق الحميدة الموروثة عن سلفه الطاهر.

فنعزّي فيه جلالة مولانا السلطان ورجال المخزن السعيد والسادات الشرفاء الوزانيين وخصوصاً والده البركة المحترم ونجليه الأكرمين وابن عمه الشريف سيدي عبد الكريم وبقية الشرفاء الساكنين بالرباط، ونسأل الله سبحانه أن يجعل لنا في والد الفقيد العزيز أحسن قدوة نقتدي بها في مقابلة هذا الخطب الجسيم بجميل الصبر ونبتهل له تعالى أن يجعل لنا أيضا في نجليه الأكرمين خير خلف لخير سلف إنه سميع مجيب، وفي رثائه قال الأديب سيدي محمد بن اليمنى الناصري:

الْمَوْتُ لا يَرْثِي لَنَا ... لَكِنْ يُشَتِّتُ شَمْلَنَا
لا تَغْفَلَنَّ فَإِنَّهُ ... يَسْقِي الْوَرَى كَأْسَ الْفَنَا
لا فَرْقَ بَيْنَ جَلِيلِهِمْ ... وحَقِيرِهِمْ مَهْمَا أَنَى
يَجْنِي ويَحْصِدُ دَائِماً ... مَنْ قَدْ أَطَاعَ ومَنْ جَنَى
وَأَخَا الْمَهَابَةِ والْمَهَا ... نَةِ والْمَثَانَةِ والْوَنَى
وَذَوِي الْمَذَاهِبِ والْمَوَا ... هِبِ والْمَوَاكِبِ والْجَنَى
وَذَوِي السِّيَاسَةِ والرِّيَا ... سَةِ والْكَيَاسَةِ والإِنَى
وَذَوِي الْفَرَاهَةِ والْفَهَا ... مَةِ والرَّفَاهَةِ والْغِنَى
وَذَوِي الْبَدَائِهِ والْبَدَا ... ئِعِ والْبَضَائِعِ والْقَنَا
وَذَوِي الْوَجَاهَةِ والنَّبَا ... هَةِ والنَّزَاهَةِ والزنى[1]
طُوبَى لِعَبْدٍ قَدْ أَطَا ... عَ وكَانَ بَرّاً مُحْسِنَا
وَمَنِ اتَّقَى تَقْوَى الإِلَـ ... ـهِ فَقَدْ قَنَى مِنْهُ الْقَنَا
يَا سَعْدَهُ يَوْمَ اللِّقَا ... يَلْقَى السَّعَادَةَ والْهَنَا

(1) كذا وردت في الأصل.

كَـــالْبَرِّ عبـــد الله مَـــنْ بِـــوَفَاتِهِ دَجَـــتِ الـــدُّنَا
ذَاكَ الـــشَّرِيفُ الْفَـــرْدُ مَـــنْ شَـــادَ الْـــمَفَاخِرَ وابْتَنَـــى
ذَاكَ الأدِيـــبُ الْحُـــرُّ مَـــنْ خَـــدَمَ الْمَعَـــارِفَ واغْتَنَـــى
قَـــدْ كَـــانَ فِـــينَا سَـــيِّداً بَـــرّاً عَطُـــوفاً لَـــيِّنَا
قَـــدْ كَـــانَ ذَا صَـــبْرٍ إلَـــى كُـــلِّ الْـــمَحَاسِنِ قَـــدْ رَنَـــا
قَـــدْ كَـــانَ يَقْـــدِرُ قَـــدْرَ ذِي الْـ قَـــدْرِ الْـــمُعَظَّمِ والـــسَّنَا
وَيُـــجِلُّ أَرْبَـــابَ الْجَـــلا لَـــةِ وهْـــوَ مِـــنْهُمْ بِاعْتِنَـــا
وَيُـــقَابِلُ الْقُـــصَّادَ طُـــرْ رَاً بِـــالْقَبُولِ الْـــمُجْتَنَى
قَـــدْ كَـــانَ ذَا وَجْـــهٍ وَجِيـــهٍ كَـــانَ يُـــفْرِجُ غَـــمَّنَا
كُنَّـــا بِنُـــورِ جَـــبِينِهِ نَـــجْلُو الـــظَّلامَ الأَدْكَنَـــا
قَـــدْ كَـــانَ فِـــينَا طَـــيِّباً حُـــلْوَ الْفُكَاهَـــةِ والْجَنَـــى
قَـــدْ[1] كَـــانَ وهْـــوَ مُعَظَّـــمٌ حَـــتَّى تَـــخَطَّاهُ الْـــمُنَى
فَـــبِكُلِّ طَـــرْفٍ عَـــبْرَةٌ تَحْـــشُو الْحَـــشَا نَـــارَ الـــضَّنَا
وَبِـــكُلِّ نَـــادٍ نَـــادِبٌ بِرِثَـــائِهِ قَـــدْ أَعْـــلَنَا
جَـــمَعَ الْبُكَـــاءَ إِلَـــى النَّحِيـــبِ وقَـــدْ عَنَـــاهُ بِـــذَا الْعَنَـــا
وَذَكَـــتْ بِـــقَلْبِي جَمْـــرَةٌ فَـــاضَتْ بِـــعَيْنِي أَعْـــيُنَا
وَتَـــفَجَّرَتْ حَـــتَّى لَقَـــدْ خَـــدَّتْ بِـــذَلِكَ خَـــدَّنَا
قَـــاسَمْتُ فِـــي رُزْئِـــي بِـــهِ مَـــنْ قَـــدْ نَـــأَى أَوْ قَـــدْ دَنَـــا
لا زَالَـــتِ الرَّحَمَـــاتُ تَغْـــشَـــى قَـــبْرَهُ والْـــمَدْفَنَا
وَرِضَـــا الإِلَـــهُ يَـــحُفُّهُ مَـــا تَـــمَّ عُـــمْرٌ وانْثَنَـــى
أَوْ قَـــامَ يُنْـــشِدُ مُنْـــشِدٌ الْـــمَوْتُ لا يَـــرْثِي لَـــنَا

(1) في الأصل (وقَدْ) ولا يستقيم وزن البيت بهذا .

ذكر من اسمه عبد المؤمن

* [203] الخليفة عبد المؤمن بن علي الموحدي مؤسس قصبة الرباط (المتوفى سنة 557هـ)[1]

أشهر ملوك الموحدين وفخر دولتهم دولة الدين والتمدين.

كان في أول أمره خامل الذكر وسيطا في قومه، وكان والده صانعاً في عمل الطين، يعمل منه الآنية، إلى أن اتصل عبد المؤمن بمحمد بن تومرت[2]

المعروف بالمهدي، رأس الدولة الموحدية، فلازمه إلى أن كان من أمره ما كان. وكان المهدي يتفرس فيه النجابة وينشد إذا أبصره:

تَكَامَلَتْ فِيكَ أَوْصَافٌ خُصِصْتَ بِهَا ... فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ ومُغْتَبِطُ

السِّنُّ ضَاحِكَةٌ والْكَفُّ مَانِحَةٌ ... والنَّفْسُ وَاسِعَةٌ والْوَجْهُ مُنْبَسِطُ

والبيتان لأبي الشيص الخزاعي. وكان يقول لأصحابه: صاحبكم هذا غلاب الدول. وكان يقول: عبد المؤمن من صِدِّيقي هذه الدائرة.

وقال ابن خلدون: آثر المهدي عبد المؤمن بمزيد الخصوصية والقرب بما خصه الله به من الفهم والوعي للتعليم حتى كان خالصة المهدي وكنز صحابته، وكان يؤهله لخلافته لما أظهر عليه من الشواهد المؤذنة بذلك، وفي ذلك يقول ابن الخطيب:

وَخَلَّفَ الأَمْرَ لِعَبْدِ الْمُؤْمِنِ ... فَانْقَادَتِ الدُّنْيَا لَهُ فِي رَسَنِ

حَبَاهُ بَيْنَ الْقَوْمِ بِالإِمَارَةْ ... إِذْ وَضَحَتْ لَهُ فِيهِ الأَمَارَةْ

ولما اجتاز المهدي في طريقه إلى المغرب بالثعالبة عرب الجزائر أهدوا إليه حماراً فارهاً يركبه، لأنه كان ساعياً على رجليه، فكان يؤثر به عبد المؤمن، ويقول لأصحابه: أركبوه الحمار يركبكم الخيول المسومة.

وزعم بنو عبد المؤمن أن المهدي كان استخلفه من بعده، وقال ابن خلكان: لم يصح أنه استخلفه، وإنما راعى أصحابه في تقديمه إشارته، فتم له الأمر، والله أعلم. اهـ.

وكانت بيعته بعد وفاة المهدي بعد صلاة الجمعة لعشرين يوماً من ربيع الأول سنة ست وعشرين وخمسمائة بجامع تينملل، وما لبث أن قام يدعو فتسابق الناس إلى دعوته إلى أن

---

(1) انظر ترجمته في: الأنيس المطرب، لأبي زرع الفاسي، ص: 235، وجذوة الاقتباس، للقاضي المكناسي: 2/ 446، والإعلام، للسملالي: 8/ 391.

(2) في الأصل (تامرت).

استولى على المغرب بأسره، وفتح بلاد إفريقية إلى برقة وبلاد الأندلس، وخطب له على منابر هذه الأقاليم كلها.

وكان رحمه الله أديباً فصيحاً فقيهاً عالماً بالأصول والجدل والحديث، يحب الرجوع إليه دون الفروع، فلذلك أمر سنة 550هـ برد الناس إلى الأصول من الكتاب والسنة، وبتحريق جميع كتب الفروع وملازمة قراءة كتب الحديث واستنباط الأحكام منها، وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم من بلاد الأندلس والعَدْوَة، فجزاه الله خيراً.

وكان مع ذلك مشاركاً في كثير من العلوم الدينية والدنيوية، ذا حزم وسياسة وإقدام في الحرب ومهمات الأمور، ميمون النقيبة، لم يقصد قط بلداً إلا فتحه ولا جيشاً إلا هزمه، محباً لأهل العلم والأدب، مكرماً لوفادتهم، منفقاً لبضاعتهم. ذكر العماد الأصبهاني في كتاب "الخريدة" أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن أبي العباس التيفاشي لما أنشده:

مَا هَزَّ عِطْفَيْهِ بَيْنَ الْبِيضِ والأَسَلِ مِثْلُ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بن عَلِي

أشار عليه بأن يقتصر على هذا البيت، وأمر له بألف دينار.

ويروى أن الوزير ابن عطية رحمه الله مرّ مع الخليفة عبد المؤمن ببعض طرق مراكش فأطلت جارية بارعة الجمال من شباك، فقال عبد المؤمن:

قَدَّتْ فُؤَادِي مِنَ الشُّبَّاكِ إِذْ نَظَرَتْ

فقال الوزير مجيزاً له:

حَوْرَاءُ تَرْنُو إِلَى الْعُشَّاقِ بِالْمُقَلِ

فقال عبد المؤمن:

كَأَنَّمَا لَحْظُهَا فِي قَلْبِ عَاشِقِهَا

فقال الوزير:

سَيْفُ الْمُؤَيَّدِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بن عَلِي

ولا خفاء أن هذه طبقة عالية، رحم الله الجميع بمنه.

ثم إنه لما تمهد له ملك المغربين وإفريقية والأندلس وطاعت له سائر الأقطار، وخضعت له الرقاب في البوادي والأمصار تفرغ لشأنه وتاقت نفسه للجهاد، فعزم على غزو بلاد الفرنج براً وبحراً. فأمر رحمه الله في هذه السنة التي هي سنة سبع وخمسين وخمسمائة بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل ممالكه، فَأُنْشِئَ له منها أربعمائة قطعة، فمنها بحلق المعمورة، وهي التي تسمى

اليوم المهدية مائة وعشرون قطعة ومنها بطنجة وسبتة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة، ومنها ببلاد إفريقية ووهران ومرسى هنين مائة قطعة، ومنها ببلاد الأندلس ثمانون قطعة .
ونظر في استجلاب الخيل للجهاد والاستكثار من أنواع السلاح والعدد، وأمر بضرب السهام في جميع عمله، فكان يضرب له منها في كل يوم نحو عشرة قناطير جدية، فجمع له من ذلك ما لا يحصى كثرة، في خلال هذا وفدت عليه قبيلة كومية كما مر، ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين عبد المؤمن من مراكش قاصداً الأندلس برسم الجهاد، وكان خروجه يوم الخميس خامس ربيع الأول من السنة المذكورة، فوصل إلى رباط سلا، فكتب إلى جميع بلاد المغرب والقبلة وإفريقية والسوس وغير ذلك يستنفرهم إلى الجهاد، فأجابه خلق كثير واجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزقة من قبائل العرب والبربر وزناتة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس من جيوس المتطوعة ثمانون ألف فارس ومائة ألف راجل، فضاقت بهم الأرض وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلا من عين غبولة إلى عين خميس إلى حلق المعمورة، فلما استوفيت لديه الحشود وتكاملت لديه الجنود والوفود كان المعنى الذي أشار إليه القائل:

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ ... تَرَقَّبْ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمْ

فابتدأ بعبد المؤمن مرضه الذي توفي منه، وتمادى به ألمه.

وكانت وفاته بقصبة الرباط التي كان اتخذها لملكه داراً ولأهله وحشمه وسائر حاشيته مزاراً، وذلك ليلة الجمعة الثامن من جمادى الثانية سنة سبع وخمسين وخمسمائة، ثم حمل إلى تينملل فدفن بها إلى جنب قبر الإمام المهدي رحمه الله.

وكونه رباطي الدار والقرار هو ما جاء التصريح به في كلام ابن الخطيب، والمراد قصبة الرباط كما قلنا، فلا يرد أن الرباط لم يكن بُنِيَ إذ ذاك، وهو المراد أيضاً بقول صاحب الأنيس والحلل الموشية[1] أنه مات برباط الفتح كقول ابن الخطيب في النظم:

وَمَاتَ لَيْلاً بِالرِّبَاطِ مِنْ سَلا ... ثُمَّ إِلَى جِبَالِهِمْ قَدْ نُقِلا

(1) هو كتاب: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية لأبي العلاء بن السماك العاملي، المالقي، وقد طبع بتحقيق سهيل زكار وآخر، ونشرته دار الرشاد الحديثة سنة 1979م.

ذكر من اسمه عبد العزيز

[204] سيدي عبد العزيز

من أولياء الرباط الذين لا تعرف لهم ترجمة.

[205] عبد العزيز بن مَحمد جسوس[1]

المتقدم الذكر في ترجمة عبد الله بن الطيب جسوس[2] على أنه انتقل مع أخيه الطيب للرباط بعد نكبة ابن قاسم جسوس الشهير. ووجد بخطه من إنشائه قال: لما كنت آتياً للرباط من الدار البيضاء:

وَلَمَّا تَبَدَّتْ رُسُومُ الرِّبَاطِ ... ولاحَتْ مَعَالِمُهَا مِنْ بَعِيدْ
ذَكَرْتُ بُيُوتاً لَنَا بِالْحِمَى ... وهَاجَ اشْتِيَاقِي لِفَاسَ الْجَدِيدْ

[206] عبد العزيز بن عمرو (المتوفى سنة 1315هـ)[3]

فقيه عدل ضابط موثق حيسوبي استخدم في بعض المراسي وقرأ على والده السيد المكي بن عمرو المتقدم، وتوفي أول الساعة التاسعة أو آخر الثامنة من يوم الأحد الرابع عشر أو الخامس عشر من شعبان عام 1315 ودفن من يومه في الزاوية المختارية وراء أبيه، فصل بينهما قبر واحد، وصلى عليه أخوه الفقيه السيد عثمان الآتي ذكره.

ذكر من اسمه عبد القادر

[207] سيدي عبد القادر بن أحمد (المتوفى سنة 1187هـ)[4]

هو الولي الصالح أبو محمد سيدي عبد القادر بن أحمد الشريف الجيلاني البغدادي من أهل المائة الثانية عشرة، أصله من سلا من الشرفاء القادريين القاطنين هناك كما جاء ذكره في ظهير إسماعيلي بتاريخ الخامس والعشرين من رجب سنة ثلاثين ومائة وألف ومضمونه توقير واحترام حملته أولاد مولاي عبد القادر الجيلاني وهم السيد علي بن أحمد الشريف وأولاد ابن عمه السيد محمد ابن السيد أحمد الشريف وإخوانه السيد عبد القادر والسيد عبد الله والسيد الشريف والسيد عبد الرزاق والسيد الطاهر والسيد محمد القاطنين بسلا. اهـ.

---

(1) لم أقف على ذكره فيما بين يدي من مصادر.

(2) انظر ترجمة رقم (179).

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 252، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 336.

(4) انظر ترجمته في: مجالس البساط، لدنية، ص: 107، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 36.

وبهذا تعلم قصور البعض في توقيفه في نسب هؤلاء الشرفاء القادريين الموجودين بالعدوتين معللاً ذلك بعدم وجود ذكرهم في الأنساب مع حيازتهم للنسبة الشريفة زيادة على ما في أيديهم من الظهائر المنيفة والأنساب تحاز بها تحاز به الأملاك كما هو مقرر في كتب الفروع، ومما وقفت عليه في هذا الباب رسم صداق صاحب الترجمة بشكل عدلي ثغر العرائش مكتوباً في تاريخ أواسط ربيع النبوي عام ثلاثة وستين ومائة وألف، ودونك بعض فقراته لتعلم منه بعض صفاته، قال الرسم المذكور: تزوج الشريف المنيف الزكي الأتقى الماجد العفيف الولي الصالح الدال عباد الله على المصالح الناسك الوجيه البركة الموفق من الله في حالي السكون والحركة الملحوظ في قطر مغربنا عند الخاص والعام بعين الإجلال والتوقير والاحترام أبو محمد مولانا عبد القادر ابن الشريف الأفخم الفخر المعظم الشهير الأشهر الصدر مولانا أحمد البغدادي سليل الشيخ الإمام شمس الليالي والأيام محيي السنة ومميت أهل الضلالة والبدعة الجامع بين الطريقة والحقيقة إمام الصالحين وقدوة السالكين والعارفين قطب الأقطاب ومشرق شموس المعارف على قلوب ذوي الألباب الكامل الغوث السامي سيدنا ومولانا عبد القادر الجيلاني بالمصونة السيدة زينب بنت الفقيه الأجل النبيه الماجد الأكمل القاضي المحترم البركة الأفضل الخير الدين المرحوم المقدس المنعم الأمثل السيد العربي نجل الولي الصالح الكوكب الواضح البركة سيدي عبد السلام بن ناصر دفين كدية العناية خارج باب الشريعة أحد أبواب مدينة فاس القرويين حرسها الله ثيباً... لخ.

وضريحه الآن معروف بالرباط عليه قبة وبإزائها براح وبيوت، وتمكث بها المرضى وذوو العاهات بقصد الاستشفاء، وهو ترياق مجرب. والذي بنى عليه الضريح المذكور هي زوجه المذكورة كما وقفت على ذلك في رسم بتاريخ التاسع من رمضان عام سبعة وثمانين ومائة وألف يتضمن الإشهاد عليها بأنها رفعت نزاعها في ضريح زوجها وما عليه من البناء وسلمت للشرفاء القادريين التصرف في ذلك الضريح تسليماً كلياً، وأن ما فعلته من وقوفها في بناء الضريح وما صيرته في بنائه إنما قصدت به وجه الله تعالى ورضى صاحب الضريح.اهـ.

ولا يزال مقصوداً للزيارة ولا سيما من ذوي العاهات والأمراض لما جُرب من صحة الاستشفاء بطبه الروحاني وبذلك نوه به الشيخ أبو بكر البناني في رسائله ثم في قصيدة ملحونة أنشأها في مديحه، وقد شفي من مرض ببركة قصد ضريحه.

* [208] عبد القادر بن محمد التادلي (المتوفى سنة 1214هـ)[1]

الفقيه العالم الأستاذ المؤدب الولي الصالح الشريف الحسن أبو محمد عبد القادر بن محمد التادلي جد الشيخ أبي إسحاق التادلي. وقفت على تحليته بها ذكر منقولة بواسطة من خط ولده والد الشيخ أبي إسحاق ذاكراً أنه توفي بالوباء. وذكره الضعيف في تاريخه فقال أولاً في حوادث سنة 1182: " وفيها حج الفقيه السيد عبد القادر بن محمد التادلي الملالي المنشأ الرباطي الدار أبقاه الله"[2]، وقال ثانياً "وفي يوم الأحد التاسع عشر من المحرم فاتح 1214 توفي الفقيه الناسك سيدي عبد القادر التادلي ودفن بالرباط"[3].

* [209] عبد القادر مرينو قاضي العدوتين (المتوفى سنة 1240هـ تقريباً)[4]

هو القاضي أبو محمد السيد عبد القادر ابن القاضي السيد المهدي مرينو الأندلسي. كان رحمه الله من أفاضل العلماء ومن أماثل الفضلاء، وبيته بيت رياسة وعلم وفضل، ومن البيوتات الرباطية الطيبة الأصل والفصل وناهيك ببيت أسندت إليه الرياسة في هذه الخطة الشريفة مرات عديدة وأزماناً مديدة على أن المترجم ممن تداول القضاء بالرباط.

[5] وقد أتى الضعيف في تاريخه على كثير من أخبار المترجم وحوادثه، فأشار لتوليته المتكررة وإلى عزله، والسبب في ذلك وهو عدم منافحته على القائد عشعاش، ثم أخبار أسفاره بوزان ومكناس، وامتحانه بالسجن والتثقيف في عهد القاضي ابن جلون وتأخيره عن الخطبة بجامع القصبة، إلى غير ذلك مما نكتفي بالإحالة عليه هنالك.

ومن الفنون التي برز فيها صاحب الترجمة علم التنجيم والتوقيت والتعديل، فقد كان له نزوع كبير وولوع تام بالتقييد في ذلك، وكانت له فيه خزانة كتب من أنفس الخزائن وهي التي صارت بعد وفاته إلى الفقيه البريبري القاضي المتقدم كما تلقيت ذلك عن شيخنا القاضي الفاضل أبي حامد نقلاً عن الفقيه السيد الطاهر ضاكة الرباطي، وهو من تلامذة المترجم، وكانت وفاته تقريباً في حدود الأربعين كما يستفاد من رحلة الأديب ابن عمرو الرباطي لأنه

---

(1) انظر ترجمته في: تعطير البساط، لدنية، ص: 129، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 90.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 1/ 321.

(3) انظر: المصدر السابق: 2/ 581.

(4) انظر ترجمته في: تعطير البساط بتراجم قضاة الرباط، ص: 27، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 146، وتحفة المطالع، لابن سودة: 1/ 136.

(5) بياض في الأصل بمقدار أربع كلمات.

أخبر أنه زار قبره بطنجة لما سافر للحج أوائل عام ثلاثة وأربعين ومائتين وألف.

*** [210] عبد القادر بوعياد (المتوفى سنة 1266هـ)(1)**

الفقيه البركة العدل الموثق الكبير وخطيب المسجد الأعظم الشهير، قام بالخطبة والإمامة فيه مدة من السنين، وكان أهل العلم والفضل كثيراً ما يلازمون الصلاة خلفه لمزيد علمه ودينه المتين، إن أئمتكم شفعاؤكم فاختاروا من يشفع لكم. وممن كان يتيمن بملازمة الصلاة معه الشريف سيدي العربي التهامي كما ذكره في معجم شيوخه في ترجمته وكذلك الفقيه السيد عبد الرحمن البريبري وكان من خواصه قبل ولايته خطة القضاء، ويحكى أنه لما ولي القضاء كان أول ما فعله في أولى جمعه أن أخر صاحبه المترجم عن الخطبة وقدم لها الفقيه السيد أحمد بن الغازي من غير شعور الخطيب الأول حتى حضر وقت الصلاة فتقدم ابن الغازي وخطب وصلى وكانت القضية سبب القضاء على صاحب الترجمة بإثارة انفعالاته النفسانية وإصابته بداء عصبي بقي معه ملازماً للدار إلى أن انتقل إلى تلك الدار سنة 1266.

*** [211] عبد القادر لبريس (المتوفى سنة 1332هـ)(2)**

صاحبنا أديب العصر وشاعره وناظم دره وناثره، زينة المجالس والمحاضر بما يروق المجالس.

كان رحمه الله جميلاً في هيئته وبيئته، متجملاً في حلته وحليته، ذا أناة ورزانة وعفة ووقار وأمانة، يتخلق كثيراً بأخلاق أدباء الأندلس ويحفظ من آثارهم وأشعارهم ما تطيب به الأنفاس وتعشقه الأنفس، وكم حاضرني من كلامه بما يكاد يسيل رقة ولطفاً. وقرظ من مؤلفاتي بما تحتسبه الآذان مدامة صرفاً، وكم له مع فطاحل الأدب والشعر بالرباط وسلا من مساجلات ومراسلات تعد من الجواهر المنتظمة والدرر المنتثرة المزرية بيواقيت الصلات، وكانت قراءته على أخيه السيد عبد الرحمن لبريس المتقدم ثم على شيخه في الطريقة الأحمدية التجانية سيدي العربي بن السائح.

وكانت وفاته شبه فجأة يوم السبت 4 قعدة عام 1332هـ ودفن بالناصرية.

وخلف من آثاره ديوانين حفيلين، جمع في أحدهما ما له من القصائد النبوية مرتبة على

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 172، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 194، وسماه عبد القادر بن عياد، وذكره السملالي في الإعلام: 9/ 226، أثناء ترجمته لمحمد العربي بن عبد الله بن التهامي الوزاني اليملاحي.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 308، وسماه عبد القادر بن عبد الله بن إبراهيم وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 408، وسماه عبد القادر بن عبد الله البريبري، ودليل مؤرخ المغرب الأقصى، لابن سودة: 2/ 393.

الحروف الهجائية، كان أوقفني عليه فنقلت منه بعض المطالع رأيت إثباتها هنا تحفة للمطالع كقوله مطلع قصيدة لطيفة يتغزل فيها بالكعبة الشريفة:

يَا رَبَّةَ الْخَالِ مَنْ بِالصَّدِّ أَفْتَاكِ ... وبِالتَّجَنِّي عَلَى الْمَحْبُوبِ أَوْصَاكِ

وَمَنْ بِفَتْكِكِ بِي عَمْداً وسَفْكِ دَمِي ... بِاللهِ يَا رَبَّةَ الأَسْتَارِ أَغْرَاكِ

أَضْمَيْتِهِ بِسِهَامٍ مِنْكِ صَائِبَةٍ ... أَصَبْتِ مَقْتَلَهُ فَلْتَهْنَ عُقْبَاكِ

يَهِيمُ بِاسْمِكِ وَجْداً إِنْ ذُكِرْتِ لَهُ ... وتَسْتَفِزُّهُ أَشْوَاقٌ لِذِكْرَاكِ

حَتَّى أُخَيَّلَ أَنِّي شَارِبٌ ثَمِلٌ ... بَيْنَ الرِّيَاضِ وكَأْسٍ مِنْ ثَنَايَاكِ

فَمَا أُحَيْلَى ثَنَايَاكِ الْعِذَابِ ومَا ... أَشْهَى لَمَاكِ إِلَى الْمُضْنَى وأَحْلاكِ

رَضِيتُ سَفْكَ دَمِي عَمْداً وفَتْكَكِ بِي ... إِنْ كَانَ يَا مُنْيَةَ النُّفُوسِ يَرْضَاكِ

عَسَى تَمُنِّي بِوَعْدٍ مِنْكِ يُسْعِدُنِي ... وأَشْتَفِي يَا مُنَى رُوحِي بِرُؤْيَاكِ

أَزُورُ أَكْرَمَ مَنْزِلٍ حَلَلْتِ بِهِ ... وأَنْتَشِي بِلَمَاكِ لاثِماً فَاكِ

أُقَبِّلُ الْخَدَّ والْخَالَ الْعَجِيبَ وثَغْـ ... ـرَكِ الشَّنِيبَ وتُجْلَى لِي مُحَيَّاكِ

وهي طويلة تنيف على الستين بيتاً ومنها قصيدة موازنة لبانت سعاد، يقول في مطلعها:

زَارَتْ عَلَيْهَا مِنَ الْبَهَاءِ إِكْلِيلُ ... وفِي مَحَاجِرِهَا لِلْغُنْجِ تَذْيِيلُ

هَيْفَاءُ تَهْزَأُ بِالْغُصْنِ الرَّطِيبِ لَهَا ... مِنَ الدَّلالِ اسْتِعَارَةٌ وتَخْيِيلُ

لَمْيَاءُ لَعْسَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا ... فِي ثَغْرِهَا ضَرَبٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ

تُزْرِي بِشَمْسِ الضُّحَى حُسْناً ... نَ الْبَانِ قَدّاً بِهِ لِلْحُسْنِ تَعْدِيلُ

كَأَنَّ وَجْنَتَهَا مِنْ تَحْتِ طُرَّتِهَا ... بَدْرٌ تَبَدَّى وجُنْحُ اللَّيْلِ مَسْدُولُ

كَأَنَّ أَسْوَدَ خَالِهَا بِوَجْنَتِهَا ... خُوَيْدِمٌ بِازْدِرَاعِ الْوَرْدِ مَشْغُولُ

بَدِيعَةُ الْحُسْنِ لا تَرْضَى لِعَاشِقِهَا ... حَتَّى تَرَاهُ صَرِيعاً وهْوَ مَجْدُولُ

تُضْمِي بِلا وَتَرٍ قَلْبَ الشَّجِيِّ فَيَغْـ ... ـدُو الصَّبُّ وهْوَ بِسَيْفِ اللَّحْظِ مَقْتُولُ

إلى أن قال:

رَعَى الإِلَهُ لُوَيْلَةً[1] لَنَا سَلَفَتْ ... مَعَ الْحَبِيبِ وشَمْلُ الأُنْسِ مَوْصُولُ

---

(1) تصغير ليلة.

بَاتَتْ تُنَظِّمُ لِي مِنْ عَذْبِ مَنْطِقِهَا عُقُودَ دُرٍّ لَهَا بِالنُّطْقِ تَفْصِيلُ
أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ ظُلْمِ الْحَبِيبِ ومِنْ خَمْرِ الثَّنَايَا لَذِيذُ اللَّفْظِ مَعْسُولُ
تَقُولُ وهْيَ مِنَ الإِدْلالِ فِي مَرَحٍ وقَدُّهَا بِمِيَاهِ الْحُسْنِ مَغْلُولُ
قَدْ نِلْتَ سُؤْلَكَ يَا هَذَا فَقُلْتُ لَهَا حُبِّي لِخَيْرِ الْوَرَى عِنْدِي هُوَ السُّولُ

وهي طويلة فيها نحو السبعين بيتاً، ومنها قصيدة يقول في مطلعها:

أَسَقِيطُ الطَّلِّ فَوقَ النَّرْجِسِ أَمْ حُبَابٌ بِشِفَاهِ الأَكْؤُسِ
أَمْ خُدُودٌ أَمْ وَرْدٌ أَمْ سَنَا ثَغْرِ لَيْلَى أَمْ ضِيَاءُ الْقَبَسِ
أَمْ حُمَيَّا الْكَأْسِ مِنْ كَفِّ رَشاً قَدْ جَلاهَا فِي ظَلامِ حِنْدِسِ
مَزَجَ الْكَأْسَ بِظُلْمٍ وانْثَنَى مُعْجِباً يَزْهُو بِأَبْهَى مَلْبَسِ
وَسَقَى الشَّرْبَ وحَيَّا بِالَّتِي رَوَقَتْ بَيْنَ اللَّمَا واللَّعَسِ
وَجَلا شَمْساً عَلَى غُصْنِ نَقَى فَكَسَا بِالنُّورِ أَهْلَ الْمَجْلِسِ
وانْثَنَى يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ يَتَلألأُ قَبَساً فِي قَبَسِ
أَيْنَ شَمْسُ الصَّحْوِ مِنْ طَلْعَتِهِ إِنْ تَبَدَّى فِي قِبَاءِ السُّنْدُسِ
أَيْنَ غُصْنُ الْبَانِ مِنْ قَامَتِهِ مَنْ لَهُ مِنْهَا بِطِيبِ الْمَغْرِسِ
أَيْنَ بَدْرُ التِّمِّ فِي جُنْحِ الدُّجَى مِنْ مُحَيَّا مَشْرِقٍ بِالْغَلَسِ
حَازَ حُسْناً وبَهَاءً وسَناً فَهْوَ مِنْ بَهْجَتِهِ فِي عُرُسِ
فَتَرَى الْعُشَّاقَ مِنْ أَشْوَاقِهِ تَتَلاشَى نَفَساً فِي نَفَسِ
لَيْسَ يُثْنِي الصَّبَّ عَنْ وَصْلِ الدُّمَى تَتَهَادَى بِقُدُودٍ مُيَّسِ
مُسْفِرَاتُ الْوَجْهِ عَنْ شَمْسِ الضُّحَى نَاظِرَاتٌ بِعُيُونٍ نُعَّسِ
نَاعِمَاتٌ خَافِرَاتٌ زَانَهَا فَوْقَ خَدٍّ حُسْنُ خَالٍ أَطْلَسِ
غَيْرُ مَدْحِي لِلنَّبِي خَيْرِ الْوَرَى النَّفِيسِ ابْنِ النَّفِيسِ الأَنْفَسِ

وهي تنيف عن الأربعين بيتاً.

ومنها قصيدة يقول فيها:

تَبَدَّتْ فَشِمْنَا الْقُرْصَ فِي أُذْنِهَا قِرْطَا وقَدْ نَظَمَتْ زَهْرَ الدَّرَارِي لَهَا سِمْطَا
وَ لاحَتْ كَشَمْسِ الصَّحْوِ يُخْجِلُ نُورُهَا سَنَا الْقَمَرِ الْوَضَّاحِ قَدْ سَحَبَتْ مِرْطَا

تَتِيهُ دَلالاً قَدْ كَسَا الْحُسْنُ خَدَّهَا ... جَمَالاً وخَطَّ الْخَالُ فِي صَحْنِهِ خَطَّا
تَرَاهُ كَزِنْجِيٍّ بِجَنَّةِ وَرْدِهَا ... لِيَحْرُسَهُ مِمَّنْ يَرُومُ لَهُ قَطَّا
وَ يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ الْجُمَانِ ابْتِسَامُهَا ... إِذَا ضَحِكَتْ أَبْدَى سَنَاهُ لَنَا السِّمْطَا
وَ إِنْ خَطَرَتْ تَخْتَالُ فِي حُلَلِ الْبَهَا ... يَقُولُ قَضِيبُ الْبَانِ قَدِّيَ قَدْ أَخْطَا
وَ يَهْزَأُ بِالْغُصْنِ الرَّطِيبِ قَوَامُهَا ... إِذَا مَا خَطَّتْ مَا بَيْنَ أَتْرَابِهَا خَطَّا[1]
وَ تَسْحِرُنَا أَلْحَاظُهَا فَكَأَنَّمَا ... بِبَابِلَ عَنْ هَارُوتَ قَدْ أَخَذَتْ قِسْطَا
وَ تُطْرِبُنَا أَلْفَاظُهَا فَكَأَنَّنَا ... نَشَاوَى سَقَتْنَا مِنْ مَرَاشِفِهَا اسْفَنْطَا[2]
وَ إِنْ فَوَّقَتْ لِلصَّبِّ أَسْهُمَ لَحْظِهَا ... رَمَتْهُ بِسَهْمٍ لا يَطِيشُ ولا يَخْطَا
وَإِنْ نَضَحَتْ مِنْ جَفْنِهَا بِنِبَالِهَا ... مُحِبًّا لَهَا أَضْحَى صَرِيعاً ومُنْحَطًّا
يَبِيتُ بِلَيْلٍ نَابِغِيٍّ كَأَنَّمَا ... جَرَّتْهُ بِأَنْيَابٍ لَهَا الْحَيَّةُ الرَّقْطَا
وَإِنْ أَسْدَلَتْ لَيْلاً ذَوَائِبَ شَعْرِهَا ... فَفَجْرُ مُحَيَّاهَا يُبِينُ لَنَا الْخَيْطَا
هِيَ الشَّمْسُ حُسْناً والْغَزَالَةُ مُقْلَةً ... وغُصْنُ النَّقَا قَدّاً وعَنْهَا الْقَنَا انْحَطَّا
يَظَلُّ بِهَا قَلْبُ الْمُعَنَّى مُتَيَّماً ... مُشَوَّقاً لِمَنْ حَازَ الْمَلاحَةَ واشْتَطَّا
أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُ لَنَا الْمُنَى ... فَيُبْدِلُ قَبْضَ الْبَحْرِ مِنْ وَصْلِهَا بَسْطَا
وَ نَغْنَمُ أَوْقَاتَ الْهَنَا ومَوَاسِماً ... تَقَضَّتْ وقَدْ كَانَتْ لآذَانِنَا قِرْطَا
لَيَالِيَ لا نَخْشَى رَقِيباً ولا نَرَى ... سِوَاهَا حَبِيباً وهْيَ لِي الدُّرَّةُ الْوُسْطَى
وَ يَدْنُو لَنَا مِنْهَا الْمَزَارُ ويَشْتَفِي ... مُحِبٌّ لَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُودَعَ الْقُمْطَا
وَ إِنْ شَحَطَتْ عَنِّي وشَطَّ مَزَارُهَا ... فَحُبُّ رَسُولِ اللهِ أَشْرَفُ مَا يُعْطَى

وهي طويلة فيها نحو الستين بيتاً، ومنها قصيدة يتشوق بها للمقام الأنور والضريح الأزهر يقول فيها:

مَتَى أَرَى طَيْبَةَ تَجْلُو مُحَيَّاهَا ... ويَشْتَفِي الْقَلْبُ بِاسْتِنْشَاقِ رَيَّاهَا
تَلُوحُ لِي بِقِبَا قِبَابُهَا وأَرَى ... مَوَاطِناً كَانَ جِبْرَائِيلُ يَغْشَاهَا

(1) بحاشية المخطوط كتب: (أي طريق).
(2) الإِسْفَنْطُ: المُطَيَّبُ من عصير العنب، وقيل من أسماء الخمر، انظر لسان العرب، لابن منظور: 7/ 255، مادة (أسفط).

وَمَسْجِدُ الْوَحْيِ عَنْ تَقْوَى قَوَاعِدُهُ قَدْ أُسِّسَتْ وعَلَى الرِّضْوَانِ مُرْسَاهَا
وَأَجْتَلِي الْقُبَّةَ الْخَضْرَاءَ سَاطِعَةً أَنْوَارُهَا يَزْدَهِي الْعُيُونَ مَرْآهَا
أُنَزِّهُ الطَّرْفَ فِي أَنْوَارِ بَهْجَتِهَا فِي رَوْضَةٍ فَلَكُ الإِسْعَادِ حَيَّاهَا
هُنَاكَ تُقْضَى لُبَانَةٌ وأَقْبِيَةٌ لَطَالَمَا مُهْجَتِي كَانَتْ تَمَنَّاهَا
أَرَى ضَرِيحَ رَسُولِ اللهِ أَفْضَلَ مَنْ جَاءَتْ إِلَيْهِ الْوَرَى تَحْدُو مَطَايَاهَا

وفيها نحو السبعين، ومنها قصيدة يقول في مطلعها:

هَبَّ مِنْ طَيْبَةَ نَشْرُ الْعَنْبَرِ عَطَّرَ الْكَوْنَ بِعَرْفٍ عَطِرِ
فَشَمَمْنَا مِنْ شَذَاهُ أَرَجاً عَبِقاً يَفْضَحُ عَرْفَ الزَّهْرِ
مَا فَتِيقُ الْمِسْكِ مَا النَّدُّ ومَا نَسَمَاتُ الرَّوْضِ عِنْدَ السَّحَرِ
مِنْ تُرَابٍ ضَمَّ أَعْضَاءَ لِمَنْ قَدْ عَلَتْ نِسْبَتُهُ فِي مُضَرِ

وهي تنيف عن الخمسين بيتاً، ومنها قصيدة يقول فيها:

يَا عُرَيْباً حَلُّوا سُحَيْراً بِرَامَةْ غَادَرُوا صَبَّهُمْ يُقَاسِي غَرَامَهْ
قَدْ رَحَلْتُمْ بِمُهْجَتِي وتَرَكْتُمْ شَبَحاً لايُحاً يُحَاكِي الْخَصَامَةْ
هَائِماً فِي الْفَلا يَجُوبُ الْفَيَافِي ويُحَيِّي كُثْبَانَهُ وآكَامَهْ
وَيَؤُمُّ سَبَاسِباً وَيَبَاباً وصَحَارٍ تَضِلُّ فِيهَا الْحَمَامَةْ
إِنْ تَغَنَّتْ قُمْرِيَّةٌ حَنَّ شَوْقاً واسْتَهَلَّتْ دُمُوعُهُ كَالْغَمَامَةْ
وَإِذَا هَبَّ مِنْ صَبَاهَا نَسِيمٌ هَيَّجَتْهُ الصَّبَا وأَذْكَتْ ضِرَامَهْ
يَا نَسِيماً إِذَا مَرَرْتَ بِنَجْدٍ ونَشَرْتَ عَرَارَهُ وبَشَامَهْ
حَيِّ نَجْداً وجِيرَةً بِالْمُصَلَّى سَكَنُوا بِاللِّوَى وشِعْبِ تُهَامَةْ
يَا رَسُولِي إِلَى الْحَبِيبِ تَلَطَّفْ فَعَسَى يَبْلُغُ الْمُحِبُّ مَرَامَهْ
قِفْ بِسَلْعٍ وحَيِّ جِيرَةَ سَلْعٍ وأُهَيْلَ النَّقَا وغِزْلانَ رَامَةْ
وَبِوَادِي الْعَقِيقِ فَاسْكُبْ عَقِيقاً إِنْ مَرَرْتَ بِهِ وحَيِّ ثُمَامَةْ
فَلَنَا بِالْعَقِيقِ عُرْبٌ حِسَانٌ أَخْجَلُوا الشَّمْسَ بَهْجَةً ووَسَامَةْ
سَكَنُوا مُنْحَنَى ضُلُوعِي وشَبُّوا بِغَضَى الْقَلْبِ نَارَهُ واضْطِرَامَهْ
وَعَجِيبٌ رَأَوْهُ خَيْرَ مَحَلٍّ نَزَلُوهُ ولَمْ يُرَاعُوا ذِمَامَهْ

وَعَذَابِي إِنْ كَانَ فِيهِ رِضَاهُمْ ... فَهَنِيئاً فَمَا عَلَيْهِمْ مَلامَةْ
كُلُّ صَعْبٍ يَهُونُ إِلا جَفَاهُمْ ... وجَفَاهُمْ فَمَا أَلَذُّ مُدَامَةْ
فِي هَوَاهُمْ يَهِيمُ فِي كُلِّ وَادٍ ... هَائِمٌ قَدْ بَرَى الْغَرَامُ عِظَامَهْ
وَعَلَى حُبِّهِمْ فُؤَادِي مُقِيمٌ ... وعَلَى عِشْقِهِمْ ضَرَبْتُ خِيَامَهْ
يَا تُرَى يَسْمَحُ الزَّمَانُ بِوَصْلٍ ... ويُؤَبِّدُ لِلْمَشُوقِ دَوَامَهْ
فَأَرَى فِي قِبَاً قِبَاباً تَجَلَّتْ ... وعَلَيْهَا مِنَ السَّنَاءِ عَلامَةْ
وَأَرَى طَيْبَةً يَلُوحُ سَنَاهَا ... بِالَّذِي ظَلَّلَتْ عَلَيْهِ الْغَمَامَةْ

وفيها نحو الستين بيتاً، ومنها قصيدة يقول في مطلعها:

إِنْ جُزْتَ يَا سَائِقَ الرُّكْبَانِ بِالْبَانِ ... عَرِّجْ بِرَامَةَ وانْزِلْ بَطْنَ نُعْمَانِ
وَقِفْ بِسَلْعٍ وسَلْ عَنْ جِيرَةٍ رَحَلُوا ... بِالْقَلْبِ وَهْنَاً وهُمْ أَعَزُّ جِيرَانِ

إلى أن قال:

فَلِي بِهِمْ خُرَّدٌ عِينٌ أَصَبْنَ حَشَا ... شَتِّي بِأَسْهُمِ أَلْحَاظٍ وأَجْفَانِ
يَفْتِكْنَ فِي الصَّبِّ فَتْكَةَ الْكُمَاةِ بِعَسَّ ... الِ القَوَامِ وسُمْرِ الْخَطِّ مُرَّانِ
مِنْ كُلِّ غَيْدَاءَ لَغْسَاءِ الْمَرَاشِفِ تَنْ ... ثَنِي دَلالاً تَتِيهُ تِيهَ نَشْوَانِ
تُزْرِي بِشَمْسِ الضُّحَى حُسْناً وتُخْجِلُ بَدْ ... رَ التَّمِّ نُوراً وقَدُّ إِقَامَةِ الْبَانِ
تَخَالُ زِنْجِيَّ خَالِهَا بِوَجْنَتِهَا ... كَأَسْوَدٍ حَلَّ فِي جَنَّاتِ رِضْوَانِ
وَإِنْ بَدَتْ تَتَهَادَى فِي أَوَانِسِهَا ... أَبْصَرْتَ شَمْساً عَلَى أَغْصَانِ كُثْبَانِ
وَعُجْ بِرَامَةَ والْعُذَيْبِ واعْطِفْ عَلَى ... بَانِ الْمُصَلَّى وحَيِّ جِيرَةَ الْبَانِ
وَحَيِّ مَنْ بِالنَّقَا وقُلْ فَدَيْتُكُمْ ... مِنْ جِيرَةٍ بِالنَّقَا حَلُّوا وسُكَّانِ
وَفِي قِبَابِ قُبَا أَنِخْ مَطَايَاكَ كَيْ ... تُرِيحَ أَخْفَافَهَا مِنْ سَيْرِهَا الْوَانِي
وَقِفْ بِمَسْجِدٍ أُسِّسَتْ قَوَاعِدُهُ ... عَلَى أَسَاسٍ مِنَ التَّقْوَى ورِضْوَانِ
وَارْحَلْ إِلَى طَيْبَةَ الْغَرَّا تَحِلَّ بِمَنْ ... حَازَ الْمَفَاخِرَ مِنْ أَبْنَاءِ عَدْنَانِ

وهي طويلة تنيف على السبعين بيتاً.

ذكر من اسمه عبد السلام

* [212] الحاج عبد السلام البناني[1]

الجد الأعلى لأولاد البناني البيت الشهير في الرباط بالعلم والفضل والدين.

وأصل المترجم من فاس وبه قرأ وتصدر للتدريس ثم ارتحل للحجاز فحج وزار، ثم أمره السلطان مولاي إسماعيل بالانتقال إلى الرباط بقصد الإقراء ونشر العلم، وكان من المعاصرين للشيخ العكاري، وذكره الحفيد العكاري من جملة الآخذين عن جده الشيخ المذكور، وعقب رَحِمَهُ اللَّهُ ذرية صالحة لا تزال بالرباط حاملة أعباء العلم الشريف إلى الآن وحتى الآن.

* [213] عبد السلام بن مَحمد مرينو (كان حياً 1300هـ)

فقيه عدل من بيت أولاد مرينو الشهير بالعلم والفضل. وجدته مقيداً محلى بذلك الوصف. وكان حياً أوائل المائة الثالثة بعد الألف.

* [214] عبد السلام أبِّزار (المتوفى سنة 1324هـ)[2]

الفقيه السيد عبد السلام ابن القاضي السيد محمد بن إبراهيم ويدعى أبِّزار، بتشديد الباء المكسورة، فقيه من فقهاء الرباط المدرسين ومشاهير العدول الموثقين، كان له رَحِمَهُ اللَّهُ نزوع كبير إلى فقه النوازل والأحكام، وولوع تام بلامية الزقاق، وتحفة الأحكام معتنياً بهما درساً، وتعليماً، وحفظاً، وتقييداً، وتفهيماً، ويذكر أن له على المنظومة الأولى شرحاً كبيراً كان قدمه للسلطان المقدس مولاي الحسن، فوصله عليه وقرظ له بتقريظ حسن. وبعد وفاة والده المرحوم رحل إلى الحضرة الفاسية ومثل بين يدي المخزن الشريف برسم أداء مراسم التعزية، وكان المخزن عزم على تقليده خطة القضاء في موضع والده فحالت بعض الموانع بينه وبين هذه البغية بإغراء من بعض أهل الدائرة المخزنية فعوضه عنها بالخدمة في بعض المراسي، ومكث مدة قضى فيها حق لبانته حتى تجمل بأجمل حلة من حلل الثراء وأصبح في أرغد عيش وأطيب رخاء.

ولم يزل على هذه الحالة إلى أن توفي في سابع عشر ربيع الأول عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بزاوية سيدي علي بن عبد الرحمن بالرباط.

---

(1) انظر ترجمته في: البدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري، لوحة رقم: 18/أ.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، ص: 269، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 368 وفيه (بزار) بغير ألف في أوله.

* [215] عبد السلام بن الخضر (المتوفى حوالي 1325هـ)(1)

أحد خواص تلامذة الشيخ أبي حامد البطاوري، لازمه وباحثه وجالسه إلى أن انتفع بعلومه ودروسه وانتسخ جل مؤلفاته وطروسه.

وتصدر للتدريس والإمامة بالزاوية التهامية. وكان جميل الأخلاق من ذوي الأبهة العلمية والأريحية الأدبية، اقتطفته يد المنون وهو في زهرة الشباب وفي حدود عام خمسة وعشرين توارت شمسه بالحجاب.

* [216] عبد السلام العلوي المحب (المتوفى سنة 1333هـ)(2)

به يعرف، الفاسي ثم الرباطي الوفاة بتاريخ 1333هـ. كان رَحِمَهُ اللهُ شريفاً مجيداً عالماً أديباً عروضياً حيسوبياً حسيباً.

اشتهر بالابتكار وافتضاض المعاني الأبكار، إذا نظم نظم جواهر الأسلاك، وإذا نثر نثر زواهر الأفلاك، وكان في الكتابة صدراً معدوداً من كتاب الصدارة العظمى والوزارة الكبرى، ساجلته وساجلني دون أن نعرفه أو يعرفني.

فكتب للشيخ أبي حامد يهنئه بختم البخاري بقصيدة تزري بنجوم الدراري، ولما وقف الشيخ عليها كلفني بالجواب عنها، وكان أيضاً رابعنا في المساجلة الشعرية التي دارت بيني وبين الأديبين الشاعرين أبي العباس السيد أحمد الأزموري وأبي الفضل السيد عباس الشرفي، وهي مذكورة في ديواني الشعري نقتصر منها هنا على قول المترجم مخاطباً لأبي الفضل المذكور:

يَا أَبَا الْفَضْلِ كَيْفَ آثَرْتَ حُكْمِي ... فِي مَقَامٍ غَدَوْتَ فِيهِ رَئِيسَا
إِنْ يَكُ الشِّعْرُ حِكْمَةً كُنْتَ فِيهِ ... دُونَ رَيْبٍ تَفُوقُ رِسْطَالِيسَا
تَوَّجَتْ هَذهُ الْمَطَالِع مِنْهُ ... وكَسَتْ ذَيْلَ حُسْنِهَا الطَّاوُوسَا
فَبَقِيتُمْ لَنَا بِأَسْعَدِ عَصْرٍ ... نَشْرَبُ الْوُدَّ بَيْنَكُمْ خَنْدَرِيسَا

فأجابه أبو الفضل بقوله:

لَكَ فِي دَوْلَةِ الْقَرِيضِ انْتِصَارٌ ... ونُفُوذٌ بِهِ مَلَكْتَ النُّفُوسَا

(1) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 361، وذكره بين وفيات سنة 1322هـ.

(2) انظر: المصدر السابق: 2/ 405، وذكره بين وفيات سنة 1331هـ ومجالس الانبساط لدنية، ص: 302 وذكر أن وفاته سنة 1331هـ أيضاً.

جُـنْدُكَ الـذَّوْقُ والْيَـرَاعُ سِـلاحٌ ... مَـنْ لَـوَى عَـنْ هُـدَاكَ حَـلَّ الرُّمُوسَـا
فَـلِمَا لا تَـظَلُّ تَـحْكُمُ فِينَـا ... فَـتُجْلِي إِذَا حَكَمْـتَ الطُّرُوسَـا
أُشْـهِدُ اللهَ أَنَّـنِي بِـكَ رَاضٍ ... وبِمَـا جَـاءَ عَنْـكَ أُخْـي الدُّرُوسَـا

* [217] عبد السلام الذويب (المتوفى سنة 1334هـ)[1]

الفاسي الأصل الرباطي الوفاة بتاريخ 1334. استوطن الرباط آخر أيامه، من جملة كتاب المخزن وحملة أقلامه، وكان كاتباً سريع البديهة، نسيج وحده في نسج برده، مطلع بدره من فلك البيان وخدره، بل ناظم دره ومستخرجه من بحره. أحفظ له من شعر التهاني قوله يخاطب الشعب الكتاني:

مَـنْ أَيِّ فَـرْدٍ مِـنْكُمْ أَتَعَجَّـبُ ... ولأَيِّ بَـدْرٍ دُونَكُـمْ أَتَرَقَّـبُ
أَنْـتُمْ نُجُـومٌ يُسْتَـضَا بِـسَنَاكُمْ ... والْمُـدْلِجُونَ لِنُـورِكُمْ تَتَطَلَّـبُ

ذكر من اسمه عبد الواحد

* [218] عبد الواحد بن عمرو الأوسي (المتوفى سنة 1285هـ)[2]

الفقيه العلامة المدرس السيد عبد الواحد بن محمد بن التهامي بن عمرو شقيق السيد الحسن وشريكه في الإجازة السابقة من والدهما المذكور بسائر رواياته ومسموعاته. ولد رحمه الله في حدود الأربعين والمائتين والألف، وتوفي عند الغروب يوم الأربعاء عاشر ربيع النبوي عام خمسة وثمانين ومائتين وألف، ودفن مع أخيه بالزاوية التهامية، وكانت وفاته بالطاعون في جملة من مات به تلك السنة.

ذكر من اسمه عثمان

* [219] السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني دفين شالة (المتوفى سنة 731هـ)[3]

من خيرة السلاطين ملوك بني مرين أسد ذاك العرين، بويع ليلة الأربعاء منسلخ جمادى الأخيرة من سنة عشر وسبعمائة.

وكان من أهل العلم والحلم والعفاف، جواداً متواضعاً متوقفاً في سفك الدماء، محباً في

(1) انظر: المصدر السابق: 2/ 414.
(2) انظر: المصدر السابق: 1/ 240.
(3) انظر ترجمته في: جذوة الاقتباس، لابن القاضي المكناسي: 2/ 456، والوافي بالوفيات، للصفدي: 6/ 348، والعبر في أخبار من غبر، لابن خلدون: 7/ 242.

العلم وأهله، ساعياً في بثه ونشره، مستكثراً من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط، مرتباً للفقهاء والمدرسين مجرياً على الكل المرتبات والمؤن فوق الكفاية من ريع الأملاك التي اشتراها ووقفها على ذلك احتساباً لله تعالى وجرياً في هذه المنقبة على أثر سلفه وخلفه الذين أجروا الجرايات ووقفوا الأوقاف وشيدوا المدارس وأسسوا المارستانات وأمسكوا من رمق العلم وأحيوا مراسمه وأخذوا بضبعيه كما تشهد بذلك آثارهم، وفيها أنشدوا:

هُمُ الْمُلُوكُ إِذَا أَرَادُوا ذِكْرَهَا ... مَنْ بَعْدُهُمْ فَبِأَلْسُنِ الْبُنْيَانِ

إِنَّ الْبِنَاءَ إِذَا تَعَاظَمَ شَأْنُهُ ... أَضْحَى يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ

توفي رحمه الله ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة ودفن أولاً بفاس ثم سيق منها إلى شالة حيث مدفن سلفه، نقله إليها ولده السلطان أبو الحسن المريني وبنى عليه قبة شاهقة تجاور ضريح جده يوسف، وبإزائها بنى لنفسه قبة جعلها ضريحاً لمدفنه إذا انتهت أيامه، فكان الأمر كذلك، فانتظمت هذه القبب الثلاث وصاقبت قبة المسجد الذي به السلطان يعقوب، وفتحت جوانبها بأقواس ينفذ من إحداها لأخرى لا زالت قائمة وفيها عبرة وذكرى.

* [220] عثمان بن المكي بن عمرو (المتوفى حدود 1330هـ)[1]

أحد المجازين من قبل الأديب ابن عمرو بالإجازة السابقة الذكر، وقرأ على والده المكي إلى أن تطيب من روض علمه المسكي. وكان رحمه الله من أهل النسك والخير المتعاطين لخطة العدالة والتوثيق، ومن الأئمة والخطباء والوعاظ بمسجد القصبة العتيق، له معرفة بفن الاسم وسر الحرف، ومجلسه مجلس أنس ولطف وظرف، اجتمعت به مراراً فأطلعني على كثير من آثار أسلافه الأبرار.

وكان رحمه الله يشد عليها يد الضنين ولم ينتثر عقدها الثمين إلا بعد وفاته في حدود الثلاثين 1330هـ.

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 298، وذكر أن وفاته كانت سنة 1329هـ.

ذكر من اسمه العربي

* [221] العربي عاشور (كان حياً 1230هـ)[1]

الفقيه السيد العربي بن محمد بن أحمد بن علي الرُّشَّي[2]، بضم الراء وفتح المعجمة، المعروف بعاشور، الأندلسي محتداً الرباطي مولداً.

كان رحمه الله من علماء الرباط وأعيان عدوها أواخر القرن الثاني وأوائل المائة الثالثة بعد الألف كما رأيت ذلك ببعض الرسوم، ووقفت على تحليته بالفقيه العالم العلامة الأفضل. وأخبرني حفيده الفقيه العدل السيد الحاج محمد عاشور، أن قبره هو الكائن تحت القوس المقابل لضريح سيدي الحسن بن سعيد داخل حرمه جهة الباب عن يمين الداخل. ولم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث.

* [222] العربي القسمطيني قاضي الرباط (المتوفى سنة 1208هـ)[3]

هو القاضي أبو عبد الله محمد العربي بن علي القسمطيني قاضي الرباط وخطيب مسجدها الأعظم العلامة المدرس المفتي الشريف الحسني. وقفت له على خطابات كثيرة بأعمال كثير من الرسوم والظهائر السلطانية، ورأيت في حقه في تاريخ بعض أهل القرن الثالث عشر للفقيه العلامة الشريف المحدث الشهير سيدي جعفر الكتاني ما نصه: ومنهم العلامة المحصل الدراكة المجرح المعدل المشارك النبيل أتم مشاركة وتحصيل، المتولي لخطة القضاء في كثير من حواضر المغرب فاس ومكناسة وما دونهما أبو عبد الله سيدي العربي بن علي القسمطيني الشريف.

كان رحمه الله ممن انقادت له العلوم وتوقفت عليه الآراء والفهوم، سيد علماء زمانه وصدر أهل وقته وأوانه. أصيب في آخر عمره وهو بمكناسة بفالج كان لا يستطيع معه حركة أعضائه في تناول جميع أسبابه، فصبر وعد ذلك من جملة النعم، وشكر إلى أن توفي رحمه الله تعالى. انتهى بلفظه.

وكانت وفاته مما أصيب به من داء الفالج في جمادى الأولى عام ثمانية ومائتين وألف.

---

(1) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 29، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 145، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 116، وذكره بين وفيات سنة 1230هـ.

(2) في مجالس الانبساط: (الرشاي).

(3) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 18، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 128، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 76.

وقفت من آثاره على فتوى عاطفاً على أخرى لأبي العباس الغربي في ثبوت نسب بعض الرباطيين قال فيها ما نصه: الحمد لله ما سطره الفقيه أعلاه يليه أمتع الله به من ثبوت هذا النسب الشريف في المنتسخ أعلاه بشهادة السماع صحيح غني لوضوحه عن زيادة تعضيده بالنصوص المحررة والأقوال المشهورة المقررة، فالأحق بهؤلاء السادات المشهود لهم بهذا الانتساب المنخرطين في هذا السلك من غير شك ولا ارتياب بأن ينظروا بعين التوقير والاحترام ويلاحظوا بعين الإجلال والإعظام وأن لا يطالبوا من المكلفين بما تطالب به العوام، وأن يعاملوا في مخاطبتهم معاملة آل النبي عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام.

ومن كلام أم المؤمنين مولاتنا عائشة رضي الله عنها: "كنا نؤمر أن ننزل الناس على قدر منازلهم"[1]. ومن المقرر عند أهل الحديث أن الصحابي إذا قال كنا نؤمر فحكمه حكم المرفوع. وقال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[2].

إلى غير ذلك من الآثار وصحيح الأخبار الواردة في آل البيت الأطهار، وكفى شاهداً بوجوب تعظيمهم وتعيين احترامهم ومودتهم قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وكتبه عبد الله سبحانه الراجي عفو مولاه وغفرانه محمد العربي بن علي القسمطيني الحسني.

---

(1) قال السخاوي، في المقاصد الحسنة: (1/ 163): ذكره مسلم في مقدمة صحيحه بلا إسناد تعليقاً قال: ويذكر عن عائشة قالت:" أمرنا وذكره، ووصله أبو نعيم في المستخرج وغيره كأبي داود في سننه وابن خزيمة في صحيحه والبزار وأبي يعلى في مسنديهما والبيهقي في الأدب والعسكري في الأم.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، في كتاب المناقب، باب مناقب أهل النبي ﷺ: 5/ 662، برقم (3788)، وقال: حسن غريب، والحاكم في المستدرك (3/ 118) برقم (4576)، عن زيد بن أرقم مطولاً، ولم يعلق عليه الذهبي، وقال الألباني في " السلسلة الصحيحة " 4 / 355 بعد أن ذكر ضعف إسناده: لكن الحديث صحيح، فإن له شاهداً من حديث زيد بن أرقم قال: " قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى (خما) بين مكة والمدينة، فحمد الله، وأثنى عليه..." الحديث.

* [223] العربي الغربي (المتوفى سنة 1250هـ)[1]

السيد العربي ابن القاضي السيد محمد بن أحمد الغربي عالم من علماء الرباط المعاصرين للقاضي بسير والأديب ابن عمرو الشهير، كانوا جميعاً أقراناً في الطلب، ومن الملازمين لمجالس والد المترجم، ولهم في ذلك محاورات علمية ومذاكرات فنية كانت تشهد بتفوقهم وتقدمهم على سواهم لا سيما إبان التعاطي. توفي رحمه الله عام خمسين ومائتين وألف.

* [224] العربي بن محمد الحفيان الشرقي (المتوفى سنة 1285هـ)[2]

أخبر شيخنا القاضي أبو حامد أنه أدركه في حدود الثمانين من القرن المنصرم، وحلاه بالعالم الفقيه المشارك الأستاذ. وتلقيت عن بعض حفدته أنه كان يدرس العلم بجامع عطية بالرباط إلى أن توفي في التاريخ المذكور تقريباً ودفن ضجيع والده بالزاوية المعطوية الرباطية.

* [225] سيدي العربي بن السائح (المتوفى سنة 1309هـ)[3]

بغية المستفيد ومنية المريد القدوة العارف بالله تعالى الشيخ أبو حامد سيدي العربي بن السائح بن داود بن محمد بن عبد القادر ابن الولي الكبير والقطب الشهير سيدي مَحمد الشرقي، العمري الفاروقي نسباً، التادلي، البجعدي أباً، المكناسي مولداً، الرباطي بلداً، المحمدي حقيقة، الأحمدي طريقة، إمام الطريق التجانية بالمغرب، ولسانها المعرب المغرب.

ترجمه تلميذه شيخنا العلامة المحدث سيدي أحمد بن موسى السلوي في بعض ختماته وحلاه بالشيخ الإمام قدوة الأنام، مربي السالكين وعمدة أهل الرسوخ والتمكين، شيخ السنة والدين وقطب الأولياء الواصلين صاحب النور اللائح سيدي ومولاي العربي بن السائح.

ثم ذكر في حقه أنه كانت له مشاركة تامة في جميع الفنون خصوصاً علم الحديث والفقه والعربية والعروض، فإنه كان رضي الله عنه من أئمة هذا الشأن وفحوله الجهابذة الأعيان، ومن حملة لواء الحديث الشريف في زمانه، وممن إليه المرجع فيه في عصره وأوانه، وكان له فيه مجلس تشد إليه الرحال وتضرب إليه أكباد الإبل من فحول الرجال، فتراه إذا تكلم في حديث من أحاديث الصحيح تسمع منه ما لا تراه في كتاب، وتعلم علم يقين أنه كلام من يغترف من

---

(1) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 155.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية: ص190، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 240.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 221، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 313، والأعلام، للزركلي: 6/ 258، وقال: وللعربي بن عبد الله الوزاني كتاب في (مناقبه) الخ؛ وتراجم الأعلام، لسكيرج: 1/ 134.

بحار مولانا الملك الوهاب.

قد رزق رحمه الله من كمال الأدب عند قراءة الحديث الشريف ما يستدل به على رفعة شأنه وعلو قدره المنيف.

وكان كثيراً ما يحض عند الافتتاح على استحضار نية التوسل إلى الله تعالى بقراءة حديثه ﷺ والتشفع به إلى المولى جل وعلا في كشف المصائب والبلايا ودفع الخطوب والرزايا، وينشد في ذلك قول القائل:

صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ وَاظِبْ عَلَيْهِ ... فَمَا مِثْلُهُ لاشْتِدَادِ الْكُرُوبِ
فَهُوَ الْمُجَرَّبُ تِرْيَاقُهُ ... لِدَفْعِ سُمُومِ أَفَاعِي الْخُطُوبِ

وربما يأمر عند ختم المجلس بإنشاد بعض القصائد في المعنى المذكور مما فيه توسل وتشفع به ﷺ. وفي آخر عمره رحمه الله التزم بمحضره سرد القصيدة اللقانية الشهيرة المسماة بكشف الكروب بمناجاة الحبيب والتوسل التي أولها:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ قَدْ ضَاقَتْ بِيَ السُّبُلُ

وكان في ذلك إشارة منه رحمه الله إلى الإخبار بموته كما لا يخفى، وما شعر أحد بأن فيها نعيه قدس الله سره إلا بعد وفاته.

وأما علم التصوف فكان فرد زمانه فيه رحمه الله، وكتابه "بغية المستفيد" من أجل ما ألف في ذلك كما يشهد بذلك من طالع كتب القوم، وأما الكلام في الحقائق الربانية والأسرار العرفانية فكانت تأتيه الأسئلة رحمه الله من أقاصي البلدان فيجيب عنها بأفصح بيان وأوضح برهان.

وأما الشعر فله رحمه الله في التوسل بالجناب النبوي والتشفع بالحمى المصطفوي أمداح كثيرة وقصائد شهيرة لو جمعت لكانت ديواناً كبيراً.

انتهى الغرض ولعل فيه أداء الحق المفترض، فلذلك وقع عليه اختياري واقتصاري من غير ملاحظة تشذ عن اعتباري إلا على ما اقتضاه ذلك الترسل من تخصيص شعره بباب التشفع والتوسل، وأنه ليس له من ديوان كأنه لم يكن في القريض من فرسان الميدان، أو كان ولكن لم يكن شعره إلا من قبيل شعر الفقهاء لا شعر الأدباء عشاق الأفانين والفنون فتراهم في كل واد يهيمون.

والعذر أن شعره في ذلك الباب هو المحفوظ لدى جل تلامذته والأصحاب وكل من

ترجم له من الأدباء الكتاب كصاحب كشف الحجاب، وإلا فقد أوقفني تلميذه صديقي الشاعر المرحوم السيد عبد القادر لبريس وكان له نعم الجليس الأنيس على شعره الكثير مجموع في ديوان صغير يشتمل على ما له في باب المناجاة والتوسلات ثم على قصائد ومقطعات ما بين إخوانيات وسلطانيات وغزليات تعد من لقاطات الأدب المزرية بقراضات الذهب، وكم له في ذلك من ماجريات تلقيتها من صديق المذكور كلها فكاهات تنم عن أريحيته الأدبية المرموقة بعين التزامه، وربما بلغت إلى حد الإحماض على عادة الفضلاء في الدعابة بما فيه ارتياح وارتياض، وبه تعلم أن ما عرف له في التوسل ليس بالكل، ولكن قل من جل، ولئن كان قد رق من حيث الموضوع فإنه في باقي الفنون كالوصف والمدح والتغزل فقد جرت منه اليراعة في هذه الفنون بما جاء من حيث الصناعة أرق ديباجة وأدخل في باب البراعة، الأمر الدال على أنه زاول من القريض طويه والعريض ما يرشد إلى أنه كان يستطيب التفيؤ تحت ظل روضه الأريض ولا غرو فهو الرجل الكامل لكل ما للكلمة من المعاني الجامع بين الأدبين اللساني والنفساني، وبين البيانين بيان السحر وبيان الحكمة والشعر ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وناهيك برجل صدقت فيه إشارة الشيخ سيدي العربي بن المعطي وبشارة الشيخ سيدي الحاج العربي الوزاني لما اشتكى عليهما والده قلة الولد، وكان لا يلد إلا البنات، فناوله الأول وردة مشيراً إلى أنه سيكون له ولد كالوردة في العلم والفضل، وناوله الثاني حليباً وقال له اشربه، بولد سيقر الله به عينك، على ما جاء في حكايتين حكاهما عن المترجم نفسه، نقل الأولى عنه صاحب كتاب الفتح الوهبي والثانية صاحب كتاب بلوغ المنى والآمال.

أقول: ولعل والده لذلك سماه باسم الشيخين ليبقى اسم العربي تذكاراً لهما بما حققه الله تعالى من إشارة الأول وبشارة الثاني.

وكان مسقط رأسه بدار لوالده قرب الجامع الكبير بمكناس حيث نشأ قبل أن يتخذ الرباط لنفسه خير كناش.

وكان تاريخ ولادته فجر عيد الأضحى عام تسعة وعشرين ومائتين وألف، ولما ولد كان عمر والده 76 سنة، ومات والده عن 96 سنة فتركه وهو ابن عشرين، وعاش هو نحو الثمانين.

وتوفي في الساعة الحادية عشرة من ليلة الأحد التاسع والعشرين من رجب عام 1309 وغسله الفقيه ابن الغازي الكبير والحاج العربي أفقير، وصلى عليه القاضي السيد أحمد البناني

وأقبره الشريف سيدي محمد الودغيري الفاسي، والسيد عبد الله التادلي، والسيد أحمد بن موسى السلوي، والسيد الطيب عواد السلوي.

وأبنه بالرثاء جماعة من أئمة الصناعة وفرسان البلاغة والبراعة، كان أسبقهم في ميدان الشعر صديقنا المتقدم الذكر فأنشأ قصيدة فريدة في طولها ولطولها نقتصر على هذا المطلع من مستهل قولها:

إِنْ لَمْ تُفِضْ مُهْجَتِي مِنَ الْعُيُونِ دَمَا ... حَتَّى تَذُوبَ جَوًى تَغْدُو بِهِ عَدَمَا
فَمَا اهْتَدَيْتُ ولا قَضَيْتُ وَاجِبَ مَنْ ... تَزْدَادُ عَلْيَاؤُهُ طُولَ الْمَدَى عِظَمَا

ومما جاء في وصف ضريحه من قصيدة في مديحه:

هَذَا ضَرِيحُ السَّيِّدِ ابْنِ السَّائِح ... ذِي الْفَضْلِ والنُّورِ الْمُبِينِ اللائِح
هَذَا ضَرِيحٌ ضَمَّ بَحْراً لَمْ يَزَلْ ... يَرْمِي بِمَوْجٍ بِالْمَعَارِفِ طَافِح

وجاء في مدح كتابه الفريد "بغية المستفيد من منية المريد" قول بعض الأدباء من قصيد:

عَطَفَتْ بَعْدَ مَطْلِهَا بِوِصَالِ ... ثُمَّ حَيَّتْ بِمَنْطِقٍ كَاللَّآلِ
فَشَفَتْ مِنْ بِعَادِهَا كُلَّ مُضْنًى ... ذَا غَرَامٍ عَنْ وُدِّهَا غَيْرَ سَالِ
قَدْ شُغِفْتُ بِحُبِّهَا وفَنَائِي ... مُنْيَتِي ووِصَالُهَا نُجْحُ حَالِي
جَمَعَتْ مِنْ جَوَاهِرِ الْعِلْمِ جَمًّا ... فِي نِظَامٍ أَتَى بِسِحْرٍ حَلالِ
تَوَّجَتْهَا بِشَرْحِهَا بُغْيَةَ ابْنِ السَّا ... ئِحِ الْعَرَبِيِّ الْفَتَى الْمِفْضَالِ
فَحَفَى مِنْ بِحَارِ أَنْقَالِ عِلْمٍ ... دُرَراً لا تُسَامُ بِالأَمْوَالِ

ولنذكر في آثار المترجم هذه الرسالة التي أجاب بها سائله عن عجز البيت الأخير الجاري مجرى المثل من البيتين الآتيين المنسوبين للولي الصالح والنور الواضح أبي عبد الله سيدي محمد العربي بردلة[1] ﷺ ونصها مع اختصار: الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا محمد رسول الله وآله الأكرمين وصحبه الطيبين بعد السلام التام وتاليه عليك أيها

---

(1) هو: أبو عبد الله، أو أبو حامد، محمد العربي بن أحمد بردله الفاسي، المتوفى سنة 1133هـ شيخ الجماعة بفاس وقاضيها، أخذ عن عبد القادر الفاسي، وأبي عبد الله بن سودة، وأخذ عنه أبو الحسن الشريف العلمي، وعبد السلام القادري، وأبو عبد الله المسناوي، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني، وغيرهم، له نوازل مشهورة جمعها تلميذه أبو العباس الخياط وطبعت في فاس سنة 1344هـ. انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف: 1/ 333، والاستقصا، للسلاوي الناصري: 7/ 91، و106، و107، و113، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 6/ 276.

الأخ الصادق الفقيه الأديب الفائق، قد ذكرت لنا أنه جرى في مذاكرة بعض السادة الجلة التاركين سفساف الأمور ترك الظبي ظله ذكر قولهم في المثل أن الهموم بقدر الهمم، فجنح بعض من حضر إلى أنه لا يحسن التمثل به عند أهل المعرفة الكاملة ولا يعتبر، وكأنه وفقنا الله وإياه رأى أن الكامل لا هم له لكمال تفويضه واستسلامه وفنائه عن مراداته لمراد الحق وأحكامه، وهو وإن كان كذلك وفوق ذلك فإنه يحسن منه التمثل به أكثر من غيره ممن لم يخض تلك المسالك كما يتضح لك بالتقرير، والله المستعان وإياه أستعن وأستخير غير خاف أن الأمثال الشعرية وما جرى مجراها منها ما يكون في البيت برمته ومنها ما يكون في مصراعه ومنها ما يكون في أقل من ذلك، وهذا مصراع بيت من البيتين الشهيرين:

وَقَائِلَةٍ لِمْ عَرَتْكَ الْهُمُومُ وأَمْرُكَ مُمْتَثَلٌ فِي الأُمَمْ

فَقُلْتُ ذَرِينِي عَلَى حَالَتِي فَإِنَّ الْهُمُومَ بِقَدْرِ الْهِمَمْ

كما أنه غير خاف أن الهموم جمع هم، وهو أحد الخواطر الخمسة الشهيرة ذكراً وترتيباً وإحكاماً، فلا نطيل بها، والهم القصد والعزم، ومنه قوله:

هَمَمْتُ ولَمْ أَفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلائِلُهْ

وقولهم: لا أفعله لا كيداً ولا هماً- أي ولا أكاد أفعله كيداً ولا أهم به هماً. قاله سيبويه؛ ومنه الهمام وهو الذي إذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه.اهـ.

ذكره العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن الثعالبي[1] رحمه الله.

ثم إن الأمر المهم لا يخلو إما أن يتيسر وهذا بين، وإما أن يتعسر أو يتعذر فيلازم المهتم به تنغيص كبير وشغل فكر به وذهول عقل فيه، فيطلق على هذه الحالة أيضاً هم فيقال فلان مهموم، وعلته هموم أي استولت عليه فظهر آثارها على وجهه وسائر حواسه، وعلى هذه الحالة قوله:

كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ[2]

وقوله في بيت المثل وقائلة.. إلخ، معناه أن الهموم بقدر الهمم كثرة وعظماً، فكلما كثرت

---

(1) هو: أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المتوفى سنة 875هـ، أخذ العلم عن أئمة منهم ابن مرزوق الحفيد، والأبي، والمنكلاتي، والبرزلي، وغيرهم، وعنه أخذ ابن مرزوق الكفيف، وله تفسير مشهور. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 1/ 282.

(2) البيت للنابغة الذبياني من معلقته.

همم الإنسان وعظمت كثرت همومه وعظمت، ولا محالة أن الإنسان إذا كان غير متعلق بمعالي الأمور، وإنما همته في سفاسفها وأدناها رضاً منه بالعجز وإخلاداً إلى الدعة وفرحاً بالسلامة، وتسلمه ذلك لأهل الكد والنصب قلت همومه بخلاف ما إذا كان متعلقاً بمعالي الأمور وكلفاً بها في الورود والصدور وجاداً في طلب المحامد مقتفياً من المكارم الطارف والتالد، فإنه تعظم همومه بقدر عظم ذلك وكثرة ما هنالك، فظهر أن مراد الشاعر التبجح والافتخار لا مجرد التمسك بالاعتذار، فإن كثرة الهموم وإن كانت مكروهة بالطبع فإنها محمودة من حيث ما نشأت عنه وتسببت عن وجوده لأن كل واحد لا يتعلق إلا بما يناسبه كما تدل على ما يصير إليه حاله. وإذا ظهر لك معنى المثل فينبغي أن تعلم أنه لا يخلو كريم نفس عن هم أبداً، لأن نفسه مجبولة على ابتغاء المكارم وهي من حيث كونها آثاراً لأسماء الله تعالى لا تتناهى كذلك همومه لا تتنامى ولا بد من مثال يسفر بعض الإسفار عن مخدرات الإجمال فأما في بساط أهل الطريق المنطوي على سر الحكمة الباهر فمثال ذلك المهتم به العلم وهو أشرف المهمات وهو كما تقدم الإيماء إليه ونص عليه غير واحد لا غاية له ينتهى إليها ولا حد يحيط به وفوق كلِّ من ذوي العلم عليم، ومنتهى العلم إلى الله تعالى القديم، فمنهومه لا محالة غير شابع، وكالإمارة مثلاً وما اشتملت عليه من جميل الأوصاف عقلاً وحلماً ونجدة وشجاعة وسياسة وغير ذلك مما يطول تفصيله وشرحه وغير الإمارة من المناصب الشريفة، وفي هذا البساط يورد أكثر الناس المثل وغير خاف أن هذا ونحوه كله أمر ديني شرعي مع صحة النية فيه والقيام فيه بالأوامر الشرعية فعلاً وتركاً، فهو أولى ما يهتم به ويتبجح بالاتصاف بالكد والنصب في طلبه، وأما بساط أهل الباطن النافضين أيديهم مما سوى الله تعالى في سائر المواطن فمثاله أيضاً في حق أهل البدايات أنه لا يقطع المريد السالك مرتبة إلا ويحصل له الاستعداد لما فوقها، وهكذا في سائر مراتب النفس المبنية في بساط السلوك فبقدر ذلك الاستعداد الذي هو همته في مقامه يكثر ويعظم همه وهذا ظاهر واضح فإذا بلغ درجة الكمال وصار من أهل النهايات وخواص الرجال كان استعداده أقوى وأعظم لأنه مستعد حينئذ لتوالي التجليات واختلاف صورها في مقام الشهود فافهم.

سَــيَكْفِيكَ مِــنْ ذَاكَ الْجَمَــالِ إِشَــارَةٌ فَــدَعْهُ مَــصُوناً بِالْجَمَــالِ مُحَجَّبَــا

فيعظم همه في هذا المقام بقدره، وذلك من أجل أن معرفة الله تعالى لا نهاية لها، إذ لا يعرف الله إلا الله، وغاية ما يصله الواصلون منها مقام الحيرة، انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة، رب زدني فيك تحيراً.

قال بعض الأكابر الكمل: أي والِ تجلياتك علي ولأن الكمال الذي لا يقبل لا يكون إلا لله تعالى، فافهم وتعلم.

إن اهتمام الكامل بالزيادة من هذه الحيرة أعظم هم وأجله، وناهيك بأمر به اهتم الرسول الأعظم ﷺ وطلب الزيادة منه، لكن الهم في الكامل هنا على ما يناسب مقامه ويليق بجلالة قدره، ولكل مقام مقال، وكذلك يعظم هم الكامل أيضاً من أجل ما يجب عليه من أداء الشكر في مقامه، فهو يهتم بذلك دائماً كما أشار إليه الشيخ الكبير العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني(1) فيما نقله عن الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي ونصه: العارف يأكل الحلواء والعسل في هذه الدار، والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل، فهو كثير التنغيص لا يتلذذ في الدنيا بنعمة أبداً لشغله بما كلفه الله به من الشكر عليها، فالعارفون كالأطفال بالنسبة إلى هؤلاء الكمال فما بالك بغير العارفين. اهـ.

ومما يدل لما أشرنا إليه من أن الزيادة لا بد من طلبها في مقام الكمال قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ولم يأمره به إلى وقت معين فهو دائماً دنيا وأخرى بدليل «فأحمد ربي بمحامد يعلمنيها لا أعلمها الآن»(2).

وإذا كان الله خلاقاً إلى غير نهاية فالعلوم إلى غير نهاية. اهـ.

وعلى هذا مذهب من لم يقل بالري من كُمَّل العارفين، وهناك من قال به وهم على ما قاله الشيخ الأكبر ابن العربي الأولياء المكشوف لهم عن عالم الحياة الدنيا وطول مدتها.

ولما سمع الشيخ الكامل أبو يزيد البسطامي(3) ﷺ قول بعضهم أعني القائلين بالري

---

(1) هو: أبو عبد الرحمن، عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني، الأنصاري، الشافعي، الشاذلي، المصري، المتوفى سنة 973هـ، ونسبته إلى "ساقية أبي شعرة" من قرى المنوفية، وبها نشأ ثم قدم القاهرة فأخذ عن السيوطي وزكريا الأنصاري، وغيرهما، من تصانيفه: "الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم" و"الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة"، و"لواقح الأنوار في طبقات الاخيار"، و"المقدمة النحوية في علم العربية"، وشرح جمع الجوامع للسبكي، و"الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر"، و"اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر"، و"كشف الغمة عن جميع الأمة". انظر ترجمته في: شذرات الذهب، لابن العماد: 8/ 372، وفهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 405، والشعراني إمام التصوف، للدكتور توفيق الطويل.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: 6/ 2695، برقم (6975)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: 1/ 180، برقم (193).

(3) هو: أبو اليزيد، طيفور بن عيسى بن سروشان البسطامي.

مخبراً عن نفسه بحصوله قال: الكامل من يتحسى البحار ولسانه خارج من العطش. أهـ بمعناه على طول عهد به وإلى هذين المذهبين أشار قائلهم بقوله:

الـرِّيُّ قَـالَ بِـهِ قَـوْمٌ ولَـيْسَ لَهُـمْ   عِـلْمٌ بِـأَنَّ وُجُـودَ الـرِّيِّ مَعْـدُومُ
لَـوْ كَـانَ رِيٌّ تَنَـامَى الأَمْـرُ وانْقَطَـعَتْ   أَمْـدَادُهُ وزِيَـادَاتٌ وتَـغْلِيمُ
وَالأَمْـرُ لَـيْسَ لَـهُ حَـدٌّ يُحِـيطُ بِـهِ   ولَكِـنِ الـرِّزْقُ فِـي الأَشْـخَاصِ مَقْسُومُ

وهذا الذي تيسر مما أوجب على العبيد الإسعاف به خالص محبتكم وصفاء مودتكم وإن كنت حفظك الله استسمنت في هذا البحث ذا ورم ونفخت في غير ضرم، فلولا أكيد أخوتكم ما كتبت في هذا حرفاً واحداً ولا أعملت فيه فكراً ولا ساعداً لعلمي بأني لا آتي إلا بما لا حاصل تحته على أني أتمثل حيث لا مندوحة عن الإسعاف بقول القائل:

تَـرْكُ الـتَّكَلُّفِ فِـيمَا قَـدْ أَتَيْـتَ بِـهِ   أَوْلَـى مِـنَ الْمَطْـلِ والإِخْـلافِ والْكَسَلِ

وأعوذ بالله أن يكون ما كتبته هوى متبعاً وداء كميناً مختبعاً، وهو حسبي ونعم الوكيل. اهـ.

وأما شعره ففي كشف الحجاب لصاحبنا القاضي السيد أحمد سكيرج منه شذرات ما بين توسلات ونبويات، وإليك منه هنا بعض الغزليات، قال:

وَشَـادِنٌ أَبْـلَجُ الْـمُحَيَّا   تَـغَارُ مِـنْ حُـسْنِهِ الـدَّرَارِي
يَقْـدُمُهُ إِنْ شَـا سَـنَاهُ   كَـأَنَّهُ صِـيغَ مِـنْ نُـضَارِ
إِنْ رَامَ فِـي مَـشْيِهِ انْطِلاقـاً   لَـجَّ بِـهِ الـسُّكْرُ فِـي الْعِثَـارِ
لامُـوهُ فِـي الْكَـأْسِ إِنْ تَـرَدَّى   وهُـوَ مِـنَ الزَّهْـوِ فِـي الْخِمَـارِ
وَأَكْـثَرُوا عَـذْلَهُ ورَاحُـوا   عَـنْ جَانِـبِ الْعَـذْلِ فِـي ازْوِرَارِ
بَـكَى لِـلَذْعِ الْمَـلامِ حَتَّـى   بَـكَى لِـمَا نَـابَهُ الْقُمَـارِي
نَـأَى فَـعَادَ الـنَّهَارُ لَـيْلاً   وعَـزَّ مِـنْ فَقْـدِهِ اصْـطِبَارِي
فَقُلْـتُ والْقَلْـبُ فِـي اضْـطِرَابٍ   عَـلَيْهِ والـدَّمْعُ فِـي انْهِمَـارِ
وَنَـارُ وَجْـدِي بِـهِ تَلَظَّـى   وكَـبِدِي مِنْـهُ فِـي انْفِطَـارِ
تَـعَلُّلاً فَـعُذْرُ الْـمَلِيحِ بَـادٍ   مَـالَتْ بِـهِ نَـشْوَةُ الْعُقَـارِ
فَـظَنَّ كَـأْسَ الْـمُدَامِ قَلْبـاً   مِـنْ حُـبِّهِ ظَـلَّ فِـي انْفِطَـارِ

وَهُــوَ بِكَــسْرِ الْقُلُــوبِ مُغْــرَى فَــكُلُّهَا مِــنْهُ فِــي انْكِــسَارِ
فَكَــسَّرَ الْكَــأْسَ وانْثَنَــى مِــنْ دَلالِــــهِ سَاحِــــبَ الإِزَارِ
وَهَــلْ عَلَــى الظَّبْــيِ مِــنْ مَــلامٍ إنْ مَــــالَ لِــــلتِّيهِ والــــنِّفَارِ
أبْــقَاهُ رَبِّــي فَــرِيدَ حُــسْنٍ يَــعْنُو بِــهِ جُــؤْذُرُ الْقِفَــارِ

وقال أيضاً:

لَــمْ أَنْــسَهُ إِذْ لأَنَّ الْقَلْــبَ يُطْمِعُنِــي فِـي وَصْـلِهِ وهْـوَ عِنْـدِي غَايَـةُ الأَمَـلِ
فَــقَالَ وهْــوَ مِــنَ الإِدْلالِ فِــي مَــرَحٍ ومِــنْ أَمَانِيــهِ والأَطْمَــاعِ فِــي جَــذَلِ
كَــمْ مَــرَّةٍ قَــدْ نَوَيْــتُ الْيَــوْمَ زَوْرَتَكُــمْ فَــخِلْتُ أَنَّكُــمُ عَــنْ ذَاكَ فِــي شُــغُلِ
فَقُلْــتُ والْقَــدُّ مِــنْ...[1] فِــي أَسَــفٍ مَقَالَــةً شِــيبَ مِنْهَــا الــصَّوْبُ بِالْعَــسَلِ
أَمَّــا الْوِصَــالُ فَــشَيْءٌ لَــسْتُ آمُلُــهُ حَــظُّ الأَدِيــبِ بِحَــالٍ عَنْــهُ لَــمْ يَحُــلِ
الــنَّظْمُ والنَّثْــرُ والتَّجْوِيــدُ يَلْزَمُنِــي أَمَّــا الْحُظُــوظُ فَــشَيْءٌ لَــيْسَ فِــي قِبَلِــي

وقال في نظامه مفصحاً عن مقامه:

سَــكِرْتُ ولَــمْ يَــشْعُرْ صَــحَابَتِي كُلُّهُــمْ بِــأَيِّ شَــرَابٍ كَــانَ مِــنْ دُونِهِــمْ سُــكْرِي
وَمَــا بِــشُمُولٍ كَــانَ سُــكْرِي وإِنَّمَــا شَــمَائِلُ مَــحْبُوبِي شُــمُولِيَ لَــوْ تَــدْرِي
فَــمَنْ يَــغْتَبِقْ صِــرْفَ الْمُــدَامِ مُعَتَّقــاً فَــمُغْتَبِقِي ذِكْــرَى خَــلائِقِهِ الْــغُرِّ
لِــذَاكَ تَــرَاهُمْ يُــطْرَبُونَ هُــنَيْهَةً وأُطْــرَبُ مِــنْ ذِكْــرِي حَــلاهُ مَــدَى الــدَّهْرِ
وَلا عُــتْبَ إِنْ يُمْــسِي الــشَّجِيُّ مُعَرْبِــداً ومَــاذَا عَــلَيْهِ فِــي الْخَلِــيِّ أَوِ الْغَمْــرِ
فَــعِنْدَ هُــبُوبِ الــسَّارِيَاتِ مِــنَ الْحِمَــى تَمِيــلُ غُــصُونُ الْبَــانِ لا الــصَّلْدُ مِنْ صَــخْرِ
وَأَنَّــى يَــلِذُّ الْــحُبُّ دُونَ تَــهَتُّكٍ وإِلْــقَاءِ جِــلْبَابِ الْوَقَــارِ وَرَا الظَّهْــرِ
أَلا فَــاسْقِنِي خَمْــراً وكُــنْ لِــيَ مُــسْعِداً بِقَوْلِــكَ هِــيَ الْخَمْــرُ تَسْتَوْجِبُ شُــكْرِي

* [226] سيدي العربي التهامي الوزاني (المتوفى سنة 1339هـ)[2]

زعيم الشرفاء الوزانيين الكبير ونقيبهم الشهير وعالمهم الخبير صاحب المعجم التاريخي

(1) بياض في الأصل.

(2) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 427، وسل النصال، لابن سودة، ص: 257، والأعلام، للزركلي: 4/ 224، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 6/ 277.

الذي نقلنا عنه هنا غير ما مرة أتى فيه على فهرسته وترجمته تحت عنوان بلوغ المنى والآمال فيمن لقيته من المشايخ وأهل الفضل والكمال، وبمراجعته يعلم كنه ترجمة الرجل على سبيل التفصيل لكن نكتفي ها هنا بملخص ما كتبته جريدة السعادة في حقه على سبيل التحصيل، فقد ذكرت أنه من فرقة الأشراف الحسنيين التهاميين وأنه العربي بن عبد الله بن محمد بن الحسني ابن الشيخ الأكبر مولاي التهامي ابن العلم الأوحد سيدي محمد ابن القطب الكامل مولاي عبد الله الشريف الجامع لشعب هذه الأسرة الوزانية الشريفة. وولد المرحوم في عام 1250 والذي سماه بهذا الاسم هو الشيخ الأشهر سيدي الحاج العربي الوزاني، وذلك أنه صادفه الحال وقت ولادته بالرباط في رفقة السلطان المقدس الذكر مولانا عبد الرحمن، وكان إذ ذاك قد وافاه الخبر من وزان بزيادة مولود له كذلك من عقيلته هناك ففرح لتلك البشارة المزدوجة وتولى بنفسه تسمية الغلامين معاً، فاختار أن يكون اسم مولود وزان عبد السلام ومولود الرباط كاسمه العربي إشارة إلى أنه سيكون على قدمه فضلاً وصلاحاً. وقد تربى تربية حسنة بين عوامل التأديب والتهذيب كانت أقوى رائد له لطرق الخير والرشاد وأسباب الفوز والإسعاد، وذلك بفضل عناية والديه الأكرمين اللذين كانا دؤوبين على تربيته والاهتمام بأمر نشأته ولا غرو فالابن يشيب على ما شب عليه وينطبع في قالب طبعه كل ما أفرغ فيه في حالة طفوليته إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

وقد كان له ولوع زائد وشغف كبير باقتناء الكتب العلمية والدواوين النفيسة حتى جمع منها قدراً صالحاً لا يستهان به.

واعتنى بالتأليف في آخر حياته فألف كتاباً بديع الصنع رفيع الوضع على نسق الذخيرة يشتمل على سبعة أجزاء سماه لوائح الأنوار في الصلاة على النبي المختار، وآخر على نسق دلائل الخيرات في الصلاة على النبي أيضاً، وآخر في مناقب سيدي الحاج العربي السالف الذكر وولده سيدي الحاج عبد السلام، وآخر في علم الفروسية سماه فيض النيل في الفروسية وركوب الخيل، وله شرح على أرجوزة القادري في الخيل أيضاً وفهرسة مشايخه المشار إليها، وله قصائد في الملحون دقيقة المعاني فائقة المباني كلها حقائق غامضة ونكت إشارية على طريق الصوفية وبعضها في المديح النبوي والتوسل بالذات المحمدية.

أما أحواله المتعارفة فقد كان ذا همة عالية ونفس أبية حسن السيرة سليم السريرة جميل الأخلاق والسجايا كثير المحاسن والمزايا محباً للخير مرشداً إليه منتصراً للحق معيناً عليه دائم التسليم والرضى والتحمل لما جاء به القضا، وناهيك أنه رُزِئَ أخيراً في فلذة كبده مولاي

عبد الله درة العصر الذي لا يحق عليه صبر فلم يجزع ولم يفزع ولا رُئِيَتْ في عينيه دمعة حزن.

وكان رَحِمَهُ اللهُ ضابطاً في أموره الدنيوية ضبطاً زائداً لا يكاد يعادله إلا احتفاظه على شؤونه الدينية التي لا يعرف عنه أنه وقع منه فيها تساهل ما.

ومن غريب أمره أنه كان يتطبب لنفسه تطبباً عجيباً طالما عزى إليه ما كان يجده، ويشاهد في ذاته من الصحة التامة ودوام العافية ألا وهو ملازمته لثلاثة أمور تقليل الأكل وتبكير القيام من النوم والتوضؤ بالماء البارد سواء في أوقات الحر والقر.

وفي عام 1327 ولي النقابة العامة على كافة الزوايا الوزانية والشرفاء الوزانيين بالمغرب وخرج فيه صحبة السلطان الأسبق مولاي عبد العزيز بحركة الحوز الشهيرة بوقعتها الكبرى التي لا زالت نقطتها السوداء ماثلة للأنظار في وجه التاريخ، ثم عاد منها في جملة من عاد كما هو معلوم فلازم منزله واشتغل بأمر نفسه واعتكف على العبادة والنسك تأهباً للرحيل الأخير واستعداداً للقاء مولاه.

ولم يزل منكباً على عبادة ربه وملازماً لمنزله والناس يتواردون عليه لزيارته والتبرك به والتماس دعواته الصالحة إلى أن وافاه الأجل المحتوم والقضاء المعلوم فلبى الدعوة وانتقل لدار البقاء.

وكانت وفاته زوال يوم الخميس خامس شعبان عام 1339، ودفن بروض صغير داخل روضه الكبير، حبس على دفنه ودفن أبنائه من بعده، جدد الله عليه ملابس الرحمات من عنده، والحمد لله حق حمده.

ذكر من اسمه علي

* [227] الشيخ علي الشُّشْتُري الأندلسي ثم الرباطي (المتوفى سنة 668هـ)(1)

هو الشيخ الإمام العلامة الهمام الولي الكامل المحقق الواصل فريد زمانه رئيس دهره وأوانه أبو الحسن سيدي علي بن عبد الله الشُّشْتُرِي الأندلسي الأصل ثم الرباطي، وششتر

(1) انظر ترجمته في: نيل الابتهاج، للتنبكتي: 1/ 360، الأعلام، لخير الدين الزركلي:4/ 305، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 7/ 135، وشجرة النور، لمخلوف: 1/ 312، وقال: توفي بالطينة من عمالة القدس سنة 668هـ. قال الشيخ زروق: رُمي جماعة بالقول بالحلول والظهور مع أنه كفر كالحلاج والعفيف التلمساني والششتري وابن عربي وابن الفارض وابن سبعين وآخرين والظن فيهم البراءة مما رموا به ولكن ضاقت عليهم العبارة عن حقائق تصريح العلم فأدت بظاهرها ما يتوهم أنهم برآء هذا معتقدنا وعند الله الموعد وممن بالغ في الحط عليهم وكفرهم الشيخ برهان الدين البقاعي في تأليف له في ابن الفارض، وعند الله مجتمع الخصوم. انتهى من نيل الابتهاج (1/ 362).

بشينين معجمتين أولاهما مضمومة، وثانيهما ساكنة بعدهما تاء مضمومة فوقية، قرية بالأندلس، وششتر أيضاً مدينة بالعراق.

سكن الشيخ رحمه الله الرباط ثم جال في البلاد فدخل فاساً ومكناساً ثم رحل إلى المشرق فجال في بلادها، ولما وصل إلى الشام نزل بساحل دمياط[1] في قرية هناك على ساحل البحر الرومي يُصطاد فيها السمك، وقال ما اسم هذه القرية، فقيل له الطينة[2]، فقال حنت الطينة إلى الطينة. وأوصى بدفنه بعد موته بمقبرة دمياط، فلما مرض حمله الفقراء على أعناقهم فتوفي بها يوم الثلاثاء سابع عشر صفر الخير عام ثمانية وستين وستمائة.

كان رحمه الله من الأمراء وأولاد الأمراء فصار من سادات الفقراء.

أخذ رحمه الله طريق التجريد والتغريب عن شيخه الإمام القدوة الهمام سيدي ابن سبعين رحمه الله[3]، ولما أراد الأخذ عنه قال له الشيخ المذكور: لا تنال من علمنا هذا شيئاً حتى تسقط جاهك وتفني في الله مالك؛ فباع كل ما عنده وتصدق به ولبس قشابة التجريد لحضرة السميع المجيب فنال بذلك من الله تعالى غاية التقريب.

وله رحمه الله تآليف منها كتاب العروة الوثقى فيما يجب على المسلم أن يعلمه ويعتضده، ثم اختصره من بعده الإمام التجيبي رحمه الله ، ومنها المقاليد الوجودية في أسرار إشارات الصوفية، ومنها الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة والمراتب الإسلامية والإيمانية والإحسانية.

وله أشعار وأزجال ومقطعات في غاية النبل جمعت في ديوان كبير. وشيخه بالمشار هو الإمام الأوحد الشيخ سيدي عبد الحق بن سبعين توفي بعد وفاة تلميذه المترجم له بسنة، رحمهم الله ورضي عنهم آمين. انتهت باختصار من شرح الإمام الجامع أبي العباس سيدي أحمد بن عجيبة[4] رحمه الله لبعض مقطعاته التي أولها:

---

(1) كذا في الأصل والعبارة موحيه بأن مدينة دمياط من مدن الشام ولا أعرفها بغير مصر.

(2) قال ياقوت: الطينة بلفظ واحدة الطين بكسر أوله وسكون ثانيه ونون بليدة بين الفرما وتنيس من أرض مصر. معجم البلدان: 4/ 56.

(3) هو: أبو محمد، عبد الحق بن إبراهيم الإشبيلي المعروف بابن سبعين، الصوفي، الزاهد، المتوفى بمكة سنة 669هـ درس العربية بالأندلس، ثم انتقل إلى سبتة، ثم سكن بجاية، مدة، وحج وأقام بمكة، عرف بالقول بوحدة الوجود. انظر ترجمته في: الإحاطة، للسان الدين ابن الخطيب: 4/ 31، وعنوان الدراية، للغبريني، ص:237، ونيل الابتهاج، للتنبكتي: ص 279، وشذرات الذهب، لابن العماد: 5/ 329.

(4) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، الادريسي، الشاذلي، الفاسي، الفقيه، المتوفى سنة 1160هـ.

صَـــحَّ عِنْـــدِي الْخَبَـــرُ وسَـــرَى فِـــي سِـــرِّي

ومن كلامه في نونيته قوله:

وَمَـهْمَا تَـرَى كُـلَّ الْمَرَاتِـبِ تُجْتَلَـى عَـلَيْهَا فَحُـلْ عَنْهَـا فَعَـنْ مِثْلِهَـا حُلْنَـا

وَقُـلْ لَـيْسَ لِـي فِـي غَيْـرِ ذَاتِـكَ مَطْلَـبٌ فَـلا صُـورَةٌ تُجْلَـى ولا طُرْفَـةٌ تُجْنَـى

* [228] السلطان أبو الحسن المريني مجدد شالة ودفينها (المتوفى سنة 752هـ)(1)

علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني أفخم ملوك بني مرين دولة، وأضخمهم ملكاً، وأبعدهم صيتاً، وأكثرهم آثاراً بالمغربين والأندلس، المعروف عند العامة بالسلطان الأكحل، لأن أمه كانت حبشية، فكان أسمر اللون.

عهد إليه بالأمر والده السلطان أبو سعيد، وبويع البيعة العامة بعد وفاته سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، واتصلت أيام ملكه إلى ربيع الثاني سنة اثنين وخمسين وسبعمائة.

وأخباره ولا سيما في الجهاد والفتح وارتجاعه لجبل طارق وفتح تلمسان واستيلائه على تونس وما كان له من الكلف بالمعاهد الشريفة ومراسلته لسلطان مصر في ذلك وبعثه المصاحف من خطه إلى المساجد الثلاثة شرفها الله إلى غير ذلك كله معروف في التاريخ المغربي.

ومن أعظم آثاره بالمغرب مدينة شالة بالرباط فإنها في شكلها الحاضر من بنائه حسبما هو مكتوب بخط كوفي على بابها الغربي الكبير، وهو أدار أسوارها وبنى أبوابها وأسس زاويتها وشيد قبابها وسائر أبراجها وشرفاتها إلى مسجدها ومنارتها، وكان شيد مع ذلك قبة شاهقة لنفسه جعلها ضريحاً لمدفنه بعد اختتام نفسه، وأقامها على أربعة أقواس من حجر ثم رفع سمكها بالحجر أيضاً ونصب قبوها بالحجر والآجور وأودعه من جميل النقش وغريب التسطير ما تحار فيه الألباب، وأقام في وجهة القوس القبلي حائطاً غريب الصناعة وزينه بنقوش وكتابات وأدعية بحيث ما ترك الصناع فيه محلاً فارغاً من الزينة ما بين تخطيط بأحرف رخامية وكتابات كوفية وأخرى أندلسية مزدانة بليقة الذهب الذي لا يزال بعضه يبرق للعيان. ودارت تلك الكتابة بالحائط المذكور تربيعاً من أعلاه إلى أسفله.

---

(1) انظر ترجمته في: جذوة الاقتباس، لابن القاضي المكناسي، 461، والاستقصا، للسلاوي: 1/ 105، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 58، والإعلام، للسملالي: 9/ 171، والأعلام، للزركلي: 4/ 311.

قرأت من ذلك ما نصه:

البقاء لله البقاء لله أمر بهذه القبة المباركة مولانا السلطان...[1] أبي سعيد بجوار هذه المقابر المرعية عامله الله بجميل الجزاء أصلحه الله نفع الله مولانا بالمقاصد المهمة. أهـ ما حققته من ذلك.

وزين أعلى هذا الحائط بشرافتين من رخام ملون بالأسود البراق والأبيض المرمري المخطط بنقوش جميلة المنظر وكذلك زانه بقطع رخامية مربعة الشكل نقش فيها بخط كوفي جميل: الحمد لله الشكر لله العزة لله، وما شاكل ذلك. وكان بقبلة هذه القبة لوح رخام اشتمل على ذكر الأوقاف التي أوقفها على تلك الأضرحة لجريان العمل من قيام المراسم الدينية بها وحفظ رواتب القومة والسدنة على تلك الأضرحة، ثم لما قضى الله بوفاته بجبيل درن من أعمال مراكش نقل إلى جامع المنصور منها فدفن بقبلته ثم نقله ولده أبو عنان إلى هذا الضريح الذي أعده لنفسه بشالة حسبما هو مكتوب على قبره ونصه:

هذا قبر السلطان الخليفة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن مولانا السلطان الخليفة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد ابن مولانا السلطان الخليفة الإمام أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق قدس الله روحه ونور ضريحه.

توفي رضي الله عنه وأرضاه بجبل هنتاته في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين لشهر ربيع الأول المبارك من عام اثنين وخمسين وسبعمائة وأقبر في قبلة جامع المنصور من مراكش عمره الله بذكره ثم نقل من هناك إلى هذا الضريح المبارك المقدس من شالة ألحقه الله رضوانه وبوأه جنانه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله. اهـ.

* [229] سيدي علي بن أيوب الخطيب بالرباط (المتوفى بعد 770هـ)[2]

الحميد المناقب والخلال المعدود في جلة الرجال الموصوف بفضل المحبة وزكاء الأفعال الظاهرة على محله مخايل سنا الأحوال المقبل في كل أحيانه على عبادة مولاه، معلم كتاب الله، أعف من زوت عليه في جيله من الطهارة الجيوب الشيخ أبو الحسن علي بن أيوب الخطيب

(1) كلمة غير مقروءة في الأصل.

(2) انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 112، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 79.

برباط الفتح، كذا حلاه أبو عبد الله الحضرمي[1] في تاريخه ثم قال: تبركت به ﷺ في السنة التي تبركت بسيدي أبي العباس ابن عاشر[2] فيها، وواظبت على التردد إليه لحضار المتعلمين بين يديه فدعاني لداره في عدد من المتبركين فأمتع الله من إفادته العلمية ونصائحه الدينية بما يجريه الله على ألسنة الأخيار المتقين من عباده الصالحين مشوباً بكثرة الحياء والحشمة وشدة الخوف والخشية ولزوم إطراق الفكرة، فلا يكاد معها بأن يصعد طرفة عين ولا أن ينقل إنسانه لسانه من أين إلى أين، وآن للقلوب أن تنفطر بما أوجده الله سبحانه ببركته من امتعاض البصائر وحق للأشواق أن تحرق بشررها المتطاير.

أخبرني غير واحد ممن يعرفه قديماً أنه كان في بدايته مفرطاً في الاجتهاد مواصل أطراف النهار بأواخر الليل في عبادة رب العباد على طريقة الأعلام، فأنهته إلى ما قسم له من عناية ذي الجلال والإكرام مغبوط الأحوال، محفوظ الأفعال والأقوال، مصروف الهمة، إلى منهاج خير الأمة.

وله كلمات تدل على تمكن فضله وتنوير علمه يقول: من لم يفتح له من القرآن مشرب لا يروى أبداً.

ومن قوله: اتباع السنة في الرخص خير من ارتكاب الاجتهاد بالبدعة.

ويقول: بالرحمة والرفق أدركت الأشياء العالية لا بالعنف والمشقة. ويقول: من ظن الحق في غير القرآن ضل، ومن طلب الوصول على غير طريق السنة لم يصل أبداً.

ومن صفات وقت دخول الباب وهو كثير الذكر مواظب على الخير تال لكتاب الله تعالى مشتغل بالعلم، والغالب عليه جميل الظن وحسن الرجاء بما عند الله سبحانه من خير ومغفرة. انتهى المراد بلفظه.

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد المهيمن الحضرمي، المتوفى سنة 787هـ، وكتابه " السلسل (أو السلسبيل) العذب والمنهل الأحلى المرفوع للخلافة العزيزية التي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى في سلك من تحلى سلكهم في الأربعين في الجيل جيل فاس ومكناسة وسلا"، قال الكتاني عنه: إنه كتاب عجيب حلو السياق اهـ وله أيضاً: "الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء والعباد". انظر ترجمته في دليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 53، والأعلام، للزركلي: 6/ 251.

(2) هو: أبو العباس، أحمد بن محمد بن عاشر السلوي، الأنصاري، الأندلسي، المتوفى سنة 765هـ قال ابن قنفذ: وفي سنة خمس وستين وسبعمائة توفي الشيخ الفقيه الولي الورع أبو العباس أحمد بن عاشر الأندلسي بمدينة سلا وبها لقيته سنة ثلاث وستين وسبعمائة وهو على أتم حال في الورع والفرار من الأمراء والتمسك بالسنة. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني: 2/ 313.

وممن ذكره من المؤرخين ابن الخطيب القسمطيني في أنس الفقير[1] وقال أنه لقيه بسلا وحكى عنه كرامات، ولم يذكر له وفاة، وكان لقاؤه له بعد السبعين وسبعمائة وحواليها كانت وفاته تقريباً والله أعلم.

* [230] سيدي علي أبو الشكاوي الشلوي (المتوفى سنة 1004هـ)[2]

هو الولي الصالح أبو الحسن علي بن منصور البوزيدي المعروف بأبي الشكاوي دفين شالة، أخذ عن سيدي العسال، عن سيدي محمد الزيتوني؛ عن سيدي محمد اللهبي عن سيدي مالك بن خدة، كما أخذ عن الشيخ المجذوب، وأبي الرواين المحجوب وغيرهما من الشيوخ، وعددهم ستة وعشرون وآخرهم سيدي أبو الحسن الشبلي وأولاده ينتسبون إلى عيسى بن إدريس الحسني دفين آيت عتاب.

كان رحمه الله عجيب الكرامات عظيم المقامات من ذوي المعرفة بالله والدلالة على الله وكان واقفاً عند الشريعة معظماً لها محافظاً عليها، وكان مع ذلك كله إذا قيل له ادع لي، أو خاطرك معي، يقول لسائله يا ولدي إني منذ ثمان سنين مسلوب.

وإنما عرف بأبي الشكاوي لما يحكى عنه من أنه يوماً ملأ بشكوة واحدة كانت لامرأة استضافته قصعاً كثيرة من اللبن الحليب وأشبع بذلك جماً غفيراً من أصحابه وغيرهم.

رحل للمشرق وروى عن مشايخ عدة وكان كثير الملازمة لسيدي يوسف الفاسي، ولما دنت وفاته رحل إليه من شالة موطن سكناه إلى فاس فلقيه على العادة، ولما أراد فراقه قال: إنما جئت لأودعك لأني لاحق بالله. فكان الأمر كذلك.

وتوفي بعد رجوعه سنة أربع وألف، وقبره معروف على ظهر هضبة من هضاب شالة بنيت عليه قبة قديماً وجددها أخيراً شيخ بعض مشايخنا العارف بالله تعالى سيدي العربي بن السائح أحد صلحاء الرباط. ومن أولاد المترجم ولده الفاضل أبو العباس أحمد الخضر، ذكره في مرآة المحاسن ونقل عنه. ومن حفدته الشاعر الوشاح أبو عبد الله محمد بن الخضر المذكور سابقاً.

---

(1) هو كتاب: أنس الفقير وعز الحقير، وهو في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه، لأبي العباس، أحمد بن حسن بن علي الخطيب القسنطيني أو القسمطيني – والأصوب بالنون – المعروف بابن قنفذ، المتوفى سنة 810هـ. طبع سنة 1965 م انظر حول الكتاب ومؤلفه: جواهر الكمال، للكانوني، ص:44، والأعلام، للزركلي: 1/ 117.

(2) انظر ترجمته في: ممتع الأسماع في مناقب الجزولي ومن له من الأتباع، للمهدي الفاسي، ص: 217، ونشر المثاني، للقادري: 1/ 57، والتقاط الدرر، للثعالبي، ص: 25، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 117 و118، وابتهاج القلوب مخطوط تحت رقم 363/ج في الخزانة العامة، ورقة 81/أ- 81/ب، ومرآة المحاسن، لأبي حامد الفاسي، ص: 285.

وما لنا هنا في حق صاحب الترجمة هو ملخص ما جاء في المرآة والابتهاج والمطمح وممتع الأسماع ونشر المثاني والاستقصاء والإتحاف الوجيز وفيه كفاية للمستجيز.

*** [231] سيدي علي العكاري شيخ الرباط الكبير (المتوفى سنة 1118هـ)(1)**

هو الشيخ أبو الحسن سيدي علي بن مَحمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سالم بن علي بن أبي الطيب العكاري نسباً المراكشي منشأ ونجاراً الرباطي وفاة وداراً.

كان رَحِمَهُ اللهُ من أجل علماء الوقت علماً ونسكاً وورعاً، وهو أول من أسس العلم بالرباط وشيد مبانيه وغرس من أصول الآداب ما تهدلت اليوم أشجاره وأينعت ثماره، وما مات رَحِمَهُ اللهُ حتى ترك العلم به قائم الأركان مهصور الأفنان يورث خلفاً على سلف حتى هذا العصر الذي وقفت فيه الرباط في مقدمة المدن المغربية المتقدمة علماً وأدباً.

وقد تكفل بذكر أخباره قراءة وإقراء وأخذاً وإعطاء مع ذكر جملة من شيوخه وتلامذته وشيء من سيرته ومناقبه حفيده أبو الحسن علي بن محمد بن علي العكاري في فهرسة تسمى بالبدور الضاوية تأتي في نحو خمس كراريس كما ترجمه أيضاً تلميذه الفقيه أبو يعزى المسطاسي في رسالة ضمنها ذكر مناقبه وسيرته، وتلميذه أيضاً العلامة أبو العباس الحافي في فهرسة شيوخه.

وقد حلاه فيها بقوله شيخنا العلامة الدراكة الفهامة خاتمة المحققين وإمام الموثقين حافظ المنقول صاحب الأبحاث الرائقة والأجوبة الفائقة النحوي المنطقي الأصولي العارف بالله تعالى سيدي علي بن محمد العكاري رَحِمَهُ اللهُ.

كان عالماً عارفاً متصوفاً وقوراً ذا أناة حسن التعليم متابعاً للسنة مجتنباً للبدعة متأدباً بما حض عليه صاحب المدخل لا يخشى في الله لومة لائم، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، صادعاً بالحق قائلاً به للسلطان دون غيره، ولا يخالط ولاة الأمر ولا يلتفت إليهم، ويرزقه الله تعالى بلا تكلف.

وكان رَحِمَهُ اللهُ كثير التحري في تقوى جوارحه مثابراً على مخالفة الأمور المنافية للتقوى.

وكان يرى النبي ﷺ في المنام، وكان له قدم راسخ في إظهار التعظيم للجانب النبوي، وكان سبب قراءته والفتح عليه في العلوم فوزه بدعوة الشيخ العلامة الرباني العارف بالله

---

(1) انظر ترجمته في: البدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 127، ومجالس الانبساط لدنية، ص: 86، والإعلام، للسملالي: 9/ 226.

الصمداني سيدي محمد بن عبد الله السوسي، إلى آخر كلامه.

ومن أخذ عنه صاحب الترجمة الشيخ سعيد الهوزالي والقاضي أبو القاسم الدرعي والشيخ أبو عبد الله صاحب المقنع والقاضي السيد عبد الله اللمطي وشيخ الجماعة أبو علي اليوسي والشيخ أبو علي حفيد الولي الصالح سيدي أحمد بن موسى السوسي.

ولما استقل تصدر للتدريس ونشر العلم بسجلماسة ورحل إلى فاس فأملى بها دروساً عجيبة ثم انتقل إلى سلا ثم إلى الرباط وبه ألقى عصا التسيار واعتكف على بث علومه ومعارفه إلى أن نبغت على يده جماعة من أهل العلم ملكوا زمام المعارف والفهوم بعده كسيدي أبي العباس الكراري والشيخ أبي العباس الغربي والقاضي أبي عبد الله مرينو والفقيه أبي عبد الله الحويشي وغيرهم ممن تنزلت لذكر تراجمهم في كتابي هذا.

ومن عادة المترجم أنه كان إذا استُفتي في نازلة لم يكتب الجواب عنها غالباً وإنما يوقف السائل على نصها في كتب المذهب، وما ذاك منه إلا ورعاً واحتياطاً.

ولم يزل معظماً للعلم وأهله معتكفاً على بثه ونشره إلى أن توفي صبيحة يوم الأحد حادي عشر شوال عام ثمانية عشر ومائة وألف، ودفن بروضة سيدي الحسن بن سعيد إفران، ثم نقل بعد ثمانية أيام ودفن بدويرته المتصلة بداره من الرباط وضربت عليه بعد ذلك قبة شاهقة مدحت بأبيات ومقتطعات من أدباء الوقت، وذلك عام أربعين ومائة وألف.

أما ما قيل فيه من الأمداح في حياته والمراثي بعد مماته فشيء يطول بنا إيراده هنا، وقد أتيت على البعض من ذلك في تراجم أربابها الرباطيين في كتابنا هذا.

ولنذكر الآن قصيدة الأديب أبي العباس أحمد بن محمد عمور الفاسي، فهي من أحسن ما وقفت عليه في رثائه، قال رحمه الله:

صَوْبُ الْمَدَامِعِ صَيِّبٌ يَهْمِي ... شِبْهُ الأَسَى فِي الْقَلْبِ والْجِسْمِ
رُفِتَتْ اكْتِتَامَ تَوَلُّهِي فَوَشَتْ ... عَيْنِي بِتَبْرِيحِي عَلَى رُغْمِ
يَا لَلرِّجَالِ تَصَدَّعَتْ كَبِدِي ... لِفِرَاقِ بَحْرِ الْفَضْلِ والْعِلْمِ
وَهَنَتْ ضُلُوعِي إِذْ وَهَى جَلَدِي ... أَسَفاً ويَانَ لِبَيْنِهِ نَوْمِي
فَالصَّبْرُ عَزَّ وَرَاحَ وَا حَرَقِي ... ذَابَتْ حَشَائِي واعْتَرَى سُقْمِي
يَا عَيْنُ جُودِي بِالْبُكَاءِ فَقَدْ ... فُقِدَ الْحَبِيبُ وغَابَ عَنْ رَسْمِ
ذُخْرِي أَبُو الْحَسَنِ الشَّرِيفُ أَخُو الْ ... إِفْضَالِ والإِكْرَامِ ذُو الْحَزْمِ

سَــنَدِي الْــعَلِيّ عَــلَتْ مَــآثِرُهُ الْ عَــكَّارِي مَــا أَقْــوَى بِــهِ عَــزْمِ
سِــبْطُ الأَكَــابِرِ مَــنْ بِــهِ شَــرُفَتْ أَوْطَــانُنَا مِــنْ غَــيْرِ مَــا وَهْــمِ
أَخْلاقُـــــهُ تُرْضِـــــيكَ زَاكِيَـــــةٌ سَــمْحُ الــسَّجِيَّةِ وَافِــرُ الْــعَزْمِ
لَهْــفِي عَــلَى أَيَّــامِهِ ذَهَــبَتْ لَــمَّا انْــطَوَتْ جَــاءَتْ بِمَــا يَــضمِي
قَــدْ كُــنْتُ أَطْــرُدُ بِاسْــمِهِ كَرْبِــي وبِــذِكْرِهِ أَرْتَــاحُ مِــنْ وَهْــمِي
مَــنْ كَــانَ يَكْــشِفُ غُمَّتِــي بِجَــوَا هِــرِ لَــفْظِهِ مِــنْ خَــالِصِ الْفَهْــمِ
مَــنْ يَــنْزِحُ الــظَّلْمَاءَ عَــنْ فِكْــرِي ويَــذُودُ عَــنِّي سَــاعَةَ الــضَّيْمِ
مَــنْ لِــلْكَرَاسِي والْــمَجَالِسِ مَــنْ يُــلْجَا لَــهُ فِــي الْحَــرْبِ والــسِّلْمِ
مَــنْ لِــلْحَدِيثِ ولِلــشِّفَاءِ ومِــنْ عِــلَلِ الْــقُلُوبِ يُــدَاوِي يَــا قَــوْمِ
مَــنْ لِلــشَّمَائِلِ فِــي مَــحَاسِنِهَا يُــقْرِي ومَــنْ لِــلنَّثْرِ والــنَّظْمِ
أَكْــرِمْ بِــهِ مِــنْ فَــاضِلٍ عَــلَمٌ رُكْــنُ الــسِّيَادَةِ مَــنْبَعُ الْــعِلْمِ
فَــعَلَيْهِ مِــنْ رَبِّــي الــتَّحِيَّةُ مَــا سَــجَعَ الْــحَمَامُ بِــكُلِّ مَــا يُــدْمِي
وَشَــدَا بِــفَرْطِ هَــوَاهُ ذُو كَلَــفٍ صَــوْبُ الْــمَدَامِعِ صَــيِّبٌ يَهْمِــي

* [232] علي العكاري الحفيد (المتوفى سنة 1159هـ)(1)

هو أبو الحسن سيدي علي ابن العلامة سيدي محمد ابن الشيخ سيدي علي العكاري المتقدم.

كان من العلماء الأفاضل والجهابذة الأماثل، وهو صاحب الفهرسة التي ننقل عنها كثيراً، ألفها في ترجمة جده سيدي علي المذكور وسيرته ومناقبه وكرامته مع ذكر شيوخه وتلامذته سماها البدور الضاوية، وهي في نحو خمسة كراريس إلا أن النسخ الموجودة منها كلها مبتورة من الأوائل والأواخر والأثناء، وقعت أولاً في يد الفقيه الخطيب السيد الحاج محمد بن الغازي الرباطي المتقدم فلفّق ما عثر عليه منها وأنشأ لها خطبة وخرجها بعد التنبيه على ما بها من البتر، وله أيضاً غير هذه الفهرسة كالدرر المفصلة في شرح البسملة والحمدلة، والمقصد الأسنى في الدعاء بالأسماء الحسنى، وأرجوزة سماها جوهر القلائد في ذكر نبذة من العقائد،

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 114، ودليل مؤرخ المغرب، لابن سودة: 1/ 184، والأعلام، للزركلي: 5/ 15، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 3/ 288

وشرح على قصيدة حفيد أبي الشكاوي في مدح جده الشيخ العكاري وختمه بقوله:

أَنْـهَيْتُ شَـرْحِي مُـكَلَّلاً مِـنَ الـدُّرَرِ ... بِـمَا يَـرُوقُ لِـذِي فَـهْمٍ وذِي نَظَـرِ
أَوْضَـحْتُ فِـيهِ سَـبِيلَ الْجَـدِّ فَـانْتَثَرَتْ ... جُـمَانُ نَـظْمٍ أَتَـى فِـي أَحْـسَنِ الـصُّوَرِ
وَسَاعَدَ الْوَقْتُ فِي اسْتِخْرَاجِ مَا طَمَحَتْ ... لَـهُ الْـعُيُونُ مِـنَ الْـفَرَائِدِ الْـغُرَرِ
قَـطَفْتُ زَهْـرَ الْـبَدِيعِ والْـبَيَانِ مَعـاً ... لَـمَّا حَـلَلْتُ بِـرَوضٍ يَـانِعِ الـثَّمَرِ
وَقَـدْ وَفَـيْتُ بِـمَا الْتَزَمْـتُ مِـنْ نَمَـطٍ ... أَحْـسِنْ بِـهِ مَـوْرِداً صَافٍ مِـنَ الْكَـدَرِ

إلى أن قال:

مَـنْ قَـالَ خَيْـراً لَـهُ مِنِّـي الْجَـزَاءُ بِـهِ ... وعَكْـسُهُ مُهمَـلٌ مَـا نَـالَ مِـنْ وَطَـرِ
فَـلا اكْـتِرَاثَ بِـهِ ولا اعْتِـدَادَ بِـهِ ... وحَـسْبِيَ الـصَّمْتُ مِـنْ تَكْمِلَـةِ الْخَبَـرِ

هذا إلى موشحات وأزجال على القانون الموسيقي في الملحون وقصائد ومقطعات على القانون الشعري في الموزون من أحسن ما رأيته له منها قوله في مدح جده من بحر السريع:

يَـا أَيُّهَـا الـشَّيْخُ الْعَظِـيمُ النَّـوَالْ ... يَـا أَيُّهَـا الْمُحْـرِزُ أَسْـنَى الْخِـصَالْ
وَمَـنْ سَـمَا ثَغْـرُ الرِّبَـاطِ بِـهِ ... ومَـنْ لَـهُ تَعْنُـو وُجُـوهُ الرِّجَـالْ
وَمَـنْ لَـهُ الْعِلْـمُ الْغَزِيـرُ فَـلا ... يَـبْقَى إِذَا فَـاهَ بِـشَيْءٍ جِـدَالْ
وَمَـنْ إِذَا مَـا مُعْـضِلٌ مُـشْكِلٌ ... عَـنَّ أَجَـابَ عَنْـهُ طِبْـقَ الـسُّؤَالْ
وَمَـنْ إِذَا مَـا شَـامَهُ جَاهِـلٌ ... إِلا ووَلَّـى عَـنْ طَرِيـقِ الـضَّلالْ
وَمَـنْ إِذَا مَـا رَامَـهُ سَـائِلٌ ... أَسْـمَعَهُ الـسِّحْرَ الْبَـدِيعَ الْحَـلالْ

إلى أن قال:

هَـلْ مِـنْكُمُ لِلْعَبْـدِ مِـنْ عَطْفَـةٍ ... تُغْنِـي عَـنِ الْخِـلِّ وهَـلْ مِـنْ وِصَـالْ
مَـا الْـوَصْلُ إلا وَصْـلُكُم إِنَّنِـي ... ظَـمْآنُ هَـلْ أُسْـقَى بِمَـاءٍ زُلالْ
مَـا الْـفَخْرُ إلا فَخْـرُكُمْ هَـا أَنَـا ... أَقْـتَبِسُ النُّـورَ مِـنْ ذَاكَ الْهِـلالْ
يَـا سَـيِّدِي هَـذَا حَـفِيدُكُمْ ... حَـاشَا يَـكُونُ عُرْضَـةً لِلنَّكَـالْ
يَـهْدِي الـسَّلامَ بِالـدَّوَامِ إِلَـى ... ضَـرِيحِكُمْ مَـا هَـبَّ رِيـحُ الـشَّمَالْ
وَمَـا حَـدَا الْحَـادِي لِمَغْنَـاكُمُ ... ونُـظِّمَتْ أَمْـدَاحُكُمْ كَـاللآلْ

وكانت وفاته رَحِمَهُ اللهُ عام تسعة وخمسين ومائة وألف.

* [233] الشيخ علي محمود الرباطي[1]

به عرف. وقفت عليه في فهرسة الفقيه سيدي محمد ابن الحاج العباس بن الحسن بن محمد بن يس الجزولي السوسي محتداً، الفاسي داراً ومولداً، المسماة بالمواهب القدسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية، مع بعض الكتب البهية والمسلسلات النبوية[2] ذكره فيها من جملة شيوخه فقال في حقه أولاً: ولما كتب الشيخ سيدي أحمد زروق، ووظيفته الكبرى، والصغرى، وجميع كتبه وأذكاره، فقد أذن لي في الجميع سيدي علي محمود الرباطي عن سيدي محمد بن سالم الحفناوي[3]، وسيدي عثمان القادري، إجازة عن سيدي محمد بن محمد الأمين المصري عن سيدي علي بن العربي السقاط عن سيدي أحمد بن العربي بن الحاج عن سيدي عبد القادر الفاسي عن عم والده سيدي عبد الرحمن الفاسي عن ابن الأبار عن سيدي أحمد ابن القاضي عن أبي زكريا الحطاب عن والده عن الشيخ سيدي أحمد بن أحمد زروق ﷺ. اهـ.

ثم قال في حقه ثانياً آخر الفهرسة: ومنهم الفقيه الحجة الأنبل الخير الناسك الأفضل بركة الوقت وعمدته وقلب دائرته وصحبته ذو الفضل النامي والكف المعدود أبو الحسن سيدي علي محمود الرباطي الدار والقرار الخلوتي الطريقة والنجار لقيته مراراً وأخذت عنه

---

(1) ذكره السملالي في الإعلام: 6/ 165، 169 بين شيوخ محمد ابن الحاج العباس بن ياسين الجزولي.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن العباس ابن الحسن بن محمد بن يس الجزولي، السوسي محتداً، الفاسي داراً ومولداً، كان حياً 1221هـ قال أبو السعود الكتاني: له ثبت نفيس في سلاسل الطرق سماه "المواهب القدوسية في أسانيد بعض المشايخ الصوفية مع بعض المصنفات البهية والمسلسلات النبوية " ذكر فيه روايته للطريقة القادرية عن الشيخ التاودي وعثمان بن محمد القادري البغدادي، كلاهما عن السمان والعارف العيدروس، وروايته لطريقة الخلوتية عن عبد الله الشرقاوي، لقيه بمصر سنة 1211 وكتب له الإجازة بها، وعثمان القادري، كلاهما عن الحفني، والنقشبندية عن محمد الأمين بن جعفر الصوصي قاطن أولاد عميرة بالرتب، وعثمان القادري، كلاهما عن الأمير الكبير، وزاد الأخير بالأخذ عن الحافظ مرتضى الزبيدي، والوزانية عن عثمان القادري وأبي الحسن عليّ بن أحمد الوزاني والتاودي ابن سودة، الأخير عن مولاي الطيب، والثاني عن أبيه عن جده بسنده... الخ. انظر: فهرس الفهارس، للكتاني: 2/ 1161، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 2/ 303، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 10/ 119.

(3) هو: أبو عبد الله، محمد بن سالم الحفناوي، ويقال: الحفني، المصري، الشافعي، نجم الدين، المتوفى سنة 1182هـ ولد في "حفنة" قرية تابعة لبلبيس بمحافظة الشرقية، وبها نشأ، ثم قدم إلى القاهرة، فتعلم على مشايخها، وكان في ضيق يتعيش من النساخة، ثم فتح عليه، وبه ازدهرت الطريقة الخلوتية واشتهرت، قال الحجوي: شيخ الأزهر وشيخ الاسلام إمام شهير له مؤلفات كحاشية على العزيزي على جامع السيوطي الصغير وأخرى على الشنشوري في الفرائض وغيرها.اهـ ومن مؤلفاته أيضاً: "تحفة من بديع الأسرار في رؤية النبي المختار"، شرح العقائد العضدية، حاشية على شرح الأشموني على الألفية، وغير ذلك من المؤلفات والرسائل. انظر ترجمته في: نشر المثاني للقادري: 4/ 182، والروضة المقصودة، لحوات: 1/ 295، والفكر السامي، للحجوي: 4/ 182، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 781.

مسائل عديدة وفوائد فرائده جيدة ولقنني الذكر وأذن لي في مطالعة كتب الشيخ سيدي أحمد زروق، وكتب ابن عطاء الله، وكتب ابن عباد[1] برسالة بخط يده نصها بلفظها:

من عبد ربه وأسير ذنبه تراب الأقدام وخدام الخدام علي محمود، أحمد الله عاقبته وغفر زلته بمنه إلى محبنا في الله المرابط الأرضى سيدي الحاج محمد بن ياسين، جعلك الله من الآمنين، وأدناك من المقربين، وفتح لك الفتح المبين، بمنه آمين، وقد وصلنا كتابك، ومسطور خطابك، دلنا على خالص ودادك، جزاك الله خيراً، وأصلح منك الظاهر والباطن وأما ما طلبت منا فلسنا من أهله، لكن عليك بكتب زروق، وابن عطاء الله، وابن عباد، والله يفتح عليك في فهم كلامهم والتفطن لإشارتهم والتنبه بالقلب والسر لمرادهم وما انطوت عليه نصائحهم بجاههم آمين، ونريد منك أن تكتب لي وتبشرني بشيء من حالك وما أفاء الله عليك من فضله بلغك الله قصدك وقصدنا فيك بمنه آمين، والسلام.

*** [234] علي بن محمد الدقاق (كان حياً عام 1198هـ)**

ذكره خاتمة الحفاظ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي التمكروتي[2] في رحلته المشرقية المتقدمة الذكر، عده فيها من جملة من لقيه من أمثل العلماء بالحرم الشريف فقال: ومنهم سيدي علي بن محمد الدقاق المغربي من رباط الفتح بسلا، أخذ العهد الناصري وله محبة في دارنا وكانت له ماسة بالعلم، اجتمعتُ به في المسجد النبوي مراراً ولم أستجزه. أهـ بلفظه، وكان هذا بتاريخ عام 1198

*** [235] سيدي علي بورحى[3]**

به يعرف، صاحب الضريح بباب شالة مقصود بالزيارة خصوصاً للنساء الغير المتزوجات أو اللاتي تغيب عنهن أزواجهن.

---

(1) هو: أبو عبد الله، علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك بن عباد النفزي، القاسي، المالكي، المعروف بابن عباد الرندي، المتوفى سنة 792هـ هو عند أهل فاس بمثابة الشافعي عند أهل مصر، ولد برندة، وبها نشأ، ثم رحل لفاس وتلمسان فقرأ فيها الفقه والأصول والعربية، ثم عاد فصحب بمدينة سلا (بجوار الرباط على العدوة الأخرى من نهر أبي رقراق) سيدي أحمد ابن عاشر. وكان ﷺ ذا صمت وسمت، وتجمل وزهد، معظماً عند الكافة، من تصانيفه: "التنبيه" في شرح الحكم العطائية وقد طبع باسم " غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية ". انظر ترجمته في: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لابن المقري: 5/ 345، ونيل الابتهاج، لأحمد بابا، ص: 287، وسلوة الأنفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني: 2/ 149.

(2) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 6/ 192.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 72.

وعرف ببورحى لما يحكى أنه كانت ظهرت له كرامة في قضية رحى. وذكر الفقيه ابن الغازي الكبير في حقه أنه مع سيدي الحسن الإمام بشالة وسيدي أحمد الشريف بوقاصة من جرثومة نسبة واحدة، وأن لهم حفدة بالرباط وبعضهم بمراكش ذهبوا من الرباط لا زالوا جميعاً يتصرفون في فتوحات الأضرحة الثلاثة المذكورة حتى الآن.

*** [236] سيدي علي بوبركات[1]**

المعروف بسيدي أبي القناديل صاحب الضريح الشهير بحومة تحت الحمام مقصود للنساء الحبالى لما يحكى من مناقبه أنه ولد بدون وجع المخاض المعتاد، والله أعلم.

*** [237] الحاج علي دنية[2] (المتوفى بعد 1246هـ)[3]**

الأديب الشاعر الوشاح كان من أهل أواسط المائة الثالثة بعد الألف، ذكره بعض المعتنين بالتقييد وهو الطالب التاجر السيد التهامي بن المكي فرج الرباطي في كناشة ملأها بفوائد شعرية وأخرى طبية، وذكر له فيها عدة موشحات وتلاحين على طريق الغرام والعشق منها قوله في مطلع بعضها:

تَيَّهْتِنِي بِالصُّدُودِ ... وأَنْكَرْتَ الْوُدَّ الْجَمِيلْ
فَهَلْ تَجُودُ بِالْعُهُودِ ... يَكُونُ هَجْرُكَ عَدِيلْ
وَلا تَرْكَنْ لِلأَعَادِي ... فَالْحُبُّ لَهُ دَلِيلْ

*** [238] علي بن عبد الرحمن البطاوري (المتوفى سنة 1267هـ)[4]**

الفقيه العدل الخطيب البليغ الشريف الشرشالي المعروف بالبطاوري، جد شيخنا القاضي أبي حامد وإليه ينتسب في إمضائه الشهير فيقول: المكي بن محمد بن علي كان الله له خير ولي.

ولما أجرى ذكره الشريف سيدي العربي التهامي الوزاني في معجمه حلاه بمثل ما ذكرناه، ووقفت على تحليته في رسم صداق بنادرة العصر وبادرة المكارم الحامل راية النصر فقيه الأدباء وأديب الفقهاء صاحب الشمائل العاطرة والفضائل الماطرة بهجة محافل السيادة

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 71

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 155، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 160.

(3) ذكره ابن سودة في إتحاف المطالع بين وفيات العام 1250هـ.

(4) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 197.

ومركز راية المجد والإجادة مولانا أبي الحسن علي بن الطالب المتوله، الصالح، صاحب الإشارات الربانية أبي زيد مولاي عبد الرحمن ابن البركة السيد الحاج أحمد ابن مولانا الحاج سعيد الشريف الشرشالي نسبة إلى منشئه شرشال.هـ المراد.

وذكر لي شيخنا القاضي أن المترجم كان رجلاً أديباً ذاكراً صوفياً خطيباً تولى الخطبة بالمسجد السليماني بعد الفقيه السيد أحمد الرغاي.

وكانت قراءته على مولانا الجد القاضي السيد الطيب بسير ومن كان في طبقته من جهابذة الرباط إذ ذاك واستمر مشتغلاً بالعلم الشريف إلى أن توفي عام سبعة وستين ومائتين وألف، ومما أوقفني عليه من شعره قوله ومن خطه نقلت:

بِمَدْحِ رَسُولِ اللهِ كُنْ مُتَمَسِّكاً ... تَنَالُ بِهِ قُرْباً وعِزّاً ومَنْصِبَا

فَيَا مُنْشِداً رَدِّدْ مَدِيحَ مُحَمَّدٍ ... وعَلِّلْ بِهِ قَلْبَ الشَّجِيّ ومَنْ صَبَا

* [239] مولاي علي الرفاعي

أحد أنجال الفقيه السيد أحمد الرفاعي الكاتب الشهير وقفت على ذكره في شجرة نسب أولاد الرفاعي المعروفين بأولاد القسطالي من شهادة الأديب ابن عمرو النسابة الكبير حلاه فيها بالفقيه المجدد المعتكف على قراءة العلوم وحفظ دواوينه؛ لآخر ما يدل على أنه كان من أعلام الرباط وفي العلم من فرسان ميادينه، والله أعلم.

* [240] سيدي علي بن المهيدي العيساوي (المتوفى سنة 1304هـ)

صاحب الضريح الشهير بزاوية جده، مشار إليه بالديانة والولاية والصلاح وكان ملازماً للصلوات الخمس بالجامع السليماني يعتقده كثير من الناس ولا زالوا يتحدثون بمقاماته وكراماته، وإنما المرء حديث بعده. وكانت وفاته عام 1304هـ.

* [241] علي بن الطيب مارسيل (المتوفى سنة 1325هـ)[1]

موقت الجامع الكبير وابن موقته العالم الخبير الفقيه العدل الموقت الحيسوبي أحد تلامذة الشيخ أبي إسحاق التادلي في الهيئة والتعديل وكان من عدول مرسى الرباط مدة من السنين ثم عين من أمنائها، وكان مع ذلك موقت الجامع إلى أن توفي في رجب عام 1325هـ.

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 288، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 373.

* [242] القاضي أبو الحسن علي دنية (المتوفى سنة 1325هـ)[1]

هو صهرنا القاضي أبو الحسن السيد علي ابن العلامة المفتي النوازلي أبي العباس السيد أحمد دنية.

من المتقلبين في خدمة المراسي والراسخين في العلم رسوخ الجبال الرواسي وتداول مع الخدمة خطة الكتابة أولاً مع عامل الرباط السيد عبد السلام السويسي ثم خطة الشهادة والإفتاء ثم خطة القضاء بالرباط بتاريخ 2 من حجة عام 1318 إلى 23 شعبان عام 1319.

وكان رحمه الله من أجل العلماء وجهابذة الفقهاء وأماثل الخطباء متحلياً بحلية الوقار والأبهة العلمية والجلالة والفخار، وبيته من البيوتات الرباطية ذات المجد والشأن الشهيرة بالعلم والعرفان إلى الآن وحتى الآن.

أخذ عن شيوخ الرباط في وقته كوالده أبي العباس المذكور والأحمدين الفقيهين أبي العباس الغربي وأبي العباس ابن الغازي.

وأخذ الورد الناصري عن البركة السيد الحاج علي الناصري، وفي سنده استجازة مؤرخ سلا العلامة أبو العباس ابن خالد الناصري[2] فأجازه وفق طلبه في ربيع الثاني عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف كما وقفت على ذلك كله بخط المترجم.

وكان في أول أمره معتكفاً على النساخة فانتسخ عدة نسخ من القاموس المحيط للفيروزبادي، ونفح الطيب للمقري، وحواشي الرهوني، وشرح الزرقاني على المختصر، وغيرها من الكتب الكبار، والكل بخط يده، وكان ربما تعيش من ذلك واستعان به في طلب العلم حتى اتسع حاله وفتح الله عليه في الدين والدنيا، وما أحسنهما إذا اجتمعا معاً.

ثم تصدر للتدريس والإفتاء والتأليف فكتب عدة مؤلفات كشرحه على الهمزية وختم الألفية وغيرهما، وكان مجلس درسه مجلس الفحول جامعاً بين تحقيق الأبحاث وتحرير النقول سواء في المعقول أو المنقول.

وكان عالي النفس بعيد الشأو في إقراءاته ومقروءاته وهو آخر من سمعناه بالرباط يدرس الفقه والنحو وباقي العلوم بمطولاتها، فكان يدرس النحو بالتسهيل والدماميني

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية ولَدِ المترجَم، ص: 273 وما بعدها، وتعطير البساط، ص: 42، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 374، والأعلام، للزركلي: 4/ 261.

(2) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 2/ 426، والفكر السامي، للثعالبي: 2/ 308.

عليه، والفقه بالزرقاني وحواشيه، وهكذا مع مزيد التحرير في جميع ذلك، والتصرف فيه تصرف المحصل بالقبول والرد شأن الناقد المستقل.

وممن أخذ عنه شيخنا البركة المفتي السيد الجيلاني بن إبراهيم، والأحمدان أديبا الرباط العلامة أبو العباس جسوس، والقاضي أبو العباس الزعيمي، وغيرهم من فضلاء الرباط.

وكانت وفاته في حجة الحرام متم عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن بالزاوية الدرقاوية التي بقرب السوق الكبير من الرباط.

*** [243] علي بن عبد الله (المتوفى سنة 1342هـ)**

الفقيه العدل المتقلب في خدمة كثير من المراسي، تفقه عن صهره القاضي السيد أحمد بناني، وتصوف عن شيخه في الطريق الأحمدية التيجانية سيدي العربي بن السائح وهو الذي قدمه على الزاوية بالرباط وأجازه بسائر الوظائف وأذكار الطريق ولم يزل قائماً بمراسمها ومن أقطابها المعدودين إلى أن توفي في رمضان عام اثنين وأربعين.

ذكر من اسمه عمر وعمرو وعمران

*** [244] سيدي عمران**

صاحب الضريح أمام المسجد الأعظم ولا أعرف له ترجمة.

*** [245] سيدي عمرو المسناوي دفين شالة**

صاحب الضريح بشالة فوق عين الماء، ذكره الفقيه ابن الغازي الكبير وأخبر أنه رأى بيد حفدته عدة ظهائر سلطانية تتضمن توقيرهم واحترامهم وتدل على أن المترجم من حفدة الشيخ الأكبر عبد المالك مولى إد خسان[1] الوطاسي أحدها بتاريخ 1082هـ قال: وأكثر حفدته الآن بقبيلة الزيايدة من الشاوية وقليل منهم جداً بالدار البيضاء والرباط.

*** [246] عمر بن العروصي قاضي الرباط (المتوفى سنة 1215هـ)[2]**

هو القاضي أبو حفص عمر ابن الحاج محمد بن العروصي الهلالي، المصباحي الدكالي ثم الرباطي، ذكره سيدي سليمان الحوات في فهرسته التي ألفها في التعريف بشيخه الشيخ بناني محشّي الزرقاني وعده من تلامذة الشيخ المذكور.

ووقفت بخط حفيده العلامة الصوفي الحاج عمر عاشور على ما كتبه في التعريف به،

---

(1) كذا في الأصل والله أعلم بالصواب.

(2) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 16، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 134، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 96.

وملخص ذلك أن المترجم أصله من دكالة، انتقل منها بعد وفاة والديه إلى الرباط فاستوطنها وتزوج بها.

قال: وكان عالماً متفنناً مفتياً فرد عصره ووحيد دهره، انتهت إليه الرياسة في وقته، قرأ على شيوخ فاس مدة عشر سنين كاملة وارتحل إلى طنجة فأخذ عن شيوخها ثم على مشايخ الرباط كالعلامة الغربي ومعاصريه، وتصدر للتدريس فكان من جملة تلامذته القاضي بسير، والقاضي صالح الحكموي، والقاضي عاشور وأخيه أبي العباس، والفقيه الرفاعي، والمفتي المكي ابن عبد الله بناني وغيرهم من علماء الرباط إذ ذاك.

وكانت وفاته في رجب الفرد عام خمسة عشر ومائتين وألف، ودفن بظاهر العلو بين قصبة الرشيد المعروفة بالقشلة وبين ضريح سيدي إدريس ﷺ.

* [247] عمر بن عمرو الأوسي (كان حياً في 1277هـ)(1)

أبو حفص عمر بن الهاشمي بن التهامي بن عمرو العالم الأديب المنشئ أخو الفقيه السيد المكي المتقدم وأحد أبناء أخي الأديب ابن عمرو المجازين من قِبَله وهو جامع ديوانه والناظم لكثير ما انتشر من مآثره العلمية على ما أخبرني به البعض.

ووقفت من آثاره على هذه الإجازة ونصها:

الحمد لله وحده اللهم صل على سيدنا محمد وأزواجه وذريته وبعد، فيقول كاتبه عمر بن الهاشمي بن محمد التهامي الأنصاري الأوسي الرباطي والمنشئ غفر الله له وتولاه بما تولى به خاصة أوليائه، إني لقنت الشريف العفيف العلي القدر المنيف سيدي الحاج محمد ابن سيدي عبد السلام بن محمد نجل الشيخ الرباني والقطب الصمداني مولانا عبد القادر الجيلاني هذه الصلاة المذكورة مصدراً بها وأذنت له فيها ذكراً وتلقيناً وأخبرته بسندي فيها كما أجازني فيها شيخي وصنو أبي عن شيخه الفقيه السيد الطيب ابن الفقيه السيد عبد الكريم بن زاكور التطواني بتطوان رحمه الله تعالى قال: أمرنا العارف بالله سيدي عبد الوهاب التازي رحمه الله ونفعنا ببركاته أن أكتبها في ابتداء الكتابة، وقال لي أن النبي ﷺ أمره بها، فبحق ذلك أذنت للشريف المذكور وكل من بلغها عنه إذناً تاماً نفعني الله وجميع من يتعاطاها ويحقق لنا الرجاء في سلك المصلين عليه ﷺ وعلى آله وصحبه وشرف وكرم. وكتبه العبد المذنب المذكور في 8 شعبان عام 1277 ثم لما جرى ذكر هذه كان ينبغي أن تتسع الدائرة فأقول

---

(1) ذكره الكتاني في فهرس الفهارس: 1/ 280، عند ترجمة أديب الرباط ابن التهامي بن عمرو.

بحول الله وإن كنت لست أهلاً للمقول أني أجزته وأذنت له كما أجازني شيخي المذكور رحمه الله في جميع ما لدي من شيوخي من مقروءات ومسموعات من كتب الحديث والفقه واللغة والأذكار والأوراد وأعلى ما أجزنا به كتاب الله المحفوظ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤] وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* [248] الحاج عمر عاشور (المتوفى سنة 1314هـ)[1]

أبو حفص الحاج عمر ابن القاضي السيد محمد عاشور الفقيه النوازلي العلامة الصوفي الشهير.

كان رحمه الله إماماً جليلاً في علمي الظاهر والباطن جامعاً بين علوم الشريعة والحقيقة سالكاً في ذلك أسنى نهج وأقوم طريقة.

وكان في أول أمره اشتغل بالعلوم على العموم فقرأ على شيوخ الرباط في وقته كجدنا القاضي السيد الطيب بسير، وقريبنا الفقيه الخطيب المدرس السيد المكي بن أحمد بوجندار، والفقيه المحدث السيد أحمد بن محمد بن الغازي وغيرهم.

ورحل إلى فاس فأخذ عن الكثير من شيوخها ثم تصدر للشهادة والإفتاء أيام القاضي أبي زيد البريبري، والقاضي السيد محمد بن إبراهيم وتولى نيابة القضاء نيابة عن الثاني لما ذهب بأمر مولوي إلى طنجة برسم فصل قضية شرعية فكانت أحكامه مدة مغيبه لا تتجاوز طريق الصواب، وكان مع ذلك معتكفاً على نشر العلم بالتدريس والإقراء خصوصاً علم الفقه والحديث والتصوف.

وممن أخذ عنه من شيوخنا أديب الرباط وشاعره أبو العباس السيد أحمد جسوس، والعلامة القاضي السيد محمد الرندي، والفقيه السيد محمد بن عمر دنية وغيرهم.

ولم يقف عند هذا بل اشتغل بكتب القوم، وراض نفسه وصام وقام، وجد واجتهد وتهجد، ولبس المرقعة وتجرد، ومَلَّكَ قيادَه لشيخه في الطريق العارف المربي الشهير سيدي عبد الواحد بن علال القصار الشهير بالدباغ[2] إلى أن لاحت عليه دلائل العرفان، وأشرق

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 245، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 334، والأعلام، للزركلي: 5/ 65.
(2) انظر ترجمته في سلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 291.

قلبه بنور العناية والفتح والإيقان، فتفجر أدباً وحكمة، وانطلق لسان يراعه يسفر عن مكنوناته الجمة، فألف تآليف عديدة وتصانيف مفيدة منها شرحه على مختصر خليل سماه "التعظيم والتبجيل"[1] قال في طالعته:

لما علمت بتعليم من الله تعالى أن ظاهر الأحكام منطو على باطن من الأسرار وأن من فاته معرفة ذلك فقد فاته من الله حظ عظيم اشتقت رجاء لنفعي ونفع المسلمين إلى وضع شرح على مختصر الشيخ خليل بن إسحاق بن يعقوب المالكي رحمه الله تعالى ورضي عنه يكون مشحوناً إن شاء الله بما أطلق الله به لساننا وشرح له صدورنا من الإشارة بعد الإتيان بما لا بد منه من شرح ظاهر العبارة ولم أزل متوانياً حتى قوى الله عزمي على ذلك فشرعت فيه مستعيناً ومتوكلاً عليه. إلى آخر كلامه.

ومنها شرح كتاب مبادئ التصوف سماه خلاصة التصرف، ثم شرحه على بردة المديح، وشرح أسماء الله الحسنى المسمى بالأذواق العرفانية في الأسماء الإلهية ثم شرحه على المباحث الأصلية في طريق الصوفية، ثم ختمه على البخاري وختمه على المرشد المعين، وكتابه المسمى بالمقالة المرضية في بعض أحوال الطائفة الدرقوية، وكتابه المسمى بالكشوفات الربانية والحقائق العرفانية، وكتابه المسمى بالإتحاف بشهود الألطاف، ثم مصنف في مناسك الحج، ثم حزب سماه بحزب التضرع والابتهال، ثم حكم تشتمل على وصايا ومواعظ ونصائح ثم أشعار كثيرة على لسان القوم يقول في مطلعها:

شَرِبْنَا وطَابَ الشُّرْبُ حَوْلَ خِيَامِهَا ... ولَذَّ لِقَلْبِي مَا رَأَى مِنْ سِهَامِهَا
تَجَلَّتْ فَمَا الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ بِالضُّحَى ... وحَيَّتْ فَأَحْيَتْ صَبَّهَا بِسَلامِهَا
وَحَلَّتْ مَحَلَّ الرُّوح مِنِّي تَفَضُّلاً ... ومَا حِلْتُهَا غَيْرِي بِحُكْمِ غَرَامِهَا

توفي رحمه الله وقد جاوز السبعين من عمره عند زوال يوم الاثنين متم ذي الحجة الحرام متم عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف، وصُلي عليه في المسجد الأعظم عقب صلاة العصر ودفن بزاوية شيخه مولاي العربي الدرقوي رضي الله عنه آمين.

(1) التعظيم والتبجيل شرح مختصر خليل، ذكره الزركلي في الأعلام (5/ 65)، وحبشي في جامع الشروح والحواشي: 2/ 1879.

حرف الغين

* [249] سيدي الغندور(1)

صاحب الضريح بالركن الأيمن للداخل من باب الأحد بين السورين القديمين الموحدي والأندلسي ولعله أندلسي، اشتهر بلقبه الغندور.

قال في الاستقصا صحيفة 121 لدى فصل مقتل السلطان عبد الحق المريني: والغندور في لسان المغاربة ذو النخوة والإباية وما أشبه ذلك. اهـ(2).

* [250] الغازي بن الحاج الحسني الشريف الحسني(3)

عالم شريف تفيّأ من العلم ظله الوريف واشتغل بالتجارة فلعب فيها أدواره ولم يكن يصده ذلك عن مكافحة دروسه ومصافحة طروسه.

وكانت قراءته أولاً على الفقيه السيد الهاشمي الضرير، كان والده الحاج الحسني خصصه لتعليمه مع أخيه العلامة الشريف سيدي محمد بن الحسني، درس عليه مبادئ العلوم ثم تعاطى على غيره كالشيخ أبي إسحاق التادلي وسيدي العربي بن السائح شيخه في الطريق الأحمدية التجانية(4).

وكان له نزوع إلى فن الحساب والتوقيت والآداب. وكان جميل الأخلاق حسن الشمائل تغار من خلاله خلل الخمائل، وأزهار الخمائل، أشبه شيء في هيئته وصورته بولده حبيبنا نابغة العصر العلامة سيدي المدني بن الحسني الذي يحق لروحانية والده المقدس، أن تفتخر به وترقص طرباً من أجله في برزخها الأقدس.

وكان المترجم من خواص الأديبين الأحمدين أبي العباس جسوس، وأبي العباس الزعيمي.

ولما صاهر الأمين الأكبر الأشهر السيد عبد السلام التازي أنشأ كل منهما قصيدة في تهنئته جاء في توطئة الأولى الجسوسية ما لفظه:

ولما بنى أخونا في الله تعالى سيدي محمد الغازي بن الحسني رحمه الله تعالى وقدس

---

(1) لعله عبد الواحد بن زنبور الملقب بالغندور المترجم بين وفيات عام 1175 هـ في إتحاف المطالع: 1/ 15.

(2) انظر: الاستقصا، للسلاوي: 2/ 100.

(3) لم أقف على ترجمة له في ما بين يدي من مصادر.

(4) الطريقة الأحمدية التجانية نسبة لـأحمد التيجاني، وأتباع هذه الطريقة من أكثر المتصوفة غلواً في أشياخهم ويقدرون بالملايين في إفريقيا.

روحه، وجعل في برد النعيم غبوقه وصبوحه، ببنت الأمين الأكبر المرحوم السيد عبد السلام التازي، زفت إليه هذه الحائية الكاعب العذراء، واللمة إذ ذاك سوداء، وأغصان الشباب ترف مع كل صَبا ورخاء، والدهر باسم ونحن في أعياد ومواسم، ونصها:

أَبْدَيْنَ مِنْ تَحْتِ الْبَرَاقِعِ يُوحَى[1] فَمَلَكْنَ شَوْقاً عَقْلَنَا والرُّوحَا
وَرَمَيْنَ عَنْ قَوْسِ الْحَوَاجِبِ أَسْهُماً غَادَرْنَ كُلَّ غَضَنْفَرٍ مَطْرُوحَا
وَمَشَيْنَ فِي جُنْحِ الظَّلامِ تَسَتُّراً فَوَشَى بِهِنَّ الْمِسْكُ يَفْضَحُ رِيحَا
مُتَلَفِّعَاتٌ بِالشَّبَابِ يُدِرْنَ مِنْ خَمْرِ التَّصَابِي جَامَهُ الْمَصْبُوحَا
لَوْلا اصْطِبَاحِي كَأْسَ حُبِّ مُحَمَّدٍ غَازِي لَخَلَّفَنِي الْغَرَامُ طَرِيحَا
ابْنُ الأُلَى قَدْ أَحْرَزُوا النُّورَ الَّذِي أَضْحَى بِهِ صَدْرُ الْهُدَى مَشْرُوحَا
الْخَاشِعِينَ الْقَانِتِينَ الْكَامِلِينَ الأَكْرَمِينَ الطَّاهِرِينَ الشُّوحَا
سَكَنُوا مِنَ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ حُصُونَهُ وتَبَوَّءُوا الْعِزَّ الْمَنِيعَ صُرُوحَا
يَا سَيِّداً فَاقَ الْكَوَاكِبَ رِفْعَةً والْبَدْرَ نُوراً والْبِحَارَ سُمُوحَا
هَاكَ الْقَرِيضَ يَمَانِياً أَحْكَمْتُهُ بُرْداً مُوَشًّى فِي حَلاكَ وَجِيحَا
وَزَفَفْتُهُ بِكْراً عَرُوباً قَدُّهَا يَهْتَزُّ غُصْناً فِي الرِّيَاضِ مَرُوحَا
طَرَقَتْكَ فِي حُلَلِ الْبَدِيعِ كَأَنَّهَا تِلْكَ الَّتِي وَافَتْكَ تُبْهِرُ يُوحَا
مَنْ فِي الضَّخَامَةِ والْفَخَامَةِ والْعُلا بُورَانُ[2] أَوْ بَلْقِيسُ نِلْتَ صَرِيحَا
فَاهْنَأْ بِهَا وانْجَحْ وابْنِ واسْعَدْ وعِشْ وانْعَمْ وكُنْ فِي طُولِ عُمْرِكَ نُوحَا

وجاء في توطئة الثانية الزعيمية ما نصه:

لما هبت على فكرتي نواسم البشرى، وأقبلت جنود الفتح وبواسم المنح تترى، وبشرت أن الشريف الغطريف الغني بحسن شمائله عن التعريف، الفقيه أبا عبد الله سيدي محمد الغازي بن الحسني أظله أوان هناء وسرور وخفقت ألوية السعادة على هامه الذي هو الظل وغيره الحرور بزفاف الدرة الوسطى من عقود ربات الحجال وعقيلة رئيس الأمراء وصدر الكبراء من الرجال الأمين الأسعد السيد عبد السلام التازي أدام الله بعين الجمع حفظهم

---

(1) يُوحَى: من أسماء الشمس. انظر: لسان العرب، لابن منظور: 2/ 639، مادة (يوح).

(2) يريد بُورَانَ بِنْت الحَسَنِ بن سَهْلٍ زَوجِ المأمُونِ بن الرشيد العباسي.

وأجزل من عناية الله حظهم هزتني محبة الأشراف وأريحية الأدب إلى تهنئة من ذكر، والشرع للتهنئة قد ندب فأنشأت في ذلك الغرض هذا القصيد الفريد مخاطبا للأمين وصهره المذكورين والله يفعل ما يريد وهذا أول القصيد:

أَيَا مَنْ قَدْ حَوَى الْمَجْدَ الصُّرَاحَا ... وفِي حُلَلِ الْكَمَالِ غَدَا ورَاحَا
وَمَنْ جِيدُ الزَّمَانِ بِهِ تَحَلَّى ... وصَدْرُ الدَّهْرِ زَادَ بِهِ انْشِرَاحَا
وَمَنْ رَقَّتْ شَمَائِلُهُ وَرَاقَتْ ... فَكَادَ الطَّرْفُ يَشْرَبُهُنَّ رَاحَا
فَرِيدَ الْعَصْرِ ذَا الْقَدَحِ الْمُعَلَّى ... إِذَا رَفَعَ الْجَهَابِذَةُ الْقِدَاحَا

وهي طويلة استطرد فيها مدح آل البيت إلى أن قال:

وَأَمْثَلُهُمْ بَنُو الْحُسْنِيِّ لَكِنْ ... مُحَمَّدُهُمْ كَبَدْرِ الأُفْقِ لاحَا
زَكِيٌّ بَلْ رَبِيٌّ فِي عَفَافٍ ... نَشَا فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى وَرَاحَا
ذَكِيٌّ عَالِمٌ عَلَمٌ هُمَامٌ ... يَزِيدُكَ وَجْهُهُ الْحَسَنُ اتِّضَاحَا
كَمِيٌّ بَارِعٌ قَرْمٌ أَدِيبٌ ... أَرِيبٌ كُلَّ إِشْكَالٍ أَزَاحَا
لَقَدْ فَضَلَ الأَفَاضِلَ فِي صِبَاهُ ... وخَيَّرَ فِيهِ أَمْزِجَةً صِحَاحَا
وَعَادَ بِهِ رِبَاطُ الْفَتْحِ يَسْمُو ... وحَلَّى خَلْقَهُ الْحَسَنُ الْمِلاحَا
أَلا يَا ابْنَ الأُلَى شَرُفُوا وسَادُوا ... ونَشْرُ عَبِيرِهِمْ فِي الْكَوْنِ فَاحَا
تَمَتَّعْ زَادَكَ الرَّحْمَنُ واهْنَأْ ... ودُونَكَ رَاحَةً تُهْدِي ارْتِيَاحَا
تَمِيسُ بِحَلْيِهَا تِيهاً ولَكِنْ ... كَفَاكَ جَمَالُهَا حَلْياً وَدَاحَا
رَزَانٌ زَانَهَا أَهْلٌ رَفِيعٌ ... وعِشْ مَعَهَا وعِتْرَتُكُمْ فَرَاحَى
وَأَكْثِرْ شُكْرَ مُسْدِي الْفَضْلِ والْزَمْ ... مَحَبَّةَ نَجْلِ فَاعِلِ لَفْظِ سَاحَا
فَعَطْفَتُهُ كَأُكْسِيرٍ لِقَلْبٍ ... ونَظْرَتُهُ بِهَا الْخُذْلانُ جَاحَا

إلى أن قال في ختامها مؤرخاً:

وَمَا رَقَمُ الْمُؤَرِّخِ فِي بِجَادٍ ... لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ نِلْتَ الْفَلاحَا

حرف الفاء

* [251] سيدي فاتح[1]

به شهر وفي بعض التقاييد تسميته بفتح الله أقانيا الأندلسي.

يقال أنه من قدماء الأولياء بالرباط، وكان ضريحه صغيراً ثم جدد وزيد فيه أيام الناظر المرحوم السيد محمد غنام.

* [252] سيدي فرج

صاحب الضريح في باب القنانيط.

أحد الأولياء الذين لا تعرف لهم ترجمة، ولعله من آل فرج البيت الشهير بالرباط.

* [253] الفاطمي الغربي (المتوفى سنة 1327هـ)[2]

شاب طيب الأصلين نشأ والأدب توأمين كلف به منذ صباه فكان يتنشق من روضه نسيم صباه ولم يزل يهوى الشعر والشعر يهواه إلى أن تملك شراشر قلبه وهواه.

وكان رقيق الطبع والحاشية حسن الخلق والخلق مرتديا من الجمال بأبهى حلة ضافية كما ينم عن ذلك شعره الجمالي الرقيق الديباجة.

وإليك منه في مدح شيخنا القاضي أبي حامد هذه القافية:

وَافَتْ فَأَحْيَتْ مُهْجَتِي بِرِضَاهَا ... وتَعَطَّرَتْ أَرْجَاؤُنَا بِشَذَاهَا
وَتَبَخْتَرَتْ فَسَبَتْ بِحُسْنِ قَوَامِهَا ... وبَدَتْ فَمَزَّقَتِ الدُّجَى بِسَنَاهَا
هَيْفَاءُ شَهْدِيَّةُ الْمَرَاشِفِ واللَّمَى ... تَسْبِي الْعُقُولَ بِحُسْنِهَا وبَهَاهَا
كَالْمِسْكِ خَالاً والْجَآذِرِ مَنْظَراً ... والشَّهْدِ رِيقاً والشَّقِيقِ شِفَاهَا
نَادَمْتُهَا فَسَكِرْتُ مِنْ لَحَظَاتِهَا ... وجَعَلْتُ نَقْلِي مِنْ لَذِيذِ لَمَاهَا
وَهَصَرْتُ غُصْنَ قَوَامِهَا فَتَضَعْضَعَتْ ... أَرْسَافُهَا لِلَّهِ مَا أَرْسَاهَا
يَا عَاذِلِي هَيْهَاتَ أَنْ أَسْلُو الَّتِي ... قَدْ ذَابَ قَلْبِي فِي جَحِيمِ هَوَاهَا
خَطَفَتْ بِسِحْرِ جُفُونِهَا عَقْلِي فَعَا ... دَ عَلَى قَضِيبِ قَوَامِهَا تَيَّاهَا
يَا مَنْ بِغُصْنِ الْبَانِ يُزْرِي قَدُّهَا ... وبِصَبِّهَا الْمُضْنَى بِهَا تَتَلاهَا

---

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 71.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 289، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 382.

هَــلاَّ رَفَــقْتِ بِمَــنْ هَــدَمْتِ فُــؤَادَهُ ... وتَــرَكْتِ هــذبك تَــسْتَقِرُّ حَوَاهَــا
مَا لِي خَلاصٌ مِنْ هَوَاكِ سِوَى مَدِي ... ح مُحَــمَّدٍ خَــيْرِ الْــبَرِيَّةِ طَــهَ
عَــلَمُ النَّجَاحِ وأَكْـرَمُ الرُّسْـلِ الَّـذِي ... نَــالَتْ بِــهِ كُــلُّ الــنُّفُوسِ مُنَاهَــا
يَـا رَبِّ صَــلِّ عَلَيْـهِ مَـا أَهْـدَتْ لَنَـا ... رِيــحُ الــتَّصَابِي عَــرْفَهَا وشَــذَاهَا
وَأَدِمْ مَــدَارِسَ شَــيْخِنَا تَــاجِ الْكِـرَامِ ... شَــيَّدْنَ بِــالْفَتْحِ رُكْــنَ عُــلاهَا
الْــعَالِمُ الْــحَبْرُ الأَدِيــبُ اللَّــوْذَعِي ... وزِيــنَةُ الــدُّنْيَا ونُــورُ ضِــيَاهَا
هُــوَ سَــيِّدِي الْمَكِّـيُّ قُـدْوَتُنَا الَّـذِي ... كَــمْ مِــنْ عُلُــومٍ قَــدْ عَفَــتْ أَحْيَاهَــا
يَــا مَــنْ بِــهِ جِــيدُ الزَّمَــانِ مُقَلَّــدٌ ... وبِــهِ مَــجَالِسُ قُــطْرِنَا تَــتَبَاهَى
ارْتَــجَّ فِــي حُلَــلِ الْمَفَــاخِرِ واغْتَــنِمْ ... نَــيْلَ الأَمَــانِي وابْــتَهِجْ بِوَفَاهَــا
وَلَــكَ الْهَنَــاءُ بِعِيــدِ مَوْلِــدِ جَــدِّكَ الْ ... مُــخْتَارِ خَيْــرِ الْخَلْــقِ شَــمْسِ هُــدَاهَا
وَإِلَــيْكَهَا بِــكْراً تَمِــيسُ بِمَــدْحِكُمْ ... مَــيْسَ الْــفَتَاةِ قَــدِ انْتَــشَتْ عَيْنَاهَــا

وكانت وفاته سنة 1327.

حرف السين

* [254] سيدي السعيدي[1]

صاحب الضريح الشهير بالعلو قرب برج الصراط بالرباط كان من تلامذة سيدي محمد بن مرزوق دفين أصيلا ومن أهل الجذب والكرامات والأحوال يذكر أن باني قبته بعض عمال دكالة بإشارة الخليفة مولاي أحمد بن السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام تاقت نفسه إلى ذلك لما حدثه بكرامات بعض من كان يخدمه أيام حياته والله أعلم.

حرف الشين

* [255] محمد شعبان الأندلسي (توفي سنة 1118هـ)[2]

هو الفقيه الأديب العالم الواعظ المؤلف الحاج الأبر أبو عبد الله سيدي محمد شعبان الحسني الأندلسي أخذ عن الشيخ العكاري علوما كثيرة وقيد عنه في علمي النحو والميزان تقاييد مفيدة ضمها إلى كلام الأقدمين فجاءت من أحسن المقيدات وعلق شرحا على الخلاصة وآخر على سلم الأخضري وآخر على مقدمة ابن آجروم[3] إلى غير هذا.

* [256] سيدي الشاذلي[4]

به عرف صاحب الضريح بشارع الجزاء ولا أعرف في حقه إلا أنه شرقوي من حفدة الولي الأشهر سيدي محمد الشرقي، ولعله المذكور في فهرسة الأديب ابن عمرو من جملة تلامذة شيخه أبي العباس الحكمي وقد حلاه بقوله: العلامة الزاهد الصالح سيدي الشاذلي بن بلقاسم الشرقي الغزواني. اهـ.

فيكون المترجم قريب العهد من رجال القرن الثالث عشر المنصرم وقيل أن اسمه المكي بن المفضل الشاذلي؛ فيحتمل أنه المكي الشاذلي الرئيس الشهير من أهل الزعامة والنفوذ في أواسط القرن الثاني بالرباط.

وهو الذي كان قائما بأمره أيام حصار مولاي المستضيء وأهل سلا للرباط مدة أربعة عشر شهرا من عام 1156 بسبب تمسك الرباطيين بيعة السلطان مولانا عبد الله ضد مولاي المستضيء بنور الله وأهل سلا الناكثين لعهد مولاي عبد الله وكانت هذه الحادثة من أعظم

---

(1) لم أقف له على ترجمة.

(2) انظر ترجمته في: والبدور الضاوية، للعكاري، لوحة رقم 18/ أ، ومعلمة المغرب: 3/ 827.

(3) انظر: جامع الشروح والحواشي، لحبشي: 1/ 31.

(4) لم أقف له على ترجمة.

الحوادث بين سلا والرباط قتل فيها من الطرفين خلق كثير بينهم البعض من فقهاء الرباط وبسببها يروى عن....[1]

والحادثة مبسوطة في تاريخ الضعيف الرباطي عند ذكر خبر بيعة مولانا المستضيء بسلا بتاريخ يوم الأحد التاسع عشر من رجب عام 1156 وذلك على يد رئيس سلا الباشا عبد الحق فنيش[2].

قال الضعيف: وخالفت عليه مدينة رباط الفتح وتمادى أهلها على بيعة السلطان مولانا عبد الله وقيدوا عليهم الرئيس السيد المكي بن الشاذلي من أولاد سيدي محمد الشرقي نفع الله به هو الذي قام بأمرهم وولي عليهم قاضيا السيد محمد كراشكو الرباطي الأندلسي، وعزل الفقيه السيد محمد مرينو.. إلى آخر كلامه[3] . وانظر كم عاش المترجم بعد هذا التاريخ.

وأخبرني بعض الثقات أن صاحب الترجمة لم يعقب ولداً ذكراً وإنما أحاط بإرثه بنته وأبناء عمه كما وقف على ذلك في رسم مخارجة قديم والله أعلم.

---

(1) بياض في الأصل قدر سطرين.

(2) انظر هذه الحادثة في تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 261 وما بعدها.

(3) انظر: المصدر السابق: 1/ 261.

حرف الهاء

* [257] **الأمير المولى هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي السجلماسي ثم الرباطي (المتوفى سنة 1214هـ)**[1]

قال الضعيف: مولانا هشام بن أمير المؤمنين مولانا محمد بن عبد الله ابن إسماعيل بويع بمراكش لما لحقه خبر موت أبيه في اليوم السابع من دفن أبيه، وهو يوم الأحد الثالث من شعبان؛ فدخل على دار أبيه وحمل منها ما وجد من العدة الحسنة والملف، والكتان.

وبعث لقبيلة مسفيوة ففرق عليهم العدة فبايعوه مع أخيه للأب مولانا الحسين وذلك يوم الجمعة الثامن من شعبان بغير تفق الجل من مراكش، وذلك لما طلع الإمام يخطب فأتاه مولانا الحسين المذكور وسلّ سيفه على الإمام وأقسم عليه إن لم يخطب بأخيه هشام حتى يقطع رأسه، وصار بين صفوف الناس من أهل مراكش وهو يقول: بايعوا هشاما الله ينصره؛ وأخذ في تفريق المال على فقهاء مراكش وعلى أهل الحوز، وحمل ما وجد من أصناف الملف من دار أبيه رحمه الله على ألوان كالعكري، والشكرنط، ودم غزال، والقرفي، والديدي، والبنفسجي، وبرناطه أشغوبية، وأبرايا والرصاصي، وعين علجا، والزنجاري، وأخضرليم مطاب، واللقاحي، والعسلي، والقفلاني، والكبريتي، والسكري، والفختي، والشيبي لون الفار، وقلب مجر، وقلب افلينصة، وغير ذلك من أصناف الألوان، ونفائس التيجان التي كانت تأتي لأبيه من بلاد الروم.

وحمل ما وجد أيضا من أصناف الكتان وأنواعه من كامرة أزريرقة، والفينة، والقدرية، والسلاوية، والحريشة، وافرنصيصة، والشقيقة الديمية، والمشرطة، وهندي بلوري، وبلوري جرمانية الرومية، وشقاق الململ المكاوي منه أقمر على الدرابز وادويدا في قلب العاشق وبعض هذا من الهند ومن شاشاكر، والشيخ حامد، وكاشدا مشرقية، وكامرة متينة، وهي الشكلاط والبرنتك-سدوتة كتان- وطعمة حرير وغير ذلك من أصناف الدوان، وحمل طناجر من ذهب، وقدور من الذهب، وكل هذا أفناه مولانا هشام على أن يبايعوه، وفرق البعض وباع البعض وباع حياطي ذا الحرير مرصعين بالذهب الدوني منهم باعه بخمسمائة مثقال، فباع واحد منهم لسيدي العربي بن المعطي، وآخر اشتروه أهل فاس وعلقوه بضريح

---

(1) انظر ترجمته في المصدر السابق: 1/ 413 وما بعدها، والاستقصا، للسلاوي: 3/ 97 وما بعدها، والإعلام، للسملالي: 10/ 185، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 91، والأعلام، للزركلي: 8/ 88 وفيه أن وفاته كانت سنة 1212هـ.

مولانا إدريس نفع الله به.

واقتصرنا على ما فعل بدار أبيه.

قال في الاستقصا: ولما اتصل خبر ذلك بالمولى يزيد وهو محاصر لسبتة أقلع عنها وسار إلى الحوز فشرد قبائله ووصل إلى مراكش فدخلها عنوة.

يقال إن دخوله إليها كان من الباب المعروف بباب يغلى فاستباحها وقتل وسمل.

وكان الحادث بها عظيما ثم استجاش عليه المولى هشام قبائل دكالة وعبدة وقصده بمراكش فبرز إليه المولى يزيد ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازكورت انهزم جمع المولى هشام وتبعهم المولى يزيد فأصيب برصاصة في خده فرجع إلى مراكش يعالج جرحه فكان في ذلك حتفه رحمه الله وذلك أواخر جمادى الثانية سنة ست ومائتين وألف.

ودفن بقبور الأشراف قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش ولقد كان رحمه الله من فتيان آل علي وسمحائهم وأبطالهم له في النجدة والكفاية المحل الذي لا يجهل والسبق الذي لا يلحق والغبار الذي لا يشق ولا يضره تنقيص من نقصه من الحسدة عفا الله عنا وعنهم فإن مكان الرجل غير مكانهم وهمته العالية فوق تزويراتهم، تغمد الله الجميع بعفوه وغفرانه آمين[1].

ولما قتل المولى يزيد حدثت الفتنة بالمغرب بظهور الملوك الثلاثة من أولاد سيدي محمد وذلك أنه افترقت الكلمة بين أهل المغرب فأقام أهل الحوز وأهل مراكش على التمسك بدعوة المولى هشام وشايعه على أمره القائد أبو زيد عبد الرحمن بن ناصر العبدي صاحب آسفي وأعمالها والقائد أبو عبد الله محمد الهاشمي ابن علي بن العروسي الدكالي البوزراري.

وكان المولى مسلمة بن محمد شقيق المولى يزيد خليفة عنه ببلاد الهبط والجبل يدبر الأمر بثغورها، وينظر في أمورها فلما اتصل به خبر وفاة أخيه دعا إلى نفسه أهل تلك البلاد فبايعوه، واتفقت كلمتهم عليه ووصل خبر موت المولى يزيد إلى فاس وأعمالها فبايعوا المولى سليمان بن محمد رحمه الله ثم قامت الرحامنة ضد المولى هشام وبايعت أخاه المولى حسن بن محمد وزحفوا به إلى مراكش؛ فدخلها وتسلل هشام إلى آسفي، وافترقت كلمة الحوز، واتقدت فيه نيران الفتن إلى أن أخمدها الله بنصره السلطان أبا الربيع على بقية إخوته فظفر بهم في أخبار طويلة شهيرة في التاريخ.

---

(1) انظر الاستقصا، للسلاوي: 3/ 82 و83.

وكان أبو الربيع بعث إلى أخيه هشام من أمنه وجاء به إليه فلقاه مبرة وتكرمة وقدم إليه المراكب والكسى وأنزله بدار أخيه المولى المأمون ريثما استراح ثم بعثه إلى رباط الفتح فاستوطنها ورتب له من الجراية ما يكفيه.

ولما قدم الكاتب ابن عثمان على السلطان ببيعة عبد الرحمن بن ناصر واعتذر له عنه بالمرض قبل ظاهر عذره وأرجأ أمره إلى يوم ما.

وحكى صاحب الجيش[1] أن المولى هشاما لما قدم على السلطان بمراكش ونزل بدار أخيه المولى المأمون أتاه السلطان بعد ثلاث إلى منزله راجلا لقرب المسافة ولما التقيا تعانقا وتراحما ثم جاء معه المولى هشام حتى دخلا بستان النيل من باب الرئيس ونصب له السلطان كرسياً، جلس عليه وجلس هو أمامه إعظاماً له لكونه أسن منه ثم صار يستدعيه صباحاً ومساءً؛ فيجلسان ويتحدثان ثم يفترقان، وكان لا يتغدى، ولا يتعشى إلا وهو معه، وكلّما دخل عليه رفع مجلسه وأجله، وإذا ذكره لا يذكره إلا بلفظ الأخوة بأن يقول أخي مولاي هشام دون سائر بني أبيه، ولما طلب المولى هشام منه السكنى برباط الفتح أجابه إليها وقضى مآربه وأزاح علله ثم عاد إلى مراكش فكانت منيته بها.

ذكر من اسمه الهاشمي

*[258] الهاشمي بن محمد شكلانط الأندلسي ثم الرباطي[2]

ترجمه صاحب الإتحاف الوجيز[3] على أنه سَلويٌّ من أهل سلا ولعله يريد أنه منسوب إلى المقاطعة الشاملة للعَدْوتين (عَدوَتَيْ نهر أبي رقراق الفاصِل بين مدينتَي الرباط وسلا) معاً على حد قول ابن الخطيب في وصف سلا: "وشَقَّهَا الوادي". وإلا فالمترجَم رباطي من أهل الرباط وبيته من البيوتات الأندلسية الرباطية من قديم إلى الآن ولا يبعد أن يكون استوطن

(1) هو كتاب: "الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي"، لأبي عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس، القرشي، السوسي، الوزير، المتوفى بمراكش سنة 1294هـ كان وزيراً للمولى سليمان بفاس، وعزله المولى عبد الرحمن بن هشام، ومن مؤلفاته أيضاً "والحلل الزنجفورية في اجوبة الاسئلة الطيفورية"، قال المختار السوسي عنه وعن كتابه المذكور: "...لكنه في (الجيش العرمرم الخماسي) متهم بأنه هاجم وعرض وزن بأمور رد عليه فيها السباعي والمشرفي، وله آثار أدبية باهرة" انظر: المعسول، للمختار السوسي: 14/ 28.

(2) انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 143، والإعلام، للسملالي:6/ 72-73، مجالس الانبساط، لدنية، ص: 116، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 63، والمقدمة التحقيقية لكتابه "منهج التوضيح لمسائل صلاة التسابيح"، من منشورات مركز نجيبويه، بتحقيقنا، ص:7.

(3) الإتحاف الوجيز، للدكالي: ص143 و144و145: وكناه بأبي عبد الله محمد الهاشمي اشكلانطوا – كذا-.

سلا وأصله منها لكن في كتاب " نزهة الإخوان " ذِكْرٌ لبعض أجداده مع التصريح بأنهم من أهل الرباط، وكذلك في تاريخ الضعيف جاء ذكر المترجَم على أنه رِباطي فقال في حقه أولاً: "وفي سنة 1161هـ شارَطَ الفقيه العلامة السيد الهاشمي إشكلانط الرباطي الأندلسي بحاحة وبقي بها نحو سبعة أعوام، وفي سنة 1167هـ قدم على مُرَّاكش لقصد زيارة شيخه سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، وهو الذي شرح الغنيمة للشيخ الكامل أبي العباس سيدي أحمد بن ناصر الدرعي في الصلاة على النبي ﷺ[1].

وقال ثانياً بعد نقل كلام: وجدتُ هذا مقيداً بخط الفقيه العلامة السيد الهاشمي إشكلانط الرباطي الأندلسي رَحَمَهُ اللَّهُ قيَّدَه بحمراء مراكش عند مروره لزواية أشياخه الناصريين أوائل ذي القعدة الحرام عام 1169هـ[2].

ومما أفادنيه صهري الأستاذ الفقيه السيد محمد بن علي دنية أنه وقف على رَسْمَين رباطيَّين أحدهما بتاريخ 1173هـ، مكتوب بخط أبي العباس الغربي الرباطي وشكَّله وعطف عليه العدل السيد محمد بن الكاهيا الأندلسي الرباطي، والثاني مكتوب بخط حسن للعلامة السيد الهاشمي إشكلانط وبشكله أولاً ثم عطف عليه أبو العباس الغربي الرباطي، كما وقفت أنا أ ضا على رسم الدار الكبرى الشهيرة قرب جامع النخلة لأولاد الغرب على أنها من شراء الفقيه الحجة أبي العباس الغربي بشهادة المترجَم وبشكله أولاً ثم عطف عليه عبد الله بن الطيب جَسُّوس الرباطي وذلك بتاريخ أواخر رجب عام ثمانية وخمسين ومائة وألف.

وكل هذا مما يدلنا على أن إشكلانط رباطي من العدول الرباطيين ومن رجال كتاب الاغتباط بتراجم أعلام الرباط.

ومما وقفت عليه من آثار: كتابه المسمى بـ "منهاج التوضيح لمسائل صلاة التسبيح"[3] وعليه تقريظ بديع لصاحبه ومعاصره العلامة سيدي أحمد بن عاشر الحافي السلوي جاء فيه بعد النثر هذه الأبيات من الشعر:

أَعَـــزُّ مِـــنَ الْيَوَاقِيـــتِ الـــصِّلاةِ   كِتَـــابٌ فِيـــهِ أَحْكَـــامُ الـــصَّلاةِ

---

(1) انظر تاريخ الضعيف: 1/ 271.

(2) المصدر السابق: 1/ 277.

(3) منهج التوضيح لصلاة التسبيح، للمترجم، من منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، مطبوع بتحقيقنا 2007 م.

كِتَابُ الْهَاشِمِيِّ الْبَحْرِ مَنْ قَدْ ... حَوَى خَيْرَ الْمَنَاقِبِ والصِّفَاتِ
فَدَعْ غَمْراً جَهُولاً رَامَ نَقْصاً ... وَأَلْقِمْ فَاهُ صَخْراً مِنْ صَفَاةِ
أَحَادِيثُ النَّبِيِّ حَكَتْ عُقُوداً ... مُرَصَّعَةً عَلَى نَحْرِ الْمَهَاةِ
ثَمَانِيَةٌ مِنَ الأَبْوَابِ فِيهِ ... كَفِرْدَوْسٍ مُسَرْمَدَةِ الْحَيَاةِ
وَأَنْقَالٌ وأقْوَالٌ حِسَانٌ ... مُصَحَّحَةُ النُّقُولِ عَنِ الثِّقَاةِ
رَوَاهَا النَّاقِلُونَ وكُلُّ شَيْخ ... مِنَ الْعُلَمَا بِإِسْنَادِ الرُّوَاةِ
فَمَا كُنَّا نَظُنُّ الْوَقْتَ فِيهِ ... نَظِيرُكَ فِي النَّبَاهَةِ وَالثَّبَاتِ
فَأَنْتَ الْيَوْمَ فَرْدٌ فِي الْمَعَالِي ... وأَنْتَ الْيَوْمَ بَحْرٌ مِنْ فُرَاتِ
فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ عِلْماً ... وخَصَّكَ بِالْمَوَاهِبِ والْهِبَاتِ
فَهَاشِمُنَا الَّذِي أَعْطَى صَلاَةً ... لِتَسْبِيح مَقَالاً مِنْ وُلاَةِ
وَلا شَيْخاً مِنَ الأَشْيَاخِ أَبْدَى ... كَوَضْعِكَ أَوْ لِقَاضٍ مِنَ قُضَاةِ
جَزَاكَ اللهُ عَنَّا كُلَّ خَيْرِ ... وإِحْسَانٍ أَيَا بَدْرَ السُّرَاةِ
صَلاةُ اللهِ تَتْرَى مَعْ سَلامِي ... عَلَى الْهَادِي كَرَمْلٍ فِي الْفَلاةِ
وَآلٍ والصَّحَابَةِ أَلْفَ أَلْفٍ ... بِعَدِّ الْخَلْقِ طُرًّا والنَّبَاتِ
وَمَا رُقِمَتْ طُرُوسٌ مِنْ مِدَادٍ ... ومَا غُمِسَتْ قُلُومٌ مِنْ دَوَاةِ

قال صاحب الإتحاف الوجيز في حق المترجَم: كان رَحِمَهُ اللهُ فقيهاً نبيهاً مُدرساً متصدراً للإفتاء بالعَدْوَتين شاعراً مفلقاً وأديباً حاذقاً مشاركاً مُتفنناً علامةً مُتقِناً يقول الشعرَ الجيد ويكتب الرسائل البليغة، وبالجملة فهو كما قال في بعض قصائده مادِحاً:

ذُو يَدٍ فِي الْقَرِيضِ صَاحِبُ نَثْرٍ ... لا يُجَارَى ولا يُبَارَى بِحَالِ
طَاوَعَتْهُ الْقَوَافِي طُرًّا فَأَضْحَى ... مَالِكاً لِرِقَابِهَا بِاتِّصَالِ
شَاعَ آدَابُهُ بِشَرْقٍ وغَرْبٍ ... واسْتَضَاءَتْ بِهِ جَمِيعُ اللَّيَالِي

وهذه القصيدة من نفيس كلامه مدح بها بعض أحبائه قال في مطلعها:

صَاحِ عَرِّجْ عَلَى رُبُوعِ الْمَعَالِي ... ورِيَاضٍ ذَوَاتِ مَاءٍ زُلالِ
وَتَمَتَّعْ بِلَثْمِ تُرْبِ حِمَاهَا ... وتَذَلَّلْ لِحُسْنِ ذَاكَ الدَّلالِ
وَلْتُحَيِّ جَمِيعَ أَهْلِهِ فَوْزاً ... بِسَلامٍ مُعَنْبَرٍ مُتَوَالِ

وَلْتَسَلْ عَنْ سُرَاتِهِم فَإِذَا مَا شِمْتَهُ فَلْتُحَاكِ عَنِّي مَقَالِي
شَوَّقَتْنِي الأَخْبَارُ عَنْ حَالِ خِلٍّ قَدْ غَدَا لابِساً رِدَاءَ حِجَالِ
رَافِلاً فِي ثِيَابِ عِزٍّ وفَخْرٍ نَافِثاً مَا يَشَا مِنْ سِحْرٍ حَلالِ

ذا يد في القريض... إلى آخر الثلاثة الأبيات السابقة وهي طويلة بليغة.

ومن كلامه أيضا:

ظَبْيٌ يحْشُو الْفُؤَادِ قَائِلْ أَعْجَزَ فِي الْوصْفِ كُلَّ قَائلْ
وَهْوَ بِأَجْفَانِهِ سَبَانِي وسِحْرُهُ يَنْتَمِي لِبَابِلْ
يَرْمِي بِسَهْمِ اللِّحَاظِ لَمَّا يَرْنُو فَيُضْمِي الْفُؤَادَ عَاجِلْ
قَدْ فَتَنَ الْعَقْلَ مِنْ تَجَنٍّ عَلَيَّ حَتَّى غَدَوْتُ ذَاهِلْ
لَهُ قَوَامٌ كَخُوطِ بَانٍ أَوْ كَالْقَنَا السَّمْهَرِيّ عَاذِلْ
بَدْرٌ بَدَا كَامِلَ الْمَحَاسِنِ فِي الْقَلْبِ والطَّرْفِ عَادَ نَازِلْ
قَدْ أَسَرَ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ بِقَيْدِ حُسْنٍ لِجِسْمِي شَامِلْ

ثم تخلص للمقصود منها وهي قصيدة طويلة يمدح بها أبا محمد صالح لما حل بآسفي زائرا له وله أخرى يمدحه بها، وهذا الفاضل ممن عاصر ابن عاشر الحافي وأقرانه، رأيت له تقريظاً نفيساً على شرح القاضي أبي عبد الله زُنَيْبِر السَّلاوي[1] على همزية البوصيري[2].

وبدائعه ومحاسنه كثيرة ذكرنا منها في الحدائق[3] ما عثرنا عليه والله الموفق[4].

---

(1) هو: أبو عبد الله، محمد بن حجي بن قاسم زنيبر السلاوي، المتوفى سنة 1194هـ قال ابن سودة: كان علامة مشاركًا مدرسًا، له تآليف، منها شرحه للهمزية من أحسن الشروح، ولي القضاء بمدينة سلا مدة، والخطابة بالجامع الأعظم منها. انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 49.

(2) هي قصيدة همزية مشهورة أنشأها أبو عبد الله، محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري، شرف الدين، المتوفى سنة 696هـ صاحب البردة وهي أشهر أشعاره، وله غيرها من المدائح، وأول الهمزية:

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

(3) الضمير يعود على الدكالي وحدائق الأزهار، مخطوط يجهل مصيره، وضعه الدكالي قبل تصنيف "الإتحاف الوجيز" سنة 1313هـ. انظر: مقدمة تحقيق الإتحاف الوجيز، بقلم محققه مصطفى بوشعراء، ص: 9.

(4) العبارة بطولها من: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 144 و145.

* [259] الهاشمي الضرير (المتوفى سنة 1300هـ)(1)

الفقيه العلامة المحدث المقرئ السيد الهاشمي بن أحمد الزياني البصير المعروف بالضرير أستاذ الشيخين أبي إسحاق التادلي وأبي حامد البطاوري والقاضيين أبي العباس البناني وأبي عبد الله البريبري والأخوين السيد محمد والسيد الغازي بن الحسني.

أخذ الأول عنه الرواية، والثاني العربية، والثالث الفقه، والرابع القراءات، والخامس والسادس مبادئ العلوم.

كان والدهما الحاج الحسني خصصه لتعليمهما لمزيد علمه وفضله، ولو لم يكن من مفاخره سوى ما ذكرناه من أخذ الشيخ أبي إسحاق عنه لكان كافياً.

وقد تبادلا سلعة بسلعة، فالتادلي أخذ عنه الرواية والقراءات والمترجم أخذ عن التادلي البيان والاستعارات حسبما جاء ذكر ذلك في إجازة أبي إسحاق للفقيه السيد بنعيسى إطريدانو .

وكان للمترجم مجلس حفيل يحضره الجم من طلبة الرباط ونقادهم ولا سيما مجلس درس المختصر الخليلي وصحيح البخاري والشاطبية بالجعبري.

ومنعه القاضي السيد محمد بن إبراهيم من مواصلة دروسه الحديثية بموجب حضور الأحداث عليه إلى أن بلغت القضية للسلطان.

ولما تصالحا قال له القاضي: أنا أعلم يقيناً بأنك أعلم مني وأفقه، ولكن لا ينبغي أن يحضر مجلسك الحديثي الأحداث وأنت مكفوف البصر لا تنظر ما يقع حولك مما ينافي أدب الحديث.

وكانت وفاته رحمه الله في الساعة 10 من يوم الاثنين فاتح محرم الحرام عام 1300، ودفن بالعلو روضة المجاهدين أعلى الله درجته في عليين.

* [260] الهاشمي بن محمد الحجوي (المتوفى سنة 1315هـ)(2)

نابغة من نوابغ الرباط الحذاق وعين من عيون تلامذة الشيخ أبي إسحاق ومن أجل العلماء النقاد علماً وفهماً وحفظاً للأمهات والمتون ومشاركة في تحرير أو تدريس الكثير من

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 207، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 279، وقد ذكره السملالي في الإعلام: 7/ 223 بين شيوخ محمد العربي الوزاني نقلاً عن فهرسته.

(2) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 253، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 337، والفكر السامي، للثعالبي الحجوي: 2/ 307.

الفنون، وعني بالرواية فاستجاز أبا إسحاق فأجازه إجازة عامة وصفه فيها بالطالب الألمعي الفطن اللوذعي لخ.

وقلما وصف الشيخ أبو إسحاق تلامذته بمثل هذا الوصف الدال على شفوفهم في العلم والفهم غيرة وخوفاً عليهم من الفتنة. وهي إجازة حفيلة تقدم ذكرها في أسانيد الشيخ زين العابدين البناني أحد خواص المترجم ورفقائه في الطلب.

واشتهر بمحبة آل البيت والتشيع خصوصاً للسادات الوزانيين، ولم يزل مخلصاً في خدمتهم متفانياً في محبتهم إلى أن دعاه داعي الفلاح. وكان ذلك زمن خدمته بمرسى الدار البيضاء فأجاب دعوة ربه هناك بتاريخ ليلة الخميس تاسع عشر شعبان الأبرك عام 1315 بعيد العشاء، ودفن من الغد بالزاوية القادرية أمام محرابها.

إِذَا مَا جِمَامُ الْمَرْءِ كَانَ بِبَلْدَةٍ ... دَعَتْهُ إِلَيْهَا حَاجَةٌ فَيَطِيرُ

* [261] **الأستاذ الهاشمي القصري**(1)

أستاذ مقرئ عارف بالقراءات وأحكامها وأديب مؤدب صوفي، متخلق بدماثة الأخلاق ومكارمها.

تصوف على الشيخ أبي بكر البناني ثم عن ولده الشيخ سيدي فتح الله.

ومن شعره فيه قوله من أبيات:

أَيَا فَتْحُ قَدْ حُزْتَ السِّيَادَةَ والْعُلا ... وبُوِّئْتَ مِنْ أَعْلَى الْمَكَارِمِ مَنْزِلاً

هَنِيئاً لِمَنْ أَمْسَى وأَنْتَ جَلِيسُهُ ... حَدِيثُكَ عَنْ كُتْبِ الدَّفَاتِرِ قَدْ عَلا

وَطُوبَى لِقَلْبٍ جَفْنُهُ قَدْ تَكَحَّلا ... بِحُبِّكَ يَا بَدْرَ التَّمَامِ مُكَمَّلا

(1) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 291.

حرف الياء

ذكر من اسمه يحيى

* [262] يحيى بن يونس ولي شالة الشهير[1]

لم تعرف له ترجمة ولا تعرف إلى الآن وحتى الآن، وما يقال من أنه من الأمم السالفة الذكر أو من أنبيائهم أو من الحواريين المبشرين أو من برغواطة المتنبئين أو من الموحدين أو من الأندلسيين كلها أقوال واحتمالات لا سبيل إلى تحقيقها أو اعتمادها على سبيل الظن، فأحرى اليقين خلافاً لمن وهم وهماً فجزم بالاحتمال الأخير. والحق ما صرحت به نقلاً عن اليوسي في كتاب شالة وآثارها من أنه لا تعرف له ترجمة ولم تعرف.

* [263] يحيى بن مسعود دفين شالة (المتوفى سنة 727هـ)[2]

ترجم له لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة في موضعين صفحة 224 و353 من الجزء الأول من الطبعة الأولى بمصر أجرى ذكره عروضاً في ترجمة إسماعيل بن الأحمد وولده محمد من ملوك غرناطة على أنه ولي القضاء لهما بغرناطة. وترجم له ابن الخطيب أيضاً في كتابه اللمحة البدرية في الدولة النصرية بمثل ما ترجمه في الإحاطة أي على سبيل المثال العروض والاختصار فقط.

والذي أفاد في ترجمته هو القاضي أبو العباس سيدي أحمد ابن القاضي في كتابه درة الحجال ونصه من حرف الياء:

يحيى بن مسعود بن علي بن أحمد المحاربي، المعروف بابن مسعود قاضي الجماعة بحضرة غرناطة ممن له معرفة بالأحكام، ومزاولة في القضاء ونوازل الخصام.

وكانت له وطأة شديدة على أهل الجاه ليس لعثارهم عنده من إقالة.

وكانت له عناية تامة باقتناء الكتب العلمية وكسبها واتخاذ الدواوين الفقهية بين استنساخها وكتبها.

أخذ عن أبي جعفر أحمد بن سعد القزاز وعلى ابن سمعون وعلى الأستاذ أبي جعفر بن الزبير.

---

(1) انظر الكلام عنه في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 59.

(2) انظر ترجمته في: الإحاطة، للسان الدين الخطيب، ودرة الحجال، لابن القاضي المكناسي، ص: 446، والدرر الكامنة، لابن حجر: 2/ 167.

توفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة ودفن بظاهر سلا بشالة التربة المقدسة المعروفة خارج رباط الفتح.

مولده ليلة الاثنين لست خلون من شوال سنة ثلاث وخمسين وستمائة[1].

*** [264] يحيى بن منصور دفين ناحية الرباط[2]**

بقبيلة زعير حوزي الرباط لا بشالة كما سبق به قلم الضعيف في تاريخه غلطاً واعتمده من جعله صاحب الضريح بشالة شططاً مع أن ضريحه بتلك القبيلة معلوم[3]، وباسمه ورسمه ووسمه موسوم وله ذكر في ديوان الأديب ابن عمرو ممدوحاً بأبيات شعرية أنشأها الأديب المذكور عند زيارة ضريحه واستنشاق طيب ريحه فقال:

مَا إنْ لِـذِي شَـجَنٍ بِالـصَّدْرِ مَحْـصُورِ ... مَـدِيدُ وَجْـدٍ عَلَـى الأَهْـوَالِ مَنْـصُورِ

مُـدَامُ دَمْـعِهِ كَـادَ الـرَّاحُ يُـشْبِهُهُ ... فَـيَا لَـهُ مِـنْ مُـدَامٍ غَيْـرِ مَعْـصُورِ

كَـسِيفُ حَـالٍ كَـسِيرُ الْقَلْـبِ مِـنْ قَلَـقٍ ... إلا طَبِيـبَ الأَسَـى يَحْيَـى بـن مَنْـصُورِ

ذكر من اسمه يعقوب

*** [265] السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني دفين شالة (المتوفى سنة 685هـ)[4]**

سيد بني مرين على الإطلاق ورابع الإخوة الأربعة الذين ولوا الأمر بالمغرب من بني عبد الحق.

رأت أمه وهي بكر كأن القمر خرج من قبلها حتى صعد إلى السماء وأشرق نوره على الأرض، فقصت رؤياها على أبيها فصار إلى بعض الصلحاء فقصها عليه فقال: إن صدقت رؤياها فستلد ملكاً عظيماً. فكان كذلك.

تملك سنة سبع وخمسين وستمائة.

وكان مما أكرمه الله به أن فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي الإسبانيين ثم فتح باقي

---

(1) انظر: درة الحجال، لابن القاضي المكناسي، ص: 446.

(2) لم أقف على ترجمة له في ما بين يدي من مصادر.

(3) انظر تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 402.

(4) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 13/ 307 وذكر نسبه فقال: يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن كرماط بن مرين، وجذوة الاقتباس، لابن القاضي: 1/ 313، والإحاطة: 2/ 184، والأعلام، للزركلي: 8/ 199.

بلاد المغرب. وتمشت طاعته في سائر أقطاره، فلم يبق فيه أهل حصن يدينون بغير دعوته ولا جماعة تتحيز إلى غير فئته.

وأخباره في الجهاد وما كان له بالأندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل كل ذلك شهير في التاريخ، وناهيك برجل جاءه طاغية أسبانيا في وفد من بطارقته وأقطاب سياسة دولته مستصرخاً له وهو ذليل لعزة الإسلام. ولما اجتمع به قبل يده إعظاماً لقدره وخضوعاً لعزه وفخره.

قال المؤرخون: فدعا السلطان بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والإفرنج. ثم التمس الطاغية من السلطان أن يمده بشيء من المال، فأسلفه مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين رهنه الطاغية فيها تاجه الموروث عن سلفه.

قال ابن خلدون: وبقي هذا التاج بدار بني يعقوب بن عبد الحق فخراً لأعقاب هذا العهد. اهـ[1].

قال صاحب الاستقصا بعد نقله: وما أبعد حال هذا الطاغية المهين من حال عطارد بن حاجب التميمي الذي لم يسلم قوس أبيه على تطاول السنين، والقصة مشهورة، فانظر ما بين الهمم العربية والعجمية من البون وحال الفريقين في الابتذال والصون. اهـ[2].

وكانت وفاته بقصره من الجزيرة الخضراء بالأندلس في ضحى يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم فاتح سنة خمس وثمانين وستمائة، وحمل إلى الرباط فدفن بشالة بمسجدها العتيق، كان بناه في حياته وأوصى أن يدفن فيه بعد مماته كما جاء التصريح بذلك في تاريخ ليون الإفريقي.

وكم خلف من آثار وبنى من مارستانات وأجرى من مرتبات ونفقات وشيد من مدارس ووقف من أوقاف، كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى ورفده، نفعه الله بقصده.

---

(1) انظر: تاريخ ابن خلدون: 4/ 183.

(2) انظر: الاستقصاء للناصري: 1/ 55.

ذكر من اسمه يوسف

*[266] **السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن عبد الحق دفين شالة (المتوفى سنة 706هـ)**[1]

كان هذا السلطان على قدم أبيه يعقوب المتقدم الذكر ولا سيما في الجهاد والغزو وأفعال الخير والبر.

تسلطن بعد وفاة والده وجمع بين طارفه وتالده. وهو أول من هذب ملك بني مرين وأكسبه رونق الحضارة والتمدين.

وكان غليظ الحجاب، لا يكاد يوصل إليه إلا بعد الجهد، مهيباً لا يكاد أحد يبدؤه بالكلام، جواداً مشفقاً على الرعية متفقداً لأحوالها، شجاعاً شهماً ذا عزيمة كما يعلم من مراجعة أخباره في التاريخ.

وكانت وفاته قتيلاً بتلمسان يوم الأربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وسبعمائة، وقبر هناك ثم نقل بعدما سكنت الهيعة إلى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع سلفه. وأطلال ضريحه لا زالت ماثلة إلى الآن.

*[267] **سيدي يوسف بن محمد الدادسي**[2]

أبو يعقوب الفقيه العدل الأديب العروضي أحد تلامذة الشيخ العكاري كما ذكره الحفيد في الفهرسة من جملة الملازمين لجده المترددين إليه في حل المشكلات من المسائل ومعضلاتها وذكر له قصيدة طويلة في رثائه تعد من القصائد الحسان لولا أن عين الكمال أصابتها باختلال كثير من أبياتها[3]، فلذلك ضربت صفحاً عن إثباتها.

ولعل المترجم هو صاحب الضريح بالجزاء المعروف بسيدي يوسف، وهو غير سيدي يوسف الناصري المعروف بالجزاء أيضاً من المرابطين والمشار إليهم بالخير والدين.

---

(1) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة، لابن حجر: 2/ 186، وجذوة الاقتباس: 1/ 269، والإعلام، للسملالي في: 13/ 436، والإحاطة، للسان الدين بن الخطيب: 2/ 184، والأعلام، للزركلي: 8/ 258.

(2) ذكره السملالي في، الإعلام: 12/ 249، في ترجمة علي بن محمد بن علي العكاري المراكشي بين تلاميذ العكاري الجد، وفهرسة العكاري، لوحة رقم (13/ أ).

(3) ذكر السملالي في، الإعلام: 12/ 249، 250، بيتاً من القصيدة المذكورة وهو:

مَا لِلْعُيُونِ دُمُوعُهَا تَجْرِي ... شِبْهَ الْيَوَاقِيتِ حُمْراً كَالْجَمْرِ

[268]* يوسف البوعناني قاضي الرباط (المتوفى سنة 1206هـ)[1]

قاضيه وابن قاضيه أبو الحجاج يوسف بن الطالب البوعناني المتقدم. استوطن الرباط مدة تولى فيها قضاءه ولم تكن ولايته مستقلة بل كانت اشتراكاً مع القاضي السيد العربي القسمطيني أول القرن الثالث عشر كما أفادنيه الشيخ أبو السعود الكتاني، وعليه اعتمدت في كتابي تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط، ثم وقفت على ما يؤيد ذلك في بعض الرسوم بخطابه وشكله المرسوم.

كان رحمه الله من أفضل الفقهاء وأجل العلماء، ومن سلالة الأئمة الأعلام والقضاة الكرام. تداول خطة القضاء فولي على فاس وهو ابن عشرين سنة، وذلك عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف على يد السلطان مولاي عبد الله، وفوض له في أمر القضاة والأئمة والخطباء والنظار والمحتسبين، ثم عزله وولى بدله القاضي بوقريص عام تسعة وخمسين ومائة وألف، ثم رد للقضاء بفاس بعد نيف وثلاثين، ثم نقل إلى قضاء مكناس فلم يلبث إلا شهوراً وعزل، ثم ولي قضاء فاس الجديد، ثم قضاء الرباط مشتركاً فيه مع القاضي القسمطيني كما قدمنا.

وكان من أهل الصرامة في الأحكام، لا تأخذه في الله لومة لوام، وهو الذي سجن الفقيه السيد محمد بن عبد الرحمن الفلالي كما تقدمت الإشارة إليه.

وتوفي في ربيع الثاني عام ستة ومائتين وألف، ودفن بروضة أولاد بوعنان داخل باب الجيسة من فاس، طيب الله ثراه بأطيب الأنفاس.

آمِينَ آمِينَ لا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أُضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَ

وليكن هذا التأمين شاملاً لدعائي بقبول هذا الكتاب المبين. ورحم الله من قال آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(1) انظر ترجمته في: تعطير البساط، ص: 18، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 221، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 72.

كلمة الختم

قال أبو عبد الله محمد بن الحاج مصطفى بوجندار الرباطي الدار جامع الكتاب ومصنفه ومقرظ السمع بتراجمه ومنسقه: إلى هنا انتهى كتاب الاعتباط بتراجم أعلام الرباط مع اعترافي بأن ما جمعته فيه لموافيه هو وإن كان في نفسه طويل الذيل مديد السيل فليس بحراً بسيطاً ولا قاموساً محيطاً، بل إنما ذلك جل من كل وغيض من فيض، هو قصارى ما أنتجته مقدمات التنقيب والبحث، وأنضيت إليه ركاب التنقير والحث مع قلة المواد وضعف الإرشاد وعدم المرشد إلى طريق الرشاد.

وقد أخبرني شيخي وقريبي الشيخ أبو حامد البطاوري أبقى الله بركته وحرس حركته نقلاً عن بعض الشيوخ ذوي الثبات والرسوخ أن أهل الأندلس لما هاجروا من بلادهم للمغرب نقلوا معهم إلى رباط الفتح مائتي تابوت بالتثنية حملوا فيها البعض من أجثاث علمائهم وأوليائهم إلى أن أقبروهم بمقبرة الرباط مقبرة العلو.

ورأيت مثله في كتاب المجد الطارف والتالد لأبي عبد الله محمد الأمين الصحراوي[1] كما تقدم نقله عنه مع ذكر ما نقل عن بعض أهل الحرم الشريف من تشوقهم لزيارة العلو وتسميته بجبل الزعفران، الأمر الذي يدل على أنه من المعاهد المقدسة ذات الشأن لكثرة من أقبر فيه من الأعلام والأعيان.

وهذه أيضاً مدينة شالة روضة المجاهدين ومقبرة بني مرين لم تكن رباطاً مقدساً وحرماً آمناً ومزاراً محترماً يأوي إليها العموم والخصوص بقصد الزيارة والتبرك إلا لما فيها من آثار الصالحين وأهل الأندلس المهاجرين.

وكنت تلقيت من قاضي الرباط المرحوم الفقيه السيد أحمد بناني أنه كما يوجد كثير من علماء الأندلس بالرباط يوجد فيه أيضاً عدة نسوة كلهن عالمات فاضلات صالحات، منهن ذوات الأضرحة الشهيرة مثل السيدة فاطمة الطريدة، والسيدة حقية، والسيدة تبرنوصت، والسيدة الرابطة، والسيدة القضية، والسيدة البيضاء، والسيدة هند. وربما قيل أنهن أخوات، وأنهن كن يحفظن المدونة أو فيهن من يحفظها. اهـ.

وقيل أن بعضهن شرقويات، وزعم البعض أن منهن السيدة عائشة اليابورية صاحبة الضريح بالعلو، وليس كذلك، بل ولا هي أيضاً أخت الولي الصالح سيدي عبد الله

(1) تقدم التعريف بالكتاب وصاحبه في مقدمة المؤلف.

اليابوري كما تزعمه العامة، وإن كانت أندلسية أيضاً. وتنسب إلى يابورة، فقد وقفت على رسم مخارجة بتسجيل القاضي المهدي مرينو الرباطي تاريخ 1223 فيه أن السيدة الصالحة عائشة اليابورية هي بنت الحاج أحمد الفاسي الأندلسي الرباطي، وهو يدل على أنها قريبة العهد من أهل القرن المنصرم فقط مثل باقي السيدات الصالحات ذوات الأضرحة الشهيرة بالرباط كالسيدة عائشة عريانة الرأس، والسيدة كنزة، وكلتاهما كانتا من أهل الجذب والأحوال، وكذلك السيدة شامة صاحبة المقام بالزاوية التهامية، وهي شريفة وَزَّانِيَّةٌ، ذكرها الضعيف[1] في حوادث عام 1204 من تاريخه فقال: وفي يوم السبت 24 شعبان توفيت الشريفة بنت سيدي عبد الله بن الحسني بالرباط من شرفاء وزان، رحمها الله، وصلى عليها سيدي محمد بن أبي القاسم في الزاوية التهامية. اهـ. إلى غير ذلك مما يبرر قولنا أن هذا الثغر ورباطه طافح بالسادات والسيدات طفوحاً تقصر عنه الإحاطة، فأحرى كتابي هذا الاغتباط أو بقية كتبي كتعطير البساط بتراجم قضاة الرباط أو وصلة الارتباط بمشاهير أولياء الرباط، فعلى الناقد البصير أن يسدل رداء العفو عما يجده من القصور والتقصير، وحسبه عذراً أنه في صنعه أول كتاب ظهر من نوعه، عسى أن يكون أساساً لمن يريد الإشادة على بناء وضعه، وليعلم أن النقص في الإنسان موجود، والكمال مفقود، وكل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلام صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود، ﷺ ما لاح بدر وتم، وافتتح مؤلف وختم.

وكان الفراغ من تخريجه وتأرج مسك الختام من طيب أريجه في ثاني جمادى الثانية عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف.

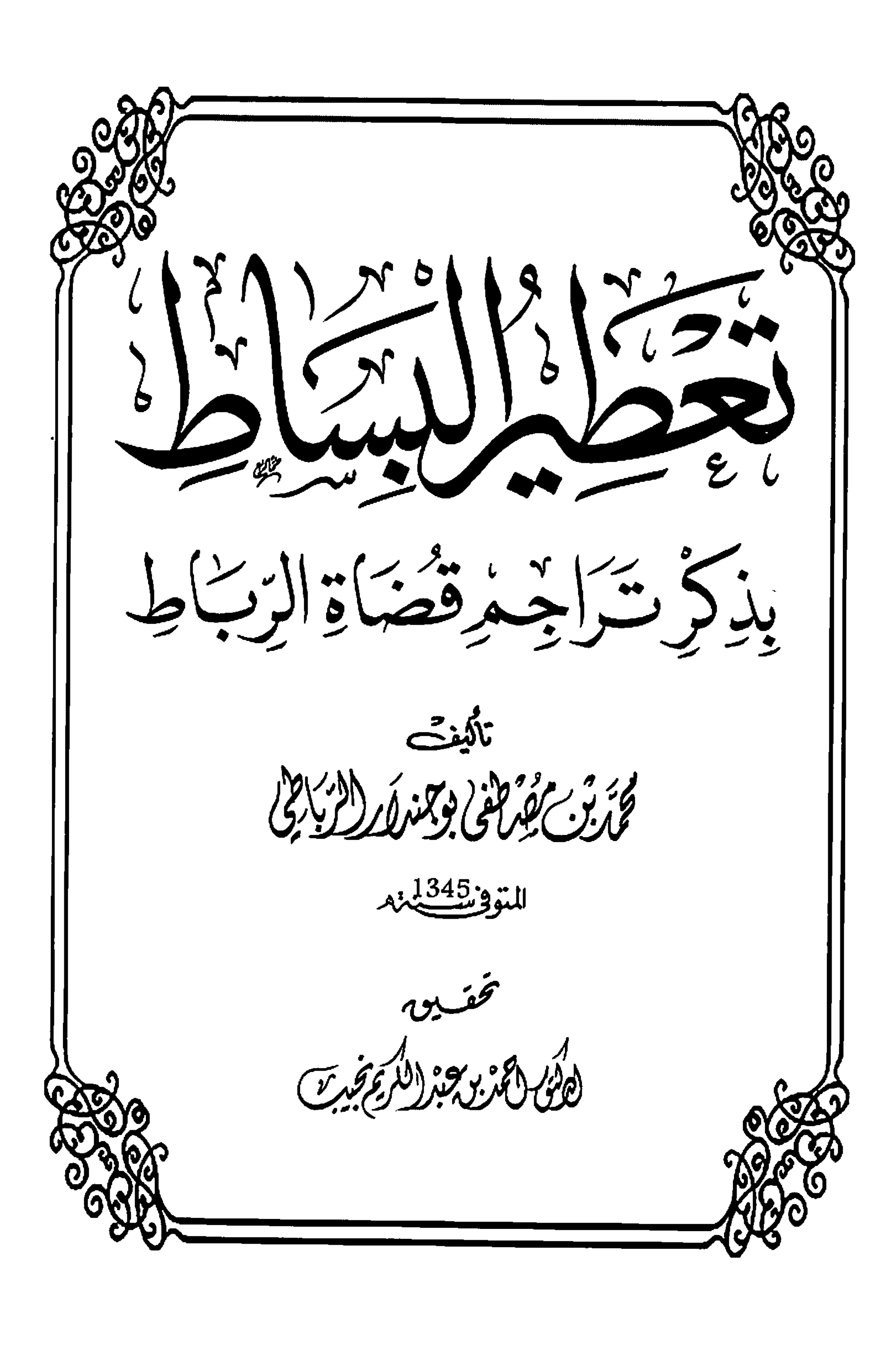
ومن عجيب الاتفاق موافقة عدد حروف اسمه لعدد تاريخ رسمه، وذلك على قاعدة حساب الجمل من كلمة الاغتباط الحاصل من مجموع واحد للألف وواحد وثلاثين للام ألف وتسعمائة للغين وأربعمائة للتاء واثنين للباء وعشرة للألف والطاء، فلذلك قلت منوهاً بصنعه ومؤرخاً تمام وضعه:

بُشْرَى فَذَا الاغْتِبَاطْ ... عَنْهُ اللثَامُ يُمَاطْ
كَالْبَدْرِ تَمَّ سَنَاهُ ... فَضَاءَ مِنْهُ الرِّبَاطْ
لَهُ السَّمَاءُ وِطَاءٌ ... كَذَا الثُّرَيَّا مَنَاطْ

---

(1) تاريخ الضعيف الرباطي: 1/ 369.

فَـــخُذْهُ خَيْـــرَ كِتَـــابْ وَافَـــاكَ مِنْـــهُ اغْتِبَـــاطْ
بَـــيْنَ اسْـــمِهِ ومُـــسَمًّا هُ وَصْـــلَةٌ وازْتِبَـــاطْ
لِـــذَا أَتَـــى مِـــنْ وِفَـــاقْ تَـــارِيخُهُ الاغْـــتِبَاطْ



تعطير البساط

بذكر تراجم قضاة الرباط

تأليف

محمد بن مصطفى بوجندار الرباطي

المتوفى سنة 1345هـ

تحقيق

الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب

المقدمة التحقيقية
لكتاب «التعطير»

أقول -مستعيناً بالله تعالى- بعد حمده كما ينبغي لجلاله، والصلاة والسلام على نبيِّه المصطفى وصحبه وآله:

فليس نفض غبار الزمن عن المصنفات والآثار خاصاً بالمخطوط دون المطبوع، بل قد تمس الحاجة إلى إعادة نشر ما طبع سابقاً على الحجر أو الحروف لتفردِّهِ في بابه، أو لكثرة طلابه، وهو ما ينطبق على كتاب «تعطير البساط بذكر قضاة الرباط» الذي طُبع سنة 1336هـ في حياة مؤلفه علامة الرباط ومؤرخها محمد بن الحاج مصطفى بوجندار، المتوفى سنة 1345 هـ، رحمه الله وغفر له.

ولتميز الكتاب في موضوعه، وافتقار المكتبة العربية إلى نظائره من المصنفات المتخصصة في تراجم أعلام رباط الفتح بعامة، وما يُحتاج إليه من تراجم فئات منهم بخاصة، شُغِف القراء بكتاب «التعطير» فتهافتوا عليه فور نشره، واستنفذوه من المكتبات وهو في مهده، وكثر عليه الطلب بعد فقدِه، فرأينا أن نعيد الكتاب إلى طالبيه، ونعمل على إعادة نشره بعد إرجاع البصر كرة بعد كرة فيما فيه، ووقع اختيارنا عليه لأسباب منها – إلى جانب كثرة السائلين وإلحاح الملحين – ارتباطه بما شرعنا فيه من تحقيق آثار العلامة بوجندار المتعلقة بمدينة الرباط العامرة تعريفاً وتأريخاً وأعلاماً، فذهبنا في بداية أمرنا إلى إلحاقه بالاغتباط، ثم عدلنا عن ذلك إلى نشره في باكورة السعد من مجلة قطر الندى العلمية المحكَّمة، فنشرناه في عددها الأول الصادر في شهر رمضان المبارك من شهور 1429 للهجرة.

ولما عزمنا على إخراج طبعة ثانية للمقدمة والاغتباط رأينا بعد استشارة المعنيين بتاريخ وتراجم رجال المغرب الأقصى أن نلحق «التعطير» بسالِفَيْه؛ لتجتمع آثار بوجندار بين دفّتي مجلد واحد.

وها نحن اليومَ نقدم لتعطير البساط ليكون ثالث ثلاثة كتب بين دفَّتَي هذا المجلد، فنقول مستعينين بالله تعالى:

كتاب "التعطير" وبعض سماته

صنف بوجندار كتاب "التعطير" استجابة لطلب من السلطة الحاكمة في زمنه، وأشار إلى ذلك في مقدمته بقوله: "قد وقع سؤال من طرف الحكومة البلدية، والمراقبة المدنية عن تاريخ القضاء بالرباط وقضاته الماضين مع ذكر تاريخ ولاية كلٍ ووفاته إلى هذا الحين"، فشمّر لذلك عن ساعد الجد، رغم أن الاشتغال بالتصنيف في التراجم أمر غير يسير، وأصعب ما فيه التصنيف في تراجم أهل بلد لم يفردهم أحد بترجمة سابقة، فكيف إن كان المقصودون بالترجمة فئة لا يجمع بين أفرادها سوى المنصب (القضائي مثلاً)، مع أن الاشتغال بهذا المنصب قد لا يطول، كما يندر أن يخلِّفَ المشتغل به أثراً علمياً يدل به أو يعرف عليه، إلا ما يتناقله الناس شفاهاً، أو ما تحويه دور القضاء – في عصر التوثيق دون ما سبقه – من وثائق يصعب الوصول إليها أو الاطلاع عليها.

لذلك كانت مهمة خديم العلم والأدب شاقة، ولم يكن له بد من أن يضع من أجل إنجازها موسوعة جمعت فأوعت أعلام الرباط، ليستل منها مادة كتاب التعطير، ومن أجل ذلك يتعين عليه أن يتتبع الرسوم وعقود الأنكحة والتواريخ والتقاييد وغير ذلك من الوثائق، ولا يشينه أن يقف على جهد غيره فيعتمده أو ينقل منه؛ فما أكثر الأعمال التي وصف أصحابها بالسبق، وأشاد بها من أشاد وهي ثمرة عمل وجهود لسابقين أو معاصرين، وليس لصاحبها إلا السبق إلى تأليف الكلمات، وتقريب المقالات، وجمع شتات الأشتات.

وبعد تقرير ما تقدم نبني عليه أن من سمات كتاب التعطير كون صِغَر حجمه لا يستلزم قلة الجهد المبذول فيه، بل على العكس من ذلك نجد أن بوجندار قد جمع أضعاف ما أودعه بين دفتيه[1]، ولم يَصِر إلى انتقاء ما أودعه فيه إلا بعد جهد جهيد في الجمع التلخيص والتمحيص.

ومن سمات التعطير أيضاً التزام المؤلِّفِ المنهجَ العلمي في عرض المادة العلمية وترتيبها على وجه من الإيجاز غير المخل بالغرض، حيث يقول في مقدمة الكتاب مجلياً هذه السمة: "إن قصارى ما أذكره في حق هؤلاء هو ترجمتهم العلمية، فالولاية وتاريخها، فالوفاة وتاريخها، مع ذكر كل واحد فمن بعده من القضاة بحسب أزمان ولايتهم وتاريخها"، وذلك كله في بناء أدبي رفيع، وذوق عالٍ في انتقاء الألفاظ وبناء التراكيب البلاغية الرائعة، كما في قوله في ترجمة العربي القسمطيني[2] "كان رَحِمَهُ اللَّهُ ممن انقادت له العلوم، وتوقفت عليه الآراء والفهوم سيد علماء زمانه

---

(1) نعني المادة العلمية التي أودعها موسوعة الاغتباط في تاريخ الرباط وتراجم أعلامها.

(2) انظر ترجمته في الاغتباط تحت رقم (222).

وصدر أهل وقته وأوانه، أصيب في آخر عمره وهو بمكناسة بفالج كان لا يستطيع معه حركة أعضائه في تناول جميع أسبابه فصبر، وعد ذلك من جملة النعم وشكر إلى أن توفي رحمه الله"(1).

ويتسم "التعطير" أيضاً -كغيره من مؤلفات بوجندار- بالأمانة العلمية في النقل والاقتباس، فلا يحيد عنها ولا يعدل إلى غيرها، فلا نراه يغفل العزو إلى المصادر في "تعطيره" إلا في بعض النقول عن الغربيين، وربما كان ذلك أنفة وعصبية لثقافته الأصيلة وتراثه العريق.

فإن لم يقف على عِلم تطمئن ليقينيته النفس فيما ينقل توقف عن إثبات ما بَلَغَه، ولذلك يقول في مقدمته مشيراً إلى شرطه في الكتاب: "أطلعنا صهرنا العلامة أبو عبد الله محمد بن القاضي السيد علي دنية الرباطي على عدة رسوم قديمة بتسجيل بعض القضاة الرباطيين، لم نعرف أسماءهم لعدم الاهتداء لحل أشكالهم فلنقتصر في كتابتنا هذه على ذكر ما بلغه علمنا من قضاة القرن المذكور فما بعده"(2).

وختاماً نقول: إن بوجندار لا يعمد للنقول يمسخ منها وينسخ ليواري سوأة النقل المعيب، ولكنه يصوغها صياغة الكاتب المتقِن، ويثبت مصدر تلقِّيه لها قراءةً أو وجادةً أو سماعاً أو غير ذلك، وكأنه يفتح الطريق أمام من طلب التوسع بإرشاده إلى مظان مطلبه.

وقد نهجنا في تحقيق «التعطير» منهجنا المعتاد في تحقيق كتب التراجم؛ ومن أهم معالمه:

- أعدنا ضبط النص وتصحيحه معتمدين على طبعته القديمة مع تلافي أخطائها الكثيرة.

- أحلنا القارئ إلى مصادر ترجمة القضاة المذكورين في الكتاب ليرجع إليها من شاء التتبع أو التوسع، مركزين في الإحالات على كتاب الاغتباط للمؤلف رحمه الله.

- أدرجنا بجوار كل ترجمة سنة وفاة صاحبها ليسهل التعرف على المترجَمين؛ خاصة وأن بعضهم كان معاصراً للمصنف، ومتأخراً في الوفاة عنه رحمه الله.

- ترجمنا من تيسرت لنا ترجمته من الأعلام المذكورين عَرَضاً في الكتاب، وعرّفنا بالكتب والمصنفات المذكورة في ثنايا التراجم تتميماً للفائدة.

- ذيّلنا الكتاب بعدد من التراجم رأينا في إضافتها إثراءً لموضوعه، ولم نستثن من الذكر من تأخرت وفاتهم عن وفاة المؤلف، ولعلنا في ذلك لم نخرج عن شرطه الزمني الذي استوعب من عاصره ومن تأخرت وفاته عنه رحمه الله.

---

(1) انظر النص المحقق، ص: 279.

(2) انظر النص المحقق، ص: 280.

وإننا إذ نعيد الكتاب بضبطه وطبعته الجديدين، لنسأل الله تعالى أن يتقبله بقبول حسن، وأن ينفع قارئه، ويجزل ثواب من صنفه وطبعه ونشره، أو ساهم في شيء من ذلك فبذل فيه وُسعه، والله الموفق.

وكتب

أبو الهيثم أحمد بن عبد الكريم نجيب

الرباط، في الخامس عشر من رمضان سنة 1429 للهجرة،

الموافق للخامس عشر من أيلول (سبتمبر) سنة 2008 للميلاد.



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

فاتحة

بما أن افتتاح الكلام هو من المواطن التي ينبغي الاحتفال والاحتفاء بها، فخير ما أجعله فاتحة كلامي هذا هو حمد الله تعالى والثناء على سيدنا محمد وآله وصحبه، ثم أقول: قد وقع سؤال من طرف الحكومة البلدية، والمراقبة المدنية عن تاريخ القضاء بالرباط وقضاته الماضين مع ذكر تاريخ ولاية كلٍ ووفاته إلى هذا الحين، فحبب إلى أن أجيب سؤالهم بهذه الكتابة التي لم أقصد بها إلا خدمة وطني العزيز المقدس ومنصبه القضائي الأقدس، وذلك تحت هذا العنوان: **(تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط)**.

ولقلمي عذر فيما سلكه من مسلك الإيجاز والاختصار دون الإطناب والإكثار؛ إذ ليس عليه إلا أن ينجز لا أن يعجز. على أنه ما سلم مكثار ولا أقيل عثار، وخير الكلام ما قل ودل، وقد يستغنى عن الوابل بالطلّ والله أرجو في إتمام العمل، وتحقيق الأمل. آمين بالأمين.



تاريخ القضاء بالرباط

غير خاف على من له إلمام بتاريخ المغرب أن الرباط مدينة عمارتها حادثة العهد[1]، ولم يكن بها أول بنائها إلا بعض الجنود والجيوش رابطة فيها للسلطان المنصور[2] بانيها مع البعض من أهل "شالة" انتقلوا إليها لجدتها، ولم يتسع نطاق عمرانها إلا بعد استيطان جالية الأندلس بها حين نفتهم دولة إسبانيا من الجزيرة الخضراء في أوائل القرن الحادي عشر، فتفرقوا شذر مذر في بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، ووصلت منهم طوائف إلى الرباط فحلوا به وحصنوه وحسنوه بما بنوا فيه من البناءات الرفيعة، والقصور البديعة وغيرها من الحمامات والديار والمنازل والمنازه، والكل على الطرز الأندلسي فتمت بذلك عمارته، وزهت حضارته، وراجت تجارته، وراقت نضارته وازداد ذلك لما أخنى الدهر الخئون بشالة، تلك المدينة المقدسة، ولعبت بها أيدي الأيام حتى استحالت سعودها نحوساً، وآلت للخراب فانتقلت تلك البقية الباقية من أهلها إلى الرباط، وانتقلت إليه سائر الصنائع والحرف والمعارف التي كانت بشالة بانتقال أهلها فأصبحت عند ذلك مدينة الرباط راقية في أوج العمران والرفاهية، تجر ذيول التقدم على كثير من المدن المغربية سيما بعد ما أخذ أهل الفضل والعلم والأدب ينسلون إليها من كل حدب؛ فاستوطنها كثير منهم، وبهم راجت بضاعة العلم بالرباط ونفقت أسواقه، وعمرت مجالسه.

ولم تمض مدة يسيرة حتى نبغ من الوطنيين أجلاء ملكوا زمام الكتابة والتأليف، والتدريس والوعظ، والخطابة والفتيا والقضاء، وسائر الرياسات الدينية، ولم يزل كل ذلك إلى هذا العهد في نمو وازدياد يفوق الحدَّ، ولله الحمد. أما في غير هذا التاريخ، أعني قبل الألف بكثير، وبعده بيسير، فالأمر كان بضد ذلك كله بين جهل سائد، وعلم كاسد، لا عالم ينتفع بعلمه، ولا مؤلف يهتدي بفهمه، إلا أفراداً قليلين لا يزيدون على حركات العوامل، وإن زادوا ما جاوزوا عدد الأنامل، ولا غرابة فتلك طبيعة العمران وحال البداية في الأوائل، فكان الرباط في هذا الوقت عالة على غيره من المدن المغربية، في كثير من المناصب والخطط الدينية وبالأخص في الأحكام القضائية، بل هكذا كانت حالة جارتنا "سلا" لقلة العلم بها إذ ذاك، وعدم من يستقل فيها بهذه الرياسة العظمى، فكان القاضي بها غالباً لا يكون إلا أجنبياً ويظهر أن قضاء الرباط في هذا

---

(1) بنيت الرباط سنة 592 هـ انظر: الأنيس المطرب، لابن أبي زرع، ص: 300.

(2) هو: أمير المؤمنين، يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي بويع سنة 580هـ سلطان الدولة الموحدية، حارب الإسبان وانتصر عليهم في عدد من المواقع، وبنى رباط الفتح، توفي سنة 595 هـ. انظر ترجمته في: البيان المغرب، لابن عذاري: 4/ 180، والأنيس المطرب، لابن أبي زرع، ص: 284، ووفيات الأعيان، لابن خلكان: 2/ 325.

الحين إنما كان يضاف لمن يتولى قضاءها لما حفظه لنا التاريخ من كون "الرباط" و"سلا" في ذلك الوقت، إنما كانا معدودين قطعة واحدة يعم هذه ما يعم تلك، وربما أطلق اسم واحد عليهما معاً، وانظر إلى قول ابن الخطيب في وصف سلا من مقاماته:

"وشقها الوادي"[1] مع أن الوادي لم يشق "سلا" ولا شق "الرباط" إنما هو بين المدينتين، هذا هو تاريخ القضاء القديم بالرباط، وهكذا كانت الحال فيه إذ ذاك على ما يظهر، وبه تعلم السبب في عدم حفظنا من تاريخ القضاة القدماء بالرباط إلا ما سنذكره من ترجمة القاضي ابن حوط الله الأنصاري، والقاضي أبي العباس السجلماسي، ثم قضاة القرن الثاني عشر فما بعده، وقفنا على ترجمتهم بعد البحث والتنقيب والتنقير، ولا ننكر أن هناك قضاة كثيرين كانوا في أثناء هذا التاريخ وقبله بيسير أهملنا ذكرهم، لكن لا قصوراً ولا تقصيراً، وإنما لكون التاريخ لم يحفظ لنا تراجمهم، ولا خلد للآتي أثرهم، بل أطلعنا صهرنا العلامة أبو عبد الله محمد بن القاضي السيد علي دنية الرباطي[2] على عدة رسوم قديمة بتسجيل بعض القضاة الرباطيين، لم نعرف أسماءهم لعدم الاهتداء لحل أشكالهم فلنقتصر في كتابتنا هذه على ذكر ما بلغه علمنا من قضاة القرن المذكور فما بعده، والعلم لله وحده.

تراجم قضاة الرباط

قد أشرت في الطالعة إلى أني سالك في هذه الكتابة مسلك الإيجاز لا الإطناب، وهنا أقول أن قصارى ما أذكره في حق هؤلاء هو ترجمتهم العلمية، فالولاية وتاريخها فالوفاة وتاريخها مع ذكر كل واحد فمن بعده من القضاة بحسب أزمان ولايتهم وتاريخها، وقبل الخوض في ترجمتهم أصرح بأني أذكر من القضاة كل من علمت بولايته على الرباط سواء كان رباطي الدار والأصل أو لا، وإنما اشترط العلم بولايته على الرباط على سبيل التحقيق، ومن ثم لم أذكر

---

(1) قال لسان الدين ابن الخطيب عن سلا: " العقيلة المفضلة، والبطيحة المخضلة، والقاعدة المؤصلة، والسدرة المفصلة، ذات الوَسامة والنضارة، والجامعة بين البداوة والحضارة، معدن القطن والكتان، والمدرسة والمارستان، والزاوية كأنها البستان، والوادي المتعدد الأجفان، والقطر الآمن عند الرجفان، والعصير العظيم الشأن، والأسواق الممتازة حتى برقيق الحبشان. اكتنفها المسرح، والخصب الذي لا يبرح، والبحر الذي يأسو ويجرح، وشقها الوادي يتمم محاسنها ويشرح، وقابلها الرباط، الذي ظهر به - من المنصور - الاغتباط، حيث القصبة والساباط" انظر: ذكر المعاهد والديار، للسان الدين ابن الخطيب، ص: 74.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن علي بن أحمد دنية الرباطي، الأندلسي الأصل، له رحلة وكتاب في ترجمة أعلام الرباط سماه "مجالس الانبساط بتراجم أعلام الرباط" أو "الإسعاد والنجح الكفيل بذكر تراجم سادات رباط الفتح"، توفي سنة 1358هـ. انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 484، والأعلام، للزركلي: 6/ 304.

القاضي أبا المكارم " أحمد بن عيسى آدم الرباطي[1] والقاضي أبا العباس أحمد بن أبي الحسن المراكشي[2]، ثم الرباطي، والقاضي أبو محمد عبد الله الدرعي الرباطي[3]، والقاضي أبا عبد الله محمد الطاهر بن الفقيه الحارثي العزوزي، المعروف، بالوراوي[4]، وذلك لعدم تحققي بولايتهم على الرباط، وإن قيل بذلك وغاية ما وقفت عليه تحليتهم بالقاضي كما في نشر المثاني[5] بالنسبة للأول[6]، وكتاب "الاستقصا"[7] بالنسبة للثاني[8] و"فهرسة الحفيد

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (2)، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 100، والتقاط الدرر، للقادري: 2/ 227، ونشر المثاني، للقادري: 4/ 1669، والمنح البادية في الأسانيد العالية، لأبي عبد الله، محمد الصغير الفاسي: 1/ 160، واليواقيت الثمينة، لأبي عبد الله، محمد بن البشير بن ظافر: 1/ 35، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 6/ 91.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (7)، وقال فيه: يقال تولى قضاء الرباط في دولة السلطان المقدس مولاي إسماعيل ولما لم يتحقق عندي هذا ضربت صفحاً عن ترجمته في كتابنا "تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط" والإعلام، للسملالي: 2/ 352، والاستقصا، للناصري: 3/ 113.

(3) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (194).

(4) انظر ترجمته في: البدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري، لوحة: 19/ أ، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 131، ومجالس الانبساط، لدنية: ص: 116، والاغتباط، ص: 314، وقد ذكر أثناء ترجمته أنه لم يقف على ما يشهد بتوليه قضاء الرباط معقباً على ما ذكر في الإتحاف الوجيز للدكالي وما نشر في جريدة السعادة عن العائلة الأوراوية قال: ولم أقف على ما يشهد له، وإنما وقفت على ما يقضي بخلافه. نعم في الفهرسة المذكورة تحليته بالقاضي فلعله ولي قضاء غير هذا الثغر، ولذلك لم أترجمه في كتابي" تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط "، وما ذكره صديقنا أبو عبد الله الأوراوي فيما كتبه في عائلته العزوزية من أن المترجم ولي قضاء الرباط سنة 1118 هـ لا أصل له سوى ما في كتاب الإتحاف المتقدم وقد علمت ما فيه؛ أما في التاريخ المذكور فالذي كان متولياً قضاء الرباط فيه هو القاضي أبو عبد الله مرينو حسبما في كثير من الرسوم يوجد فيها خطابه والتسجيل عليه والله أعلم ".اهـ.

(5) هو كتاب: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني أو "الأزهار النادية في أخبار أهل المائة الحادية عشر والثانية وما إليهم من الشيم العالية"، لأبي عبد الله، محمد بن الطيب القادري، الحسني المتوفى سنة 1187 هـ، عرفت للكتاب نسختان صغرى طبعت في سفرين على الحجر بفاس سنة 1310 هـ، وترجمت إلى الفرنسية وطبعت بباريس سنة 1331هـ - وأما الكبرى فيها زيادات مهمة وصل فيها إلى سنة 1186 ست وثمانين ومائة وألف موافق سنة قبل وفاته بسنة، وجعل في آخرها خاتمة للأعلام الذين لم يقف على تعيين سنة وفاتهم وقد نشرته الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر كاملاً سنة 1986 م بالرباط بتحقيق الأستاذين محمد حجي وأحمد التوفيق.

(6) انظر: نشر المثاني، للقادري: 4/ 1669.

(7) هو كتاب "الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى"، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، السلاوي، المتوفى سنة 1315هـ تناول فيه تاريخ المغرب من لدن الفتح الإسلامي حتى دولة السلطان عبد العزيز، ترجمت منه بعض أجزاء للفرنسية، وقد طبع في حياته بمصر سنة 1312هـ في أربعة أجزاء بالمطبعة البهية المصرية، ثم أعيد طبعه بتحقيق نجليه جعفر ومحمد بدار الكتاب بالدار البيضاء 1954م في تسعة أجزاء، انظر: مقدمة الكتاب بتحقيق ولديه المذكورين: 1/ 5 وما بعدها، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 130، والأعلام للزركلي: 1/ 120.

(8) نص عبارة الاستقصا "في سنة تسع وعشرين ومائة وألف توفي الفقيه العالم القاضي أبو العباس أحمد ابن العلامة أبي الحسن علي المراكشي، وصُلِّيَ عليه من الغد، ودفن بالموضع المسمى بالعلو من رباط الفتح". انظر: الاستقصا، للناصري: 3/ 113.

العكاري"[1] بالنسبة للثالث والرابع، وهل كانت ولايتهم بالرباط أو بغيره، لا أعلم والله أعلم.

1- القاضي أبو محمد ابن حوط الله الانصاري (توفي سنة 612 هـ)[2]

ترجمته: هو القاضي أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داوود بن عمر بن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلسي الفقيه الجليل الأصولي النحوي الكاتب الأديب الشاعر المتفنن الورع الدين الحافظ الثبت الفاضل سمع على ابن بشكوال، وقرأ أكثر من ستين تأليفاً من كبار وصغار، وأكثر عن ابن الفخار والسهيلي وغيرهما ودرس كتاب سيبويه ومستصفى أبى حامد الغزالي، وكان يميل إلى الاجتهاد في نظره ويغلب طريقة الظاهرية، وولي قضاء شبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة، ولما بُنِيَ الجامع الأعظم " بسلا " وتمت أبنية الرباط استدعاه السلطان المنصور الموحدي، وولاه على العدوتين معًا، واستمر قاضيًا عليهما نحو الثلاث سنين حتى توفي المنصور، وجاء بعده ولده الناصر فنقله إلى قضاء ميورقه[3] كما أشار له[4] في "الإتحاف الوجيز"[5]، وأصله من الديباج " لابن فرحون والأصل الأصيل في ترجمته لابن الأبار[6] في التكملة فلترجع إليها.

---

(1) هو كتاب: البدور الضاوية في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، المعروف بـ "فهرسة العكاري"، لأبي الحسن العكاري الحفيد، توجد منه نسخة مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (88 د).

(2) انظر ترجمته في: التكملة، لابن الأبار: 2/ 883، والديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 231، والإعلام، للسملالي: 2/ 207، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 61.

(3) هي جزيرة أندلسية فتحها المسلمون سنة 290 هـ إلى أن تغلب عليها العدو البرشلوني وخربها سنة 508 هـ، ثم اختلفت عليها ولاة ابن تاشفين، ثم بني غانية، وكان خروجهم منها في سنة 580 هـ ثم تعاقب عليها ولاة الملك الناصر إلى أن كانت المصيبة العظمى بهزيمة وقعة العقاب واستولى الشرك على الجزيرة في سنة 627 هـ. انظر: صفة جزيرة الأندلس، للحميري، ص: 121.

(4) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي، الدكالي السلاوي أديب مؤرخ التحق بعدد من الوظائف الإدارية، توفي سنة 1364هـ بسلا، له مصنفات ومؤلفات تاريخية بين المنثور والمنظوم من أشهرها كتابه: "الإتحاف الوجيز في أخبار العدوتين المُهدَى للمولى عبد العزيز". انظر: مقدمة الإتحاف الوجيز، بتحقيق مصطفى بوشعراء من منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، ودليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 27.

(5) انظر الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 61.

(6) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، الأندلسي، البلنسي، الكاتب سمع من أبيه، والقاضي ابن نوح الغافقي، وأبي الخطاب بن واجب، وأبي داود سليمان بن حوط الله، وارتحل في مدائن الأندلس. انظر ترجمته في: المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد: 2/ 309، والصلة، لابن عبد الملك المراكشي: 6/ 253، وعنوان الدراية للغبريني، ص: 309.

ولايته: علمت أن ولايته كانت باستدعاء من السلطان المنصور، وإنها دامت حتى وفاته، وما ذاك إلا آخر القرن السادس إثر بناء الرباط وهذا أول قاض عرفت ولايته على الرباط.

وفاته: صرح في " الديباج المذهب" بأن وفاته كانت سنة اثنتي عشرة وستمائة[1].

2- القاضي أبو العباس السجلماسي (توفي سنة 1122هـ)[2]

ترجمته: هو القاضي أبو العباس أحمد بن ناجي السجلماسي، ثم المكناسي ترجمه في "الإتحاف الوجيز"، وحلاه بالفقيه العلامة المعظم للعلم وأهله، المتداول لهذه الخُطة القضائية في كثير من مدن المغرب كالرباط وسلا وفاس ومكناس "إلخ[3].

وبمثله ذكره أبو العباس أحمد بن عاشر الحافي السلاوي في فهرسة شيوخه[4]، ووصفه بنفوذ الكلمة عند الحاكم والمحكوم، والأمير والمأمور، وعدَّهُ من جملة شيوخه الذين حضر مجالسهم العلمية، وأخذ عنهم خصوصا الفقه والحديث والتفسير.

ولايته: كانت ولايته بالعدوتين سلا والرباط ونواحيهما أواخر القرن الحادي عشر، ومكث في ولايته عليهما نحو العشرين سنة، ثم انتقل إلى قضاء فاس، ثم قضاء مكناسة الزيتون بعده.

وفاته: كانت وفاته بمكناس عام اثنين وعشرين ومائة وألف، ودفن بروضة السيدة عائشة العدوية هناك.

3- القاضي أبو عبد الله مرينو (كان حيًا سنة 1143هـ)[5]

ترجمته: هو القاضي أبو عبد الله الحاج محمد بن محمد بن أحمد مرينو، وبه يعرف وأصله من قرطبة بالأندلس. كان رحمه الله من أكابر العلماء والخطباء، ومن مفاخر الأدباء والشعراء، أخذ

---

(1) انظر: الديباج المذهب، لابن فرحون، ص: 231.

(2) انظر: ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (3)، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 137، وإتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 337.

(3) انظر: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 137.

(4) قال أبو العباس الحافي، في الفهرسة المذكورة: "شيخنا الفقيه العلامة سيدي أحمد بن محمد بن ناجي السجلماسي، تولى القضاء بسلا والرباط، ونواحيهما، وبقي متولياً بهما نحو العشرين سنة، ثم تولى القضاء بفاس، ثم بمكناسة الزيتون، حضرنا عليه في تفسير القرآن العظيم، وفي رسالة ابن أبي زيد، وذلك كله بمحروسة سلا..." فهرسة ابن عاشر الحافي مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1421ك).

(5) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (52)، والبدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري، للعكاري الحفيد: لوحة رقم: 10/أ وفيه أن اسمه: محمد بن محمد مرين، والاتحاف الوجيز، للدكالي: ص 134، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 94.

عن الشيخ سيدي أحمد بن ناصر الدرعي، وساجل الولي الصالح السيد المعطي بن الصالح، وقرأ على مشايخ فاس كأبي عبد الله المسناوي وعلى شيخ الرباط في وقته سيدي علي العكاري كما في فهرسة حفيده أبي الحسن العكاري، وقد وصفه بالسماح والصدق والتبذل، والإعتناء بأهل العلم، وبالفضل والتأدب في أضرحة الصالحين، والتظاهر بالخشوع والخضوع، ولين الجانب، وذكر أن له قصائد ومدائح نبوية وعدة موشحات وتلاحين وأزجال في أغراض شتى من الأغراض الأدبية. اهـ[1].

وكل هذا وقفت عليه بخط قديم من جملة ديوان خاص جمعه بعض أولاده، وذيله بكثير من منثوره ورسائله، مع مكاتبات ومحاورات نثرية وشعرية جرت بين المترجم وعصريه الولي الصالح سيدي أحمد بن عبد القادر التستاوتي[2]، دفين مكناسة الزيتون، وهي وحدها تدل على جلالته وفضله؛ لما تضمنته من الإشارات والمغامز الصوفية، والحقائق والفهوم العرفانية الجارية على أسلوب كلام القوم وطريقتهم الربانية، ولولا ما اشترطناه من سلوك مسلك الإيجاز والاختصار، لجلبنا من ذلك ما تشنف به الأسماع ولكن الشرط أملك.

ولايته: كانت ولايته أوائل القرن الثاني ودامت حتى حدود العشرين منه.

وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته، وكان لازال حياً عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف، وهو عام رجوعه من الحرمين الشريفين.

4- القاضي أبو عبد الله البوعناني (توفي أواسط المائة الثانية بعد الألف)[3]

ترجمته: هو القاضي الشريف أبو عبد الله محمد الطالب بن العلامة القاضي السيد عبد الواحد[4] بن العلامة المحدث الشهير سيدي مَحَمَد (فتحاً) البوعناني الفاسي، ثم المكناسي من أولاد أبي عنان، البيت الشهير بالعلم والنسب، وهو من البيوتات التي تعرض لذكرها النسابة

---

(1) انظر: البدور الضاوية، المعروفة بفهرسة العكاري: لوحة رقم: 11/أ.

(2) هو: أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب التستوي، أو التستاوتي، أديب، صوفي، من تصانيفه: نظم رجال التشوف وشرحه، نظم رجال القشيرية وشرحه، وديوان شعر في ثلاثة أجزاء ضخام توفي رحمه الله سنة 1127هـ. انظر ترجمته في: إتحاف أعلام الناس، لابن زيدان: 1/ 329، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 1/ 279.

(3) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (151).

(4) هو: أبو محمد، عبد الواحد بن محمد بن محمد الشريف البوعناني، فقيه، خطيب، نسابة، أديب ولي الفتوى والقضاء بفاس، ورحل إلى الجزائر، توفي سنة 1106 هـ. انظر ترجمته في: اليواقيت الثمينة، للأزهري: 1/ 231، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 220.

سيدي إدريس الفضيلي في كتابه "الدرر البهية"[1]، قال: وتقدمت لهم صدر الدولة العلوية ولايات خصوصاً خطة القضاء، فقد تداولها عدد منهم وتصدروا للإفتاء والتدريس، فركبوا السنام العالي وطلعوا أقمارا في فلك المعالي، ولما ذكر أولاد سيدي عبد الواحد منهم ذكر المترجم، وأشار لتوليته قضاء مكناسة الزيتون، ويدل له ما وقفت عليه من تحليته بقاضي الحضرة الإمامية الهاشمية، ولم يعرج على خبر توليته بهذا الثغر، ولكني وقفت على كثير من خطاباته، والتسجيل عليه بالرباط مما دل على توليته الخطة ههنا أيضاً.

ولايته: كانت ولايته بالرباط بعد العشرين والمائة والألف، وانظر هل جاء بدل القاضي قبله أو كان بينهما الغير.

وفاته: كانت وفاته بثغر تطوان أواسط المائة الثانية بعد الألف تقريبًا.

5- القاضي مرينو الثاني[2]

ترجمته: هو القاضي " أبو عبد الله مَحَمَد (فتحاً) بن القاضي السابق محمد ضمًا بن مَحَمَد (فتحاً) بن أحمد مرينو الأندلسي الرباطي. كان رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الثغر من خاصة الفقهاء، وأخص الوجهاء مقتفيًا أثر والده في التحلي بحلية الفضلاء والنبلاء، أخذ عن ولي نعمته القاضي المذكور، وعن عمه عامل الرباط الأديب أحمد حجي مرينو[3]، وذكره جامع ديوان شعر والده محلى بأوصاف جليلة تسفر عن مكانة سامية في العلم والفضل، أما ترشيحه للمنصب القضائي، فقد ألم به مؤرخ الرباط أبو عبد الله الضعيف في تاريخه للدولة العلوية، فأخبر أن ترشيحه للقضاء كان بأمر عامة الرباطيين، وذلك في عشري ربيع الأول عام ستة وخمسين بعد المائة والألف[4]، ولما تعرض لذكر دولة مولاي المستضيء. قال ما معناه أنه: لما امتنع أهل الرباط من مبايعته عينوا السيد المكي بن الشاذلي الشرقاوي، واليًا عليهم وأسندوا إليه أمرهم فكان من جملة ما فعله أن أخر القاضي محمدًا مرينو وولى عليهم القاضي محمدًا كراشكوا الرباطي، وذلك بثالث رجب عام ستة وخمسين ومائة وألف.

---

(1) هو كتاب: الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية، لأبي العلاء، إدريس بن أحمد الفضيلي، الحسني، المولود بفاس وبها توفي سنة 1316 هـ، وقد جمع في هذا الكتاب أعيان البيوتات الشرفاء الفاسية. انظر: دليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 93.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (54)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 93.

(3) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (8)، و: البدور الضاوية، مخطوط فهرسة العكاري، للعكاري الحفيد، لوحة: 9/ ب، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 134، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 89.

(4) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 261.

ولايته: قد علمت تاريخ ولايته وتأخيره مما نقلناه عن الضعيف قريبًا.

وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث.

6- القاضي أبو عبد الله كراشكو (كان حياً 1163هـ)[1]

ترجمته: هو القاضي " أبو عبد الله محمد كراشكو " بتقديم الشين المعجمة على الكاف وربما قيل كراكشو بتقديم الكاف، وهو الجاري على الألسنة الآن واللفظ من الأوضاع الأندلسية، والبيت من البيوتات الرباطية التي كانت معروفة بالعلم والفضل، ولعل المترجم هو المذكور في فهرسة الحفيد العكاري من جملة الآخذين عن جده سيدي علي، وقد وصفه بالديانة وصفاء السريرة، والصداقة في الود، وحلاه بالفقيه العدل المسن المشار إليه في علم الميزان اهـ، وعليه يكون والد صاحب الترجمة هو سيدي أبو يعزى كراشكو الشهير بالكرامات والخوارق. كان له ﷺ موقع جليل في قلوب أهل بلده، والكل كان يلتمس بركته وفضله، وناهيك أن ممن كان يعتقده ويحدث بما يشاهده منه شيخ الرباط في وقته سيدي علي العكاري المذكور، فما ذكره الحفيد صاحب الفهرسة في حق المترجم هو من باب قولهم ومن يشابه به فما ظلم.

ولايته: قد علمت تاريخ ولايته مما نقلناه عن الضعيف سابقاً[2].

وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته، ولكنه كان لازال حيًا عام ثلاثة وستين ومائة وألف تاريخ إجازة، وقفت على شكل المترجم فيها عاطفاً بالمثلية على العلامة المفتي سيدي أحمد التلمساني فيما أجاز به بعض علماء سلا قدس الله روح الجميع.

7- القاضي أبو عيسى مرينو (توفي سنة 1188هـ)[3]

هو القاضي أبو عيسى السيد المهدي مرينو الأندلسي أصلا الرباطي داراً كان من العلماء العاملين، والفضلاء الكاملين، رحل إلى أبي الجعد وبه قرأ العلم، ومن أجل من أخذ عنهم هناك الولي الصالح السيد المعطي بن صالح، وهو المشير إليه بالرجوع لبلده عام 1156 هـ فصادف بها الثورة الشهيرة في التاريخ، وحصار مولاي المستضيء للرباط، فألقي القبض عليه، وامتحن بقيد من حديد إلى أن تحققت براءته بكونه كان غائباً عن البلد، سلمه الله تعالى ببركة

---

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (55)، والبدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري، لوحة: 18/أ، ومجالس الانبساط، لدنية، ص 105.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 261.

(3) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (175)، وتاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعيِّف: 1/ 262، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 37.

شيخه المذكور بعد ما كان السلطان المذكور يريد قتله بإغراء عامل سلا عبد الحق فنيش سامحه الله، ولما استخبره السلطان عن وجهته أجاب بأنه كان منقطعا بزاوية أبي الجعد في طلب العلم الشريف، فقال له: أقرأ باب فرض الحج.. إلى آخره؛ فقرأ وأحسن وكان ذلك سبب إطلاق سراحه وإشراق مصباحه(1).

ولايته: وقفت على خطابه ببعض الرسوم بتاريخ تسعة وستين ومائة وألف، واستمرت ولايته حتى عام خمسة وثمانين ومائة وألف.

وفاته: بقي بعد إعفائه من الخطة نحو الثلاث سنين ثم توفي عام ثمانية وثمانين.

8- القاضي أبو علي الغربي(2)

ترجمته: هو القاضي أبو علي السيد الحسن ابن العلامة الإمام السيد أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي(3) نسبة إلى غربية دكالة(4)، فهو الدكاليُّ أصلاً الرباطي منشئاً وداراً، وجدُّه عبد الله المذكور هو أول من جاء إلى الرباط، فهو جد عائلة أولاد الغربي بهذا الثغر، وهي من البيوتات الشهيرة بالفضل والعلم والعرفان. وناهيك ببيت آهل بالعلم مدة تنيف عن القرنين حتى الآن. ولو لم يكن من مفاخر هذا البيت سوى والد صاحب الترجمة أبي العباس الغربي الحافظ الراوية

---

(1) قال الضعيف في تاريخه 1/ 262: "و لما قدم للرباط وجده محصوراً فأتوا به لمولانا المستضيء فرمى عليه كبلاً حامياً من أثر النار حديداً فأثر في رجله اليمنى، ولا زال أثره برجله إلى أن مات رحمه الله سنة ثمان وثمانين ومائة وألف في اليوم العاشر من رمضان، وبعد ذلك أراد قتله فأتوا به إليه فاعتذر له بأنه كان مسافراً للقراءة، وأن من طلبة العلم من أخبره بحفظه لمختصر خليل؛ فقال مولانا المستضيء: " اقرأ قوله باب فرض الحج ". فقال: " باب فرض الحج وسنته العمرة مرة وفي فوريته وتأخيره لخوف الفوات خلاف ". فأمر بإطلاقه وتسريحه، ووجهه لبلاده وذلك من بركة الشيخ المعطي بن صالح نفع الله به؛ لأنه هو الذي أمره بالقدوم على بلاده رباط الفتح أمنه الله".

(2) انظر ترجمته في الاغتباط: تحت رقم (143) وتاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 324، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 113.

(3) هو: أبو العباس، أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي، فقيه محدث رحالة من أعلام الرباط المشار إليهم، لازم العكاري وأخذ عن ابن ناصر الدرعي وابن عبد السلام البناني، توفي سنة 1178هـ. انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (11)، والبدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري، لوحة: 16/أ، والإعلام، للسملالي: 2/ 385، والروضة المقصودة، لسليمان الحوات: 1/ 302، والفهرسة الصغرى، للتاودي بن سودة، ص: 111، وجواهر الكمال، للكانوني، ص: 33، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 123، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 119، والأعلام، للزركلي: 1/ 190، وتاريخ تطوان: 3/ 153، ثمرة أنسي، للحوات، ص: 67، وتاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف، ص: 296، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 6/ 363.

(4) الغربية مدينة بدكالة وهي مدينة مشترابة، وقد أضافها المصنف إلى دكالة للتفريق بينها وبين قبيلة الغربية المعروفة في ناحية الغرب ومن مدنها أصيلا وحجرة الزرقا. انظر: معلمة المدن والقبائل المغربية، لعبد العزيز بن عبد الله، ص: 322.

المسند الحجة المحدث الرحالة الشهير، لكان كافياً، وهو عمدة المترجم لازمه في القراءة، والأخذ رواية ودراية في كثير من العلوم العقلية والنقلية من عربية ومنطق وبيان وأصول وفقه وتفسير وحديث، وقرأ عليه الصحيحين، وكتاب الموطأ أربع مرات، قراءة تحقيق، وكتاب الشفا مرات عديدة، كما حكى ذلك كله في إجازة عامة أجازه بها، وحلاه فيها بولدنا الفقيه النجيب الدراك الأريب اللوذعي، الأديب السيد الحسن..إلخ.

ولما رحل المترجم للمشرق سنة ستة وسبعين ومائة وألف أخذ عن شيوخ مصر، والحرمين الشريفين، واستجاز أبا الحسن السندي المدني، وأبا عبد الله محمد الحفناوي وأبا عبد الله بن أبي بكر الأطرابلسي الملقب بالسوداني وغيرهم، وكلهم أجازوه إجازات حفيلة في سائر مروياتهم من معقول، ومنقول خصوصاً الجامعين[1] وباقي الكتب الست الحديثية، وكتب الأثر والأسانيد، ووصفوه بأوصاف سامية أطالوا وأطابوا فيها، مما دل على شفوف قدره، وشرف مكانته في العلم والأدب والفضل.

ولايته: تولى القضاء بالرباط بعد سابقه، ولم تطل مدة ولايته، وإنما دامت بضعة أشهر حتى رجب عام ستة وثمانين.

وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث.

9- القاضي الفلالي[2]

ترجمته: هو القاضي أبو عبد الله السيد محمد بن سعيد ابن اليسع الفلالي الرباطي، كان رحمه الله نقادة في الفقه، ومن قادة الفقهاء في وقته لازم الإفتاء بالرباط نحو العشرين سنة، وكانت فتواه مطلوبة، ولها نفوذ تام بالعدوتين وغيرهما، أخبرني صاحبنا أبو عبد الله الدكالي أنه عثر بسلا على عدة فتاوى من فتاويه، كلها في غاية التحرير والتحبير، ومما قيدته عنه منقولا من كناشة بعض المؤرخين الرباطيين، أن القاضي الفلالي المترجم والقاضي عبد الله البناني والقاضي محمد الغربي الآتي ذكرهما، كانوا جميعًا يتناوبون قضاء الرباط واحدا بعد واحد لكل، واحد منهم ثلاثة أشهر ثم يتنازل للآخر، وهلم جراً ورأيت من كلام الضعيف الرباطي، ما يفيد أن صاحب الترجمة في بعض ولاياته على الرباط، إنما بقي نحو الشهرين فقط، وذلك بعد إعفاء القاضي الغربي الآتي، ولي أواخر جمادى الثانية وعزل أوائل رمضان من عام أربعة عشر ومائتين وألف[3].

---

(1) يريد الجامعين الصغير والكبير، لجلال الدين السيوطي.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (66)، وقد ورد ذكره في تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 324.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 1/ 324.

ولايته: كانت ولايته مقرونة بعزل القاضي قبله وقد علمت تاريخ ذلك.

وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث.

10- القاضي أبو حفص بن العروصي (توفي سنة 1215هـ)[1]

ترجمته: هو القاضي أبو حفص عمر بن الحاج محمد بن العروصي الهلالي المصباحي الدكالي، ثم الرباطي.

ذكره سيدي سليمان الحوات في فهرسته التي ألفها في التعريف بشيخه الشيخ بناني محشي الزرقاني[2]، وعدَّهُ من تلامذة الشيخ المذكور، ووقفت بخط حفيده العلامة الصوفي الحاج عمر عاشور على ما كتبه في التعريف به، وملخص ذلك أن المترجم أصله من دكالة انتقل منها بعد وفاة والديه إلى الرباط، فاستوطنها وتزوج بها، قال: وكان عالما متفننا مفتيا فرد عصره ووحيد دهره انتهت إليه الرياسة في وقته، قرأ على شيوخ فاس مدة عشرة سنين كاملة، وارتحل إلى طنجة، فأخذ عن شيوخها ثم على مشايخ الرباط كالعلامة الغربي ومعاصريه، وتصدر للتدريس، فكان من جملة تلامذته، القاضي بسير والقاضي صالح الحكموي، والقاضي عاشور، وأخيه أبي العباس، والفقيه الرفاعي، والمفتي المكي ابن عبد الله بناني، وغيرهم من علماء الرباط إذ ذاك.

ولايته: الظن أن ولايته كانت أواخر القرن الثاني بعد الألف، وعبَّرت بالظن، لأنه لم يتفق لي العثور عن تاريخ ولايته بعد البحث لا في خطاب أو تسجيل، وإنما علمت ولايته بالرباط مما كتبه حفيده أبو حفص عاشور في ترجمته.

وفاته: كانت وفاته في رجب الفرد عام خمسة عشر ومائتين وألف، ودفن بظاهر العلويين قصبة الرشيد المعروفة بالقشلة، وبين ضريح سيدي إدريس رضي الله عنه.

11- القاضي أبو عبد الله القسمطيني (توفي سنة 1208هـ)[3]

ترجمته: هو القاضي أبو عبد الله محمد العربي بن علي القسمطيني قاضي الرباط، وخطيب مسجدها الأعظم العلامة المدرس المفتي الشريف الحسني، وقفت له على خطابات كثيرة بأعمال كثير من الرسوم، والظهائر السلطانية، ورأيت في حقه في تاريخ بعض أهل القرن الثالث عشر

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط، تحت رقم (246)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 134، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 96.

(2) محشي الزرقاني هو: أبو عبد الله، محمد بن الحسن بن مسعود، البناني، الفقيه، المتوفى سنة 1194 هـ وحاشيته المشار إليها هي كتاب "الفتح الرباني فيما ذهل عنه الزرقاني" المعروف بحاشية بناني على شرح الزرقاني على مختصر خليل، والحاشية مطبوعة بهامش الشرح، وتكثر بالمغرب نسخه الخطية وقلما تخلو منه خزانة، ولدينا منه العديد من النسخ الخطية الأصلية في مكتبتنا الخاصة (مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث).

(3) انظر ترجمته في الاغتباط: تحت رقم (222)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 128، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 76.

للفقيه العلامة الشريف المحدث الشهير سيدي جعفر الكتاني ما نصه، ومنهم العلامة المحصل الدراكة المجرح المعدل المشارك النبيل، أتم مشاركة وتحصيل، المتولي لخطة القضاء في كثير من حواضر المغرب فاس، ومكناسة وما دونهما أبو عبد الله سيدي العربي بن علي القسمطيني الشريف كان رحمه الله ممن انقادت له العلوم، وتوقفت عليه الآراء والفهوم سيد علماء زمانه وصدر أهل وقته وأوانه، أصيب في آخر عمره وهو بمكناسة بفالج كان لا يستطيع معه حركة أعضائه في تناول جميع أسبابه فصبر، وعد ذلك من جملة النعم وشكر إلى أن توفي رحمه الله تعالى. انتهى بلفظه.

ولايته: كانت ولايته بالرباط أول القرن الثالث عشر، كما وقفت على ذلك ببعض الرسوم بتاريخ أواسط ذي القعدة عام واحد ومائتين وألف.

وفاته: كانت وفاته مما أصيب به من داء الفالج في جمادى الأولى عام ثمانية ومائتين وألف.

12 - القاضي أبو الحجاج البوعناني (توفي سنة 1206 هـ)(1)

ترجمته: هو القاضي أبو الحجاج يوسف بن القاضي السابق أبي عبد الله محمد الطالب البوعناني الفقيه الأجل العالم الأفضل سليل الأيمة الأعلام والقضاة الكرام ولى قضاء فاس، وهو ابن عشرين سنة، وذلك عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف على يد السلطان مولاي عبد الله، وفوض له في أمر القضاة والأيمة والخطباء والنظار والمحتسبين، ثم عزله وولّى مكانه القاضي بوخريص عام تسعة وخمسين ومائة وألف، ثم رد لقضاء فاس بعد نيف وثلاثين ثم نقل إلى قضاء مكناس، فلم يلبث إلا شهورًا وعزل، ثم ولِيَ قضاء فاس الجديد، ثم قضاء الرباط مشتركًا فيه مع القاضي قبله سيدي العربي القسمطيني، كما أفادنيه شيخنا المؤرخ المحدث الشريف سيدي عبد الحي الكتاني ومن خطه نقلت.

ولايته: قد علمت أن ولايته بالرباط لم تكن مستقلة، وإنما كانت اشتراكية مع القاضي قبله فتاريخ ولاية هذا هو تاريخ ولاية ذاك.

وفاته: كانت وفاته في 22 ربيع الثاني عام ستة ومائتين وألف، ودفن بروضة أولاد بوعنان داخل باب الجيسة(2) من فاس.

---

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، برقم (268)، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 221، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 72.

(2) باب الجيسة أو باب عجيسة نسبة الى الأمير عجيسة بن دوناس المغراوى، أحد ملوك زناته فى القرن الخامس الهجري، ثم أسقط الناس حرف العين من عجيسة وجعلوا الألف واللام عوضاً عنها؛ فقالوا: باب الجيسة كما هو معروف. انظر: روض القرطاس، لابن أبي زرع، ص: 42.

13- القاضي أبو زيد السرايري (توفي سنة 1207هـ)[1]

ترجمته: هو القاضي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد علي السرايري الرباطي المنشأ، والدار الفقيه العلامة المحقق المفتي النوازلي أخذ عن شيوخ الرباط في وقته، ورحل إلى فاس فتفقه عن الشيخ بناني، والعلامة أبي حفص الفاسي والشيخ التاودي، وغيرهم. وذكره سيدي سليمان الحوات من جملة تلامذة الشيخ بناني، وحلاه بقوله: الشهم العلامة الثبت الفهامة الماهر المناظر الزكي أبو زيد إلخ تصدر للفتوى، فكان قلمه فيما لا يتجاوز الصواب رأيت جملة وافرة من فتاويه كلها مسفرة عن باع طويل، وعلم مديد، وغاية سامية وشأو بعيد، وكان رحمه الله ممن انتهت إليه الرياسة، وتحمل أعباء الإرشاد والإفتاء والدراسة، وكان فصيح اللسان بديع التآليف منها شرح على الزقاقية جمع فيه بين شرح شيخه أبي حفص الفاسي، وشرح ميارة والتزم أن ينبه فيه على ما يظهر له من المخالفات والإشكالات، وعلى ما هو الصواب منهما عند مخالفتهما مع ما يراه مناسباً للموضوع من الزيادات والإفادات.

ولايته: كانت ولايته أوائل المائة الثالثة بعد الألف، كما يدل عليه رسم كتب في رمضان المعظم عام ثلاثة ومائتين وألف.

وفاته: كانت وفاته رحمه الله سنة سبع بالموحدة ثانيًا ومائتين وألف، وقبره معروف عليه بناء مقوس مستطيل كالحائط، وذلك بظاهر العلو بجوار ضريح السيدة للا عائشة اليابورية.

14- القاضي أبو عبد الله التلمساني (توفي سنة 1220هـ)[2]

ترجمته: هو القاضي أبو عبد الله محمد بن العلامة الإمام سيدي أحمد بن القاضي التلمساني الرباطي، نشأ بالرباط راتعا في مراتع العلم قائمًا بما أسند إليه من الرياسة الدينية من إمامة وخطابة وشهادة وإفتاء وقضاء، وقفت على عدة رسوم مكتوبة بقلمه، وعلى خطابات بالأعمال وبأعمال الأعمال مع البعض من فتاويه، والكل بإمضائه وشكله، وكان من أمثل العدول في نعته، وأفضل القضاة في وقته، وبيته بيت علم ودين وولاية وصلاح وناهيك بوالده العارف الإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي أبي العباس التلمساني صاحب الزاوية التلمسانية بالرباط.

ولايته: كانت ولايته بعد ولاية القاضي قبله، والظن إنهما كانتا في عام واحد كما يستفاد

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط، تحت رقم (184)، وإتحاف المطالع، لعبد السلام بن سودة: 1/ 74.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (67)، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 101 وقد ذكره بين وفيات العام 1220هـ.

ذلك من بعض الرسوم.

وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث.

15 - القاضي أبو محمد البناني (كان حياً سنة 1220هـ)(1)

ترجمته: هو القاضي أبو محمد عبد الله بن الفقيه أبي عبد الله محمد بن الفقيه السيد عبد السلام البناني الفاسي أصلا الرباطي منشئا ودارا الفقيه العلامة المفتي النوازلي أحد أفراد العائلة البنانية الشهيرة في سائر حواضر المغرب بالعلم والمجد خلفا عن سلف وجد المترجم هو أول من جاء إلى الرباط من هذه العائلة بعثه السلطان مولاي إسماعيل برسم الأقراء ونشر العلم بالرباط، كما في طبقات حفيده العارف بالله الشيخ فتح الله وبالجملة، فصاحب الترجمة ممن غذي بلبان أسلافه الكرام فارتدى بأردية العلم والفضل، وكان من قضاة العدل، وتصدر للشهادة والإفتاء في علم الأحكام؛ فكان من حملة الأقلام؛ بل كان الشاهد المبرز، والمفتي المتميز، والمدرس الأروع، والكاتب الأبرع، والخطيب الأبدع، ولم يقض رحمه الله من هذه الدار نحبه ووطره، حتى خلف ذرية صالحة اقتفت في الفضل مسلكه وأثره، ولا غرو في فضل ورثته الأحفاد عن الآباء والأجداد.

ولايته: يظهر من بعض الرسوم أن ولاية المترجم تقدمت على ولاية القاضيين السابقين، أو كانت بينهما، ثم ولي أخيراً بعدهما إلى أن أخر سنة تسع ومائتين وألف، كما في تاريخ الضعيف الرباطي، ونص كلامه: "وفي الثامن والعشرين من شعبان عام تسعة ومائتين وألف، عزل قاضي الرباط عبد الله البناني وولى محمد بن أحمد الغربي، قال: فدهش برگاش من عزل البناني وتولية الغربي". اهـ(2).

وفاته: لم أقف على تاريخ وفاته بعد البحث، ولكن اتصلت حياته إلى حدود العشرين من القرن الثالث [عشر] بعد الألف.

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (199)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 137، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 101، وذكره بين وفيات سنة 1220 هـ.

(2) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 642.

16- القاضي أبو عبد الله الغربي (توفي سنة 1218 هـ)[1]

ترجمته: هو القاضي أبو عبد الله محمد بن العلامة الإمام السيد أحمد بن عبد الله بن أحمد الغربي الدكالي ثم الرباطي، فهو أخو القاضي الحسن الغربي السابق، ذكره سيدي سليمان الحوات من جملة من أخذ عن الشيخ بناني، وحلاه بقوله العلامة: الحجة الدهقان الحافظ قاضي رباط الفتح أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام الراوية الصالح أحمد بن عبد الله الغربي الدكالي المحتد الرباطي المنشأ والمولد أيدني الله وإياه بالتقوى بصدق الوجهة في السر والنجوى، أهـ بلفظه. كان المترجم من جهابذة العلماء الحاملين راية التدريس والإفتاء، وقد علمت أنه ممن تداول بالرباط خطة القضاء، كما أنه في آخر عمره ولي على دكالة كان السلطان مولاي سليمان أمره بالذهاب مع رفيقه الفقيه المير السلاوي برسم أن يعملا عليها أربعة عمال الأرباع، وذلك أواخر ذي الحجة عام أربعة عشر ومائتين وألف، ثم ولاه عليها قاضيًا آخر السنة التي بعدها، وجلس للحكم بها أول عام ستة عشر ومائتين حسبما في تاريخ أبي عبد الله الضعيف، وكان في أول أمره من خواص العلماء الملازمين لمجلس السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذين، كانوا يقرؤون معه الحديث، ويؤلفونه له طبق إشارته، وعلى مقتضى ما كان يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق، كمسند الإمام أحمد و"مسند أبي حنيفة" وغيرهما، كما في كتاب "الاستقصا" و"تاريخ الجيش العرمرم لأكنسوس"، وعلى قدر هذه الألفة التي كانت بينه وبين السلطان سيدي محمد كان من الأنفة بينه، وبين السلطان مولاي سليمان، حتى أنه مرارا هم بالبطش به، وفي المرة الأخيرة كتب بكتاب خاص لأهل الرباط في شأنه تُلي على منبر المسجد الأعظم، فإذا مضمنه التهديد عليه بالنفي من الرباط والأمر بملازمة داره، ومنعه من الخروج والتدريس والإفتاء وإعطاء الإذن لعامل الرباط القائد السيد المكي بركاش ليفتك به إن لم يمتثل إلى أن تشفع فيه العامل المذكور، وحضرا معًا لدى السلطان بفاس عند ذلك عفا عنه، وأصفح وكلفه بالذهاب لدكالة مع الفقيه المير كما ذكرنا، والحاصل أن صاحب الترجمة كان من أجل علماء الرباط، ومن مفاخرهم وخزانة كتبه، وكتب والده كانت عديمة النظير، وكان يضرب بها المثل في الرباط بل في المغرب على ما يذكر ولكنها اليوم، ويا للأسف قد هبت عليها رياح الضياع ولعبت بها أيدي الأيام، ففرقتها شذر مذر.

---

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (65)، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 98. وقد ذكره السملالي في ترجمة السلطان محمد بن عبد الله العلوي وأشار إلى أنه كان من مستشاريه العلماء، وحلاه بقوله: العلامة الحجة. انظر: الإعلام، للسملالي: 6/ 116.

ولايته: قد علمت أنه هو الذي ولي مكان سابقه لما عزل في ثامن وعشري شعبان عام تسعة من القرن الثالث، وكان اليوم يوم جمعة وفي السبت يليه جلس المترجم للقضاء في مجلس الأحكام، ثم أخر في الثالث والعشرين من جمدى الثانية عام أربعة عشر، كما في تاريخ أبي عبد الله الضعيف الرباطي[1] فتكون مدة ولايته على هذا أن لم يتخللها التناوب المذكور آنفًا نحو الأربع سنين.

وفاته: كانت وفاته رحمه الله بعد رجوعه من دكالة عام ثمانية عشر ومائتين وألف ودفن مع والده المقدس بزاويتهم الشهيرة بالنسبة إليهم التي أدار ديرها، وشيد قبتها الرئيس الشهير السيد المعطي بريطل على ما يقال، وهي التي بإزاء ضريح ولي الله مولاي إبراهيم الشريف صارت اليوم مكتبًا للصبيان يتعلمون فيه القرآن.

17 - القاضي أبو العباس الحكمي (توفي سنة 1226هـ)[2]

ترجمته: هو القاضي أبو العباس السيد أحمد بن أحمد الحكمي، الرباطي، ويدعى الحكموي، والأصل من بني أحكم قبيلة قريبة من زمُّور، كان رحمه الله علامة مشاركاً في علمي المعقول والمنقول مشاراً إليه بالأخص في علمي الفقه والأدب رحل إلى فاس، وأخذ عن علمائها كالشيخ البناني محشي الزرقاني وأجازه بسائر مروياته الحديثية والفقهية، ولما رجع أكب على التدريس ونشر العلم بالرباط فتخرج عنه تلاميذ من أجلهم وارث سره وفلذة كبده القاضي أبو محمد صالح الآتي والقاضي ابن جلون الآتي أيضاً، وأديبا الرباط الفقيه السيد محمد بن عبد الرحمن الشرشالي الرباطي، والأديب الشهير السيد محمد بن التهامي ابن عمرو الرباطي وغيرهم وكان في الأدب من ذوي الرقائق والترسيل والمنزع الغريب، والمقطع العجيب لن تري أرشق من تخلصه إلى المقصود بالذات بعد نسيب وسيم ماله من قسيم، والشعر الذي تنتشق منه روائح المعاطن والرسيم، والنثر الجزل البليغ المزري باعتلال النسيم، مع جودة القريحة وسرعة الإملاء، وكان رحمه الله شجاعاً مقداماً بطلا غير هيوب مقدماً في السباحة والرماية والمسابقة، وله في ذلك النوادر والعجائب، وكان مع هذا كله كثير العبادة والقيام بالليل والتلاوة للقرآن يقطع سحابة يومه بالذكر والأوراد، وقراءة دليل الخيرات وتعمير مجالسه العلمية على اختلافها ولم

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 583.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (14) ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 137، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 106، والإتحاف، لابن زيدان: 1/ 346، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 7/ 110.

يكن يكترث لشدة ولا يهتم لنائبة، واثقاً بربه، محسنًا الظن به؛ فعاش رَحِمَهُ اللهُ سعيدًا ومات كما يذكر شهيدًا.

كذا ترجمه تلميذه أديب الرباط ابن عمرو والمتقدم فيما يوجد من فهرسته، ولازالت ترجمته طويلة الذيل تنزلت لها في كتابي الموسوم بالاغتباط. بتراجم أعلام الرباط، وهو كتاب حتى الآن ما نشر له علم، ولا رفع عنه القلم[1].

ولايته: تقدم في ترجمة القاضي الفلالي، أنه كان عين بعد القاضي أبي عبد الله الغربي لمدة لا تنيف على الشهرين، ثم عين المخزن صاحب الترجمة، وأسند له أيضًا قضاء سلا فكان قاضي العدوتين، وحاكم الأمتين. قال أبو عبد الله: الضعيف وفوض له فيهما نكاية في القاضي الغربي المعزول يعني، لما كان في قلب السلطان من جهته كما سبق، وكان جلوس الحكمي للحكم في منتصف رمضان المعظم عام أربعة عشر ومائتين وألف واستعمل نائباً عنه بسلا الفقيه البركة السيد الهاشمي طوبي السلاوي[2]، وكان يستعمل نائباً عنه بالرباط لموجبه تلميذه الأديب ابن عمرو المتقدم، وقد مكث المترجم في ولايته هذه نحو الخمس سنين ثم أعفي في عشية يوم السبت الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام تسعة عشر ومائتين وألف وولي مكانه جد والدي للأم القاضي السيد الطيب بسير الآتي بعد ثم خوطب بالقضاء مرة ثانية فامتنع من القبول فألزمه الكبراء أن يقبل فامتنع واعتذر عن ذلك بأنه كان يفاوض في القضاء الأول الفقيهين الغربي[3] والمير[4] رحمهما الله وقد ماتا معًا.

---

(1) نشر كتاب الاغتباط بتراجم أعلام الرباط بعد موت مؤلفه باثنين وستين سنة بتقديم للدكتور عبد الكريم كريم ويعتبر هو وكتابه مقدمة الفتح وهي مقدمة طويلة – نشرها منفصلة سنة 1344هـ - عن الرباط وما يتعلق بها من آثار وأحوال وعادات والكتاب كما أراد مؤلفه موسوعة شاملة عن الرباط وهو بأجزائه الثلاثة من منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث بتحقيقنا.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد الهاشمي طوبى السلاوي، القاضي، كما ذكر الناصري في الاستقصا اسمه وحليته وأنه أم المصلين على جنازة أحمد بن المكي السدراتي السلاوي في سنة 1253هـ. انظر: الاستقصا، للناصري: 3/ 46.

(3) يريد القاضي أبا عبد الله محمد بن أحمد الغربي وقد تقدمت ترجمته. انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُّعَيِّف: 2/ 612.

(4) هو: أبو عبد الله، محمد بن الطاهر المير السلاوي، من أفاضل عصره في العلم والدين والاجتهاد في الطلب والعقل الرزين، رحل لحج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام، ولما رجع من رحلته جلس للتدريس بمدينة سلا والإفتاء، وكان يدرس التفسير، ولما وصل إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: 180-182] قبضه الله إليه، وذلك في سنة 1220 هـ. انظر ترجمته في: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 154، والاستقصا، للناصري: 8/ 107، وفيه أن وفاته سنة 1214 هـ.

وفاته: كانت وفاته رحمه الله بعد طلوع الفجر من يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين ومائتين وألف.

18- القاضي أبو محمد مرينو (توفي بعد سنة 1240هـ)[1]

ترجمته: هو القاضي أبو محمد، السيد عبد القادر ابن القاضي السيد المهدي مرينو الأندلسي، كان رحمه الله من أفاضل العلماء ومن أماثل الفضلاء وبيته بيت رياسة وعلم وفضل ومن البيوتات الرباطية الطيبة الأصل والفصل وناهيك ببيت أسندت إليه الرياسة في هذه الخطة الشريفة مرات عديدة وأزماناً مديدة على أن المترجم ممن تداول القضاء بالرباط فتولى هذه المرة وهي التي طال فيها كثيرًا ثم تولي أيضاً قبيل القاضي عاشور كما يأتي ومن الفنون التي برز فيها صاحب الترجمة علم التنجيم والتوقيت والتعديل فقد كان له نزوع كبير وولوع تام بالتقييد في ذلك وكانت له فيه خزانة كتب من أنفس الخزائن وهي التي صارت بعد وفاته إلى الفقيه البريبري القاضي الآتي كما تلقيت ذلك عن شيخنا القاضي الفاضل أبي حامد[2] نقلاً عن الفقيه السيد الطاهر ضاكة الرباطي[3] وهو من تلامذة المترجم.

ولايته: قد علمت أن الذي جاء بعد الحكمي هو مولانا الجد القاضي بسير ولي مدة قريبة ثم عزل في رجب عام عشرين ومائتين وولي مكانه صاحب الترجمة واستمر في ولايته هذه إلى أن أعفي يوم الأربعاء التاسع من شوال عام ثلاثين ومائتين فكانت مدة ولايته تعد بنحو العشر سنين استقضى في خلالها أيضًا على سلا فكان قاضي العدوتين وحاكم الأمتين.

وفاته: كانت وفاته تقريبًا بعد الأربعين من القرن الثالث بعد الألف.

19- القاضي أبو عبد الله ابن جلون (توفي سنة 1234هـ)[4]

ترجمته: هو القاضي أبو عبد الله السيد مَحَمد (فتحاً) بن الفقيه السيد الحاج محمد (ضماً) بن جلون، الفاسي أصلا الرباطي داراً، ذكره الأديب ابن عمرو في فهرسته من جملة من أخذ عن شيخه أبي العباس الحكمي المتقدم وحلاه بقوله الفقيه العلامة السري الأسمى النزيه الأوحد أبو عبد الله إلخ وذكره أيضًا أبو عبد الله الضعيف الرباطي في تاريخه وأخبر عنه أنه في

(1) انظر ترجمته في الاغتباط: تحت رقم (209)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 146، وتحفة المطالع، لابن سودة: 1/ 136.

(2) يريد أبا حامد البطاوري، الآتية ترجمته تحت رقم (30).

(3) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (155)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 198، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 264.

(4) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (73)، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 124.

يوم الجمعة ثاني عشر شوال عام عشرين ومائتين ختم البخاري وحضر مجلسه المولى إبراهيم العلوي بن السلطان أبي الربيع مولانا سليمان قدس سره[1] ومما عثرت عليه مقيداً أن المترجم في أيام ولايته اعتكف على قراءة البخاري بالجامع الأعظم يحضر درسه أهل العلم والوجاهة من الرباط إلى أن أشرف على ختمه وبلغ إلى قول البخاري باب قل فأتوا بالتورية فأتلوها فجاءه الأجل المحتوم وصده عن إتمام الباقي وهو نحو أربعة عشر بابًا فأتمه بعض إلا فاضل بعد وفاته كذا وجدته بخط قديم لبعض المعاصرين له المعتنين بالتقييد وقد نقلت كلامه بحرفه وطوله في كتابي الاغتباط.

ولايته: رشح للقضاء بعد إعفاء القاضي مرينو المتقدم وذلك عام ثلاثين ومائتين وألف وكان كثيرًا ما ينوب عنه لموجبه الأديب ابن عمرو الرباطي بل كان له خير معين في الأحكام يرجع إليه دائمًا عند النقض والإبرام كما عرف ذلك من ترجمته.

وفاته: كانت وفاته رَحِمَهُ اللهُ يوم الأربعاء الثاني عشر من شوال الأبرك سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف.

20- القاضي أبو عبد الله عاشور (توفي في حدود سنة 1260هـ)[2]

ترجمته: هو القاضي السيد محمد فتحًا بن العربي بن محمد بن أحمد بن علي الرشي المعروف بعاشور الأندلسي محتدًا الرباطي مولدًا كان رَحِمَهُ اللهُ من أكابر العلماء المدرسين المفتين ذوي المشاركة في كثير من الفنون العلمية أخذ عن مشايخ الرباط في وقته كصهره القاضي ابن العروصي المتقدم والقاضي أبي عبد الله الغربي وغيرهما ووقفت له على تأليف ينسب إليه في تزييف العوائد التي تقام بمراكش أيام عاشوراء ألفه السلطان أبي الربيع[3]، قال في طالعته: "هذا وإن هذه رسالة حفيلة بالنصيحة والهداية كفيلة نهج لي طريقتها وكشف لي حقيقتها سيدنا الإمام الأوحد أمير المؤمنين ابن مولانا محمد أبقاه الله عمدة للدين، وقامعاً لأهل البدع المعتدين، وضعتها في ردِّ ما اشتهر بمراكش ليلة عاشوراء من أمور أحدثوها وسموها الأفراجة، تشتمل على مناكر هي لهدم بنائها وقلعها محتاجة، وذلك كتشبه الرجال بالنساء،

---

(1) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 2/ 729.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (80)، والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للسملالي: 6/ 297، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 166.

(3) توجد للرسالة المذكورة نسختان مخطوطتان محفوظتان في الخزانة الحسنية تحت رقمي (12452) و(12584) بعنوان رسالة في بدع عاشوراء بمراكش.

وتشبه الرجال باليهود، وكالمحاكاة لأناس معينين من قبيلة أو من بلد، وكاتخاذ الصور وضرب الرجال آلات اللهو من أجوالات[1] ومزاهير وغيرها وأخذهم بذلك أموالا من غير طيب نفس أهلها بل يعطونهم حماية للعرض وتوقيا من الضرب والشتم وسائر أنواع الإذايات وكأخذ الكراء على تدوير الصبيان وغيرهم بالنواعير وما ينشأ عن ذلك من الضرر والجراحات إلخ كلامه كان رَحِمَهُ اللَّهُ من العلماء العاملين والقضاة الناسكين متحليًا بحلية العلم والفضل متحريًا طريق الأنصاف والعدل تداول قضاء الرباط ومراكش إلا أن ولايته بالرباط لم تكن من قبل السلطان على ما نقل عن الأديب ابن عمرو الرباطي ونص الغرض من كلامه أنه في يوم الأحد السابع من ربيع الثاني عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف، تعصب الفوضى من أهل الرباط فأخروا الفقيه السيد عبد القادر مرينو عن القضاء ومنعوه الحكم بين الناس وكان واليًا عليهم بتولية مولانا أمير المؤمنين أبي الربيع رَحِمَهُ اللَّهُ ثم في عشية الأربعاء بعده يليه قدموا السيد محمد عاشور. اهـ.

لكن أخبر حفيد المترجم الفقيه العدل السيد الحاج محمد عاشور أن ظهير توليته موجود لديهم فلعله بعد ما ولي من قبل أهل البلد أقره السلطان بذلك الظهير ومع هذا فلم تكن ولايته بالرباط إلا بضعة أشهر لما كان عليه رَحِمَهُ اللَّهُ من الشدة والصرامة في الأحكام ومما يحكي في ضرامته أنه جاء إليه الوزير ابن إدريس لداره متشفعاً في إرجاع عدل عزله عن الشهادة فلم يشفعه وقال له: كيف أرده أنا والشرع عزله ؟

قيل وهذه القضية هي التي كانت سبب تأخيره عن قضاء الرباط نعم بعد ذلك أسند إليه قضاء مراكش فمكث فيه نحو الخمسة عشر عاماً وكان هو قاضي الجماعة يحكم بمقصورتي المواسين وابن يوسف كما في كتاب الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لحبيبنا العلامة المؤرخ أبي الفضل السيد عباس ابن إبراهيم المراكشي[2] قال وكانت فيه حدة سجن

(1) الأجوال أو الأكوال من أدوات الطرب بالمغرب، وشكلها مستطيل من فخار أجوف يتسع من أسفل ويضيق من أعلى، يجلد وينقر حسب ترتيب معروف وتتنوع أسماؤه حسب حجمه وزخرفه. (نقلا عن محقق الإعلام بتصرف). انظر: الإعلام، للسملالي بتحقيق عبد الوهاب بن منصور: 6/ 298.

(2) هو: عباس بن محمد بن محمد بن إبراهيم السملالي، المراكشي، القاضي، الفقيه، المؤرخ، المتوفى سنة 1378هـ له مؤلفات عديدة منها: "الإمتاع بحكم الإقطاع"، والأجوبة الفقهية مع الأحكام المسجلة في أربعة أجزاء، و"الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام" في عشرة أجزاء. انظر ترجمته في: مقدمة كتابه الإعلام، بقلم محققه عبد الوهاب ابن منصور، وسل النصال، لابن سودة، ص: 173، والإعلام، للزركلي: 3/ 265.

العلامة سيدي محمد السليطين[1] حيث كان يفتي بنقض أحكامه ويعترض عليه فيها ووقع بينهما لجاج ومنعه من الإفتاء ثم سرحه السلطان مولاي عبد الرحمن في الحين وكان لا يقبل من العدول إلا المبرزين واختار منهم جماعة قليلة وعزل غيرهم، واقتصر عليهم وصاروا يعرفون بالعدول العاشوريين ولما جاء العلامة سيدي الطالب بن الحاج قاضياً بعده ألزمه السلطان الاقتصار عليهم لشهرتهم بالعدالة والتبريز وانتصابهم على التمييز[2]. انتهى بتصرف.

ولايته: قد علمت أن ولايته كانت في ربيع الثاني عام ثمانية وثلاثين وإنها لم تكن متصلة بولاية القاضي ابن جلون بل كان بينهما القاضي السيد عبد القادر مرينو الذي تقدمت ترجمته.

وفاته: كانت وفاته بمراكش في حدود الستين والمائتين والألف ودفن خارجه بضريح سيدي عمارة قرب دار المخزن ثمه.

21- القاضي أبو علي ابن فارس (توفي سنة 1259)[3]

ترجمته: هو القاضي الشريف الحسني أبو علي الحسن بن فارس الفاسي الفقيه العلامة الكاتب وقفت على كثير من خطاباته ببعض الرسوم كتبت بالرباط ولفظ شكله الحسن ابن فارس أحسن الله عاقبته وتلقيت عن شيخنا العلامة القاضي الفاضل أبي حامد أن المترجم ممن تداول خطة القضاء مع القاضي أبي محمد صالح الحكماوي والقاضي السيد الطيب بسير بعد ما كان متقلدًا بخطة الكتابة مع سلطان وقته والظن أن صاحب الترجمة هو المذكور آخر الجزء الثاني من سلوة الأنفاس[4]، ونصه "ومنهم الفقيه الأجل العالم العلامة الأفضل قاضي فاس الجديد أبو علي سيدي الحسن بن فارس كان رحمه الله من أهل العلم والفقه والدين بهذه الحضرة يعني حضرة فاس قال وولاه السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام العلوي قضاء

---

(1) السليطين لقبٌ لقب به المؤرخون المسلمون ألفونسو السابع كما ذكر ذلك الأستاذ عبد الوهاب بن منصور أثناء تحقيقه للأنيس المطرب ويبدو أن اللقب بجذوره الأندلسية وافد على المغرب ولم أقف على ذكر صاحبه المشار إليه. انظر الأنيس المطرب، لابن أبي زرع بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، ص: 252.

(2) انظر: الإعلام، للسملالي: 6/ 297.

(3) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (144)، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 2/ 418، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 174، وذكر أن وفاته رابع ربيع الأول.

(4) هو كتاب: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لأبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، المتوفى سنة 1345 هـ، وله طبعة حجرية قديمة التي يشير إليها المصنف رحمه الله، وقد طبع حديثا بعناية ثلاثة من الأسرة الكتانية سنة 2004.

فاس الجديد" فانظره[1].

ولايته: لم تكن ولايته متصلة بولاية القاضي عاشور قبله بل تولى بينهما مولانا الجد القاضي بسير الآتي وهو الذي كان قاضيًا عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف وهي ولايته الثانية إلا أنها لم تطل كسابقتها ثم بعده جاء صاحب الترجمة وهو الذي كان متوليًا عام اثنين وأربعين وفي أوائل ربيع الأول من العام المذكور ناب عنه الفقيه السيد أحمد بن المختار الغربي الرباطي كما وقفت على ذلك ببعض الرسوم.

وفاته: توفي رَحِمَهُ اللهُ يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع النبوي عام تسعة وخمسين ومائتين وألف على ما في السلوة.

22- القاضي أبو محمد الحكمي (توفي في حدود 1260هـ)[2]

ترجمته: هو القاضي أبو محمد السيد صالح بن القاضي أبي العباس الحكموي المتقدم تولى القضاء مراراً وكان هو والقاضي بسير يتداولان قضاء الرباط مع قضاء مكناسة الزيتون نحو الستة أشهر أو العام لكل واحد على عادة السلطان أبي الربيع في تولية القضاة لمدة قصيرة ثم يأمر بالتبادل أو بالبدل وكان المترجم من الأيمة الفضلاء والقضاة النبلاء ومن الشعراء المجيدين الأخذين بطرفي الجد والهزل كما هو شأن أهل الأدب والفضل وكان لا يطمس شكله في الرسوم ومن أهل الصرامة في الأحكام على الخصوم وكان من خواص أديب الرباط ابن عمرو الأوسي وقعت بينهما مساجلات شعرية ومراسلات نثرية تعد في باب الأدب من قراضات الذهب وقد ذكره الأديب المذكور في كثير من مقيداته وحلاه بأوصاف جليلة وخلال جميلة تسفر عن شفوف قدره وسمو بدره.

ولايته: كانت ولايته عام ثلاثة وأربعين ومائتين وألف وأنظر هل هي ولايته الأولى أو غيرها وكان كثيرًا ما ينوب عنه لموجبه الفقيه السيد محمد بن محمد البوعزوى رحم الله الجميع بمنه.

وفاته: الظن إنها كانت حول الستين بعد المائتين والألف.

---

(1) انظر: سلوة الأنفاس، للكتاني: 2/ 418.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (177)، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 162، وذكره بين وفيات سنة 1251 هـ وقد وقع ذكره في تاريخ الضُعَيِّف: 2/ 694، فيمن حضر من أهل الرباط لمكناس لعزاء السلطان في أخيه عبد السلام؛ وورد ذكره في أماكن أخرى من التاريخ المذكور انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضعيف: 2/ 689 و703 و708 و723.

23- القاضي أبو عبد الله بسير (توفي سنة 1271هـ)(1)

ترجمته: هو القاضي السيد محمد الطيب بن إبراهيم بسّير -بسين مهملة مشددة- الأندلسي ثم الرباطي وهو جد القاضي البطاوري الآتي وجد والدي من قبل أمها كان رحمه الله وحيد عصره علمًا وعملاً ونسكًا وورعًا وقضاء وإفتاء وفريد مصره في العلوم على العموم بين منقولها ومعقولها والآداب بين منظومها ومنثورها له من ملح الأدب وغرره، وجواهر البيان ودرره، ومن المسائل العلمية، والفتاوى الفقهية، ومن المنظومات الشعرية، والقصائد النبوية، والموشحات الغزلية، ما لو جمع ذلك لجاء فهرسة من أعظم الفهاريس وديواناً من أجل الدواوين، وفي العزم إن ساعدنا الحال وشاء الله تعالى أن نجمع من ذلك ما يروق جمعه ويطيب أصله وفرعه.

أخذ المترجم عن الشيخ الرهوني والعلامة الغربي والقاضي ابن العروصي السابق وغيرهم، ولما استقل تصدر للإفتاء والتدريس؛ فكان ممن تخرج عنه قريبنا العلامة الخطيب المدرس الأديب السيد المكي بوجندار، والعلامة سي الطاهر ابريطل وغيرهما، ثم أسندت إليه خطة القضاء فتحمل أعباءها على أكمل ما يرام لا تأخذه في الله لومة لوام، ولا جرأة مقدام، ومكث فيها نحو الخمسين سنة تداول فيها قضاء الرباط ومكناسة الزيتون على سبيل النيابة تارة والاستقلال أخرى، وفي أثناء ذلك رحل إلى وزان فأقام لدى الشيخ سيدي علي بن أحمد الوزاني رحمه الله مدة ، وهناك أخذ عن الشيخ الرهوني صاحب الحاشية وقرظها له من جملة المقرظين حسبما طبع ذلك كله، ولنكتف بهذا القدر في ترجمة هذا الإمام حتى لا يقال: مادح جده يقرئك السلام، وإن شئت زيادة الإفادة فعليك بكتابنا الاغتباط بتراجم أعلام الرباط.

ولايته: كانت ولايته الأولى بالرباط بعد إعفاء القاضي الحكمي الأول وذلك عام تسعة عشر ومائتين وألف كما تقدم ثم أعيد لقضاء الرباط على سبيل النيابة ثم استقل في حدود الأربعين وهو الذي كان متوليًا به عام تسعة وثلاثين ثم نقل بعد ذلك لقضاء مكناسة وهكذا كان حاله رحمه الله في تداوله هذه الخطة ومزاولته إياها المرة بعد الأخرى ولم يطل كثيرًا إلا بعد أن ولي أخيرًا بعد القاضي الحكمي الثاني عام ثمانية وأربعين وبقي إلى عام ستة وستين ثم أريح لكبر سنه وبهذا كانت تعد مزاولته لهذه الخطة بنحو الخمسين سنة ولا يكاد يتفق مثل هذا إلا لرجل

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (159)، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 206، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 173.

فسح الله في أجله ومنحه من القبول والإقبال غاية أمله.

وفاته: كانت وفاته عام واحد وسبعين ومائتين وألف ودفن بالزاوية التهامية المسامتة لضريح مولاي المكي بن محمد بمحج سيدي فاتح بالرباط.

24- القاضي أبو زيد البريبري[1] (توفي سنة 1293هـ)

ترجمته: هو القاضي أبو زيد عبد الرحمن بن العلامة السيد أحمد بن التهامي البريبري السلاوي ثم الرباطي كان رحمه الله من العلماء الناسكين ومن أمثل قضاة الوقت المتحريين للعدل كذا حلاه صاحب الاستقصا[2]، وترجمه ولده القاضي أبو عبد الله في بعض إجازاته فذكر أنه أخذ بفاس عن عدة فقرأ الفقه على ملحق الأحفاد بالأجداد سيدي عبد السلام الأزمي[3] من أوائل المختصر إلى الظهار وعلى تلميذه ابن عبد الرحمن السجلماسي وسيدي بدر الدين الحمومي[4] والقاضي سيدي التهامي المكناسي دفين الرباط، وسيدي عبد القادر الكوهن[5] والتسولي شارح التحفة[6] وأخذ الحديث عن المكناسي المذكور، وكان قارئه بين يديه، وسيدي العربي الدمناتي، وكان قارئه في الصحيح أيضًا وأخذ الأصول عن سيدي الوليد العراقي، وعنه أيضًا النحو والتصريف، وعن القاضي السيد العباس بن كيران، وسيدي العربي الزرهوني، وسيدي عبد السلام بوغالب، والسيد علي قصارة وغيرهم، ثم رجع للرباط فاعتكف على نشر العلم به ودرس الفقه والحديث والنحو والتصريف وعلوم البلاغة وغيرها ومن أجل من أخذ عنه فلذة كبده القاضي الفاضل أبو عبد الله البريبري الآتي.

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط، تحت رقم (185)، والاستقصا، للناصري: 3/ 160، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 258، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 404.

(2) انظر: الاستقصا، للناصري: 3/ 161.

(3) انظر ترجمته في: الإعلام، للسملالي: 8/ 485، والفكر السامي، للثعالبي: 2/ 131، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 20، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 139.

(4) في الأصل: (الجهومي) والمثبت من المطبوع من تعطير البساط وهو: أبو عبد الله، محمد بن الشاذلي بن أحمد بن الحسين الحمومي، بدر الدين المتوفى سنة 1266 هـ. انظر ترجمته في: سلوة الأنفاس، للكتاني: 1/ 193، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 401.

(5) انظر ترجمته في: شجرة النور، لمخلوف، ص: 397.

(6) شرح التسولي على التحفة هو كتاب: "البهجة في شرح التحفة" وهو شرح على منظومة أبي بكر محمد بن محمد بن عاصم الغرناطي الأندلسي في القضاء المسماة بتحفة الحكام في نكت العقود والأحكام، وهي أجل ما ألف في علم الوثائق والإبرام وقد طبعت على شرح التسولي عليها وبحاشيته كتاب حلي المعاصم لبنات فكر ابن عاصم وهو من تأليف أبي عبد الله التاودي بن سودة، ونشرته المكتبة العصرية في صيدا في مجلدين.

ولايته: كانت ولايته بالرباط عام ستة وستين ومائتين ومكث فيها عشرين سنة ثم تخلى عنها من غير عزل ودخل داره فلم يخرج بعد إلى أن توفي، وكان النائب عنه إذ ذاك هو الفقيه السيد محمد ابن إبراهيم الآتي.

وفاته: كانت وفاته عاشر شوال سنة ثلاث وتسعين ومائتين وألف ودفن بزاوية حنصالة بالرباط.

25- القاضي أبو عبد الله ابن إبراهيم[1] (توفي سنة 1297هـ)

ترجمته: هو القاضي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المدعو اَبّْزار بتشديد الباء المكسورة وبه يعرف كان رحمه الله إمامًا جليلاً في الفقه والإفتاء، آية من آيات الله في الحفظ والإملاء، ذا همة عالية لا ترضى بالدون، وجلالة لا تسام بالهون، مشارًا إليه بالمشاركة في كثير من الفنون خصوصًا الحديث والسير والمعاملة، والفرائض والتوثيق والحساب بين جبر ومقابلة، وكان خطيباً مصقعاً مفتياً سميدعاً، ومؤلفاً جامعاً، ومدرساً نافعاً، شرح البردة بشرح حفيل وقفت على طرف منه، وكتب ختماً على الألفية، وحواشي على ميارة الكبير لازالت طررًا بالهوامش، وأخرى على الخرشي كذلك، وجمع ديوان خطب، وآخر في التوثيق، وعلى المسطرة التي سطرها العمل اليوم بهذا الثغر.

وأما فتاويه فحدث عنها ولا حرج ولو جمعت لجاءت مجلداً أخذ عن جدنا القاضي بسير ثم عن قريبنا الخطيب السيد المكي بوجندار[2]، وتعاطى التدريس فأخذ عنه الكثير من شيوخنا الكبار، ولم تزل الألسنة رطبة بالثناء على فضله وشهامته، وورعه واستقامته، لاهجة بذكر عدالته، ومتين ديانته، وما مات في الحقيقة من ترك الذكر الحسن عند فقده. وإنما المرء حديث من بعده.

ولايته: قد علمت أنه كان أولاً نائباً عن القاضي البريبري السابق وقد بقي في نيابته نحو السبع سنين ثم استقل بعد ذلك وفي أثناء ولايته سافر بأمر مولوي إلى طنجة لفصل قضية شرعية فكان النائب عنه بالرباط مدة مغيبه هو الفقيه العلامة الصوفي المحدث أبو حفص السيد الحاج عمر عاشور ابن القاضي المتقدم جدد الله على الجميع رحماته وأسكنهم فسيح جناته.

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (91)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 204.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد المكي بن أحمد بوجندار الرباطي، كان من أعيان العدول الموثقين، والعلماء الأفاضل أخذ عن شيوخ وقته كالطيب بسير وغيره وتصدى للتدريس والإمامة، وعرض عليه القضاء فأبى. انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية، ص: 186.

وفاته: توفي رحمه الله في يوم السبت ثاني عشر شوال الأبرك عام سبعة وتسعين ومائتين وألف ودفن بالزاوية القاسمية من هذا الثغر.

26- القاضي أبو العباس ملين[1] (توفي سنة 1306هـ)

ترجمته: هو القاضي أبو العباس السيد أحمد ملين الأندلسي الرباطي، كان رحمه الله من أجل العلماء الملازمين للتدريس، الجانحين للتحرير والتحبير والتحقيق، أخذ عن الكثير من علماء فاس كالفقيه السيد بن عبد الرحمن السجلماسي ومن كان في طبقته، ثم عن قريبنا العلامة الخطيب السيد المكي بوجندار، والفقيه المحدث السيد أحمد بن الغازي الرباطي، وفي عام أربعة وثمانين ومائتين وألف رحل للشرق فحج وزار وأخذ عن علماء الحرمين الشريفين. وكان قد تعاطى الإفتاء واشتغل بالتجارة مدة، ودرس من العلوم عدة، وتخرج عنه تلاميذ كان لهم خير عدة، كالقاضي أبي حامد البطاوري، والعلامة أبي العباس جسوس، والفقيه المفتي السيد الجيلاني بن إبراهيم، وغيرهم، ولما ولي قضاء الرباط قام بأعبائه فكان خير قائم، لا يهاب بطش ظالم، ولا يخشى لوم لائم، متثبتاً لدى النقض والإبرام، من أهل الجد والصرامة في الأحكام، حسبما تلقيناه عمن أخذ عنه من شيوخنا الأعلام، وللمترجم ذكر في تأليف شيخنا أديب فاس الشريف مولاي أحمد بن المأمون البلغيثي الذي سماه بيان الخسارة لمن حط من قدر التجارة[2] ترجمه في جملة أهل العلم والفضل والدين الذين كانوا يتعاطون هذه الخطة الدينية، والحرفة السنية النبوية.

ولايته: ولي بعد وفاة ابن إبراهيم المتقدم، وذلك عام سبعة وتسعين وقد أخبرني شيخنا حامل لواء الإفتاء بالرباط السيد الجيلاني بن إبراهيم أن ولاية المترجم لم تكن إثر وفاة ابن إبراهيم بل بعد مدة تربص فيها السلطان مولاي الحسن ريثما ينظر من يصلح، وبقي أهل الرباط فوضى لا قاضي لهم إلى أن وقع اختياره على المترجم.

وفاته: كانت وفاته في اليوم الخامس من المحرم فاتح العام الخامس من هذا القرن على ما أخبرني به شيخنا السيد الجيلاني المتقدم والذي وجدته مقيداً بخط شيخنا القاضي الفاضل أبي حامد أنها كانت أواخر ذلك العام والمقيد عن ولده الفقيه السيد الحاج محمد ملين أنها أوائل عام ستة من هذا القرن.

---

(1) انظر ترجمته في الاغتباط: تحت رقم (31)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 214، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 298.

(2) توجد نسخة - قد تكون الوحيدة - في الخزانة الصبيحية بسلا تحت رقم 369.

وقبره معروف بالزاوية المعطوية الرباطية قدس الله روحه وجعل في الفردوس غبوقه وصبوحه.

27- القاضي أبو عبد الله البريبري[1] (توفي سنة 1326هـ)

ترجمته: هو القاضي أبو عبد الله محمد ابن القاضي أبي زيد البريبري المتقدم كان رحمه الله من خاصة الفقهاء، ونقاد الأساتذة والنبلاء، وبيته بيت مروءة وحسب ونسب ونزاهة، ومأوى العلم والعمل والفضل والجد والوجاهة.

انقطع للعلم الشريف منذ حداثته؛ فقضى منه حق لُبانته. ومن أجلِّ من أخذ عنهم والده القاضي أبو زيد قرأ عليه المختصر والرسالة وغيرهما من كتب الفقه، كما أخذ عنه الحديث والنحو والتصريف والتلخيص حسبما حكاه عن نفسه في إجازة أجاز بها العلامة المحدث الشريف سيدي عبد الحي الكتاني[2].

وكان له رحمه الله مشاركة حسنة في كثير من العلوم خصوصًا الفقه والحديث والنحو والقراءات وتوجيهها وكان متخلقاً بكمال الليونة متحلياً بأشرف الخلال والخصال، منقطعاً منعزلاً لا يخالط أحداً، ولا يخرج من منزله في الغالب إلا لصلاة الجمعة أو حضور جنازة فاضل، ولهذا لم يكن له مزيد عناية بالتدريس كغيره من علماء وقته ومعاصريه، حيث أن ذلك يدعو ولا بد لخلطة موافيه ومعاشريه، وممن أخذ عنه القاضي أبو العباس البناني، والقاضي الشريف أبو حامد البطاوري، والعلامة أبو العباس جسوس، ولو لم يكن من مفاخره سوى أخذ هؤلاء الجهابذة الأفاضل عنه لكان كافياً.

ولايته: ولي بعد وفاة القاضي ملين السابق ومكث في ولايته هذه مدة تنيف على العشر سنين.

وفاته: كانت وفاته ليلة الأحد ثالث عشر جمدى الأولى عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن مع أبيه بزاوية حنصالة التي بجوار داره بالرباط.

28- القاضي أبو الحسن دنية (توفي سنة 1325هـ)[3]

ترجمته: هو صهرنا القاضي أبو الحسن السيد علي بن العلامة المفتي النوازلي أبي العباس السيد أحمد دنية - بكسر الدال - وبه عرف، نسبة إلى دانية من بلاد الأندلس.

---

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (104)، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 288، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 377، والأعلام، للزركلي: 6/ 199.

(2) انظر: فهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 173.

(3) انظر ترجمته في: مجالس الانبساط، لدنية - ابن صاحب الترجمة، ص: 272، والاغتباط، تحت رقم (242)، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 374، والأعلام، للزركلي: 4/ 261.

كان رحمه الله من أجل العلماء، وجهابذة الفقهاء، وأماثل الخطباء، متحلياً بحلية الوقار، والأبهة العلمية والجلالة والفخار، وبيته من البيوتات الرباطية ذات المجد والشان، الشهيرة بالعلم والعرفان، إلى الآن وحتى الآن.

أخذ عن شيوخ الرباط في وقته كوالده أبي العباس المذكور والأحمدين الفقيهين أبي العباس الغربي وأبي العباس ابن الغازي، وأخذ الورد الناصري عن البركة السيد الحاج علي الناصري، وفي سنده استجازه مؤرخ سلا العلامة أبو العباس ابن خالد الناصري فأجازه وفق طلبه في ربيع الثاني عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف كما وقفت على ذلك كله بخط المترجم.

وكان في أول أمره معتكفاً على النساخة؛ فانتسخ عدة نسخ من القاموس المحيط للفيروزبادي ونفح الطيب للمقري، وحواشي الرهوني، وشرح الزرقاني على المختصر وغيرها من الكتب الكبار، والكل بخط يده، وكان ربما تعيش من ذلك واستعان به في طلب العلم، حتى اتسع حاله وفتح الله عليه في الدين والدنيا وما أحسنهما إذا اجتمعا معاً، ثم تصدر للتدريس والإفتاء والتأليف، فكتب عدة مؤلفات كشرحه على الهمزية، وختم الألفية وغيرهما.

وكان مجلس درسه مجلس الفحول، جامعاً بين تحقيق الأبحاث وتحرير النقول، سواء في المعقول والمنقول، وكان عالي النفس بعيد الشأو في إقراءاته ومقروءاته، وهو آخر من سمعناه بالرباط يدرس الفقه والنحو وباقي العلوم بمطولاتها؛ فكان يدرس النحو بالتسهيل والدماميني عليه والفقه بالزرقاني وحواشيه وهكذا مع مزيد التحرير في جميع ذلك والتصرف فيه تصرف المحصل بالقبول، والرد شأن الناقد المستقل وممن أخذ عنه شيخنا البركة المفتي السيد الجيلاني بن إبراهيم والأحمدان أديبا الرباط العلامة أبو العباس جسوس والقاضي أبو العباس الزعيمي وغيرهم من فضلاء الرباط.

ولايته: ولي قضاء الرباط في حجة الحرام متم عام ستة عشر وثلاثمائة وألف.

وفاته: كانت وفاته في حجة الحرام متم عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن بالزاوية الدرقاوية التي بقرب السوق الكبير من الرباط.

29- القاضي أبو العباس البناني[1] (توفي سنة 1340هـ)

ترجمته: هو فخر الرباط الهمام الأروع، الخطيب المصقع، الفقيه العلامة المشارك، البركة

---

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (37)، ومعجم الشيوخ (المسمى برياض الجنة)، لعبد الحفيظ الفاسي، ص: 116، والأعلام، للزركلي: 1/ 249، وأعلام الفكر المعاصر للجراري: 2/ 51، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 2/ 90.

المفضال الناسك، القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن البناني نسبة إلى بني بنان القبيل المنتشر بحواضر المغرب، ذلك البيت الشهير بالعلم والفضل خلفاً عن سلف، وقيل نسبة إلى بنان قرية من قرى أفريقية تقابل باجة[1] على ما نقل عن أبي القاسم البرزلي[2] في "تاريخ إفريقية"[3].

نشأ المترجم بالرباط وأخذ العلم عن شيوخه كالعلامة أبي إسحاق التادلي، والقاضي أبي عبد الله البريبري المتقدم، ورحل للمشرق مرتين فحج وزار وأخذ العلم عن كثير من شيوخ الحجاز ومصر.

كانت حجته الأولى مع شيخه أبي أسحاق سنة 1284 هـ وفي هذه المرة استجاز الشيخ أحمد دحلان المكي[4] فأجازه إجازة عامة، وكتب له السند في البخاري والشمائل والشفا والجامعين للسيوطي[5]، وكانت حجته الثانية سنة 1292هـ، وفيها حضر مجالس الشيخ دحلان لتدريس الأحياء وتفسير البيضاوي وغيرهما كما حضر مجلس الشيخ صديق الهندي

---

(1) باجة: مدينة بإفريقية غربي تونس، وكانت تسمى قديماً باجة القمح سميت لذلك لكثرة الحنطة، وباجة أيضاً مدينة قديمة بالأندلس وإليها ينسب أبو الوليد الباجي، شارح الموطأ. انظر: معجم البلدان، لياقوت: 1/ 314، ومعلمة المدن، لعبد العزيز بنعبد الله، ص: 80.

(2) هو: أبو القاسم، أحمد بن المعتل البلوي، القيرواني، التونسي، الشهير بالبرزلي فقيه تونس ومفتيها، صاحب النوازل المشهورة، تتلمذ على ابن عرفة، لازمه نحوًا من أربعين عامًا توفي سنة 844 هـ. من آثاره: الديوان الكبير في الفقه، و"جامع مسائل الأحكام مما نزل من القضايا للمفتين والحكام". انظر ترجمته في: كفاية المحتاج، للتنبكتي: 2/ 15، وشجرة النور، لمخلوف، ص: 245، والضوء اللامع، للسخاوي: 11/ 133، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 149.

(3) لعل هذا التاريخ هو تاريخ أحمد بن أبي الضياف التونسي وزير القلم بالحكومة التونسية المتوفى سنة 1291هـ واسمه: "إتحاف أهل الزمان بأخبار عصر عهد الأمان في تاريخ أفريقية لاسيما التونس والقيروان " في أربع مجلدات، وهناك تواريخ أخرى لإفريقية منها تاريخ إفريقية للحسن بن محمد الوزان، الغرناطي أصلاً، الفاسي داراً، المسمى بليون الإفريقي، وأما تاريخ إفريقية لأبي العرب، محمد بن تميم، وتاريخ ابن الرقيق؛ فهما متقدمان لا يصح أن ينقلا عن البرزلي. انظر: الأعلام، للزركلي: 2/ 217، وهدية العارفين، للبغدادي: 1/ 102.

(4) هو: أبو العباس، أحمد بن زيني دحلان، المكي، الشافعي، مفتيهم بمكة، علامة مشارك، عرف بعدائه للدعوة السلفية، وله من المصنفات "الجداول المرضية في تاريخ الدول الإسلامية"، و"خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام"، و"الدرر السنية في الرد على الوهابية"، و"تاريخ طبقات العلماء"، وغير ذلك من التآليف، توفي سنة 1304هـ. انظر ترجمته في: تحفة الرحمن في سيرة دحلان، لأبي بكر، شطا، الدمياطي، وفهرس الفهارس، للكتاني: 1/ 390، والأعلام، للزركلي: 1/ 129.

(5) أي الجامع الكبير المسمى بجمع الجوامع والجامع الصغير المسمى الجامع الصغير من حديث البشير النذير في الأحاديث للسيوطي جلال الدين المتوفى سنة 911 هـ. انظر مقدمة كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي.

المكي لقراءة سنن أبي داوود ومجلس الشيخ حسب الله المصري ثم المكي لتفسير ذي الجلالين[1] وغيرهم كما أخذ بمصر عن الشيخ الرفاعي[2] محشي بحرق[3] ومن كان في طبقته ممن لم تحضرني أسماؤهم على التعيين وبعد قفوله من وجهته اعتكف على نشر معارفه وتدريس معلوماته بالزاوية الناصرية وكان ممن يحضر مجلسه شيخنا القاضي الفاضل أبو حامد البطاوري الآتي، وشيخنا أبو العباس جسوس وغيرهما من مشاهير الرباط، وكان له شغف كبير بتحقيق المسائل وتحريرها والاستيعاب في كل مسألة لسائر ما قيل فيها وما طرقوه من الاحتمالات والوجوه حتى كان يستغرق الأيام والليالي العديدة في البيت الواحد والبيتين مما بهر به وبرهن على اقتداره وتفوقه وتضلعه والحاصل أن مجلسه كان مجلس الفحول من الرجال ومما تشد له الركاب والرحال غير أنه ويا للأسف ما أخذت شموسه تنبعث أشعتها بين أرجاء العالم العلمي حتى مالت للغروب وتوارت بالحجاب بسبب نكبة حلت بساحة المترجم من قبل عامل البلد سامحه الله فكان ذلك السبب الوحيد في تأخره عن تعمير مجالسه العلمية وإقباله على العزلة والإنفراد ولم يبق يتعاطى إلا خطة الشهادة والخطابة بالزاوية الناصرية والإمامة بها ثم تخلى عن الشهادة وأخيراً أناب عنه في الخطبة حبيبنا بل أخانا العلامة أبا عبد الله السيد محمد ملين، واقتصر هو على القيام بوظيف الإمامة بالزاوية المذكورة، وهو القيم به حتى الآن ولازال حياه الله وبياه مشاراً إليه بين علمائنا بالديانة والفضل والنسك، مرموقاً من الكل بعين الاحترام والإكبار والإكرام لا سيما من الجناب السلطاني اليوسفي الذي ما فتئ يتيمن به وبحضوره في مجلسه والصلاة خلفه والخطبة به في الأعياد والمواسم وكان طولب لأن يكون قاضي الجماعة بفاس فامتنع تورعاً كما خوطب في قضاء الرباط ثانياً؛ فاعتذر بضعف الحال، والعجز عن القيام بالخطة وفق ما اقتضى الحال، وهو ممن اشتهر بالمشاركة في فنون وعلوم شتى، وربما نثر ونظم وساجل وكاتب وأجاز وأفتى، أما تقاييده العلمية فشيء يفوق الحد فما من كتاب كتاب يوجد

---

(1) يريد تفسير القرآن للجلالين، جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي.

(2) هو: أحمد بن محجوب الفيومي، الرفاعي، شيخ رواق الفيومية بالجامع الأزهر، ولد توفي سنة 1325 هـ من تصانيفه: حاشية على شرح محمد بحرق اليمني على لامية الأفعال. انظر ترجمته في: اليواقيت الثمينة، للأزهري: 1/ 82، ومعجم المطبوعات، لسركيس: 1/ 947، والأعلام، للزركلي: 1/ 202.

(3) استدرك المصنف رحمه الله على نفسه في كتاب الاغتباط عند ذكر المترجم بهذه العبارة: "و لم يدرك بمصر الشيخ الرفاعي فلم يأخذ عنه، وما في كتابي "تعطير البساط بتراجم قضاة الرباط" المطبوع أخيراً تحققته بعد الطبع بتنبيه من المترجم رضوان الله عليه".

بخزانته على عظمها إلا وفيه نقرة من نقراته، وأثر من آثار أقلامه، ولا يعرف من مؤلفاته سوى حواشي المكودي على الألفية في عدة أجزاء ابتدأها من اسم الإشارة، وحواشي المجرادي الموسومة بفتح الهادي، وشرح البردة المترجم بإتحاف أهل المودة، وشرح على خطبة ميارة، وديوان خطب، وتقييد في مسألة العمل بالخبر التلغرافي وجل هذا لم يتم.

ولايته: ولي بعد إعفاء القاضي قبله وذلك عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف ومكث في ولايته نحو الخمس سنين ثم أُخر أول ربيع النبوي عام ثلاثة وعشرين وهو حتى الآن لازال بقيد الحياة[1] أبقى الله بركته وأطال مدته آمين.

30- القاضي أبو حامد البطاوري (توفي سنة 1355 هـ)[2]

ترجمته: هو شيخنا شيخ الجماعة العلامة الجامع المانع المشارك في العلوم عقليها ونقليها الحافظ الحجة الأديب الشاعر الناثر المؤلف الخطيب القاضي الشريف أبو حامد سيدي المكي بن الفقيه المؤدب السيد محمد بن الفقيه الأديب الخطيب سيدي علي بن سيدي عبد الرحمن الشرشالي نسبة إلى شرشال من بلاد إفريقية ويعرف بالبطاوري نشأ المترجم بهذا الثغر الرباطي ولما توفي والده عنه بقي في حجر والدته المكرمة بنت مولانا الجد القاضي بسير المتقدم فقامت بلوازم تربيته ونشأته حتى صلح شأنه وانطبعت فيه الغرائز السامية وتدرج إلى عوالي المعالي فتعاطى العلم الشريف واستظل بظله الوريف وكانت قراءته على مشايخ الرباط كأبي إسحاق التادلي وهو عمدته وسنده والقاضي ابن إبراهيم والقاضي أبي العباس ملين والقاضي أبي عبد الله البريبري والقاضي أبي العباس البناني المتقدم الذكر وفي حدود التسعين من القرن المنصرم انتدبه للكتابة صهره النائب السلطاني السيد محمد برقاش الرباطي فكان متوظفًا معه في إنشاء المكاتب عنه بطنجة مقر السفارات الأجنبية وأقام في هذا الوظيف نحو العشر سنين توجه في خلالها صحبة النائب المذكور إلى الديار الأندلسية أيام عقد المؤتمر الدولي المسمى وفق مدريد ثم توجه إلى بلاد الإفرنج على طريق أسبانيا أيضاً فأقام بباريز أزيد من ثلاثة أشهر ومنها كانت وجهته إلى بلاد انقلتره[3] واكتسب في هاتين الوجهتين معارف جمة من هذه العلوم الحادثة

---

(1) قال المصنف في ختام كتابه: "و كان تمامه أوائل شعبان الأبرك عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف والحمد لله رب العالمين". وقد توفي صاحب الترجمة سنة 1340 هـ. انظر: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 430.

(2) انظر ترجمته في: معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي، ص: 180، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 475، وسل النصال، له أيضاً: ص80، والأعلام، للزركلي: 7/ 110.

(3) يريد بلاد إنجلترا.

الوقتية وفوائد سياسية ودينية بالاعتبار في مخلوقات الله ومصنوعاته وبعد قفوله تجول في هذه البلاد المغربية وأخذ عن بعض شيوخ مراكش وفاس ومكناس ثم رد بجماح عزمه إلى الأصقاع الحجازية لأداء فريضة الحج وهناك اتصل بأهل العلم والفضل من هاتيك الأقطار فأخذ واستجاز واستفاد خصوصاً بمصر والإسكندرية والحرمين الشريفين وذلك عام أربعة وثلاثمائة وألف ثم ألقى عصا التسيار وتصدر لبث العلم ونشره وتطييب الأنام بطيب نشره فتناول جميع العلوم المتداولة درساً وتلقيناً وتفهيماً ما بين معقول ومنقول وفروع وأصول فنبغت على يده هذه الطبقة الموجودة الآن من علماء الرباط ومدرسيها فليس ها هنا إلا تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه ولا غرو فقد تفرد بدماثة الأخلاق ولين العريكة وطلاقة الوجه وخفض الجناح للمستفيد مع ما أوتيه من حسن الإلقاء وإتقان أسلوب التعليم وسعة الإملاء والحفظ وقوة الإدراك والفهم إلى ما حلى به من حلية البيان والإيجاز البالغين حد الإعجاز ورشاقة العبارة الحائزة من النسيم لطاقته ومن الشهد حلاوته ومن الماء سلاسته وهو اليوم أبقاه الله الرجل الوحيد الذي انتهت إليه الرياسة بين علمائنا وكان في أثناء أمره انتدبه الخليفة الشريف مولاي رشيد بن عبد الرحمن بن هشام لإقراء أولاده وانتدبه لذلك أيضًا السلطان المقدس مولاي الحسن فكان يقرئ بعض أنجاله الكرام بقبيلة أمزاب ثم عين أولاً وثانياً بمرسى الرباط وثالثاً في خراج مرسي طنجة كل هذا وحاله هو حاله من الانكباب على العلم وتدريسه والتأليف فيه وناهيك أن مؤلفاته اليوم تقدر بنحو الستين مؤلفًا جلها تام متداول بين طلاب العلم من أهل الرباط أما أراجيزه وقصائده الشعرية وفوائده العلمية ومكاتبيه وتقاريظه النثرية فغاية لا تدرك يضيق عن تفصيلها وإجمالها نطاق هذه الكتابة الموجزة وقد ألمعت بذلك في مؤلف خاص سميته "العطر المسكي في ترجمة القاضي أبي حامد المكي".

ولايته: في يوم السبت أول يوم من ربيع النبوي عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف ورد الأمر المولوي بتوليه قضاء هذا الثغر الرباطي فامتثل وانتصب للفصل والقضاء ومكث في ولايته هذه نحو العشر سنين سار فيها على ما ينبغي آخذاً بطرفي الشريعة والسياسة في أحكامه إلى أن أريح أواخر عام اثنين وثلاثين.

31- القاضي أبو عبد الله الرندي (توفي سنة 1365هـ)(1)

ترجمته: هو شيخنا الفقيه المفتي النوازلي العلامة المقتدر المشارك الدراك المتضلع الشهم المحجاج المتواضع القاضي الحالي أبو عبد الله السيد محمد بن عبد السلام الرندي الأندلسي الرباطي نشأ بالرباط راتعاً في رياض العلوم يقتطفها عن شيوخ هذا الثغر كشيخ الجماعة أبي إسحاق التادلي والفقيه الصوفي الحاج عمر عاشور وصهرنا العلامة سيدي زين العابدين البناني وشيخنا البركة المفتي السيد الجيلاني بن إبراهيم وشيخنا القاضي الفاضل أبي حامد البطاوري المتقدم وكان ممن عني بالرواية فاستجاز شيخه أبا إسحاق المذكور فأجازه عام سبعة من هذا القرن بإجازة وقفت عليها بخط يده وبعدها إجازة من شيخه الفقيه عاشور المذكور وصفه فيها بملازمة الدرس والتفوق على الأقران وسرعة الإدراك وقوة الفهم وكان له منذ نعومة أظفاره شغف زائد بالعلوم على العموم يتعاطاها على اختلافها وتنوع موضوعاتها ولم يزل مثابرًا على الدرس والمطالعة والبحث والمراجعة حتى أحرز قصبات السبق في مضمار التسابق وميدانه وبرز على أماثل أمثاله وأقرانه فارتفع على منصة التبريز وانتصب على التمييز يدرس للعموم من جواهر العلوم ما يزري بالدر المنظوم ولازال حتى الآن في مواصلة دروسه الفقهية ومجالسه العلمية التي انتفع بها الكثير من طلبة الرباط لما أوتيه في مجلس درسه من وضوح العبارة وحسن الإلقاء والإيصال بكل ما يمكن والإفصاح عن المقاصد وإفراغها في قوالب شتى من التمثيل وتصوير المعاني المعقولة بالأشياء المحسوسة وتقريب المعلومات النظرية وتلقينها كالضرورية هذا إلى رجحان عقل وثبات راسخ، وسودد على هام الجوزاء شامخ إلى ما شارك فيه من الخدمات المخزنية وتقلب فيه من الوظائف السنية فكان أولاً من كتاب السلطان أبي فارس حيث كان بمراكش عام خمسة عشر من هذا القرن ثم عينه بعد ذلك من العدول في خراج مرسى العرائش ثم في مرسى آسفي وغب قفوله من هاتين الوجهتين تصدر للشهادة والإفتاء فكان الشاهد المتبرز والمفتي المتميز ولما نظمت العدلية كان من المرشحين لاختبار قضاة البوادي فتوجه للدار البيضاء ومراكش لقضاء هذه المأمورية صحبة نائب وزير العدلية ثم أسس مجلس الاستئناف بالرباط فعين بأمر مولوي عضواً من أعضائه فاستلم أشغاله مدة إلى أن أخر القاضي السابق فكان بدله حتى الآن.

---

(1) انظر ترجمته في: سل النصال، لابن سودة، ص: 118، وإتحاف المطالع، له أيضاً: 2/ 508، والأعلام، للزركلي: 6/ 207، وقد ذكر من ترجم له أنه قد اشتهر بالرُّنْدَة.

ولايته: كانت ولايته أولاً على سبيل النيابة فقط ولم يستقل إلا بعد دخول عام ثلاثة وثلاثين وهو اليوم كما ينبغي وعلى ما ينبغي آخذ بزمام خطته قائم بأعباء ولايته أعاننا الله وإياه. وأيدنا جميعًا بما أيد به أولياه. آمين

وهذا آخر ما سمح به القلم والله سبحانه وتعالى أعلم وقيده لسائله منه خديم العلم والأدب محمد بن الحاج مصطفى بوجندار الرباطي المنشأ والدار وكان تمامه أوائل شعبان الأبرك عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف والحمد لله رب العالمين(*).



(*) في طبعة الكتاب التي اعتمدنا عليها بعد هذه الخاتمة كلمة في التقريظ بقلم المؤلف بيّن يَدَي بضعة تقاريظ للكتاب كتبها بعض أقرانه وهم: الشيخ أبو السعود محمد بن عبد الحي الكتاني، ومؤرخ سلا محمد بن محمد بن علي الدكالي السلاوي، وصهر المؤلف محمد بن علي دِنْيَة الرباطي رحمهم الله جميعاً.

تتمة للفائدة

قد قمنا بذكر بعض القضاة ممن استقينا تراجمهم من مصادر مختلفة ليكون الكتاب أشمل وأوعى للقضاة الرباطيين دون الشرط البوجنداري الذي هو مختص بتولي القضاء في الرباط فقط.

32- أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، المكنى أبا المطرف[1] (المتوفى سنة 656 هـ)

قال في الاغتباط: قاضي الرباط وأحد القضاة الرباطيين الذين أغفلت ذكرهم في كتابي تعطير البساط، ترجمه صاحب "الإحاطة"[2] وصاحب "الجذوة"[3]، وكلاهما صرحا بقضائه على الرباط، للرشيد أبي محمد بن أبي الوليد، ولأخيه أبي الحسن المعتضد بعد وفاة الرشيد ". اهـ.

ولم يذكر بوجندار سبب إغفاله المترجم، إلا أن يكون إلمامه بالمترجم كان بعد طباعة التعطير.

33- أبو المكارم أحمد بن محمد بن عيسى آدم القاضي[4] (المتوفى سنة 1094هـ)

قال في الاغتباط: أحد القضاة الرباطيين الذين أغفلت ذكرهم في كتابي تعطير البساط.

هو الشيخ الحافظ، الخطيب نزيل رباط الفتح يروي عن شيوخ فاس كالإمام أبي البركات عبد القادر الفاسي، وأبي الضياء محمد بن أحمد ميارة، وأبي البقاء الأبار وغيرهم.

---

(1) انظر ترجمته في: الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب: 1/ 60، وهو أوسع من ترجم له، وجذوة الاقتباس، لابن القاضي المكناسي: 1/ 145، وعنوان الدراية في من عرف من علماء المائة السابعة ببجاية، للغبريني، ص: 178، والاغتباط، برقم: 1، والإعلام، للسملالي: 2/ 149، وبغية الوعاة، للسيوطي، ص: 137، ولسان الميزان، لابن حجر: 1/ 203، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 4/ 152.

(2) هو: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد، اللوشي، الغرناطي، الأندلسي، لسان الدين، ابن الخطيب. انظر ترجمته في: الدرر الكامنة، لابن حجر 3/ 469، ونفح الطيب، للمقري 4/ 240، وشذرات الذهب، لابن العماد: 6/ 244، والبدر الطالع، للشوكاني: 2/ 191.

(3) هو: أحمد بن محمد ابن أبي العافية، ويعرف بابن القاضي المكناسي، المؤرخ صاحب التآليف العديدة في الفقه والحساب والهندسة ومن آثاره: "جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام في مدينة فاس"، توفي رحمه الله سنة 1025هـ. انظر ترجمته في: صفوة من انتشر، للإفراني، ص: 77، وسلوة الأنفاس، للكتاني: 3/ 164.

(4) انظر ترجمته في: الاغتباط، برقم (2)، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 100، والتقاط الدرر، للقادري: 2/ 227، ونشر المثاني، للقادري: 4/ 1669، والمنح البادية في الأسانيد العالية، لأبي عبد الله، محمد الصغير الفاسي: 1/ 160، واليواقيت الثمينة، لأبي عبد الله، محمد بن البشير بن ظافر: 1/ 35، وأعلام المغرب، لعبد الوهاب بن منصور: 6/ 91.

34- أحمد بن أبي الحسن علي المراكشي ثم الرباطي (المتوفى سنة 1129هـ)[1]

فقيه قاض، يقال: تولى قضاء الرباط في دولة السلطان المولى إسماعيل.

قال في الاغتباط: " ولَمَّا لم يتحقق عندي هذا (أي توليته قضاء الرباط) ضربت صفحاً عن ترجمته في كتابنا تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط".

35- القاضي محمد بن المهدي مرينو[2] (المتوفى سنة 1229 هـ):

قال في الاغتباط: أحد قضاة الرباط الذين أغفلت ذكرهم في كتابي تعطير البساط، وكانت توليته باتفاق أهل الحلّ والعقد من الرباطيين إثر وفاة والده القاضي أبي عيسى مرينو عام 1188 هـ[3].

36- القاضي عبد الله الدرعي[4]:

هو القاضي أبو محمد عبد الله الدرعي الرباطي، كان من خواص الشيخ العكاري الملازمين له، وكان كثيراً ما يرجع إليه المشكلات، ويتردد إليه في حلّ العويصات من المسائل والمعضلات. كذا ذكر في فهرسة العكاري.

37- الطاهر العزوزي المعروف بالأوراوي (كان حياً في 1118 هـ)[5]

هو القاضي أبو عبد الله محمد الطاهر ابن الفقيه الحارثي العزوزي المعروف بالوراوي، له ذكر في فهرسة العكاري، قال في الاغتباط: "و بمثل هذا جاء ذكره في كتاب الإتحاف الوجيز وزاد أنه تولى قضاء هذا الثغر الرباطي[6]، ولم أقف على ما يشهد له، وإنما وقفت على ما يقضي بخلافه، نعم في الفهرسة المذكورة تحليته بالقاضي فلعله ولي قضاء غير هذا الثغر، ولذلك لم

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، برقم (7)، والإعلام، للسملالي: وقد نقل عن كناشة لأحمد بن عاشر السلوي ما نصه: وتوفي الفقيه العالم القاضي سيدي أحمد بن العلامة الحافظ الدراكة سيدي علي المراكشي رضي الله عنه ليلة عيد الفطر، وصلي عليه من الغد، ودفن بالموضع المسمى بالعلو من محروسة الرباط عام 1123 هـ. واستصوب السملالي هذا التاريخ عن ما ذكره الناصري في الاستقصا - وما سار عليه بوجندار - لأن الحافي معاصر لهذا التاريخ المذكور فهو أولى. انظر: الإعلام، للسملالي: 2/ 352، والاستقصا، للناصري: 3/ 113.

(2) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (68)، وإتحاف المطالع، لابن سودة: 1/ 112.

(3) انظر: تاريخ الدولة العلوية السعيدة، للضُعَيِّف: 1/ 328.

(4) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (194)، والبدور الضاوية، المعروف بفهرسة العكاري، لوحة رقم: 13/أ، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 90.

(5) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (152)، والبدور الضاوية المعروف بفهرسة العكاري، لوحة: 19/أ، والإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 131، ومجالس الانبساط، لدنية: ص: 116.

(6) انظر: الإتحاف الوجيز، للدكالي، ص: 131.

أترجمه في كتابي تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط، وما ذكره صديقنا أبو عبد الله الأوراوي فيما كتبه في عائلته العزوزية من أن المترجم ولي قضاء الرباط سنة 1118 هـ لا أصل له سوى ما في كتاب الإتحاف المتقدم".

38- أحمد الزعيمي[1] (توفي سنة 1329 هـ)

أديب من أدباء الرباط قاض خطيب، وشاعر مكثر، شبَّ في طلب العلم بالرباط، وارتحل إلى فاس واكتسب شهرة، تقلب في الخدمات المخزنية والخطط والمناصب الدينية؛ فكان أولاً بطنجة من كتّاب النائب السلطاني السيد محَمَد (بفتح الميمين) بركاش ثم رجع للرباط فتعاطى خطة الشهادة وكان من العدول، وأسندت إليه خطة القضاء بالدار البيضاء وكان قبل ذلك متولياً الخطابة بالجامع السليماني.

39- عبد السلام بن عمر بن إبراهيم (توفي سنة 1356 هـ)[2]

علامة مشارك مطلع مستحضر للنوازل والأحكام، توفي نائباً عن قاضي الرباط في زوال يوم السبت سابع شوال.

40- محمد بن عبد السلام السائح الرباطي[3] (توفي سنة 1367 هـ)

هو محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد كان قاضياً بفاس ثم مكناس وبها توفي ثم دفن بالرباط، له عدد من التآليف في فنون مختلفة منها:

"سوق المهر إلى قافية ابن عمرو" طبع طبعة قديمة و"لسان القسطاط في تاريخ مدينة فاس"[4] و"المنتخبات العبقرية لطالب الثانوية" طبع طبعة مدرسية قديمة ويحتوي على عدد من التراجم، إلى غير ذلك من التآليف المفيدة الجامعة لفنون مختلفة.

41- البشير بن عبد الله الفاسي[5] (توفي سنة 1383 هـ)

هو: محمد البشير بن الشيخ عبد الله، فاسي الأصل واستوطن الرباط.

فقيه، علامة، مشارك، قاض، تولَّى قضاء بين زروال وقضاء مدينة الجديدة ثم أخر عن

---

(1) انظر ترجمته في: الاغتباط، تحت رقم (32)، الإعلام، للسملالي: 2/ 463، ومجالس الانبساط، لدنية، ص: 293.

(2) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 479.

(3) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 516، وسل النصال، له أيضاً، ص: 133، والأعلام، للزركلي: 6/ 207، ومعجم المؤلفين، لكحالة: 10/ 169.

(4) هو كتاب عن تاريخ مدينة فاس ومات قبل إتمامه، انظر: دليل المؤرخ، لابن سودة: 1/ 54.

(5) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 580.

ذلك، له تآليف طبع البعض منها. توفي في صباح يوم الجمعة ثامن جمادي الأولى من جراء حادثة سيارة كان يركبها بين عاصمة الرباط ومدينة طنجة ودفن بإحدى الزوايا هناك.

42- محمد بن الجيلالي العبدي[1] (توفي سنة 1391 هـ)

فقيه، علامة، مشارك، أخذ العلم بفاس وأدرك الشيخين ابن الخياط وابن الجيلالي وغيرهما. كان يعمل كقاض بالمحكمة الإقليمية بالرباط إلى وفاته بها في عشرين محرم ودفن هناك.

۞۞۞

(1) انظر ترجمته في: إتحاف المطالع، لابن سودة: 2/ 610.

أهم مصادر التوثيق ومراجع التحقيق

أولاً: المخطوط:

* البدور الضاوية في ذكر الشيخ و أصحابه و تلامذته و بناء الزاوية، المعروف بـ " فهرسة العكاري "، لأبي الحسن العكاري الحفيد، مخطوطة في الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (88 د).
* الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة الجهاد، لعبد القاهر بن محمد بن أحمد بن الحسن املاق، مخطوط الخزانة العامة في الرباط تحت رقم 91/د.
* رسالة في بدع عاشوراء، نسختان من مخطوطة في الخزانة الحسنية تحت رقمي (12452) و (12584).
* فهرسة ابن عاشر الحافي مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (1421ك).
* فهرسة العكاري أو البدور الضاوية في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، لأبي الحسن، علي بن محمد بن علي، العكاري (الحفيد) المتوفى سنة 1158هـ في مناقب جده المتوفى سنة 1118هـ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (88د) تحت اسم: «مناقب العكاري».

ثانيًا: المصادر المطبوعة:

* أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، لصديق بن حسن القنوجي، بتحقيق: عبد الجبار زكار (دار الكتب العلمية، بيروت، 1978).
* إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرحمن ابن زيدان (ط2، الدار البيضاء سنة 1990).
* إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة، بتحقيق محمد حجي (طبعة 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1417هـ، 1997م).
* إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر: لأحمد بن محمد الدمياطي البناء (مطبعة عبد الحميد حنفي، القاهرة 1359هـ).
* إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ط دار المعرفة- بيروت).
* أخبار النحويين، لأبي طاهر، عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم، المقرئ، بتحقيق د.محمد إبراهيم البنا (ط1، 1981م).
* إرشاد السالك، لابن عسكر (ط الشركة الإفريقية للطباعة).
* أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، (ط

دار الفكر، سنة 1399هـ1979م).
* اصطلاح المذهب عند المالكية، للدكتور محمد إبراهيم علي (ط2، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ).
* أعلام المغرب العربي، لعبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية بالرباط 1979م.
* أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1973).
* الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي، لعلي بن عبد الكافي السبكي، بتحقيق: جماعة من العلماء (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404).
* الإتحاف الوجيز في أخبار العدوتين المُهدَى للمولى عبد العزيز، بتحقيق مصطفى بوشعراء، نشر منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا المغرب 1996م.
* الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي جلال الدين، بتحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا (ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1407هـ).
* الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين ابن الخطيب، بتحقيق محمد عبد الله عنان القاهرة 1956م.
* الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الآمدي أبو الحسن، بتحقيق: د.سيد الجميلي (ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ).
* الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، لأبي العباس، أحمد بن إدريس القرافي، المالكي (ط مطبعة الأنوار بالقاهرة سنة 1357هـ- 1938).
* الأدب العربي في المغرب الأقصى، لمحمد بن العباس القباج، نشر وزارة الثقافة، المملكة المغربية، ط2 سنة 1400هـ 1979م.
* الأذكار النووية، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ط دار الفكر، بيروت، 1994م).
* الاستذكار لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، بتحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض (ط1، سنة: 1421-2000، دار الكتب العلمية- بيروت).
* الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري، السلاوي، المتوفى سنة 1315هـ، تحقيق نجليه جعفر ومحمد، دار الكتاب بالدار البيضاء 1954م.
* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، بتحقيق: علي محمد البجاوي (ط1، دار الجيل، بيروت، 1412).

* الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لنور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القاري، بتحقيق محمد الصباغ، (دار الأمانة/مؤسسة الرسالة، 1391هـ- 1971م، بيروت، جزء واحد).
* الإصابة في تمييز الصحابة، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، بتحقيق علي محمد البجاوي، (ط1، دار الجيل، بيروت، 1412- 1992).
* الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، للعباس بن إبراهيم السملالي (المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، سنة 1974م).
* الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر، لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الفهري، تحقيق فاطمة نافع (ط1، مركز التراث الثقافي المغربي- الدار البيضاء، ودار ابن حزم- بيروت، 1429هـ2008م).
* الأعلام، لخير الدين الزركلي (ط5 دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1980م).
* الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، بتحقيق سمير جابر (ط2، دار الفكر، بيروت).
* الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، للحافظ ابن ماكولا، بتحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (ط دار الكتاب الإسلامي- القاهرة).
* الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله(ط2، دار المعرفة، بيروت، 1393).
* الانتصار للقرآن، للقاضي أبي بكر الباقلاني (ط معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1986).
* الأنساب، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، بتحقيق: عبد الله عمر البارودي (ط دار الفكر، بيروت، سنة 1998م، الأولى).
* الأنساب، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، بتحقيق: عبد الله عمر البارودي (ط1 دار الفكر، بيروت، سنة 1998م).
* الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، لعلي ابن أبي زرع الفاسي، بتحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية بالرباط 1420هـ.
* الإيضاح في علوم البلاغة لأبي عبد الله، محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، جلال الدين (ط4، دار إحياء العلوم- بيروت، سنة: 1998م).
* البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت.
* البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة- بيروت.

* البدع ببادية الشمال من خلال ألفية الهبطي، ونوازل الزياني، للدكتور عبد الخالق أحمدون دراسة منشورة من العدد الأول من مجلة دفاتر البحث الصادرة عن جامعة الحسن الثاني بعين الشق الدار البيضاء، في شوال هـ م.

* البرهان في علوم القرآن، لأبي عبد الله، محمد بن بهادر بن عبد الله، الزركشي، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط دار المعرفة، بيروت، 1391هـ).

* البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروزابادي، بتحقيق محمد المصري، (ط1، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، 1407هـ).

* البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي، بتحقيق إحسان عباس، دار الثقافة- بيروت.

* البيان والتبيين، لأبي عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، بتحقيق فوزي عطوي (ط1، دار صعب، بيروت، 1968م).

* البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لأبي الوليد ابن رشد القرطبي، وضمنه المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعُتبيَّة لمحمد العُتبي القرطبيّ (ط2 دار الغرب- بيروت-لبنان، سنة 1408هـ- 1988م).

* التاج والإكليل لمختصر خليل، لأبي عبد الله، محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري المعروف بالمواق (ط2، دار الفكر، بيروت، 1398هـ).

* التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي، بتحقيق: السيد هاشم الندوي (ط1 دار الفكر، بيروت).

* التذكرة في الوعظ، لابن الجوزي، بتحقيق: أحمد عبد الوهاب في (ط1، دار المعرفة- بيروت، سنة: 1986م).

* التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، بتحقيق د. محمد رضوان الداية (ط1، دار الفكر، بيروت، سنة 1410).

* التعلل برسوم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد، لابن غازي المكناسي، تحقيق محمد الزاهي (ط1، الدار البيضاء 1399هـ-1979م).

* التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس، لأبي القاسم، عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري، تحقيق سيد كسروي (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة 1428هـ2007م).

* التفريع في فقه الإمام مالك بن أنس، لأبي القاسم، عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن

الجلاب البصري (ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، سنة 1428هـ2007م).
* التقرير والتحبير، لابن أمير الحاج (ط دار الفكر، بيروت، سنة 1417هـ- 1996م).
* التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لابن نقطة، بتحقيق كمال يوسف الحوت (ط دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1408هـ).
* التكملة لكتاب الصلة، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي، بتحقيق عبد السلام الهراس (ط دار الفكر، لبنان، سنة 1415هـ-1995م).
* التلقين في الفقه المالكي، لعبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي المالكي أبو محمد، بتحقيق: محمد ثالث سعيد الغاني (ط1، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، 1415هـ).
* التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، بتحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ).
* التهذيب في اختصار المدونة، لأبي سعيد البراذعي، تحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم ابن الشيخ (ط1 منشورات دار البحوث لدراسات الإسلامية وإحياء التراث- دبي- الإمارات العربية المتحدة، سنة 1420هـ-1999م).
* التوضيح شرح جامع الأمهات، للشيخ خليل بن إسحاق الجندي، بتحقيق الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب (ط1 مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، سنة 1430هـ).
* الثقات، لأبي حاتم، محمد بن حبان بن أحمد، البستي، بتحقيق السيد شرف الدين (ط1، دار الفكر، بيروت 1395هـ).
* الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للشيخ صالح عبد السميع الأبي الأزهري (ط المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان).
* الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، بتحقيق: د. محمود الطحان (مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ).
* الجامع، لأبي محمد، عبد الله بن أبي زيد القيرواني، بتحقيق: عبد المجيد تركي (ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990).
* الجرح والتعديل، لأبي محمد، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس، الرازي، (ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م).
* الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، لأبي يحيى، زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، بتحقيق: د. مازن المبارك، (ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1411هـ).

* الخصال، لأبي بكر محمد بن يبقى بن زرب، تحقيق الدكتور عبد الحميد العلمي (ط منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب، سنة 1426هـ، 2005م).
* الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، بتحقيق: محمد علي النجار (ط عالم الكتب- بيروت).
* الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لمحمد بن أحمد ميارة، على نظم عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر. (ط 1، مطبعة عبد السلام شقرون، القاهرة).
* الدرر الفاخرة، لابن زيدان، (المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937م).
* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد، بتحقيق د. محمد عبد المعين خان (ط2، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد- الهند، 1972م).
* الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، بتحقيق مأمون بن محيى الدين الجنان (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996).
* الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، بتحقيق محمد حجي (ط دار الغرب، بيروت، سنة 1994م).
* الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، بتحقيق محمد المنتصر محمد الزمزمي الكتاني (ط4، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1406هـ- 1986م).
* الرسالة، لابن أبي زيد القيرواني (ط 1، دار الفضيلة، القاهرة).
* الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، لابن غازي المكناسي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور (ط3، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ، 1999م).
* الروضة المقصودة والحلل الممدوة في مآثر بني سودة، لأبي الربيع، سليمان الحوَّات، بتحقيق: عبد العزيز تيلاني (ط1 مطبوعات مؤسسة أحمد بن سودة الثقافية، فاس، 1994م).
* الروضة في القراءات الإحدى عشرة، لأبي علي الحسن بن محمد بن إبراهيم المالكي، بتحقيق: نبيل محمد إبراهيم، (رسالة مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لنيل الدرجة العالمية "الدكتوراه" في أصول الدين سنة 1415هـ).
* الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: الدكتور حاتم صالح الضامن (ط1 مؤسسة الرسالة – بيروت- 1412هـ- 1992).

* السلسلة الضعيفة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (ط مكتبة المعارف- الرياض).
* السلوك، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، بتحقيق محمد عبد القادر عطا (ط دار الكتب العلمية، لبنان/بيروت، سنة 1418هـ-1997م، الأولى).
* السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد (ط 1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ).
* الشافية في علم التصريف، لأبي عمرو عثمان بن عمر جمال الدين الدويني، بتحقيق: حسن أحمد العثمان (ط 1 المكتبة المكية، مكة المكرمة، 1995م).
* الشامل، لبهرام الدميري، بتحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب (ط 1 مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة، 1430هـ).
* الشرح الكبير، لأبي البركات أحمد الدردير، مطبوع على هامش حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن عرفة الدسوقي (ط دار إحياء الكتب العربية).
* الصلة، لابن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الإبياري (ط 1، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، سنة 1410هـ- 1989م).
* الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، بتحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي (ط 1، دار المكتبة العلمية، بيروت، 1404-1984م).
* الضوء اللامع، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ط منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت).
* الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري الزهري (ط دار صادر، بيروت).
* الطبقات، لأبي عمر، خليفة بن خياط الليثي العصفري، بتحقيق د. أكرم ضياء العمري (ط2، دار طيبة، الرياض، 1402هـ-1982م).
* الطبقات، لمحمد بن أحمد الحضيكي، بتحقيق أحمد بومزگو (ط 1، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2006م).
* الطبقات، لمحمد بن أحمد الحضيكي، بتحقيق أحمد بومزگو (ط 1، مطبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2006م).
* العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، بتحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي (ط دار ومكتبة الهلال).
* الفروق، لأبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، بتحقيق خليل المنصور (ط 1

دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1418هـ-1998م).
* الفكر السامي، لمحمد بن الحسن الحجوي، بتحقيق: عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ (ط1 مكتبة التراث، القاهرة، 1396هـ).
* الفهرست، لأبي الفرج، محمد بن إسحاق النديم، (ط دار المعرفة، بيروت، 1398-1978).
* الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غنيم بن سالم النفراوي المالكي (دار الفكر، بيروت، 1415).
* الكافي في فقه أهل المدينة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407).
* الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد، عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني، بتحقيق يحيى مختار غزاوي (ط3، دار الفكر، بيروت، 1409- 1988).
* اللمع في أصول الفقه، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ و1985م).
* المبسوط، لأبي بكر، محمد بن أبي سهل السرخسي (ط دار المعرفة، بيروت، 1406).
* المجموع شرح المهذب، لمحيي الدين النووي، بتحقيق: محمود مطرحي (ط1، دار الفكر، بيروت، 1417- 1996).
* المحلى، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، بتحقيق: لجنة إحياء التراث العربي (ط دار الآفاق الجديدة، بيروت).
* المدخل، لأبي عبد الله، محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (ط دار الفكر، سنة 1401هـ).
* المدونة (ط دار صادر).
* المدونة الكبرى، لابن القاسم، تحقيق زكريا عميرات (ط دار الكتب العلمية ببيروت).
* المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بتحقيق: فؤاد علي منصور (ط1، دار الكتب العلمية- بيروت1998م).
* المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411- 1990).
* المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، بتحقيق: د. مفيد محمد قميحة (ط2، دار الكتب العلمية- بيروت، 1986).

* المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ط2، دار الكتب العلمية- بيروت، 1987م).
* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ط المكتبة العلمية- بيروت).
* المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، بتحقيق: كمال يوسف الحوت (ط1، مكتبة الرشد، الرياض، 1409).
* المعجم الأوسط، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، بتحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (ط دار الحرمين، القاهرة، 1415).
* المعجم الكبير، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، بتحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي (ط2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1404-1983).
* المعرفة والتاريخ، لأبي يوسف، يعقوب بن سفيان الفسوي، بتحقيق: خليل المنصور (ط دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1419هـ).
* المعسول، لمحمد المختار السوسي (ط دار النجاح، الدار البيضاء: 1381هـ- 1962م).
* المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي (ط1، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الرباط 1981م).
* المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد المغربي، بتحقيق د. شوقي ضيف (ط3، دار المعارف، 1955).
* المقتنى في سرد الكنى، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، بتحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد (ط مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1408).
* المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، لأبي الوليد، محمد بن أحمد بن محمد ابن رشد القرطبي، تحقيق الشيخ زكريا عميرات (ط1 دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، سنة 1423هـ).
* المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، بتحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412-1992).
* المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي

الأندلسي (ط 1 دار السعادة، سنة 1332هـ).
* المهذب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ط دار الفكر، بيروت).
* الموافقات في أصول الفقه، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، اللخمي، الغرناطي، المالكي، بتحقيق: عبد الله دراز (ط دار المعرفة، بيروت).
* الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية معلمة المدن و القبائل (ملحق 2)، لعبد العزيز بنعبد الله، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية، ط 1 1977م.
* النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن، يوسف بن تغرى بردى جمال الدين الأتابكي، (ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر).
* النهاية في غريب الأثر، لأبي السعادات، المبارك بن محمد، المعروف بابن الأثير الجزري، بتحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي (ط المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ- 1979م).
* النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ط 1 دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان، سنة 1999).
* النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبد القادر العيدروسي (ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405).
* الواضحة في السنن والفقه، لعبد الملك بن حبيب السلمي، أطروحة لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا في دار الحديث الحسنية، إعداد الطالبة عزيزة الإدريسي.
* الوافي بالوفيات، للصفدي، بتحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى (ط دار إحياء التراث، بيروت سنة 1420هـ- 2000م).
* الوسيط في المذهب، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، بتحقيق: أحمد محمود إبراهيم، ومحمد محمد تامر (ط 1، دار السلام، القاهرة، سنة 1417هـ).
* إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، لابن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور محمد عبد المعيد خان (ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1406هـ- 1986م).
* إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا البغدادي (ط دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان).
* بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين الكاساني (ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982).

* بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، للضبي، تحقيق: إبراهيم الإبياري (ط1، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، سنة 1410هـ- 1989م).
* تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي مرتضى زبيدي المتوفى 1205هـ، مراجعة عبد الستار أحمد فراج (مطبوعات وزارة الإعلام).
* تاريخ ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ط5، دار القلم، بيروت، سنة 1984م).
* تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري أبو جعفر (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407).
* تاريخ الدولة العلوية السعيدة، لمحمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباطي الملقب بالضُعَيِّف، بتحقيق محمد البوزيدي الشيخي، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء 1428هـ/ 2007م.
* تاريخ بغداد، لأبي بكر، أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ط دار الكتب العلمية، بيروت).
* تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي (دار الجيل، بيروت، 3 أجزاء).
* تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، المعروف بابن عساكر، بتحقيق: علي شيري (ط1، دار الفكر، بيروت، 1419هـ، 1998م).
* تبيين كذب المفتري فيما نسب إلي الإمام أبي الحسن الأشعري، لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي (ط3، دار الكتاب العربي- بيروت، سنة: 1404).
* تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه) ليحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا، بتحقيق: عبد الغني الدقر (ط1، سنة 1408، دار القلم، دمشق).
* تذكرة الحفاظ، لمحمد بن طاهر بن القيسراني، بتحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي (ط1، دار الصميعي، الرياض، 1415هـ).
* ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي (ط2، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب سنة 1403هـ، 1983م).
* تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط، لمحمد بن مصطفى بوجندار، الطبعة الأولى بالرباط 1336 هـ
* تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر،

بيروت، (1401).
* تكملة الإكمال، لأبي بكر، محمد بن عبد الغني البغدادي، بتحقيق: د.عبد القيوم عبد رب النبي، (ط1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1410).
* تهذيب التهذيب، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، (ط1، دار الفكر، بيروت، 1404-1984).
* تهذيب الكمال، لأبي الحجاج، يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي، بتحقيق: د. بشار عواد معروف، (ط1، مؤسسة الرسالة، 1400- 1980).
* تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، بتحقيق محمد عوض مرعب (ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة 2001م).
* توشيح الديباج وحلية الابتهاج، لبدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي، تحقيق الدكتور علي عمر (ط1 مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، سنة 1425هـ- 2004م).
* توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، لا بن ناصر الدين، شمس الدين، محمد بن عبد الله بن محمد القيسي، الدمشقي، بتحقيق محمد نعيم العرقسوسي (ط1 مؤسسة الرسالة، بيروت، سنة 1993م).
* توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، بتحقيق زهير الشاويش (ط3، المكتب الإسلامي- بيروت، سنة: 1406).
* جامع الأمهات، لابن الحاجب (ط دار اليمامة).
* جامع الأمهات، لابن الحاجب، تحقيق زكريا عميرات (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت).
* جامع الشروح والحواشي، لعبد الله محمد الحبشي (ط2، الإمارات، 1427هـ).
* جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، لأحمد بن القاضي المكناسي (ط دار المنصور للطباعة والوراقة سنة 1974م).
* جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش (ط2، دار الفكر، سنة: 1988).
* حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد عرفة الدسوقي، بتحقيق: محمد عليش (ط دار الفكر، بيروت).
* حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، لعلي الصعيدي العدوي المالكي، بتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1412).

※ حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، لابن عابدين (ط2، دار الفكر، بيروت، 1386).

※ حرز الأماني ووجه التهاني المعروف بمتن الشاطبية، لأبي القاسم الشاطبي (مطبعة الباب الحلبي، القاهرة، 1347هـ).

※ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (ط4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405).

※ حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لعبد الحميد الشرواني (ط دار الفكر، بيروت).

※ خزانة الأدب وغاية الأرب لتقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، بتحقيق: عصام شعيتو (ط1، 1987م، دار ومكتبة الهلال- بيروت).

※ خلاصة الأثر، للمحبي (ط دار صادر، بيروت).

※ دراسات في مصادر الفقه المالكي، لميكلوش موراني (ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1409هـ).

※ درة الحجال، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية ابن القاضي المكناسي، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 2002).

※ دليل مؤرخ المغرب الأقصى، لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة المري، ط2، دار الكتاب، الدار البيضاء 1960م.

※ دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لابن عسكر الحسني الشفشاوني، تحقيق محمد حجي (ط3، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء- المغرب، 1424هـ- 2003م).

※ ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، لمحمد بن أحمد الفاسي المكي أبو الطيب، بتحقيق: كمال يوسف الحوت (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410).

※ رسالة القيرواني، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ط دار الفكر، بيروت).

※ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل، الألوسي (ط دار إحياء التراث العربي، بيروت).

※ زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1404هـ).

※ سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال، لعبد السلام بن عبد القادر ابن سودة، بتحقيق

محمد حجي، ط1، دار الغرب، بيروت، 1417 هـ - 1997م.
* سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، لأبي عبد الله، محمد بن جعفر الكتاني، بتحقيق عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد بن حمزة بن علي الكتاني (ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2004م).
* سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (ط دار الفكر، بيروت).
* سنن أبي داود، لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، الأزدي، بتحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (ط دار الفكر).
* سنن البيهقي الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا (ط مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ).
* سنن الترمذي، لأبي عيسى، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (ط دار إحياء التراث العربي، بيروت).
* سنن الدارمي، لأبي محمد، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، بتحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي (ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ).
* سنن سعيد بن منصور، لسعيد بن منصور، بتحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد (ط1، دار العصيمي، الرياض، 1414).
* سير أعلام النبلاء، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، بتحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي (ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413هـ).
* شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد مخلوف (ط دار الفكر).
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ط دار الكتب العلمية، بيروت).
* شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، بتحقيق عبد القادر الأرنؤوط، ومحمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير ، دمشق، 1406هـ.
* شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة، لقاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق أحمد فريد المزيدي (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان 2007م- 1428هـ).
* شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411).
* شرح الشافية في التصريف، لابن الحاجب النحوي، لأحمد بن الحسن، الجاربردي،

مخطوطة، بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (69ج، 4319) فن الصرف.
* شرح النووي على صحيح مسلم، لأبي زكريا بن يحيى بن شرف بن مري النووي (ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة 1392، الطبعة الثانية).
* شرح زروق على متن رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن محمد البرنسي، الفاسي، المعروف بزروق، بتحقيق: أحمد فريد المزيدي (ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 1427هـ).
* شرح غريب ألفاظ المدونة، للجُبّي، تحقيق: محمد محفوظ (ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1425هـ- 2005م).
* شعب الإيمان، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ).
* شفاء الغليل في حل مقفل خليل، لابن غازي المكناسي، بتحقيق: الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب (ط1 مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة سنة 1429هـ).
* صبح الأعشى في صناعة الإنشا، لأحمد بن علي القلقشندي، بتحقيق: د. يوسف علي طويل (ط1، دار الفكر- دمشق، سنة 1987).
* صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، بتحقيق شعيب الأرنؤوط (ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ-1993م).
* صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، السلمي النيسابوري، بتحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي (المكتب الإسلامي، بيروت، 1970م).
* صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، بتحقيق د. مصطفى ديب البغا (ط3، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407- 1987).
* صحيح مسلم، لأبي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي(دار إحياء التراث العربي، بيروت).
* صفة المنافق، لأبي بكر، جعفر بن محمد بن الحسن، الفريابي، بتحقيق بدر البدر (ط1، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، 1405هـ).
* صفوة الصفوة، لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، بتحقيق محمود فاخوري ود. محمد رواس قلعة جي، (ط2، دار المعرفة، بيروت، 1979م).
* طبقات الحفاظ، لأبي الفضل، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ).

* طبقات الشافعية الكبرى، لأبي نصر، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، بتحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو، ود. محمود محمد الطناحي (ط2، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، 1992م).
* طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، بتحقيق د. الحافظ عبد العليم خان (ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407).
* طبقات الصوفية، لأبي عبد الرحمن، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي الأزدي، بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998).
* طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، بتحقيق خليل الميس (ط دار القلم، بيروت).
* طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، لأبي محمد، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، بتحقيق عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي (ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1412-1992).
* طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنروي، بتحقيق سليمان بن صالح الخزي (ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1997).
* عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، لجلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس، دراسة وتحقيق الدكتور حميد بن محمد لحمر (ط1 دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1423هـ2003م).
* عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي (ط2، دار الكتب العلمية- بيروت، 1415هـ).
* غريب الحديث، لابن الجوزي، بتحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي (ط1، سنة: 1985، دار الكتب العلمية- بيروت).
* غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، بتحقيق: د. عبد الله الجبوري (ط1، سنة: 1397، مطبعة العاني- بغداد).
* فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب (ط دار المعرفة، بيروت، 1379هـ).
* فتح الشكور في معرفة أعيان علماء تكرور، لمحمد بن أبي بكر الولاتي، بتحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي (ط دار الغرب الإسلامي، بيروت).
* فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بن عبد

الكبير، الكتاني، بتحقيق: إحسان عباس (ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982م).
* فهرسة ابن خير الإشبيلي، لأبي بكر، محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي، بتحقيق محمد فؤاد منصور (ط دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1419هـ- 1998م).
* قانون التأويل لأبي بكر، محمد بن عبد الله بن العربي، المعافري، الإشبيلي، وقد طبع الكتاب بتحقيق: محمد السليماني، ونشرته دار القبلة للثقافة الإسلامية- ومؤسسة علوم القرآن، سنة: 1406هـ- 1986م.
* قراءة الإمام نافع عند المغاربة، لعبد الهادي حميتو (طبعة وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، 2003م).
* كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، بتحقيق: أحمد القلاش (ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت،1405هـ).
* كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، المشهور باسم حاجي خليفة (ط دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ- 1992م).
* كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني، لأبي الحسن المالكي، بتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1412).
* كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، بتحقيق الأستاذ محمد مطيع (طبع وزارة الأوقاف والشئون المغربية، الطبعة الأولى، سنة 1421هـ،2000م).
* لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ط1، دار صادر، بيروت).
* لسان الميزان، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ط3، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1406هـ-1986م).
* مجالس الانبساط بتراجم أعلام الرباط، لمحمد بن علي بن أحمد دنية.
* مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، بتحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد (ط دار المعرفة- بيروت).
* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ط دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1407هـ).
* مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، بتحقيق: محمود خاطر (ط مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415هـ- 1995).

* مختصر خليل (ط إحياء الكتب العربية).
* مختصر خليل (ط المكتبة العصرية).
* مختصر خليل ومعه شفاء الغليل، لابن غازي المكناسي، بتحقيق الدكتور أحمد عبد الكريم نجيب (ط1، منشورات مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، القاهرة، 2008).
* مختصر خليل، بتحقيق أحمد علي حركات (ط دار الفكر).
* مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد)، تحقيق محمد الحبيب التجكاني (ط2، دار الجيل- بيروت- دار الآفاق الجديدة- المغرب، سنة 1414هـ- 1993م).
* مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني، (ط مؤسسة قرطبة، مصر).
* مسند الشهاب، لأبي عبد الله، محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، بتحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407هـ).
* مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ط1، المكتبة العتيقة).
* مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، بتحقيق محمد المنتقى الكشناوي (ط2، دار العربية، بيروت، 1403هـ).
* معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموي (ط دار الفكر، بيروت)
* معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة، لعبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية، فاس، 1350هـ - 1931م.
* معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إليان سركيس (ط مطبعة سركيس بمصر، 1927م).
* معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1957م).
* معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، بتحقيق بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس (ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ).
* معيار الاختيار في ذكر المعاهد و الديار، للسان الدين ابن الخطيب المتوفى سنة 776 هـ، بتحقيق الدكتور محمد كمال شبانة، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، المغرب، ط1 سنة 1397 هـ 1977م.
* مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لمحمد الخطيب الشربيني (ط دار الفكر، بيروت).

* مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، بتحقيق: هلموت ريتر (ط3 دار إحياء التراث العربي- بيروت).
* مناسك الحج، للشيخ خليل بن إسحاق المالكي، بتحقيق: الدكتور الناجي لمين (ط1، منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، 1428هـ).
* مناقب الشافعي، لأحمد بن الحسين البيهقي، بتحقيق: السيد أحمد صقر (ط1، دار التراث- القاهرة- 1970).
* مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني (ط1، دار الفكر، بيروت، 1996م).
* منح الجليل شرح مختصر خليل، للشيخ محمد عليش (ط دار الفكر، بيروت، سنة 1409هـ- 1989م).
* مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لأبي عبد الله، محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرعيني المعروف بالحطاب (ط2، دار الفكر، بيروت، 1398هـ).
* موطأ الإمام مالك لمالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (ط دار إحياء التراث العربي- مصر).
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، بتحقيق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود (ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م).
* نزهة الألباب في الألقاب، لأبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، بتحقيق: عبد العزيز بن محمد بن صالح السديدي (ط1، مكتبة الرشيد، الرياض، 1989م).
* نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر و الثاني، لأبي عبد الله، محمد بن الطيب القادري، بتحقيق الأستاذين محمد حجي وأحمد التوفيق، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، سنة 1986 م
* نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق (ط1، مكتبة الطالب، الرباط، 1402هـ-1982م).
* نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري التلمساني، بتحقيق د.إحسان عباس (ط دار صادر، بيروت، 1968م).
* نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، تحقيق: علي عمر (ط1، مكتبة الثقافة

الدينية- القاهرة، سنة 1423هـ- 2004م).
* هدية العارفين لأسماء الكتب والمؤلفين، لإسماعيل باشا البغدادي، مطبوع بحاشية كشف الظنون لحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت 1992م.
* وصف إفريقيا، لليون الإفريقي، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، (ط2، 1983، دار الغرب، بيروت).
* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، بتحقيق إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت 1994م.
* وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، بتحقيق د. إحسان عباس (ط دار الثقافة، بيروت، 1968م).



فهرس الموضوعات

مقدمة الفتح

فهرس موضوعات الاغتباط

فهرس موضوعات تعطير البساط

❁❁❁

